

صَحِيفَةُ هَامِزِ بْنِ مَنِيبَةَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

حَقَّقَهَا ، وَخَرَجَ أَحَادِيثَهَا ، وَشَرَحَهَا

دكتور رفعت فوزي جبر المطلب

كلية دار العلوم — جامعة القاهرة



الناشر مكتبة النخاسي بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

عونك اللهم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على رسوله محمد وآله أجمعين .

حدثنا الشيخ الإمام الأجل الأوحد الحافظ تاج الدين بهاء الإسلام بديع الزمان أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود البندهي - وفقه الله وبصره بعيوب نفسه - بقرائه علينا من أصل سماعه المنقول منه في المدرسة الناصرية الصلاحية - خلد الله مُلك واقفها - في السادس والعشرين من ذى القعدة سنة سبع وسبعين وخمسمائة قال :

أخبرنا الشيخ الثقة الصالح أبو الخير محمد بن أحمد بن محمد بن عمر المقدر الأصبهاني - قراءة عليه وأنا أسمع - قال :

أخبرنا الشيخ أبو عمرو عبد الوهاب بن أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة الأصبهاني قال :

أخبرنا والدي الإمام أبو عبد الله محمد بن إسحاق قال :

أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن الحسن بن الخليل القطان قال :

حدثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السُّلمي قال :

حدثنا عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري ،

عن معمر ،

عن همام بن مُنبّه قال :

هذا ما حدثنا أبو هريرة ،

١ - عن محمد رسول الله ﷺ قال :

نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(١) ؛ يَبْدُ ^(٢) أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ ^(٣) مِنْ قَبْلِنَا ، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، فَهَذَا يَوْمُهُمْ ^(٤) الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ ^(٥) ، فَهَدَانَاهُ اللَّهُ لَهُ ، فَهُمْ لَنَا تَبَعٌ ، فَالْيَهُودُ غَدًا ^(٦) ، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ ^(٧) .

● رواه أحمد في مسنده (٢٧/١٦ ، ٢٨) في أول روايته لصحيفة همام بن منبه ، والصحيفة كلها يروونها عن « عبد الرزاق قال : حدثنا معمر ، عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال ... » وذكره ، وذكر كل أحاديث الصحيفة بهذا السند . (رقم ١/٨١٠٠) .

كما رواه (١٢٥/١٤) عن عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه ، وعن همام بن منبه عن أبي هريرة .

وقد ذكر الأستاذ أحمد شاكر أن عبد الرزاق رواه في تفسيره المخطوط ص ٢٣ بإسناد الصحيفة (المسند ٢٧/١٦) .

ورواه مسلم (٥٨٦/٢) في كتاب الجمعة (٦) باب هداية هذه الأمة ليوم الجمع - قال : حدثنا محمد بن رافع ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن همام بن منبه أخى وهب بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله ﷺ به . (رقم ٨٥٥/٢١) .

وهو السند نفسه الذى يروى به أحاديث الصحيفة التى رواها .

كما روى عن عمرو الناقد قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة نحوه .

وعن سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، وابن طاوس عن أبيه كلاهما عن أبي هريرة (رقم ٨٥٥/١٩) .

كما روى من طريق جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي هريرة نحوه .

وروى البخارى (٢١١/١ - ٢١٢) في (١١) كتاب الجمعة (١) باب فرض الجمعة - عن أبي إيمان قال : أخبرنا شعيب قال : حدثنا أبو الزناد ، أن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج مولى ربيعة بن الحارث حدثه أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه بنحوه .

وروى (٢١٦/١) فى الكتاب نفسه أيضا (١٣) باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم ، من طريق وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة بنحوه : وزاد : « فكست ، ثم قال : حق على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام يوما يغسل فيه رأسه وجسده » .

وهذا الطريق روى نحوه (١٥٣/٤) في (٦٠) كتاب الأنبياء - (٥٤) باب حدثنا أبو اليمان .

وروى الجزء الأول (نحن الآخرون السابقون) في (٨١/٨) (٩١) كتاب التعبير - (٤٠) باب النفخ في المنام من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام به .

ورواه البيهقي الفراء في شرح السنة (٢٠٠/٤ - ٢٠١) قال : أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي ، أنا أبو الطاهر الزيادي ، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ، نا أحمد بن يوسف السلمي ، نا عبد الرزاق ، أنا معمر ، عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ فذكره . ثم قال : هذا حديث متفق على صحته . (رقم ١٠٤٥) .

(١) قال الحافظ السيوطي في شرح هذا الحديث : « أى نحن الآخرون زمانا الأولون منزلة ، والمراد أن هذه الأمة ، وإن تأخر وجودها عن الأمم الماضية فهي سابقة لهم في الآخرة بأنهم أول من يحشر ، وأول من يحاسب ، وأول من يقضى بينهم ، وأول من يدخل الجنة . وفي حديث حذيفة - رضى الله عنه - ... (نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق) .

« وقيل : المراد به السبق إلى القبول والطاعة التي حرّمها أهل الكتاب فقالوا : سمعنا وعصينا .

« وقيل المراد بالسبق : إحراز فضيلة اليوم السابق بالفضل وهو يوم الجمعة . والأول أقوى » (١) .

ونقول : إنه لا مانع من أن يكون المراد هذه جميعها .

(٢) قال أبو عبيد : لفظة « بيد » تكون بمعنى « غير » وبمعنى « على » وبمعنى « من أجل » قال النووي : وكله صحيح هنا (٢) .

(١) شرح سنن النسائي ٨٥/١ ، ٨٦ .

(٢) شرح النووي على مسلم ٥٠٦/٢ .

(٣) اللام في « الكتاب » للجنس ، فيحمل بالنسبة إليهم على كتابهم ، وبالنسبة إلينا على كتابنا . قال السندی : « وهذا بيان زيادة شرف آخر لنا ، أى فصار كتابنا ناسخا لكتابهم ، وشريعتنا ناسخة لشريعتهم ، وللناسخ فضل على المنسوخ ، فهو من باب المدح بما يشبه الذم ^(١) .

(٤) أى يوم الجمعة .

(٥) روى ابن أبى حاتم عن السدى في قوله تعالى : (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) قال : إن الله (تعالى) فرض على اليهود الجمعة ، فأتوا ، وقالوا : يا موسى ؛ إن الله لم يخلق يوم السبت شيئاً ، فاجعله لنا ، فجعله عليهم ^(٢) .

وقال البغوى الفراء : يريد أن المفروض على اليهود والنصارى تعظيم يوم الجمعة فاختلفوا ، فقالت اليهود : هو يوم السبت ؛ لأنه كان فيه الفراغ من خلق الخلق ، فنحن نستريح فيه عن العمل ، ونشتغل بالشكر . وقالت النصارى : هو يوم الأحد ؛ لأن الله سبحانه وتعالى بدأ فيه بخلق الخليقة ، فهو أولى بالتعظيم - فهدى الله (تعالى) المسلمين إليه ، فهو سابق على السبت والأحد ^(٣) .

(٦) غدا : منصوب على الظرف ، وهو متعلق بمحذوف تقديره : اليهود يعظمون غدا . وكذا بعد غدٍ . ولابد من هذا التقدير ؛ لأن ظرف الزمان لا يكون خبراً عن الجثة ^(٤) .

(٧) قال النووى : في الحديث دليل لوجوب الجمعة ، وفيه فضيلة هذه الأمة ^(٥) .

(١) حاشية السندی على النسائي ٨٦/١ .

(٢) شرح السيوطى لسنن النسائي (زهر الرى) ٨٧/١ .

(٣) شرح السنة ٢٠٢/٤ .

(٤) شرح السيوطى لسنن النسائي (زهر الرى) ٨٧/١ .

(٥) شرح النووى على مسلم ٥٠٧/٢ .

٢ - وقال رسول الله - ﷺ : مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بَيْوتًا فَأَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ ^(١) من زاوية من زواياها ، فجعل الناس يطوفون ، ويُعجبهم البنيان ، فيقولون : ألا وُضِعَتْ هَهُنَا لبنة ، فتم بناؤه ^(٢) ؟

فقال محمد ﷺ : فأنا اللبنة ^(٣) .

- رواه أحمد (٢٨/١٦ - ٢٩) ضمن روايته لصحيفة همام . (رقم ٢/٨١٠١) .
- ورواه مسلم (١٧٩٠/٤) في (٤٣) كتاب الفضائل - (٧) باب ذكر كونه - ﷺ خاتم النبيين - بإسناده للصحيفة (رقم ٢٢٨٦/٢١) .
- كما روى نحوه من طريق سفيان بن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة (رقم ٢٢٨٦/٢٠) .
- وروى نحوه من طريق عبد الله بن دينار عن أبي صالح السمان ، عن أبي هريرة (١٧٩١/٤) رقم (٢٢٨٦/٢٢) .
- كما روى نحوه بسنده عن أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما (رقم ٢٢٨٧/٢٣) .
- وروى البخاري (١٦٢/٤) في (٦١) كتاب المناقب - (١٨) باب خاتم النبيين - حديث عبد الله بن دينار المتقدم عند مسلم .

كما روى بسنده حديث جابر في هذا الموضع .

- ورواه البغوي الفراء (١٩٩/١٣) بسنده للصحيفة وقال : هذا حديث متفق على صحته . (رقم ٣٦١٩) .

(١) إلا موضع لبنة : اللبنة قطعة طين تعجن وتيسس ويبنى بها من غير إحراق .

(٢) التشبيه هنا ليس من باب تشبيه المفرد بالمفرد ، بل هو تشبيه تمثيلي فيؤخذ وصف من جميع أحوال المشبه ، ويشبه بمثله من أحوال المشبه به فيقال : شبه الأنبياء وما بعثوا به من الهدى والعلم وإرشاد الناس إلى مكارم الأخلاق بقصر أسس قواعده

ورفع بنيانه ، وبقي منه موضع لبنة ، فنبينا - ﷺ بعث لتتميم مكارم الأخلاق ، كأنه هو تلك اللبنة التي بها : صلاح ما بقي من الدار ^(١) .

(٣) في الحديث فضيلته - ﷺ ، وأنه خاتم النبيين ، وجواز ضرب الأمثال في العلم وغيره ^(٢) .

(١) إرشاد السارى ٢٢/٦ .

(٢) شرح مسلم للنووى ١٤٩/٥ .

٣ - وقال رسول الله - ﷺ : مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ - أَوْ جُبَّتَانِ ^(١) مِنْ حَدِيدٍ إِلَى تَدْيِيهِمَا ، أَوْ إِلَى تَرَاقِيهِمَا ^(٢) ، فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ - كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِشَيْءٍ ذَهَبَتْ عَنْ جِلْدِهِ حَتَّى تُجِنَّ بَنَانُهُ ^(٣) وَيَعْفُو أَثَرُهُ ^(٤) ، وَجَعَلَ الْبَخِيلُ - كُلَّمَا أَنْفَقَ شَيْئًا ، أَوْ حَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ عَضَّتْ ^(٥) كُلُّ حَلَقَةٍ مَكَانَهَا ؛ فَيَوْسَعُهَا وَلَا تَتَّسِعُ ^(٦) .

● رواه البغوى الفراء فى شرح السنة (١٥٧/٦) بسنده للصحيحة ، ثم قال : هذا حديث متفق على صحته ، أخرجه (أى البخارى ومسلم) من طرق عن أبى هريرة .

وروى البخارى (١٢٠/٢ ، ١٢١) فى (٢٤) كتاب الزكاة (٢٨) باب مثل البخيل والمتصدق - من طريق وهيب عن ابن طاوس عن أبى هريرة ، ومن طريق أبى اليمان عن شعيب (بن أبى حمزة) ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة نحوه .

كما روى بالطريق الأول فى (٥٦) كتاب الجهاد - (٨٩) باب ما قيل فى درع النبى - ﷺ نحوه .
وروى فى (٣٦/٧ ، ٣٧) (٧٧) كتاب اللباس - (٩) باب جيب القميص من عند الصدر وغيره - من طريق إبراهيم بن نافع ، عن الحسن (بن مسلم) عن طاوس عن أبى هريرة نحوه .

وروى نحوه مسلم (٧٠٨/٢ - ٧٠٩) فى (١٢) كتاب الزكاة - (٢٣) باب مثل المنفق والمتصدق - بطريق البخارى الأول والأخير ، ومن طريق سفیان بن عيينة عن أبى الزناد ، عن الأعرج عن أبى هريرة (٧٥ - ٧٧/٧٧) (١٠٢١) .

وقد ذكر الأستاذ أحمد شاكر فى تحقيقه للمسنند (٢٩/١٦) أن الإمام أحمد رواه فى المسند أربع مرات مطولاً ومختصراً (أرقام : ٧٣٣١ ، ٧٤٧٧ ، ٩٠٤٥ ، ١٠٧٨٠) ولم يروه فى واحد منها من رواية همام بن منبه .

(١) جُبَّتَانِ من حديد : تثنية جُبَّة : وهى الدرع ، وهى فى الأصل الحصن ، وسميت بها الدرع لأنها تُجِنُّ صاحبها ، أى تحصنه . أما الجبة فهى الثوب . والشك من الراوى .

(٢) إلى تراقيهما : جمع ترقوة وهى العظامان المشرفان فى أعلى الصدر من رأس المنكبين إلى طرف ثغره وهو النحر .

- (٣) حتى تُجِنَّ بنانه : أى تستر أصابعه من أجن الشيء إذا ستره .
- (٤) ويعفو أثره : أى يزول أثره لطول الجبة أو الدرع وأثره بالرفع وفى بعض الروايات « وتعفو أثره » أى لطول الجبة أو الدرع تجر على الأرض فتزيل آثار أقدامه .
- (٥) عضت كل حلقة : أى لزقت كما فى بعض الروايات ، أو تقلصت .
- (٦) هذا مثلٌ ضربه النبى - ﷺ للجواد المُنْفِق والبخيل المُمْسِك فالجواد إذا هم بالصدقة انفسح لها صدره ، وطابت بها نفسه ، فتوسعت بالإِنْفَاق فمثله مثل رجل لبس درعا سابغة إلا أنه أول ما يلبسها تقع على الصدر والثدين ، إلى أن يسلك يديه فى كميتها ، ويرسل ذيلها على أسفل يديه ، فاستمرت حتى سترت جميع بدنه وحصنته .
- والبخيل إذا حدث نفسه بالصدقة أو تصدق بشيء شحت نفسه وضاق صدره وانقبضت يداه ؛ فمثله مثل رجل أراد أن يلبس درعا يستجن به ويستتر فحالت يداه المغلولتان بينها وبين أن تمر على سائر جسده ، فاجتمعت فى عنقه فلزمت ترقوته ، فكانت ثقلا ووبالا عليه من غير تحصين لبدنه (١) .
- قال البغوى : « وحقيقة المعنى : أن الجواد إذا هم بالنفقة اتسع لذلك صدره ، وطاوَعته يداه ، فامتد بالعطاء والبذل ، والبخيل يضيق صدره وتنقبض يده عن الإنفاق فى المعروف » (٢) .

★ ★ ★

(١) شرح السنة ١٥٩/٦ وقارن بإرشاد السارى ٣٨/٣ .

(٢) شرح السنة ١٥٩/٦ .

٤ - وقال رسول الله - ﷺ : مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَاراً ^(١) فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَّاشُ ، وَهَذِهِ الدَّوَابُّ ^(٢) الَّتِي يَقَعْنَ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا ، وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ ، وَيُعْلِبُنَهُ فَيَتَّقَحَمْنَ ^(٣) فِيهَا .

فَذَاكَ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ ؛ أَنَا آخِذٌ بِحُجْرِكُمْ ^(٤) عَنِ النَّارِ : هَلُمَّ عَنِ النَّارِ ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ فَتَعْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا ^(٥) .

* * *

• رواه أحمد (٢٩/١٦ - ٣٠) بسنده للصحيفة (رقم ٣/٨١٠٢) .

ورواه مسلم (١٧٨٩/٤ - ١٧٩٠) في (٤٣) كتاب الفضائل - (٦) باب شفقتي - ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم - بسنده للصحيفة (رقم ٢٢٨٤/١٨) .

كما روى نحوه من طريق المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة (رقم ٢٢٨٤/١٧) .

ومن طريق سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج نحوه .

ومن طريق ابن مهدي عن سليم ، عن سعيد بن ميناء ، عن جابر نحوه (رقم ٢٢٨٥/١٩) .

وروى البخاري (١٣٦/٤) في (٦٠) كتاب الأنبياء - (٤٠) باب قول الله تعالى : (وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) نحوه مختصراً عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي الزناد عن عبد الرحمن (الأعرج) عن أبي هريرة .

وروى (١٨٦/٧) في (٨١) كتاب الرقاق - (٢٦) باب الانتهاء عن المعاصي - عن أبي اليمان بالطريق السابق نفسه ، ولكن رواه بتمامه .

ورواه البيهقي الفراء (١٩٧/١ - ١٩٨) بسنده للصحيفة ، وروى قبله حديث : « ذروني ما تركتكم » بالسند نفسه ، ثم قال : هذا حديث متفق على صحته . (رقم ٩٨) .

* * *

(١) استوقد ناراً : أوقد ناراً .

(٢) الفراش وهذه الدواب : الحشرات الطائرة كالبعوض والجنادب ونحوها من التي تنهات وتندفع نحو النار .

(٣) يتقحم : التقحم : هو الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبت .

(٤) بحجزكم : الحُجَزُ : جمع حُجْزَةٍ ، وهى معقد الإزار والسرّاويل ، ويقال فلان أخذ بحجزته أى بعنقه . وذكر الحجة دون سائر جهات الثوب لأنها أوثق الثياب على البدن عقدة ، وأخصها منها بستر العورة .

(٥) ضرب الرسول ﷺ مثلاً على حرصه على أمته واجتهاده في أن يبعدهم عن مهلكات المعاصي ، واندفاعهم نحو الشهوات ووقوعهم في حبالها ، وغفلتهم عن مواقع الخطايا والسيئات - برجل أوقد ناراً فتهاوت عليها الفراش كعادتها من غير تثبت بما تصير إليه وغفلتها عما ترد عليه منه ، وهو يعمل على الحيلولة دون وقوع هذا الفراش في النار .

قال ابن العري : يقال : إن الفراش في ظلمة فإذا رأته الضوء اعتقدت أنها كوة يستطير منها النور ، فتقصدها لأجل ذلك فتحترق فيها ، كذلك الخلق في عقائدهم الفاسدة ، وشهواتهم الغالبة التي يعتقدون أنها صحيحة نافعة ، وهى باطلة مضرة . قال سبحانه : (كذلك زيننا لكل أمة عملهم ^(١)) (٢) .

ويقول الإمام الغزالي : ولعلك تظن أن هذا لنقصانها وجهلها فاعلم أن جهل الإنسان أعظم من جهلها ؛ بل صورة الإنسان في الإكباب على الشهوات في التهاوت ، فلا يزال يرمى بنفسه فيها إلى أن ينغمس فيها ويهلك هلاكاً مؤبداً ، فليت جهل الآدمي كان كجهل الفراش فإنها باغترارها بظاهر الضوء إن احترقت تخلصت في الحال ، والآدمي يبقى في النار أبد الآباد ^(٣) .

وقال الأبي : شبه - ﷺ تساقط العصاة في نار الآخرة لجهلهم عاقبة شهواتهم بتساقط الفراش في نار الدنيا بجهله وعدم تمييزه لما يقصد إليه ^(٤) .

(١) سورة الأنعام ١٠٨ .

(٢) صحيح الترمذي بشرح ابن العري (عارضة الأحوذى) ٣٢٥/١٠ .

(٣) إرشاد الساري ٤٠٣/٥ وقارن بفتح الباري ٤٦٤/٦ .

(٤) هامش صحيح مسلم ط . دار التحرير مصورة عن طبعة الآستانة ٦٤/٧ .

وقد جمع كل هذا الطيبي مبيناً وجوه الشبه بين المشبه والمشبه به ، وعلاقة الرسول - ﷺ الرحيمة بأمته ، وجهل العصاة من أمته ذلك فقال : « تحقيق التشبيه الواقع في هذا الحديث يتوقف على معرفة معنى قوله تعالى (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) ^(١) ، وذلك أن حدود الله محارمه ونواهيه ، كما في الحديث الصحيح : (ألا إن حمى الله محارمه) ، ورأس المحارم حب الدنيا وزيتها واستيفاء لذتها وشهواتها ، فشبه - ﷺ إظهار تلك الحدود ببياناته الشافية الكافية من الكتاب والسنة باستنقاذ الرجال من النار ، وشبه فشو ذلك في مشارق الأرض ومغاربها بإضاءة تلك النار ما حول المستوقد ، وشبه الناس وعدم مبالاتهم بذلك البيان والكشف وتعليمهم حدود الله ، وحرصهم على استيفاء تلك اللذات والشهوات ومنعه إياهم عن ذلك بأخذ حيزهم بالفراش التي تقحمن في النار ، وتغلبن المستوقد على دفعهن عن الاقتحام ؛ كما أن المستوقد كان غرضه من فعله انتفاع الخلق به من الاستضاءة والاستدفاء وغير ذلك ، والفراش جعلته سببا لهلاكها ؛ فكذلك كان القصد بتلك البيانات اهتداء الأمة واجتنابها ما هو سبب هلاكهم ، وهم مع ذلك لجهلهم جعلوها مقتضية لترديهم ، وفي قوله : « آخذ بِحُجْرِكُمْ » استعارة ؛ مثّل حالة منعه الأمة عن الهلاك بحالة رجل آخذ بحجرة صاحبه الذي يكاد يهوى في مهوأة مُهلكة » ^(٢) .

★ ★ ★

(١) البقرة : ٢٢٩ .

(٢) فتح الباري ٣١٩/١١ .

٥ - وقال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ^(١) .

• هذا أول حديث في الصحيفة نجده في مصنف عبد الرزاق (١١ / ٤١٧) في كتاب الجامع . وسنده : عن معمر عن همام عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يبلغها . (رقم ٢٠٨٧٧) .

ورواه البغوي (١٥ / ٢٠٧) في باب صفة الجنة وأهلها بسنده للصحيفة وقال - عقب أحاديث رواها معه : « هذه أحاديث متفق على صحتها أخرجاها من طرق عن أبي هريرة » . (رقم ٤٣٧٠) .

وروى البخاري (٤ / ٨٧) في (٥٦) كتاب بدء الخلق - (٨) باب ما جاء في صفة الجنة ، وأنها مخلوقة - من طريق فليح بن سليمان ، عن هلال بن علي ، عن عبد الرحمن بن عمرة عن أبي هريرة نحوه . وفيه : « وأقروا إن شئتم : (وظل ممدود) .

كما روى نحوه (في الموضع نفسه) من طريق سعيد (بن أبي عروبة) عن قتادة عن أنس ، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وروى مسلم نحوه (٤ / ٢١٧٥ - ٢١٧٦) في (٥١) كتاب الجنة ، وصفة نعيمها وأهلها - (١) باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها - من طريق الليث بن سعد عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة . (رقم ٢٨٢٦ / ٦) .

كما روى نحوه من طريق المغيرة بن عبد الرحمن الحزامي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة (رقم ٢٨٢٦ / ٧) . كما روى نحوه من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (رقم ٢٨٢٧ / ٨) .

كما روى نحوه من طريق أبي حازم عن النعمان بن أبي عياش الزرق قال : حدثني أبو سعيد الخدري عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وفيه : « يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها » (٨ / ٢٨٢٨) .

هذا ولم يروه الإمام أحمد أثناء روايته لصحيفة همام ، ولكنه رواه من طرق أخرى عن أبي هريرة (انظر ٤١٨ / ٢ ، ٤٣٨ ، ٤٦٢ ، ٤٦٩ من نسخة دار صادر) .

(١) ومعلوم أن هذا الحديث الشريف يتناول عالما غير عالمنا الذي نعيش فيه

وهو عالم الجنة التى - بلا شك - لها قوانينها ، وهى غير تلك القوانين الأرضية ، فلا ينبغى لنا أن نقيس عالم الغيب على عالم الشهادة .

وهو بيان لما فى كتاب الله تعالى فى وصف ما فى الجنة من قوله جل شأنه :
(وظل ممدود) .

وإذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض - كما جاء فى القرآن الكريم - فلا يستبعد أن يكون فيها شجرة أكبر من الأرض التى لا تكون إلا شيئاً ضئيلاً بالنسبة إلى السموات .

٦ - وقال - ﷺ : إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ^(١) ، إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلَا تَنَاجَشُوا ^(٢) ، وَلَا تَحَاسَدُوا ^(٣) ، وَلَا تَنَافَسُوا ^(٤) ، وَلَا تَبَاغَضُوا ^(٥) ، وَلَا تَدَابَرُوا ^(٦) ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا .

● روى عبد الرزاق في المصنف (١٦٩/١١) في كتاب الجامع - باب الظن - الجزء الأول من هذا الحديث إلى : « أكذب الحديث » - رواه عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة .

ورواه أحمد (٣٠/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٤٨١٠٣) وليس فيه : « ولا تناجشوا » .
ورواه البغوي (١١٠/١٣) بسنده لصحيفة همام ، وقال : هذا حديث متفق على صحته أخرجه محمد (بن إسماعيل البخاري) ، عن عبد الله بن يوسف ، وأخرجه مسلم عن يحيى بن يحيى كلاهما عن مالك .
ورواه البخاري في (٨٨/٧ - ٨٩) في (٧٨) كتاب الأدب - (٥٧) باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير - عن بشر بن محمد عن عبد الله (بن المبارك) ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة ، عن النبي - ﷺ . وفيه « ولا تحسبوا ، ولا تجسبوا » بدلا من : « ولا تناجشوا ولا تنافسوا » .

وروى عن عبد الله بن يوسف ، عن مالك عن أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة نحوه . وفيه « ولا تحسبوا ولا تباغضوا » فقط .

وروى مسلم في (١٩٨٥/٤) (٤٥) كتاب البر والصلة والآداب - (٩) باب تحريم الظن والتجسس - حديث مالك السابق عند البخاري (رقم ٢٥٦٣/٢٨) .

كما روى أجزاء منه في روايات أخرى عن أبي هريرة في (١٩٨٥/٤ - ١٩٨٦) أرقام (٣٠ ، ٢٥٦٣/٣١) .
وحديث أبي الزناد عن الأعرج في الموطأ (ص ٥٦٦) (٤٧) كتاب حسن الخلق - (٤) باب ما جاء في المهاجرة . (رقم ١٥) .

(١) إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ : هذا الجزء من الحديث من العام الذي يراد به الخاص ؛ والمراد به ظن السوء الذي يعتبره المرء حقيقة دون أن يتثبت ؛ قال الإمام البغوي ^(١) : « قوله إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ أراد به سوء الظن وتحقيقه ، دون مبادئ الظنون التي

لا تُمْلِكْ ؛ لأنه سبحانه وتعالى قال : (إن بعض الظن إثم) ^(١) ولم يجعل كله إثمًا .
« وحكى عن سفيان الثوري أنه قال : الظن ظنان : ظن إثم ، وظن ليس بإثم ؛
فأما الذى هو إثم فالذى يظن ظنا ويتكلم به ، والذى ليس بإثم : فالذى يظن ولا يتكلم
به » ^(٢) .

ثم بين الإمام البغوى : جواز سوء الظن على وجه الحذر وطلب السلامة من
شر من يصدر منه الشر ، وعندئذ فلا إثم فى هذا الظن ، ودلل على ذلك من حديث
رسول الله - ﷺ ، ومن آثار الصحابة - رضوان الله عليهم .

قال : « فأما استعمال سوء الظن إذا كان على وجه الحذر وطلب السلامة من
شر الناس فلا يأثم به الرجل ؛ فإن النبى - ﷺ قال لعمر بن الخطاب بن الغفواء الخزاعى :
« التمس صاحباً » ، وأراد أن يبعث بمال إلى أنى سفيان يقسمه فى قريش بمكة بعد
الفتح ، فجاء إليه عمرو بن أمية الضمري وقال : أنا لك صاحب . قال : فأخبرت
رسول الله - ﷺ ، فقال : « إذا هبطت بلاد قومه فاحذره ؛ فإنه قد قال القائل :
أخوك البكرى ولا تأمنه » ^(٣) ، وذلك مثل شهير للعرب فى الحذر .

« وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : احتجزوا من الناس بسوء
الظن ، ولا تثقوا بكل أحد ، فإنه أسلم لكم .

« وقال سلمان : إني لأعُدُّ هراق القدرِ على خادمي مخافة الظن .

(١) الحجرات : ١٢ .

(٢) شرح السنة ١١٠/١٣ .

(٣) أخرجه أحمد ٢٨٩/٥ . وأبو داود فى الأدب - باب فى الحذر من الناس (٤٨٦١) ، وفى سنده عيسى
ابن معمر ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، وضعفه الأزدي ، وقال الذهبى : صالح الرواية ولينه الحافظ فى التقريب .
وشيخه فيه هو عبد الله بن عمرو بن الغفواء مستور .

« قال أبو خلدة : كنا نؤمر بالختم على الخادم والكيل والعدد ؛ خشية أن يصيب إنما في الظن ، أو يتعود الخادم خلق سوء .

« وقال عبد الله بن مسعود : ما يزال الرجل يُسرق بسوء الظن حتى يكون أعظم إنما من السارق » (١) .

(٢) ولا تناجشوا : نَجَشَ الرجل نَجْشاً من باب قتل إذا زاد في سلعته ، أكثر من ثمنها ، وليس قصده أن يشتريها ، بل ليغر غيره فيوقعه فيه ، وكذلك في النكاح وغيره . ولا تناجشوا : لا تفعلوا ذلك (٢) .

وقد أجمع العلماء على أن الناجش عاص بفعله ، واختلفوا في البيع إذا وقع على ذلك . فقال طائفة من أئمة الحديث البيع فاسد ، وبه قال أهل الظاهر ، وهو المشهور في مذهب الحنابلة ، ورواية عن مالك ، إلا أن الحنابلة يقولون بفساده إن كان مواطأة من البائع أو منه . وقالت المالكية : يثبت له الخيار ، وهو قول الهادوية قياساً على المصرة ، والبيع صحيح عندهم وعند الحنفية ؛ قالوا : لأن النهي على أمر مفارق للبيع وهو قصد الخداع ، فلم يقتض الفساد .

ونقل عن ابن عبد البر وابن العربي وابن حزم أن التحريم إذا كانت الزيادة المذكورة فوق ثمن المثل ، فلو أن رجلاً رأى سلعة تباع بدون قيمتها ، فزاد فيها لتنتهي إلى قيمتها لم يكن ناجشاً عاصياً ، بل يؤجر على ذلك بنيته (٣) .

وقد رد ذلك الأمير الصنعاني ؛ فقال : إن النصيحة تحصل بغير إيهام أنه يريد الشراء ، وأما مع هذا فهو خداع وغرور (٤) .

(١) شرح السنة ١١١/١٣ .

(٢) المصباح المنير ؛ مادة : « نجش » .

(٣) سبل السلام ٨١٣/٤ ، ٨١٤ .

(٤) المصدر السابق ٨١٤/٤ .

(٣) ولا تحاسدوا : حسدته على النعمة وحسدته النعمة إذا كرهتها عنده ، وتمنيت زوالها عنه ، وأما الحسد على الشجاعة ونحو ذلك فهو الغبطة ، وفيه معنى التعجب ، وليس فيه تمنى زوال ذلك عن المحسود ، فإن تمناه فهو القسم الأول وهو حرام ^(١) .

(٤) ولا تنافسوا : نافس في الشيء منافسة إذا رغب فيه على وجه المباراة في الكرم ^(٢) .

قال الطبراني في معنى الحديث : لا تنافسوا حرصا على الدنيا ، إنما التنافس في الخير ، قال تعالى : (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) ^(٣) ، وكأن المنافسة هي الغبطة ، وقد أبعد من فسرهما بالحسد ؛ لأنه عطف إحداها على الأخرى ^(٤) .

(٥) ولا تباغضوا : البغض ضد الحب ، والتباغض ضد التحاب ^(٥) .

(٦) ولا تدابروا : لا تقاطعوا .

(١) المصباح المنير ؛ مادة : « حسد » .

(٢) مختار الصحاح ؛ مادة : « نفس » .

(٣) المطففون : ٢٦ .

(٤) هامش مسلم ط تحرير ١٠/٨ .

(٥) مختار الصحاح ، مادة بغض .

٧ - وقال رسول الله - ﷺ : في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم - وهو يصلي يسأل ربه شيئاً إلا آتاه إياه ^(١) .

• رواه عبد الرزاق (٢٦٠/٣) في باب الساعة يوم الجمعة . عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله - ﷺ : « إن في يوم الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم وهو يصلي يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه إياه (رقم ٥٥٧١) .

ورواه أحمد (٣١/١٦) ضمن روايته للصحيفة (رقم ٥/٨١٠٤) .

ورواه مسلم (٥٨٤/٢) في (٧) كتاب الجمعة - (٤) باب في الساعة التي في يوم الجمعة - بسنده للصحيفة . (رقم ٨٥٢/١٥) .

كما روى نحوه من طريق مالك بن أنس عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة (٨٥٢/١٤) .

ومن طريق أيوب (السخيتاني) عن محمد (بن سيرين) عن أبي هريرة .

ومن طريق ابن عون عن محمد عن أبي هريرة .

ومن طريق سلمة بن علقمة عن محمد عن أبي هريرة .

ومن طريق الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة .

وروى البخاري نحوه في (٢٢٤/١) (١١) كتاب الجمعة - (٣٧) باب الساعة التي في يوم الجمعة - من طريق مالك المتقدم عند مسلم .

وحديث مالك هذا في الموطأ (ص ٨٨) (٧) باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة .

ورواه البغوي القراء (٢٠٦/٤) في فضل يوم الجمعة وما قيل في ساعة الإجابة - بسنده للصحيفة . وقال : هذا حديث صحيح (رقم ١٠٤٩) .

(١) لخص الإمام البغوي الأقوال ^(١) في تحديد هذه الساعة فقال :

« ورأى بعض أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أن ساعة الإجابة بعد العصر إلى غروب الشمس ؛ رواه سعيد بن جبير ، عن عبد الله بن عباس ، وبه قال أحمد وإسحاق ، قال أحمد : أكثر الحديث أنها بعد العصر ، وترجى بعد زوال الشمس (١) .

وقد روى الترمذى بسنده حديثاً عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : التمسوا الساعة التي ترجى في يوم الجمعة بعد العصر إلى غيبوبة الشمس (٢) .

وروى عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ : التمسوها آخر ساعة بعد العصر (٣) .

وعن أنى موسى الأشعري ، عن النبي - ﷺ : هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة (٤) .

ويروى عن ابن عباس أنها فيما بين الأذان إلى انصراف الإمام (٥) .

(١) شرح السنة ٢٠٩/٤ . وقول أحمد في الترمذى ٣٦١/٢ .

(٢) صحيح الترمذى (٣٦٠/٢ ، ٣٦١) أبواب الصلاة - باب ما جاء في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة - قال الترمذى بعد روايته : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقد روى هذا الحديث عن أنس ، عن النبي - ﷺ من غير هذا الوجه .

ومحمد بن أبى حميد (من رواة هذا الحديث) يُضَعَّف ؛ ضعفه بعض أهل العلم من قبل حفظه ، ويقال له حماد بن أبى حميد ، ويقال هو أبو إبراهيم الأنصارى ، وهو منكر الحديث .

قال : ورأى بعض أهل العلم من أصحاب النبي - ﷺ وغيرهم أن الساعة التي ترجى فيها بعد العصر إلى أن تغرب الشمس . وبه يقول أحمد وإسحاق .

(٣) أخرجه أبو داود (١٠٤٨) في الصلاة ، باب الإجابة ؛ أية ساعة هي في يوم الجمعة . والنسائى ٩٩/٣ ، ١٠٠ في الجمعة : باب وقت الجمعة ، وإسناده جيد ، وصححه الحاكم ٢٧٩/١ ووافقه الذهبي ، وصححه أيضاً النووى ، وحسنه الحافظ ابن حجر . وهو شاهد لحديث الترمذى (تحقيق شرح السنة ٢٠٩/٤) .

(٤) رواه مسلم (٥٨٤/٢) في (١١) كتاب الجمعة - (٣٧) باب الساعة التي في يوم الجمعة (رقم ٨٥٣/١٦) (وانظر تحقيق شرح السنة ٢٠٩/٤ - ٢١٠ ، فقد ذكر أنه منقطع مضطرب ، ولذا جزم الدار قطنى بأن الموقف هو الصواب . وفي هذا نظر والله أعلم) .

(٥) انظر التخرىج في تحقيق شرح السنة ٢١١/٤ .

وعن أبى بردة قال : هى عند نزول الإمام (١) .

وربما كان الأرجح هو القول الأول ، وهو أنها الساعة الأخيرة من يوم الجمعة وقبل غروب الشمس لما مر من الحديث ، وهذا الحديث الذى رواه مالك رضى الله عنه فى الموطأ (٢) ؛ قال : عن يزيد بن عبد الله بن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبى هريرة أنه قال : خرجت إلى الطور ، فلقيت كعب الأخبار ، فجلست معه فحدثنى عن التوراة ، وحدثته عن رسول الله - ﷺ - فكان فيما حدثته أن قلت : قال رسول الله - ﷺ - : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أهبط من الجنة ، وفيه تيب عليه ، وفيه مات ، وفيه تقوم الساعة ، وما من دابة إلا وهى مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس ، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه . قال كعب : ذلك فى كل سنة يوم ، فقلت : بل فى كل جمعة ، فقرأ كعب التوراة فقال : صدق رسول الله - ﷺ - .

قال أبو هريرة : فلقيت بصرة بن أبى بصرة الغفارى فقال : من أين أقبلت ؟ فقلت : من الطور . فقال : لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت . سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : لا تعمل المطى إلا إلى ثلاثة مساجد : إلى المسجد الحرام ، وإلى مسجدى هذا ، وإلى مسجد إيلياء أو بيت المقدس ، يشك .

قال أبو هريرة : ثم لقيت عبد الله بن سلام ، فحدثته بمجلس مع كعب الأخبار ، وما حدثته به فى يوم الجمعة . فقلت : قال كعب : ذلك فى كل سنة يوم . قال : قال عبد الله بن سلام : كذب كعب ، فقلت : ثم قرأ كعب التوراة فقال : بل هى فى كل يوم جمعة . فقال عبد الله بن سلام : صدق كعب . ثم قال عبد الله بن سلام : قد علمت أية ساعة هى . قال أبو هريرة : فقلت له : أخبرنى بها ولا تضن على فقال عبد الله بن

(١) انظر التخرىج فى المصدر السابق وفى نفس الموضع ٢١١/٤ .

(٢) ص ٨٨ ، ٨٩ - وانظر تخرجه فى ص ٨٩ للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، وتحقيق شرح السنة

سلام : هى آخر ساعة فى يوم الجمعة . قال أبو هريرة . فقلت : كيف تكون آخر ساعة فى يوم الجمعة ، وقد قال رسول الله - ﷺ : لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى ... » وتلك الساعة لا يُصَلَّى فيها ؟ فقال عبد الله بن سلام : ألم يقل رسول الله - ﷺ : « من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصلى ؟ قال أبو هريرة : فقلت : بلى . قال : فهو ذلك .

★ ★ ★

٨ - وقال رسول الله - ﷺ : الْمَلَائِكَةُ يَتَعَقَّبُونَ فِيكُمْ ^(١) ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ^(٢) ، ويجمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ^(٣) ، ثم يَعْرِجُ إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم ^(٤) ، وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادي ؟ قالوا : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم ^(٥) وهم يصلون .

• رواه أحمد (٣١/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٦/٨١٠٥) .

ورواه مسلم (٤٣٩/١) في (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة - (٣٧) باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما - بسنده للصحيفة ، وذلك إحالة على حديث رواه من طريق مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة (رقم ٦٣٢/٢١٠) .

وروى البخاري في (١٣٩/١) (٩) كتاب المواقيت (١٦) باب فضل صلاة العصر - من طريق مالك عن أبي الزناد مثل رواية مسلم .

كما روى في (٨١/٤) (٥٩) كتاب بدء الخلق - (٦) باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم - نحوه عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة .

وروى حديث مالك في (١٩٥/٨ ، ١٩٦) (٩٧) كتاب التوحيد - (٣٣) باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة .

ورواه البيهقي الفراء (٢٢٧/٢) في باب فضل صلاة الفجر والعصر - بسنده للصحيفة وذلك إحالة على رواية مالك عن أبي الزناد .

وحديث مالك هذا رواه في الموطأ في (ص ١٣٢) (٩) كتاب قصر الصلاة في السفر - (٢٤) باب جامع الصلاة .

ورواه ابن حبان في صحيحه (١٧٦/٣ ، ١٧٧) في الصلاة - ذكر تعاقب الملائكة عند صلاة العصر والفجر - من طريق العباس بن عبد العظيم العنبري عن عبد الرزاق عن معمر به (رقم ١٧٢٧) .

(١) يتعاقبون فيكم : أى تأتى طائفة عقيب طائفة ، ومنه تعقيب الجيوش ، وهو

أن يذهب قوم ويأتى آخرون . وقال ابن عبد البر : وإنما يكون التعاقب بين طائفتين أو رجلين يأتى هذا مرة ويعقبه هذا .

(٢) ملائكة بالليل وملائكة بالنهار : عند أكثر العلماء أنهم الحفظة ، فسأله لهم إنما هو سؤال عما أمرهم به من حفظهم لأعمالهم وكتبهم إياها عليهم .

ويحتمل أن يكونوا غير الحفظة ، فسأله لهم إنما هو على جهة التوبيخ لمن قال : « أتجعل فيها من يفسد فيها » ، وأنه أظهر لهم ما سبق في علمه بقوله : (إني أعلم ما لا تعلمون) . وقال القرطبي : وهذه حكمة اجتماعهم في هاتين الصلاتين ^(١) .

(٣) ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر : اجتماعهم في هاتين الصلاتين لطف من الله تعالى بعباده المؤمنين ؛ إذ جعل اجتماعهم عندهم ومفارقتهم لهم في أوقات عبادتهم واجتماعهم على طاعة ربهم ، فتكون شهادتهم لهم بما شاهدوه من الخير وبأحسن الثناء وأطيب الذكر ، ولم يجعل اجتماعهم معهم في حال خلواتهم بلذاتهم وانهماكهم في شهواتهم والله الحمد ^(٢) .

وقال ابن حبان في صحيحه : فيه بيان « أن ملائكة الليل إنما تنزل والناس في صلاة العصر ، وحينئذ تصعد ملائكة النهار » ^(٣) .

(٤) فيسألهم : الحكمة في السؤال استدعاء شهادتهم لبنى آدم بالخير واستعطافهم بما يقتضى العطف عليهم ، وقيل : كان ذلك لإظهار الحكمة في خلق بنى آدم في مقابلة من قال من الملائكة : (أتجعل فيها من يفسد فيها) الآية . والمعنى : أنه قد وجد فيهم من يسبح ويقدس مثلكم بنص شهادتكم . وقال عياض : هذا السؤال على سبيل التبعيد للملائكة ، كما أمروا أن يكتبوا أعمال بنى آدم ، وهو سبحانه وتعالى أعلم من الجميع بالجميع ^(٤) .

(١) عمدة القارى ١٩٢/٤ .

(٢) إرشاد السارى ٤٩٦/١ .

(٣) الإحسان إلى تقريب صحيح ابن حبان ١٧٨/٣ .

(٤) عمدة القارى ١٩٣/٤ .

(٥) تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون : لم يراعوا الترتيب في قولهم ؛ لأن الإتيان قبل الترك ؛ لأن المقصود هو الإخبار عن صلاتهم والأعمال بخواتيمها . فناسب أن يخبروا عن آخر أعمالهم قبل أولها (١) .

(٦) يستفاد من الحديث :

- ١ - أن الصلاة أفضل العبادات ؛ لأنه وقع عليها السؤال والجواب .
- ٢ - فيه التنبيه على أن الفجر والعصر من أعظم الصلوات ، والإشارة إلى شرف هذين الوقتين . وقد ورد أن الرزق يقسم بعد صلاة الصبح ، وأن الأعمال ترفع آخر النهار ، فمن كان حينئذ في طاعة بورك في رزقه وفي عمله .
- ٣ - فيه الإشارة إلى تشريف هذه الأمة على غيرها ، ويلزم من ذلك تشريف نبينا على غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .
- ٤ - فيه الإيذان بأن الملائكة تحب هذه الأمة ليزدادوا فيهم حبا ، ويتقربون بذلك إلى الله تعالى .
- ٥ - فيه الدلالة على أن الله تعالى يتكلم مع الملائكة .
- ٦ - فيه الحث على المثابرة على صلاة العصر ؛ لأنها تأتي في وقت اشتغال الناس أو عقب راحتهم وكذلك صلاة الفجر ؛ لأنها تأتي وقت النوم والراحة (٢) .

(١) إرشاد السارى ١/٤٩٧ .

(٢) عمدة القارى ٤/١٩٤ .

٩ - وقال رسول الله - ﷺ : الملائكة تُصَلِّي (١) على أحدكم مَاذَامْ في مُصَلَّاهُ الذی صَلَّى فيه (٢) ، وتقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه (٣) ، ما لم (٤) يُحْدِثْ (٥) .

● رواه عبد الرزاق (٥٨٠/١) في باب من انتظر الصلاة عن معمر عن همام ، ولفظه : « لا يزال أحدكم في صلاة مادام ينتظرها ، ولا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما كان في المسجد ، تقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ما لم يحدث ، فقال رجل من حضرموت : وما الحدث يا أبا هريرة ؟ قال : فساء أو ضراط .

ورواه أحمد (٣٢/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقمه ٧/٨١٠٦) .

ورواه مسلم في (٤٥٩/١ - ٤٦٠) (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة - (٤٩) باب فضل صلاة الجماعة ، وانتظار الصلاة - رواه بسنده للصحيفة ، وذلك إحالة على حديث رواه من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن ابن هرمز ، عن أبي هريرة . (رقم ٦٤٩/٢٧٦) .

كما روى نحوه في حديث طويل من طريق أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة (رقم ٦٤٩/٣٧٢) .

ومن طريق شعبة عن الأعمش بمثله .

ومن طريق أيوب السخيتاني ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة (٦٤٩/٢٧٣) .

ومن طريق حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة (٦٤٩/٢٧٤) .

ومن طريق مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة (٦٤٩/٢٧٥) .

وروى البخاري في (١١٤/١ ، ١١٥) (٨) كتاب الصلاة - (٦١) باب الحدث في المسجد - عن عبد الله بن يوسف ، عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة نحوه .

وفي (١٦٠/١) (١٠) كتاب الأذان (٣٦) باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ، عن عبد الله بن مسلمة ، عن مالك بنحوه .

وفي (٨٢/٤ - ٨٣) (٥٩) كتاب بدء الخلق - (٧) باب إذا قال أحدكم : آمين - من طريق هلال بن علي ، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة .

ورواه البغوى الفراء (٣٦٩/٢) فى باب فضل القعود فى المسجد لانتظار الصلاة بسنده للصحيحة . وقال :
هذا حديث متفق على صحته .

كما روى حديث مالك عن أبى الزناد أيضاً .

وحديث مالك هذا فى الموطأ (١١٧) (٩) كتاب قصر الصلاة فى السفر - (١٨) باب انتظار الصلاة
والمشى إليها .

(١) الملائكة تصلى على أحدكم : أى تستغفر له ، فالمراد بالصلاة هنا المعنى
اللغوى وهو الدعاء وعبر « بتصلى » بدلاً من « تدعو » ليتناسب الجزاء والعمل .
والمراد بالملائكة هنا الحفظة أو السيارة ، أو أعم من ذلك وهذا هو الأرجح
فالألف واللام للاستغراق فتفيد العموم (١) .

(٢) مادام فى مصلاه الذى صلى فيه :

يحتمل أن يكون المراد بمصلاه البقعة التى صلى فيها من المسجد ، حتى لو انتقل
إلى بقعة أخرى فى المسجد لم يكن له هذا الثواب المرتب عليه ، ويؤيده ما فى رواية مسلم
وأبى داود « مادام فى مجلسه الذى صلى فيه » .

ويحتمل أن يكون المراد بمصلاه جميع المسجد الذى صلى فيه ، وهذا هو الأظهر
بدليل رواية « ما دام فى المسجد » (٢) .

وعلى كل حال فالمراد بالمصلى هو فى المسجد لا فى بقعة أخرى غير المسجد ،
يدل على ذلك رواية البخارى : « فإن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء ، وأقى المسجد
لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل

(١) عمدة القارى ١٨/٤ .

(٢) إرشاد السارى ٣١/٢ .

المسجد ، فإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت تحبسه ، وتصلى الملائكة عليه ما دام في مجلسه الذى يصلى فيه : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ما لم يؤذ بحديث فيه . وكما يقول العيني : « والأحاديث يفسر بعضها بعضا ، فعلم أن المراد بقوله في « مصلاه » هو المكان الذى يصلى فيه في المسجد ، وإن كان بحسب اللغة يطلق على المصلى الذى في غير المسجد (١) .

قال ابن حجر : « ويؤخذ من قوله (في مصلاه الذى صلى فيه) أن ذلك مقيد بمن صلى ثم انتظر صلاة أخرى ، وتقييد الصلاة الأولى بأنها مجزئة ، أما لو كان فيها نقص فإنها تجبر بالنافلة » (٢) .

ولكننا نرى أنه ليس في الحديث ما يقيده بذلك ، فيمكن أن يشمل حالة إنسان صلى ومكث مدة في المسجد . والله أعلم .

(٣) وتقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه : هو مطابق لقوله تعالى (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض) كما يقول ابن حجر . وقيل : إن السر هو أنهم يطلعون على أفعال بنى آدم وما فيها من المعصية والخلل في الطاعة ، فيقتصرون على الاستغفار لهم من ذلك ؛ لأن دفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة ، ولو فرض أن فيهم من تحفظ من المعاصي ، فإنه يعوض بما يقابلها من الثواب (٣) ، وهذا يتحقق أيضا من دعائهم : اللهم ارحمه .

والفرق بين المغفرة والرحمة : أن المغفرة ستر الذنوب ، والرحمة إفاضة الإحسان إليه (٤) .

(٤) ما لم يُحدث : بإخراج شيء من أحد السيلين ، أو فاحش من لسانه ، أو يده (٥) . كما يدل عليه رواية عبد الرزاق من قول أبى هريرة : « فساء أو ضراط » .

(١) عمدة القارى ١٧/٤ .

(٢) فتح البارى : ١٤٣/٢ .

(٣) المصدر السابق : ١٤٣/٢ .

(٤) عمدة القارى : ١٨/٤ .

(٥) إرشاد السارى : ٣١/٢ .

ولا يمنع هذا التفسير من أن يكون المراد ما هو أعم منه ، كما في الرواية السابقة : « ما لم يؤذ بحديث فيه » ولذلك - كما قال العيني . قيل المراد في الحديث أعم من ذلك ؛ أى ما لم يحدث سوءًا ، ويؤيده ما في رواية مسلم « ما لم يحدث فيه ، ما لم يؤذ فيه » ، وفي رواية للبخارى « ما لم يؤذ بِحَدِيثٍ فيه » .

وقد ذكر ابن حبيب عن إبراهيم النخعي أنه سمع عبد الله بن أبى أوفى يقول : هو حدث الإثم ^(١) .

قال بعض العلماء : الحدث في المسجد خطيئة يُحرم به المُحدث استغفار الملائكة ، ولما لم يكن للحدث فيه كفارة ترفع أذاه عوقب بحرمان الاستغفار من الملائكة ؛ لما آذاهم به من الرائحة الخبيثة ^(٢) .

(٥) ويستفاد من الحديث :

١ - قال بعض العلماء : من أراد أن تُحطَّ عنه ذنوبه من غير تعب فليغتنم ملازمة مصلاه بعد الصلاة ليستكثر من دعاء الملائكة واستغفارهم له ، فهو مرجو إجابته ؛ لقوله تعالى : (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) ^(٣) .

٢ - فيه بيان فضيلة انتظار الصلاة في المسجد .

٣ - فيه أن الحدث في المسجد يبطل فضيلة المكث فيه ، ويوقف استغفار الملائكة ودعائهم له بالرحمة .

٤ - اختلف السلف في جلوس المحدث في المسجد ، فروى عن أبى الدرداء أنه خرج من المسجد فبال ، ثم دخل فتحدث مع أصحابه ولم يمس ماء . وعن على رضى الله تعالى عنه مثله ، وروى ذلك عن عطاء والنخعي وابن جبير .

وكرو ابن المسيب والحسن البصرى أن يتعمد الجلوس في المسجد على غير وضوء ^(٤) .

(١) عمدة القارى : ١٧/٤ .

(٢) المصدر السابق : ١٨/٤ .

(٣) الأنبياء : ٢٨ .

(٤) المصدر السابق : ١٨/٤ .

١٠ - وقال رسول الله - ﷺ : إذا قال أحدكم « آمين » (١) والملائكة في السماء « آمين » (٢) فوافق إحداها الأخرى (٣) غفر له ما تقدم من (٤) ذنبه (٥) .

• روى عبد الرزاق (٩٧/٢ - ٩٨) في باب « آمين » عن معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ قال : إذا قال الإمام (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فقولوا : « آمين » ؛ فإن الملائكة تقول « آمين » ، وإن الإمام يقول (آمين) ، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه .
ثم قال : « عن معمر ، عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله - ﷺ . فذكر مثل حديث الزهري .

ورواه أحمد (٣٢/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٨/٨١٠٧) وعنده : (فوافق إحداها الأخرى) ويعلق الأستاذ أحمد شاكر على ذلك بقوله : « هو الثابت في أصول المسند ، وجامع المسانيد . وفي الصحيفة المفردة « فوافق » فعل ماض وأخشى أن يكون خطأ في قراءة نص تلك المخطوطة » .

ونقول : الأمر ليس كذلك ؛ لأن البيهقي روى هذا الحديث في السنن الكبرى (٥٥/١ ، ٥٦) بسنده عن أحمد بن يوسف السلمى (راوى الصحيفة المفردة) عن عبد الرزاق ، عن همام قال : هذا ما حدثني أبو هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ . وفيه (فوافق) بالماضي ، مما يرجح أن نص المخطوطة هو هذا .

ورواه مسلم في (٣٠٧/١) (٤) كتاب الصلاة - (١٨) باب التسميع والتحميد والتأمين - بسنده للصحيفة ، إحالة على حديث آخر (رقم ٤١٠/٧٥) .

والحديث الذى أحال عليه رواه عن عبد الله بن مسلمة القعنبي ، عن المغيرة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة (٤١٠/٧٥) .

كما روى نحوه عن يحيى بن يحيى ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة (٤١٠/٧٢) .

وعن حرملة بن يحيى عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن ابن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة (٤١٠/٧٣) .

وعن حرملة بن يحيى ، عن ابن وهب ، عن عمرو ، عن أبي يونس ، عن أبي هريرة (٤١٠/٧٤) .

وعن قتيبة بن سعيد ، عن يعقوب بن عبد الرحمن ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة (٤١٠/٧٦) .
وروى البخارى فى (١٩٠/١) (١٠) كتاب الأذان - (١١١) باب جهر الإمام بالتأمين - عن عبد الله بن يوسف ، عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة نحوه .
وفى (١١٢) باب فضل التأمين عن عبد الله بن يوسف ، عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة نحوه .
وفى (١١٣) باب جهر المأموم بالتأمين عن عبد الله بن مسلمة عن مالك عن سمى مولى أبى بكر ، عن أبى صالح عن أبى هريرة نحوه .
كما ذكره ترجمة فى (٨١/٤) (٥٩) كتاب بدء الخلق - باب (٧) .
وحديث مالك فى الموطأ (٨٧/١ - ٨٨) (٣) كتاب الصلاة (١١) باب ما جاء فى التأمين خلف الإمام (رقم ٤٥ - ٤٦) .

* * *

(١) إذا قال أحدكم آمين : هذا يدل على أن ذلك يكون عقب قراءة الفاتحة خارج الصلاة أو فيها ، إماماً أو مأموماً ، كما أفهمه إطلاقه هنا ، أو هو مخصوص بالصلاة لحديث مسلم : « إذا قال أحدكم فى صلاته » حملاً للمطلق على المقيد . لكن فى حديث أبى هريرة عند أحمد ما يدل على الإطلاق ، ولفظه : « إذا آمَنَ القارىء فأمنوا » وحينئذ فيجوز المطلق على إطلاقه ، والمقيد على تقييده . إلا أن يراد بالقارئ الإمام إذا قرأ الفاتحة ، فيبقى التخصيص على حاله (١) .

(٢) وقالت الملائكة فى السماء آمين : اختلفوا فى هؤلاء الملائكة ، فقليل هم الحفظة وقيل : الملائكة المتعاقبون ، وقيل غير هؤلاء لما هنا فى هذا الحديث « فى السماء » ، ولما روى البيهقى بلفظ : « إذا قال القارئ : (غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، وقال من خلفه « آمين » ، ووافق ذلك قول أهل السماء : « آمين » غفر له ما تقدم من ذنبه » ورواه الدارمى أيضاً فى مسنده . وقيل : هم جميع الملائكة بدليل عموم اللفظ فى بعض الروايات ؛ كرواية سعيد بن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة . والجمع المَحَلَّى (بآل) يفيد الاستغراق بأن يقولها الحاضرون من الحفظة ومن فوقهم حتى ينتهى إلى

(١) إرشاد السارى ١٠٠/٢ .

(٢) عمدة القارى ١٠٧/٥ .

الملأ الأعلى وأهل السموات . وتكون الروايات المقيدة كما هنا تبين بعض الملائكة ولا تنفى الآخرين .

(٣) فوافق إحداها الأخرى : قال ابن حبان — رحمه الله تعالى : (فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة) أن الملائكة تقول : (آمين) من غير علة من رياء وسمعة أو إعجاب بل تأمينها يكون خالصا لله ، فإذا أمن القارئ لله من غير أن يكون فيه علة من إعجاب أو رياء أو سمعة كان موافقا تأمينه في الإخلاص تأمين الملائكة غفر له حينئذ ما تقدم من ذنبه (١) .

وواضح هنا أن ابن حبان فسر الموافقة من جهة الإخلاص لله ، وعلى هذا من يكون في تأمينه علة لا يتحقق له الغفران حتى ولو كانت هناك موافقة في الوقت والقول .

واعترض (٢) عليه بهذه الرواية التي معنا « فوافق إحداها (أى « آمين ») الأخرى . ولهذا ذهب بعضهم أن المراد بالموافقة في القول والزمان ، أى وافقت كلمة تأمين أحدكم كلمة تأمين الملائكة (٣) . وقد نقل ابن حجر عن ابن المنير قوله : « الحكمة في إيثار الموافقة في القول والزمان أن يكون المأموم على يقظة للإتيان بالوظيفة في محلها ؛ لأن الملائكة لا غفلة عندهم ، فمن وافقهم كان متيقظا (٤) .

(٤) غفر له ما تقدم من ذنبه : ظاهره يعم غفران جميع الذنوب الماضية إلا ما يتعلق بحقوق الناس ، وذلك معلوم من الأدلة الخارجية المخصصة لعمومات مثله ، وأما الكبائر فإن عموم اللفظ يقتضى المغفرة ، ويستدل بالعام ما لم يظهر المخصص (٥) وتكون (من) بيانيه لا تبعيزيه (٦) .

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٢٢٠/٣ .

(٢) عمدة القارى : ١٠٧/٥ .

(٣) إرشاد السارى : ١٠٠/٢ .

(٤) فتح البارى : ٢٦٥/٢ .

(٥) عمدة القارى : ١٠٧/٥ .

(٦) إرشاد السارى : ١٠٠/٢ .

وقال ابن حجر : هو محمول عند العلماء على الصغائر ^(١) وعلى هذا (فمن) تبعية .

(٥) يستفاد من الحديث فضيلة قول (آمين) وفيه رد على الإمامية في قولهم : إن التأمين يبطل الصلاة لأنه لفظ ليس بقرآن ولا ذكر ، وقال بعض العلماء : وزعمت طائفة من المبتدعة أن لا فضيلة فيها . وهذا الحديث يرد عليهم ^(٢) . والله تعالى أعلم .

★ ★ ★

(١) فتح الباری ٢/٢٦٥ .

(٢) عمدة القاری ٥/١٠٨ .

١١ - وقال أبو هريرة : بينما رجل يسوق بدنةً مُقلَّدةً ^(١) - فقال له رسول الله - ﷺ : اركبها ^(٢) . فقال : إنها بدنة يا رسول الله .
فقال : وَيْلَكَ اركبها ^(٣) ، ويْلَكَ اركبها ^(٤) .

- رواه أحمد (٣٣/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٩/٨١٠٨) .
- ورواه مسلم في (٩٦٠/٢) (١٥) كتاب الحج - (٦٥) باب جواز ركوب البدنة المهذبة لمن احتاج إليها - رواه بسنده عن الصحيفة (١٣٢٢/٣٧٢) .
- كما روى نحوه من طريق مالك عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة (١٣٢٢/٣٧١) .
- ومن طريق المغيرة بن عبد الرحمن الحزامي ، عن أبي الزناد عن الأعرج بنحوه (رقم ١٣٢٢/٣٧٢) .
- ومن طريق هشيم ، عن حميد ، عن ثابت البناني ، عن أنس (١٣٢٣/٣٧٣) .
- وروى البخاري نحوه في (١٨٠/٢) (٢٥) كتاب الحج - (١٠٣) باب ركوب البدن - من طريق مالك السابق عند مسلم .
- ومن طريق هشام وشعبة عن قتادة عن أنس نحوه .
- وفي (١٨٣/٢ - ١٨٤) الكتاب نفسه (١١٢) باب تقليد الفعل - من طريق معمر عن يحيى بن أبي كثير ، عن عكرمة عن أبي هريرة ، رضى الله عنه نحوه . وعن علي بن المبارك عن يحيى كذلك .
- وفي (١٩١/٣) (٥٥) كتاب الوصايا - (١٢) باب هل ينتفع الواقف بوقفه - من طريق أبي عوانة عن قتادة عن أنس نحوه .
- ومن طريق مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة .
- وفي (١١٠/٧) (٧٨) كتاب الأدب - (٩٥) باب قول الرجل ويْلَكَ - عن طريق همام عن قتادة عن أنس .
- ومن طريق مالك عن أبي الزناد كما سبق .
- وحديث مالك هذا رواه في الموطأ (ص ٢٤٦) (١٩) كتاب الحج - (٤٥) باب ما يجوز من الهدى .
- ورواه البغوي (١٩٥/٧ - ١٩٦) في باب ركوب الهدى - بسنده للصحيفة . ثم قال : هذا حديث صحيح (رقم ١٩٥٥) .

ورواه البيهقي (٢٣٦/٥) في كتاب الحج - باب ركوب البدنة إذا اضطر إليه . - رواه بسنده للصحيفة (١) .

(١) بينما رجل يسوق بدنة مقلدة : البدنة هي من الإبل العظام الضخام الأجسام ، وهي من الإبل خاصة ، قال مجاهد : سميت البدنة لبذنها . وقال الجوهري : البدنة ناقة تنحر بمكة ، سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها ، والبدن : التسمين والاكتناز ، وبدن إذا ضخم ، وبدن بالتشديد إذا أسن . وقال الداودي : قيل إن البدنة تكون من البقر ، وهذا نقل عن الخليل (٢) .

ومقلدة : أى موضوع فى رقبتها قلادة ، وتقليد الهدى هو أن يعلق بعنق البعير قطعة من جلد ليعلم أنه هدى ، فيكف الناس عنه (٣) .

والمراد هنا ما يهدى إلى الحرم من الإبل ، وليس مجرد المعنى اللغوى للبدن ، وذلك بدليل بعض الروايات التى ورد فيها كلمة (هدى) بدل (بدنة) وبدليل تقييدها هنا بكونها مقلدة ، أى علق فى رقبتها ما يدل على أنها هدى (٤) .

(٢) اركبها : أمره - ﷺ بالركوب ليخالف بذلك الجاهلية فى ترك الانتفاع بالحيوانات التى يتقرب بها وذلك كالسائبة والوصيلة والحام عندهم ، وأوجب بعض العلماء الركوب لهذا المعنى عملاً بظاهر هذا الأمر ، وحمله الجمهور على الإرشاد لمصلحة دينية ، واستدلوا بأنه - ﷺ أهدى ، ولم يركب ، ولم يأمر الناس بركوب الهدايا ، وجزم به النووى (٥) .

(٣) ويلك اركبها : كلمة « ويلك » تقال لمن وقع فى الهلاك ، أو لمن يستحقه

(١) انظر تخرىج الحديث السابق (رقم ١٠) .

(٢) عمدة القارى : ١٩٠/٨ .

(٣) المصباح المنير : مادة « قلد » .

(٤) فتح البارى : ٥٧٣/٣ .

(٥) إرشاد السارى : ٢١٣/٣ .

أو هي بمعنى الهلاك أو مشقة العذاب أو الحزن ، أو وادٍ في جهنم أو بئر أو باب لها . ففي معناها كل هذه الأقوال .

ويحتمل إجراؤها هنا على معنى من هذه المعاني لأن المخاطب تأخر عن امتثاله لأمره ﷺ . قال القرطبي : « قالها تأديباً لأجل مراجعته له مع عدم خفاء الحال عليه » (١) . وبهذا جزم ابن عبد البر وابن العري ، وبالع حتى قال : الويل لمن راجع في ذلك بعد هذا . قال : ولولا أنه اشترط على ربه ما اشترط لهلك ذلك لا محالة (٢) .

وهو يشير بذلك إلى ما رواه عبد الرزاق ، عن معمر عن همام أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تُخلفه ، إنما أنا بشر ، فأى المؤمنين آذيته أو شتمته ، أو جلدته ، أو لعنته فاجعلها له صلاة وزكاة وقرية تقربه بها يوم القيامة .

قال البغوي بعد روايته : هذا حديث متفق على صحته اتفقاً على إخرجه من طرق عن أبي هريرة (٣) .

قال القرطبي : يحتمل أن يكون فهم عنه أن يترك ركوبها على عادة الجاهلية في السائبة وغيرها فزجره عن ذلك .

وقد ذهب القرطبي إلى ذلك : لأنه لا يحتمل أن الرجل ظن أنه خفى على رسول الله ﷺ كونها هدياً ، حيث كانت مقلدة مما هو واضح منه أنها هدى .

(١) إرشاد السارى : ٢١٤/٣ .

(٢) فتح البارى ٥٣٨/٣ .

(٣) شرح السنة ٨/ ٩ ، والحديث فى البخارى (١٥٧/٧) (٨) الدعوات (٣٤) باب قول النبى ﷺ : من آذيته فاجعله له زكاة ورحمة . من طريق يونس عن ابن شهاب أخبرنى سعيد بن المسبب عن أبى هريرة بنحوه . وسيأتى فى الصحيفة رقم (٨٧) إن شاء الله تعالى .

ومسلم فى (٢٠٠٨ - ٢٠٠٩) (٤٥) كتاب البر والصلة والآداب - (٢٥) باب من لعنه النبى ﷺ أو سبه أو دعا عليه من طريق سعيد بن أبى سعيد عن سالم مولى النصريين عن أبى هريرة به ، ومن طرق أخرى (من ٢٦٠٠/٨٨ - ٢٦٠٢/٩٤) .

وقد رجح ما ذهب إليه القرطبي من القول الثاني عياض وغيره ؛ قالوا : والأمر هنا وإن قلنا إنه للإرشاد لكنه استحق الذم بتوقفه عن امتثال الأمر . وعلى كل فكلمة « ويل » معناها الإنشاء ؛ أى الدعاء عليه ^(١) .

والذى يظهر أنه ما ترك الامتثال عنادا ؛ ولهذا قال بعضهم : يحتمل أن يكون ظن أنه يلزمه غرم بركوبها أو إثم ، وأن الإذن الصادر له بركوبها إنما هو للشفقة عليه فتوقف ، فلما أغلظ له بادر إلى الامتثال ، وقيل : لأنه أشرف على هلكة من الجهد ، و « ويل » كلمة تقال لمن وقع فى هلكة ، فالمعنى : أشرفت على الهلكة فأركب ، فعلى هذا هى إخبار .

وقيل : هى كلمة تدعم بها العرب كلامها ، ولا تقصد معناها ؛ كقوله : لا أم لك ^(٢) .

وعلى كل حال فقد امتثل الرجل ؛ « وللبخارى من طريق عكرمة ، عن أبى هريرة : « فلقد رأيته راكباً يساير النبى - ﷺ والنعل فى عنقها » ^(٣) .

(٤) يستفاد من الحديث :

- ١ - فى الحديث تكرير الفتوى .
- ٢ - والندب إلى المبادرة إلى امتثال الأمر .
- ٣ - وزجر من لم يبادر إلى ذلك وتوبيخه .
- ٤ - وجواز مسابقة الكبار فى السفر .
- ٥ - وأن الكبير إذا رأى مصلحة للصغير لا يأنف من إرشاده إليها ^(٤) .

(١) فتح البارى ٣/٥٣٨ .

(٢) المصدر السابق ٣/٥٣٨ .

(٣) عمدة القارى ٨/١٩٢ .

(٤) فتح البارى ٣/٥٣٨ .

٦ - يؤخذ من ظاهر الحديث جواز ركوب البدنة المهداة سواء كانت واجبة أو متطوعاً بها ؛ لأنه - ﷺ لم يفصل في قوله ولا استفصل صاحبها عن ذلك ، فدل على أن الحكم لا يختلف بذلك ، ويدعم هذا ما رواه أحمد من حديث علي - رضي الله تعالى عنه أنه سأل : هل يركب الرجل هديته ؟ فقال : لا بأس ، قد كان النبي - ﷺ يمر بالرجال يمشون فيأمرهم بركوب هديهم .

وقد اختلفوا في هذا على أقوال :

الأول : وهو ما سبق ؛ الجواز مطلقاً ، وبه قال عروة بن الزبير ، ونسبه ابن المنذر إلى أحمد وإسحاق ، وبه قالت الظاهرية .

الثاني : جواز الركوب عند الحاجة ، وتجويزه بغير الحاجة مخالفة للنص ، وهو الذي نقله الترمذي عن الشافعي حيث قال : وقد رخص قوم من أهل العلم من أصحاب النبي - ﷺ وغيرهم في ركوب البدنة إذ احتاج إلى ظهرها ، وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق ، وهذا هو المنقول عن جماعة من التابعين أنها لا تتركب إلا عند الاضطرار إلى ذلك ، وهو المنقول عن الشعبي والحسن البصري وعطاء بن أبي رباح ، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه .

الثالث : كراهة الركوب من غير حاجة ، ونقله عن الشافعي ومالك .

الرابع : يركب للضرورة فإذا استراح نزل . يدل عليه ما رواه مسلم : أركبها بالمعروف إذا لجئت إليها حتى تجد ظهراً . فإن مفهومه أنه إذا وجد غيرها تركها . وعن إبراهيم النخعي : يركبها إذا أعشى قدر ما يستريح على ظهرها .

الخامس : المنع مطلقاً .

السادس : وجوب الركوب . نقله ابن عبد البر عن بعض أهل الظاهر تمسكاً بظاهر الأمر ، ومخالفة ما كانوا عليه في الجاهلية من البحيرة والسائبة ^(١) .

★ ★ ★

١٢ - [وقال رسول الله ﷺ : إذا قاتل (١) أحدكم فليجتنب الوجه] .

● هذا الحديث ليس في مخطوطتي الصحيفة ، كما ذكر الدكتور محمد حميد الله .

ولكن من المرجح أنه ضمن أحاديثها ، فقد أخرجه بعض المصنفين بإسنادها ابتداء من عبد الرزاق كما عند أحمد والبخارى .

كما أخرجه بعضهم بإسنادها ابتداء من أبي بكر بن الحسين القطان عن أبي الحسن أحمد بن يوسف السلمى عن عبد الرزاق - كما عند البغوى .

رواه أحمد (٣٤/١٦) ضمن روايته للصحيفة (رقم ١١/٨١١٠) .

ورواه البخارى في (١٢٦/٣) (٤٩) كتاب العتق - (٢٠) باب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه . عن عبد الله بن محمد قال : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن همام عن أبي هريرة .

كما رواه من طريق ابن وهب عن مالك بن أنس قال : وأخبرني ابن فلان عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبي هريرة .

وروى مسلم (٢٠١٦/٤ - ٢٠١٧) في (٤٥) كتاب البر والصلة والآداب - (٣٢) باب النهى عن ضرب الوجه - من طريق المغيرة الحزامى ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة (رقم : ٢٦١٢/١١٢) نحوه .

ومن طريق سفيان عن أبي الزناد به . وفيه : « إذا ضرب أحدكم » .

ومن طريق أبي عوانة ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة بنحوه (٢٦١٢/١١٣) .

ومن طريق شعبة عن قتادة عن أبي أيوب عن أبي هريرة (٢٦١٢/١١٤) .

ومن طريق المثني بن سعيد عن قتادة به وفيه : « إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه ؛ فإن الله خلق آدم على صورته » .

ومن طريق همام عن قتادة عن أبي أيوب بغير هذه الزيادة (٢٦١٢/١١٦) .

ورواه البغوى (٢٦٥/١٠) في باب النهى عن أن يشير إلى أحد بالسلاح - رواه هو وحديثاً قبله بسنده لـ صحيفة همام .

(١) إذا قاتل أحدكم : قال بعض العلماء : قاتل بمعنى قتل ، فالمفاعلة ليست على ظاهرها . ويؤيده حديث مسلم من طريق الأعرج عن أبي هريرة بلفظ إذا ضرب ومثله للنسائي من طريق عجلان ، ولأبي داود من طريق أبي سلمة كلاهما عن أبي هريرة . وعند البخاري في الأدب المفرد من طريق محمد بن غيلان أخبرني سعيد عن أبي هريرة : « إذا ضرب أحدكم خادمه » (١) .

قال العيني : « لا نسلم ذلك ؛ بل باب المفاعلة على حالها لتناول ما يقع عند أهل العدل مع البغاة ، وعند دفع الصائل ، فيجتنبون عند ذلك عن الضرب على الوجه ، فإذا وجب الاجتناب في مثل هذا الموضع ، ففي باب التعزير والتأديب والحدود بطريق الأولى في الوجوب . وقد روى أبو داود وغيره في حديث أبي بكر في قصة التي زنت فأمر رسول الله - ﷺ برجمها ، وقال : « ارموا واتقوا الوجه » فإذا كان ذلك في حق من تعين إهلاكه فمن دونه أولى (٢) . ويدخل في النهي على هذا من ضرب زوجته أو ولده أو عبده ضرب تأديب .

(٢) فليجتنب الوجه : والنهي عن ضرب الوجه لأنه لطيف يجمع المحاسن ، وأعضاؤه نفيسة لطيفة وأكثر الإدراك بها ، فقد يبطلها ضرب الوجه وقد ينقصها ، وقد يشوه الوجه ، والشئ فيه فاحش ؛ لأنه بارز ظاهر لا يمكن ستره ، ومتى ضربه لا يسلم من شين (٣) غالباً .

قال ابن حجر : وهذا التعليل حسن لكن ثبت عند مسلم - كما ذكرنا - تعليل آخر ؛ فإنه أخرج الحديث المذكور من طريق أبي أيوب المراغي عن أبي هريرة وزاد : « فإن الله خلق آدم على صورته » واختلف في الضمير على من يعود ؛ فالأكثر على أنه يعود على المضروب أو المقاتل ، ولو لا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها .

(١) إرشاد الساري : ٣٢٧/٤ .

(٢) عمدة القاري : ١٤/١١ .

(٣) شرح مسلم : ٤٧١/٥ .

وقال القرطبي : أعاد بعضهم الضمير على الله متمسكاً بما ورد في بعض طرقه : « إن الله خلق آدم على صورة الرحمن » قال : وكأن من رواه أورده بالمعنى متمسكاً بما توهمه فغلط في ذلك ، وقد أنكر بعض العلماء هذه الزيادة . ثم قال : وعلى تقرير صحتها فيحمل على ما يليق بالباري سبحانه وتعالى (١) .

وقد بين النووي موقف جمهور العلماء من مثل هذه العبارات فقال : « من العلماء من يمسك عن تأويلها ، ويقول : نؤمن بأنها حق ، وأن ظاهرها غير مراد ، ولها معنى يليق بها . وهذا مذهب جمهور السلف ، وهو أحوط وأسلم » (٢) وسنعود إلى مثل هذا في بعض الأحاديث إن شاء الله تعالى .

★ ★ ★

(١) فتح الباري : ١٨٣/٥ .

(٢) شرح مسلم : ٤٧٢/٥ .

١٣ - وقال رسول الله - ﷺ : ناركم هذه ما يُوقد بنو آدم ^(١) جزء من سبعين جزءاً من حرّ جهنّم ^(٢) . فقالوا : والله إنّ كانت لكافيتنا ^(٣) يا رسول الله .

قال : فإنها فضّلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرّها ^(٤) .

• رواه عبد الرزاق (٤٢٣/١١) في كتاب الجامع - باب صفة أهل النار - عن معمر ، عن همام عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ : ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم . قالوا : والله إنّ كانت لكافية يا رسول الله . قال : فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها . (رقم ٢٠٨٩٧) .
ورواه أحمد (٣٥/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ١٢/٨١١١) .

ورواه مسلم في (٢١٨٤/٤) (٥١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - (١٢) باب في شدة حر جهنم وبعد قعرها ، وما تأخذ من المعذنين - رواه بسنده للصحيفة ، وذلك إحالة على حديث رواه قبله عن قتيبة بن سعيد ، عن المغيرة بن عبد الرحمن الحزامي ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ . (رقم ٢٨٤٣/٣٠) .
وروى البخاري في (٩٠/٤) (٥٩) كتاب بدء الخلق - (١٠) باب صفة النار ، وأنها مخلوقة نحوه من طريق مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة .

والحديث في الموطأ (ص ٦١٤) (٥٧) كتاب جهنم - (١) باب ما جاء في صفة جهنم ، ولكن هناك بعض الاختلاف بين رواية البخاري ، ورواية الموطأ .

(١) ناركم هذه ما يوقد بنو آدم : أى في جميع الدنيا ^(١) .

(٢) جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم : أى أنه لو جمع كل ما في الوجود من النار التي يوقدها الآدميون لكانت جزءاً من أجزاء جهنم المذكورة ^(٢) .

(١) إرشاد الساري : ٢٨٩/٥ .

(٢) عمدة القاري : ٣١٦/١٢ .

وفي رواية لأحمد : « من مائة جزء » ويجمع بين مثل هذا وما في روايتنا بأن المراد المبالغة في الكثرة لا العدد الخاص ، أو الحكم للزائد ^(١) .

قال حجة الإسلام الغزالي : نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ، ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها ، وهيهات ، لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها هربا مما هم فيه ^(٢) .

وروى ابن ماجه من حديث أنس مرفوعا : ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ، ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم بها ، وإنها لتدعو الله عز وجل ألا يعيدها فيها . وذكر ابن عيينة في جامعة من حديث ابن عباس : « هذه النار قد ضرب بها البحر سبع مرات ، ولولا ذلك ما انتفع بها أحد » ، وعن ابن مسعود : « ضرب بها البحر عشر مرات » . وسئل ابن عباس رضي الله عنهما أيضا عن نار الدنيا مم خلقت ؟ قال : من نار جهنم ، غير أنها أطفئت بالماء سبعين مرة ، ولولا ذلك ما قريت ؛ لأنها من نار جهنم ^(٣) ، والجمع بين هذه الرويات - إذا صحت - أن العدد لمطلق الكثرة .

(٣) إن كانت لكافيتنا : أى إن نار الدنيا كانت كافية لتعذيب الجهنميين والعصاة . ونا بمعنى نحن بنو آدم .

وإن هذه مخففة من الثقيلة عند البصريين ، واللام هى المفرقة بين إن النافية وإن المخففة من الثقيلة . وهى عند الكوفيين بمعنى ما واللام بمعنى إلا ، تقديره عندهم ما كانت إلا كافية ^(٤) .

(٤) فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها : أى ليست نار جهنم بكافيه لأن عذاب الله يتميز عن عذاب الخلق بنارهم .

(١) فتح البارى : ٣٣٤/٦ .

(٢) إرشاد السارى : ٢٨٩/٥ .

(٣) عمدة القارى : ٣١٦/١٢ .

(٤) المصدر السابق : ٣١٦/١٢ .

وهذا هو السر في تكرار المعنى ؛ قال الطيبي : فإن قلت : كيف طابق لفظ فضلت ^(١) وعليهن [كما في بعض الروايات] جوابا ، وقد علم هذا التفضيل من كلامه السابق ؟ قلت : معناه : المنع من الكفاية ، أى لا بد من التفضيل ليميز عذاب الله من عذاب الخلق ^(٢) .

ولابد من الزيادة ليميز ما يصدر من الخالق من العذاب على ما يصدر من خلقه ^(٣) .

★ ★ ★

(١) كذا بالواو ولعل النص بدونها .

(٢) عمدة القارى : ٣١٧/١٢ .

(٣) فتح البارى : ٣٣٤/٦ .

١٤ - وقال رسول الله - ﷺ : لما قضى الله الخلق ^(١) كَتَبَ كِتَاباً عنده ^(٢) فوق العرش ^(٣) : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ ^(٤) غَضَبِي ^(٥) .

● رواه أحمد (٣٥/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ١٣/٨١١٢) .

وروى البخارى فى (٧٣/٤) (٥٩) كتاب بدء الخلق - (١) باب ما جاء فى قول الله تعالى : (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده - من طريق أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة نحوه .

وفى (١٧١/٨) (٩٧) كتاب التوحيد - (١٥) باب قول الله تعالى : (ويحذرکم الله نفسه) من طريق الأعمش عن أبى صالح ، عن أبى هريرة .

وفى (١٧٦/٨) الكتاب نفسه - (٢٢) باب (وكان عرشه على الماء من طريق أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة .

وفى (١٨٧/٨ - ١٨٨) الكتاب نفسه - (٢٨) باب (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) من طريق مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة .

وفى (٢١٦/٨) الكتاب نفسه - (٥٥) باب قول الله تعالى (بل هو قرآن مجيد ...) من طريق قتادة عن أبى رافع عن أبى هريرة .

وروى مسلم فى (٢١٠٧/٤ - ٢١٠٨) (٤٩) كتاب التوبة - (٤) باب فى سعة رحمة الله تعالى ، وأنها سبقت غضبه نحوه - من طريق مغيرة بن عبد الرحمن القرشى عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة (طريق البخارى الأول) (رقم ٢٧٥١/١٤) .

ومن طريق سفيان بن عيينة عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة (رقم ٢٧٥١/١٥) .

ومن طريق الحارث بن عبد الرحمن ، عن عطاء بن ميناء ، عن أبى هريرة (رقم ٢٧٥١/١٦) .

ورواه البغوى (٣٧٥/١٤) باب الرجاء وسعة رحمة الله عز وجل - بسنده لصحيفة همام . ثم قال : هذا حديث متفق على صحته . (رقم ٤١٧٧) .

(١) لما قضى الله الخلق : أى خلقه ؛ كقوله تعالى : (فقضاهن سبع سموات) ^(١)

أى خلقهن أو أوجد جنسه ، وقال ابن عرفة : قضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه ^(١) .

(٢) كتب كتابا عنده : أى أمر القلم أن يكتب ^(٢) .

وقال الخطائى : أراد بالكتاب أحد شيئين ؛ إما القضاء الذى قضاؤه وأوجبه ؛ كقوله سبحانه وتعالى : (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى) ^(٣) أى قضى الله عز وجل . ويكون معنى قوله : « عنده » علم ذلك عنده سبحانه وتعالى ، لا ينساه ولا ينسخه ولا يبدله ؛ كقوله عز وجل : (علمها عند ربي فى كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) ^(٤) .

وإما أن يكون أراد بالكتاب اللوح المحفوظ الذى فيه ذكر الخلق وبيان أمورهم ، وذكر آجالهم وأرزاقهم والأقضية النافذة فيهم ، ومآل عواقب أمورهم .

ومعنى قوله : « عنده » على هذا - فذكر عنده فوق العرش ^(٥) ، فالعندية على كلا الفهمين ليست مكانية ، بل هى إشارة إلى كمال كونه مكنونا عن الخلق ، مرفوعا عن حيز إدراكهم ^(٦) .

وذهب إلى ذلك الخطائى وغيره ؛ لأن الله تعالى منزّه عن حيز الإدراك ، منزّه عن الحلول فى المكان ؛ لأن الحلول عَرَضُ يَفْنَى ، وهو حادث ، والحادث لا يليق به تعالى ^(٧) . وليس الكتُبُ لثلا ينساه - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، بل لأجل الملائكة الموكلين بالمكلفين ^(٨) .

(١) إرشاد السارى : ٣٥١/٥ .

(٢) المصدر السابق : ٢٥١/٥ .

(٣) المجادلة : ٢١ .

(٤) طه : ٥٢ .

(٥) شرح السنة : ٣٧٦/١٤ - ٣٧٧ .

(٦) عمدة القارى ٢٥٧/١٢ .

(٧) إرشاد السارى : ٢٥١/٥ .

(٨) المصدر السابق : ٣٨١/١٠ .

(٣) فوق العرش :

قال الخطائى : قال بعضهم : معناه دون العرش استعظماً أن يكون شئ من الخلق فوق العرش ، كما فى قوله تعالى : (بعوضة فما فوقها) ^(١) أى فما دونها ، أى أصغر منها . وقال بعضهم : إن لفظ فوق زائد كما فى قوله تعالى (فإن كن نساء فوق اثنتين) ^(٢) إذ الثنتان ترثان الثلثين .

قال العينى : فى كل منهما نظر ؛ أما الأول ففيه استعمال اللفظ فى غير موضعه ، وأما الثانى ففيه فساد المعنى ؛ لأن معناه يكون حينئذ « فهو عنده العرش ، وهذا لا يصح ، والأحسن أن يقال : معنى قوله فهو عنده فوق العرش أى علم ذلك عند الله فوق العرش لا ينسخ ولا يبدل ، أو ذكر ذلك عند الله فوق العرش ، ولا محذور من إضمار لفظ العلم .

ومع هذا فالعرش مخلوق ، ولا يستحيل أن يمسه كتاب مخلوق ، فإن الملائكة حملة العرش حاملوه على كواهلهم ، وفيه المماساة فلا محذور أن يكون كتابه فوق العرش ^(٣) . وما ذكره الخطائى فى تفسير العنودية ، وما نقله عن بعضهم ، وما رد به عليهم العينى إنما يمثل اتجاهاً فى فهم مشكل الحديث ، ولكن الاتجاه الذى عليه جمهور السلف هو - كما قال البغوى : « الأولى فيه بالمرء وفى أمثالها إمرارها على ظاهرها كما جاء من غير أن يتصرف فيها » ^(٤) .

(٤) إن رحمتى سبقت غضبى : المراد من الغضب معناه الغائى وهو لازمه ، وهو إرادة الانتقام ممن يقع عليه الغضب ... ، وسبق رحمة الله عز وجل لغضبه باعتبار التعلق ، أى تعلق الرحمة سابق غالب على تعلق الغضب ؛ لأن الرحمة مقتضى ذاته المقدسة ، وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد حادث ^(٥) .

(١) البقرة : ٢٦ .

(٢) النساء : ١١ .

(٣) عمدة القارى : ٢٥٧/١٢ .

(٤) شرح السنة : ٣٧٧/١٤ .

(٥) عمدة القارى : ٢٥٧/١٢ ، ٢٥٨ .

وقال القسطلاني مبيناً هذا المعنى بعبارات أوضح : « المراد بالغضب لازمه ، وهو إيصال العذاب إلى من يقع عليه الغضب ؛ لأن السبق والغلبة باعتبار التعلق ؛ أى تعلق الرحمة سابق على تعلق الغضب ؛ لأن الرحمة مقتضى ذاته المقدسة ، وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث (١) .

وقيل الرحمة والغضب من صفات الفعل لا من صفات الذات ، فلا مانع من تقدم بعض الأفعال على بعض (٢) ؛ فالرحمة هي الثواب والإحسان . والغضب هو الانتقام والعقاب أى إن رحمته أكثر من غضبه (٣) .

وبالتفسير الأول أو الثانى يندفع إشكالان .

الإشكال الأول : هو أنه ليس من صفات الذات ما يسبق بعضه على بعض لأن السبق هذا من صفات الحادث ، والله عز وجل منزّه عن الحدوث .

الإشكال الثانى : وقوع العذاب قبل الرحمة فى بعض المواضع ، كمن يدخل النار من الموحدين ، ثم يخرج بالشفاعة أو غيرها (٤) .

والأولى بنا هنا كذلك أن تُمرَّ هذه العبارات ونحوها كما جاءت ، مؤمنين بها تاركين معناها إلى الله عز وجل ، وأن صفاته تعالى ليست كصفات المخلوقين تعالى الله علواً كبيراً وتقديساً عن العيوب والآفات ، سبحانه جل شأنه .

(٥) قال الطيبي : فى سبق الرحمة إشارة إلى أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب ، وأنها تنالهم من غير استحقاق ، وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق ؛ فالرحمة تشمل الشخص جنيئاً ، ورضيعاً ، وفطيماً وناشئاً قبل أن يصدر منه شيء من الطاعة ، ولا يلحقه الغضب إلا بعد أن يصدر عنه من الذنوب ما يستحق معه ذلك (٥) .

(١) إرشاد السارى : ٣٨١/١٠ .

(٢) عمدة القارى : ٢٥٨/١٢ .

(٣) إرشاد السارى : ٢٥١/٥ .

(٤) عمدة القارى : ٢٥٨/١٢ .

(٥) فتح البارى : ٢٩٢/٦ - عمدة القارى : ٢٥٨/١٢ . إرشاد السارى : ٢٥١/٥ نسبه إلى

التوريشى .

١٥ - وقال رسول الله - ﷺ : لو تعلمون ما أعلم ^(١) لبكيتم كثيراً ولضحكتكم قليلاً .

• رواه أحمد (٣٤/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام . رقم (١٠/٨١٠٩) .

وروى البخارى فى (١٨٦/٧) (٨١) كتاب الرقاق - (٢٧) باب قول النبى - ﷺ : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً - من طريق الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أنى هريرة .

وعن سليمان بن حرب عن شعبة ، عن موسى بن أنس ، عن أنس نحوه .

وفى (٢١٨/٧ - ٢١٩) (٨٣) كتاب الأيمان والنذور - (٣) باب كيف كانت يمين رسول الله - ﷺ من طريق عبدة (بن سليمان) عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة .

ومن طريق هشام بن يوسف ، عن معمر عن همام عن أنى هريرة .

وروى مسلم فى (١٨٣٢/٤) (٤٣) كتاب الفضائل - (٣٧) باب توقيه ﷺ - من طريق النضر بن شميل ، عن شعبة ، عن موسى بن أنس عن أنس فى حديث طويل رقم (٢٣٥٩/١٣٤) .

وفى (٦١٨/٢) (١٠) كتاب الكسوف - (١) باب صلاة الكسوف من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فى حديث طويل كذلك (رقم ٩٠١/١) .

ورواه البغوى الفراء فى (٣٦٨/١٤) بسنده للصحيفة فى باب الخوف من الله عز وجل ، ثم قال : هذا حديث صحيح . (رقم ٤١٧٠) .

(١) لو تعلمون ما أعلم : أى لو تعلمون ما أعلم من أمور الآخرة ، وشدة أهوالها وما أعد فى النار لمن دخلها ، وما فى الجنة من الثواب ، وما يتعلق بعظمة الله تعالى وانتقامه ممن يعصيه والأهوال التى تقع عند النزاع والموت وفى القبر ^(١) .

وهذا دلالة على اختصاصه - ﷺ بمعارف بصرية وقلبية وقد يطلع الله عليها

غيره من المخلصين من أمته ، لكن بطريق الإجمال ، وأما تفاصيلها فاخص بها النبي - ﷺ ، فقد جمع الله تعالى له بين علم اليقين وعين اليقين ، مع الخشية القلبية ، واستحضار العظمة الإلهية على وجه لم يجتمع لغيره ، ويشير إلى ذلك قوله - ﷺ في الحديث : « إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا » (١) .

قال القسطلاني : قال الشيخ أبو حامد : هذا الحديث من الأسرار التي أودعها الله قلب الأمين الصادق محمد - ﷺ ، ولا يجوز إفشاء سرها ؛ فإن صدور الأحرار قبور الأسرار (٢) .

(٢) لبيكم كثيرا ولضحكم قليلا :

قال - ﷺ لهم ذلك تخويفا ، وخروجاً لهم من الغفلة وشحذاً لقلوبهم كي يظلوا دائما في يقظة وتوبة وذنوبهم .

قال الغزالي : كان يذكر لهم ذلك حتى يبكون ولا يضحكون ؛ فإن البكاء ثمرة شجرة حياة القلب الحي بذكر الله واستشعار عظمتة وهيبته وجلاله ، والضحك نتيجة القلب الغافل عن ذلك (٣) .

وقد جاء لهذا الحديث سبب أخرجه سنيد في تفسيره بسبب وإٍ والطبراني عن ابن عمر : « خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فإذا يقوم يتحدثون ويضحكون ، فقال : والذي نفسي بيده ... » فذكر هذا الحديث .

وعن الحسن البصري : « من علم أن الموت مورده ، والقيامه موعده ، والوقوف بين يدي الله تعالى مشهده فحقه أن يطول في الدنيا حزنه » (٤) .

(١) المصدر السابق : ٥٢٧/١١ - ٥٢٨ .

(٢) إرشاد الساري : ٢٧٨/٩ .

(٣) المصدر السابق : ٢٧٨/٩ ، ٢٧٩ .

(٤) فتح الباري : ٣١٩/١١ ، ٣٢٠ .

قال الكرمانى : فى هذا الحديث من صناعة البديع مقابلة الضحك بالبكاء ،
والقلة بالكثرة ومطابقة كل منهما (١) .

(١) المصدر السابق : ٣٢٠/١١ وانظر إرشاد السارى : ٢٧٩/٩ وعزى مثله إلى صاحب الكواكب .

١٦ - وقال رسول الله - ﷺ : الصيامُ جُنَّةٌ ^(١) ، فإذا كان أحدكم يوماً صائماً فلا يَجْهَل ^(٢) ، ولا يَرْفُث ^(٣) ؛ فإن امرؤ قاتله أو شتمه ^(٤) فليقل : إني صائم ، إني صائم ^(٥) .

• رواه عبد الرزاق في المصنف (١٩١/٤) في باب الرفث واللمس وهو صائم - عن معمر ، عن همام أنه سمع أبا هريرة به . وليس فيه : « أو شتمه ، ولم تكرر فيه : « إني صائم » (رقم ٨٤٤٣) .
ورواه أحمد (٣٦/١٦) ضمن روايته للصحيحة . (رقم ١٤/١٨١٣) .
وروى البخاري مع ما بعده (رقم ١٧) بسند واحد (٢٢٦/٢) في (٣٠) كتاب الصوم - (٣) باب فضل الصوم - من طريق مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة نحوه .
وروى مسلم نحوه (٨٠٦/٢ - ٨٠٧) في (١٣) كتاب الصيام - (٢٩) باب حفظ اللسان للصائم و (٣٠) باب فضل الصيام - في أحاديث من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة .
وعن ابن جريج ، عن عطاء ، عن أبي صالح الزيات عن أبي هريرة (أرقام : ١٦٠ - ١٦٣ / ١١٥١) .
ورواه البغوي الفراء (٢٢٥/٦ ، ٢٢٦) بسنده للصحيحة وذلك إحالة على حديث آخر رواه بسنده عن أبي مصعب ، عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، وهما حديثان بسند واحد ، وهما حديثان كذلك في الصحيفة هنا ، هذا ، والآتي (رقم ١٧) ، ونورده ليتمكن المقارنة بينهما : « الصيام جنة ، فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل ، فإن امرؤ قاتله أو شتمه فليقل : إني صائم ، إني صائم . وقال : والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ؛ إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه من أجل ، فالصيام لي ، وأنا أجزى به ، كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي ، وأنا أجزى به » .
ثم قال : هذا حديث متفق على صحته . (رقم ١٧١٢) .
والحديثان في الموطأ (٣١٠/١) (١٨) كتاب الصيام - (٢٢) باب جامع الصيام كلاهما عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة .

(١) الصيام جنة : أي وقاية وسترة ؛ قيل من المعاصي ؛ لأنه يكسر الشهوة ويضعفها ، وقيل من النار ؛ لأنه إمساك عن الشهوات ، والنار محفوفة بالشهوات . وعند الترمذي وسعيد بن منصور : « جنة من النار » ، ولأحمد من حديث أبي عبيدة بن الجراح : « الصيام جنة ما لم يخرقها » ، وزاد الدارمي « بالغيبة » .

ولا مانع من إرادة الأمرين ، وتحقق كل منهما يلزم منه تحقق الآخر ؛ لأنه إذا كف نفسه عن المعاصي في الدنيا كان ستر له من النار ^(١) .

وأشار ابن عبد البر إلى ترجيح الصيام على غيره من العبادات فقال : حسبك بكون الصيام جنة من النار فضلا ، والمشهور عند الجمهور ترجيح الصلاة ^(٢) .

(٢) فإذا كان أحدكم يوما صائما فلا يجهل : أى لا يفعل شيئا من أفعال أهل الجهل كالصياح والسفه ونحو ذلك .

قال القرطبي : لا يفهم من هذا أن غير يوم الصوم يباح فيه ما ذكر ، وإنما المراد أن المنع من ذلك يتأكد بالصوم ^(٣) .

(٣) ولا يرفث : يرفث : بالضم والكسر ، ويجوز في ماضيه التثنية ، والمراد بالرفث هنا الكلام الفاحش ، وهو يطلق على هذا وعلى الجماع وعلى مقدماته ، وعلى ذكره مع النساء أو مطلقا ، ويحتمل أن يكون النهى عما هو أعم منها ^(٤) .

(٤) فإن امرؤ قاتله أو شاتمه : قال القاضى عياض : أى دافعه ونازعه ويكون بمعنى شاتمه ولاعنه ، وقد جاء القتل بمعنى اللعن ، وفي رواية أبى صالح عن أبى هريرة : « فإن سابه أحد أو قاتله » ولسعيد بن منصور من طريق سهيل : « فإن سابه أحد أو ماراه - يعنى جادله ^(٥) .

والمفاعلة هنا ليست على ظاهرها ، وليس المراد منها المشاركة فقط ، وهو مأمور بأن يكف نفسه عن ذلك ، ولا يشارك . أو يكون المراد بالمفاعلة التهيؤ لها ، يعنى إن تهيأ

(١) إرشاد السارى : ٣٤٦/٣ .

(٢) فتح البارى : ١٠٤/٤ .

(٣) المصدر السابق : ١٠٤/٤ .

(٤) عمدة القارى : ٨/٩ .

(٥) إرشاد السارى : ٣٤٦/٣ .

أحد لمقاتلته أو مشاتمته ^(١) . وقد تقع المفاعلة بفعل واحد ؛ كما يقول لواحد : عاج الأمر وعافاه الله ^(٢) .

(٥) فليقل : إني صائم ، إني صائم : أى لا يعامله بمثل عمله ، بل يقتصر على ذلك قولاً ، أو تذكيراً لنفسه ، أو عملاً بهما معاً .

قال العيني : قال شيخنا زين الدين : اختلف العلماء في هذا على ثلاثة أقوال : أحدها : أن يقول ذلك بلسانه : إني صائم حتى يعلم من يجهل أنه معتصم بالصيام عن اللغو والرفث والجهل .

والثاني : أن يقول ذلك لنفسه : أى وإذا كنت صائماً فلا ينبغي أن أخذش صومى بالجهل ونحوه ، فيزجر نفسه بذلك .

والثالث : التفرقة بين صيام الفرض والنفل ، فيقول ذلك بلسانه في الفرض ويقوله لنفسه في التطوع ^(٣) .

وقال الكرمانى : قوله فليقل : أى كلاماً لسانياً ليسمعه الشاتم والمقاتل فينزجر غالباً ، أو كلاماً نفسانياً ، أى يحدث به نفسه ليمنعها من مشاتمته ، وعند الشافعى يجب الحمل على كلا المعنيين ^(٤) .

وقال البغوى : « فليقل : إني صائم » ، يتناول وجهين :

أحدهما : يقول ذلك لصاحبه نطقاً ، يرده بذلك عن نفسه .

والآخر : أن يقول ذلك في نفسه ، أى ليتفكر أنه صائم ، فلا يخوض معه ، ولا يكافئه على شتمه ؛ لئلا يحبط أجر عمله وثواب صومه ^(٥) .

(١) إرشاد السارى : ٣٤٦/٣ .

(٢) فتح البارى : ١٠٥/٤ .

(٣) عمدة القارى : ٨/٩ .

(٤) المصدر السابق : ٨/٩ .

(٥) شرح السنة ٢٢٦/٦ .

ويكرر قوله « إني صائم » ليتأكد المنع سواء منع المعتدى أو منعه هو ؛ فكأنه يقول لخصمه : إني صائم تحذيرا وتهديداً بالوعيد الموجه على من انتهك حرمة الصائم وتذرعاً إلى تنقيص أجره بإيقاعه بالمشاقمة ، أو يذكر نفسه شديد المنع المعلن بالصوم ، ويكون من إطلاق القول على الكلام النفسى .

وظاهر كون الصيام جنة أن يقى صاحبه من أن يؤذى أو يؤذى (١) .

★ ★ ★

(١) إرشاد السارى : ٣/٣٤٦ .

١٧ - وقال رسول الله - ﷺ : والذي نفسى بيده لَخُلُوفٌ فِيمَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ ، يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ جَرَّائِ ؛ فَالصَّيَامُ لِي ، وَأَنَا أَجْزَى بِهِ .

• رواه عبد الرزاق في المصنف (٣٠٦/٤) في باب الصيام عن معمر بن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة به (رقم ٧٨٩٢) .

ورواه أحمد (٣٧/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ١٥/٨١١٤) .

وروى البخارى نحوه في الموضع السابق الذى ذكرناه في الحديث السابق .

وكذلك مسلم مع الأحاديث السابقة في البابين المذكورين ، مع إضافة رقم (١١٥١/١٦١) .

ورواه بغوى الفراء في الموضع السابق ، مع الحديث السابق ، وقد نقلنا روايته ، وهى بسنده عن الصحيفة . وسبقت الإشارة إلى رواية الموطأ كذلك .

(١) **والذى نفسى بيده : أى والله الذى نفسى بيده يصرفها كيف شاء .**
والقسم للتأكيد .

(٢) **لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك :**

الْخُلُوفُ : تغير طعم الفم وريحه لتأخر الطعام ، يقال : منه خلف فمه يخلف خلوفاً ، ومنه حديث عليّ حين سئل عن القبلة للصائم قال : وما أربك في خلوف فمها ، ويقال : نومة الضحى مخلفة للفم ؛ أى مغيرة ^(١) .

وقيل معنى كون الخلوف أطيب عند الله من ريح المسك الثناء على الصائم ، والرضا بفعله ؛ لئلا يمنعه من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف ؛ كأنه قال : إن خلوف فم الصائم أبلغ في القبول عند الله من ريح المسك عندكم ^(٢) .

(١) شرح السنة : ٢٢٢/٦ .

(٢) المصدر السابق : ٢٢٢/٦ - ٢٢٣ .

وقيل : هو مجاز ؛ لأنه جرت العادة بتقريب الروائح الطيبة منا فاستعير ذلك للصوم لتقريبه من الله تعالى ، فالمعنى : أنه أطيب عند الله من ريح المسك عندكم ؛ أى يقرب إليه أكثر من تقريب المسك إليكم .

وقيل المراد أن ذلك فى حق الملائكة ، وأنهم يستطيعون ريح الخلوف أكثر مما تستطيعون ريح المسك .

وقيل المراد : أن الله تعالى يجزيه فى الآخرة فتكون نكهته أطيب من ريح المسك ، كما يأتى المكلوم وريح جرحه تفوح مسكاً .

وقيل المراد : أن صاحبه ينال من الثواب ما هو أفضل من ريح المسك لا سيما بالإضافة إلى الخلوف (١) .

وقد اختلف الشيخ تقي الدين بن الصلاح ، والشيخ عز الدين بن عبد السلام فى طيب رائحة الخلوف : هل هى فى الدنيا أو فى الآخرة ؟ فذهب ابن عبد السلام إلى أن ذلك فى الآخرة ؛ كما فى دم الشهيد ، واستدل بما رواه مسلم وأحمد والنسائى من طريق عطاء ، عن أبى صالح : « أطيب عند الله يوم القيامة » ، وذهب ابن الصلاح إلى أن ذلك فى الدنيا ، واستدل بما رواه ابن حبان : « فم الصائم حين يخلف من الطعام » وبما رواه الحسن ابن شعبان فى مسنده ، والبيهقى فى الشعب من حديث جابر فى فضل هذه الأمة : « فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك » وقال المنذرى : إسناده مقارب (٢) .

وهذه التفسيرات والاختلافات مؤسسة على ألا يكون اللفظ على ظاهره ، إذا يستحيل على الله تعالى استطابة الروائح الطيبة ، واستقذار الروائح الكريهة ، فالله عز وجل منزّه عن ذلك ؛ إذ هى من صفات الحيوان (٣) .

(١) فتح البارى : ١٠٥/٤ - ١٠٦ .

(٢) عمدة القارى : ٩/٩ .

(٣) إرشاد السارى : ٣٤٦/٣ .

ولكننا نقول ينبغي أن نُمرَّ مثل هذا - كما جاء - إذ هو من صفات الخالق جل وعلا ، دون تأويل أو تشبيه أو تعطيل ، ونكل أمر معناها إلى الله عز وجل ، ونؤمن بأنها على معنى يليق بالبارى جل وعلا .

(٣) يذر شهوته وطعامه وشرابه من جرّأى : أى قال الله تعالى فى الحديث القدسى : يدع شهواته الجنسية وغيرها ، وطعامه وشرابه من أجل .

فهذا الجزء من الحديث من باب الحديث القدسى ؛ قال الكرمانى : فإن قلت : فهذا قول الله تعالى وكلامه فما الفرق بينه وبين القرآن ؟ قلت : القرآن لفظه معجز ومنزل بواسطة جبريل عليه السلام ، وهذا غير معجز ، وبدون الوساطة ، ومثله يسمى بالحديث القدسى والإلهى والربانى ، فإن قلت : الأحاديث كلها كذلك (أى من الوحي) وكيف ، وهو ما ينطق عن الهوى ؟ قلت : الفرق بأن القدسى مضاف إلى الله تعالى ومروى عنه بخلاف غيره .

ومعنى القدسى : المنسوب إلى القدوس ؛ أى المنزه سبحانه وتعالى فى ذاته وصفاته الجلالية والجمالية ^(١) .

(٤) فالصيام لى ، وأنا أجزى به : الفاء للسببية أى بسبب أنه لى يترك طعامه وشرابه وشهواته .

وقيل إن هذا بيان لكثرة ثوابه ؛ أى أنا أجازه لا غيرى ، بخلاف سائر العبادات فإن جزاءها قد يفوض إلى الملائكة ؛ قال أبو عبيد : قد علمنا أن أعمال البر كلها له - سبحانه وتعالى - وهو يجزى بها ، فنرى - والله أعلم - أنه إنما خص الصوم بأن يكون هو الذى يتولى جزاءه ؛ لأن الصوم ليس يظهر من ابن آدم بلسان ولا فعل ، فيكتبه الحفظة ، إنما هو نية فى القلب ، وإمساك عن المطعم والمشرب ، فيقول : أنا أتولى جزاءه على ما أحب من التضعيف لا على كتاب له ^(٢) .

(١) عمدة القارى : ٩/٩ ، ١٠ .

(٢) شرح السنة : ٢٢٤/٦ .

وقيل معناه : إن الصوم عبادة خالصة لا يستولى عليه الرياء والسمعة ليس كسائر الأعمال التي يطلع عليها الخلق ، فلا يؤمن معها الشرك ، كما جاء : « نية المؤمن خير من عمله » ^(١) ؛ لأن النية محلها القلب فلا يطلع عليها غير الله ؛ تقديره : أن نية المؤمن مفردة عن العمل خير من عمل خالٍ عن النية ، كما قال الله - سبحانه وتعالى : (ليلة القدر خير من ألف شهر) أى ليس فيها ليلة القدر ^(٢) .

قال القرطبي : لما كانت الأعمال يدخلها الرياء ، والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله فأضافه إلى نفسه سبحانه وتعالى . ولهذا قال في الحديث « يدع شهوته من أجل » . وقال ابن الجوزي : جميع العبادات تظهر بفعلها ، وقل أن يسلم ما يظهر من شوب بخلاف الصوم ^(٣) .

وسئل سفيان بن عيينة عن قوله تعالى : (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى) فقال : إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عز وجل عبده ، ويؤدى ما عليه من المظالم من سائر عمله ، حتى لا يبقى إلا الصوم فيتحمل ما بقى عليه من المظالم ، ويدخله بالصوم الجنة ^(٤) . ويحكى عن سفيان أيضا فى قوله : « الصوم لى » قال : لأن الصوم هو الصبر ؛ يصبر الإنسان عن المطعم والمشرب والنكاح ، وثواب الصبر ليس له حساب . ثم قرأ : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ^(٥)) (^(٦)) .

★ ★ ★

-
- (١) أخرجه الخطيب فى تاريخه (٢٣٧/٩) من حديث سهل بن سعد ، وإسناده ضعيف ، وله شاهد من حديث أنس عند البيهقى فى « الشعب » وضعفه وآخر من حديث أبى موسى الأشعرى عند الديلمى وإسناده ضعيف ، وثالث عن النواس بن سمعان عند العسكرى فى الأمثال ، وقد قواه السخاوى فى المقاصد الحسنة بهذه الشواهد (تحقيق شرح السنة ٢٢٤/٦ ، ٢٢٥ .
- (٢) المصدر السابق : ٢٢٤/٦ ، ٢٢٥ .
- (٣) فتح البارى : ١٠٧/٤ .
- (٤) شرح السنة : ٢٢٥/٦ .
- (٥) الزمر : ١٠ .
- (٦) شرح السنة : ٢٢٥/٦ .

١٨ - وقال رسول الله - ﷺ : نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة ،
فلدغته غملة ، فَأَمَرَ بِجَهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا ، فَأَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ فِي النَّارِ
فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : فَهَلَا غَمْلَةً وَاحِدَةً .

● رواه أحمد (٣٩/١٦ - ٤٠) ضمن روايته للصحيفة . (رقم ١٦/٨١١٥) .

وروى البخارى (٢٢/٤) فى (٥٦) كتاب الجهاد والسير - (١٥٣) باب حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا
الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب وأبى سلمة أن أبى هريرة - رضى الله عنه قال : سمعت رسول
الله - ﷺ - يقول : قرصت غملة نبيا من الأنبياء ، فأمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله إليه أن قرصتك غملة أحرقت
أمة من الأمم تسبح الله .

وقد أوردنا هذه الرواية للحاجة إليها فى بيان معنى الحديث .

وفى (١٠٠/٤) (٥٩) كتاب بدء الخلق - (١٦) باب إذا وقع الذباب فى شراب أحلكم - عن إسماعيل بن
أبى أويس ، عن مالك عن أبى الزناد ، عن الأعرج عن أبى هريرة نحوه .

ورواه مسلم (١٧٥٩/٤) فى (٣٩) كتاب السلام - (٣٩) باب النهى عن قتل النمل رواه بسنده لأحاديث
الصحيفة (٢٢٤١/١٥٠) .

كما روى نحوه من طريق المغيرة بن عبد الرحمن الحزامى ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج عن أبى هريرة
(٢٢٤١/١٤٩) .

ومن طريق ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب وأبى سلمة عن أبى هريرة (٢٢٤١/١٤٨) .

ورواه البغوى الفراء (١٩٧/١٢ ، ١٩٨) فى باب قتل الغملة بسنده للصحيفة وفيه « فأمر بجهازها فأخرج من
تحتها » ثم قال : هذا حديث متفق على صحته . (رقم ٣٢٦٨) .

(١) فَأَمَرَ بِجَهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا : أى أمر بإخراج متاع النمل من تحت
الشجرة ، والمراد إخراج النمل من بيته .

(٢) فأمر بها فأحرقت في النار : استدل به على جواز حرق الحيوان المؤذى ؛ لأن شرع من قبلنا شرع لنا إذا لم يأت في شرعنا ما يرفعه (١) .

(٣) فهلا غملة واحدة : أى فهلا أحرقت غملة واحدة ، وهى التى آذتك بخلاف غيرها فلم يصدر منها جناية ؛ ولأنها أمة من الأمم تسبح الله جل وعز ، كما جاء فى رواية أخرى عند البخارى . ذكرناها .

وهذا الحديث محمول على أنه كان جائزاً فى شرع ذلك النبى قتل الغمل ، وجواز التعذيب بالنار ؛ فإنه لم يقع عليه العتب فى أصل القتل ولا فى الإحراق ، بل فى الزيادة على الغملة الواحدة .

وأما فى شرعنا فلا يجوز إحراق الحيوان بالنار إلا فى القصاص بشرطه ، وكذا لا يجوز عندنا قتل الغمل ؛ لحديث ابن عباس : « أن النبى - ﷺ - نهى عن قتل أربع من الدواب : الغملة والنحلة والهدهد والصرذ » (٢) .

ولكن بعض الغمل المؤذى يجوز قتله ؛ قال الإمام البغوى : « أما الغمل فما لا ضرر فيه منها وهى الطوال الأرجل ، فلا يجوز قتلها ؛ فأما الصغار المؤذية فدفع عاديتها بالقتل جائز » (٣) .

ولهذا قال الإمام القرطبى : « ظاهر هذا الحديث أن هذا النبى إنما عاتبه الله حيث انتقم لنفسه بإهلاك جمع آذاه منه واحد ، وكان الأولى به الصبر والصفح ، وكأنه وقع له أن هذا النوع مؤذ لبنى آدم ، وحرمة بنى آدم أعظم من حرمة الحيوان ، فلو انفرد هذا النظر ، ولم ينضم إليه التشفى لم يعاتب . قال : والذى يؤيد هذا التمسك بأصل عصمة الأنبياء ، وأنهم أعلم بالله وبأحكامه من غيرهم ، وأشدهم له خشية » (٤) .

(١) إرشاد السارى : ١٥٠/٥ .

(٢) شرح مسلم للنووى : ٩٧/٥ ، ٩٨ . والحديث رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخارى ومسلم .

(٣) شرح السنة : ١٩٨/١٢ .

(٤) فتح البارى : ٣٥٩/٦ .

وعلى هذا فقد اجتهد هذا النبي اجتهداً صحيحاً ، وتصرف بما يليق مع عصمته وخشيته لله عز وجل ، ولم يتصرف تصرفاً يتنافى مع حكمته أو مثاليته ، فكرامة الإنسان أولى من كرامة هذه الحشرة المؤذية عند هذا النبي ؛ بل وفي عندنا أيضاً ^(١) . وإذا كان الله عز وجل قد عاتبه فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ^(٢) .

وقد روى أن لهذه القصة سبباً ، وهو أن هذا النبي مر على قرية أهلكتها الله بذنوب أهلها فوقف متعجباً فقال : يا رب كان فيهم صبيان ودواب ومن لم يقترب ذنباً ، ثم نزل تحت شجرة ، فجرت له هذه القصة ، فنبهه الله تعالى على أن الجنس المؤذى يقتل وإن لم يؤذ ، وتقتل أولاده ، وإن لم تبلغ الأذى والحاصل أنه لم يعاتبه إنكاراً لما فعل ، بل جواباً له ، وإيضاحاً لحكمة شمول الإهلاك لجميع أهل تلك القرية ، فضرب له المثل بذلك ؛ أى إذا اختلط من يستحق الإهلاك بغيره ، وتعين إهلاك الجميع طريقاً إلى إهلاك المستحق جاز إهلاك الجميع ^(٣) .

ولهذا نظائر كَثُرَتْ الكفار بالمسلمين وغير ذلك والله سبحانه أعلم ^(٣) .
ويمكن أن يكون الأمر على هذا وذاك .

ولكن بعض التَّكْرَّات أنكر هذا الحديث بدعوى أنه يتنافى مع مثالية النبي ، وكونه قدوة لقومه في حسن التصرف ^(٤) .

نقول : لقد عرفنا في شرح العلماء للحديث أن هذا من باب شفقة النبي ﷺ وعلى نبينا - وأنه اجتهد في أن يجنبهم شر هذه الحشرة المؤذية ، أو تعليم من الله - عز وجل - كما روى في سبب هذا الحديث ، وهو في هذا لم يتعد شيئاً جائزاً حتى في شريعتنا .

(١) إرشاد السارى : ١٥١/٥ .

(٢) المصدر السابق : ١٥١/٥ ، ٣١٥ - فتح البارى : ٣٥٨/٦ .

(٣) فتح البارى : ٣٥٨/٦ .

(٤) الأضواء القرآنية : ٣٢٨/٢ .

صحيح أنه قد يكون تصرفه تم على غير الأولى ، ولذلك عاتبه ربه العادل الرحيم بخلقه حتى بهذا التمل ، وهذا هو مغزى الحديث أن يُعَلِّمَ النبي ﷺ - الأمة الإسلامية أن الله رحيم بعباده وأن الأنبياء يتصرفون تصرفاً مثالياً ، فإذا حادوا عن ذلك عاتبهم ربهم وأدبهم ، وإن كانوا على صواب فيما فعلوا .

ولقد تصرف نبينا - صلوات الله وسلامه عليه على غير الأولى ، كما في قصة أسرى بدر ، وعاتبه ربه ، ولكنه لم ينقض ما فعل ؛ لأنه اجتهد في دائرة أنه معصوم وهو بشر ، فإذا ذهب إلى غير الأولى - وإن كان صحيحاً - رده الوحي إلى الأولى ، لنذكر أن ما عدا هذه الأمور القليلة كان تصرف الأنبياء - ليس فقط صواباً - وإنما هو الأولى والأقوم .

والحق أن هذا النكرة لا ينكر مثل هذا الحديث لهذه الشبهة التي يفرضها جهله ، وإنما لسبب أساسي آخر ، وهو ما أفصح عنه أخيراً في نقد هذا الحديث ، وهو أنه يؤمن بأن الرسول ﷺ لا يعرف شيئاً غير ما في القرآن ، وأنه ﷺ لا يستطيع أن يخبر عن أحوال الأنبياء والرسل غير ما جاء به القرآن الكريم ؛ يقول : « ومن ناحية أخرى فإن قبول أنباء الرسل وأخبارهم من غير طريق القرآن بفتح أبواب القبول لما يسمى وحياً غير قرآنيا (كذا لجهله بقواعد اللغة) نزل به جبريل على رسول الله ، ومن هنا يأتي التسليم بوصول وحيين إلى النبي ﷺ ؛ وحى كتبه ، وتركه مسجلاً وهو القرآن ، ووحى آخر تركه بغير كتابة ولا تسجيل ، يتعرض للزيادة والنقصان وإذا فمن أى المصادر غير القرآن تكون هذه الأخبار قد جاءت بقصة هذا النبي أو غيره إلى رسول الله ﷺ ، ما دامت لم تأت قرآناً ضمن ما جاءه من قصص وأخبار الأمم والأنبياء ، وعلى الأخص مثل ما جاءه عن نملة سليمان ، ولكن الحق الذى ينبغي الإيمان به بعد ما قال الله : (ما فرطنا فى الكتاب من شيء أن هذا الحديث إسرائيلى النسبة إلى رسول الله » ^(١) (ﷺ) .

وهذه هى العلة الحقيقية التى يخفيها أمثال هؤلاء ، وهى إنكار السنة ما دامت لم

تكتب في عهد رسول الله - ﷺ ، وأنه ليس هناك وحى غير القرآن مطلقا ، وكل ما ليس من القرآن لا يعترفون به - على الرغم من أنهم أحيانا يستترون خلف أن هذه الأحاديث قد دست على البخارى ، وأن البخارى منها برىء ، وأنهم حريصون على تبرئة البخارى من بعض الأحاديث التى فى كتابه .

ولقد نبه الرسول - ﷺ إلى أمثال هؤلاء ، وحذرننا منهم ، وحشنا على التمسك بسنته - ﷺ وبين أن الله عز وجل آتاه القرآن ومثله معه :

روى أبو داود بسنده عن المقدم بن معدى كرب عن رسول الله - ﷺ - قال :
« ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، لا يوشك رجل شعبان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدت فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدت فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلى ، ولا كل ذى ناب من السبع ، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغنى عنها صاحبها ، ومن نزل يقوم فعليه أن يقرؤه ، فإن لم يقرؤه فله أن يعقبهم بمثل قراه » (١) .

وقد روى الحاكم بسنده عن المقدم بن معدى كرب الكندى صاحب النبى - ﷺ قال : « حرم النبى صلى الله عليه وآله وسلم أشياء يوم خيبر ؛ منها الحمار الأهلى وغيره ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم : يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثى ، فيقول : بينى وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراماً حرمانه ، وإنما حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما حرم الله .

وبسنده عن الحسن قال : بينا عمران بن حصين يحدث عن سنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال له رجل يا أبا نجيذ : حدثنا بالقرآن . فقال له عمران : أنت وأصحابك يقرءون القرآن ، أكنت محدثى عن الصلاة وما فيها وحدودها ، أكنت محدثى عن الزكاة فى الذهب والإبل والبقر وأصناف المال ، ولكن قد شهدت وغبت أنت ، ثم

(١) السنن : (١١/٥) (٣٤) كتاب السنة - (٦) باب لزوم السنة . وقد صححه الشيخ ناصر الدين الألبانى فى صحيح الجامع الصغير وزياداته ٣٧٥/٢ رقم ١٢٢٠/٢٦٤٠ .

قال : فرض علينا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم في الزكاة كذا وكذا ، وقال الرجل أحبييتنى أحيالك الله .

قال الحاكم في هذين الحديثين : « بإسنادين صحيحين ، وأقره الذهبي » (١) .

كما روى بسنده من طريق سفيان قال : حدثني أبو النضر سالم مولى عمر بن عبيد الله بن معمر ، عن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه ، عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا ألفين أحداً منكم متكباً على أريكته يأتيه الأمر من أمري ، مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول : ما أدرى : ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه .

ثم قال الحاكم : قد أقام سفيان بن عيينة هذا الإسناد ، وهو صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي (٢) .

والحق أن هذه الأحاديث بينت ما في القرآن الكريم من الحث على طاعة الله وطاعة رسوله ، وطاعة الله هي طاعة ما في كتابه ، وطاعة رسوله هي طاعة ما في سنته : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) (٣) .

وقد ذهب الإمام الشافعي - رضي الله عنه في قوله تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) (٤) - إلى أن الكتاب هو القرآن والحكمة هي السنة (٥) .

فالرسول صلى الله عليه الصلاة والسلام جاء بأمرين : هما القرآن والسنة وكلاهما وحى : (وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى) (٦) .

(١) المستدرک علی الصحیحین : ١٠٩/١ - ١١٠ . وقال شیخی فی الحدیث الأول : سنده صحیح وأخرجه الترمذی وقال : حدیث حسن صحیح من هذا الوجه : سنة الرسول - ﷺ ص ٢٣ .

(٢) المستدرک : ١٠٨/١ - ١٠٩ . وقال شیخی : « سند هذا الحدیث رجاله رجال الصحیحین : سنة الرسول ﷺ ص ٢٢ وقد بین فیها وفیما قبلها عدالة رجال هذا السند .

(٣) النساء : ٥٩ .

(٤) الجمعة : ٢ .

(٥) المدخل إلى توثيق السنة ومصادره ص ١٩٠ - ١٩٢ .

(٦) النجم : ٤ ، ٣ .

وإذا كانت تفصيلات الصلاة مصدرها السنة ، ولا يجادل مسلم في فرضيتها فلا يتصور أنها من غير وحى من الله عز وجل ، مما يثبت أن الرسول - ﷺ يوحى إليه بالقرآن وبالسنة ، وإلا كانت تفصيلات الصلاة اجتهادا من الرسول - ﷺ . ولم يقل ذلك أحد من علماء المسلمين .

وإذا كان الرسول ﷺ يوحى إليه بالأحكام وهى خطيرة فمن باب أولى يوحى إليه بأمور ليست أحكاما - كما فى هذا الحديث . والرسول - ﷺ يقصها لحكمة ، كما بينا فى هذا الحديث ، بل قد يكون فيها بعض التشريع على رأى من يقول : إن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد نسخ . والله تعالى أعلى وأعلم .

١٩ - وقال رسول الله ﷺ : والذي نفسُ محمدٍ بيده لولا أن أُشقَّ على المؤمنين ما قعدت خلفَ سريةٍ تَغْزُو في سبيلِ الله ، ولكن لا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ ، ولا يجدون سَعَةً فَيَتَّبِعُونِي ، ولا تَطِيبُ أنفسهم أن يقعدوا بَعْدِي .

• رواه عبد الرزاق (٢٥٣/٥) في باب فضل الجهاد عن معمر عن همام عن أبي هريرة . وليس في أوله : « والذي نفس محمد بيده » . (رقم ٩٥٢٩) .

ورواه أحمد (٣٨/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (١٧/٨١١٦) .

ورواه مسلم (١٤٩٧/٣) في (٢٣) كتاب الإمامة - (٢٨) باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله - بسنده للصحيفة ، وقد رواه هو وحديثا سيأتي إن شاء الله تعالى (رقم ١٨٧٦/١٠٦) .

وقد روى نحوه من طريق سفيان عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة .

ومن طريق أبي معاوية ومروان بن معاوية ، عن يحيى بن سعيد عن أبي صالح عن أبي هريرة .

ومن طريق عمارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة عن أبي هريرة في حديث طويل . (١٨٧٦/١٠٣) .

وروى البخاري معناه من طرق عن أبي هريرة في (١٤/١) (٢) كتاب الإيمان - (٢٦) باب الجهاد من الإيمان .

وفي (٢٠٣/٣) (٥٦) كتاب الجهاد والسير - (٧) باب تمنى الشهادة .

وفي (١١/٤) في الكتاب نفسه (١١٩) باب الجعائل والحملان في السبيل .

وفي (١٢٨/٨) (٩٤) كتاب التمني - (١) باب ما جاء في التمني ، ومن تمنى الشهادة .

(١) في هذا الحديث بيان من رسول الله ﷺ لفضل الجهاد ، وشافته ﷺ بأمته فيقول : والذي نفسي بيده يصرفها كيف شاء لولا أن أشق على المؤمنين ما تخلفت عن الخروج إلى الجهاد مع المجاهدين فلو فعلت ذلك لشق على المؤمنين ؛ لأن منهم من لا يستطيع الخروج معي لعجزه عن وسيلة السفر ؛ من مركوب وغيره ولا تطيب نفسه في هذه الحالة عدم مصاحبتى واتباعى .

وقد جاء في كثير من روايات هذا الحديث ما يبين فضل الجهاد أكثر من هذا ؛
 روى البخارى فى كتاب الإيمان فى الموضع السابق بسنده عن أنى هريرة عن النبى - ﷺ
 قال : انتدب الله لمن خرج فى سبيله ، لا يخرج به إلا إيمان بى وتصديق برسلى أن أرجعه بما
 نال من أجر أو غنيمة ، أو أدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ،
 ولوددت أنى أقتل فى سبيل الله ، ثم أحيا ، ثم أقتل ، ثم أحيا ، ثم أقتل .

★ ★ ★

٢٠ - وقال رسول الله - ﷺ : لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ تُسْتَجَابُ لَهُ (١) ،
فأريد - إن شاء الله - أن أؤخر دعوتي شفاعَةً لِأُمَّتِي يومَ القيامة .

- رواه أحمد (٣٩/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام بن منبه . (رقم ١٨/٨١١٧) .
- وقد أشار الأستاذ أحمد شاکر في تحقيقه هذا الحديث في المسند - إلى أن عبد الرزاق قد رواه في تفسيره (ص ١٥٠) عن معمر بن همام به .
- وروى البخاری في (١٤٥/٧) (٨٠) كتاب الدعوات - (١) باب قوله . (ادعوني أستجب لكم) - من طريق مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة نحوه .
- كما روى في هذا الباب تعليقاً عن أنس نحوه .
- وفي (١٩٢/٨ - ١٩٣) (٩٧) كتاب التوحيد - (٣١) باب في المشيئة والإرادة - من طريق شعيب عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة نحوه .
- وروى مسلم (١٨٨/١ - ١٩٠) في (١) كتاب الإيمان - (٨٦) باب اختيار النبي - ﷺ دعوة الشفاعة لِأُمَّتِهِ نحوه من طرق عن أبي هريرة :
- منها طريق مالك ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عنه .
- ومنها طريق ابن أخي ابن شهاب عن عمه عن أبي سلمة به .
- وأبي معاوية عن الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي هريرة .
- وعمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة .
- (أرقام : ٣٣٤ - ٩٨/٣٣٩ - ١٩٩) .
- ورواه البيهقي الفراء (٥/٥) بسنده للصحيفة ، وقال : هذا حديث متفق على صحته (كتاب الدعوات : باب دعاء النبي - ﷺ لِأُمَّتِهِ - رقم ١٢٣٥) .

(١) لكل نبي دعوة تستجاب له : معناه أن كل نبي له دعوة متيقنة الإجابة ، وهو على يقين من إجابتها ، وأما باقي دعواتهم عليهم السلام فهم على طمع من إجابتها ، فبعضها يجاب ، وبعضها لا يجاب .

ويحتمل أن يكون المراد : لكل نبي دعوة لأُمته ، كما في روايتي مسلم أولاها عن أنس وثانيتها عن جابر :

١ - لكل نبي دعوة دعاها لأُمته ، وإن اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة .

٢ - لكل نبي دعوة قد دعا بها في أُمته ، وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة (١) .

وفي هذا الحديث بيان كمال شفقة النبي - ﷺ - على أُمته ، ورأفته بهم واعتناؤه بالنظر في مصالحهم المهمة ، فأخر - ﷺ - دعوته لأُمته إلى أهم أوقات حاجاتهم (٢) .

وقال ابن الجوزي - رحمه الله - : هذا من حسن تصرفه - ﷺ - ؛ حيث اختار أن تكون الدعوة فيما يبقى ، ومن كثرة كرمه أن أثر أُمته على نفسه ، ومن صحة نظره أن جعلها للمذنبين ؛ لكونهم أحوج إليها من الطائعين (٣) .

وقوله - ﷺ : « إن شاء الله تعالى » هو على جهة التبرك والامتنان ؛ لقول الله تعالى : (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) (٤) . والله أعلم (٥) .

★ ★ ★

(١) صحيح مسلم (١٩٠/١) (١) كتاب الإيمان - (٨٦) باب اختيار النبي - ﷺ - دعوة الشفاعة لأُمته . (رقم ٣٤١ - ٣٤٥/٢٠٠ - ٢٠١) .

(٢) شرح مسلم للنووي : ٤٧٨/١ - ٤٧٩ .

(٣) إرشاد الساري : ١٧٤/٩ .

(٤) الكهف : ٢٣ ، ٢٤ .

(٥) شرح مسلم للنووي : ٤٧٩/١ .

٢١ - وقال رسول الله - ﷺ من أحب لقاء الله أحب لقاء الله ، ومن لم يحب لقاء الله لم يحب لقاء الله .

• رواه أحمد (٣٩/١٦) ضمن روايته للصحيفة (رقم ١٩/٨١١٨) .

وروى البخارى (١٩٩/٨) فى (٩٧) كتاب التوحيد - (٣٥) باب قول الله تعالى : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) عن طريق مالك ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ قال : « إذا أحب عبدى لقاءى أحببت لقاءه ، وإذا كره لقاءى كرهت لقاءه .

وفى (١٩١/٧) (٨١) كتاب الرقاق - (٤١) باب من أحب لقاء الله - من طريق همام عن قتادة عن أنس عن عبادة بن الصامت ، عن النبى - ﷺ قال : من أحب لقاء الله أحب لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره لقاءه . قالت عائشة أو بعض أزواجه : إنا لنكره الموت . قال : ليس ذاك ، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته ، فليس شئ أحب إليه مما أمامه ، فأحب لقاء الله ، وأحب لقاءه . وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شئ أكره إليه مما أمامه ؛ كره لقاء الله ، وكره لقاءه .

وقد أوردنا هذه الرواية للتوثيق ؛ ولأنها تسهم فى معنى الحديث الشريف .

كما روى نحوه فى هذا الموضع من طريق أبى أسامة عن يزيد ، عن أبى بردة ، عن أبى موسى ، عن النبى - ﷺ . وروى مسلم نحوه فى (٢٦٥/٤) فى (٤٨) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - (٥) باب من أحب لقاء الله أحب لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره لقاءه - بأسانيده عن عبادة بن الصامت ، وعائشة ، وأبى هريرة ، وأبى موسى (أرقام : ١٤ - ١٨ - ٢٦٨٣ - ٢٦٨٦) .

ورواية أبى هريرة عن مسلم تسهم كذلك فى المعنى ، وتدل على تثبت الصحابة وتوثيق أبى هريرة ، وهى من طريق مطرف ، عن عامر ، عن شريح بن هانئ ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ : « من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه . فأتيت عائشة ، فقلت : يا أم المؤمنين : سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله - ﷺ حديثاً - إن كان كذلك فقد هلكنا . فقالت : إن الهالك من هلك بقول رسول الله - ﷺ ، وما ذاك ؟ قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحب لقاء الله أحب لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره لقاءه ، وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت . فقالت : قد قاله رسول الله - ﷺ ، وليس بالذى تذهب إليه ، ولكن إذا شخص البصر ،

وحشرج الصدر ، واقشعر الجلد ، وتشنجت الأصابع - فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه .

(١) من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه :

قال أبو عبيد في هذا الحديث : ليس وجهه أن يكره شدة الموت ، هذا لا يكاد يخلو منه أحد ، وبلغنا عن غير واحد من الأنبياء أنه كرهه حين نزل به ، ولكن المكروه من ذلك الإيثار للدنيا والركون إليها ، والكراهية أن يصير إلى الله عز وجل ، أو إلى الدار الآخرة ، ويؤثر المقام في الدنيا ، ومما يبين ذلك أن الله عز وجل يقول : (إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها) (١) وقال : (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) (٢) (٣) .

وقال الخطابي : محبة اللقاء إيثار العبد الآخرة على الدنيا ، ولا يحب طول القيام فيها لكن يستعد للارتحال عنها ، واللقاء على وجوه ؛ منها : الرؤية ، ومنها البعث كقوله تعالى (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله) (٤) ؛ أى بالبعث ، ومنها الموت ؛ كقوله تعالى (من كان يرجو لقاء الله ، فإن أجل الله لآت) (٥) .

وقال ابن الأثير : المراد باللقاء المصير إلى الدار الآخرة وطلب ما عند الله ، وليس الغرض به الموت ؛ لأن كلا يكرهه ؛ فمن ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله ، ومن آثرها وركن إليها كره لقاء الله . ومحبة الله لقاء عبده إرادة الخير له ، وإنعامه عليه (٦) .

(٢) من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه : على التفسير المتقدم يتضح أن الشرط ليس سببا للجزاء ؛ ولذلك قال بعض العلماء : يؤول بالإخبار ؛ أى الشرط والجواب في صورة الإنشاء ولكن في حقيقته للإخبار أى الذى يحب لقاء الله يحب الله لقاءه (٧) .

(١) يونس : ٧ .

(٢) البقرة : ٩٦ .

(٣) شرح السنة : ٢٦٥/٥ .

(٤) الأنعام : ٣١ .

(٥) العنكبوت : ٥ .

(٦) إرشاد السارى : ٢٩٥/٩ .

(٧) المصدر السابق : ٢٩٥/٩ .

٢٢ - وقال رسول الله - ﷺ : من أطاعنى فقد أطاع الله ومن يعصنى فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ، ومن يعص الأمير فقد عصانى (١) .

• رواه أحمد (٣٩/١٦ ، ٤٠) بإسناده للصحيفة ... رقم ٢٠/٨١١٩ .

ورواه مسلم (١٤٦٦/٣) فى (٣٣) كتاب الإمامة (٨) باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية ، وتحريمها فى المعصية . رواه بسنده للصحيفة ؛ محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر ، عن همام بن منبه عن النبى ﷺ (رقم : ١٨٣٥/٣٣) .

هذا وقد ذكر الأستاذ أحمد شاكِر عليه رحمة الله - سهواً - أن الشيخين لم يروياه من طريق الصحيفة . فمسلم قد رواه كما رأينا .

وقد رواه إحالة على حديث رواه قبله عن حرملة بن يحيى عن ابن وهب عن يونس ، عن ابن شهاب عن أنى سلمة بن عبد الرحمن عن رسول الله ﷺ . غير أن فيه « أميرى بدلا من كلمة « الأمير » كما هنا وقد نبه على ذلك (١٨٣٥/٣٣) .

كما روى نحوه عن طريق ابن جريج عن زياد عن ابن شهاب به (نفس الرقم) .

ومن طريق شعبة عن يعلى بن عطاء عن أنى علقمة عن أنى هريرة (نفس الرقم) .

ومن طريق أنى الزناد وعن الأعرج عن أنى هريرة (١٨٣٥/٣٣) .

ومن طريق أنى حازم عن أنى صالح السمان عن أنى هريرة (١٨٣٦/٣٥) .

وروى البخارى (٨/٤) فى (٥٦) كتاب الجهاد والسير - (١٠٩) باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به - نحوه عن أنى إيمان عن شعيب عن أنى الزناد عن الأعرج عن أنى هريرة مع جزء من حديث « نحن الآخرون السابقون .

وفى (١٠٤/٨) (٩٣) كتاب الأحكام - (١) فى قول الله تعالى : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم - عن عبدان عن عبد الله عن يونس ، عن الزهري عن أنى سلمة بن عبد الرحمن عن أنى هريرة .

ورواه البغوى الفراء (٤١/١٠) فى كتاب الإمامة والقضاء - باب وجوب طاعة الوالى بسنده للصحيفة ... رقم (٢٤٥١) وقال : هذا حديث متفق على صحته .

(١) من أطاعني فقد أطاع الله ... : وقال في المعصية مثله ؛ لأن الله تعالى أمر بطاعة رسول الله ﷺ ، وأمر هو ﷺ بطاعة الأمير فتلازمت الطاعة وهذا تأكيد لقول الله تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (١) .

وقد ذكر الخطابي سبب اهتمام النبي ﷺ بشأن الأمراء ، حتى قرن طاعتهم إلى طاعته فقال : كانت قريش ومن يليهم من العرب لا يعرفون الإمارة ولا يدينون لغير رؤساء قبائلهم ، فلما كان الإسلام ، وولى عليهم الأمراء أنكرت ذلك نفوسهم ، وامتنع بعضهم من الطاعة ، فأعلمهم أن طاعتهم مربوطة بطاعته ومعصيتهم بمعصيته حثاً لهم على طاعة أمرائهم لئلا تتفرق الكلمة (٢) .

وبين الإمام النووي أن هذه الطاعة ليست على عمومها وكذلك المعصية وأن ذلك إنما في غير المعصية للخالف جل وعلا . قال : « قال العلماء : معناه تجب طاعة ولاية الأمور فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية ، فإن كانت لمعصية فلا سمع ولا طاعة ، كما صرح في الأحاديث الباقية ، فتحمل هذه الأحاديث المطلقة لوجوب طاعة ولاية الأمور على موافقة تلك الأحاديث المصرحة بأنه لا سمع ولا طاعة في المعصية » (٣) .

ويؤيد ذلك أن الله تعالى قال : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) ولم يقل : وأطيعوا أولى الأمر منكم ليؤذن بأنه لا استقلال لهم في الطاعة استقلال الرسول ، ودلت الآية على أن طاعة الأمراء واجبة إذا وافقوا الحق فإذا خالفوه فلا طاعة لهم ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » (٤) .

كما بين الإمام البغوي اختلاف العلماء فيما يأمر به الولاية من العقوبات فقال (٥) :

(١) النساء : ٨٠ .

(٢) إرشاد الساري : ٢١٦/١٠ .

(٣) شرح مسلم للنووي : ٥٠٢/٤ - ٥٠٣ .

(٤) إرشاد الساري : ٢١٦/١٠ .

(٥) شرح السنة : ٤٤/١٠ - ٤٥ .

اختلف الناس فيما يأمر به الولاة من العقوبات . قال أبو حنيفة وأبو يوسف : ما أمر به الولاة من ذلك غيرهم يسعهم أن يفعلوه فيما كانت ولايته إليهم . وقال محمد بن الحسن : لا يسع المأمور أن يفعله حتى يكون الذى يأمره عدلاً ، وحتى يشهد عدل سواه على أن على المأمور ذلك ، وفي الزنى حتى يشهد معه ثلاثة سواه .

وحكى أن عمر بن هبيرة كان على العراق قال لعدة من الفقهاء منهم الحسن والشعبي : إن أمير المؤمنين يكتب إليّ فى أمور أعمل بها فما تريان ؟ قال الشعبي : أنت مأمور ، والتبعة على أمرك ، فقال للحسن ما تقول ؟ قال : قد قال هذا . قال : قل . قال : اتق الله يا عمر ، فكأنك بمَلِكٍ قد أتاك ، فاستنزلك عن سريك هذا ، فأخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ، فإياك أن تعرض لله بالمعاصي ؛ فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وروى عن أبى برزة أنه مر على أبى بكر وهو يتغيط على رجل من أصحابه ، وقيل : إن الرجل كان يسب أباً بكر . فقال أبو برزة : قلت : يا خليفة رسول الله من هذا الذى تتغيط عليه ؟ قال : فلم تسأل عنه ؟ قلت : لأضرب عنقه . وفى رواية قال أبو بكر لأبى برزة : لو قلت لك ذلك أكنت تقتله ؟ قال : نعم . فقال : ما كان ذلك لأحد بعد رسول الله - ﷺ .

ويعقب البغوى على هذا بقوله : « فهذا يؤيد ما قلنا ؛ وهو أن أحداً لا يجب طاعته فى قتل مسلم إلا بعد أن يعلم أنه حق إلا رسول الله - ﷺ ؛ فإنه لا يأمر إلا بحق ، ولا يحكم إلا بعدل ، وقد يتأول هذا أيضاً على أنه لا يجب القتل فى سب أحد إلا فى سب رسول الله - ﷺ (١) .

★ ★ ★

٢٣ - وقال رسول الله - ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يَكْثُرَ فيكم المال ، فيفيض ، حتى يُهَمَّ^(١) ربَّ المال من يتقبل منه صدقته . قال : وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ^(٢) ، وَيَقْتَرِبَ الزَّمَانُ^(٣) ، وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ . قالوا : الْهَرْجُ ما هو يا رسول الله ؟ قال : الْقَتْلُ ، الْقَتْلُ .

● رواه أحمد (٤٠/١٦) ضمن روايته للصحيفة - (رقم ٢١/٨١٢٠ ، ٢٢) .

وروى نحوه البخارى فى حديث طويل (١٠١/٨) فى (٩٢) كتاب الفتن - (٢٥) باب حدثنا مسدد - رواه عن أنى الجمان عن شعيب عن أنى الزناد عن عبد الرحمن (الأعرج) عن أنى هريرة .

كما روى نحوه أجزاء منه فى مواضع أخرى : فى (٢٩/١) (٣) كتاب العلم - (٢٤) باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس عن المكى بن إبراهيم عن حنظلة عن سالم عن أنى هريرة .

وفى (٨٩/٨) فى (٩٢) كتاب الفتن - (٥) باب ظهور الفتن من طريق معمر عن الزهري عن سعيد عن أنى هريرة . وروايات أخرى عن أنى هريرة وعبد الله بن مسعود وأنى موسى .

وفى (١١٣/٢) (٢٤) كتاب الزكاة - (٩) باب الصدقة قبل الرد - عن أنى الجمان عن شعيب عن أنى الزناد عن الأعرج عن أنى هريرة . ورواية عن حارثة بن وهب عن رسول الله ﷺ .

وروى مسلم (٧٠٠/٢ - ٧٠١) فى (١٢) كتاب الزكاة - (١٨) باب الترغيب فى الصدقة قبل ألا يوجد من يقبلها - نحوه الجزء الأول الخاص بالصدقة عن قتيبة بن سعيد عن يعقوب بن عبد الرحمن القارى ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أنى هريرة ... (١٥٧/٦٠)

وعن أنى الطاهر عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أنى يونس عن أنى هريرة (١٥٧/٦١) .

كما روى نحوه فى الباب بسندينه عن حارثة بن وهب وأنى موسى رضى الله عنهما (٥٨ ، ٥٩ ، ١٠١١ ، ١٠١٢) .

أما الجزء الثانى من قوله ﷺ (ويقبض العلم) ففى (٢٠٥٦/٤ - ٢٠٥٨) (٤٧) كتاب العلم - (٥) باب رفع العلم وقبضه - رواه بسنده عن الصحيفة (١٥٧/١٢) . وذلك إحالة على حديث رواه من طريق يونس ، عن ابن شهاب ، عن حميد بن عبد الرحمن عن أنى هريرة (١٥٧/١١) .

كما رواه من طريق أنى الجمان عن شعيب عن الزهري به (١٥٧/١١) .

وعبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن سعيد عن أنى هريرة (١٥٧/١٢) .

ومن طريق حنظلة عن سالم عن أنى هريرة (١٥٧/١٢) .

ومن طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي يونس عن أبي هريرة (١٥٧/١٢) .
 وكطبيعة مسلم بين الفروق بين هذه الروايات كلها .
 ورواه البغوي الفراء وأحاديث ستة بسنده للصحيفة (٣٨/١٥ ، ٣٩) .

* * *

(١) يُهِمُّ رَبُّ الْمَالِ : ضبطوه بوجهين : أجودهما وأشهرهما بضم الباء وكسر الهاء ، ويكون رب المال منصوباً مفعولاً والفاعل (من) وتقديره يحزنه ويهتم له . والثاني يَهُمُّ بفتح الياء وضم الهاء ، ويكون (رب المال) مرفوعاً فاعلاً ، وتقديره يهم رب المال من يقبل صدقته أى يقصده ، قال أهل اللغة : يقال : أهمه إذا أحزنه ، وهمه إذا أذا به ، ومنه قولهم : همك ما أهمك ، أى أذا بك الشيء الذى أحزنك فأذهب شحملك ، وعلى الوجه الثانى هو من هم به إذا قصده (١) .

(٢) يقبض العلم : أى يقبض العلماء لا بالانتزاع من العلماء كما فى الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاصى يقول سمعت رسول الله - ﷺ يقول : إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ، ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا ، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا (٢) .

(٣) يقترب الزمان : قال بعض العلماء أى يقرب من القيامة . وقال بعضهم : يتقارب الزمان حتى يكون السنة كالشهر ، وهو كالجمعة ، وهى كاليوم ، وهو كالساعة ، وهو من استلذاذ العيش ، كأنه - والله أعلم - يريد خروج المهدي وبسط العدل فى الأرض ، وكذلك أيام السرور قصار . واعترض بعض العلماء على هذا بأنه يتعارض مع ما يقارنه من ظهور الفتن وكثرة الهرج .

وقال بعضهم : يحتتمل أن يكون المراد بتقارب الزمان تسارع الدول فى الانقضاء والقرون إلى الانقراض ، فيتقارب زمانهم ، وتتدانى أيامهم (٣) .

★ ★ ★

(١) هامش مسلم لمحمد فؤاد عبد الباقي : ٧٠١/٢ .

(٢) مسلم ٦٠/٨ ط . دار التحرير .

(٣) شرح السنة : ٢٧/١٥ - ٢٨ .

٢٤ - وقال رسول الله - ﷺ - : لا تقوم الساعة حتى تقتتلَ فئتان (١) عظيمتان تكون بينهما مَقْتَلَةٌ عظيمة (٢) ودعواهما واحدة (٣) .

• رواه أحمد (٤١/١٦) ضمن روايته للصحيفة بسندها عنده (رقم ٣/٨١٢١) .

ورواه البخارى (١٧٨/٤) فى (٦١) المناقب - (٢٥) باب علامات النبوة فى الإسلام - عن عبيد الله بن محمد قال : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر ، عن همام ، عن أبى هريرة رضى الله عنه به وبالحديث الآتى .

كما روى فى الموضع نفسه نحوه عن الحكم بن نافع عن شعيب عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة .

وفى (١٠١/٨) (٩٢) كتاب الفتن - باب حدثنا مسدد - عن أبى اليمان عن شعيب عن أبى الزناد عن عبد الرحمن (الأعرج) عن أبى هريرة فى حديث طويل .

ورواه مسلم (٢٢١٤/٤) فى (٥٢) كتاب الفتن وأشرط الساعة (٤) باب إذا توجه المسلمان بسيفيهما بسنده للصحيفة (١٥٧/١٧) .

ورواه البغوى الفراء (٣٨/١٥) فى باب قتال الترك وقتال اليهود بإسناده للصحيفة (رقم ٤٢٤٢) وقال بعد أن رواه مع غيره من أحاديث الصحيفة : هذه الأحاديث متفق على صحتها .

(١) مثنى فئة وهى الجماعة . قال بعضهم : المراد بهما من كان مع على ومعاوية لما تحاربا بصيفين . والأولى فى رأى عدم تحديد الفئتين بذلك .

(٢) مقتلة عظيمة : أى قتل عظيم .

(٣) دعواهما واحدة : أى دينهما واحد ، وعلى تفسير أنهما من كانا مع على ومعاوية رضى الله عنهما كان دينهما واحد ، وهو الإسلام . أو المراد أن كلا منهما يدعى أنه الحق ، وذلك أن عليا رضى الله عنه كان إذ ذاك إمام المسلمين وأفضلهم يومئذ باتفاق أهل السنة ، ولأن أهل الحل والعقد بايعوه بعد قتل عثمان رضى الله عنه وتحلف عن بيعته أهل الشام .

وقال الكرمانى : دعواهما واحدة ؛ أى يدعى كل منهما أنه على الحق وخصمه مبطل ، ولابد أن يكون أحدهما مصيبا والآخر مخطئاً كما كان بين على ومعاوية ، وكان على رضى الله عنه هو المصيب ومخالفه مخطئ ، معذور فى الخطأ ؛ لأنه اجتهد . والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه . وقال ﷺ : « إذا أصاب فله أجران ، وإذا أخطأ فله أجر » .

قال العينى معقبا على هذا : « فيه نظر ، وهو موضع التأمل ؛ بل الأحسن السكوت عن ذلك » (١) .

★ ★ ★

٢٥ - وقال رسول الله - ﷺ : لا تقوم الساعة حتى ينبعث دجالون^(١) كذابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله^(١) .

- رواه أحمد (٤٢/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام . (رقم ٢٤/٨١٢٢) .
- ورواه البخارى مع الحديث السابق بسند واحد هو سند الصحيفة ابتداء من عبد الرزاق . وكذلك في الموضع الآخر بالسند الآخر .
- ورواه مسلم (٢٢٤٠/٤) في (٥٢) كتاب الفتن وأشراف الساعة . بسنده للصحيفة ... (رقم ١٥٧/٨٤) .
- وقد رواه إichالة على حديث رواه عن زهير بن حرب وإسحاق بن منصور عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ... (١٥٧/٨٤) .
- ورواه البغوي الفراء (٣٨/١٥) في باب قتال الترك واليهود - بسنده للصحيفة (رقم ٤٢٤٤) وذلك مع أحاديث أخرى رواها بهذا السند الواحد . وقال : هذه الأحاديث متفق على صحتها .
- ورواه الترمذي (٤٩٨/٤) في (٣٤) كتاب الفتن - (٤٣) باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون - عن محمود بن غيلان ، عن عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة ثم قال : وفي الباب عن جابر بن سمرة وابن عمر . وهذا حديث حسن صحيح .

- (١) ينبعث : أى يخرج ويظهر .
- (٢) دجالون : جمع دجال واشتقاقه من الدجل وهو التخليط والتمويه ، ويطلق على الكذب فعلى هذا قوله (كذابون) تأكيد .
- (٣) قريب : على الرفع صفة بعد صفة ، وعلى النصب حال من التكررة الموصوفة .

(٤) ثلاثين : أى ثلاثين نفساً كل واحد منهم يزعم أنه رسول الله ، وعد منهم عبد الله بن الزبير ثلاثة وهم : مسيلمة ، والأسود العنسى ، واختار . رواه أبو يعلى في

مسنده بإسناد حسن عن عبد الله بن الزبير بلفظ : « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً منهم مسيلمة ، والعنسي ، والمختار ، ومنهم طليحة بن خويلد وسجاح التميمية والحارث الكذاب وجماعة في خلافة بنى العباس .

وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقاً ؛ فإنهم لا يحصون كثرة لكون غالبهم من نشوة جنون أو سوداء غالبية ، وإنما المراد من كانت له شوكة وسول لهم الشيطان بشبهة .

وقد خرج مسيلمة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، وخرج طليحة في خلافة أبي بكر ، ثم تاب ومات على الإسلام على الصحيح في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه . وقيل إن سجاح تابت . والمختار بن عبيد الله الثقفي غلب على الكوفة في أول خلافة ابن الزبير ، ثم ادعى النبوة ، وزعم أن جبريل عليه الصلاة والسلام يأتيه وقتل في سنة بضع وستين . والحارث خرج في خلافة عبد الملك بن مروان فقتل (١) .

(١) عمدة القارى : ٢٠٥/١٣ - ٢٠٦ وقارن بفتح البارى ٦/٦١٧ .

٢٦ - وقال رسول الله - ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً .

• رواه أحمد (٤٢/١٦) ضمن روايته للصحيفة .. (رقم ٢٥/٨١٢٣) .
ورواه البخارى (١٩٥/٥) فى (٦/٦٥) كتاب التفسير - (٩) باب قوله تعالى : (هلم شهداءكم) -
عن إسحاق ، عن عبد الرزاق ، عن معمر عن همام عن أبى هريرة به .
وروى قبله عن موسى بن إسماعيل عن عبد الواحد عن عمارة عن أبى زرعة عن أبى هريرة نحوه .
ورواه مسلم (١٣٧/١ - ١٣٩) فى (١) كتاب الإيمان - (٧٢) باب بيان الزمن الذى لا يقبل فيه الإيمان
- عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن همام به (سنده للصحيفة) رقم (١٥٧/٢٤٨) .
وقد روى هذا إحدالة على حديث قبله رواه عن جماعة ، عن إسماعيل بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة (الرقم نفسه) .

كما روى فى الباب نفسه حديثين يسهمان فى معنى الحديث الذى معنا . ولذلك نذكرهما :
الأول : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ : ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً ، وطلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض .

الثانى : عن أبى ذر أن النبى - ﷺ قال يوماً : أتدرون أين تذهب هذه الشمس قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : إن هذه تجرى حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش ، فتخر ساجدة . فلا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعى ، ارجعى من حيث جئت ، فترجع ، فتصبح طالعة من مطلعها ، ثم تجرى حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش ، فتخر ساجدة . ولا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى ، ارجعى من حيث جئت ، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ، ثم تجرى ، لا يستنكر الناس منها شيئاً ، حتى تنتهى إلى مستقرها ذاك تحت العرش ، فيقال لها : ارتفعى ، اصبحى طالعة من مغربك ، فتصبح طالعة من مغربها فقال رسول الله ﷺ : أتدرون متى ذاك ؟ ذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً .

ورواه البغوى (٣٩/١٥) فى باب قتال الترك واليهود - بسنده للصحيفة ضمن أحاديث أخرى . (رقم ٤٢٤٤) .

(١) قال العيني : فإن قلت : ما الحكمة في عدم نفع الإيمان عند طلوع الشمس من مغربها ؟ قلت : لوقوع الفزع في قلوبهم بما يحمد به كل شهوة من شهوات النفس وتور كل قوة من قوى البدن فيصيرون في حالة من حضره الموت لانقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي ، فمن تاب في مثل هذه الحالة كمن تاب عند الغرغرة ، ففي ذلك الوقت كأنهم شاهدوا مقاعدهم من النار أو الجنة ، فلم ينفعهم إيمانهم ؛ لأنهم مكلفون بالإيمان بالغيب فلا ينفع الإيمان عند المشاهدة .

فإن قلت : ما الحكمة في طلوعها من المغرب ؟ قلت : الحكمة فيه إبطال قول الملاحدة والمنجمين لما قال إبراهيم عليه السلام لتمرود : (إن الله يأتي بالشمس من المشرق فائت بها من المغرب) - حيث أنكروا ذلك وادعوا أنه لا يقع ولا يتصور (١) .

أقول : وهذا من متشابه الحديث الذي لا يبحث في معناه كثيراً ، ولا في علاقته بما نعرفه من علم الفلك . ونؤمن به ما دام قد صح عن رسول الله - ﷺ . ونفوض معنى ما جاء فيه إلى الله تعالى : من سجود الشمس ، وعلاقتها بالعرش وكيف تأتي من المغرب .

٢٧ - وقال رسول الله - ﷺ : إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَذْبَرَ الشَّيْطَانُ
 لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّائِذِينَ ، فَإِذَا قُضِيَ التَّائِذِينَ أَقْبَلَ ، حَتَّى إِذَا تُؤَبَّ (١)
 بِهَا أَذْبَرَ ؛ حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِبُ أَقْبَلَ يَخْطُرُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ (٢) ، وَيَقُولُ :
 اذْكُرْ كَذَا ، اذْكُرْ كَذَا . لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ مِنْ قَبْلُ ؛ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ إِنْ
 يَذْهَبُ كَيْفَ صَلَّى (٤) .

* * *

- رواه أحمد ضمن روايته لصحيفة همام بسند واحد (٤٢/١٦ ، ٤٣) رقم (٢٦/٨١٢٤) .
- ورواه مسلم (٢٩١/١ ، ٢٩٢) في (٤) كتاب الصلاة - (٨) باب فضل الأذان وهرب الشيطان -
 بسنده للصحيفة ابتداء من شيخه محمد بن رافع عن عبد الرزاق (٣٨٩/٢٠) .
- وقد رواه إحالة على حديث قبله رواه عن قتبية بن سعيد عن المغيرة الحزامي ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي
 هريرة (٣٨٩/١٩) .
- وروى البخاري في (١٥١/١) (١٠) كتاب الأذان - (٤) باب فضل التائذين - عن عبد الله بن يوسف ،
 عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة نحوه .
- وفي (٦٤/٢ ، ٦٥) (٢١) كتاب العمل في الصلاة - (١٨١) باب يفكر الرجل الشيء في الصلاة - عن
 يحيى بن بكير ، عن الليث ، عن جعفر ، عن الأعرج عن أبي هريرة .
- وفي (٩٤/٤) (٥٩) - كتاب بدء الخلق - (١١) باب صفة إبليس وجنوده - عن محمد بن يوسف ، عن
 الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة . وفيه : « فَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ ثَلَاثًا صَلَّى أَوْ أَرْبَعًا سَجَدَ سَجْدَتِي السَّهْوِ » .
- ورواه البغوي الفراء (٢٧٤/٢) في باب فضل الأذان بسنده للصحيفة (رقم ٤١٢) وذلك إحالة على ما رواه
 بسنده عن أبي مصعب ، عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ثم قال : هذا حديث متفق على صحته .

* * *

(١) المراد بالتثويب الإقامة ، ومعنى التثويب الإعلام بالشيء والإنذار بوقوعه ،
 وكل داغ مثوب ، وأصله أن يلوح الرجل لصاحبه بثوبه فيديده عند الأمر يرهقه من خوف
 أو عدو ، فسميت الإقامة تثويبا لأنها إعلام بإقامة الصلاة ... وقيل سمي تثويبا ؛ لأنه

رجوع إلى الدعاء إلى الصلاة بعد ما دعاهم إليها بالأذان ، وكذلك في قوله (الصلاة خير من النوم) ، فهو يرجع بهذه الكلمة إلى دعائهم بعد ما دعاهم بقوله (حى على الصلاة) . والراجع ثائب ، يقال : ثاب إلىّ جسمى أى رجع ^(١) .

(٢) يَخْطُرُ : بضم الطاء وكسرهما . وقال عياض : ضبطناه من المتقين بالكسر وسمعناه من أكثر الرواة بالضم . قال : والكسر هو الوجه - ومعناه يوسوس وأما الضم فمن المرور ؛ أى يدنو منه فيما بينه وبين قلبه فيشغله عما هو فيه ^(٢) .

(٣) قال العيني في شرح هذا الحديث :

هذا تمثيل لحال الشيطان عند هروبه من سماع الأذان بحال من طرقة أمر عظيم واعتراه خطب جسيم حتى لم يزل يحصل له الضراط من شدة ما هو فيه ؛ لأن الواقع في شدة عظيمة من خوف وغيره تسترخى مفاصله ، ولا يقدر على أن يملك نفسه فيفتح منه مخرج البول والغائط ، ولما كان الشيطان لعنه الله يعتريه شدة عظيمة وداهية جسيمة عند النداء إلى الصلاة فيهرب حتى لا يسمع الأذان - شبه حاله بحال ذلك الرجل ، وأثبت له على وجه الادعاء الضراط الذى ينشأ من كمال الخوف الشديد . وفي الحقيقة ما ثم ضراط ^(٣) .

(٤) يستفاد من هذا الحديث أن الأذان له فضل عظيم حتى يلحق الشيطان منه أمر عظيم .

(١) نقله البغوى عن الخطاى في شرح السنة : ٢٧٥/٢ .

(٢) عمدة القارى : ٢٧٣/٤ .

(٣) المصدر السابق ٢٧٣/٤ . وانظر مزيدا من شرح الحديث في فتح البارى ٨٥/٢ - ٨٧ .

٢٨ - وقال رسول الله - ﷺ : يمين الله ملأى لا يغيضها (١) نفقة ، سحاء (٢) الليل والنهار . أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذَ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقِصْ مِمَّا فِي يَمِينِهِ (٣) . قال : وَعَرَشُهُ عَلَى الْمَاءِ (٤) ، ويده الأخرى الْقَبْضُ (٥) ، يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ (٦) .

• رواه أحمد (٤/١٦) ضمن روايته للصحيفة ... (رقم ٢٧/٨١٢٥) .

ورواه البخارى (١٧٥/٨) فى (٩٧) كتاب التوحيد - (٢٢) باب (وكان عرشه على الماء) - عن على ابن عبد الله عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مِمَّا فِي يَمِينِهِ ، وعرشه على الماء ، ويده الأخرى الفيض - أو القبض - يرفع ويخفض .

كما روى نحوه فى (٢١٣/٥) (١١/٦٥) كتاب التفسير - (٣) باب قوله (وكان عرشه على الماء) عن أبى اليمان عن شعيب ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وفى (١٧٣/٨) فى (٩٧) كتاب التوحيد - (١٩) باب قوله الله تعالى (لما خلقت بيدي) عن أبى اليمان به .

ورواه مسلم (٦٩١/٢) فى (١٢) - كتاب الزكاة - (١١) باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف . بسنده للصحيفة ابتداء من محمد بن رافع عن عبد الرزاق . رقم (٩٩٣/٣٧) .

كما روى نحوه عن زهير بن حرب ومحمد بن عبد الله بن نمير عن سفیان بن عيينة ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة يبلغ به النبى - ﷺ . رقم (٩٩٣/٣٦) .

ورواه البيهقى الفراء (١٥٤/٦ - ١٥٥) فى باب ما يكره من إمساك المال ، وما يؤمر به من الإنفاق . رواه بسنده للصحيفة . (رقم ١٦٥٦) . وقال : هذا حديث متفق على صحته .

(١) أى لا يُنْقِصُها .

(٢) أى دائمة الصَّبِّ .

(٣) قال الطيبى : يجوز أن تكون « ملأى » « ولا يغيضها » ، و « سحاء » ،

و « أرأيت » أخباراً مترادفة ليد الله ويجوز أن تكون الثلاثة أوصافاً للملأى ، ويجوز أن تكون أرأيتم استئنفاً فيه معنى الترقى ؛ كأنه لما قيل ملأى أوهم جواز النقصان ، فأزيل بقوله : « لا يغيضها شيء » ، وقد يمتلىء الشيء ولا يفيض ، فقيل « سحاء » إشارة إلى الفيض ، وقرنه بما يدل على الاستمرار من ذكر الليل والنهار ، ثم أتبعه بما يدل على أن ذلك ظاهر غير خاف على ذى بصر وبصيرة بعد أن اشتمل من ذكر الليل والنهار بقوله : « أرأيتم ... » على تطاول المدة ؛ لأنه خطاب عام والهمزة فيه للتقرير . قال : وهذا الكلام إذا أخذته بمجملته من غير نظر إلى مفرداته أبان زيادة الغنى وكمال السعة والنهاية في الجود والبسط في العطاء ^(١) .

(٤) قال : وعرشه على الماء :

مناسبة ذكر العرش هنا أن السامع يتطلع من قوله : « خلق السموات والأرض » ما كان قبل ذلك ، فذكر ما يدل على أن عرشه قبل خلق السموات والأرض كان على الماء كما وقع في حديث عمران بن حصين : بلفظ « كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض » ^(٢) .

(٥) ويده الأخرى القبض ؛ يرفع ويخفض :

المراد القسمة بين الخلق ، وفي رواية الفيض ، ويكون معناها : الإحسان بالعطاء وقد يراد بالقبض المنع لأن الإعطاء قد ذكر في قوله قبل ذلك : سحاء الليل والنهار فيكون مثل قوله تعالى : (والله يقبض ويبسط ^(٣)) ^(٤) .

(٦) نقل الإمام النووي عن القاضي عياض عن المازرى في معنى اليمين واليد : « هذا مما يتأول ؛ لأن اليمين إذا كانت بمعنى المناسبة للشمال لا يوصف بها البارى

(١) فتح البارى : ٣٩٥/١٣ .

(٢) المصدر السابق : ٣٩٥/١٣ .

(٣) البقرة : ٢٤٥ .

(٤) فتح البارى : ٣٩٥/١٣ - ٣٩٦ .

سبحانه وتعالى ، لأنها تتضمن إثبات الشمال ، وهذا يتضمن التحديد ، ويتقدس الله سبحانه عن التجسيم ، والحد ، وإنما خاطبهم رسول الله - ﷺ - بما يفهمونه ، وأراد الإنجبار بأن الله تعالى لا ينقصه الإنفاق ، ولا يمسك خشية الإملاق ، جل الله عن ذلك ، وعبر ﷺ عن توالى النعم بسح اليمين ؛ لأن البازل منا يفعل ذلك بيمينه وأما قوله ﷺ : ويده الأخرى القبض فمعناه وإن كانت قدرته سبحانه وتعالى واحدة فإنه يفعل بها المختلفات . ولما كان ذلك فينا لا يمكن إلا بيدين عبر عن قدرته على التصرف في ذلك باليدين ليفهمهم المعنى المراد بما اعتادوه من الخطاب على سبيل المجاز (١) .

نقول كلام المازرى هذا - من التأويل - يمثل وجهة بعض العلماء أما نحن فنمره كما جاء من غير تشبيه أو تعطيل أو تأويل مفوضين معناه إلى الله سبحانه وتعالى لأنه من صفات الذات ونحن لا نعرف كنه الذات العلية فكيف نعرف كنه صفة من صفاتها .

٢٩ - وقال رسول الله - ﷺ : والذي نفسى بيده ؛ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ لَا يَرَانِي ، ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مِثْلِ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ (١) .

• رواه أحمد (٤٤/١٦) ضمن روايته للصحيفة .. (رقم ٢٨/٨١٢٦) .
ورواه مسلم (١٨٣٦/٤) في (٤٣) كتاب الفضائل - (٣٩) باب فضل النظر إليه ﷺ وتمنيه .
بروايته للصحيفة (رقم ٢٣٦٤/١٤٢) .
ورواه البغوي الفراء (٥٥/١٤) بسنده للصحيفة ، ثم قال هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق .

كما روى بسنده (٥٦/١٤) عن سهيل ، عن أبيه عن أنى هريزة أن رسول الله ﷺ قال : من أشد أمتي لي حُباً ناس يكونون بعدى يود أحدهم لو رآني بأهله وماله . وقد رواه مسلم في (٥١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - (٤) باب فيمن يود رؤية النبي ﷺ بأهله وماله (رقم ٢٨٣٢/١٢) .

(١) قال مسلم بعد روايته للحديث : قال أبو إسحاق : المعنى فيه عندي ؛ لأن يراني معهم أحب إليه من أهله وماله ، وهو عندي مقدم ومؤخر .
قال الإمام النووي (٢١٤/٥) « هذا الذي قاله أبو إسحاق هو الذي قاله القاضي عياض واقتصر عليه قال : تقديره : لأن يراني معهم أحب إليه من أهله وماله ، ثم لا يراني وكذا جاء في مسند سعيد بن منصور : (ليأتين على أحدكم يوم لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله ثم لا يراني) أى رؤيته إياي أفضل عنده وأحظى من أهله وماله . هذا كلام القاضي . والظاهر أن قوله في تقديم (لأن يراني) وتأخير (من مثل أهله ثم لا يراني) كما قال . وأما لفظة (معهم) فعلى ظاهرها وفي موضعها . وتقدير الكلام : يأتي على أحدكم يوم لأن يراني فيه لحظة ، ثم لا يراني بعدها أحب إليه من أهله وماله جميعاً .
ومقصود الحديث حثهم على ملازمة مجلسه الكريم ، ومشاهدته حضراً وسفراً للتأدب بآدابه ، وتعلم الشرائع وحفظها ؛ ليلبغوها ، وإعلامهم أنهم سيندمون على ما فرطوا فيه من الزيادة من مشاهدته وملازمته ، ومنه قول عمر : « ألهاني عنه الصنف بالأسواق » (١) والله أعلم .

٣٠ - وقال رسول الله - ﷺ : يَهْلِكُ كِسْرَى ، ثم لا كِسْرَى بعده ، وَفَيْصَرُ لِيَهْلِكََنَّ ، ثم لا يكون قيصر بعده ، وَلَتَنْفُقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ^(١) ، وَسَمَّى الْحَرْبَ خُدْعَةً ^(٢) .

رواه عبد الرزاق (٣٨٨/١١) عن معمر عن همام به دون عبارة « وسمى الحرب خدعة » في كتاب الجامع - باب أشرار الساعة - (رقم الحديث ٢٠٨١٥) .

ورواه أحمد (٤٥/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام ... رقم ٢٩/٨١٢٧ وفيه « ولتنفقس » بدلاً من « ولتنفقن » .

ورواه البخاري (٢٤/٤) في (٥٦) كتاب الجهاد - (١٥٧) باب الحرب خدعة . عن عبد الله بن محمد عن عبد الرزاق به .

كما روى في الكتاب والباب نفسه وعقب هذا مباشرة كالجزء الأخير : « سمي النبي ﷺ الحرب خدعة » عن أبي بكر بن أصم - اسمه بور - عن عبد الله - بن المبارك - عن معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله - تعالى - عنه . كما روى نحوه (٥٠/٤) في (٥٧) كتاب فرض الخمس - (٨) - باب قول النبي - ﷺ : « أحلت لكم الغنائم » ... عن أبي اليمان ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه ... ما عدا الجزء الأخير .

وروى نحوه - بعده مباشرة - عن إسحاق ، عن جرير ، عن عبد الملك ، عن جابر بن سمرة . كما روى (٢١٨/٧) في (٨٣) كتاب الأيمان والنذور - (٣) باب كيف كانت يمين رسول الله - ﷺ - نحوه عن أبي اليمان ، عن شعيب ، عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة . كما روى قبله حديث جابر بن سمرة مسنداً . وكلاهما ليس فيه الجزء الأخير .

كما رواه مسلم (٢٢٣٦/٤ - ٢٢٣٧) في ٥٢ - كتاب الفتن وأشرار الساعة - (١٨) باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل بسنده للصحيفة ابتداء من محمد بن رافع عن عبد الرزاق به . دون الجزء الأخير (رقم ٩١٩/٧٧) .

كما روى بسنده حديث جابر بن سمرة بأكثر من طريق (رقم ٢٩١٩/٧٨) . كما روى نحوه - وقبله - حديث سفيان ومعمّر عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة (رقم ٢٩١٨/٧٥) .

وروى في (٣/١٣٦١) (٣٢) كتاب الجهاد والسير - (٥) باب جواز الخداع في الحرب من طريق عبد الله ابن المبارك عن معمر بن همام بن منبه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : الحرب خدعة .

كما روى نحوه من طريق سفيان قال : سمع عمرو جابراً يقول قال رسول الله - ﷺ : « الحرب خدعة » .
ورواه البغوي الفراء (٣٠٩/١٣) بسنده للصحيفة بجزيه ، وقال : هذا حديث صحيح (٣٧٢٨) .

* * *

(١) كما روى بعده حديثاً معلقاً يفيد ظاهره بعض التناقض مع هذا الحديث ففيه أن الرسول ﷺ دعا لُمْلُكٍ قيصر بالتبثيت .

قال : « قد روى أن النبي - ﷺ كتب إلى كسرى يدعو إلى الإسلام فمزق كتابه فقال النبي ﷺ : « تمزق ملكه ، وكتب إلى قيصر فأكرم كتابه ووضعه في مسك ، فقال : ثبت ملكه ، (انظر تخريج الحديث في شرح السنة ٣١٠/١٣ في الهامش) .

وقد حاول البغوي أن يجمع بين الحديثين فقال : « ووجه الجمع بين الحديثين أن كسرى تمزق ملكه فلم يبق لهم ملك ، وأنفقت كنوزه في سبيل الله ، وأورث الله المسلمين أرضه ، وقيصر ثبت ملكه بالروم ، وانقطع عن الشام واستبيحت خزائنه التي كانت بهما ، وأنفقت في سبيل الله . فمعنى قوله : « لا قيصر بعده » ؛ يعني بالشام (١) .

وقال النووي في شرح هذا الحديث (٢) : « فأما كسرى فانقطع ملكه وزال بالكلية من جميع الأرض ، وتمزق ملكه كل ممزق ، واضمحل بدعوة رسول الله - ﷺ ، وأما قيصر فانهزم من الشام ، ودخل أقاصى بلاده فافتتح المسلمون بلادها ، واستقرت للمسلمين ولله الحمد وأنفق المسلمون كنوزهما في سبيل الله ، كما أخبر - ﷺ ، وهذه معجزات ظاهرة » .

(١) شرح السنة : ٣١٠/١٣ .

(٢) شرح مسلم : ٧٦٦/٥ .

وقد أنكر بعضهم هذا الحديث بدعوى :

١ - أن فيه « هلاك الفراعنة بلا وارث لهم في الجبروت والفساد ، مع أن الواقع يخالف ذلك » .

٢ - أنه يخالف القرآن الكريم في قوله تعالى : (وتلك الأيام نداؤها بين الناس) ، « ومعنى ذلك أن القياصرة يتناوبون ويتوارثون ، وأن الملوك يتعاقبون » .

٣ - نسبة هذا الحديث إلى النبي - ﷺ تجعل الناس يشكون في صدق النبي ﷺ لوجود التناقض بين ما يقوله وبين ما يحدث ويقع من سنن كونية لا تتغير ، ومن ذلك تعاقب الملوك والقياصرة دوماً ، إذ الواضح أن الحديث يقول : أنه بعد هلاك القياصرة الذين عاصروا ظهور الإسلام سوف لا يخلفهم في الدنيا قياصرة ولا ملوك من نوعهم ، والحاصل الذي يراه الناس الآن ويعيشون فيه هو أن القياصرة الظالمون يتعاقبون ظالم بعد ظالم وكافر بعد كافر ومفسد بعد مفسد (كذا : بالرفع : الظالمون وظالم وكافر ومفسد الأوليات) .

٤ - « هل من المعقول أن يتنبأ النبي بشيء لا يحصل ، فإذا تنبأ مثلاً باستيلاء المسلمين على أموال القياصرة وإنفاقهما في سبيل الله ثم جاء الواقع على النقيض مما نسب إليه أفلا يدل ذلك الواقع على أن الحديث الذي نسب إلى النبي بهذا المعنى حديث باطل في نسبته إليه . »

٥ - أن القياصرة والأكاسرة قد تكاثروا وازداد شرهم مع أنه فهم أن الإسلام قد أنهى عهودهم (١) .

ونقول :

١ - إنه يكذب منذ البداية لأن الحديث - كما رأينا لا يتناول الفراعنة لا من قريب ولا من بعيد ، ويستمر في هذا الكذب عندما يقول : إن الحديث يقول « إنه بعد

(١) الأضواء القرآنية : ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

هلاك القياصرة الذين عاصروا ظهور الإسلام سوف لا يخلفهم قياصرة ولا ملوك من نوعهم » ... هل قال الحديث هذا . اللهم إنه الكذب والافتراء .

٢ - والحديث لم يقل إن القياصرة سيهلكون ، وإنما قال إن قيصر سيهلك ولا يكون بعده قيصر - وبين العلماء أن المراد بقيصر هنا قيصر الشام وكان الأمر كذلك كما بينا فهلك ولم تقم ملكه قائمة بالشام واستولى المسلمون على أرضه .

فالرسول ﷺ عنى قيصر معناها ولم يقل قياصرة حتى نفهم من قوله ما فهمه هذا المنكر .

وما علاقة الحديث الشريف بالآية الكريمة : (وتلك الأيام نداؤها بين الناس) إن الحديث يتنبأ بهلاك كسرى ملك الفرس ، وقيصر ملك الروم بالشام والآية تتحدث عن أن الناس لا يظلون في أيامهم على حالة واحدة ، فمرة يكونون أغنياء ، ومرة يكونون فقراء ومرة يكونون غاليين ، ومرة يكونون مغلوبين إلخ : إن الجهة منفكة كما يقول المناطقة ، فالآية الكريمة تتحدث عن الناس عامة والحديث يتحدث عن حاكمين يستولى المسلمون على دولتيهما ولا تقوم لحكمهم في هاتين الدولتين بعد ذلك قائمة ، وقد كان ذلك وتحقق ، فالحديث في موضوع والآية في موضوع آخر ، ولا يتصور عاقل تناقضهما مع اختلاف موضوعهما .

٢ - والنبى - ﷺ لم يقل شيئاً لم يتحقق ، فلقد هلك كسرى ودالت مع هلاكه دولة الأكاسرة بفارس ، وانتقلت الدولة إلى حكم المسلمين وكذلك الأمر بالشام .

أى شىء فى الحديث إذن لم يتحقق ؟!

إن الفهم الملتوى الذى يستولى على أمثال هذا يجعله يتصور باطلا أن كلمة كسرى وقيصر يقصد بها أى ملك وأى فرعون ، ومن هنا فالملوك موجودون ومن يسلكون سلوك الفراعنة والقياسرة والأكاسرة موجودون ، ولم يهلكوا كما قال الحديث الشريف ، وعلى هذا الأساس الباطل يبنى افتراءاته وأكاذيبه .

هل هذا تصور يصدر من عاقل ؟! وإلا فعلى أى أساس بنى هذا الفهم هل

كلمة قيصر أو كلمة كسرى معناها أى ملك ، بحيث يمكن أن تطلقا على أى ملك أو أى فرعون من فراعنة مصر مثلا ؟

إن مجرد إطلاق كلمة كسرى يدل على هؤلاء الحكام الذين حكموا دولة فارس ، وكان آخرهم من تنبأ الرسول ﷺ بهلاكه وعدم قيام قائمة لملكه بعد ذلك ، وقد حملت كنوزة إلى عمر بن الخطاب وأنفقها في سبيل الله كما سجل التاريخ .

والأمر كذلك بالنسبة لقيصر الشام الذى تنبأ الرسول - ﷺ . بهلاكه واستيلاء المسلمين على دولته بالشام . وقد كان في عصر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أيضا . وعلى هذا لم يتنبأ النبي ﷺ بشيء لم يحدث ، بل قد حدث بشهادة التاريخ .

(٢) قوله « خدعة بفتح المعجمة وبضمها مع سكون المهملة فيهما ، وبضم أوله وفتح ثانية ، ومعنى خدعة بالإسكان أنها تخدع أهلها من وصف الفاعل باسم المصدر ، أو أنها وصف المفعول ، كما يقال : هذا الدرهم ضرب الأمير ، أى مضروبه . وقال الخطابي : معناها أنها مرة واحدة أى إذا خدع مرة واحدة لم تقل عثرته . وقيل الحكمة في الإتيان بالتاء للدلالة على الواحدة ، فإن الخداع إن كان من المسلمين فكأنه حضهم على ذلك ولو مرة واحدة ، وإن كان من الكفار فكأنه حذرهم من مكروهم ، ولو وقع مرة واحدة فلا ينبغي التهاون بهم لما ينشأ عنهم من المفسدة ولو قل .

ومعنى تُخدَع كهُمَزَة ولمزة صيغة المبالغة .

وحكى المنذرى لغة رابعة بالفتح فيهما (خَدَعَة) قال : وهو جمع خادع أى أن أهلها بهذه الصفة .

وحكى بعضهم لغة خامسة ؛ كسر أوله مع الإسكان (خِدْعَة) .

وأصل الخدع إظهار أمر ، وإضمار خلافه .

قال ابن العربى : الخداع في الحرب يقع بالتعريض وبالكمين ونحو ذلك .

قال بعض العلماء : ومعنى الحرب خدعة أى الحرب الجيدة لصاحبها الكاملة في

مقصودها إنما هي المخادعة لا المواجهة ، وذلك لخطر المواجهة ، وحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر .

ما يستفاد من هذا الجزء من الحديث : وفيه التحريض على أخذ الحذر في الحرب والندب إلى خداع الكفار ، وأن من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه . قال النووي : واتفقوا على جواز خداع الكفار في الحرب ، كيفما أمكن ، إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز .

وفي الحديث الإشارة إلى استعمال الرأي في الحرب ، بل الاحتياج إليه أكثر من الشجاعة ، ولهذا وقع الاختصار على ما يشير إليه بهذا الحديث ^(١) .

(١) فتح الباری : ١٥٨/٦ .

٣١ - وقال رسول الله - ﷺ إن الله عز وجل قال : أَعَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ ^(٢) عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ ^(٣) .

● رواه عبد الرزاق (٤١٦/١١) في كتاب الجامع - باب الجنة وصفتها - عن معمر عن همام ، عن أبي هريرة به . (رقم ٢٠٨٧٤) .

ورواه أحمد (٤٦/١٦) ضمن روايته للصحيفة بسندها الواحد . (رقم ٣٠/٨١٢٨) .

ورواه البخاري (١٩٧/٨ - ١٩٨) في (٩٧) كتاب التوحيد - (٣٥) باب قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) عن معاذ بن أسد عن عبد الله (بن المبارك) عن معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه به .

وروى نحوه في (٨٦/٤) (٥٩) كتاب بدء الخلق - (٨) باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة - عن الحميدي عن سفيان عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، وفيه « فاقربوا إن شئتم » : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) .

وروى نحوه في (٢١/٦) (٣٢/٦٥) كتاب التفسير - (١) باب (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) من طريق علي بن عبد الله ، عن سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة . وعن إسحاق بن نصر ، عن أبي أسامة ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة .

وروى نحوه مسلم (٢١٧٤/٤ ، ٢١٧٥) في (٥١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - (في أول الكتاب) من طريق سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة (رقم ٢٨٢٤/٢) . ومن طريق مالك عن أبي الزناد به (٢٨٢٤/٣) .

ومن طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة به (٢٨٢٤/٤) .

ورواه البغوي الفراء (٢٠٦/١٥) في باب صفة الجنة وأهلها ... بسنده للصحيفة . وقال بعد روايته لأحاديث أخرى بالسند نفسه : هذه أحاديث متفق على صحتها . أخرجه من طرق عن أبي هريرة .

(١) ما لا عين رأت ولا أذن سمعت : عين وقعت في سياق النفي فأفاد الاستغراق ، والمعنى : ما رأت العيون كلهن ، لا عين واحدة منهن . والأسلوب من باب قوله تعالى : (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) فيحتمل نفى الرؤية والعين معاً ، أو نفى الرؤية فحسب ؛ أى لا رؤية ولا عين ، أو لا رؤية ، وعلى الأول - أى نفى الرؤية والعين - الغرض نفى العين وإنما ضمت إليه الرؤية لبيان أن انتفاء الموصوف أمر محقق لا نزاع فيه ، وبلغ في تحقيقه إلى أن صار كالشاهد على نفى الصفة وعكسه ، ومثله (ولا أذن سمعت) (١) .

(٢) ولا خطر على قلب بشر : من باب قوله تعالى : (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، أى لا قلب ولا خطور ، أو لا خطور ؛ فعلى الأول ليس لهم قلب يخطر ، فجعل انتفاء الصفة دليلاً على انتفاء الذات ، أى إذا لم تحصل ثمرة القلب وهو الإحطار فلا قلب كقوله تعالى (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع) (٢) (٣) .

(٣) قلب بشر : خص البشر هنا دون القرينتين السابقتين لأنهم الذين ينتفعون بما أعد لهم ، ويهتمون لشأنه بياهم بخلاف الملائكة .

ولكن زاد ابن مسعود في حديثه : « ولا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل » أخرجه ابن أبي حاتم (٤) .

(٤) قال ابن حجر : « ووقع في حديث آخر أن سبب هذا الحديث أن موسى عليه السلام سأل ربه : من أعظم أهل الجنة منزلة ؟ فقال : « غرست كرامتهم بيدي ، وختمت عليها ، فلا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » أخرجه مسلم والترمذي من طريق الشعبي : سمعت المغيرة بن شعبه على المنبر يرفعه إلى النبي - ﷺ :

(١) إرشاد السارى : ٢٩١/٧ .

(٢) سورة « ق » : ٣٧ .

(٣) إرشاد السارى : ٢٩١/٧ .

(٤) فتح البارى : ٥١٦/٨ .

أن موسى سأل ربه . وفيه هذا وفي آخره : قال : ومصدق ذلك في كتاب الله : (فلا تعلم
نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ^(١)) ^(٢) .

★ ★ ★

(١) السجدة : ١٧ .

(٢) فتح الباري : ٥١٦/٨ .

٣٢ - وقال رسول الله - ﷺ : ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ^(١) ،
فَإِنَّمَا هَلَكَ الَّذِينَ قَبْلُكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ
شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ^(٢) ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ^(٣) .

* * *

• رواه عبد الرزاق (٢٢٠/١١) في كتاب الجامع - باب مسألة الناس - عن معمر ، عن همام بن منبه ،
عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ - (رقم ٣٠٣٧٤) وذلك إحالة على حديث نحوه .

ورواه أحمد (٤٦/١٦) بسنده للصحيفة . (رقم ٣١/٨١٢٩) .

ورواه مسلم (١٨٣٠/٤ - ١٨٣١) في (٤٣) كتاب الفضائل - (٣٧) باب توقيه - ﷺ ، وترك إكثار
سؤاله عما لا ضرورة إليه ، أو لا يتعلق به تكليف ، وما لا يقع ، ونحو ذلك . بسنده للصحيفة إحالة على حديث قبله
(رقم ١٣٣٧/١٣١) والحديث الذي أحال عليه رواه من طريق يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن
وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة نحوه (١٣٣٧/١٣٠) .

كما روى (٩٧٥/٢) من طريق يزيد بن هارون ، أخبرنا الربيع بن مسلم القرشي عن محمد بن زياد عن أبي هريرة
قال : خطبنا رسول الله - ﷺ فقال : أيها الناس : قد فرض الله عليكم الحج فحجوا . فقال رجل : أكل عام يا رسول
الله ؟ فسكت ، حتى قالها ثلاثا . فقال رسول الله . ﷺ - : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم . ثم قال : « ذروني
ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما
استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه . (١٥) كتاب الحج - (٧٣) باب فرض الحج مرة في العمر .

وروى نحوه البخاري (١٤٢/٨) في (٩٦) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٢) - باب الاقتداء بسنن
رسول الله - ﷺ - عن إسماعيل ، حدثني مالك عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

ورواه البغوي الفراء (١٩٧/١ - ١٩٩) بسنده للصحيفة ابتداء من أبي بكر محمد بن الحسين القطان عن
أحمد بن يوسف السلمي عن عبد الرزاق به (رقم ٩٨) وعن عبد الرزاق عن معمر به (رقم ٩٩) وقال عقب
الحديث الأول مع حديث آخر بسنده « هذا حديث متفق على صحته » .

* * *

(١) ذروني ما تركتكم : سبق في رواية مسلم السبب في هذا الأمر من رسول
الله - ﷺ . والمراد به - ترك السؤال عن شيء لم يقع خشية أن ينزل به وجوبه أو تحريمه ،

وعن كثرة السؤال لما فيه غالباً من التعت ، وخشية أن تقع الإجابة بأمر يستثقل ، فقد يؤدي لترك الامتثال فتقع المخالفة .

وقال بعض العلماء : معنى ذروني ما تركتكم : لا تكثروا من الاستفصال عن المواضع التي تكون مفيدة لوجه ما ظهر ، ولو كانت صالحة لغيره ، كما أن قوله حجوا ، وإن كان صالحاً للتكرار فينبغي أن يكتفى بما يصدق عليه اللفظ وهو المرة ، فإن الأصل عدم الزيادة ، ولا تكثروا عن التنقيب عن ذلك ؛ لأنه قد يفضي إلى مثل ما وقع لبنى إسرائيل ؛ إذا أمروا أن يذبحوا البقرة ، فلو ذبحوا أى بقرة كانت لامتلوا ، ولكنهم شددوا فشدد عليهم . وبهذا تظهر مناسبة « فإنما هلك من كان قبلكم » (١) .

واستدل به على ألا حكم قبل ورود الشرع ، وأن الأصل في الأشياء عدم الوجوب (٢) .

(٢) « فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » : هذا النهى عام في جميع المناهي ، ويستثنى من ذلك ما يكره المكلف على فعله كشرب الخمر ، وهذا على رأى الجمهور . واستدل به من قال : لا يجوز التداوى بشيء محرم كالخمر ، ولا دفع العطش به ، ولا إساعة لقمة من غص به ؛ والصحيح عند الشافعية جواز الثالث حفظاً للنفس ، فصار كأكل الميتة لمن اضطر ، بخلاف التداوى فإنه ثبت النهى عنه نصاً ، ففى مسلم عن وائل رفعه أنه ليس بدواء ولكنه داء ، ولأبى داود عن أبى الدرداء رفعه : ولا تداؤوا بحرام ، وله عن أم سلمة مرفوعاً : إن الله لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها ، وأما العطش فإنه لا ينقطع بشرها ، ولأنه فى معنى التداوى . والله أعلم (٣) .

(٣) « وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » :

قال النووى : « هذا من قواعد الإسلام المهمة ، ومن جوامع الكلم التى أعطيها -

(١) فتح البارى : ٢٦٠/١٣ - ٢٦١ .

(٢) المصدر السابق : ٢٦١/١٣ .

(٣) المصدر السابق : ٢٦١/١٣ .

ﷺ . ويدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام كالصلاة بأنواعها ، فإذا عجز عن بعض أركانها أو بعض شروطها أتى بالباقي ، وإذا عجز عن بعض أعضاء الوضوء أو الغسل غسل الممكن ، وإذا وجد بعض ما يكفيه من الماء لطهارته أو لغسل النجاسة فعل الممكن ، وإذا وجبت إزالة منكرات أو فطرة من تلزمه نفقتهم أو نحو ذلك وأمكنه البعض فعل الممكن ، وإذا وجد بعض ما يستر عورته أو حفظ بعض الفاتحة أتى بالممكن ، وأشباه هذا غير منحصرة ، وهى مشهورة فى كتب الفقه ، والمقصود التنبيه على أصل ذلك .

« وهذا الحديث موافق لقول الله تعالى : (فاتقوا الله ما استطعتم) ^(١) . وأما قوله تعالى (اتقوا الله حق تقاته) ^(٢) ففيها مذهبان ؛ أحدهما : أنها منسوخة بقوله تعالى : (فاتقوا الله ما استطعتم) . والثانى - وهو الصحيح أو الصواب ، وبه جزم المحققون - أنها ليست منسوخة ؛ بل قوله تعالى : (فاتقوا الله ما استطعتم) مفسرة لها ومبينة للمراد بها . قالوا : (وحق تقاته) هو امتثال أمره واجتناب نهيه ، ولم يأمر سبحانه وتعالى إلا بالمستطاع . قال الله تعالى : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) ^(٣) وقال تعالى : (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) ^(٤) . والله أعلم ^(٥) .

والحكمة فى تقييد الأمر بالاستطاعة وعدم تقييد النهى أن متعلق النهى الكف مطلقاً ، وأى شئ فعل من المنهى عنه وإن قلَّ تحصل به المخالفة ، ومتعلق الأمر حصول الامتثال وهو يحصل بأقل ما يطلق عليه الشئء المأمور به ^(٦) .

واستدل بهذا الحديث - فوق ما تقدم - على أن :

١ - جميع الأشياء على الإباحة حتى يثبت المنع من قبل الشارع .

(١) التغاين : ١٦ .

(٢) آل عمران : ١٠٢ .

(٣) البقرة : ٢٨٦ .

(٤) الحج : ٧٨ .

(٥) شرح مسلم : ٤٨٢/٣ - ٤٨٣ .

(٦) هامش مسلم . ط . دار التحرير : ٩١/٧ .

٢ - النهى عن كثرة المسائل والتعمق في ذلك ؛ قال البغوى في شرح السنة ^(١) : « المسألة وجهان » : أحدهما : ما كان على وجه التبين والتعلم فيما يحتاج إليه من أمر الدين ، فهو جائز مأمور به . قال الله تعالى : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ^(٢) وقال تعالى : (فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) ^(٣) وقد سألت الصحابة رسول الله - ﷺ مسائل ، فأنزل الله سبحانه وتعالى بيانها في كتابه ، كما قال عز وجل : (يسألونك عن الأهل والأهله) ^(٤) (ويسألونك عن المحيض) ^(٥) (يسألونك عن الأنفال) ^(٦) .

« والوجه الآخر » : ما كان على وجه التكلف ، فهو مكروه ، فسكوت صاحب الشرع عن الجواب في مثل هذا زجر وردع للمسائل ، فإذا وقع الجواب كان عقوبة وتغليظاً .

٣ - الاشتغال بالأهم المحتاج إليه عاجلاً عما لا يحتاج إليه في الحال ، فكأنه قال : عليكم بفعل الأوامر واجتناب النواهي فاجعلوا اشتغالكم بها عوضاً عن الاشتغال بالسؤال عما لم يقع ، فينبغي للمسلم أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله ، ثم يجتهد في تفهم ذلك ، والوقوف على المراد به ، ثم يتشاغل بالعمل به ، فإن كان من العمليات يتشاغل بتصديقه واعتقاده حقيقته ، وإن كان من العمليات بذل وسعه في القيام به فعلاً وتركاً ، فإن وجد وقتاً زائداً على ذلك فلا بأس بأن يصرفه في الاشتغال بتعرف حكم ما سيقع على قصد العمل به أن لو وقع ، فأما إن كانت المهمة مصروفة عند سماع الأمر والنهى إلى فرض أمور قد تقع وقد لا تقع مع الإعراض عن القيام بمقتضى ما سمع فإن هذا مما يدخل في النهى ، فالتفقه في الدين إنما يحمّد إذا كان للعمل لا للمرء والجدال ^(٧) .

★ ★ ★

(١) ٣١٠/١ - ٣١١ .

(٢) النحل : ٤٣ .

(٣) يونس : ٩٤ .

(٤) البقرة : ١٨٩ .

(٥) البقرة : ٢٢٢ .

(٦) الأنفال : ١ .

(٧) فتح البارى : ٢٦٣/١٣ - ٢٦٤ . وانظر شرحاً أو في لهذا الحديث في كتاب « جامع العلوم والحكم

لابن رجب : ١ / ١٩٠ - ٢٠٩ .

٣٣ - وقال رسول الله - ﷺ : إذا نُودِيَ للصلاة - صلاة الصبح وأحدكم جنب فلا يصوم يومئذ .

● رواه أحمد (٤٧/١٦) بسنده للصحيفة . (رقم ٨١٣٠/٣٢) .

وذكر الأستاذ أحمد شاكر بعد أن نقل كلام ابن حجر : « أما رواية همام فوصلها أحمد وابن حبان من طريق معمر عنه بلفظ : قال ﷺ : إذا نُودِيَ للصلاة - صلاة الصبح وأحدكم جنب فلا يصم يومئذ - قال : وهو في صحيح ابن حبان ٣٦١/٥ . (من مخطوطة الإحسان) من طريق إبراهيم - هو ابن راهوية - عن عبد الرزاق بهذا الإسناد وقد أفدنا من رواية ابن حبان هذه أن ابن راهوية سمع صحيفة همام من عبد الرزاق ، وأن ابن حبان رواها من طريق ابن راهوية .

وروى ابن ماجه (٥٤٣/١) في (٧) كتاب الصيام - (٢٧) باب ما جاء في الرجل يصبح جنباً وهو يريد الصيام من طريق سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيى بن جعدة عن عبد الله بن عمرو القاري قال : سمعت أبا هريرة يقول : لا ورب الكعبة ما أنا قلت : من أصبح وهو جنب فليفطر ، محمد - ﷺ - قاله . (رقم ١٧٠٢) . قال البوصري في مصباح الزجاجية : (٧٢/٢) هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات ، رواه النسائي في الكبرى عن محمد بن منصور ، عن سفيان بن عيينة .

وحديث ابن عيينة هذا رواه عنه الحميدى بهذا السند (٤٤٣/٢ رقم ١٠١٨) .

وهذا الحديث من مراسيل الصحابة رضوان الله عليهم ؛ فقد ذكر أبو هريرة - رضي الله عنه أنه سمعه من الفضل بن العباس : فقد روى البخارى (٢٣٢٢/٢) في (٣٠) كتاب الصيام - (٢٢) باب الصائم يصبح جنباً - قال : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري قال : أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن أباه عبد الرحمن أخبر مروان أن عائشة وأم سلمة أخبرتا أن رسول الله - ﷺ - كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ، ثم يغتسل ويصوم . وقال مروان لعبد الرحمن بن الحارث : أقسم بالله لتقرعن بها أبا هريرة ، ومروان يومئذ على المدينة ، فقال أبو بكر : فكره ذلك عبد الرحمن ، ثم قدر لنا أن نجتمع بذي الحليفة ، وكانت لأبى هريرة هنالك أرض -

فقال عبد الرحمن لأبي هريرة : إني ذاكر لك أمراً ، ولولا مروان أقسم على فيه لم أذكره لك ، فذكر قول عائشة وأم سلمة . فقال : حدثني الفضل بن عباس ، وهن أعلم . ثم قال البخاري عقب ذلك : وقال همام وابن عبد الله بن عمر عن أبي هريرة : « كان النبي ﷺ يأمر بالفطر » والأول أسند .

ومن هذا يمكننا أن نفهم - فوق ما تقدم - أن أبا هريرة رجع عن قوله الذي كان يفتي به بناء على ما سمعه من الفضل بن العباس رضي الله عنهما بدليل قوله : « هن - أي أزواج النبي - ﷺ - أعلم » . وقد روى عن سعيد بن المسيب أنه قال : رجع أبو هريرة عن فتني من أصبح جنباً أنه لا يصوم ^(١) .

وأن ابن عبد الله بن عمر تابع هماماً في روايته عن أبي هريرة أن الرسول - ﷺ - كان يأمر بالفطر .

ولكن الذي يجدر بنا أن نقف عنده هو عبارة البخاري : « والأول أسند » مرجحاً بها الرواية الأولى التي ذكرها مسندة على الأخرى التي ذكرها معلقة ؛ لأنه - كما رأينا - رواية همام هذه صحيحة ، ولا يقل سندها صحة عن سند البخاري في الحديث الأول ، وهو سند - كما رأينا أيضاً - أخرج به البخاري أحاديث كثيرة : (عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة) .

قال ابن حجر مفسراً عبارة البخاري هذه : « والذي يظهر لي أن مراد البخاري أن الرواية الأولى أقوى إسناداً ، وهي من حيث الرجحان كذلك ؛ لأن حديث عائشة وأم سلمة جاء عنهما من طرق كثيرة جداً بمعنى واحد ، حتى قال ابن عبد البر إنه صح وتواتر . ولا مانع عندنا من أن يكون الترجيح لكثرة الرواة في جانب الأحاديث الأخرى فهذا لا يغض من شأن السند الذي معنا ولا من شأن صحته .

ومن سلك أيضاً مسلك الترجيح للإمام الشافعي ولكن ليس لكثرة الرواة بل لاعتبارات أخرى أهمها أن زوجات الرسول أدري به ^(٢) .

(١) الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار : ص ٢٦٢ .

(٢) تفصيل ذلك في المصدر السابق : ص ٢٦٢ .

ولكن بعض العلماء سلك طريقا آخر غير الترجيح بين الخبرين ، ومن هؤلاء العلماء ابن خزيمة الذى وثق هذا الخبر ، ورد على من توهم أن أبا هريرة غلط فيه ؛ يقول فى صحيحه ^(١) : « جماع أبواب الأفعال المباحة فى الصيام مما قد اختلف العلماء فى إباحتها - (٩١) باب ذكر خبر روى فى الزجر عن الصوم إذا أدرك الجنب الصبح قبل أن يغتسل لم يفهم معناه بعض العلماء ، فأنكر الخبر ، وتوهم أن أبا هريرة - مع جلالته ومكانه من العلم - غلط فى روايته ، والخبر ثابت صحيح من جهة النقل إلا أنه منسوخ لا أن أبا هريرة غلط فى رواية هذا الخبر - قال بعد أن روى مثل حديث البخارى (رقم ٢٠١١) : « أبو هريرة : أحال الخبر على ملء صادق ، بار فى خبره ، إلا أن الخبر منسوخ ، لا أنه وهم أو غلط ^(٢) » ، وذلك أن الله - تبارك وتعالى - عند ابتداء فرض الصوم على أمة محمد ﷺ كان حظر عليهم الأكل والشرب فى ليل الصوم بعد النوم ، كذلك الجماع ، فيشبه أن يكون خبر الفضل بن العباس : « من أصبح وهو جنب فلا يصوم » فى ذلك الوقت قبل أن يبيح الله الجماع إلى طلوع الفجر ، فلما أباح الله تعالى الجماع إلى طلوع الفجر - كان للجنب إذا أصبح قبل أن يغتسل أن يصوم ذلك اليوم ؛ إذ الله عز وجل لما أباح الجماع إلى طلوع الفجر كان العلم محيطا بأن المجامع قبل طلوع الفجر يطرقه فاعلا ما قد أباحه الله له فى نص تنزيله ، ولا سبيل لمن هذا فعله إلى الاغتسال إلا بعد طلوع الفجر ، ولو كان إذا أدركه الصبح قبل أن يغتسل لم يجز له الصوم ، كان الجماع قبل طلوع الفجر بأقل وقت يمكن الاغتسال فيه محظورا غير مباح ، وفى إباحة الله عز وجل الجماع فى جماع الليل بعد ما كان محظورا بعد النوم - بان وثبت أن الجنابة الباقية بعد طلوع الفجر بجماع فى الليل مباح لا يمنع الصوم . فخير عائشة وأم سلمة - رضى الله عنهما فى صوم النبى - ﷺ بعد ما كان يدركه الصبح جنبا ناسخ خبر الفضل بن عباس ؛ لأن هذا الفعل من النبى - ﷺ يشبه أن يكون بعد نزول إباحة الجماع إلى طلوع الفجر . »

(١) ٢٤٩/٣ - ٢٥١ .

(٢) فى صحيح ابن خزيمة « لا غلط » وأظن أن الصواب ما أثبتناه مما يقتضيه السياق .

وعقب ابن حجر على هذا في فتح الباري^(١) بقوله : وهذا أولى من سلوك الترجيح بين الخبرين كما تقدم من قول البخارى : « والأول أسند » .

وقد ذهب أبو سليمان الخطائى إلى هذا ؛ قال : فأحسن ما سمعت فى تأويل ما رواه أبو هريرة فى هذا أن يكون ذلك محمولاً على النسخ ... »^(٢) .

وجمع بعضهم بين الحديثين بأن الأمر فى حديث أبى هريرة أمر إرشاد إلى الأفضل ؛ فإن الأفضل أن يغتسل قبل الفجر ، فلو خالف جاز ، ويحمل حديث عائشة على بيان الجواز ، ونقل النووى هذا عن أصحاب الشافعى .

قال ابن حجر : وفيه نظر ؛ فإن الذى نقله البيهقى وغيره عن نص الشافعى سلوك الترجيح ، وعن ابن المنذر وغيره سلوك النسخ ، ويعكر على حمله على الإرشاد التصريح فى كثير من طرق حديث أبى هريرة بالأمر بالفطر والنهى عن الصيام ، فكيف يصح الحمل المذكور إذا وقع ذلك فى رمضان ؟!

وقيل : هو محمول على من أدركه مجامعاً فاستدام بعد طلوعه عالماً بذلك وقد تعقب ابن حجر ذلك أيضاً فقال : « يعكر عليه ما رواه النسائى من طريق أبى حازم عن عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن عن أبيه : « أن أبا هريرة كان يقول : من احتلم وعلم باحتلامه ولم يغتسل حتى أصبح فلا يصوم » لكن لم يوضح ابن حجر درجة هذا الحديث^(٣) .

ورأى فوق هذا أن أبا هريرة لو كان يقصد استدامة الجماع ما كان الأمر فى حاجة إلى هذه المراجعات والاستدراكات من بعض الصحابة والتابعين كما رأينا فى بعض الروايات السابقة .

(١) ١٤٨/٤ .

(٢) الاعتبار فى النسخ والنسوخ من الآثار : ص ٢٦١ .

(٣) فتح البارى ١٤٨/٤ .

وقيل هو محمول على من علم بجنابته ثم نام حتى يصبح فهو مفطر ، وإن لم يعلم حتى أصبح فهو صائم ، وروى نحو ذلك عن طاوس وعروة بن الزبير ^(١) .

وعلى كل حال فإننى أرى من كل من هذه المحاولات الاعتراف بصحة هذا الحديث وبالثقة - من جانب العلماء فيما يرويه الصحابى الجليل أبو هريرة - رضى الله تعالى عنه وأرضاه .

ومما يقوى هذا الاعتراف أنه قد بقى على مقالة أبى هريرة هذه بعض التابعين - كما نقله الترمذى - وإن كان الخلاف قد ارتفع بعد ذلك واستقر الإجماع على خلاف حديث أبى هريرة هذا ؛ يقول الزركشى : « واعلم أنه وقع خلاف فى ذلك للسلف أيضا ، ثم استقر الإجماع على صحة صومه - كما نقله ابن المنذر ، وكذلك الماوردى فى الاحتلام ، فعن طاوس وعروة النخعى : التفصيل بين أن يعلم فإنه مبطل ، وإلا فلا ^(١) .

وعن الحسن البصرى : الفصل بين صوم التطوع ، الذى هو محرم دون الفرض وقيل : يصوم ويقضيه ، وحكى عن سالم بن عبد الله . وفى معجم الإمام أبى بكر الإسماعيلى قال سفيان : كان إبراهيم النخعى يقول : « من يدركه الصبح وهو جنب يفطر . قال يحيى بن آدم : ثم جعل سفيان يتعجب من قول إبراهيم ، فقال له حفص بن غياث : لعل إبراهيم لم يسمع حديث النبى - ﷺ أنه كان يدركه الصبح وهو جنب - يعنى : ثم يصوم . قال سفيان : بلى ، ثنا حماد عن إبراهيم عن الأسود ، عن عائشة به ^(٢) .

ألا يدل هذا على الإجماع بأن حديث أبى هريرة صحيح ؟

(١) الاعتبار : ص ٢٥٩ .

(٢) الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة : ص ١١٤ .

(٣) المصدر السابق ص ١١٤ .

٣٤ - وقال رسول الله - ﷺ : لله تسعة وتسعون اسماً^(١) ، مائة إلا واحداً^(٢) ، من أحصاها دخل الجنة^(٣) ، إنه وترٌ يحب الوتر^(٤) .

• رواه عبد الرزاق من طريقين معا (٤٤٥/١٠ ، ٤٤٦) في كتاب الجامع - أسماء الله تبارك وتعالى . عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة وعن همام عن أبي هريرة (رقم ١٩٦٥٦) .
ورواه أحمد (٤/١٦) بسنده للصحيفة (رقم ٣٣/٨١٣١) .

وروى نحوه البخاري (١٨٥/٣) في (٥٤) كتاب الشروط - (١٨) باب ما يجوز من الاشتراط والتثني والإقرار .. عن أبي اليمان عن شعيب ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة بدون إنه وتر إلى آخره .
وفي (١٦٩/٧) (٨٠) كتاب الدعوات - (٦٨) باب لله عز وجل مائة اسم غير واحد - عن علي بن عبد الله عن سفيان عن أبي الزناد به . وبالإضافة التي ليست في الرواية الأولى .

وفي (١٦٩/٨) (٩٧) كتاب التوحيد - (١٢) باب إن لله مائة اسم إلا واحدا . رواية أبي اليمان السابقة - وبعده تفسير للكلمة « أحصاها » يقول : أحصيناها : حفظناه .

ورواه مسلم (٢٠٦٢/٤ - ٢٠٦٣) في (٤٨) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - (٢) باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها . بسنده للصحيفة وعلى نحو رواية عبد الرزاق : عن أيوب عن ابن سيرين وعن معمر عن همام . (رقم ٢٦٧٧/٦) .

كما روى نحوه من طريق سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة . وفيه : (من حفظها دخل الجنة) (رقم ٢٦٧٧/٥) .

ورواه البغوي الفراء (٣٠/٥) في باب أسماء الله الحسنى بطريقين له إلى الصحيفة أحدهما : عن أحمد بن منصور الرمادي عن عبد الرزاق به وثانيهما : عن أحمد بن يوسف السلمي عن عبد الرزاق به . ثم قال : هذا حديث متفق على صحته . (رقم ١٢٥٦) .

قال البغوي^(١) : « اشتقاق الاسم قيل من الوسم ، والسمّة هي العلامة فالأسماء

سِمَاتٌ وعلاماتٌ للمسمَّيات يُعرف بها الشيء من غيره ، وأكثر النحويين على أن اشتقاقه من السُّمِّ والعُلُو ، فكأنه علا على معناه وظهر عليه ، وصار معناه تحته ، وهذا أصح ، بدليل أنك إذا صَغَّرْتَه قلت : سُمِّي ، ولو كان من السِّمَةِ لكان يصغر على الوُسْمِ . كما يقال في الوَعْد والعِدَّة : وعيد . وتقول في تصريفه : سميت ، ولو كان من الوُسْمِ لقلت : وَسَمْتُ وإذا جمعته قلت : « أسماء » ترد إليها لام الفعل .

وقيل أسماء الله : أوصافه . وأوصافه مدائح له لا يمدح بها غيره .

ونقل الإمام النووي عن أبي القاسم القشيري أنه قال : فيه دليل على أن الاسم هو المسمى إذ لو كان غيره لكانت الأسماء لغيره لقوله تعالى (والله الأسماء الحسنى) (١) . وقال الخطابي وغيره : وفيه دليل على أن أشهر أسمائه سبحانه وتعالى : (الله) لإضافة هذه الأسماء إليه ، وقد روى : أن الله هو اسمه الأعظم . قال أبو القاسم الطبري : وإليه ينسب كل اسم له ، فيقال : الرؤوف والكريم من أسماء الله تعالى ، ولا يقال : من أسماء الرؤوف أو الكريم الله (٢) .

(٢) اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه - سبحانه وتعالى - فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين ، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة ، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء ، ولهذا جاء في الحديث الآخر : (أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك) ، وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم أنه قال : لله تعالى ألف اسم . قال ابن العربي : وهذا قليل فيها . والله أعلم (٣) .

ويحسن بنا أن نتعرف على الأسماء التسعة والتسعين ، ثم على غيرها مما ورد في الكتاب أو السنة .

(١) الأعراف : ١٨٠ .

(٢) شرح مسلم : ٥٣٥/٥ - ٥٣٦ .

(٣) المصدر السابق : ٥٣٦/٥ .

وقد روى الترمذى حديثاً فيه أسماء الله عز وجل التسعة والتسعون قال (١) : حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، حدثني صفوان بن صالح ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا شعيب بن أبي حمزة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة . هو الله الذى لا إله إلا هو : الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، الباري ، المصور ، العفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكيم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المغيث ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصى ، المبدئ ، المعيد ، المهي ، الممي ، الحى ، القيوم ، الواحد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنى ، المعنى ، المانع ، الضار ، النافع ، الثور ، الهادى ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور .

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ، حدثنا به غير واحد ، عن صفوان بن صالح ، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث .

وقال الحافظ فى الفتح (٢) لم ينفرد به صفوان ، فقد أخرجه البيهقى من طريق موسى بن أيوب النصيبى ، وهو ثقة ، عن الوليد أيضاً .

(١) صحيح الترمذى : (٥٣٠/٥ - ٥٣٢) (٤٩) كتاب الدعوات - (٨٣) باب - رقم الحديث

وقد رواه ابن حبان في صحيحه من طريق صفوان في « ذكر تفضيل الأسماء التي يدخل محصيا الجنة » ^(١) .

ورواه الحاكم في المستدرک ^(٢) من طريق موسى بن أيوب النصيبى وصفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب به ثم قال : « هذا حديث قد خرجاه في الصحيحين بأسانيد صحيحة ، دون ذكر الأسماء فيه ، والعلة فيه عندهما أن الوليد بن مسلم تفرد بسياقته بطوله ، وذكر الأسماء فيه ولم يذكرها غيره ، وليس هذا بعله ، فإني لا أعلم اختلافا بين أئمة الحديث أن الوليد بن مسلم أوثق وأحفظ وأعلم وأجل من أبى الإيمان وبشر بن شعيب وعلى بن عياش وأقرانهم من أصحاب شعيب » ووافقه الذهبي .
وعلى هذا فلا دليل لقول من يقول : إنه يحتمل أن يكون ذلك عن غير الرسول ﷺ ^(٣) .

معنى الأسماء :

وقد ذكر البيهقي في شعب الإيمان وابن العري في عارضه الأحوذى شرحا لهذه الأسماء المقدسة ويحسن بنا تقديم شرح منهما إسهاماً في شرح هذا الحديث الشريف :

١ - الله : في تفسيره عشرون قولاً : أحدها : أنه الذي لا يُخرج من العدم إلى الوجود شيئاً إلا هو . الثاني : وهو المختار : أنه اسم لمن لا يصح أن يشترك أحد معه فيه لفظاً ولا معنى ، وبذلك كان اسم الله الأعظم ... وفي حديث ذكره أبو عيسى وغيره أن اسم الله الأعظم لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام ، ولم يصح . وقوله (لا إله إلا) تأكيد لقولك : « الله » ، وليس فيه معنى زائد على ما في

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان : ١٢٤/٢ - ١٢٥ رقم ٧٩٦ .

(٢) ١٦/١ .

(٣) عارضة الأحوذى : ٣٤/١٠ .

(٤) المصدر السابق : ٣٤/١٠ - ٤٣ . والجامع لشعب الإيمان ٦٠/١ - ٦٨ .

قولك « الله » إلا على معنى التصريح بأحد معاني قولك : « الله » ، وهو نفى الشريك ، وبذلك كان الله قولاً وحقيقة .

٢ ، ٣ - الرحمن الرحيم : أنه الذى يريد الخير لعباده ؛ الرحمن المريد لرزق كل حى فى دار البلوى ، الرحيم : المريد لإنعام أهل الجنة .

٤ - الملك : هو الذى يتصرف فى ملكه كما يريد من غير حرج ولا منع . وقيل معناه : يؤتى ويعزل ، ولا يتوجه عليه العزل والسلب .

٥ - القدوس : هو الذى لا تجوز عليه آفة . البرىء من المعاييب والشركاء والأنداد والأضداد ، والكمال فى كل وصف يختص به ، وتطهير غيره من العيوب إليه .

٦ - السلام : هو الذى سلم من كل مكروه ، والهداية والإيمان إليه والتصديق والتكذيب به ، والقول قوله لا خلافه عليه ، وتعذر المنازعة له .

٧ - المؤمن : مصدق سبحانه وتعالى لنفسه ؛ عالم بأنه صادق فى وعده ووعدته يؤمن عباده .

٨ - المهيمن : الشهيد لنفسه بالوحدانية ، وعلى خلقه بما أخبر عنهم ، وبما علم منهم . وهو من أسامى الكمال ؛ ويدخل فيه الشهادة والحفظ والعطاء والمنع والاختصاص به عن الغير .

٩ - العزيز : الذى لا يغالب ، ولا ينال بالأوهام ولا بالأفعال . ولا يرام ولا يخالف فى المراد ، ولا يخوف بالتهديد ، ولا يحط عن المنزلة ، ولا يوجد له مثل وأنه لا يجد بحد .

١٠ - الجبار : هو الذى علا فقهر ، لا يتمنى ما لا يكون ، ولا يناقش فى الفعل ولا يطالب بالعلة ، ولا يُحجر عليه فى مقدور .

١١ - المتكبر : الذى انفرد بالكبرياء ، وهى العظمة فى المقدار لا فى الذات وهو معنى الكبير .

وقال بعضهم : قولنا : (الله أكبر) ليس معناه أنه أكبر من غيره ، بل كل ما سواه من أنوار قدرته ، فليس معه معية ، وإنما هو في رتبة التبعية ، وإنما معناه أنه أكبر من أن ينال بالحواس ، قال ابن العربي : هذا بعينه هو وجه التفضيل ، فإن المخلوقات تنال بالحواس فبذلك صار أكبر منها ؛ لأنه لا ينال بحاسة ، ولا يدرك بالوهم والتخيل .

١٢ - الخالق : هو المخرج من العدم إلى الوجود جميع المخلوقات المقدر لها على صفاتها . ويختص باختراع الشيء .

١٣ - الباري : هو خالق الناس من البرا وهو التراب ، أو هو المختص باختراع الشيء على الحُسْنِ .

١٤ - المصور : هو خالق الصور المختلفة ؛ أى المختص بأنواع التركيب .

١٥ - الغفار : هو المريد لإزالة العقوبة بعد الاستحقاق .

١٦ - القهار : هو أخذ الخلق قهرا بما شاء من أمره لا يستطيعون العدول عنه .

١٧ - الوهاب : هو الذى يعطى من غير عوض ، وليست الهبة الحقيقية إلا لله ، وسواه يهب على التعويض من الموهوب له ، أو من سواه .

١٨ - الرزاق : هو الذى يعطى الخلق ما يسد خلتهم من كل وجه فى دين أو دنيا .

١٩ - الفتاح : هو الذى يعدم الإغلاق ، وهو كل معنى يمنع من غيره .

٢٠ - العليم : هو الذى لم يخف عليه شيء مما خلق ومما لم يخلق ، علم نفسه وغيره من معدوم وموجود على العموم والشمول .

٢١ - القابض : هو الذى يمنع من الاسترسال ، ويوقف المعانى كلها حيث شاء .

٢٢ - الباسط : هو الذى يرسل المعانى وغيرها فتكثر وتنتشر .

٢٣ ، ٢٤ - **الخافض الرافع** : « هما من صفات فعله يرفع من يشاء بإنعامه ، ويخفض من يشاء بانتقامه ، وعلى هذا يحمل تصريفه لعباده في حالتي عزهم وذلمهم وغناهم وفقيرهم ، وكذا رفع الحق وحزبه ، وخفض الباطل وصحبته ، ورفع الدين وشعاره ، وخفض الكفر وآثاره ، ورفع التوحيد ودليله ، وخفض الإلحاد وسبيله ، ورفع الإسلام وأنواره ، وخفض الأصنام ومن رضى تعظيمها واختاره ، ورفع القلوب بتقريبه ، وخفض النفوس بحكم تعذيبه ، ورفع أوليائه بحفظ عهده وحسن وده وجميل رفته ، وصدق وعده ، وخفض الأعداء بصدده ورده ، وطرده وبعده . ورفع من اتبع رضاه ، وخفض من اتبع هواه ، وقيل من رضى بدون قدره ، رفعه الله فوق غايته » (١) .

٢٥ ، ٢٦ - **المعز المذل** : العزة لله سبحانه ذاتا وفعلًا ، فما وهب منها لأحد كان عزيزا بها على قدر ما يهبه منها ، وما لم يخلق له منها عزة كان ذليلا وهو الكافر ، فإن خلق له بعضها وزوى عنه بعضها كان من جهة ما خلق له منها عزيزا ، وكان بما زوى عنه منها ذليلا ، وكذلك ما يعطى من عزة الدنيا وما يحرم . وإذا حققت فليس في الدنيا عزيز ؛ لأن الدنيا كلها حاجة ، والحاجة إلى الغير ذلة ، والاستغناء عن الغير هو الغنى والعزة والغنى بالحقيقة العزيز بذلك هو الله سبحانه .

٢٧ - **السميع** : وهو الذى يعلم الأصوات عادة ويعلم كل موجود حقيقة فإن السمع يتعلق بكل موجود جوازا وتحقيقا ، لكن البارئ أجرى العادة بأنه متعلق بالأصوات خاصة .

٢٨ - **البصير** : هو الذى يرى ، وتعلق الرؤية كتعلق السمع كفة كفة يتعلق بالألوان عادة وبكل موجود حقيقة .

٢٩ - **الحكم** : هو الحاكم ، وحكمه خبره عن الشيء على وصف فيكون ذلك من صفات ذاته ، ويكون حكمه أيضاً بين عباده بشيء ، وهو أن يخلق ذلك الشيء على الوجه الذى يريد ، ويعلم دقائق الأوصاف .

(١) شرح أسماء الله الحسنى : ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

٣٠ - العدل : من صفات الذات على أن له أن يفعل في ملكه ما يريد فيشير إلى استحقاقه لصفات العلو ؛ لأن حقيقة العدل أن يكون الفعل صواباً^(١) . ولا يقبح منه ما يفعل .

٣١ - اللطيف : هو الذى خفى بذاته ، وظهر بأدلته ، فيعود إلى الباطن ، أو يكون الملقب بعباده في رفق بهم ، وإحسانه إليهم ، فيكون من صفات الفعل ويختص بدقائق الأفعال .

٣٢ - الخبير : هو العليم بباطن الأشياء وما غاب منها عن علم الخلق وما يكون قبل أن يكون .

٣٣ - الحليم : هو المريد لتأخير العقوبة عن الخلق ، فيكون من صفات الذات ، ويؤخرها فيعود إلى الفعل .

٣٤ - العظيم : هو الذى زاد قدره على غيره جلالاته في الذات والفعل .

٣٥ ، ٣٦ - الغفور الشكور : هو الذى أثنى على عباده بفعلهم وستر ذنوبهم .

٣٧ - العلى : وهو الذى يجاوز الأوهام والخواطر ، ولم ينل بالحواس .

٣٨ - الكبير : هو الذى لا يقع عليه المقدار والتقدير ، ولا يُرَدُّ عليه في التدبير ، ولا يخالف في الأمور .

٣٩ - الحفيظ : هو الذى يعلم ما خلق وكتبه ودبره على ما جاء فلم يَعْده .

٤٠ - المقيت : هو القادر فيكون كالمقتدر والقدير وكالقوى والمتين وذلك كله يرجع إلى عظم القدرة في ذاتها لجلالاتها وفي متعلقاتها ، أو هو المختص بالأشياء يشغله فعل بلية عن بلية .

(١) هذا وما قبله من شرح أسماء الله الحسنى : ص ٢٢٢ .

٤١ - الحسيب : وهو الذى أحصى عدد الأشياء علما . ولا يشغله شأن عن شأن .

٤٢ - الجليل : وهو الذى عجز الخلق عن إدراكه حساً ، ويَجِلُّ عن أن يجوز عليه ما دل عليه الحدوث ، ويجب الانقياد له ولا يَجِلُّ إلا من رفعه .

٤٣ - الكريم : وهو كريم الذات لا مثل له ، كريم الأفعال ؛ إذ لا فضل إلا منه .

٤٤ - الرقيب : وهو الذى يراعى العباد على الدوام بعلمه الذى لا يعزب عنه شئ ، ويرجع إلى العالم .

٤٥ - المجيب : قال جل ذكره : (أجيب دعوة الداع إذا دعان) ، ومعنى المجيب فى وصفه أن يجيب دعوة الداعين ويكشف ضرورة المتوسلين . ويختص بالنيل عند المسألة .

٤٦ - الواسع : هو الكثير العلم الكثير العطاء . لا تتعذر عليه عطية .

٤٧ - الحكيم : يكون محكم الأشياء بعلمه ، ومانع الباطل والفساد بقدرته وخالقها إذا شاء بتدبيره .

٤٨ - الدود : هو الحب ، وهو يريد الخير لأولياته ، المرید للإحسان إلى أهل الولاية .

٤٩ - المجيد : هو الذى عظم قدره ، يقوله العرب فيمن زادت مفاخره على غيره فى أصله وفعله : فلا يساوى فيما له من أوصاف الكمال ، والمنفرد بالكبرياء والعزة .

٥٠ - الباعث : للرسول وللخلق ، وهو المُظهِر لهم بعد العدم .

٥١ - الشهيد : بقوله (فاعلم أنه) كذا وكذا فهو الحاضر بعلمه لكل معنى ويختص بأن يعلم الغائب والحاضر ، ومعناه أنه لا يغيب عنه شئ .

٥٢ - الحق : هو الموجود الذى لا يدركه عدم . وما لم يكن بأمره من خلقه لا يحمد وصفه .

- ٥٣ - **الوكيل** : هو القائم بتدبير الخلق وكفالتهم . والمتولى لأفعال عباده يصرفهم على ما يريد ويتولى أسبابهم على ما يختاره .
- ٥٤ - **القوى** : القادر على ما يريد إنشاء .
- ٥٥ - **المتين** : هو سبحانه على ما يشاء قدير ، لا يخرج عن قدرته مقدور ، كما لا ينفك عن حكمته مفطور .
- ٥٦ - **الولى** : هو الناصر ويختص بحفظ أهل الولاية .
- ٥٧ - **الحميد** : المستحق للمدح والكمال .
- ٥٨ - **المحصى** : هو المحيط علمه بكل معنى ، ولا يحاط به أبداً ، ولا بشئ من علمه إلا بما شاء . فلا يشغله الكثير عن العلم ، وذلك مثل ضوء النهار واشتداد الريح ، وتساقط الأوراق ، فيعلم عند ذلك عدد أجزاء الحركات فى كل ورقة وكيف لا يعلم وهو الذى خلقها ؟ (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (١) .
- ٥٩ ، ٦٠ - **المبدئ المعيد** : فأما المبدئ فهو الذى يخلق عن عدم ما لم يسبق إليه ، والمعيد هو الذى إذا عدم الشئ أوجده بعد ذلك بعينه ، ومن قال مثله لا هو بعينه فقد كفر .
- ٦١ ، ٦٢ - **المحيى المميت** : يختص بخلق الحياة ، ويختص بخلق الموت .
- ٦٣ - **الحى** : هو الذى توجد بذاته الصفات الكاملة ، وتنفى عنه الآفات العارضة ، وتظهر منه الأفعال المحكمة .
- ٦٤ - **القيوم** : هو القائم بأمر الخلق كلهم ، تكثير القائم . ويختص بإدامة الخلق الأوصاف .
- ٦٥ ، ٦٦ - **الواجد** : يختص بوجود ما يريد .
- الماجد** : الارتفاع والعلو على المبالغة ، والتقريب على حسب المشيئة والاختصاص بالولاية والتولية .

(١) المُلْك : ١٤ .

٦٧ - الواحد : هو الذى لا شريك له ولا نظير ، ولا يجوز عليه التبعض ولا يجوز عليه التشبيه .

٦٨ - الصمد : هو الذى يقصد فى الطلبات ، والكون والأحوال منه تطلب .

٦٩ - القادر : إثبات القدرة له جل شأنه .

٧٠ - المقتدر : الذى لا يرد شئ عن المراد .

٧١ ، ٧٢ - المقدم المؤخر : يعنى ترتيب الوجود مخلوقا بعد مخلوق أو مخلوقا أكثر من مخلوق - أى يقدم ما يريد من الخلق ويؤخر ما يريد .

٧٣ - الأول : هو الذى لم يسبقه شئ ، ولا وجد من عدم ، وهو لم يزل ، ولا يكافأ على النعمة والبلية .

٧٤ - الآخر : الدائم فيستحيل عليه العدم ، والفناء .

٧٥ - الظاهر : الذى يصح إدراكه بالأدلة على القطع واليقين .

٧٦ - الباطن : ومعناه أنه لا يدرك باللمس والشم والذوق ، وأنه يقف على الخفيات .

٧٧ - الوالى : هو الذى قربت الأمور والمقادير إليه على الاختصاص . ومنه الوالى وهو الذى عُيِّن للأمور دون غيره .

٧٨ - المتعال : أنه تعالى عن الزوال بالذات والصفات ، كما تعالى عن الحاجة .

٧٩ - البر : المرید اعزاز أهل الولاية ، وخالق البر لعباده المؤمنين .

٨٠ - التواب : وهو رازق التوبة لعباده ، وميسرها لهم بحق الإنابة فى قلوبهم إليه .

٨١ - المنتقم : المجازى على الذنب .

٨٢ - العفو : الذى يمحو الذنب بترك العقوبة عليه ، والمرید لتسهيل الأمور على أهل المعرفة .

٨٣ - الرعوف : المرید الخیر للعبد والنفع بالعبد ^(١) ، وهو الذی أخفی رحمته بحکمته لیرهب العبد جلاله ، وأظهرها بحنانه ورأفته لیزوق العبد عوائد کرمه فلا یأس ، ویقوی علی مغالبة آلامه ، وهو أشفق علی الولد من أمه وأبيه .

٨٤ - مالک الملک : یختص بالتبديل والتصریف .

٨٥ - ذو الجلال والإکرام : صاحب الصفات التي بينهاها فی الجلیل والکریم .

٨٦ - المقسط : المنصف الحکیم ، لا یخطئ الحق ولا یحیف ، وهو الحکم الأعلى لجميع المخلوقات .

٨٧ - الجامع : الذی جمع صفات الکمال ، وألف بین قلوب أحبائه ، وهو الذی یجمع الخلق لیوم لا ربب فیهِ ویجمع من شاء بما شاء .

٨٨ ، ٨٩ - الغنی المغنی : الغنی یرجع إلى القدوس ، وهو المنزه عن الحاجة ، والمغنی الذی یرفع حاجة الخلق ویغنی مفاقرهم .

٩٠ - المانع : یمنع البلاء عن أولیائه ، ویمنع العطاء عن یشاء من أولیائه وأعدائه فإذا منع البلاء عن أولیائه کان ذلك لطفًا جمیلًا ، وإذا منع العطاء عن أولیائه کان ذلك أيضًا فضلًا جزیلًا ، وإذا لم یمنع الخیر عن أعدائه کان ذلك فی الحال احتجاجًا علیهم واستدراجًا ، وإذا منعهم الخیر فی الآخرة کان عقوبة وإذلالًا .

٩١ ، ٩٢ - الضار النافع : فی معناهما إشارة إلى التوحید ، وهو أنه لا یحدث شیء فی ملكه إلا بإیجاده وحکمه وقضائه وإرادته ومشیئته وتکوینه ؛ قال سبحانه (قل لن یصینا إلا ما کتب الله لنا) ثم أخبر عن بیانه فقال : (هو مولانا) لیعلم العالمون أن له أن یتصرف فی ملكه بموجب إرادته فلا یلحق أحدًا خیرٌ ، ولا نفع ولا ضرر ولا شر ولا سرور ولا حزن إلا من قِبَلِهِ جل جلاله فإن تک نعمة فهو النافع والدافع ، وإن تک محنة فهو الضار القامع الحابس المانع .

(١) هامش شرح أسماء الله الحسنی : ص ٣٧٥ .

وقيل **الضار النافع** : وهو الذى يضر الأعداء وينفع الأحياء ، ولا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه ، ولا مؤثر فى جميع العوالم الجسمانية والروحانية إلا هو حسبما يريد ، ووفق ما اقتضته الحكمة (١) .

٩٣ - **النور** : أى المعطى النور . ولما كان النور من جهته سمي به ومن معانيه أيضا أنه لا يخفى على أوليائه بالدليل ، ويظهر لكل ذى لب بالعقل .

٩٤ - **الهادى** : العالم بمراشد الخلق والموفق لها .

٩٥ - **البديع** : الخالق للشيء من غير مثال سبق ، ويختص باستحالة المشاركة له فى الخلق .

٩٦ - **الباقى** : أى الذى يدوم وجوده من غير انتهاء .

٩٧ - **الوارث** : لما بقى بعد الخلق سمي وارثا . فهو الذى يبقى بعد فناء خلقه .

٩٨ - **الرشيد** : المرشد وهو المُعَلِّم بالطاعة والمختص بإصابة المقصود .

٩٩ - **الصبور** : وهو يسقط العقوبة بعد وجوبها وقد ينطلق على من يؤخرها .

هذا ومما ورد من الأسماء غير ذلك مما جاء فى الكتاب والسنة : الرب والمولى ، والنصير ، والفاطر ، والمحيط ، والجميل ، والصادق ، والقديم ، والوتر ، والحنان ، والمتنان ، والشافى ، والكفيل ، وذو الطول ، وذو الفضل ، وذو العرش ، وذو المعارج ، والسيد .

(٣) **من أحصاها دخل الجنة** : قيل معناه : أحصى من أسماء الله تسعا وتسعين دخل الجنة سواء أحصى مما جاء فى حديث الوليد بن مسلم ، أو من سائر ما دل عليه الكتاب أو السنة . ذكر ذلك البيهقى (٢) .

وقد تقدم فى التخرىج أن البخارى فسر كلمة أحصاها بـ يحفظها ، وهذا ما جاء فى بعض روايات الحديث ، كما تقدم عند مسلم .

(١) شرح أسماء الله الحسنى : ص ٣٩٠ .

(٢) شرح السنة ٣٥/٥ .

وقيل أحصاها عددا في الدعاء بها . وقيل أطاقتها ، أى أحسن المراعاة لها ، والمحافظة على ما تقتضيه ، وصدّق بمعانيها ، قال تعالى : (علم أن لن تحصوه) ^(١) أى تطيقوه .

يقول : من أطاق القيام بحق هذه الأسماء ، والعمل بمقتضاها ، كأنه إذا قال الرزاق : وثق بالرزق ، وإذا قال : الضار النافع علم أن الخير والشر منه ، وعلى هذا سائر الأسماء .

وقيل : معناها : العمل بها والطاعة بكل اسمها ^(٢) .

قال النووي « والصحيح الأول » أى تفسير الاحصاء بمعنى الحفظ .

أقول : لا مانع من أن يكون المراد بها هذه المعاني كلها .

(٤) إنه وتر يحب الوتر : الوتر الفرد ، ومعناه فى حق الله تعالى الواحد الذى لا شريك له ولا نظير ، ومعنى يحب الوتر : تفضيل الوتر فى الأعمال وكثير من الطاعات .

★ ★ ★

(١) المزمّل : ٢٠ .

(٢) شرح مسلم للنووى ٥٣٦/٥ وشرح السنة ٣١/٥ .

٣٥ - وقال رسول الله - ﷺ : إذا نظر أحدكم إلى من هو فضّل عليه في المال والخلق ^(١) فليُنظر إلى من هو أسفل منه ممن فضّل عليه ^(٢) .

• رواه أحمد (٤٩/١٦) ضمن روايته للصحيفة (رقم ٣٤/٨١٣٢) .

ورواه مسلم (٢٢٧٥/٤) في (٥٣) - كتاب الزهد والرقائق - بطريق الصحيفة ؛ عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به ... ، وذلك إحالة على حديث رواه قبله من طريق المغيرة بن عبد الرحمن الحزامي ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج به (رقم ٢٩٦٣/٨) .

وقد ذكر الشيخ أحمد شاكر رحمه الله سهواً : أن الشيخين لم يرويا هذا الحديث من طريق الصحيفة (هامش المسند ٤٩/١٦) فقد رأينا أن مسلماً رواه من طريقها ، وكذلك ذكر البغوي الفراء في شرح السنة (٢٩٢/١٤) حيث قال بعد روايته الحديث : « وأخرجه مسلم عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق » .

وروى البخاري (١٨٧/٧) في (٨١) كتاب الرقاق - (٣٠) باب لينظر إلى من هو أسفل منه ، ولا ينظر إلى من هو فوقه - عن إسماعيل ، عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة نحوه .

ورواه البغوي (٢٩٢/١٤) في باب النظر إلى من هو أسفل منه - بسنده للصحيفة (رقم ٤٠٩٩) وقال : هذا حديث متفق على صحته .

(١) في الطبعة السابقة للصحيفة ضبطت بضم الخاء واللام . وما ضبطناها به هو الصحيح بدليل رواية سفيان بن عيينة عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والجسم فليُنظر إلى من دونه في المال والجسم رواه البغوي وقال : متفق على صحته ، ^(١) وهكذا فسرها به بعض العلماء فقال : « في المال والخلق » أي في الصورة أو الخدم والحشم ^(٢) .

(١) شرح السنة : ٢٩٢/١٤ .

(٢) هامش مسلم ط : دار تحرير ٢١٢/٨ .

(٢) والسبب في هذا التوجيه النبوي الكريم وصحته ما جاء في بعض الأحاديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه : « انظروا إلى من هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم قال البغوي هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (١) .

ولعل مما يسهم في شرح الحديث قول عون بن عبد الله : صحبت الأغنياء فلم أر أحداً أكبرهم مني ؛ أرى دابة خيراً من دابتي ، وثوباً خيراً من ثوبي ، وصحبت الفقراء فاسترحت (٢) .

وحاصل المعنى : أنه إذا رأى أحداً من هو أكثر منه حشمة ومالا ولباساً وجمالاً ، استصغر ما عنده وحرص على ازدياده وطلبت نفسه مثله ولم يعرف أن له في الآخرة وبالا ، فلينظر إلى من هو دونه في ذلك ، فيشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه وفضله به على غيره ، ويتواضع ، ويفعل الخير (٣) .

والحق أن هذا الحديث جامع لمعاني الخير ؛ لأن المرء لا يكون بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهداً فيها إلا وجد من هو فوقه ، فمن طلبت نفسه اللحاق به استقصر حاله ، فيكون أبداً في زيادة تقربه من ربه ، ولا يكون على حال خسيصة من الدنيا إلا وجد من أهلها من هو أحسن حالاً منه ، فإذا تفكر في ذلك علم أن نعمة الله تعالى وصلت إليه دون كثير ممن فضل عليه بذلك من غير أمر أوجب فيلزم نفسه الشكر ، فيعظم اغتباطه بذلك في معاده .

وقد جاء في نسخة عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده رفعه قال : « خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكراً صابراً ؛ من نظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه ، ومن نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به » (٤) .

(١) شرح السنة ٢٩٣/١٤ .

(٢) شرح السنة : ٢٩٥/١٤ .

(٣) هامش مسلم ط : دار التحرير ٢١٣/٨ . وط : الحلبي ٢٢٧٥/٤ .

(٤) فتح الباري : ٣٢٣/١١ .

وأما من نظر إلى من هو فوقه في أمور الدنيا لم يأمن أن يؤثر ذلك فيه حسداً
ويأسف على ما فاتته ودواؤه في هذه الحالة أن ينظر إلى من هو أقل^(١) .

(١) إرشاد الساري ٢٨٠/٩ .

٣٦ - وقال رسول الله - ﷺ : طهور إناء أحدكم إذا ولغ الكلب فيه فليغسله سبع مرات (١) .

• رواه عبد الرزاق (٩٦/١) في باب الكلب يلغ في الإناء - عن معمر عن همام به ولفظه : « طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات (رقم ٣٢٩) .

ورواه أحمد (٤٩/١٦) ضمن روايته للصحيحة . (رقم ٣٥/٨١٣٣) .

ورواه مسلم (٢٣٤/١) في (٢) كتاب الطهارة - (٢٧) باب حكم ولوغ الكلب . بسنده للصحيحة . (رقم ٢٧٩/٩٢) .

كما روى من طريق الأعمش عن أنى رزين ، وأنى صالح ، عن أنى هريزة نحوه ، وفي رواية زيادة : « فليقه » (٢٧٩/٨٩) .

كما روى نحوه من طريق مالك ، عن أنى الزناد ، عن الأعرج ، عن أنى هريزة (٢٧٩/٩٠) .

ومن طريق هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أنى هريزة (٢٧٩/٩١) وفيه « أولاهن بالتراب » .

وروى من طريق شعبة عن أنى التياح عن مطرف بن عبد الله بن مغفل مثله ، وفيه : « وعفروه الثامنة في التراب » (٢٨٠/٩٣ ص ٢٣٥) .

ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٢٤٠/١) في كتاب الطهارة - باب غسل الإناء من ولوغ الكلب سبع مرات - بسند الصحيحة ابتداء من أنى بكر محمد بن الحسين القطان عن أحمد بن يوسف السلمى عن عبد الرزاق به .

وكل من روى هذا الحديث بسند الصحيحة يختلف عنها في العبارة الأخيرة ، فعندهم « أن يغسله سبع مرات » ويعلق الأستاذ أحمد شاكر على هذا بقوله : « وقوله [رواية أحمد] أن يغسله سبع مرات » هذا هو الثابت في أصول المسند وجامع المسانيد وصحيح مسلم . وهو الصحيح المناسب لسياق الكلام ، ووقع في الصحيفة المفردة بدله « فليغسله سبع مرات » وهذا عندي خطأ من ناسخ أو طابع مخالفته سائر روايات الصحيفة ، ولأنه لا يناسب سياق الكلام ، كما هو ظاهر « (هامش المسند ٥٠/١٦) .

وهذا هو أغلب الظن عندي ، وخاصة أن رواية عبد الرزاق نفسه في المصنف تخالف ما في الصحيفة هنا ولذلك ذكرناها ، وهذا يقوى ما ذهب إليه الشيخ أحمد شاكر ؛ لأنه لم يقارن بمصنف عبد الرزاق .

(١) عرض ابن عبد البر في كتابه الاستدكار لموقف الفقهاء من هذا الحديث وينبغي عرض ذلك ؛ لأن له صلة قوية بتوثيق هذا الحديث قال : « ومن كان يفتى بغسل الإناء سبعا من ولوغ الكلب بدون شيء من التراب من السلف والصحابة والتابعين ابن عباس وأبو هريرة : وعروة بن الزبير ومحمد بن سيرين وطاوس وعمر بن دينار .

» وأما الفقهاء أئمة الأمصار ، فاختلفوا في معنى هذا الحديث اختلافاً كثيراً ؛ فجعله مذهب مالك عند أصحابه اليوم أن الكلب طاهر ، وأن الإناء يغسل منه سبعا عبادة ، ولا يهرق شيء مما ولغ فيه غير الماء وحده ؛ ليسارة مؤنته ، وأن من توضأ به إذا لم يجد غيره أجزأه ، وأنه لا يجوز التيمم لمن كان معه ماء ولغ فيه ، وأنه لم يدر ما حقيقة هذا الحديث ؛ واحتج بأن يؤكل صيده ، فكيف يكره لعبه ؟ وقال مع هذا كله : لا خير فيما ولغ فيه كلب ، ولا يتوضأ به أحب إلى . هذا كله ما روى ابن القاسم عنه .

» وقد روى عنه ابن وهب أنه لا يتوضأ بماء ولغ فيه كلب ؛ ضارياً كان الكلب أو غير ضارٍ ، ويغسل منه الإناء سبعا ، وقد كان مالك في أول أمره يفرق بين كلب البادية وغيره في ذلك . ثم رجع إلى ما ذكرت ، فتحصيل مذهب مالك أن التعبد إنما ورد في غسل الإناء الطاهر من ولوغ الكلب خاصة من بين سائر الطهارات وشبهه أصحابنا بأعضاء الوضوء الطاهرة ، تغسل عبادة .

» وقال الشافعي وأصحابه الكلب نجس ، وإنما وردت العبادة في غسل نجاسته سبعا تعبدًا ، فهذا موضع الخصوص عنده ، لا أنه طاهر خص بالغسل عبادة ، واحتج هو وأصحابه بأن رسول الله - ﷺ قال في غير ما حديث : « إذا ولغ الكلب في إناء أحدم فأريقوه ، ثم اغسلوه سبع مرات » . قالوا : فأمر بإراقة الماء ، كما أمر بطرح الفأرة التي وقعت في السمن .

» وقال أبو حنيفة وأصحابه : الكلب نجس ، ويغسل الإناء من ولوغة مرتين أو ثلاثا كسائر النجاسات من غير حد ، فردوا الأحاديث في ذلك وما صنعوا شيئاً ، واحتج الطحاوي (وهو منهم) بأن أبا هريرة هذا الذي روى الحديث وعلم مخرجه كان يفتى بغسل الإناء من ولوغة مرتين أو ثلاثا ، فدل ذلك على أنه لم يصح عنه أو قد علم ما نسخه .

« وهذا عند الشافعي غير لازم ؛ لأن الحجة في السنة لا فيما خالفها ، ولم يصل إلينا قول أئمة هرة إلا من جهة أخبار الآحاد ، كما وصل إلينا المسند من جهة أخبار الآحاد العدول فالحجة في المسند » (١)

كما لخص الإمام البغوي (٧٥/٢) موقف الفقهاء ، من هذا الحديث وفهمهم له ، والحكمة من الأمر بغسل الإناء الذي يبلغ فيه الكلب فقال :

« ذهب أكثر أهل الحديث إلى أن الكلب إذا شرب من إناء فيه ماء قليل أو مائع آخر أنه ينجس ولا يطهر إلا بأن يغسل سبع مرات إحداهن مكدره بالتراب . وقال مالك والأوزاعي : لا ينجس الماء ، ولكن يجب غسله سبعاً تعبدًا .

« وقال أصحاب الرأي : لا عدد في غسله ولا تغفير ، بل هو كسائر النجاسات وقاس الشافعي الخنزير على الكلب في أنه إذا شرب من إناء أو أصاب بدنه مكاناً رطباً يجب غسله سبع مرات إحداهن بالتراب .

« وعامة أهل العلم أن الكلب مخصوص به ؛ لأن العرب كانت تقرب الكلاب من أنفسها وتألّفها ، فلما كانت نجاسته مألوفة غلظ الشرع الحكم في غسلها فطماً لهم عن عادتهم ، كالخمر لما كانت نجاسة مألوفة غلظ الأمر في شربها بإيجاب الحد بخلاف سائر النجاسات ، فأما إذا أصاب بدنه اليابس مكاناً يابساً ، أو مشى على مكان يابس فلا ينجس ، روى عن ابن عمر قال : كنت أبيت في المسجد في عهد رسول الله - ﷺ - ، وكانت الكلاب تقبل وتدبر في المسجد ، فلم يكونوا يُرْسُون شيئاً من ذلك » (٢) (أى يصلحون شيئاً من ذلك) .

ويمكن قبول هذا مع بيان أمرين :

١ - الأول : أن الخمر مختلف في نجاستها وأن علة التحريم هي الإسكار بإجماع والنجاسة عند من يقول بذلك .

(١) الاستذكار ٢٥٨/١ - ٢٦٠ .

(٢) شرح السنة : ٧٥/٢ .

٢ - أنه قد يضاف إلى علة غسل الإناء سبعا وبالتراب واحدة منهن - كما جاء في بعض الروايات - التطهير من الجراثيم التي تلحق بالإناء الذي يبلغ فيه الكلب - كما أثبتت بعض الدراسات العلمية الحديثة (١) .

(١) انظر الإسلام والطب ص ٢٨٦ والسنة والعلم الحديث ص ٧٦ ، ٧٧ وقد نقلنا شيئا من هذا في كتابنا « كتب السنة » ١/ ١١٨ ، ١١٩ .

٣٧ - وقال رسول الله - ﷺ : والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيده لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَّ فِتْيَانِي أَنْ يَسْتَعِدُّوا لِي بِحُزْمٍ مِنْ حَطَبٍ ، ثُمَّ أَمُرَّ رَجُلًا يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، ثُمَّ أُحَرِّقُ يُبَوِّتًا عَلَى مَنْ فِيهَا .

● رواه عبد الرزاق (٥١٧/١ ، ٥١٨) عن همام به (رقم ١٩٨٥) باب شهود الجماعة .

ورواه أحمد (٥٠/١٦) بسنده للصحيفة (رقم ٣٦/٨١٣٤)

ورواه مسلم (٤٥٢/٤٥١/١) في (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٤٢) باب فضل صلاة الجماعة ، وبيان التشديد في التخلف عنها بسنده للصحيفة . وليس فيه « والذي نفس محمد بيده » . (رقم ٦٥١/٢٥٣) .

كما روى نحوه من طريق وكيع عن جعفر بن برقان ، عن يزيد بن الأصم ، عن أبي هريرة .

ومن طريق سفيان بن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة ، وفيه « ولو علم أحدهم أنه يجد عظماً سمينا لشهدا - يعني صلاة العشاء » (٦٥١/٢٥١) .

ومن طريق أبي معاوية عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة وفيه في أوله : « إن أثقل صلاة المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حنبلاً » (٦٥١/٢٥٢) .

كما روى من طريق أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، سمعه منه ، عن عبد الله أن النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة ؛ لقد هممت أن أمر رجلاً يصلي بالناس ، ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة يوتهم . رقم (٦٥٢/٢٥٤)

وروى البخاري (١٥٨/١) في (١٠) كتاب الأذان - (٢٩) باب وجوب صلاة الجماعة من طريق مالك عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة نحوه .

كما روى نحوه في جزء منه (١٦٠/٤) في الكتاب نفسه - (٣٤) باب فضل العشاء في الجماعة من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة .

وفي (٩١/٣) (٤٤) كتاب الخصومات - (٥) باب إخراج أهل المعاصي والخصوم من البيوت بعد المعرفة - من طريق شعبة عن سعد بن إبراهيم ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة .

وفي (١٢٧/٨) (٩٣) كتاب الأحكام - (٥٢) باب إخراج أهل الخصوم وأهل الرب من البيوت - من طريق مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة .

ورواه البيهقي (٥٥/٣) في كتاب الصلاة - باب ما جاء من التشديد في ترك الجماعة من غير عذر بسنده للصحيفة الذي يلتقى معنا هنا في أبي بكر محمد بن الحسين القطان عن أحمد بن يوسف عن عبد الرزاق .

وظاهر هذا الحديث - كما يقول ابن حجر أن الجماعة فرض عين ، لأنها لو كانت سنة ما هدد تاركها بالتحريق ، ولو كانت فرض كفاية لكانت قائمة بالرسول ﷺ ومن معه .

ولهذا استدل بعض الفقهاء بهذا الحديث على أن صلاة الجماعة فرض عين . ومن ذهب إلى ذلك عطاء ، والأوزاعي ، وأحمد ، وجماعة من محدثي الشافعية كأبي ثور ، وابن خزيمة وابن المنذر ، وابن حبان ، والبخاري ، وبالحق داود الظاهري فجعلها شرطاً في صحة الصلاة .

وظاهر نص الشافعي أنها فرض كفاية ، وعليه جمهور المتقدمين من أصحابه ، وقال به كثير من المالكية .

والمشهور عند الباقيين أنها سنة مؤكدة وقد أجابوا عن ظاهر هذا الحديث بعدة أجوبة منها :

١ - أن الرسول ﷺ هم بالتوجه إلى المتخلفين فلو كانت الجماعة فرض عين ما هم بتركها إذا توجه .

٢ - لو كانت فرضاً لقال حين تواعد بالإحراق من تخلف عن الجماعة لم تجزئه صلاته لأنه وقت البيان ، ولا يتأخر البيان عن وقت الحاجة إليه .

٣ - أن الحديث ورد مورد الزجر وحقيقته غير مرادة ، وإنما المراد المبالغة ويرشد إلى ذلك وعيدهم بالعقوبة التي يعاقب بها الكفار ، وقد انعقد الإجماع على منع عقوبة المسلمين بذلك .

٤ - كونه - ﷺ « ترك تحريقهم بعد التهديد ، فلو كان واجباً ما عفا عنهم » .

٥ - أن المراد بالتهديد قوم تركوا الصلاة رأساً لا مجرد الجماعة .

٦ - أن الحديث ورد في الحث على مخالفة فعل أهل النفاق والتحذير من التشبه بهم لا لخصوص ترك الجماعة فلا يتم الدليل .

٧ - أن الحديث ورد في حق المنافقين فليس التهديد لترك الجماعة بخصوصه فلا يتم الدليل .

٨ - أن فرضية الجماعة كانت في أول الإسلام لأجل سد باب التخلف عن الصلاة على المنافقين ، ثم نسخ ، ويمكن أن يتقوى بثبوت نسخ الوعيد المذكور في حقهم وهو التحريق بالنار ، ويدل على النسخ الأحاديث الواردة في تفضيل صلاة الجماعة على صلاة الفرد ؛ لأن الأفضلية تقتضى الاشتراك في أصل الفضل . ومن لازم ذلك الجواز .

٩ - أن المراد بالصلاة الجمعة لا باقى الصلوات بدليل بعض الروايات .

وقد ذكر هذا كله ابن حجر في فتح البارى وهناك تعقيبات على كل جواب منها وكثير من التفصيل فيه ، وقد ذكرت خلاصته فقط ويرجع إلى هذا وذاك فيه ^(١) .

وإذا كان ابن حجر قد فصل في أدلة من يقولون بأن الجماعة غير واجبة ، فإن العينية قد فصل القول في أدلة من ذهب إلى أنها واجبة ، وفي أدلة من ذهب إلى أنها غير واجبة كذلك ^(٢) .

وقد بين العينية الفوائد التى يمكن أن تؤخذ من هذا الحديث وهى جملة :

١ - تقديم الوعيد والتهديد على العقوبة ؛ لأن المفسدة إذا ارتفعت بالأهون من الزجر اكتفى به عن الأعلى بالعقوبة .

٢ - جواز إخراج من طُلب بحق من بيته إذا اختفى فيه وامتنع بكل طريق يتوصل إليه ، كما أراد عليه الصلاة والسلام إخراج المتخلفين عن الصلاة بإلقاء النار عليهم فى بيوتهم .

(١) فتح البارى : ١٢٥/٢ - ١٢٩ .

(٢) انظر عمدة القارى : ٣٣٣/٤ - ٣٣٥ .

- ٣ - أخذ أهل الجرائم على غيرة .
- ٤ - جواز الحلف من غير استحلاف كما حلف النبي ﷺ .
- ٥ - جواز التخلف عن الجماعة لعذر ، كالمرض والخوف من ظالم أو حيوان ، ومنه خوف فوات الغريم .
- ٦ - جواز إمامة المفضل مع وجود الفاضل إذا كانت فيه مصلحة (١) .

٣٨ - وقال رسول الله - ﷺ : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ (١) ، وَأُوتِيتْ جَوَامِعَ الْكَلِمِ .

● رواه أحمد (٥٠/١٦) ضمن روايته للصحيفة . (رقم ٣٧/٨١٣٥) .
ورواه مسلم (٣٧١/١ - ٣٧٢) في (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة (في أول الكتاب) - بسنده للصحيفة (رقم ٥٢٣/٨) .
كما روى نحوه من طريق العلاء عن أبيه عن أبي هريرة . (٥٢٣/٥) .
ومن طريق ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة . وفيه « بعثت بجوامع الكلم » (رقم ٥٢٣/٦) .
ومن طريق عمرو بن الحارث ، عن أبي يونس مولى أبي هريرة ، عن أبي هريرة (٥٢٣/٧) .
وروى نحوه البخاري (١٢/٤) في (٥٦) كتاب الجهاد (١٢٢) باب قول النبي - ﷺ نصرت بالرعب مسيرة شهر من طريق عقيل ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضى الله عنه
وفي (٧٢/٨) (٩١) كتاب التعبير - (١١) باب رؤيا الليل - من طريق أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة .
وفي (٧٦/٨) الكتاب نفسه - (٢٢) باب المفاتيح في اليد - من طريق عقيل أيضا عن ابن شهاب عن ابن المسيب به .
وفي (١٣٨/٨) (٩٦) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (١) باب قول النبي ﷺ « بعثت بجوامع الكلم » .

(١) نصرت بالرعب : زاد أبو أمامة : يقذف في قلوب أعدائي . وفي بعض الروايات « مسيرة شهر » ؛ أى أن العدو يخافنى ويبنى وبينه مسافة شهر ، وذلك من نصر الله تعالى إياه . قال ابن حجر : « مفهومه أنه لم يوجد لغيره النصر بالرعب في هذه المدة ، ولا في أكثر منها أما ما دونها فلا ، لكن لفظ رواية عمرو بن شعيب : « ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بينى وبينهم مسيرة شهر » ، فالظاهر اختصاصه - ﷺ به مطلقا ، وإنما جعل الغاية شهرا لأنه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه أكثر منه . وهذه الخصوصية حاصله له - ﷺ على الإطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر . وهل هى حاصله لأتمته بعده ؟ فيه احتمال (١) .

(١) فتح الباري : ٤٣٧/١ .

(٢) « أوتيت جوامع الكلم » وفي رواية : « بعثت بجوامع الكلم » : قال الهروى : يعنى به القرآن جمع الله تعالى فى الألفاظ اليسيرة منه المعانى الكثيرة ، وكلامه - ﷺ كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعانى (١) .

وفى صحيح البخارى قال أبو عبد الله : وبلغنى أن جوامع الكلم : - أن الله يجمع الأمور الكثيرة التى كانت تكتب فى الكتب قبله فى الأمر الواحد والأمرين أو نحو ذلك « (٢) .

وقد فهم بعض الشراح أن ذلك من كلام البخارى ، وليس كذلك ، بل هو من كلام ابن شهاب الزهري ، وكأن بعض الرواة لما قرأ : « قال محمد » ظن أنه البخارى فكناه تعظيماً وقال : قال أبو عبد الله (٣) .

وقد عقد القاضى عياض - رحمه الله فصلاً فى بيان جوامع كلمه - ﷺ - من « الشفا » (٤) قال فيه « وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فكان - ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذى لا يجهل ؛ سلاسة طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع ، ونصاعة لفظ ، وجزالة قول ، وصحة معان وقلة تكلف ، أوتى جوامع الكلم ، وخص ببدائع الحكم ، وعلم ألسنة العرب ، فكان يخاطب كل أمة بلسانها ، ويجاورها بلغتها ، ويباريها فى منزع بلاغتها ... إنه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره ، وحاز فيها سبقاً لا يقدر قدره ، وقد جُمعت من كلماته التى لم يسبق إليها ، ولا قدر أحد أن يفرغ فى قلبه عليها ، كقوله « حَمِيَّ الوَطِيس » و « مات حَتَفَ أنفه » و « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » و « السعيد من وعظ بغيره » فى أخواتها ما يدرك الناظر العجب فى مضمونها ويذهب به الفكر فى أدانى حكمها وقال - ﷺ - : أنا أفصح العرب ، يئد أنى من قريش ،

(١) شرح مسلم للنووى : ١٥٦/٢ .

(٢) صحيح البخارى : (٧٦/٨) (٩١) كتاب التعبير - (٢٢) باب المفاتيح فى اليد .

(٣) فتح البارى : ٣٩١/١٢ .

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى : ٥٠/١ - ٥٧ .

ونشأت في بنى سعد ، فجمع له بذلك - ﷺ قوة عارضة البادية وجزالتها ، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها ، إلى التأييد الإلهي الذي مَدَّه الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشرى . وقالت أم معبد في وصفها له - ﷺ : حَلَوَ الْمَنْطِقَ فَصْلٌ لَا نَزْرَ وَلَا هَذْرَ كَأَنَّ مِنْطَقَهُ خِرَزَاتٌ نَظْمُنْ ، وكان جهير الصوت حسن النعمة ﷺ وعلى آله (١) .

★ ★ ★

(١) انظر شرح هذا وتخرج ما فيه من أحاديث في نسيم الرياض لأحمد شهاب الدين الحفاجي :

٣٩ - وقال رسول الله - ﷺ : إذا انقطع شِسْعُ ^(١) نَعْلٍ أَحَدِكُمْ
أو شِرَاكَهُ ^(٢) فَلَا يَمْشِي فِي إِحْدَاهُمَا بِنَعْلٍ وَاحِدَةٍ وَالْأُخْرَى حَافِيَةً ، لِيُخَفِّهَ
جَمِيعًا أَوْ لِيُنْعِلَهُمَا جَمِيعًا ^(٣) .

• رواه أحمد (٥١/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام رقم ٣٨/٨١٣٦ .

ورواه البغوي الفراء (٧٧/١٢) في باب لا يمشي في نعل واحدة بسنده للصحيفة .

وروى البخاري (٤٩/٧) في (٧٧) كتاب اللباس - (٤٠) باب لا يمشي في نعل واحد : من طريق مالك
عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - ﷺ قال : لا يمشي أحدكم في نعل واحدة ليخففهما
جميعاً أو لينعلهما .

وروى مسلم (١٦٦٠/٣ ، ١٦٦١) في (٣٧) كتاب اللباس والزينة - (١٩) باب استحباب لبس النعل
في اليمنى أولاً ، والخلع من اليسرى أولاً ، وكراهة المشي في نعل واحدة - من طريق مالك ، عن أبي الزناد مثل حديث
البخاري . (٢٠٩٧/٦٨) .

ومن طريق ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن أبي رزين قال : خرج إلينا أبو هريرة فضرب يده على جبهته فقال :
ألا إنكم تحدثون أني أكذب على رسول الله - ﷺ لَتَهْتَدُوا وَأَضِلُّ ، ألا وإني أشهد لسمعت رسول الله - ﷺ
يقول : إذا انقطع شسع أحدكم فلا يمش في الأخرى حتى يصلحها . (٢٠٩٨/٦٩) .

(١) شسع : هو أحد سيور النعال ، وهو الذي يدخل بين الإصبعين ، ويدخل
طرفه في الثقب الذي في صدر النعل المشدود في الزمام . والزمام هو السير الذي يعقد في
الشسع ، وجمعه شسوع .

(٢) الشراك : سير النعل .

(٣) قال الخطابي - معللاً نفيه - ﷺ عن المشي في نعل واحدة :

نفيه - ﷺ - عن المشي في النعل الواحدة لمشفقة المشي على مثل هذه الحالة ،
ولعدم الأمن من العثار مع سماجته في الشكل وقبح منظره في العيون إذ كان يتصور ذلك

عند الناس بصورة من إحدى رجله أقصر من الأخرى ، وعن ابن العربى أنها مشية الشيطان ، وعن البيهقى : لما فيه من الشهرة وامتداد الأبصار إلى من يرى ذلك منه ، وقد ورد النهى عن الشهرة فى اللباس ، فكل شئ صير صاحبه شهرة فحقه أن يجتنب (١) .

وعلى هذا فهمى النبى ﷺ عن المشى فى نعل واحدة مطلقا ، وليس ذلك مقيدا بانقطاع الشسع أو الشراك كما يدل على ذلك ظاهر هذا الحديث ، « فهذا لا مفهوم له حتى يدل على الإذن بالأدنى على الأعلى ؛ لأنه إذا منع مع الاحتياج حين انقطاع النعل فمع عدم الاحتياج أولى (٢) .

ومع هذا فالمسألة فيها خلاف بين العلماء ، ويدل على ذلك كلام أبى هريرة السابق ، وقد روى عن أبى أنه مشى فى نعل واحدة . وعن عبد الله بن دينار : رأيت ابن عمر يمشى فى نعل واحدة ، وكان ابن سيرين لا يرى بأساً .

وروى فى الرخصة فى المشى فى نعل واحدة عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة أنها مشت بنعل واحدة ، رواه الثورى وغيره عن عبد الرحمن ، ورفع له ليث عن عبد الرحمن والوقف أصح (٣) .

قال العينى معقبا على ذلك : « وقال ابن عبد البر : لم يأخذ أهل العلم برأى عائشة فى ذلك ، والذي روى من هؤلاء أن النبى عندهم نهى تنزيهه ، ويحتمل أن النبى ما بلغهم . والله أعلم (٤) .

قال البغوى : وقد ألحق بعض الناس إخراج إحدى اليدين من الكم ، وإرسال الرداء على أحد المنكبين فى الكراهية بلبس إحدى النعلين وأحد الخفين ، وروى عن ابن عباس قال : من السنة إذا جلس الرجل أن يخلع نعليه فيضعهما بجانبه (٥) .

★ ★ ★

(١) عمدة القارى : ٥٢/١٨ - فتح البارى : ٣٠٩/١٠ - ٣١٠ .

(٢) فتح البارى : ٣١٠/١٠ .

(٣) شرح السنة : ٧٨/١٢ .

(٤) عمدة القارى : ٥٢/١٨ .

(٥) شرح السنة : ٧٨/١٢ .

٤٠ - وقال رسول الله - ﷺ : لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم أكن قد قدرته ، ولكن يُلقيه ^(١) النذر وقد قدرته له ؛ أَسْتَخْرِجُ به من البخيل ، وَيُؤْتِينِي عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ آتَانِي مِنْ قَبْلُ ^(٢) .

• رواه أحمد (٥١/١٦) بسنده للصحيفة : وفيه « ولكن يلقيه النذر بما قد قدرته له » (رقم ٨١٣٧/٣٩) .

وروى البخارى (٢١٣/٧) فى (٨٢) كتاب القدر - (٦) باب إلقاء النذر العبد إلى القدر - عن بشر بن محمد ، عن عبد الله (بن المبارك) عن معمر ، عن همام بن منه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : لا يأتي ابن آدم النذر بشيء قد قدرته ، ولكن يلقيه القدر - وقد قدرته له ، استخرج به من البخيل .

كما روى فى الموضع نفسه من طريق منصور ، عن عبد الله بن مرة ، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : نهى النبى - ﷺ عن النذر . قال : إنه لا يرد شيئا إنما يُستخرج به من البخيل .

كما روى فى (٢٣٢/٧ ، ٢٣٣ ، ٨٣) كتاب الأيمان والنذور -- (٢٦) باب الوفاء بالنذر روايتين لطريق منصور هذا .

وعن أبى ايمان عن شعيب ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ : « لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قدر له ، ولكن يُلقيه النذر إلى القدر قد قدر له فيستخرج الله به من البخيل فيؤتى عليه ، ما لم يكن يؤتى عليه من قبل .

وقد روى مسلم (١٢٦٠/٣ - ١٢٦٢) فى (٢٦) كتاب النذور - (٢) باب النبى عن النذر وأنه لا يرد شيئا - بروايات مختلفة من طريق منصور السابق عند البخارى (١٦٣٩/٤ ، ٣ ، ٢) .

كما روى من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة ، بمثل حديث عبد الله بن عمر (١٦٤٠/٦ ، ٥) .

كما روى - من طريق إسماعيل بن جعفر ، عن عمرو بن أبى عمرو عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئا لم يكن الله قدره له ، ولكن النذر يوافق القدر ، فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج .

وهذا أقرب الروايات إلى روايتنا ، وإن كان من غير الحديث القدسى .

وقد أوردت هذه الروايات بمتونها لأنها تسهم فى معنى الحديث الذى معنا .

(١) كذا في المطبوعة ولعلها : « يلقيه » كما في الروايات السابقة عند البخارى .
 (٢) هذا الحديث من الأحاديث القدسية وسياقه يدل على ذلك وإن لم يُصَدَّر
 بـ « قال الله تعالى » لأن المقتدر الله عز وجل ، والمستخرج والمؤتى هو الله سبحانه وتعالى .
 والمعنى أن ابن آدم عندما ينذر أمراً فيتحقق لم يكن السبب في تحققه هو النذر
 له ؛ فالأمر سيتحقق بالنذر أو بغيره عندما يقدره الله تعالى ، ولم يكن النذر يغير قدراً
 قدره الله عز وجل ، وعندما يوافق النذر القدر يلزم البخيل من ماله ما نذره ، ولولاه ما كان
 يريد إخراجه وبذله ، وما ينبغى أن يعتقد أن الشيء تحقق أو دفع بسبب النذر ، وإنما هو
 بمشيئة الله تعالى وقدره .

فإن الله تعالى أعلمهم - على لسان رسوله - ﷺ - أن النذر لا يجلب لهم في
 العاجل نفعاً ولا يصرف عنهم ضرراً ، ولا يرد شيئاً قضاء الله سبحانه وتعالى . وإذا فعلتم
 ذلك فاخرجوا عنه بالوفاء فإن الذى نذرتموه لازم لكم فالحديث يدل على تأكيد أمر
 النذر وتحذير التهاون بعد إيجابه .

وقد أجمع المسلمون على وجوب الوفاء بالنذر إذا لم يكن معصية ويؤكد قوله
 « أستخرج به من البخيل ويؤتىني عليه ... » فثبت بذلك وجوب استخراجه من ماله .
 وفى قوله « لا يأتى ابن آدم النذر بشيء لم أكن قدرته » استدلال لمن قال : إن
 النذر إنما يلزم إذا كان معلقاً بشيء مثل أن يقول : إن شفى الله مريضى فلله على كذا من
 المال ، وإن سلم مالى ، أو قدم غائبى فلله على أن أتصدق بكذا . وإليه ذهب بعض
 أهل العلم حتى قال بعض أهل اللغة : النذر وعد على شرط ، وكل ناذر واعد ، وليس كل
 واعد ناذراً .

وذهب آخرون إلى أن النذر يلزم وإن لم يكن معلقاً بشيء ، وهو مذهب
 أبى حنيفة وأظهر قولى الشافعى ، ولو قال : على مَشَى إلى بيت الله الحرام ، ولم يقل نذراً
 فعليه المشى . أفتى به سعيد بن المسيب ^(١) .

هذا وقد ذهب بعض أهل العلم استدلالاً بهذا الحديث وغيره من الأحاديث التي فيها نهى الرسول - ﷺ عن النذر إلى أن كرهوا النذر في الجملة ، وإن كان للوفاء به أجر إن كان طاعة (١) .

ولكن الحق ما ذهب إليه الآخرون من أن المراد بهذه الأحاديث الحث على الوفاء بالنذر وعدم الاعتقاد أن النذر يغير من قدر الله تعالى . والحث كذلك على أن يبذل المسلم لوجه الله تعالى لا لجلب نفع أو دفع ضرر بنذر فقط .

وكما قال بعض العلماء : إن التعليل بأن النذر لا يغير قدراً إنما يدل على أن النذر المنهى عنه ما يقصد به تحصيل غرض أو دفع مكروه على ظن أن النذر يرد القدر عن شيء ، وليس مطلق النذر منها ، إذ لو كان كذلك لما لزم الوفاء به ، وقد أجمعوا على لزومه إذا لم يكن النذر معصية ، وفي قوله ﷺ « إنما يستخرج به من البخيل » إشارة إلى لزومه ؛ لأن غير البخيل يعطى باختياره بلا واسطة النذر ، والبخيل إنما يعطى بواسطة النذر الموجب عليه (٢) .

ويدل على ذلك ما جاء في بعض الروايات في نهاية الحديث : « وقد قال الله تعالى : أنفق أنفق عليك » وقد أخرجها ابن ماجة (٣) فهذا يدل على أن الحديث يراد به الحث على البذل دون علة من العلل كتتحقيق مراد بعد نذر (٤) .

(١) المصدر السابق : ٢٢/١٠ .

(٢) هامش مسلم ط : دار التحرير : ٧٧/٥ .

(٣) سنن ابن ماجة (٦٨٦/١) (١١) كتاب الكفارات - (١٥) باب النهي عن النذر (رقم ٢١٢٣) .

(٤) انظر مزيداً من شرح الحديث في فتح الباري : ٥٧٧/١١ .

٤١ - وقال رسول الله - ﷺ : إن الله (تعالى) قال (١) : أنفق (٢) أنفق عليك (٣) ، وسمى الحرب خدعة .

• هذا الحديث يتكون من جزئين الجزء الأول وهو الحديث القدسي « أنفق أنفق عليك » والجزء الثاني : « وسمى الحرب خدعة » وهو ليس من الحديث القدسي بطبيعة الحال . وهما في الحقيقة حديثان ، رويًا بإسناد واحد ، وهذا الجزء الثاني تكرر ؛ فقد سبق مع حديث رقم (٣٠) وهناك تخريجه ومعناه .

وقد روى الجزئين أحمد (٥٢/١٦ ، ٥٣) بسنده للصحيفة (رقم ٤٠/٨١٣٨ ، ٤١) وفيه « إن الله عز وجل قال لي » .

وروى مسلم الجزء الأول منه (٦٩١/٢) في (١٢) كتاب الزكاة - (١١) باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف بسنده للصحيفة ، وروى بعده بالسند نفسه حديث رقم (٢٨) .. (رقم ٩٩٣/٣٧) وفيه « إن الله قال لي » .

وروى قبله نحوه من طريق سفيان بن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة يبلغ به النبي - ﷺ : « قال الله تبارك وتعالى : « يا ابن آدم أنفق أنفق عليك » (٩٩٣/٣٦) .

وروى البخاري نحوه (٢١٣/٥) في (١١/٦٥) في كتاب التفسير - (٢) باب قوله : (وكان عرشه على الماء) من طريق أبي اليمان عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة (جزءا من حديث أو مع حديث آخر) . كما روى في (١٨٩/٦) (٦٩) كتاب النفقات - (١) باب فضل النفقة على الأهل - من طريق مالك عن أبي الزناد عن الأعرج نحوه .

وروى في (١٩٧/٨) (٩٧) كتاب التوحيد - (٣٥) باب قول الله تعالى : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) من طريق أبي اليمان السابق نحوه .

ورواه البيهقي الفراء (١٥٤/٦) بسنده للصحيفة - وقال هذا حديث متفق على صحته (رقم ١٦٥٦) وفيه مثل ما في الصحيفة هنا : « إن الله قال » بدون (لي) .

(١) في بعض روايات الحديث - كما تقدم : إن الله تعالى قال لي « وفي بعضها : « يا ابن آدم أنفق » .

ذكر ابن حجر جمعا بين الروایتين فقال : يحتمل أن يراد بـ « يا ابن آدم » النبی - ﷺ ، ويحتمل أن يراد جنس بنی آدم ، ويكون تخصیصه - ﷺ بإضافته إلى نفسه لكونه رأس الناس ، فتوجه الخطاب إليه ليعمل به ، ويبلغ أمته (١) .

(٢) أنفق : فی ترك تقييد النفقة بشيء معين ما يرشد إلى أن الحث على الإنفاق يشمل جميع أنواع الخير (٢) .

وقال الإمام النووي فی معنى الحديث : قوله عز وجل « أنفق أنفق عليك » هو فی معنى قوله عز وجل : (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) (٣) فيتضمن الحث على الإنفاق فی وجوه الخير والتبشير بالخلف من فضل الله تعالى (٤) .

(٣) أنفق أنفق عليك : هذا من باب المشاكلة ؛ لأن إنفاق الله تعالى لا ينقص من خزائنه شيئا ؛ كما قال : يد الله ملأى لا يغيضها نفقة ، وإليه يلحق قوله تعالى : (ما عندكم ينفذ وما عند الله باق) (٥) (٦) .

(١) فتح الباری : ٤٩٩/٩ .

(٢) المصدر السابق : ٤٩٩/٩ .

(٣) شرح مسلم : ٣٢/٣ .

(٤) سبأ : ٣٩ .

(٥) النحل : ٩٦ .

(٦) إرشاد الساری : ١٩٧/٨ .

٤٢ - وقال رسول الله - ﷺ : رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق فقال له عيسى : سرقت ؟ فقال : كلا ، والذي لا إله إلا هو ، فقال عيسى : آمنت بالله وكذبتُ عيني .

• رواه أحمد (٥٣/١٦ ، ٥٤) بسنده للصحيفة (رقم ٤٢/٨١٣٩) .
ورواه البخاري (١٤٢/٤) في (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء - (٤٨) باب قول الله (واذكر في الكتاب مريم) عن عبد الله بن محمد عن عبد الرزاق عن معمر به .
ورواه مسلم (١٨٣٨/٤) في (٤٣) كتاب الفضائل - (٤٠) باب فضائل عيسى عليه السلام .
بسنده للصحيفة ، وفيه : « وكذبت نفسي » . (رقم ٢٣٦٨/١٤٩) .
ورواه البغوي الفراء (٩٩/١٣) في باب الستر ، بسنده للصحيفة وقال : هذا حديث متفق عليه (رقم ٣٥٢٠) .

ذهب العلماء في بيان معنى هذا الحديث ، والسبب في قول عيسى عليه السلام « آمنت بالله وكذبت عيني » إلى احتمالات ذكرها ابن حجر في فتح الباري ^(١) :

١ - يحتمل أن عيسى عليه السلام قال ذلك على سبيل المبالغة في تصديق الخالف ولم يرد حقيقة تكذيب نفسه وإنما أراد : كذبت عيني في غير هذا .

٢ - ويحتمل أنه أراد بالتصديق والتكذيب ظاهر الحكم لا باطن الأمر ، وإلا فالمشاهدة أعلى اليقين ، فكيف يكذب عينه ويصدق قول المدعى ؟

٣ - يحتمل أنه رآه مد يده إلى الشيء فظن أنه تناوله ، فلما حلف له رجع عن ظنه .

٤ - ظاهر قول عيسى عليه السلام للرجل « سرقت » أنه خبر جازم عما فعل

الرجل من السرقة لكونه رآه أخذ مالا من حرز في خفية . وقول الرجل كلا نفى لذلك ثم أكده باليمين ، وقول عيسى عليه السلام : « آمنت بالله وكذبت عيني » أى صدقت من حلف بالله ، وكذبت ما ظهر لى من كون الأخذ المذكور سرقة ؛ فإنه يحتمل أن يكون الرجل أخذ ما له فيه حق ، أو ما أذن له صاحبه فى أخذه ، أو أخذه ليقبله وينظر فيه ، ولم يقصد الغصب والاستيلاء .

٥ - يحتمل أن يكون عيسى كان غير حازم بذلك ، وإنما أراد استفهامه بقوله : « سرت » ؟ وتكون أداة الاستفهام محذوفة وهو سائق كثير ، .

قال ابن حجر : واحتمال الاستفهام بعيد مع جزمه - ﷺ بأن عيسى رأى رجلا يسرق . واحتمال كونه يحل له الأخذ بعيد أيضاً بهذا الجزم بعينه .

٦ - قال ابن القيم : والحق أن الله كان فى قلبه أجل من أن يحلف به أحد كاذبا فدار الأمر بين تهمة الخالف ، وتهمة بصره ، فرد التهمة إلى بصره ، كما ظن آدم صدق إبليس لما حلف له أنه له ناصح .

وتعقب ابن حجر هذا فقال : إنه متكلف ، والتشبيه غير مطابق . والله أعلم ^(١) .

نقول إن أولى الاحتمالات - فى رأينا - هو الجمع بين التفسير الرابع والسادس أى أن عيسى - عليه السلام - رأى أن يأخذ الأمر بالظن الحسن ، والستر الجميل فترك السارق ، واتهم نفسه هو ؛ إذ يحتمل أن الرجل صادق بمعنى أن له شبهة فى أخذ هذا المال وأنه صادق فى حلفه بالله ، أو استعاذ بيمين الله تعالى ، فأعاده عيسى به - والله أعلم .

واستنبط من هذا الحديث منع القضاء بالعلم ، وهو مذهب المالكية والحنابلة مطلقاً وجوزة الشافعية إلا فى الحدود ^(٢) .

(١) وقارن بعمدة القارى : ٩٠/١٣ .

(٢) إرشاد السارى : ٤١٧/٥ .

٤٣ - وقال رسول الله - ﷺ : ما أوتيكم من شيءٍ ولا أَمْنَعُكُمْوه .
 إن أنا إلا خازن أصنع حيث أُمِرْتُ (١) .

• رواه أحمد (٥٤/١٦) بسنده للصحيفة (رقم ٤٣/٨١٤٠) .

ورواه البغوى الفراء (٩٥/١١ ، ٩٦) بسنده للصحيفة - باب حل الغنيمة لهذه الأمة . وقال بعد ذكره وذكر أحاديث بسنده « هذه أحاديث متفق على صحتها .

ورواه أبو داود (٣٥٧/٣) (١٤) كتاب الخراج والإمارة (١٣) باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية والحجبة عنهم - عن سلمة بن شبيب عن عبد الرزاق به .

وروى البخارى (٤٩/٤) فى (٥٧) كتاب فرض الخمس - (٧) باب قول الله تعالى (فإن لله خمسة وللرسول) عن محمد بن سنان عن فليح (بن سليمان) عن هلال (بن على) عن عبد الرحمن بن أبى عمرة عن أبى هريرة ، رضى الله عنه أن رسول الله - ﷺ قال : ما أعطىكم ولا أَمْنَعُكُمْ ، أنا قاسم أصنع حيث أُمِرْتُ . ولم أجد فى مسلم هذا الحديث من رواية أبى هريرة ، وقال الأستاذ أحمد شاكر : « لم يروه مسلم أصلا من حديث أبى هريرة » (٥٤/١٦) .

ولكن روى جزءا منه (٧١٩/٢) ضمن حديث من طريق يونس ، عن ابن شهاب ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن معاوية رضى الله عنه ، عن الرسول - ﷺ : « وإنما أنا قاسم ، ويعطى الله » (١٢) كتاب الزكاة - (٣٣) باب النهى عن المسألة .

(١) والمعنى لا أتصرف فيكم بعطية ولا منع برأى ، ولا أعطى أحدا ولا أَمْنَعُ أحدا إلا بأمر الله عز وجل فهو المالك للأموال والمتصرف فيها ، وهو المعطى وهو المانع وما أنا إلا خازن ، ومنتفَذ لأوامره عز وجل . فمن قسمت له قليلا فذلك بقدر الله ، ومن قسمت له كثيرا فبقدر الله أيضا .

واتفق العلماء على أن الرسول ﷺ قبل فرض الخمس كان يعطى الغنيمة بحسب ما يؤدى إليه اجتهاده ، فلما فرض الخمس ثبت للغنائم أربعة أحماس الغنيمة لا يشاركهم فيها أحد (١) .

٤٤ - وقال رسول الله - ﷺ : إنما الإمام ليؤتم به ^(١) ، فلا تختلفوا عليه ؛ فإذا كبر فكبروا ، وإذا ركع فاركعوا ، وإذا قال : سمع الله لمن حمده فقولوا : « اللهم ربنا لك الحمد » ^(٢) فإذا سجد فاسجدوا وإذا صلى جالسا فصلوا جلوساً أجمعين ^(٣) .

- رواه عبد الرزاق (٤٦١/٢) في باب : هل يؤم الرجل جالسا . عن معمر عن همام به (رقم ٤٠٨٢) .
ورواه أحمد (٥٥/١٦) بسنده للصحيفة (رقم ٤٤/٨١٤١) .
- ورواه البخاري (١٧٦/١ - ١٧٧) في (١٠) كتاب الأذان - (٧٤) باب إقامة الصف من تمام الصلاة - عن عبد الله بن محمد عن عبد الرزاق عن معمر به .
- كما روى نحوه (١٧٩/١) في الكتاب نفسه - (٨٢) باب إيجاب التكبير من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة .
- ورواه مسلم (٣٠٩/١ - ٣١٠) في (٤) كتاب الصلاة - ١٩ باب اتمام المأموم بالإمام - رواه بسنده للصحيفة - وذلك إحالة على حديث رواه قبله من طريق المغيرة الحزامي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة به (رقم ٤١٤/٨٦) .
- ورواه البغوي الفراء (٤٢١/٣ ، ٤٢٢) في باب إذا صلى الإمام قاعدا بسنده للصحيفة . وقال : هذا حديث متفق على صحته (رقم ٨٥٢) .
- وفي المصنف وعند أحمد والبخاري : « إنما جعل الإمام » وعند مسلم والبغوي كما هنا « إنما الإمام » .

(١) إنما الإمام ليؤتم به :

أى للاقتداء والاتباع ، أى جعل الإمام إماما ليقتدى به ويتبع ، فى أحوال الصلاة ومن شأن التابع ألا يسبق متبوعه ولا يساويه ولا يتقدم عليه فى موقفه ، بل يراقب أحواله ويأتى على أثره بنحو فعله ، ومقتضى ذلك ألا يخالفه فى شيء من الأحوال .

وهذه المتابعة واجبة في الأفعال الظاهرة ، وقد نبه عليها في الحديث فذكر الركوع وغيره (١) .

(٢) وإذا قال : سمع الله لمن حمده فقولوا : اللهم ربنا لك الحمد :

استدل به بعض العلماء على أن الإمام يقتصر على قوله : « سمع الله لمن حمده » وأن المأموم يقتصر على قوله « اللهم ربنا لك الحمد » .

ولكن السياق ليس فيه ما يقتضى المنع من ذلك ؛ لأن السكوت عن الشيء لا يقتضى ترك فعله ، نعم مقتضاه أن المأموم يقول : « اللهم ربنا لك الحمد » عقب قول الإمام « سمع الله لم حمده ، فأما منع الإمام من قول : « اللهم ربنا لك الحمد » فليس بشيء ؛ لأنه ثبت أن النبي - ﷺ كان يجمع بينهما (٢) .

(٣) وعند مسلم والبخارى ما يبين السبب في هذا الحديث ؛ فعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت صلى رسول الله - ﷺ في بيته وهو شاك ، فصلى جالساً ، وصلى وراءه قوم قياماً فأشار إليهم أن اجلسوا ، فلما انصرف قال : إنما جعل الإمام ليؤتم به إلى آخر الحديث (٣) وقد استدل بهذا الحديث من يقول بصحة إمامة الجالس .

وقد نقل البخارى عن شيخه الحميدى أن ما يتعلق بجلوس المأمومين خلف الإمام الجالس منسوخ حيث قال : « قوله إذا صلى جالساً فصلوا جلوساً » هو في مرضه القديم ، ثم صلى بعد ذلك النبي - ﷺ جالساً والناس خلفه قياماً لم يأمرهم بالقعود ، وإنما يؤخذ بالآخر فالآخر من فعل النبي ﷺ (٤) .

ولكن ذلك لا يمثل اتفاقاً بين العلماء ، فبعضهم ذهب إلى أنه إذا صلى الإمام

(١) فتح البارى : ١٧٨/٢ .

(٢) المصدر السابق : ١٨٠/٢ .

(٣) البخارى : ١٦٩/١ : (١٠) كتاب الأذان - (٥١) إنما جعل الإمام ليؤتم به - مسلم ٣٠٩/١ (٤)

كتاب الصلاة . باب اتمام المأموم بالإمام .

(٤) الموضع السابق عند البخارى .

جالسا كان على المأمومين أن يجلسوا خلفه . قال البغوى : اختلف أهل العلم فيما إذا صلى الإمام قاعدا بعذر . هل يقعد القوم خلفه ؟ فذهب جماعة إلى أنهم يقعدون خلفه ، وبه قال من الصحابة : جابر بن عبد الله ، وأسيد بن حضير ، وأبو هريرة وغيرهم ، وهو قول أحمد وإسحاق .

وقال مالك : لا ينبغي لأحد أن يؤم الناس قاعدا .

« وذهب جماعة إلى أن القوم يصلون خلفه قياما ، وهو قول سفيان الثوري ، وابن المبارك ، والشافعي ، وأصحاب الرأي ، وقالوا : حديث أبي هريرة منسوخ بما روى أن النبي - ﷺ صلى في مرضه الذي مات فيه قاعدا والناس خلفه قيام ، وإنما يؤخذ بالآخر من فعل النبي - ﷺ (١) .

وهؤلاء قالوا : إن هناك حديث عائشة الذي يتعارض مع حديث أبي هريرة وغيره ؛ لأن الناس كانوا يقتدون بأبي بكر رضى الله عنه ، وكان أبو بكر قائما على الرغم من أنه كان يقتدى برسول الله ﷺ وهو جالس .

ففى حديث عائشة هذا : « وكان رسول الله - ﷺ يصلى قاعدا يقتدى أبو بكر بصلاة رسول الله - ﷺ ، والناس يقتدون بصلاة أبي بكر » . قال البغوى : هذا حديث متفق على صحته (٢) .

فدل ذلك على جواز أن يصلى القائم خلف القاعد ، وأن هذا الحديث ناسخ لحديث أبي هريرة الذى معنا .

ولكن الذين لا يقولون بالنسخ يرون : أن الرواية عن عائشة فى هذا الحديث متعارضة ، فروى الأسود عنها أن النبي - ﷺ كان إماما ... وروى مسروق عن عائشة

(١) شرح السنة : ٤٢٢/٣ .

(٢) المصدر السابق : ٤٢٤/٣ . رواه البخارى فى الموضع السابق ورواه مسلم (٣١١/١ - ٣١٢) فى

(٣) كتاب الصلاة (٢١) باب استخلاف الإمام (رقم ٤١٨/٩٠) .

قالت : صلى النبي - ﷺ خلف أبي بكر في مرضه الذى مات فيه قاعداً (١) أخرجه الترمذى وغيره وكذلك روى ثابت عن أنس قال : صلى رسول الله - ﷺ في مرضه خلف أبي بكر قاعداً في ثوب متوشحاً به (٢) رواه أيضاً الترمذى وغيره .

فهذا يدل على أن أبا بكر كان إماماً ، فلما تعارضت الرواية لم يجوز ترك حديث أبي هريرة وغيره (٣) .

والأولى بنا أن نسلك مسلك الذين جمعوا بين الحديثين ؛ بمعنى أن الحديث الذى معنا إنما يشمل فقط حالة أن يصلى الإمام المريض مرضاً يرجى شفاؤه ابتداءً قاعداً فحينئذ يصلى المأمومون خلفه قعوداً ، وهذا ما يبينه سبب الحديث . أما إذا ابتداءً الإمام الراتب قائماً لزم المأمومين أن يصلوا خلفه قياماً سواء طرأ ما يقتضى صلاة إمامهم قاعداً أولاً ، كما فى الأحاديث التى فى مرض موت النبي - ﷺ ، فإن تقريره لهم على القيام دل على أنه لا يلزمهم الجلوس فى تلك الحالة ، لأن أبا بكر ابتداءً الصلاة بهم قائماً ، وصلوا معه قياماً . بخلاف الحالة الأولى فإنه ﷺ ابتداءً الصلاة جالساً ، فلما صلوا خلفه قياماً أنكر عليهم .

وهذا ما ذهب إليه الإمام أحمد وتبعه فيه جماعة من محدثى الشافعية كابن خزيمة وابن المنذر وابن حبان (٤) .

وهناك طريقة أخرى للجمع بين الحديثين وهى أن نقول إن الحديث الذى معنا يدل على الوجوب والآخر نسخ الوجوب إلى الاستحباب .

وهذا وإن كان فيه نسخ إلا أنه يمكن العمل بالحديثين والله أعلم (٥) .

(١) صحيح الترمذى (١٩٧/٢) أبواب الصلاة - باب ٢٦٨ (رقم ٢٦٢) .

(٢) المصدر السابق (١٩٧/٢ - ١٩٨) الباب السابق (رقم ٢٦٣) وقال هذا حديث حسن صحيح .

(٣) شرح السنة : ٤٢٥/٣ .

(٤) فتح البارى : ١٧٦/٢ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٧٧ .

٤٥ - وقال رسول الله - ﷺ : أقيموا الصف في الصلاة ^(١) ؛ فإن إقامة الصف من حسن الصلاة ^(٢) .

• رواه عبد الرزاق (٤٤/٢) في باب الصفوف - عن معمر عن همام بن منه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله - ﷺ : أقيموا الصفوف ، فإن إقامة الصفوف من حسن الصلاة (رقم ٢٤٢٤) .

ورواه أحمد ضمن روايته للصحيفة (٥٥/١٦) (رقم ٤٥/٨١٤٢) .

ورواه البخاري (١٧٧/١) في (١٠) كتاب الأذان (٧٤) باب إقامة الصف من تمام الصلاة رواه من طريق عبد الرزاق عن معمر متصلا بالحديث السابق ، وهذا مما يرشح أن أحاديث الصحيفة رواها البخاري منها .

ورواه مسلم (٣٢٤/١) في (٤) كتاب الصلاة - (٢٨) باب تسوية الصفوف وإقامتها - بسنده للصحيفة (رقم ٤٣٥/١٢٦) .

كما روى من طريق شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال : سوا صفوفكم فإن تسوية الصف من تمام الصلاة . (رقم ٤٣٣/١٢٤) .

ورواه البيهقي الفراء (٤٢٢/٣) متصلا بالحديث السابق كما فعل البخاري وبسنده للصحيفة كما في الحديث السابق (رقم ٨٥٢) واعتبروه هو وما قبله حديثا واحدا فقال : هذا حديث متفق على صحته .

(١) أقيموا الصف في الصلاة أى سواه وعدلوه وتراصوا فيه .

وقد جاءت أحاديث صحيحة تحث على تسوية الصفوف ، وتحذر من عدم تسويتها . ومنها - مع ما سبق - ما رواه البخاري ومسلم بسنديهما عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال النبي - ﷺ : « لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم » ^(١) - أى يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب .

(١) صحيح البخاري (١٧٦/١) (١٠) كتاب الأذان (٧١) باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها - صحيح مسلم (٣٢٤/١) في الموضع المبين في التخريج ، وبعد حديث همام مباشرة . (رقم ٤٣٦/١٢٧) .

(٢) فإن إقامة الصف من حسن الصلاة : أى الزائد على تمامها ، فليس بفرض ، بل زائد عليه ، فالأمر للاستحباب ، بدليل تعليقه بقوله : « فإن إقامة الصف . ولا يعنى بالحسن هنا الظاهر المرئى من الترتيب ؛ بل المقصود به الحسن الحكمى (١) . وفى تسوية الصفوف تنبيه الإحساس بين المسلمين وتوعيدهم على التماسك فيما بينهم وعلى النظام . وكل هذا لازم للمسلم فى حياته كى ينجح فيها .

★ ★ ★

(١) إرشاد السارى : ٦٦/٢ .

٤٦ - وقال رسول الله - ﷺ : تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَى ^(١) . فقال له موسى : أنت آدم الذى أَغْوَيْتَ النَّاسَ ^(٢) فَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذى أعطاه الله علم كلِّ شَيْءٍ ^(٣) ، واصطفاه على الناس برسالته ؟

قال نعم . قال : أَتَلُمْنِي عَلَى أَمْرٍ قَدْ كُتِبَ عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُخْلَقَ ^(٤) ؟

فحجج آدم موسى - (صلى الله تعالى على نبيينا وعليهما وسلم) .

• رواه عبد الرزاق (١١٣/١١) فى كتاب الجامع - باب القدر - عن معمر عن همام عن أبى هريرة (رقم ٢٠٠٦٨) وفيه « أَتَلُمْنِي عَلَى أَمْرٍ كَانَ قَدْ كُتِبَ قَبْلَ أَنْ أَفْعَلَهُ - أَوْ قَالَ : مِنْ قَبْلِ أَنْ أُخْلَقَ » .

ورواه أحمد (٥٦/١٦) ضمن روايته للصحيحة (رقم ٤٦/٨١٤٣) .

ورواه مسلم (٢٠٤٣/٤ - ٢٠٤٤) فى (٤٦) كتاب القدر - (٢) باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام . بسنده للصحيحة (رقم ٢٦٥٢/١٥) وذلك لإحالة على روايات رواها قبل هذا الحديث من طريق أنس بن عياض عن الحارث بن أبى ذباب عن يزيد بن هرمز وعبد الرحمن الأعرج قالا : سمعنا أبا هريرة بمعناه . ومن طريق ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة نحوه .

وروى من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو عن طاوس عن أبى هريرة نحوه (٢٦٥٢/١٣) .

كما روى نحوه من طريق مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة نحوه (٢٦٥٢/١٤) .

وقد روى البخارى (١٣١/٤) فى (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء - (٣١) باب وفاة موسى وذكره بعد - من طريق ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة .

وروى فى (٢٣٩/٥) (٢٠/٦٥) كتاب التفسير - (١) باب (واصطنعتك لنفسى) . من طريق مهدي بن ميمون عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة نحوه .

وروى (٢٣٩/٥ ، ٢٤٠) فى الكتاب نفسه - (٣) باب (فلا يخرجكما من الجنة فتشقى) - من طريق أيوب ابن النجار ، عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة نحوه .

وروى (٢١٤/٧) في (٨٢) كتاب القدر - (١١) باب تحاج آدم وموسى عند الله - من طريق سفيان عن عمرو عن طاوس عن أنى هريرة نحوه .

وكذلك من طريق أنى الزناد عن الأعرج عن أنى هريرة .

وفي (٢٠٣/٨) (٩٧) كتاب التوحيد (٣٧) باب ما جاء في قول الله تعالى : (وكلم الله موسى تكليما) من طريق ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن أنى هريرة نحوه .

ورواه البغوى الفراء (١٢٥/١) في باب الإيمان بالقدر . بسنده للصحيفة ، وقال : هذا حديث متفق على صحته .

(١) تحاج آدم وموسى : اختلف العلماء في وقت ذلك ؛ فقليل : يحتمل أنه في زمان موسى ، فأحيا الله آدم معجزة له ، فكلمه ، أو كشف له عن قبره ، فتحدثا ، أو أراه الله روحه كما أرى النبی - ﷺ ليلة المعراج أرواح الأنبياء ، أو أراه الله له في المنام ، ورؤيا الأنبياء وحى ، وإن كان يقع في بعضها التعبير كما في قصة الذبيح ، أو كان ذلك بعد وفاة موسى فالتقيا في البرزخ أول ما مات موسى ، فالتقت أرواحهما في السماء وبذلك جزم ابن عبد البر والقاسى والتعبير عنه في الحديث بلفظ الماضى لتحقيق وقوعه ... وذكر ابن الجوزى احتمال التقائهما في البرزخ ، واحتمال أن يكون ذلك ضرب مثل ، والمعنى : لو اجتماعا لقالا ذلك . وخص موسى بالذكر لكونه أول نبى بعث بالتكاليف الشديدة (١) .

ومع إمكان هذه الاحتمالات فإن بعض النكرات أنكر هذا الحديث بحجة وجود هذه العبارة فيه ويقول : « إن التقاء الموتى ببعضهم قبل يوم القيامة شئء مستحيل ، وأن الأنبياء وغيرهم من الناس في ذلك سواء » (٢) .

ولست أدري من أين أتى بأن ذلك شئء مستحيل ؛ لأنه ليس هناك نص من الكتاب والسنة أن ذلك مستحيل . والعجب أنه يدل على الاستحالة بالآية الكريمة (يوم

(١) فتح البارى : ٥٠٦/١١ - ٥٠٧ .

(٢) الأضواء القرآنية : ٢٣٩/٢ .

يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) وأمثالها . ولكن الحق أن هذه الآية وغيرها تبين فقط أن الله سيجمع الرسل يوم القيامة ويسألهم - وهو أعلم - عن مدى استجابة قومهم لدعوتهم - وهذا شيء وإمكان اجتماعهم في البرزخ شيء آخر .

ومن العجب كذلك أنه يزعم كذباً أن الحديث فيه أن « الجدل قد وقع بين آدم وبين موسى وهما في الجنة » ^(١) وليس في الحديث ذلك ، ولا قال به أحد من العلماء كما رأيت وقد فضحت هذا النكرة في « كتاب الإسراء والمعراج » . وسنفضحه كلما عنت لنا الفرصة وجاءت المناسبة إن شاء الله تعالى .

(٢) أنت الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة : معناه أنك كنت سبياً في غواية من غوى منهم ، وهو سبب بعيد إذا لو لم يقع الأكل من الشجرة لم يقع الإخراج من الجنة . ولو لم يقع الإخراج ما تسلطت عليهم الشهوات والشيطان المسبب عنهما الإغواء . والغنى : ضد الرشد ، وهو الانهماك في غير الطاعة ، ويطلق أيضاً على مجرد الخطأ ؛ يقال : غوى : أى أخطأ صواب ما أمر به .

(٣) الذى أعطاه الله علم كل شيء : المراد به كتابه المنزل عليه ، وكل شيء يتعلق به ، وليس المراد عمومه ؛ لأنه عليه السلام أقر الخضر على قوله : « وإني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه أنت » . وقد جاء في بعض روايات الحديث : « وأعطاك الألواح فيها بيان كل شيء » وفي رواية : وأنزل عليك التوراة » ^(٢) .

(٤) قال ابن حجر أنكر القدريّة هذا الحديث وقالوا لا يصح ؛ لهذا الجواب من آدم عليه السلام ومعروف أن القدريّة هم الذين ينكرون القدر ، ويقولون : إن الأمر أنف ^(٣) ، قالوا :

١ - لأن موسى عليه السلام لا يلوم على أمر قد تاب منه صاحبه ، وقد قتل هو

(١) المصدر السابق : ٢٣٩/٢ .

(٢) فتح البارى : ٥٠٨/١١ ، ٥١٢ .

(٣) أنف : أى جديد ؛ لم يسبق فيه قدر .

نفساً لم يؤمر بقتلها ، ثم قال : (رب اغفر لي فغفر له) ^(١) . فكيف يلوم آدم على أمر قد غفر له ؟

٢ - لو ساغ اللوم على الذنب بالقدر الذى فرغ من كتابته على العبد لكان كل من يعاتب على معصية ارتكبها يحتج بالقدر السابق ، فينسد باب القصاص والحدود ، ولاحتج به كل أحد على ما يرتكبه من الفواحش وهذا يدل - فى زعمهم - أن الحديث ليس له أصل .

وهذا الذى قالوه رده بعض التكررات فى أيامنا هذه ، موهما أنه قد جاء به من عند نفسه ليثير الشبهات حول السنة الصحيحة ، وحول صحيح البخارى ^(٢) .

والجواب على هذا من شقين :

١ - أن آدم عليه السلام إنما احتج بالقدر على أمر لم يفعله ، لا على معصيته كشأن العصاة الذين يتمسحون بالقدر . لقد احتج بالقدر على إخراج ذريته من الجنة ؛ لأن هذا هو محصل لوم موسى عليه السلام : (أغويت الناس فأخرجتهم من الجنة) فكأنه قال : أنا لم أخرجكم ، وإنما أخرجكم الذى رتب الإخراج على الأكل من الشجرة وهو الله عز وجل الذى سبق فى علمه أن تعيشوا على الأرض فقال : « إني جاعل فى الأرض خليفة » ، فكيف تلومنى يا موسى على أمر ليس لى فيه نسبة إلا الأكل من الشجرة والإخراج المرتب عليها ليس من فعلى ، فإذاً ليس الاعتراض من موسى على الذنب الذى تاب الله على آدم منه ، وكان احتجاج آدم بالقدر على شيء لم يفعله ، وهو الإخراج من الجنة الذى هو فعل الله تعالى .

٢ - على أنه من ناحية أخرى نقول : إن احتجاج آدم عليه السلام بالقدر على شيء تسببت فيه معصيته لا يؤدى إلى مشروعية احتجاج العصاة بالقدر لأن هذا - كما يقول بعض العلماء - مخصوص بآدم عليه السلام ؛ لأن المناظرة بينهما وقعت بعد أن تاب

(١) القصص : ١٦ .

(٢) الأضواء القرآنية : ٢٤٠/٢ .

الله على آدم قطعاً ، كما قال الله تعالى : (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) (١) فَحَسُنَ منه أن ينكر على موسى لومه ؛ لأنه قد تيب عليه من ذلك ، وأعلن الله تعالى توبته وقبولها . أما غير آدم فلا يجوز له أن يقول لمن لامه على معصية كما لو قتل أو زنى أو سرق : هذا سبق في علم الله وقدره قبل أن يخلقني فليس لك أن تلومني عليه - لا يجوز له ذلك لأن الأمة أجمعت على جواز لوم من وقع منه ذلك ، بل على استحباب هذا اللوم ، كما أجمعوا على استحباب محمّدة من واطب على الطاعة . ولا يجوز له ذلك أيضاً لأن الله عز وجل لم يعلن له قبوله ، وقبول توبته كما هو الشأن في آدم عليه السلام .

هذا بعض ما فهمته من ردود بعض العلماء . وهناك طريقة أخرى لإثبات الحديث على منهج الإمام الشافعي الذي يرى أن الحديث إذا نقله الثقات يجب الإيمان به والتسليم بصحته والكف عن الاعتراضات عليه وقد نجح ابن حجر في أن يبين أن هذا الحديث صحيح بكثرة الناقلين له اعتباراً من الصحابة رضوان الله عليهم قال :

« قال ابن عبد البر : هذا الحديث ثابت بالاتفاق ، ورواه عن أبي هريرة جماعة من التابعين ، وروى عن النبي - ﷺ من وجوه أخرى من رواية الأئمة الثقات الأثبات قلت - أي ابن حجر : وقع لنا من طريق عشرة عن أبي هريرة : منهم (١) طاوس في الصحيحين (٢) والأعرج كما ذكرته ، وهو عند مسلم من رواية الحارث بن أبي ذباب ، وعند النسائي عن عمرو بن أبي عمرو كلاهما عن الأعرج ، (٣) وأبو صالح السمان عند الترمذي والنسائي وابن خزيمة كلهم من طريق الأعمش عنه ، والنسائي أيضاً من طريق الققعاق بن حكيم (٤) ومنهم أبو سلمة بن عبد الرحمن عند أحمد وأبي عوانة من رواية الزهري عنه ، وقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب ، وقيل عنه عن حميد بن عبد الرحمن . ومن رواية أيوب بن النجار عن أبي سلمة في الصحيحين أيضاً ، ... ومن رواية محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عند ابن خزيمة وأبي عوانة وجعفر الفرياني في القدر ، ومن رواية يحيى بن أبي كثير عن أبي عوانة . (٥) ومنهم حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ... (عند البخاري) وأخرجه مسلم . (٦) ومنهم محمد بن سيرين ؛ كما مضى في تفسير (طه) وأخرجه مسلم . (٧) ومنهم الشعبي : أخرجه أبو عوانة والنسائي . (٨) ومنهم

همام بن منبه أخرجه مسلم (وهي روايتنا هنا) . (٩) ومنهم عمار بن أبي عمار : أخرجه أحمد .

هذا ما ذكرهم ابن حجر وهم تسعة ، ويضاف إليهم : (١٠) يزيد بن هرمز ، كما عند مسلم حيث روى عنه الحارث بن أبي ذباب (رقم ٢٦٥٢/١٥) .

أما غير أبي هريرة ممن روى الحديث عن النبي - ﷺ - : عمر عند أبي داود وأبي عوانة وجندب بن عبد الله عند النسائي وأبو سعيد عند البزار . وأخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق والحارث من وجه آخر عنه . وقد أشار إلى هذه الثلاثة الترمذي (١) .

وعلى كل حال فهذا الحديث فيه من المتشابه الذي يمكن أن يتبعه من في قلوبهم زيغ ابتغاء الفتنة . أما العلماء المؤمنون فيقولون كما قال ابن الجوزي على هذا الحديث : « هذا مما يجب الإيمان به لثبوته عن خبر الصادق ، وإن لم يطلع على كيفية الحال ، وليس هو بأول ما يجب علينا الإيمان به ، وإن لم نقف على حقيقة معناه ؛ كعذاب القبر ونعيمه ، ومتى ضاقت الحيل في كشف المشكلات لم يبق إلا التسليم » . وكما قال ابن عبد البر : « مثل هذا عندي يجب فيه التسليم ولا يوقف فيه على التحقيق ؛ لأننا لم نؤت من جنس هذا العلم إلا قليلاً (٢) » .

ومن العجيب حقاً أن يستعمل بعض أعداء السنة والقرآن غباءه وعقله الضيق في التشويش على الأحاديث الصحيحة كهذا الحديث ؛ إذ يقول : « ما هو الإرشاد الذي يضعه (ﷺ) في هذا الحديث ، وما هو العمل الذي يريد النبي ﷺ أن يحققه من كلامه هذا ، وهل يمكن للمؤمن المستنبط أن يفهم من هذا الحديث أى شيء سوى الاحتجاج بالقضاء والقدر (٣) ؟

(١) فتح الباري : ٥٠٦/١١ .

(٢) المصدر السابق : ٥٠٧/١١ .

(٣) الأضواء القرآنية : ٢٤١/٢ .

نقول : إن العلماء قد استنبطوا فوائد عديدة لهذا الحديث إلى جاتب غرس عقيدة القدر ، وهى ركن من أركان الإيمان ؛ كما جاء فى حديث جبريل عليه السلام « وأن تؤمن بالقدر خيره وشره » . قال ابن حجر : وفى هذا الحديث عدة من الفوائد غير ما تقدم (أى أثناء شرحه للحديث) .

١ - قال القاضى عياض : ففيه حجة لأهل السنة فى أن الجنة الذى أخرج منها آدم هى جنة الخلد التى وعد المتقون ويدخلونها فى الآخرة ، خلافا لمن قال من المعتزلة وغيرهم إنها جنة أخرى ومنهم من زعم أنها فى الأرض .

٢ - وفيه إطلاق العموم وإرادة الخصوص فى قوله (أعطاك علم كل شئ) (سبق ذلك) ^(١) .

٣ - فيه مشروعية الحجج فى المناظرة ؛ لإظهار طلب الحق ، وإباحة التوبيخ والتعريض فى أثناء الحجاج ليتوصل إلى ظهور الحجة ، وأن اللوم على من أيقن وعلم أشد من اللوم على من لم يحصل له ذلك .

٤ - فيه مناظرة العالم من هو أكبر منه والابن أباه ، ومحل مشروعية ذلك إذا كان لإظهار الحق ، أو الازدياد من العلم ، والوقوف على حقائق الأمور .

٥ - فيه حجة لأهل السنة فى إثبات القدر ، وخلق أفعال العباد .

٦ - وفيه أنه يغتفر للشخص فى بعض الأحوال ما لا يغتفر فى بعض ؛ كحالة الغضب والأسف ، وخصوصا ممن طبع على حدة الخلق وشدة الغضب ؛ فإن موسى عليه السلام لما غلبت عليه حالة الإنكار فى المناظرة خاطب آدم مع كونه والده باسمه مجردا وخاطبه بأشياء لم يكن ليخاطب بها فى غير تلك الحالة ، ومع ذلك فأقره على ذلك ، وعدل إلى معارضته فيما أبداه من الحجة فى دفع شبهته ^(٢) . والله أعلم .

(١) ص : ١٥٥ .

(٢) فتح البارى : ٥١٢/١١ .

٤٧ - وقال رسول الله - ﷺ : بينما أيوب يغتسل عريانا ^(١) خَرَّ عليه رجلٌ ^(٢) جَرَادٍ من ذَهَبٍ ، فجعل أيوبُ يَحِثِّي ^(٣) في ثوبه ^(٤) قال : فناداه رَبُّهُ ^(٥) : يا أيوبُ ؛ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنِيْكَ عَمَّا تَرَى ؟
قال : بلى ^(٦) يا رب ، ولكن لا غنى ^(٧) لي عن بَرَكَتِكَ ^(٨) ^(٩) .

* * *

● رواه أحمد (٥٧/١٦) ضمن روايته للصحيفة - (رقم ٤٤٤٨١/٤٧) .

ورواه البخارى (٧٤ ، ٧٣/١) في (٥) كتاب الغسل - (٢٠) باب من اغتسل عريانا - رواه هو وحديث « كان بنو إسرائيل يغتسلون عراة » الآتى رقم (٦١) بإسناد واحد ؛ رواهما عن اسحاق بن نصر قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منبه به .

ورواه كذلك في (١٢٤/٤) (٦٠) كتاب الأنبياء - (٢٠) باب قول الله تعالى : (وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر) عن عبد الله بن محمد الجعفى قال حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن همام به .

وفى (١٩٧/٨) (٩٧) كتاب التوحيد - (٣٥) باب قول الله تعالى (يريدون أن يدلوا كلام الله) بالسند نفسه السابق : عن عبد الله بن محمد الخ .

ورواه البغوى الفراء (٦/٨ ، ٧) فى باب الكسب وطلب الحلال ، هو والحديث الذى بعده فى الصحيفة (رقم ٤٨) بإسناد واحد هو إسناده للصحيفة (رقم ٢٠٢٧) .

وقال : هذا حديث صحيح .

* * *

(١) يغتسل عريانا : استدل البخارى على جواز أن يغتسل الإنسان عريانا بما جاء فى هذا الحديث وبما سيجىء فى قصة موسى عليه السلام (رقم ٦١) ، ووجه الدلالة أنهما من أمرنا بالاعتداء بهما ، على رأى من يقول : شرع من قبلنا شرع لنا ، وقصَّ النبى - ﷺ القصتين ، ولم يتعقب شيئا منهما ، فدل على موافقتهما لشرعنا ، وإلا لو كان فيهما شيء غير موافق لبيّنه .

وفرق ما بين أن يستحم المسلم عريانا يستتر عن الناس ، كما فعل موسى عليه السلام وكما كان يفعل نبينا - ﷺ - وما بين أن يظهر عورته للناس .

والحديث يبين الوجه الأول ، ولا يتعرض لمسألة كشف العورة على الناس والفهم السليم يقف عند هذا الحد ، مع الاعتقاد أن الأنبياء لا يكشفون عورتهم على الناس .

ولكن بعض المخرفين زاد في الحديث ما يساعد هواه ليشير الشُّبه حول حديث البخارى - رضى الله تعالى عنه - قال : « وهنا يكون من المستحيل هو أن يغتسل أيوب عريانا كما يفعل أهل الوقاحة الجهلاء الذين لا يستحيون من الله ولا من الناس » (١) .

من قال إن أيوب فعل ذلك كما يفعل أهل الوقاحة الجهلاء؟! إن الحديث كما قلنا لا يدل على أكثر من أنه عليه السلام اغتسل عريانا ، أمّا إنه لم يستح من الله ولا من الناس فهذا ما زاده فهمه السقيم ، والذي لا يفهمه المؤمنون سواء بيّن الحديث أو لم يبين

(٢) **رجُلُ جرّاد** : أى جماعة جرّاد ، والجراد اسم جمع واحده جرادة ، كتمر وتمرّة وحكى ابن سيدة أنه يقال للذكر جرّاد ، وللأنثى جرادة ، وفي الصحاح : الجرّاد معروف والواحدة جرادة يقع على الذكر والأنثى . وقال ابن دريد فى الجمهرة : سمى جرّاداً لأنه يجرد الأرض فهو يأكل ما عليها (٢) .

(٣) **يخنى** : أى يأخذ بيديه جميعاً .

(٤) **فى ثوبه** : فى حديث ابن عباس عند ابن أبى حاتم : فجعل أيوب ينشر طرف ثوبه فيأخذ الجرّاد فيجعله فيه ، فكلمتا امتلأت ناحية نشر ناحية (٣) .

(٥) **فناداه ربه** : يحتمل أن يكون كلمه كما كلم موسى ، وهو أولى بظاهر اللفظ ، ويحتمل أن يرسل إليه ملكاً - على طريق المجاز (٤) .

(١) الأضواء القرآنية : ٣٢٠/٢ .

(٢) فتح البارى : ٤٢٠/٦ - عمدة القارى : ١٢٦/٣ .

(٣) فتح البارى : ٤٢٠/٦ - ٤٢١ .

(٤) عمدة القارى : ١٢٦/٣ .

(٦) « بلى يا رب » : أى بلى أغنيتنى ، ولو قيل فى مثل هذا الموضع بدل « بلى » « نعم » لا يجوز بل يكون كفرا ؛ لأن بلى مختصة بإيجاب النفى ، ونعم مقررة لما سبقها . قال العيني : « والفقهاء لم يفرقوا فى الأقاير ؛ لأن مبناها على العرف ، ولا فرق بينهما فى العرف » ^(١) .

(٧) لا غنى لى : غنى بالقصر بلا تنوين على أن لا نافية للجنس ، وبالتنوين على أن لا بمعنى ليس ، ولا فرق فى المعنى لأن النكرة فى سياق النفى تفيد العموم .

(٨) عن بركتك : البركة : كثرة الخير .

(٩) هذا الحديث وأمثاله مما يُعَلِّمُ الله تعالى به رسوله ﷺ ، ومعلوم أن الله تعالى أعطى رسوله القرآن وغيره من الأحكام وأخبار الأنبياء السابقين وغير ذلك ، وهذا من أخبار الأنبياء السابقين التى يقصها الرسول ﷺ لتستفيد بها أمته . وقد جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه أبو داود (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) ^(٢) .

ولهذا قد استنبط العلماء من هذا الحديث فوائد منها :

١ - جواز الاغتسال عريانا ؛ لأن الله تعالى عاتب أيوب عليه السلام على جمع الجراد ، ولم يعاتبه على الاغتسال عريانا .

٢ - فيه فضل الكفاف على الفقر ؛ لأن أيوب عليه السلام لم يكن يأخذ ذلك مفاخرا ولا مكاثرا ؛ وإنما أخذه ليستعين به فيما لا بد له منه ، ولم يكن الرب جلا وعلا ليعطيه ما ينقص به حظه ومكانته عنده عز وجل .

٣ - فيه الحرص على الحلال .

٤ - وفيه فضل الغنى ؛ لأنه سماه بركة ^(٣) .

(١) المصدر السابق : ١٢٦/٣ .

(٢) سبق تخريج هذا الحديث ص : ٦٥ .

(٣) عمدة القارى : ١٢٦/٣ - ١٢٧ .

هذا ما استنبطه العلماء وإذا عرفناه عرفنا مقدار الهذيان عندما يعقب بعض النكرات على هذا الحديث منكرًا إياه ؛ لأن الله قد ذكر مرض أيوب ولم يذكر هذا الذي جاء به الحديث ، ولأنه يستبعد ويستنكر أن يكون النبي قد عرف مثل هذا بعد أن انتهت إليه أخبار الأنبياء « عن طريق القصص القرآني » ، « فمن أين عرف النبي قصة أيوب مع هذا الجراد الذهبي ما دامت لم تأت في القرآن الكريم وإذا كانت هذه القصة وأمثالها مما نسب إلى النبي - ﷺ قد جاءت عن طريق الوحي بواسطة جبريل أيضا ، فكيف يتركها النبي دون تدوين محدد محبوب ، مثلما فعل في تدوين القرآن الكريم ... » ^(١) إلى آخر هذا الهذيان .

فهو يجهل أو يتجاهل أن النبي - ﷺ أوتي القرآن ومثله معه كما جاء في الحديث الصحيح ^(٢) .

ويجهل أو يتجاهل أن الله تعالى يوحى - إليه غير القرآن ، وأظهر مثل على ذلك الأحاديث القدسية ... ويجهل أو يتجاهل أن الوحي لا يكون دائما عن طريق جبريل كما يفهم من كلامه .

وأنواع الوحي معروفة لدى العلماء ولا تقتصر على ما يأتي به جبريل عليه السلام من عند الله عز وجل :

يقول الإمام العيني في أقسام الوحي وصوره : « أما أقسامه في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فعلى ثلاثة أضرب : أحدها سماع الكلام القديم ؛ كسماع موسى عليه السلام بنص القرآن ، ونبينا - ﷺ بصحيح الآثار . الثاني : وحي رسالة بواسطة الملك . الثالث : وحي تلقى بالقلب كقوله عليه الصلاة والسلام : « إن روح القدس نفث في روعي » أى في نفسى ، وقيل : كان هذا حال داود عليه السلام ، والوحي إلى غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمعنى الإلهام كالوحي إلى النحل . » وأما صورته على ما

(١) الأضواء القرآنية ٣٢٢/٢ .

(٢) صحيح الجامع الصغير وزاداته : ٣٧٥/٢ .

ذكره السهيلي فسبعة : الأولى : المنام ، كما جاء في الحديث . الثانية : أن يأتيه الوحي مثل صلصلة الجرس ، كما جاء في الحديث أيضا ، الثالثة : أن ينفث في روعه الكلام كما مر في الحديث المذكور آنفا . وقال مجاهد وغيره : في قوله تعالى : (أن يكلمه الله إلا وحيا)^(١) وهو أن ينفث في روعه بالوحي . الرابعة : أن يتمثل له الملك رجلا ، كما في هذا الحديث (أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس ...) وقد كان يأتيه في صورة دحية ... الخامسة : أن يتراءى له جبريل عليه السلام في صورته التي خلقها الله تعالى له بستائة جناح ... السادسة : أن يكلمه الله من وراء حجاب ؛ إما في اليقظة ؛ كليلة الإسراء ، أو في النوم ؛ كما جاء في الترمذي مرفوعاً : « أتاني ربي في أحسن صورة فقال : فيم يختصم الملائ الأعلى » الحديث^(٢) .

وهكذا نرى أن الوحي لا يقتصر على كون جبريل يأتي النبي ﷺ . وبالتالي لا يقتصر على الوحي القرآني ، ولكن المنكرين لا يعلمون ولا يفقهون .

(١) الشورى : ٥١ .

(٢) عمدة القارى : ٤٤/١ .

٤٨ - وقال رسول الله - ﷺ : خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ الْقُرْآنُ ^(١) فكان يأمر بِدَوَابِّهِ تُسْرَج ، فكان يقرأ القرآن من قبل أن تُسْرَج دَابَّتُهُ ^(٢) .
وكان لا يأكلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ^(٣) .

* * *

● رواه أحمد (٥٧/١٦) ضمن روايته للصحيفة (٤٨/٨١٤٥ ، ٤٩) .
ورواه البخارى كاملا كما هنا ، وجزءا منه ؛ القسم الخاص بالقراءة أو القسم الخاص بالعمل .
في (١٣٣/٤) (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء - (٣٧) باب قوله تعالى (وآتينا داود زبورا) رواه جميعه عن عبد الله بن محمد عن عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أنى هريرة به .
وفي (٢٢٦/٥) (١٧/٦٥) كتاب التفسير - (٦) باب (وآتينا داود زبورا) روى القسم الأول منه عن إسحاق بن نصر ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منبه به .
وفي (٩/٣) (٣٤) كتاب البيوع - (١٥) باب كسب الرجل وعمله بيده روى القسم الثانى عن يحيى بن موسى عن عبد الرزاق ، عن معمر به .
ورواه البغوى الفراء (٦/٨) فى باب الكسب وطلب الحلال مع الحديث السابق (٤٧) بسنده للصحيفة (رقم ٢٠٢٧)

* * *

(١) المراد بالقرآن القراءة - كما جاء فى بعض روايات كتاب البخارى . والأصل فى معنى هذه اللفظة الجمع ، وكل شىء جمعته فقد قرأته . وقيل : المراد الزبور ، وقيل التوراة ، وقراءة كل نبي تطلق على كتابه الذى أوحى إليه ، وإنما سماه قرآنا للإشارة إلى وقوع المعجزة به كوقوع المعجزة بالقرآن ، وإنما ترددا بين الزبور والتوراة لأن الزبور كله مواعظ ، وكانوا يتلقون الأحكام من التوراة . قال قتادة : كنا نتحدث أن الزبور مائة وخمسون سورة كلها مواعظ وثناء ، ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ، بل كان اعتماده على التوراة . أخرجه ابن أبى حاتم وغيره ^(١) .

(١) فتح البارى : ٤٥٤/٦ - ٤٥٥ وقارن بعمدة القارى ٢٧٥/١٥ .

(٢) كان يقرأ قبل أن تسرج : أى يكمل قراءته قبل أن يشد عليها السرج وقد جاء فى رواية : « فلا تسرج حتى يقرأ القرآن » (١) .

قال العيني : وفيه الدلالة على أن الله تعالى يطوى الزمان لمن يشاء من عباده ، كما يطوى المكان ، وهذا لا سبيل إلى إدراكه إلا بالفيض الربانى ، وجاء فى الحديث : « إن البركة قد تقع فى الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير » وقال النووى أكثر ما بلغنا من ذلك من كان يقرأ أربع ختمات بالليل وأربعاً بالنهار قلت (أى العيني) : ولقد رأيت رجلاً حافظاً قرأ ثلاث ختمات فى الوتر فى كل ركعة ختمة فى ليلة القدر (٢) .

(٣) وكان لا يأكل إلا من عمل يده : قال رسول الله ﷺ فيما رواه البخارى بسنده عن المقدم : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » فأطيب الكسب ما كان بعمل اليد ، وإنما يفضل عمل اليد سائر المكاسب إذا نصح العامل ، ومن شرطه ألا يعتقد أن الرزق من الكسب بل من الله تعالى بهذه الوسطة ، ومن فضل العمل باليد الشغل بالأمر المباح عن البطالة واللهم وكسر النفس بذلك ، والتعفف عن ذلة السؤال والحاجة إلى الغير . وقد ذكر الرسول ﷺ داود عليه السلام لأنه اقتصر على أن يعمل بيديه ليأكل ولم يكن فى حاجة إلى ذلك ؛ لأنه كان خليفة فى الأرض كما قال الله تعالى ، وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل . والأرجح أن عمله بيده كان نسج الدروع ، وألان الله له الحديد فكان ينسج الدروع ويبيعها ولا يأكل إلا من ثمن ذلك (٣) .

وقد استدلل بهذا الحديث على أن التكسب لا يقدر فى التوكل ، كما استدلل به على مشروعية الإجارة من جهة أن عمل اليد أعم من أن يكون للغير أو للنفس (٤) .

★ ★ ★

(١) فتح البارى : ٤٥٥/٦ .

(٢) عمدة القارى : ٥٨/١٣ ، وقارن بفتح البارى : ٤٥٥/٦ .

(٣) فتح البارى : ٣٠٦/٤ ، ٤٥٥/٦ .

(٤) المصدر السابق : نفس الموضعين .

٤٩ - وقال رسول الله - ﷺ : رؤيا الرجل ^(١) الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ^(٢) .

● رواه أحمد ضمن روايته للصحيفة (٥٨/١٦) رقم ٥٠/٨١٤٦ .

ورواه مسلم (١٧٧٤/٤ - ١٧٧٥) في (٤٢) كتاب الرؤيا - أول الباب بسنده للصحيفة ، وذلك إحالة إلى حديث رواه قبله من طريق عبد الله بن يحيى بن أبي كثير ، عن أبيه ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة به وبلفظ الصحيفة نفسه (٢٢٦٣/٨) .

وروى قبله حديثاً لشعبة عن قتادة عن أنس وفيه رؤيا المؤمن (رقم ٢٢٦٤/٧) .

وروى البخارى نحوه (٦٩/٨) في (٩١) كتاب التعبير - ٤ - باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة - من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وفيه « رؤيا المؤمن جزء » إلخ . وقال : ورواه ثابت وحيد وإسحاق بن عبد الله وشعيب عن أنس ، عن النبي - ﷺ .

وروى نحوه في الموضع نفسه . من طريق ابن أبي حازم والدارودى عن يزيد بن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

(١) رؤيا الرجل الصالح : ذكر الرجل للغالب فلا مفهوم له ، فإن المرأة الصالحة

كذلك . قاله ابن عبد البر ^(١) .

والتقييد بالصالح جرى على الغالب ، فقد يرى الصالح الأضغاث ، ولكنه نادر

لقلة تمكن الشيطان منه ، بخلاف العكس ، وحينئذ فالناس على ثلاثة أقسام :

١ - الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ورؤياهم كلها صدق وقد يكون فيها

ما يحتاج إلى تعبير .

٢ - الصالحون ، والأغلب على رؤياهم الصدق ، وقد يقع فيها ما لا يحتاج إلى

تعبير .

(١) عمدة القارى : ٨/٢٠ .

٣ - ومن عداهم يكون في رؤياهم الصدق والأضغاث ؛ وهم على ثلاثة : مستورون فالغالب استواء الحال في حقهم ؛ وفسقة والغالب على رؤياهم الأضغاث ويقل فيها الصدق ؛ وكفار ، ويندر في رؤياهم الصدق جدا (١) .

(٢) جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة : قال بعض الشراح : كذا هو في جميع الطرق (من النبوة) وليس في شيء منها لفظ (من الرسالة) بدلاً (من النبوة) قال : وكأن السر فيه أن الرسالة تزيد على النبوة بتبليغ الأحكام للمكلفين بخلاف النبوة المجردة فإنها اطلاع على بعض المغيبات ، وقد يقرر بعض الأنبياء شريعة من قبله ، ولكن لا يأتي بحكم جديد مخالف لمن قبله ، فيؤخذ من ذلك ترجيح القول بأن من رأى النبي في المنام فأمره بحكم يخالف حكم الشرع المستقر في الظاهر أنه لا يكون مشروعاً في حقه ولا في حق غيره حتى يجب عليه تبليغه (٢) .

وقد قال بعض العلماء : إن كون الرؤية جزءاً من النبوة إنما هو مجاز لا حقيقة ؛ لأن النبوة انقطعت بموته - ﷺ ، وجزء النبوة لا يكون نبوة ، كما أن جزء الصلاة لا يكون صلاة .

نعم إن وقعت من النبي - ﷺ فهي جزء من أجزاء النبوة حقيقة وقيل إن وقعت من غيره عليه السلام فهي جزء من علم النبوة ؛ لأن النبوة - وإن انقطعت فعلمها باقٍ . وقول مالك - رحمه الله - لما سئل : أيبر الرؤيا كل أحد فقال : أبا لنبوة تلعب ، ثم قال : الرؤيا جزء من النبوة فلا يلعب بالنبوة - أجيب عنه بأنه لم يرد أنها نبوة باقية ، وإنما أراد أنها لما أشبهت النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب لا ينبغي أن يتكلم فيها بغير علم (٣) .

قال البغوي الفراء : قيل : معناه أنها جزء من أجزاء علم النبوة وعلم النبوة باقٍ ، والنبوة غير باقية .

(١) إرشاد السارى : ١٢٤/١٠ .

(٢) فتح البارى : ٣٧٤/١٢ ، ٣٧٥ .

(٣) إرشاد السارى : ١٢٣/١٠ - ١٢٤ .

أو أراد به أنها كالنبوة في الحكم بالصحة كما قال عليه الصلاة والسلام : « الهدى الصالح ، والسمت الصالح ، والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة » أى هذه الخصال في الحسن والاستحباب كجزء من أجزاء فضائلهم ، فاقتدوا فيها بهم لا أنها حقيقة نبوة ، لأن النبوة لا تتجزأ ، ولا نبوة بعد الرسول - ﷺ ، وهو معنى قوله : ﷺ : « ذهبت النبوة وبقيت المبشرات ؛ الرؤيا الصالحة ، يراها المؤمن أو تُرى له » (١) .

ولكن الغزالي يرى أن ذلك ليس من باب المجاز ، وإنما هو حقيقة ، وإن كان أحد لا يستطيع أن يعرف المعنى والمراد إلا بتخمين ، يقول : « لا تظن أن تقدير النبي - ﷺ يجرى على لسانه كيفما اتفق ، بل لا ينطق إلا بحقيقة الحق ، فقوله « رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة تقدير تحقق ، لكن ليس في قوة غيره أن يعرف علة تلك النسبة إلا بتخمين ؛ لأن النبوة عبارة عما يختص به النبي ، ويفارق به غيره ، وهو مختص بأنواع من الخواص كل واحد منها يمكن انقسامه إلى أقسام بحيث يمكننا أن نقسمها إلى ستة وأربعين جزءاً بحيث تقع الرؤيا الصحيحة جزءاً من جملتها ، لكنه لا يرجع إلا إلى الظن والتخمين ، لا أنه الذي أراده النبي - ﷺ حقيقة » (٢) .

وإذا كان الغزالي قد بين أن الظنون قد تذهب إلى تفسيرها فقد أغلق الباب في ذلك بعض العلماء . قال القسطلاني :

« وأما حصر العدد في الستة والأربعين فقال المازري : هو مما أطلع الله عليه نبيه - ﷺ ، وقال ابن العربي : أجزاء النبوة لا يعلم حقيقتها إلا نبي أو ملك ، وإنما القدر الذي أراد - ﷺ أن يبينه أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة في الجملة ؛ لأن فيها اطلاعا على الغيب من وجهٍ ما ، وأما تفصيل النسبة فيختص بمعرفته درجة النبوة » .

(١) شرح السنة : ٢٠٣/١٢ - ٢٠٤ والحديث أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ومسلم من طريق ابن عباس ، والطبراني من حديث حذيفة بن أسيد ، وأحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث أم كرز الكعبية (انظر تحقيق شرح السنة ٢٠٤/١٢) .

(٢) إرشاد الساري : ١٢٧/١٠ .

وقال المازرى أيضا : لا يلزم العالم أن يعرف كل شيء جملة وتفصيلا ، فقد جعل الله حدا يقف عنده ، فمنه ما يعلم المراد به جملة وتفصيلا ، ومنه ما يعلمه جملة لا تفصيلا ، وهذا من هذا القليل .

وإذا كان هذا هو المسلك الصحيح فقد حاول بعض العلماء تفسيرها وبيان حقيقتها فقال : إن الله أوحى إلى نبيه - ﷺ في المنام ستة أشهر ، ثم أوحى إليه بعد ذلك في اليقظة - بقية مدة حياته ، ونسبها إلى الوحي في المنام جزء من ستة وأربعين جزءاً ؛ لأنه عاش بعد النبوة ثلاثاً وعشرين سنة على الصحيح فالسنة الأشهر نصف سنة ، فهي جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة .

وتعقبه الخطاى : بأنه قاله على سبيل الظن ؛ إذ إنه لم يثبت في ذلك خبر ولا أثر ، ولئن سلمنا أن هذه المدة محسوبة من أجزاء النبوة لكنه يلحق بها سائر الأوقات التي كان يوحى إليه فيها مناماً في طول المدة ، كما ثبت ، كالرؤيا في أحد ، ودخول مكة وحينئذ فيتلفق من ذلك مدة أخرى تزداد في الحساب فتبطل القسمة التي ذكرها ، وأجيب بأن المراد وحى المنام المتتابع (لا) كما وقع في غضون وحى اليقظة ، وهو يسير بالنسبة إلى وحى اليقظة ، فهو مغمور في جانب وحى اليقظة فلم يعتبر به (١) .

على أنه من الأسلم هو الاتجاه إلى عدم تفسير هذا العدد ، وكما يقول القسطلانى : « فالأولى أن يجتنب القول فيه ، ويتلقى بالتسليم لعجزنا عن حقيقة معرفته على ما هو عليه » (٢) .

وما يرجح هذا المنحى اختلاف الروايات في العدد - وبعضها صحيح ؛ ففي مسلم عن حديث أبي هريرة « جزء من خمسة وأربعين » ، وله أيضا عن ابن عمر : « جزء من سبعين جزءا » .. إلخ ، فقلما يصيب مؤول في حصر هذه الأجزاء (٣) .

(١) المصدر السابق : ١٢٤/١٠ .

(٢) المصدر السابق : ١٢٧/١٠ .

(٣) المصدر السابق : ١٢٤/١٠ .

٥٠ - وقال رسول الله - ﷺ : ^(١) الصغيرُ على الكبير والمأرُ على القاعد ، والقليل على الكثير ^(٢) .

• رواه عبد الرزاق (٣٨٨/١٠) في كتاب الجامع - باب سلام القليل على الكثير عن معمر عن همام أنه سمع أبا هريرة يقول به - وفيه « ليسلم الصغير » .

ورواه أحمد (٥٨/١٦) ضمن روايته للصحيفة (رقم ٥١/٨١٤٧) ، وفيه « ليسلم » .

ورواه البخاري (١٢٧/٧) في (٧٩) كتاب الاستئذان - (٤) باب تسليم القليل على الكثير - عن محمد بن مقاتل أبو الحسن ، عن عبد الله بن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة به .

وروى مسلم (١٧٠٣/٤) نحوه منه في (٣٩) كتاب السلام - (١) باب تسليم الراكب على الماشي والقليل على الكثير - من طريق ابن جريج عن زياد (ابن سعد الخراساني) عن ثابت مولى عبد الرحمن بن زيد عن أبي هريرة .

ورواه الترمذي (٦٢/٥) في (٤٣) كتاب الاستئذان - (١٤) باب ما جاء في تسليم الراكب على الماشي - عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك عن معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

ورواه البغوي الفراء (٢٦٢/١٢) في باب من الذي يبدأ بالسلام بسنده للصحيفة ويسند آخر يلتقي عند عبد الرزاق (رقم ٣٣٠٣) وقال هذا حديث صحيح . وفيه « ليسلم » .

وهكذا في المصنف والمسند ، وشرح السنة كلها : « ليسلم » مما قد يرجع أن هنا كذلك « ليسلم » وقد أصابها تحريف . والله أعلم . أما عند البخاري والترمذي « يسلم » .

وعلى كل حال فإن معنى يسلم هو الأمر بالسلام ، فهو خير بمعنى الأمر .

(١) قال النووي : هذا أدب من آداب السلام ، وأعلم أن ابتداء السلام سنة ، ورده واجب ، فإن كان المسلم جماعة فهو سنة كفاية في حقهم ؛ إذا سلم بعضهم حصلت سنة السلام في حق جميعهم ، فإن كان المسلم عليه واحدا تعين عليه الرد ، وإن كانوا جماعة كان الرد فرض كفاية في حقهم ، فإذا رد واحد منهم سقط عن الباقيين والأفضل أن يبتدىء الجميع بالسلام ، وإن يرد الجميع ، وعن أبي يوسف أنه لا بد أن يرد

الجميع ونقل ابن عبد البر وغيره إجماع المسلمين على أن ابتداء السلام سنة وأن رده فرض .

وأقل السلام أن يقول : السلام عليكم ، فإن كان المسلم عليه واحدا فأقله « السلام عليك » ، والأفضل أن يقول : السلام عليكم ليتناولوه ومَلَكَيْهِ ، وأكمل منه أن يزيد : « ورحمة الله » ، وأيضا « وبركاته » . ولو قال : سلام عليكم أجزأه .

وأما **صفة الرد** فالأفضل والأكمل أن يقول : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ويأتى بالواو ، فلو حذفها جاز ، وكان تاركا للأفضل ، ولو اقتصر على : « وعليكم السلام » أو « عليكم السلام » أجزأه .

وأقل السلام ابتداءً ورداً أن يُسمع صاحبه ، ولا يجزئه دون ذلك .

وأما **معنى السلام** فقليل : هو اسم الله تعالى ، فقوله السلام عليك ، أى اسم السلام عليك ، ومعناه اسم الله عليك ؛ أى أنت فى حفظه ، كما يقال : الله معك ، والله يصحبك وقيل : السلام بمعنى السلامة ؛ أى السلامة ملازمة لك ^(١) .

ومن فوائده حصول المحبة بين المتسلمين ، وكان ذلك لما فيه من ائتلاف الكلمة لتتم المصلحة بوقوع المعاونة على إقامة شرائع الدين وإخزاء الكافرين ، وهى كلمة إذا سمعت أخلصت القلب الواعى لها عن النفور إلى الإقبال على قائلها ^(٢) .

(٢) **يسلم الصغير على الكبير** ... إلخ هذا الذى جاء به الحديث من تسليم هؤلاء على هؤلاء **للاستحباب** . **فلو عكس** جاز بمعنى أن يبتدىء الكبير بالسلام أو القاعد بالسلام أو الكثير بالسلام ، فمراعاة ما ثبت فى الحديث أولى ، وهو خبر بمعنى الأمر على سبيل الاستحباب ولا يلزم من ترك المستحب الكراهة ، بل يكون خلاف الأولى ^(٣) .

(١) شرح مسلم : ٣/٥ ، ٤ .

(٢) فتح البارى : ١٨/١١ ، ١٩ .

(٣) شرح مسلم : ٤/٥ - فتح البارى : ١٧/١١ .

والحكمة فيمن شرع لهم الابتداء أن تسليم الصغير على الكبير من أجل حق الأخير فإنه أمر بتوقيه ، وتسليم الراكب لثلاث يتكبر بركوبه فيرجع إلى التواضع ، وأما المار فلما يتوقع القاعد منه من الشر ، فإذا ابتدأه بالسلام أمن منه ذلك وأنس إليه ، أو لأن القاعد يشق عليه مراعاة المارين مع كثرتهم ، فسقطت البداءة عنه للمشقة بخلاف المار فلا مشقة عليه . وأما القليل فلفضيلة الجماعة .

وهذا الأمر في الحديث ليس على إطلاقه فهناك حالات ليست من المستحب لأمثال هؤلاء أن يسلموا فيها ، أو ليس على المسلم عليهم وجوب الرد ؛ قال الإمام النووي بالنسبة للسلام على النساء : « فإن كن جميعا سلم عليهن ، وإن كانت واحدة سلم عليها النساء وزوجها ومحرمها سواء كانت جميلة أو غيرها .

وأما الأجنبية فإن كانت عجوزا لا تُشْتَهَى استحَب السلام عليها واستحب لها السلام عليه ، ومن سلم منهما لزم الآخر رد السلام عليه ، وإن كانت شابة أو عجوزا تُشْتَهَى لم يسلم عليها الأجنبية ولم تسلم عليه ، ومن سلم منهما لم يستحق جوابا ، ويكره رد جوابه ، وهذا هو مذهب الشافعي ومذهب الجمهور .

والمسلم مأمور بمعادة الكافر فلا يشرع له فعل ما يستدعي محبته وموادته ولذلك ورد الأمر بترك ابتدائه بالسلام .

واختلف في مشروعية السلام على الفاسق . قال النووي : وأما المبتدع ، ومن اقترف ذنبا عظيما ولم يتب منه فينبغي ألا يسلم عليهم ولا يرد عليهم السلام . قاله البخاري وغيره من العلماء (١) .

ويستثنى كذلك من العموم بابتداء السلام عليه من كان مشغولا بأكل أو شرب أو كان في الخلاء أو الحمام ... أو مصليا أو مؤذنا ما دام متلبساً بشيء مما ذكر وأما السلام حال الخطبة في الجمعة فيكره للأمر بالإنصات فلو سلم لم يجب الرد عند من

(١) الأذكار للنووي : ص ٢١٨ .

قال : الإنصات واجب ويجب عند من قال إنه سنة ، وعلى الوجهين لا ينبغي أن يرد غير واحد . ويكره السلام على من كان مشغولاً بالدعاء مستغرقاً فيه مستجمع القلب ؛ لأنه يتنكد به ويشق عليه أكثر من مشقة الأكل ، وأما الملبى فى الإحرام فيكره أن يسلم عليه ؛ لأن قطعه التلبية مكروه ، ويجب عليه الرد مع ذلك لفظاً إن سَلَّمَ عليه ... وذكر بعض الحنفية : أن من جلس فى المسجد للقراءة أو التسبيح أو لانتظاره الصلاة لا يشرع السلام عليه وإن سَلَّمَ عليه لم يجب الجواب ، وكذا الخصم إذا سلم على القاضى لا يجب عليه الرد ^(١) .

(١) فتح البارى : ١٩/١١ ، ٢٠ وقارن بالأذكار الذى لخص منه ابن حجر هذا ، ص ٢١٥ - ٢١٩ -
وقارن كذلك بعمدة القارى : ٢١٩/١٨ - ٢٢٠ .

٥١ - وقال رسول الله - ﷺ : لا أزال أُقاتِلُ الناسَ (١) حتى يقولوا : لا إله إلا الله (٢) ، فإذا قالوا : لا إله إلا الله فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم وأنفسهم إلا بحقها ، وحسابهم (٣) على الله (٤) .

• رواه أحمد (٥٩/١٦) ضمن روايته للصحيفة (رقم ٥٢/٨١٤٨) . وليس فيه « دماءهم » .

وروى البخارى لهذا الحديث روايات متعددة أقربها في (٥/٤ ، ٦) (٥٦) كتاب الجهاد - (١٠٢) باب دعاء النبي - ﷺ إلى الإسلام والنبوة - من طريق أبى العيمان ، عن شعيب ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة .

وكذلك رواها مسلم (٥١/١ ، ٥٢) في (١) كتاب الإيمان - (٨) باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله - من طريق يونس عن ابن شهاب به (رقم ٢١/٣٣) .

ورواه البغوى الفراء (٦٥/١) في باب البيعة على الإسلام وشرائعه والقتال مع من أبى . رواه بسنده للصحيفة ، وقال هذا حديث متفق على صحته . وليس فيه « دماءهم » (رقم ٣١) .

قال الأستاذ أحمد شاکر في المسند تعليقا على هذا الحديث (٥٩/١٦) : « وقوله : « فقد عصموا مني أموالهم » هو الثابت في أصول المسند الثلاثة وجامع المسانيد ، وفي الصحيفة المفردة (أى هنا) : « فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم » وزيادة كلمة : « دماءهم » لعلها سهو من راوى الصحيفة أو من أحد الناسخين ؛ لأن قوله بعد ذلك : « وأنفسهم » يغنى عنها .

وأنا أوافق على هذا ، وأضـم إلى ما ذكره أن البغوى الفراء الذى يروى الصحيفة من الطريق نفسه الذى تروى منه الصحيفة المفردة ابتداء من أبى بكر محمد بن الحسين بن الحسن القطان - يروى هذا الحديث - كما رأينا - دون كلمة : « دماءهم » . والله أعلم .

(١) قال البغوى : قوله : « حتى يقولوا ، لا إله إلا الله » أراد به عبدة الأوثان دون أهل الكتاب لأنهم يقولون « لا إله إلا الله » ، ثم لا يرفع عنهم السيف حتى يقرؤا بنبو محمد - ﷺ (١) .

وقال النووي : اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة إلى الإيمان : « فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفى في عصمته بقوله : « لا إله إلا الله » إذ كان يقولها في كفره ، وهي من اعتقاده ، فلذلك جاء في الحديث الآخر : « وأنى رسول الله ، وقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ... » ولا يدفع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به رسول الله ﷺ كما جاء في الرواية الأخرى لأبي هريرة : « حتى يشهدوا ألا إله إلا الله ويؤمنوا بي ، وبما جئت به » (١) .

(٢) أشار ابن حجر إلى اختلاف الأحاديث في هذا الموضوع وحاول أن يجمع بينها ؛ قال : وقد وردت الأحاديث بذلك زائدا بعضها على بعض ؛ ففي حديث أبي هريرة الاقتصار على قول : « لا إله إلا الله » ، وفي حديثه من وجه آخر عند مسلم : « حتى يشهدوا ألا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله » وفي حديث ابن عمر (زيادة إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة) وفي حديث أنس الماضي في أبواب القبلة : « فإذا صلوا واستقبلوا (قبلتنا) وأكلوا ذبيحتنا » قال الطبري وغيره : أما الأول : فقاله في حالة قتاله لأهل الأوثان الذين لا يقررون بالتوحيد ، وأما الثاني فقاله في حالة قتال أهل الكتاب الذين يعترفون بالتوحيد ويحجدون نبوته عموما أو خصوصا ، وأما الثالث ففيه الإشارة إلى أن من دخل في الإسلام وشهد بالتوحيد وبالنبوة ولم يعمل بالطاعات أن حكمهم أن يقاتلوا حتى يدعنوا إلى ذلك (٢) .

ولكن كيف يترك قتال مؤدى الجزية والمعاهد ؟ مع أن مقتضى الحديث قتال كل من امتنع عن التوحيد ؟

يجيب على ذلك ابن حجر بقوله : « فالجواب من أوجه :

أحدها : دعوى النسخ ، بأن يكون الإذن بأخذ الجزية والمعاهدة متأخرا عن هذه الأحاديث ، بدليل أنه متأخر عن قوله تعالى : (فاقتلوا المشركين) (٣) .

(١) شرح مسلم : ١/ ١٧٤ .

(٢) فتح الباري : ١١٢/٦ .

(٣) التوبة : ٥ .

ثانيها : أن يكون من العام الذى خص منه البعض ؛ لأن المقصود من الأمر حصول المطلوب ، فإذا تخلف البعض لدليل لم يقدح في العموم .

ثالثها : أن يكون من العام الذى أريد به الخاص ، فيكون المراد بالناس في قوله : « أقاتل الناس » أى المشركين من غير أهل الكتاب ، ويدل عليه رواية النسائي بلفظ : « أمرت أن أقاتل المشركين » . فإن قيل : إذا تم هذا في أهل الجزية لم يتم في المعاهدين ولا فيمن منع الجزية ، أجيب بأن الممتنع في ترك المقاتلة رفعها لا تأخيرها مدة كما في الهدنة . ومقاتلة من امتنع عن أداء الجزية بدليل الآية (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)^(١) .

رابعها : أن يكون المراد بما ذكر في الحديث من الشهادة وغيرها التعبير عن إعلاء كلمة الله وإذعان المخالفين ، فيحصل في بعض بالقتل ، وفي بعض بالجزية ، وفي بعض بالمعاهدة .

خامسها : أن يكون المراد بالقتال هو ، أو من يقوم مقامه ؛ من جزية أو غيرها .

سادسها : أن يقال : المراد من ضرب الجزية اضطرارهم إلى الإسلام ، وسبب السبب سبب ، فكأنه قال : حتى يسلموا ، أو يلتزموا ما يؤدبهم إلى الإسلام ، وهذا أحسن ، ويأتى فيه ما فى الثالث . والله أعلم^(٢) .

(٣) وحسابه على الله : أى فيما يستسرون به دون ما يخلّون به من الأحكام الواجبة عليهم فى الظاهر ؛ فإنهم إذا أخلوا بشيء مما يلزمهم فى الظاهر يطالبون بموجبه ، كما قاتل الضديق رضى الله عنه القوم على منع الزكاة^(٣) .

(٤) قال الإمام النووى : فيه دلالة ظاهرة لمذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف أن الإنسان إذا اعتقد دين الإسلام اعتقاداً جازماً لا تردد فيه كفاه ذلك ، وهو

(١) التوبة : ٢٩ .

(٢) فتح البارى : ٧٧/١ .

(٣) شرح السنة : ٦٧/١ .

مؤمن من الموحدين ، ولا يجب عليه تعلم أدلة المتكلمين ومعرفة الله تعالى بها ، خلافاً لمن أوجب ذلك وجعله شرطاً في كونه من أهل القبلة ، وزعم أنه لا يكون له حكم المسلمين إلا به ، وهذا المذهب هو قول كثير من المعتزلة وبعض أصحابنا المتكلمين ، عند خطأ ظاهر ؛ فإن المراد التصديق الجازم ، وقد حصل ؛ ولأن النبي - ﷺ - اكتفى بالتصديق بما جاء به ﷺ ، ولم يشترط المعرفة بالدليل ، فقد تظاهرت بهذا أحاديث في الصحيحين يحصل بمجموعها التواتر بأصلها والعلم القطعى .

وفيه وجوب الجهاد .

وفيه صيانة مال ونفس من أتى بكلمة التوحيد ولو كان عند السيف .

وفيه أن الأحكام تجرى على الظاهر والله يتولى السرائر (١) .

وفى الحديث دليل على أن توبة الزنديق مقبولة ، وسريته إلى الله موكولة ، وهو عند أكثر أهل العلم ، وعند مالك وأحمد : لا تقبل توبة الكافر المستسر بكفره (٢) .

وفيه منع قتل من قال : لا إله إلا الله ، ولو لم يزد عليها ، وهو كذلك ، لكن هل يصير بمجرد ذلك مسلماً ؟ الراجح لا ، بل يجب الكف عن قتله حتى يختبر ؛ فإن شهد بالرسالة والتزم أحكام الإسلام حكم بإسلامه ، وإلى ذلك الإشارة بالاستثناء بقوله : « إلا بحق الإسلام » (فى بعض الروايات) قال البغوى : الكافر إذا كان وثنياً أو ثنوياً لا يقر بالوحدانية ، فإذا قال : « لا إله إلا الله » حكم بإسلامه ، ثم يجبر على قبول أحكام الإسلام ، ويبرأ من كل دين خالف دين الإسلام ، وأما من كان مقراً بالوحدانية منكراً للنبوة - فإنه لا يحكم بإسلامه حتى يقول : « محمد رسول الله » ، فإن كان يعتقد أن الرسالة المحمدية إلى العرب خاصة فلا بد أن يقول : إلى جميع الخلق ، فإن كان كفر ببحرود واجب أو استباحة محرم فيحتاج أن يرجع عما اعتقده (٣) .

★ ★ ★

(١) شرح مسلم : ١٧٨/١ - ١٧٩ .

(٢) شرح السنة : ٦٩/١ .

(٣) فتح البارى : ٢٧٩/١ .

٥٢ - وقال رسول الله - ﷺ : تَحَاجَّتْ ^(١) الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فقالت النار : أُوْثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ ، وقالت الجنة : فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي بِالْمُتَكَبِّرِينَ إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ ^(٢) وَغَرَّتُهُمْ ^(٣) .

فقال الله للجنة : إِنَّمَا أَنْتِ رَحِمَتِي ^(٤) أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مِنْ عِبَادِي . وقال للنَّارِ : إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي . ولكل واحدةٍ منكما مِلْؤُهَا .

فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ فِيهَا رِجْلَهُ ^(٥) فَتَقُولُ قَطُ ^(٦) ، قَطُ فَهَذَا لَكَ تَمْتَلِي وَيُزَوَّى ^(٧) بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا ^(٨) .

وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا .

● رواه عبد الرزاق (٤٢٢/١١ ، ٤٢٣) في كتاب الجامع باب صفة أهل النار - عن معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول به . وفيه : « فَأَمَّا النَّارُ فَإِنَّهُمْ يَلْقَوْنَ فِيهَا ، (وتقول : هل من مزيد) فلا تمتلئ .. » (رقم ٢٠٨٩٣) .

قال عبد الرزاق : قال معمر : وأخبرني أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ مثله .

ويقول الأستاذ أحمد شاكر (١٤٥/١٤) : وقد رواه عبد الرزاق في تفسيره ؛ في تفسير سورة (ق) عن معمر عن أيوب بهذا الإسناد (أي عن ابن سيرين عن أبي هريرة) ، وعن معمر ، عن همام بن منبه عن أبي هريرة - رواية واحدة وساقه على اللفظ الذي هنا ؛ لفظ أيوب عن ابن سيرين » .

أي إن عبد الرزاق فرق الروایتين بين تفسيره ومصنفه على نحو ما رأينا . وهذه الرواية التي أشار إليها عبد الرزاق (رواية أيوب عن ابن سيرين) ذكرها أحمد في مسنده ؛ رواها عن عبد الرزاق عن معمر (١٤٥/١٤ - رقم ٧٧٠٤) .

ورواه أحمد (٦٠/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام ، (رقم ٥٣/٨١٤٩) وفيه « وسفلتهم » بدل « سقظهم » وفيه « إنما أنت رحمة » .

ورواه البخارى (٤٨/٦) فى (٥٠/٦٥) كتاب التفسير - (١) باب (وتقول هل من مزيد) - عن عبد الله ابن محمد قال : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر ، عن همام به .

ورواه مسلم (٢١٨٦/٤ - ٢١٨٧) فى (٥١) كتاب الجنة وصفة نعيمها - (١٣) باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء - بسنده لصحيفة همام رقم (٢٨٤٦/٣٦) .

كما روى نحوه من طرق عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة (٢٨٤٦/٣٥) .

وكذلك روى نحوه عن طريق قتادة عن أنس بن مالك (٣٧ ، ٢٨٤٨/٣٨) .

وكذلك من طريق الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد الخدرى فى جزء منه (٢٨٤٧) .

ورواه البغوى الفراء (٢٥٦/١٥ - ٢٥٧) فى باب قول الله عز وجل (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول : هل من مزيد) بسنده للصحيفة ، وقال : هذا حديث متفق على صحته .

وفى كل روايات همام السابقة « قط » ثلاث مرات ما عدا هنا ورواية البغوى التى تشترك أكثر من غيرها مع ما هنا فى الإسناد ، كما عرفنا .

(١) **تَحَاجَّتْ** : أصله تَحَاجَجَتْ ، وهو مفاعلة من الحِجَاج ، وهو الخصام وزنه ومعناه ، يقال حاججته محاجة ومحاجة وحِجَاجاً أى غالبته بالحجة ، ولا يلزم من وقوع الخصام الغلبة .

(٢) **سَقَطَهُمْ** : أى ضعفائهم . والمحتقرون بينهم الساقطون من أعينهم ، هذا بالنسبة إلى ما عند الأكثر من الناس . أما عند الله فهم عظماء رفقاء الدرجات ، لكنهم بالنسبة إلى ما عند أنفسهم لعظمة الله عندهم وخضوعهم له فى غاية التواضع لله والذلة فى عبادته ، فَوَصَّفَهُم بِالضَعْفِ وَالسَّقْطِ بهذا المعنى صحيح .

(٣) **غَرَّتْهُمْ** : روى على ثلاثة أوجه . حكاه القاضى عياض ، وهى موجودة فى نسخ مسلم أحدها : غَرَّتْهُمْ . قال القاضى : هذه رواية الأكثر من شيوينا ومعناها أهل الحاجة والفاقة والجوع . والثانى : عجزتهم جمع عاجز . والثالث : غَرَّتْهُمْ ؛ أى البله الغافلون الذين ليس لهم فتك وحذق فى أمور الدنيا ، وهو نحو الحديث الآخر : « أكثر أهل الجنة البله » ومعناه سواد الناس وعامتهم من أهل الإيمان الذين لم يتفطنوا للشُّبْه ، ولم توسوس لهم الشياطين بشىء من ذلك ، فهم أهل عقائد صحيحة وإيمان ثابت ، وهم الجمهور .

وأما العارفون والعلماء العاملون والصالحون المتعبدون فهم قليلون ، وهم أصحاب الدرجات ^(١) .

(٤) إنما أنت رحمتي : سمي الجنة رحمة ؛ لأن بها تظهر رحمة الله تعالى على خلقه ، كما قال : « أرحم بك من أشياء ، وإلا فرحة الله تعالى من صفاته التي لم يزل بها موصوفا ، ليس لله سبحانه وتعالى صفة حادث ، ولا اسم حادث ، فهو قديم بجميع أسمائه وصفاته ؛ جل جلاله ، وتقدست أسمائه ^(٢) .

(٥) حتى يضع الله تعالى فيها رجله : قال النووي رحمه الله : هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات ، وقد سبق مرات بيان اختلاف العلماء فيها على مذهبين : أحدهما : وهو قول جمهور السلف ، وطائفة من المتكلمين أنه لا يتكلم في تأويلها ، بل نؤمن أنها حق على ما أَرَادَهُ اللهُ ، ولها معنى يليق بها ، وظاهرها غير مراد .

والثاني : قول جمهور المتكلمين : أنها تتأول بحسب ما يليق بها ، فعلى هذا اختلفوا في تأويل هذا الحديث ، فقليل : المراد بالقدم (في رواية : قدمه) هنا المتقدم ، وهو شائع في اللغة ، ومعناه : حتى يضع الله تعالى فيها مَنْ قَدَّمَهُ لها من أهل العذاب .
الثاني المراد : قدم بعض المخلوقين ، فيعود الضمير إلى ذلك المخلوق المعلوم أى قدم ذلك المخلوق الذى خلقه الله تعالى .

ويجوز أيضا أن يرا بالرجل الجماعة من الناس ، كما يقال رجل جراد ؛ أى جماعة منه ^(٣) .

وقال ابن حبان : هذا الخبر من الأخبار التي أطلقت بتمثيل المجاورة وذلك أن يوم القيامة يلقي في النار من الأمم والأمكنة ، التي عصى الله عليها ، فلا تزال تستزيد حتى

(١) شرح مسلم للنووي : ٧٠٢/٥ - فتح الباري ٤٣٦/١٣ .

(٢) شرح السنة : ٢٥٧/١٥ .

(٣) شرح مسلم للنووي : ٧٠٢/٥ .

يضع الرب جلا وعلا موضعاً من الكفار والأمكنة في النار ؟ فتمتلئ فتقول قط قط تريد حسبي حسبي ؛ لأن العرب تطلق في لغتها اسم (القدم) على الموضع ، قال الله جل وعلا (لهم قدم صدق عند ربهم) يريد موضع صدق ؛ لأن الله جلا وعلا لا يضع قدمه في النار ، جلّ ربنا عن مثل هذا وأشباهه (١) .

وقال هؤلاء : لا بد من صرف مثل هذه العبارات عن ظاهرها ، لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحه على الله عز وجل ، خاصة أن العرب تستعمل ألفاظ الأعضاء في ضرب الأمثال ولا تريد أعيانها ؛ كقولهم : رغم أنفه وسُقِطَ في يده (٢) .

ونحن مع جمهور سلف هذه الأمة نؤمن بمثل هذا من غير تأويل أو خوض في معانيها ، ونوكل معانيها إلى الله تعالى ، ونوقن أن لها معانٍ تليق به عز وجل وأنها صفات للذات العلية ، وكما لا نعرف كنه الذات العلية لا نعرف كنه صفاتها وأنها لا تشبه صفات المخلوقين ؛ قال الإمام البغوي موضحاً هذا المذهب الذي نرتضيه : « والقَدَم والرجلان المذكوران في هذا الحديث من صفات الله تعالى المنزه عن التكيف والتشبيه ، وكذلك كل ما جاء من هذا القبيل في الكتاب أو السنة ؛ كاليد والإصبع ، والعين ، والجيء ، والإتيان ، فالإيمان بها فرض ، والامتناع عن الخوض فيها واجب ، فالمهتدي من سلك فيها طريق التسليم ، والخائض فيها زانغ ، والمنكر معطل ، والمكيف مشبه ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، سبحانه ربنا رب العزة عما يصفون) (٣) .

(٦) **قط ، قط** : أى حسبي أى يكفيني هذا ، وفيه ثلاث لغات ؛ بإسكان الطاء فيهما ، وبكسرهما منونة ، وغير منونة .

(٧) **يُزَوَّى** : يضم بعضها إلى بعض ، وتلقى على من فيها .

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان : ٢٨٦/١ .

(٢) فتح الباري : ٥٩٦/٨ .

(٣) شرح السنة : ٢٥٧/١٥ - ٢٥٨ .

(٨) ولا يظلم الله من خلقه أحداً : وهذه هي الحكمة في أن الله تعالى خلق النار ، ولم تمتلئ ؛ لأن الله تعالى لو كان يظلم - تعالى عن ذلك علواً كبيراً - لكان ملأها فهو القادر وهو الخالق ، وهو كامل التصرف في ملكه عز وجل ، ولكن ما أعظم عدله وفضله حين يزوي النار فتكتفى ، وحين ينشئ خلقاً للجنة والنعم . أليس هذا من كامل العدل والفضل ؟ .

فإن الله عز وجل لم يخلق النار واسعة عبثاً واللجنة كذلك واسعة عبثاً ، وإنما القدرة والاعتدال ، والعدل والفضل يبينهما رسوله ﷺ لعباد الله سبحانه وتعالى عليهم يهتدون ويزيدهم معرفة بربهم العدل ، الكريم صاحب الفضل على عباده وعلى خلقه .

إذا علمت كل هذا وفهمت الحديث على هذا الوجه وضع لك مقدار جهل من يشككون في هذا الحديث بزعم :

- ١ - أنه ليس في القرآن الكريم .
 - ٢ - أن هذا يتنافى مع علم الله وحكمته ؛ إذ يعلم مقدار من يدخل في كل منهما فكان يخلقهما على مقدار ذلك .
 - ٣ - أن صفة القَدَم لا تليق بالله عز وجل لأنها من صفات المخلوقين ، وهو يتصور - جهلاً أو تغايلاً - أنها من صفات المخلوقين وأن الله كالْمُخلوقين ينزل إلى النار ، ولا تسكت النار إلا بالنزول إليها ^(١) ، وحكاية النزول هذه لم ينطق بها الحديث ، وإنما جاء بها من خيالاته واختراعاته وهو - بناء على ما تصور - ينكر الحديث .
- وغير ذلك من الأوهام والأباطيل التي يحكيها حول الحديث الصحيح ليشكك فيه وفي البخاري الذي رواه وفي صحة كتابه التي اعتمدتها الأمة الإسلامية .
- وقد سبق أن أثبتنا أن الوحي على رسول الله - ﷺ لا يقتصر على القرآن الكريم فالرسول ﷺ يوحى إليه غير القرآن ^(٢) .

(١) الأضواء القرآنية : ١٦٣/٢ - ١٦٤ ، ٢٦٩ - ٢٧١ .

(٢) ص ٦٥ من هذا الكتاب .

وليس كذلك فقط مما جاء به الحديث هنا من أمور العقيدة ، وإنما أيضاً من الأحكام الفرضية التي يمارسها المسلمون ، ومنها ما يفعله المسلمون كل يوم كتحديد الصلوات بخمس وكيفياتها وتعيين أوقاتها . هل ذلك في القرآن الكريم .

وكذلك تحديد الصوم وكيفيته ، وتفصيل الحج وغير ذلك مما لم يذكره القرآن الكريم . وقد قلنا إن الحكمة الإلهية اقتضت أن يخلق الجنة والنار واسعتين ، مع علمه جل شأنه أنهما لن يمتلئتا أولاً - حتى يظهر عدله وفضله ، فليس في الحديث ما يتنافى مع علم الله وحكمته ، بل خلقت الجنة والنار وفق العلم والحكمة .

أما مسألة القدم أو الرجل فلم يقل أحد من العلماء ولا تصور أن معناهما جارحة المخلوقين - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ويستوى في ذلك المؤمن المسلم المنزه والمؤول المنزه الذي تسعفه اللغة في تأويله . ولو اطلع على أقوالهم في شرح الحديث الشريف لما خاض في الأوهام والأباطيل والشكوك .

وعلى كل حال فهذا النكرة ليس بدعاً فهناك من حققوا على سنة رسول الله ﷺ ، وضاعت عنها عقولهم ، فصدر منهم ذلك ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون والحاقدون والمارقون .

يروى الإمام عبد الرزاق في مصنفه بسنده عن طاوس قال سمعت رجلاً يحدث ابن عباس بحديث أبي هريرة هذا ، فقام رجل فانتفض فقال ابن عباس : ما فرق من هؤلاء يجدون عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه ^(١) ؟ كما ترجم ابن حبان عند رواية جزء من هذا الحديث بقوله : « ذكر خبر شنع به أهل البدع على أئمتنا ، حيث حرموا التوفيق لإدراك معناه » .

ثم انبرى للرد على هؤلاء ^(٢) - كما سبق أن ذكرنا ^(٣) .

فهذا ليس بدعاً وإنما هو حلقة من حلقات الزائغين . ونسأل الله السلامة ، وهو سبحانه وتعالى أجل وأعلم .

★ ★ ★

(١) ٤٢٣/١١ .

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان : ٢٨٦/١ .

(٣) ص ١٨١ ، ١٨٢ .

٥٣ - وقال رسول الله ﷺ : إذا استجمر أحدكم ^(١) فليوتر .

* * *

• رواه أحمد (٦١/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٥٤/٨١٥٠) .

وروى البخارى (٤٨/١) نحوه فى (٤) كتاب الوضوء (٢٥) باب الاستنثار فى الوضوء من طريق يونس عن الزهرى ، عن أنى إدريس (الخولانى) عن أنى هريرة .

وفى (٢٦) باب الاستجمار وترا - من طريق مالك ، عن أنى الزناد ، عن الأعرج ، عن أنى هريرة .

كما روى مسلم (٢١٢/١ ، ٢١٣) فى (٢) كتاب الطهارة - (٨) باب الإيتار فى الاستنثار والاستجمار . من طريق سفيان عن أنى الزناد عن الأعرج عن أنى هريرة نحوه (٢٣٧/٢٠) .

ومن طريق مالك عن ابن شهاب ، عن أنى إدريس الخولانى عن أنى هريرة (٢٣٧/٢٢) .

ومن طريق يونس عن ابن شهاب عن أنى إدريس الخولانى أنه سمع أبا هريرة وأبا سعيد الخدرى عن الرسول - ﷺ (٢٣٧/٢٢) .

ومن طريق عبد الرزاق عن ابن جريج عن أنى الزبير عن جابر بنفس اللفظ الذى معنا هنا (٢٣٩/٢٤) .

* * *

(١) إذا استجمر أحدكم : الاستجمار مسح محل البول والغائط بالجِمار ، وهى الأحجار الصغيرة . قال العلماء : يقال الاستطابة والاستجمار والاستنجاء لتطهير محل البول والغائط . فأما الاستجمار فمختص بالمسح بالأحجار ، وأما الاستطابة والاستنجاء ، فيكونان بالماء ، ويكونان بالأحجار . أو ما يقوم مقام الأحجار فى الإنقاء ، مثل الخشب والخرق والورق ونحوها من كل ما هو غير محترم ، ولا نهى عنه الرسول ﷺ كالعظم والروث ^(١) .

وهذا هو المشهور الذى قاله الجماهير من طوائف العلماء من اللغويين والمحدثين والفقهاء .

(١) شرح مسلم : ٥٢٢/١ - ٥٢٣ - شرح السنة : ٣٦٣/١ .

وحمله بعضهم على استعمال البخور ، فإنه يقال فيه تجمر واستجمر ، حكاة ابن حبيب عن ابن عمر ولا يصح عنه ، وابن عبد البر عن مالك .

وروى ابن خزيمة في صحيحه عنه خلافة ، فقد روى عن يونس قال : سئل ابن عيينة عن معنى قوله : « ومن استجمر فليوتر ، قال : فسكت ابن عيينة ، فقليل له : أترضى بما قال مالك ؟ قال : وما قال مالك ؟ قيل : قال مالك : الاستجمار الاستطابة بالأحجار . فقال ابن عيينة : إنما مثلى ومثل مالك ، كما قال الأول : وابن اللبون إذا ما لُزَّ في قرن لم يستطع صولة البُزل القناعيس (١) .

وروى عبد الرزاق عن معمر بما يوافق رأى الجمهور (٢) .

(٢) « فليوتر » : الإيتار جعل العدد وترا ، أى فرداً .

وقد حددت الأحاديث الأخرى الوتر بثلاث ، ففي حديث جابر الذى رواه ابن خزيمة « إذا استجمر أحدكم فليستجمر ثلاثاً » استدل منه على أن الأمر بالاستطابة وتراً هو الوتر الذى يزيد على الواحد ، الثلاث وما فوقه من الوتر ؛ إذا الواحد قد يقع عليه اسم الوتر ، والاستطابة بحجر واحد غير مجزية ؛ « إذ النبى - ﷺ قد أمر ألا يكتفى بدون ثلاثة أحجار فى الاستطابة » (٣) .

وبين ابن خزيمة أن الأمر بالوتر فى الاستطابة أمر استحباب ، لا أمر إيجاب ، وأن من استطاب بأكثر من ثلاثة بشفع لا بوتر غير عاصي فى فعله إذ تارك الاستحباب غير الإيجاب تارك فضيلة لا فريضة (٤) .

ومقتضى الشرط هو التخيير بين الاستجاء بالأحجار أو بالماء (٥) والماء

(١) صحيح ابن خزيمة : ٤٢/١ .

(٢) المصنف : ٢٦٣/١ .

(٣) صحيح ابن خزيمة : ٤٢/١ .

(٤) المصدر السابق : ٤٢/١ .

(٥) فتح البارى : ٢٦٣/١ .

أفضل ؛ يقول البغوى : ذهب عامة أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ - ومن بعدهم إلى أنه لو اقتصر على المسح بالحجر فى الغائط والبول ، ولم يغسل ذلك المحل بالماء أنه يجوز إذا أنقى بالحجر أثر الغائط والبول ، غير أن الاختيار أن يغسل بالماء ؛ لأنه أنقى والأفضل أن يغسله بعد استعمال الحجر .

وإنما يجوز الاقتصار على الحجر إذا لم ينتشر الخارج انتشاراً متفاحشاً خارجاً عن العادة ، فإن تفاحش وجب الغسل بالماء ، وإذا غسل محل الاستنجاء بالماء يستحب أن يدللك يده بالأرض ، ثم يغسلها ؛ لأن النبي - ﷺ - كان يفعلها ^(١) وربما يحل محله استعمال مطهر . والله أعلم .

وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن الاستنجاء بالحجر من باب الاستحباب ، وقالوا إن كانت النجاسة قدر الدرهم فصلى معها من غير استنجاء جاز (أى مقدار ظفر الإبهام) وإن كانت أكثر فلا يجوز حتى يغسل بالماء ^(٢) .

(١) شرح السنة : ٣٩٠/١ - ١٩١ .

(٢) المصدر السابق : ٣٦٣/١ .

٥٤ - وقال رسول الله - ﷺ - : قال الله تعالى ^(١) : إذا تحدث عبدى بأن يعمل حسنة ^(٢) فأنا أكتبها ^(٣) له حسنة ، ما لم يعملها ^(٤) ؛ فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها .

وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ، ما لم يعملها ^(٥) ؛ فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها ^(٦) .

• رواه عبد الرزاق (٢٨٧/١١) في كتاب الجامع - باب الرخص والشدائد . عن معمر عن همام عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - يقول الله : إذا هم عبدى بالحسنة فآكتبوها له حسنة ، فإن عملها فآكتبوها عشرة أمثالها ، فإن هم بالسيئة فعملها فآكتبوها واحدة وإن تركها فآكتبوها حسنة .

وقد أوردناه لاختلاف اللفظ بين الصحيفة وما فى المصنف بما يؤدى إلى اختلاف فى المعنى بين رواية الصحيفة : « فأنا أغفرها له ما لم يعملها » وفى المصنف : « وإن تركها فآكتبوها حسنة » .

ورواه أحمد (٦١/١٦) بسنده للصحيفة (رقم ٥٥/٨١٥١) .

وروى مسلم (١١٧/١) فى (١) كتاب الإيمان - (٥٩) باب إذا هم العبد بحسنة كتبت ، وإذا هم بسيئة لم تكتب - بسنده للصحيفة (رقم ١٢٩/٢٠٥) .

كما روى نحوه من طريق سفيان بن عيينة عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة .. (١٢٨/٢٠٣) .

ومن طريق العلاء (بن عبد الرحمن) عن أبيه عن أبى هريرة (١٢٨/٢٠٤) .

ومن طريق ابن سيرين عن أبى هريرة (١٣٠/٢٠٦) .

ومن طريق أبى رجاء العطاردى عن ابن عباس . (١٣١/٢٠٧) .

وروى البخارى (١٩٨/٨) فى (٩٧) كتاب التوحيد - (٣٥) باب (يريدون أن يبدلوا كلام الله) - نحوه من طريق المغيرة بن عبد الرحمن عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة .

وفى (١٨٧/٧) (٨١) كتاب الرقاق - (٣١) باب من هم بحسنة أو سيئة - من طريق أبى رجاء العطاردى عن ابن عباس نحوه .

ورواه البغوى الفراء (٣٣٧/١٤ ، ٣٣٨) بسنده للصحيفة « وقال هذا حديث متفق على صحته » . (رقم

٤١٤٨) باب من عمل حسنة أو هم بها .

ورواه ابن حبان في صحيحه (الإحسان ٣٦١/١) في ذكر تفضل الله جل وعلا على العامل حسنة يكتبها عشرا والعامل سيئة واحدة - عن عبد الله بن محمد الأزدي عن إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق عن معمر عن همام به (رقم ٣٧٢) .

(١) « قال الله تعالى » : هذا من الأحاديث القدسية أو من الأحاديث الإلهية ، قال ابن حجر : هو محتمل أن يكون مما تلقاه - ﷺ عن ربه بلا واسطة ويحتمل أن يكون مما تلقاه بواسطة الملك وهو الراجح (١) .

(٢) إذا تحدث عبدى بأن يعمل حسنة : أى إذا حدث نفسه ، ليوافق الروايات الأخرى مثل رواية عبد الرزاق بنفس طريق الصحيفة - كما مر - « إذا هم » ، ومثل : « إذا أراد » ، ويحتمل أن يكون على ظاهره ، ولكن ليس قيدا في كتابة الحسنة بل بمجرد الإرادة تكتب الحسنة .

وقد ورد على أن مطلق الهم والإرادة لا يكفيان ؛ فعند أحمد وصححه ابن حبان والحاكم من حديث خريم بن فاتك رفعه : « ومن هم بحسنة يعلم الله أن قد أشعر بها قلبه وحرص عليها » قال ابن حبان مبيناً هذا بعد أن روى حديث أبى هريرة : « إذا هم عبدى أراد به إذا عزم ، فسمى العزم هما ؛ لأن العزم نهاية الهم والعرب في لغتها تطلق اسم البداية على النهاية ، واسم النهاية على البداية ؛ لأن الهم لا يكتب على المرء ؛ لأنه خاطر لا حكم له . ويحتمل أن يكون الله يكتب لمن هم بالحسنة الحسنة ، فإن لم يعزم عليه [كذا] ولا عمله لفضل الإسلام ، فتوفيق الله العبد للإسلام فضل تفضل به عليه » (٢) .

(٣) « فأنا أكتبها » : أى يأمر الله سبحانه وتعالى الحفظة - بكتابتها ، بدليل حديث أبى هريرة : « إذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعلمها » .

(١) فتح البارى : ٣٢٣/١١ .

(٢) النص الأخير لابن حبان ؛ انظر الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٣٦٣/١ ، وما قبل النص :

انظر فتح البارى ٣٢٤/١١ .

وفيه دليل على أن المَلِك يطلع على ما في قلب الآدمي ؛ إما بإطلاع الله عز وجل إياه ، أو بأن يخلق له علما يدرك به ذلك ؛ ويؤيد الأول ما أخرجه ابن أبي الدنيا ، عن أبي عمران الجوني قال : « ينادى الملك ؛ اكتب لفلان كذا وكذا ، فيقول يارب ، إنه لم يعمله ، فيقول : إنه نواه ، وقيل بل يجد الملك اللهم بالسيئة رائحة خبيثة ، وبالحسنة رائحة طيبة ، وأخرج ذلك الطبري عن أبي معشر المدني ، وجاء مثله عن سفيان بن عيينة . وإنما كتبت الحسنة بمجرد الإرادة ، لأن إرادة الخير سبب إلى العمل وإرادة الخير خير ، وإرادة الخير من عمل القلب .

لكن قد يقال : إذا كانت عملا فلماذا لا تضاعف كما تضاعف حسنات الأعمال لعموم قوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشرة أمثالها) (١) ؟

ولماذا يعتبر عمل القلب في حصول الحسنة ولا يعتبر في السيئة ؟

ويجاب على ذلك بأن الآية تتناول عمل الجوارح والحديث على الإرادة أو حديث النفس أو الهم المجرد .

وبأن ترك عمل السيئة التي وقعت الإرادة بها يكفرها ، فهو قد نسخ قصده السيئة وخالف هواه (٢) .

(٤) فأنا أكتبها حسنة ما لم يعملها : ظاهر الحديث حصول الحسنة بمجرد الترك سواء ذلك لمانع أو لا ، ولكن يقال : يتفاوت عظم الحسنة بحسب المانع ؛ فإن كان خارجيا مع بقاء قصد الذى هم بفعل الحسنة فهي عظيمة القدر ، ولا سيما إن قارنها ندم على تفويتها أو فواتها ، واستمرت النية على فعلها عند القدرة ، وإن كان الترك من الذى هم من قبل نفسه فهي دون ذلك ، أما إن قارنها قصد الإعراض عنها جملة والرغبة عن فعلها ،

(١) الأنعام : ١٦٠

(٢) فتح الباري : ٣٢٤/١١ - ٣٢٥ .

ولا سيما إن وقع العمل على عكسها ؛ كأن يريد أن يتصدق بدرهم مثلاً فصرفه بعينه في معصية ، فالذى يظهر فى الأخير ألا تكتب له حسنة أصلاً ^(١) .

(٥) « وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعلمها : هناك حديث قد يعارض هذا ، وهو ما أخرجه أحمد وابن ماجة والترمذى وصححه بلفظ : « إنما الدنيا لأربعة » فذكر الحديث وفيه « وعبد رزقه الله مالا ، ولم يرزقه علما ، فهو يعمل فى ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يرى الله فيه حقاً ، فهذا بأخبث المنازل ، ورجل لم يرزقه الله مالا ولا علماً فهو يقول : لو أن لى مالاً لعملت فيه بعمل فلان ، فهما فى الوزر سواء .

والحق أنه ليس هناك تعارض بين الحديثين ؛ لأن كلا منهما يتناول حالة خاصة لا يتناولها الحديث الآخر ، فالحديث الذى معنا يتناول حالة من يهمل بمعصية من غير تصميم . أما الحديث الآخر فيتناول حالة من صمم على ذلك وأصر عليه ؛ فهو لا يرمى لله جانبا ، ويرى أن صاحب المال الذى يتمنى أن يكون مثله يتصرف فيه تصرفاً سليماً من وجهة نظره ويقره عليه ، ويعزم أن لو معه مال لكان مثله ، فهو قدوته فى الشر .

فغفران الله تعالى للذى تحدثه نفسه بعمل المعصية منوط بألا يتعدى ذلك إلى العزم والتصميم ؛ لاتفاق عامة السلف وأهل العلم على المؤاخذه بأعمال القلوب أى عزمها ، وقالوا : إن العزم على السيئة يكتب سيئة مجردة لا السيئة التى هم أن يعملها ، كمن يأمر بتحصيل معصية ثم لا يفعلها وقد وقعت ؛ فإنه يأثم بالأمر المذكور لا بالمعصية ، ومما يدل على ذلك حديث : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار ، قيل : هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصاً على قتل صاحبه ، فيعاقب على عزمه بمقدار ما يستحقه ، ولا يعاقب عقاب من باشر القتل حساً ، ومثله من فعل المعصية ولم يتب منها ، ثم هم أن يعود إليها ، فإنه يعاقب على الإصرار ، فالإصرار معصية اتفاقاً ، فمن عزم على المعصية وصمم عليها كتبت عليه سيئة ، فإذا عملها كتبت عليه معصية ثانية .

وقد تظاهرت نصوص الشريعة بالمؤاخذه على عزم القلب المستقر كقوله تعالى : (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة)^(١) وقوله : (اجتنبوا كثيرا من الظن)^(٢) وغير ذلك^(٣) .

وقد قسم بعضهم ما يقع في النفس أقساماً :

١ - أن يخطر له عمل المعصية ثم يذهب هذا الخاطر في الحال ، وهذا من الوسوسة وهو معفو عنه ، وهو دون التردد .

٢ - أن يتردد فيه ، فيهم به ، ثم ينفر عنه فيتركه ، ثم يهم به ، ثم يترك كذلك ولا يستمر على قصده ، وهذا هو التردد فيعفى عنه أيضا .

٣ - أن يميل إليه ولا ينفر عنه ، لكن لا يصمم على فعله ، وهذا هو الهم فيعفى عنه أيضا .

٤ - أن يميل إليه ولا ينفر منه ، بل يصمم على فعله ، فهذا هو العزم ، وهو منتهى الهم وهو على قسمين :

القسم الأول : أن يكون من أعمال القلوب صرفاً كالشك في الوجدانية أو النبوة أو البعث فهذا كفر ، ويعاقب عليه جزماً ، ودون ذلك المعصية التي لا تصل إلى الكفر ، كمن يحب ما يبغض الله تعالى ويبغض ما يحبه الله عز وجل ، ويحب للمسلم الأذى بغير موجب لذلك ، فهذا يأثم ، ويلتحق به الكبر والعجب والبغى والمكر والحسد .

والقسم الثاني : أن يكون من أعمال الجوارح ؛ كالزنا والسرقه ، فهو الذي وقع فيه النزاع ، فذهبت طائفة إلى عدم المؤاخذه بذلك أصلاً لظاهر الحديث وتقول هذه الطائفة : إن المقام مقام الفضل من الله عز وجل فلا يليق أن نحجر فيه ونضيق فلا حرج على فضل الله سبحانه وتعالى .

(١) النور : ١٩ .

(٢) الحجرات : ١٢ .

(٣) فتح الباري : ١١ / ٣٢٦ - ٣٢٧ .

وذهب كثير من العلماء إلى المؤاخذة بالعزم المصمم ، واستدلوا بقول الله تعالى :
(وَلَكِنْ يَأْخُذْكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ) (١) وحملوا حديث أنى هريرة الصحيح المرفوع :
« إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم » حملوه على
الخطرات وليس على العزم .

واستثنى جماعة ممن ذهب إلى عدم مؤاخذة من وقع منه الهم بالمعصية ما يقع في
الحرم المكى ولو لم يصمم ، لقوله تعالى : (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نَذَقَهُ مِنْ عَذَابِ
أَلِيمٍ) (٢) فالحرم يجب اعتقاد تعظيمه ، فمن هم بالمعصية فيه خالف الواجب بانتهاك
حرمته وتعظيم الحرم من تعظيم الله تعالى ، ولهذا صارت المعصية فيه أشد من المعصية في
غيره (٣) .

(٦) فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها : وهذا موافق لقوله سبحانه وتعالى : (ومن
جاء بالسيئة فلا يُجْزَى إلا مثله) (٤) .

وقد استثنى بعض العلماء وقوع المعصية في الحرم المكى ، قال إسحاق بن
منصور : قلت لأحمد : هل ورد في شيء من الحديث أن السيئة تكتب بأكثر من
واحدة ؟ قال : لا ، ما سمعت إلا بمكة لتعظيم البلد .
والجمهور على التعميم في الأزمنة والأمكنة .

ولا يعترض على الحديث بقوله تعالى : (مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ
لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ) (٥) ؛ لأن ذلك ورد تعظيماً لحق النبي - ﷺ ؛ لأن وقوع ذلك
من نسائه يقتضى أمراً زائداً على الفاحشة ، وهو أذى النبي - ﷺ .

(١) البقرة : ٢٢٥ .

(٢) الحج : ٢٥ .

(٣) فتح البارى : ٣٢٦/١١ - ٣٢٨ .

(٤) الأنعام : ١٦٠ .

(٥) الأحزاب : ٣٠ .

ويؤيد ما دل عليه حديث الباب من الإثابة على الهم بالحسنة وعدم المؤاخذه على الهم بالسيئة قوله تعالى : (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) ^(١) ؛ إذ ذكر في السوء الافتعال الذي يدل على المعالجة والتكلف فيه بخلاف الحسنة ^(٢) .

(١) البقرة : ٢٨٦ .

(٢) فتح الباري : ٣٢٩/١١ .

٥٥ - وقال رسول الله - ﷺ : والله لَقيْدٌ (١) سَوَوطُ أَحَدِكُمْ من الجنة خَيْرٌ لَهُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ (٢) .

• رواه عبد الرزاق (٤٢٠/١١) باب الجنة وصفتها - عن معمر عن همام بن منبه عن أنى هريرة رقم (٢٠٨٨٥) ، وليس فيه « بين السماء والأرض » ، وفي مكانه نقاط ، وعلق المحقق بقوله « يياض بالأصل ، لا أدري أهو مظموس في أصل المصورة أو أنه لم يتصور ، وفي الكنز برمز « حم » لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض (٢٢٩/٧) فهذا هو الساقط عندى .
نقول : وهو كذلك ، ولو رجع إلى المسند لوقف عليه ، ولا أدري لِمَ لَمْ يرجع إلى الصحيفة المفردة ، مع أنه أشار إليها في مناسبات عدة في تحقيق الكتاب .

ورواه أحمد (٦٢/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٥٦/٨١٥٢) .

ورواه البغوى الفراء (٢٠٧/١٥) في صفة الجنة وأهلها ، وما أعد للصالحين فيها - بسنده للصحيفة . مع أحاديث أخرى . وقال : هذه أحاديث متفق على صحتها أخرجها من طرق عن أنى هريرة وغيره .

(١) لَقيْدٌ سَوَوطُ أَحَدِكُمْ : أى قدر سوط أحدكم ، يقال : بينى وبينه قاب رمح ، وقاد رمح ، وقيد رمح . أى قدر رمح .

(٢) المراد تسهيل أمر الدنيا ، وأن من حصل له قدر سوط من الجنة يصير كأنه حصل له أمر أعظم مما بين السماء والأرض في الخير .

٥٦ - وقال رسول الله - ﷺ : إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن هبىء له أن يقال له : تَمَنَّ ، فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى ، فيقال له : هل تَمَنَيْتَ ؟ فيقول : نعم . فيقول له : فإن لك ما تمنيت ومثله معه ^(١) .

• رواه أحمد (٦٣/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٦٣/٨١٥٣) .

ورواه مسلم (١٦٧/١) في (١) كتاب الإيمان - (٨١) باب معرفة طريق الرؤية - بسنده لصحيفة همام (رقم ١٨٢/٢٩٩) .

ورواه البغوي الفراء (٢٠٨/١٥) في باب صفة الجنة وأهلها ، وما أعد الله للصالحين فيها - بسنده للصحيفة .

قال الأستاذ أحمد شاكر في تعليقه على هذا الحديث في مسند أحمد (٦٣/١٦) ووقع في الصحيفة المفردة : « إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن هبىء له » وهذه الزيادة « أن هبىء له » ليست في شيء من نسخ المسند ولا جامع المسانيد ولا صحيح مسلم ، وهي لفظة شاذة ، أرجح أنها خطأ من بعض الرواة أو الناسخين .
ونحن نوافقه على ذلك وما يؤيد هذا الترجيح أن رواية البغوي في شرح السنة - وهو يلتقي مع رواية الصحيفة في رجلين قبل عبد الرزاق ؛ أبي بكر محمد بن الحسين القطان عن أبي الحسن أحمد بن يوسف السلمي - ليس فيها هذه اللفظة .

(١) الحديث يدل على فيض رحمة الله عز وجل وفضله ، وإذا كان هذا كله لمن هو في أدنى درجة من الجنة فما بالك بمن هو أرفع في درجات الجنة .
وفي رواية أبي هريرة هذه وأمثالها : « لك ما تمنيت ومثله معه » وفي رواية شاهدة لهذا الحديث من حديث أبي سعيد الخدري : « عشرة أمثاله » .

قال العلماء : وجه الجمع بينهما أن النبي - ﷺ أعلم أولاً بما في حديث أبي هريرة ، ثم تكرم الله تعالى ، فزاد ما في رواية أبي سعيد فأخبر به النبي - ﷺ - ولم يسمعه أبو هريرة ^(١) .

والحق أن هذا جزء من حديث طويل رواه أبو هريرة رضى الله عنه ، ونورد منه ما يلقي ضوءاً على المعنى لهذا الحديث ، وبما يبين فضل الله على عبدٍ مثل هذا شأنه : « ... يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار ، وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، فيقول : أى رب اصرف وجهى عن النار ، فإنه قد قشبنى ريجها ، وأحرقنى ذكاؤها ، فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه ، ثم يقول الله تبارك وتعالى : هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيري ؟ فيقول : لا أسالك غيره ، ويعطى ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله ، فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ، ثم يقول : أى رب ، قدمنى إلى باب الجنة ، فيقول الله له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألنى غير الذى أعطيتك ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ! ، فيقول : أى رب ، ويدعو الله حتى يقول له : فهل عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَكَ ذلك أن تسأل غيري ، فقول : لا وعزتك ، فيعطى ربه ما شاء من عهود ومواثيق ، فيقدمه إلى باب الجنة ، فإذا قام إلى باب الجنة انفقته له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور ، فيسكت ما شاء الله أن يسكت ، ثم يقول : أى رب ، أدخلنى الجنة ، فيقول الله تبارك وتعالى له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك ألا تسأل غير ما أعطيت ، ويلك يا ابن آدم ، ما أغدرك ، فيقول أى رب لا أكون أشقى خلقك ، فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه ، فإذا ضحك الله منه قال : ادخل الجنة ، فإذا دخلها قال الله له تمنه ، فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله تعالى : وذلك لك ومثله معه (٢) .

★ ★ ★

(١) صحيح مسلم : (١٦٥/١ - ١٦٦) (١) كتاب الإيمان - (٨١) باب معرفة الرؤية (رقم ١٨٢/٢٩٩) وسنده : حدثني زهير بن حرب حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أنس بن شهاب ، عن عطاء بن يزيد الليثي ، أن أبا هريرة أخبره أن ناساً قالوا الرسول الله - ﷺ : يا رسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله - ﷺ ... وفي آخره : قال عطاء بن يزيد : وأبو سعيد الخدري مع أنس هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئا ، حتى إذا حدث أبو هريرة : إن الله قال لذلك الرجل : ومثله معه . قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة . قال أبو هريرة : ما حفظت إلا قوله : ذلك لك ومثله معه . قال أبو سعيد : أشهد أنى حفظت من رسول الله ﷺ قوله ذلك لك وعشرة أمثاله .

٥٧ - وقال رسول الله - ﷺ : لولا الهجرة لكنت امرأة من الأنصار . ولو يندفع الناس في شُعبَةٍ ، أو في وادٍ والأنصار في شعبة - لاندفعت مع الأنصار في شُعبِهِم .

• رواه عبد الرزاق (٥٩/١١) في كتاب الجامع - باب في فضائل الأنصار - عن معمر عن همام بن منبه به (رقم ١٩٩٠٧) .

ورواه أحمد (٦٣/١٦ ، ٦٤) ضمن روايته لصحيفة همام .

وروى البخاري نحوه في (٢٢٢/٤) (٦٣) كتاب مناقب الأنصار - (٢) باب قول النبي - ﷺ : (لولا الهجرة لكنت امرأة من الأنصار - من طريق شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة - رضى الله عنه .

وفي (١٣٢/٨) (٩٤) كتاب التمني - (٩) باب ما يجوز من اللو ، وقوله تعالى : (لو أن لي بكم قوة) - عن أبي إيمان عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة .

وفي الموضع نفسه من طريق عمرو بن يحيى ، عن عباد بن تميم ، عن عبد الله بن زيد عن النبي - ﷺ .

وهذا الطريق الأخير روى حديثاً مطولاً يعتبر السبب في هذا الحديث (١٠٤/٥) في (٦٤) كتاب المغازي - (٥٦) باب غزوة الطائف .

ويحسن بنا إيراد هذا الحديث فهو يلقي ضوءاً على الحديث الذي معنا بما يبين من

سببه :

عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : لما أفاء الله على رسوله - ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ، ولم يعطِ الأنصار شيئاً ، فكأنهم وجدوا ؛ إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال : يا معشر الأنصار ، ألم أجِدْكُمْ ضلالاً فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي ؟ كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمّن . قال : ما يمنعكم أن تحببوا رسول الله ﷺ ، قال : كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمّن . قال : لو شئتم قلتم : جئنا كذا وكذا . ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رجالكم ، لولا الهجرة لكنت امرأة من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً وشُعباً لسلكت وادى الأنصار وشعبها .

وروى مسلم كذلك نحوه في (٧٣٨/٢، ٧٣٩) (١٢) كتاب الزكاة (٤٦) باب المؤلفه قلوبهم على الإسلام - من طريق عمرو بن يحيى بمثل حديث البخارى هذا الطويل .
 (١) **لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار** : أراد - ﷺ بهذا تألف الأنصار ، واستطابة نفوسهم ، والثناء عليهم فى دينهم ، حتى رضى أن يكون واحدا منهم ، لولا ما يمنعه من الهجرة التى لا يجوز تبديلها .

ونسبة الإنسان تقع على وجه : منها الولادة والبلادية ، والصناعية ولم يُرد رسول الله - ﷺ بهذا القول الانتقال عن نسب آبائه ؛ لأنه ممتنع قطعاً ؛ لأنه حرام ؛ مع أن نسبه عليه الصلاة والسلام أفضل الأنساب وأكرمها ، وأما الاعتقادى فلا معنى للانتقال فيه ؛ لأن عقيدتهم جميعاً واحدة ، ولم يبق إلا القسمان الأخيران : البلاديه والصناعية ، وكانت المدينة دار الأنصار ، والهجرة إليها أمراً واجباً ، أى لولا أن النسبة الهجرية لا يسعنى تركها لانتسبت إلى بلدكم .

ويحتمل أنهم لما كانوا أحواله - ﷺ - لكون أم عبد المطلب منهم أراد أن ينتسب إليهم بهذه الولادة ، لولا مانع الهجرة .

وقال ابن الجوزى : لم يرد - ﷺ - تغير نسبه ولا محو هجرته وإنما أراد أنه - لولا ما سبق من كونه هاجر لانتسب إلى المدينة وإلى نصره الدين ، فالتقدير : **لولا أن النسبة إلى الهجرة نسبة دينية لا يسع تركها لانتسبت إلى داركم** .

وقال القرطبى : معناه : لتسميت باسمكم وانتسبت إليكم ، كما كانوا ينتسبون بالحلف ، لكن خصوصية الهجرة وتربيتها سبقت فمعت من ذلك وهى أعلى وأشرف فلا تتبدل بغيرها .

وقيل معناه لكنت من الأنصار فى الأحكام والعداد .

وقيل التقدير : لولا أن ثواب الهجرة أعظم لاخترت أن يكون ثواب ثواب الأنصار ^(١) وقال القسطلانى : تلخيصه : لولا فضلى على الأنصار لكنت واحدا منهم ^(٢) .

(١) فتح البارى : ٥١/٨ .

(٢) إرشاد السارى : ١٤٧/٦ .

والأرجح هو القول الأول من أنه لولا أنني أُعَدُّ من المهاجرين من بلدهم مكة إلى المدينة ، وهو أمر دين وعبادة مأمور بها ونسبتها دينية لا يسعني تركها لانتسبت إلى المدينة ولصرت واحدا من ساكنيها المنتسبين إليها .

(٢) ولو يندفع الناس في شعبة .. الخ :

وفي الروايات الأخرى « شِيع » وهو الطريق بين جبلين ، والوادي هو المكان المنخفض ، وقيل : الذي فيه ماء ، والمراد : بلد الأنصار . أو المراد بشعب الأنصار مذهبهم ؛ كما يقال : فلان في وادٍ وأنا في وادٍ .

وقد أراد بذلك ﷺ حسن موافقته إياهم ، وترجيحهم في ذلك على غيرهم ؛ لما شاهد منهم من حسن الجوار والوفاء بالعهد لا متابعتهم لهم ؛ لأنه هو المتبوع المطاع المفترض الطاعة ، والمتابعة له واجبة على كل مؤمن ومؤمنة ^(١) .

وأراد بهذا - ﷺ - التنبيه على جزيل ما حصل لهم من ثواب النصرة والقناعة بالله ورسوله عن الدنيا ، وَمَنْ هذا وصفه فحقه أن يسلك طريقه ويتبع حاله ^(٢) .

وعلى هذا فالحديث فيه منقبة عظيمة للأنصار لما اشتمل من ثناء الرسول - ﷺ - البالغ عليهم ، وأنهم بلغوا من الكرامة مبلغا لولا أنه من المهاجرين لعد نفسه من الأنصار رضي الله عنهم .

كما فيه أيضا حث للناس على إكرامهم واحترامهم رضوان الله عليهم ^(٣) .

(١) عمدة القارى : ٣٣١/١٣ .

(٢) فتح البارى : ٥٢/٨ .

(٣) إرشاد السارى : ١٤٧/٦ .

٥٨ - وقال رسول الله - ﷺ : لولا بنو إسرائيل لم يَخْبَثِ الطعامُ ولم يَخْنَزْ (١) اللحم ، ولولا حواء لم تَخُنْ أُثْنَى زَوْجَهَا الدَّهْرَ (٢) .

❦ ❦ ❦

• رواه أحمد (٦٤/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٥٩/٨١٥٥) .

ورواه البخارى (١٢٦/٤) فى (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء - (٢٥) باب قول الله تعالى : (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) - عن عبد الله بن محمد الجعفى ، عن عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أى هريرة .
كما رواه فى (١٠٣/٤) نفس الكتاب - (١) باب خلق آدم وذريته . عن بشر بن محمد عن عبد الله (بن المبارك) عن معمر عن همام به .

كما رواه مسلم (١٠٩٢/٢) فى (١٧) كتاب الرضاع - (١٩) باب لولا حواء لم تخن أثنى زوجها الدهر - عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن همام به (وهو إسناده للصحيفة) (رقم ١٤٧٠/٦٣) .
كما روى قبله نحوه فى جزئه الأخير من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن أى يونس مولى أى هريرة عن أى هريرة (رقم ١٤٧٠/٦٢) .

ورواه البغوى (١٦٤/٩) فى باب المداراة مع النساء بسنده للصحيفة وقال : هذا حديث متفق على صحته أخرجه محمد عن عبد الله بن محمد الجعفى ، وأخرجه مسلم عن محمد بن رافع كلاهما عن عبد الرزاق . (رقم ٢٣٣٥) .
وليس فى أحمد أو البخارى « لم يخبث الطعام » .

❦ ❦ ❦

(١) لم يَخْنَزْ : لم ينتن ، يقال : خَنِزَ يَخْنَزُ ، وَخَزَنَ يَخْزَنُ ، وَخَزَنَ يَخْزُنُ : إذا أنتن .

ويقال : إن السبب فى ذلك أن بنى إسرائيل ادخروا لحم السلوى ، وكانوا نهوا عن ذلك فعوقبوا بذلك . حكاها القرطبى وذكره غيره عن قتادة .

وقال بعضهم : معناه لولا أن بنى إسرائيل سنوا ادخار اللحم حتى أنتن لما ادخروا فلم ينتن (١) .

(١) انظر كتاب دفاع عن الحديث النبوى ، ص ١٦٤ .

وروى أبو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه قال : في بعض الكتب لولا أني كتبت الفساد على الطعام لخزنه الأغنياء عن الفقراء (١) .

وفي الحديث إرشاد للأمة الإسلامية ألا يقتدوا بنبي إسرائيل في ادخار ما يفسد فيحرم منه مستحقوه ومن كانوا في حاجة إليه .

(٢) ولولا حواء لم تكن أنثى زوجها : فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك ، فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم ، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهها بالولادة ، ونزع العرق ، فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول . وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا ، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسنت ذلك لآدم عد ذلك خيانة له ، وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها .

وقريب من هذا : « جحد آدم فجحدت ذريته » .

وفي الحديث إشارة إلى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم ، بما وقع من أمهن الكبرى ، وأن ذلك من طبعهن فلا يُفِرط في لوم من وقع منها شيء من غير قصد أو على سبيل الندور . وينبغي لمن ألا يتمكن بهذا في الاسترسال في هذا النوع ، بل يضبطن أنفسهن ، ويجاهدن هواهن . لئلا ينتهي بأزواجهن ذلك إلى الضرر كما وقع لآدم (٢) .

وهكذا نجد الحديث مرييا للجنسين : الأزواج والزوجات .

وقد أنكر بعضهم هذا الحديث :

١ - أن حواء لم تكن آدم في يوم من الأيام ، وأنها لم تحرض زوجها على الأكل من الشجرة .

(١) فتح الباري : ٣٦٧/٦ - ٣٦٨ .

(٢) المصدر السابق : ٣٦٨/٦ ودفاع عن الحديث النبوي ص : ١٦٤ ، ١٦٥ .

٢ - أن خيانة الزوجات لأزواجهن لم تكن من نوع فعلة حواء مع آدم ، وإنما تكون الخيانة في العقيدة أو العرض .

٣ - أن الحديث يصف حواء بصفة أخط من صفة امرأة نوح وامرأة لوط .

٤ - أن من أسباب الطبيعة أن يفسد الطعام فما دخل بنى إسرائيل ؟ .

٥ - من أين جاء للنبي ﷺ أخبار عن حواء وبنى إسرائيل .

وانتهى بذلك إلى أن الحديث دسه اليهود ، وأنه يشوه معالم ديننا ويقبح صورته أمام أبناء الملل الأخرى (١) .

ونقول :

١ - إن حجتنا في صحة هذا الحديث أنه قد رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ويقوى صحته ما بينه العلماء من أسباب معقولة في كون بنى إسرائيل كانوا القدوة في إفساد الطعام بحشعهم وأنانيتهم وحبيهم للحياة ، وهذا قد سجله القرآن الكريم - وادخارهم الطعام ليفسد ، فلا هم قد استفادوا منه ولا استفاد منه غيرهم . واقتدى الناس بهم في ادخار الأطعمة وحرمان الكثيرين منها .

٢ - وإذا كان الأمر كذلك فبأى حجة نرد الحديث الصحيح ؟ أبالأوهام الذى رده بها أمثال هؤلاء ؟

فالحديث لم يتعرض لأسباب الطبيعة ولا بتحليل الأشياء ، وإنما يهدف إلى أن بنى إسرائيل سنوا عادات سيئة ، وكانوا القدوة فيها .

٣ - هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى : فإذا كان ينكر الحديث الذى نقله الثقات عن رسول الله ﷺ فبأى حجة يثبت أن حواء لم تكن زوجها في يوم من الأيام ، ولم تحرض زوجها على الأكل من الشجرة . من أين أتى بهذا . أية وثيقة تثبت ذلك كما تثبت الوثائق أمثال هذا الحديث الصحيح ؟ .

لقد قالوا : إن البخارى برىء من هذه المدسوسات عليه ، وكذبوا فى ادعائهم أنها مدسوسات ؛ لأن هذا الحديث عند من هو قبل البخارى ، كالإمام أحمد ، ومن هو فى عصر البخارى كالإمام مسلم الذى رواه عن شيخ ليس هو الذى روى له البخارى هذا الحديث ، وهو موجود عند من هو بعد البخارى من غير طريق البخارى كالإمام بغوى .
 ٤ - وبأى حجة يفسر خيانة حواء بأنها خيانة إما فى العقيدة أو فى العرض - حتى يستبعد الحديث الصحيح - تبعاً لذلك ؟

لقد رأينا أن العلماء فسروا هذه الخيانة بأنها الدعوة إلى الأكل من الشجرة . واستبعدوا أن تكون خيانة الفاحشة ^(١) .

وهل إذا ذكر القرآن الكريم خيانة امرأة نوح وامرأة لوط ، وكانت خيانتهمألهما فى العقيدة - هل إذا ذكر ذلك تنحصر الخيانة الزوجية فى ذلك حتى يقول إن الحديث يلصق بحواء تهمة العقيدة أو خيانة العرض فيكون الحديث غير صحيح ؟

٥ - وإذا كانت عبارة البخارى واضحة « ولولا حواء لم تكن أنثى زوجها » فكيف يفهم منها أنها تصف حواء بأحط من صفة امرأة نوح وامرأة لوط . إن الحديث لم يذكر هذه الخيانة فمن أين له تحديدها على هذا النحو ؟! ليس إلا الزور الذى يريد أن يصل به إلى أن الحديث الصحيح غير صحيح ليبعد المسلمين عن سنة نبيهم ﷺ .

٦ - ثم هو يكرر إنكاره أن الرسول ﷺ لا يعلم شيئاً عن الأمم السابقة وعلى هذا فكل ما يأتى من هذا القبيل غير صحيح .

واعتقد أن مسلماً صحيح الإيمان لا يعتقد ما يعتقده أمثال هؤلاء ، فالرسول ﷺ يطلعه الله على بعض الغيب « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول » ^(٢) وقد أثبتنا قبل ذلك أن الرسول ﷺ أوتى القرآن ومثله معه ^(٣) .

٧ - وقد يتصور الإنسان أن يدس اليهود ما يُمدحون به ، وبما يشبّهون به أنهم شعب الله المختار أما أن يضعوا أحاديث تعييب كهذا الحديث ، وليس فيه ما يعيب المسلمين فهذا ما لا يتصور ولا يخفى على عقلاء المسلمين .

(١) عمدة القارى : ٣٦٧/١٢ .

(٢) الجن : ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) ص : ٦٥ من هذا الكتاب .

٥٩ - وقال رسول الله - ﷺ : خلق الله آدم على صورته ^(١) :
 طوله ستون ذراعاً ^(٢) ، فلما خلقه قال : اذهب فسلم ^(٣) على أولئك النفر -
 وهم نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يُحيونك ؛ فإنها تحيتك ، وتحية
 ذريتك ^(٤) .

قال : فذهب ، فقال : السلام عليكم ^(٥) . فقالوا : وعليك السلام
 ورحمة الله ، فزادوا : « ورحمة الله » ^(٦) .

قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ^(٧) : طوله ستون ذراعاً ، فلم
 يزل الخلق ينقص ^(٨) بعد حتى الآن ^(٩) .

• رواه عبد الرزاق (٣٨٤/١٠) في كتاب الجامع - باب كيف السلام والرد - عن معمر عن همام عن أبي
 هريرة ... (رقم ١٩٤٣٤) وفيه « يجيبونك » و « زادوه » وليس فيه « بعد » .

ورواه أحمد (٦٤/١٦ ، ٦٥) ضمن روايته لصحيفة همام . (رقم ٦٠/٨١٥٦) .

وراه البخاري (١٢٥/٧) في (٧٩) كتاب الاستئذان - (١) باب بدء السلام - عن يحيى بن جعفر ، عن
 عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة .

كما رواه في (١٠٢/٤) (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء (١) باب خلق آدم وذريته عن عبد الله بن محمد
 (المسند) عن عبد الرزاق عن معمر عن همام به . وليس فيه : « على صورته » . ويبدو أن ابن حجر قد نسي وهو
 يشرح الحديث إسناده فلذكر ما يفيد أنه من رواية عبد الله بن المبارك وليس الأمر كذلك (فتح ٣٦٦/٦) .

ورواه مسلم (٢١٨٣/٤ - ٢١٨٤) في (٥١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - (١١) باب يدخل
 الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير - بسنده لصحيفة همام . (رقم ٢٨٤١/٢٨) .

ورواه البغوي (٢٥٤/١٢ - ٢٥٥) في كتاب الاستئذان - باب بدء السلام . بسنده للصحيفة الذي يلتقى
 مع سندنا هنا في أبي بكر محمد بن الحسين القطان . كما رواه من طريق آخر ، وهو طريق أبي بكر أحمد بن منصور بن
 سيار الرمادي عن عبد الرزاق به .

قال الإمام البغوي (٢٥٥/١٢) « هذا حديث متفق على صحته أخرجه محمد (أى البخاري) عن

عبد الله بن محمد وأخرجه مسلم عن محمد بن رافع كلاهما عن عبد الرزاق ، وقالوا : فقالوا : السلام عليك ورحمة الله وأخرجه محمد (أى البخارى) عن يحيى بن جعفر عن عبد الرزاق ، وقال : « فقالوا : السلام عليكم ورحمة الله » .

ورواية البخارى التى يشير إليها البغوى هى التى رواها فى أول كتاب الاستئذان ، وهى فى طبعة استنبول التى فى يدى ، (١٢٥/٧) وطبعة فتح البارى للسلفية (٣/١١) وطبعة عمدة القارى لمصطفى الحلبى (٢٨٣/١٨) جميعها فيها : « السلام عليك ورحمة الله » كالروايات الأخرى .

وربما كانت نسخة البغوى غير هذه النسخ . والله أعلم .

(١) خلق الله آدم على صورته : مرجع الضمير فى صورته إلى آدم عليه السلام ؛ أى خلقه على صورته التى استمر عليها إلى أن أهبط وإلى أن مات عليه السلام .

وقد قال رسول الله - ﷺ ذلك دفعاً لتوهم من يظن أنه كان فى الجنة على صورة أخرى غير الصورة التى كان عليها بعد أن أهبط إلى الأرض . وقد ذكر بعض العلماء أن الحية لما أخرجت من الجنة شوهت خلقتها أما آدم فلم تتغير صورته ولا خلخته .

أو ابتدئ خلقه كما وجد لم ينتقل فى النشأة ، كما ينتقل ولده من حالة إلى حالة . والمعنى : أن الله تعالى أوجد آدم على الهيئة التى خلقه عليها ، لم ينتقل فى النشأة أحوالا ، ولا تردد فى الأرحام أطواراً كذريته ، بل خلقه الله تعالى رجلاً كاملاً سوياً من أول ما نفخ فيه الروح .

يقول البغوى موضحاً هذا المعنى نقلاً عن الخطائى : « الهاء مرجعها إلى آدم - ﷺ - فالمعنى : أن ذرية آدم خلقوا أطواراً ؛ كانوا فى مبدأ الخلق نُطفة ، ثم علقه ، ثم مضغة ، ثم صاروا صوراً أجنة ، إلى أن تتم مدة الحمل ، فيولدون أطفالاً ، وينشئون صغاراً إلى أن يكبروا ، فيتم طول أجسادهم ، يقول : إن آدم لم يكن خلقه على هذه الصفة ، ولكن أول ما تناولته الخلقة وجد خلقاً تاماً طوله ستون ذراعاً^(١) .

وقال بعض العلماء : إنه ﷺ قال ذلك ردّاً على الدهريين الذين يزعمون أنه لم

يكن إنسان إلا من نطفة ، ولا تكون نطفة إنسان إلا من إنسان وأنه لا أول لذلك ، فبين أنه خلق من أول الأمر على هذه الصورة .

وقيل للرد على الطبائعيين الزاعمين أن الإنسان قد يكون من فعل الطبيعة وتأثيرها .

وقيل للرد على القدرية الذين قالوا : إن صفات آدم على نوعين : نوع خلقه الله تعالى ؛ ونوع خلقه آدم بنفسه .

وعلى أية حال فهذا هو التفسير الأول لعبارة الرسول - ﷺ ، وكله ينبى على أن الله تعالى خلق آدم على الصورة التى خلقه عليها - وهذا هو الرأى الذى يستراح إليه . وهناك تفسيرات أخرى لهذه العبارة يحسن بنا استعراضها ، وأقوال العلماء فيها :

١ - منها أن الضمير فى « صورته » يرجع إلى الله عز وجل ، ومعنى الصورة الصفة أى خلق الله تعالى آدم على مثال صفته ، أى حيا ، عالما ، سميعاً ، بصيرا ، متكلماً ... وإن كانت صفات الله عز وجل لا يشبهها شئ .

٢ - أو الضمير يرجع إلى الله عز وجل أيضا ولكن الإضافة تشريفية ؛ نحو « بيت الله » ، و « روح الله » ، لأنه ابتداء صورة آدم لا على مثال سابق ، بل بمحض الاختراع ، فشرفها بالإضافة إليه عز وجل .

ولكن يفهم من كلام القرطبى إنه قد غلط من أرجع الضمير فى « صورته » إلى الله عز وجل فقد قال : أعاد بعضهم الضمير على الله متمسكا بما ورد فى بعض طرقه : « إن الله خلق آدم على صورة الرحمن » قال : وكأن من رواه أورده بالمعنى متمسكا بما توهمه فغلط فيه ^(١) أى فهم أن الضمير فى رجوعه إلى الله تعالى يعنى أن الصورة هى صورة وجه الذات الإلهية .

ولكنه فى ضوء التفسيرين السابقين : أى على صفة الرحمن ، أو الإضافة للتشريف لا يكون هناك محذور ، وهو اعتقاد التشبيه .

(١) فتح البارى : ١٨٣/٥ .

تقول هذا لأن هذه العبارة : (صورة الرحمن) رأى بعض العلماء أنها قد صحت عن رسول الله ﷺ ، فقد ذكر ابن حجر أنه أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ، والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات .

هذا وقد رأى بعض العلماء أنها ضعيفة فقد أعلها ابن خزيمة بعلة ثلاث على الرغم من أن رجالها ثقات ، وهم من رجال البخاري ^(١) .

وكذلك رواية : « فإن الله تعالى خلق آدم على صورة وجهه » فقد قال بعض العلماء المُحدثين : (لكنى فى شك من ثبوت قوله : « على صورة وجهه ؟ فإن المحفوظ فى الطرق الصحيحة « على صورته » ... وفى حديث ابن عمر « على صورة الرحمن » ولكنه معلول ^(٢)) .

وكما رأى بعض العلماء أنه على تقدير صحتها فتحمل على ما يليق بالبارى سبحانه وتعالى ويتعين إجراؤها على ما تقرر بين أهل السنة من إمرارها كما جاءت من غير اعتقاد تشبيه أو من تأويلها على ما يليق بالرحمن جل جلاله ^(٣) .

(٢) طوله ستون ذراعاً : المراد ذراعنا نحن ؛ لأن ذراع كل إنسان مثل رُبعه ، ولو كانت بذراعه لكانت يده قصيرة فى جنب طول جسمه كالأصبع والظفر ، وروى ابن

(١) قال الأستاذ ناصر الدين الألبانى تعليقا على حديث : « لا تقبحوا الوجوه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن - قال : إسناده ضعيف ، ورجاله ثقات كلهم رجال البخارى ، وعلته عنعنة حبيب بن أبى ثابت فإنه كان يدلس ، وكذلك الأعمش (الأعمش روى عن حبيب وهو روى عن عطاء عن ابن عمر) ، وقد خولف فى إسناده من قبل سفيان الثورى فقال : عن حبيب بن أبى ثابت ، عن عطاء قال رسول الله ﷺ فأرسله ؛ أخرجه ابن خزيمة فى التوحيد (ص ٢٧) بسند صحيح فهذا المسند أصح من الموصول . والحديث أخرجه ابن خزيمة بإسناد المصنف (أى بإسناد ابن أبى عاصم : يوسف بن موسى ثنا جرير عن الأعمش عن حبيب عن عطاء عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ) ، وأخرجه الآجرى (٣١٥) والبيهقى (ص ٢٩١) من طريقين آخرين عن جرير بن عبد الحميد به وأعله ابن خزيمة بالعلل الثلاث المتقدمة : المخالفة عن الثورى ، وتدليس حبيب والأعمش . (تحقيق السنة لابن أبى عاصم : ٢٢٩/١) .

(٢) الشيخ ناصر الدين الألبانى فى تخرىج أحاديث السنة لابن أبى عاصم ٢٢٨/١ .

(٣) فتح البارى : ١٨٣/٥ .

أبى حاتم بإسناد حسن عن أبي بن كعب رضى الله تعالى عنه : « إن الله تعالى خلق آدم رجلاً طويلاً كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق » (١) .

(٣) اذهب فسلم على أولئك النفر : « هذا أول مشروعية السلام ، وهو دال على أن تأكده وإفشائه سبب للمحبة الدينية .

وقد استدلل به على إيجاب ابتداء السلام لورود الأمر به . قال ابن حجر : وهو بعيد بل ضعيف ؛ لأنها واقعة حال لا عموم لها . وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على أن الابتداء بالسلام سنة (٢) .

(٤) فاستمع ما يحيونك ، فإنها تحيتك وتحية ذريتك : أى تحية ذريتك من جهة الشرع أو المراد بالذرية بعضهم وهم المسلمون ، أى تحية المسلمين من ذريتك ، فقد أخرج البخارى فى الأدب المفرد ، وابن ماجه (٣) وصححه ابن خزيمة من طريق سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن عائشة مرفوعاً : « ما حسدتكم اليهود على شئ ما حسدوكم على السلام والتأمين » وهو يدل على أنه شرع لهذه الأمة دونهم . وفى حديث أبى ذر الطويل فى قصة إسلامه قال : وجاء رسول الله - ﷺ فذكر الحديث ، وفيه : فكننت أول من حياه بتحية الإسلام فقال : وعليك ورحمة الله . أخرجه مسلم (٤) . وأخرج الطبرانى والبيهقى فى « الشعب » من حديث أبى أمامة رفعه : « جعل الله السلام تحية لأمتنا وأماناً لأهل ذمتنا وعلى هذا يكون المراد بالعموم الخصوص أى ليس كل الذرية .

(١) عمدة القارى : ٣٦٤/١٢ .

(٢) فتح البارى : ٣/١١ ، ٤ .

(٣) الأدب المفرد : ٣٤٢-٣٤٣ . وابن ماجه (٢٧٨/١) (٥) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها (١٤) باب الجهر بالتأمين . وقال فى مصباح الزجاجة : « هذا إسناد صحيح (ورجاله ثقات) احتج مسلم بجميع رواته . رواه أحمد فى مسنده . وابن خزيمة فى صحيحه والطبرانى . ورواه البيهقى فى سننه الكبرى من طريق محمد بن الأشعث عن عائشة أتم منه » (١٠٦/١) .

(٤) مسلم (١٩١٩/٤) (٤٤) كتاب فضائل الصحابة (٢٨) باب من فضائل أبى ذر رضى الله عنه رقم ٢٤٧٣/١٣٢ وانظر الأدب المفرد ص ٣٥٧ حيث رواه البخارى فيه فى باب (٤٧٤) كيف رد السلام .

وعند أبي داود من حديث عمران بن حصين : كنا نقول في الجاهلية : « أنعم بك عينا » و « أنعم صباحاً » فلما جاء الإسلام نهينا عن ذلك . ورجاله ثقافت لكنه منقطع . وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال : « كانوا في الجاهلية يقولون : حيت مساء ، حيت صباحا ، فغير الله ذلك بالسلام » ^(١) .

ومثل هذا ما شاع في أيامنا من استبدال عبارات للتحية بتحية الإسلام التي شرعها الله عز وجل للأمة الإسلامية اقتداء بأيهم آدم عليه السلام .

(٥) فقال : السلام عليكم :

استدل بهذه على أنه الصيغة المشروعة لابتداء السلام لقوله : فهي تحيتك وتحية ذريتك « ولكن قال العلماء : إنه لو حذف اللام فقال : سلامٌ عليكم » أجزأ ، قال الله تعالى : (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم) ^(٢) وقال تعالى : (فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) ^(٣) وقال تعالى : (سلام على نوح في العالمين) ^(٤) ، ولكن باللام أولى لأنها للتفخيم والتكثير ^(٥) .

قال البغوي : التسليم على الأخ المسلم سنة ، والرد واجب ، فيقول المبتدئ : السلام عليكم . هذا أقله ، وكأله أن يقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ^(٦) .

ويرى أكثر العلماء ألا يزيد على ذلك ^(٧) .

(٦) فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، فزادوا : « ورحمة الله » : في هذا

مشروعية الزيادة في الرد على الابتداء ، وهو مستحب بالاتفاق ، لوقوع التحية في ذلك في

(١) فتح الباري : ٤/١١ .

(٢) الرعد : ٢٣ - ٢٤ .

(٣) الأنعام : ٥٤ .

(٤) الصفات : ٧٩ .

(٥) فتح الباري : ٤/١١ .

(٦) شرح السنة : ٢٥٥/١٢ .

(٧) فتح الباري : ٦/١١ .

قوله تعالى : (فحيوا بأحسن منها أو ردوها) ^(١) فلو زاد المبتدئ : ورحمة الله استحب أن يزداد « وبركاته » .

أما فضيلة الزيادة وثواب رد السلام : فقد أخرج أبو داود والترمذى والنسائى بسند قوى عن عمران بن حصين قال : جاء رجل إلى النبي - ﷺ فقال : السلام عليكم ، فرد عليه وقال : عشر ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد عليه وقال : عشرون ، ثم جاء آخر فزاد : وبركاته ، فرد وقال ثلاثون . وأخرجه البخارى فى الأدب المفرد من حديث أبى هريرة ، وصححه ابن حبان وقال : « ثلاثون حسنة » ^(٢) . وإذا كانت هذه الزيادة فى إلقاء السلام فمن باب أولى فى الرد .

قال الإمام البغوى : ثم الحبيب فى الرد : إذا قال : « وعليك » واقتصر عليه جاز . والأفضل لمن يقول فى الجواب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وإن كان قد اقتصر المبتدئ على قوله سلام عليكم ؛ لقول الله تعالى (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) ^(٣) (٤) .

وذهب بعضهم إلى أنه يقول فى الجواب أيضا : « السلام عليكم » ، حكى ذلك عن الحسن أنه كان إذا ردّ قال : « سلام عليكم » ، والأكثر ذهابا إلى أن يقول فى الجواب : « وعليكم السلام » بتقديم الخطاب ؛ لما روى عن أبى هريرة أن رجلا دخل المسجد فصلى ، ثم جاء فسلم ، فقال له رسول الله - ﷺ : « وعليك السلام ، ارجع فصل ، فإنك لم تصل » ^(٥) . وعن رفاعة بن رافع فى هذا الحديث : قال النبى - ﷺ : وعليك

(١) النساء : ٨٦ .

(٢) الأدب المفرد : ٣٤٢ ، والترمذى (٥٢/٥ ، ٥٣) ٤٣ كتاب الاستئذان (٢) - باب ما ذكر فى

فضل السلام (رقم ٢٦٨٩) .

(٣) النساء : ٨٦ .

(٤) شرح السنة : ٢٥٥/١٢ - ٢٥٦ .

(٥) صحيح البخارى (١٣٢/٧) (٧٩) كتاب الاستئذان - (١٨) باب من رد فقال : عليك السلام

- وصحيح مسلم (٢٩٨/١) (٤) كتاب الصلاة (١١) باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة (رقم

٣٩٧/٤٥) .

فارجع فصل»^(١). وعن عمار بن ياسر أنه سلم على النبي ﷺ ، فرد عليه رسول الله - ﷺ وقال : وعليكم السلام . وقال رسول - ﷺ لعائشة : « هذا جبريل يقرئك السلام ، فقالت : وعليه السلام ورحمة الله »^(٢) .

وقد رويت أحاديث ضعيفة إذا انضمت إلى بعضها قوى ما اجتمعت عليه من مشروعية الزيادة على « بركاته » في الرد^(٣) .

وروى عن يحيى بن سعيد أن رجلا سلم على عبد الله بن عمر فقال : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، والغاديات ، والرائحات ، فقال : وعليك ألفاً ، ثم كأنه كره ذلك ، وروى أن رجلا سلم على ابن عباس ، فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ثم زاد شيئاً ، فقال ابن عباس : إن السلام انتهى إلى البركة^(٤) .

(٧) فكل من يدخل الجنة على صورة آدم : أى كل من يرزقه الله تعالى دخول الجنة يدخلها وهو على صورة آدم فى الحسن والجمال ، ولا يدخل على صورته التى كان عليها من السواد إن كان من أهل الدنيا السود ، ولا يدخل أيضا على صورته التى كان عليها بوصف من العاهات والنقائص^(٥) .

(٨) فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن : أى ينقص من طولهم ، فكل أهل فترة يكونون أقصر من الذين قبلهم .

(١) انظر التخریج فى تحقیق السنة ٢٥٦/١٢ .

(٢) صحيح البخارى (٨٠/٤) (٥٩) كتاب بدء الخلق - (٦) باب ذكر الملائكة وصحيح مسلم (١٨٩٥ - ١٨٩٦) (٤٤) كتاب فضائل الصحابة (١٣) باب فضل عائشة رضى الله عنها (رقم ٩٠ ، ٢٤٤٧/٩١) .

والأدب المفرد ص ٣٥٧ ، رقم ١٠٣٦ .

(٣) فتح البارى : ٦/١١ .

(٤) شرح السنة : ٢٥٦/١٢ - ٢٥٧ .

(٥) عمدة القارى : ٣٦٤/١١ ، وقارن بفتح البارى : ٣٦٧/٦ .

(٩) استدلل بعض العلماء بهذا الحديث على أمور :

١ - الأمر بتعلم العلم من أهله ، والأخذ بنزول مع إمكان العلو ؛ فالله عز وجل قد أرشد آدم عليه السلام إلى أن يتعلم من الملائكة ما علمهم الله تعالى من كيفية رد السلام وكان يمكن أن يتعلم هذا مباشرة من المولى عز وجل الذى علم الملائكة .

٢ - المدة التى بين آدم والبعثة المحمدية تفوق ما نقل عن أهل الكتاب وغيرهم بكثير ، إذ هناك فرق شاسع بين طول آدم وطول الناس بعد البعثة المحمدية ، ولابد أن هناك آماذاً بعيدة قد مرت وقصر فيها الخلق على الصورة التى هى عليه الآن .

٣ - استدلل بهذا الحديث على أن الملائكة يتكلمون بالعربية ويتحيون بتحية الإسلام ، وفى هذا الاستنباط نظر فى شقه الأول لاحتمال أنهم تكلموا بلغة غير العربية ثم لما حكى للعرب ترجم بلسانهم ، ومن المعلوم أن من ذكرت قصصهم فى القرآن من غير العرب نقل كلامهم باللغة العربية ولا يستدل من ذلك على أنهم كانوا يتكلمون باللغة العربية بل الظاهر أن كلامهم ترجم إلى العربية ^(١) .
والله تعالى أعلم .

(١) فتح البارى : ٧ / ١١ .

٦٠ - وقال رسول الله - ﷺ : جاء مَلِكُ الموتِ إلى موسى ، فقال له : أَجِبْ رَبَّكَ .

قال : فَلَطَمَ موسى عَيْنَ مَلِكِ الموتِ ، فَفَقَّأَهَا .

قال : فرجع الملك إلى الله - عز وجل - فقال : إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت ، وقد فَقَّأَ عَيْنِي .

قال : فرد الله عينه ، قال : ارْجِعْ إلى عبدى ، فقل له : الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ ، فَمَا وَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ فَإِنَّكَ تعيش بها سنة .

قال : ثُمَّ مَهْ (١) ؟

قال : ثُمَّ تَمُوتُ .

قال : فَالآنَ مِنْ قَرِيبٍ (٢) .

قال : رب ادننى من الأرض المقدسة رَمِيَّةً بِحَجَرٍ (٣) .

وقال رسول الله - ﷺ : لو أُنِىَ عنده لَأَرِيتُكُمْ قَبْرَهُ إلى جانب الطريق عند الكَثِيبِ الْأَحْمَرِ (٤) .

• رواه عبد الرزاق (٢٧٤/١١ ، ٢٧٥) في كتاب الجامع - باب موسى وملك الموت . عن معمر عن همام عن أبى هريرة به . (رقم ٢٠٥٣١) .

وذلك إحالة على حديث قبله رواه عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ . (٢٠٥٣٠) .

ورواه أحمد (٦٥/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٦١/٨١٥٧) .

ورواه البخارى (١٣٠/٤ - ١٣١) فى (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء - (٣١) باب وفاة موسى وذكره بعد - روى أولاً عن يحيى بن موسى عن عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أنى هريرة رضى الله عنه قال : أرسل ملك الموت إلى موسى ... إلخ .

ثم قال : وأخبرنا معمر عن همام ، حدثنا أبو هريرة عن النبى - ﷺ نحوه .

كما رواه أيضاً فى (٩٢/٢ - ٩٣) (٢٣) كتاب الجنائز - (٦٨) باب من أحب الدفن فى الأرض المقدسة أو نحوها - من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أنى هريرة رضى الله عنه قال : أرسل ملك الموت إلى موسى إلخ .

وهكذا فى الموضعين رواه البخارى موقوفاً من طريق ابن طاوس عن أبيه لكننا كما رأينا هذا الطريق فى المصنف مرفوعاً إلى النبى - ﷺ .

ورواه مسلم (١٨٤٢/٤ ، ١٨٤٣) فى (٤٣) كتاب الفضائل - (٤٢) باب من فضائل موسى عليه السلام - بسنده للصحيفة (٢٣٧٢/١٥٨) .

ورواه موقوفاً مثل البخارى من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أنى هريرة .
ورواه البغوى الفراء (٢٦٥/٥ ، ٢٦٦) فى باب من أحب لقاء الله أحب لقاءه بسنده للصحيفة .
وقال : هذا حديث متفق على صحته ، أخرجه محمد بن يحيى بن موسى ، وأخرجه مسلم عن محمد بن رافع - كلاهما عن عبد الرزاق (رقم ١٤٥١) .

❦ ❦ ❦

(١) ثم مه : الهاء للسكت اتصلت بما التى هى للاستفهام ؛ أى ثم ماذا يكون :
أحياة أو موت ؟

(٢) تكلم اثنان من العلماء فى معنى هذا الحديث كلاماً جيداً ينبغى أن نقف عليه ، حتى لا نغتر بكلام المبطلين لحديث رسول الله - ﷺ الصحيح .

أولهما الإمام ابن حبان البستى فى كتابه التقاسيم والأنواع قال فى ترجمة هذا الحديث : « ذكر خبر شنع به على منتحلى سنن المصطفى - ﷺ - من حُرِّم التوفيق لإدراك معناه .

ثم قال بعد روايته مبيناً معناه : « إن الله جل وعلا بعث رسوله - ﷺ معلماً لخلقه ، فأنزله موضع الإبانة عن مراده ، فبلغ - ﷺ رسالته ، وبين عن آياته بألفاظ

محملة ومفسرة ، عقلها عنه أصحابه أو بعضهم ، وهذا الخبر من الأخبار التي يدرك معناها من لم يحرم التوفيق لإصابة الحق .

« وذلك أن الله جل وعلا - أرسل ملك الموت إلى موسى رسالة ابتلاء واختبار ، وأمره أن يقول له : أجب ربك - أمر اختيار وابتلاء ، لا أمراً يريد الله جل وعلا إمضاه ، كما أمر خليله - صلى الله على نبينا وعليه - بذبح ابنه امر اختبار وابتلاء دون الأمر الذي أراد الله - جل وعلا إمضاه فلما عزم على ذبح ابنه وتله للجبين - : فداه بالذبح العظيم ، وقد بعث الله جل وعلا الملائكة إلى رسله في صور لا يعرفونها ؛ كدخول الملائكة على إبراهيم ولم يعرفهم ، حتى أوجس منهم خيفة ؛ وكمجئ جبريل إلى رسول الله - ﷺ وسؤاله إياه عن الإيمان والإسلام فلم يعرفه المصطفى - ﷺ حتى ولى .

« فكان مجئ ملك الموت إلى موسى على غير الصورة التي كان يعرفه موسى عليه السلام عليها . وكان موسى غيورا ، فرأى في داره رجلا لم يعرفه ، فشال يده فلطمه ، فأنت لطمته على فقا عينه التي في الصورة التي يتصور بها ، لا الصورة التي خلقه الله عليها ، ولما كان المصرح عن نبينا - ﷺ في خبر ابن عباس حيث قال : أمني جبريل عند البيت مرتين فذكر الخبر ، وقال في آخره : هذا وقتك ، ووقت الأنبياء قبلك - : كان في هذا الخبر البيان الواضح أن بعض شرائعنا قد يتفق مع بعض شرائع من قبلنا من الأمم .

« ولما كان من شريعتنا أن من فقا عين الداخل داره بغير إذنه ، أو الناظر في بيته بغير أمره من غير جناح على فاعله ، ولا حرج على مرتكبه ؛ للأخبار الجمة الواردة فيه ... - كان جائزا اتفاق هذه الشريعة شريعة موسى ، بإسقاط الحرج عمن فقا عين الداخل داره بغير إذنه ، فكان استعمال موسى هذا الفعل مباحا له ، ولا حرج عليه في فعله ، فلما رجع ملك الموت إلى ربه ، وأخبره بما كان من موسى فيه أمره ثانيا بأمر آخر أمر اختبار وابتلاء - كما ذكرنا من قبل - إذ قال الله له : قل له : إن شئت فضع يدك على متن ثور ، فلك بكل ما غطت يدك بكل شعرة سنة ، فلما علم موسى كلم الله - صلى الله على نبينا وعليه - أنه ملك الموت ، وأنه جاءه بالرسالة من عند الله طابت نفسه بالموت ، ولم يستمهل ، وقال : فالآن ، فلو كانت المرة الأولى عرفه موسى أنه ملك الموت

لاستعمل ما استعمل في المرة الأخرى عند تيقنه وعلمه به . ضد قول من زعم أن أصحاب الحديث حمالة الخطب ، ورعاة الليل ، يجمعون ما لا ينتفعون به ، ويروون ما لا يؤجرون عليه ، ويقولون بما يبطله الإسلام ، جهلا منه بمعاني الأخبار ، وترك التفقه في الآثار معتمدا في ذلك على رأيه المنكوس ، وقياسه المعكوس » ^(١) .

ومن هذا القياس المعكوس قول بعضهم :

١ - أن ملك الموت شديد التنفيذ ، وهذا يمثل ضعفا فيه أمام موسى ^(٢) .

نقول قد رأينا عند ابن حبان - رضى الله عنه - أن الملك لم يكن ذاهبا في المرة الأولى لقبض روحه ، وإنما للابتلاء والاختبار .

وقوله :

٢ - إن موسى نبي ورسول كريم فكان ينبغي أن يطيع ويستجيب ولا يعترض على قضاء الله ^(٣) .

ونقول هنا :

رأينا عند ابن حبان أن موسى لم يعرفه ولو عرفه لأذعن وأطاع لأمر الملك الذى هو رسول من عند ربه ، وهذا له نظائر في القرآن الكريم كما ذكر ابن حبان ، وعندما علم موسى في المرة الثانية أن الملك جاء لقبض روحه أذعن على الرغم من من تحييره وعرض عليه حياة طويلة .

٣ - وقوله :

أن الآجال لا يمكن أن تتقدم أو تتأخر فكيف يعطل موسى ملك الموت عن تنفيذ مهمته ^(٤) .

(١) نقلا من تحقيق الأستاذ أحمد شاکر للمسند ٦٦/١٤ - ٦٧ .

(٢) الأضواء القرآنية : ١٨٧/٢ .

(٣) المصدر السابق : ١٨٨/٢ .

(٤) المصدر السابق : ١٨٨/٢ .

ونقول : لم يعطل موسى ملك الموت ، ولو كان الملك مأمورا بالتنفيذ لا بالعرض فقط ما أمهل موسى على نبينا وعليه السلام ، ولما تأبى موسى ، وإلا فقد كان يمكن أن يستزيد من الحياة عندما عرض عليه زيادتها ، فلماذا إذن آثر لقاء الله ، ألم يكن هذا دليلا على أن موسى لم يرفض الموت ، وإنما رفض أن ينازعه إنسان - لا يعرفه - الحياة ؟ .

٤ - وقوله :

إذا كان الموت حكم يصدره الله بغير تأخير أو تقديم ، ثم يجعل لأمره صفة القدسية في التنفيذ بغير تبديل فكيف نصدق أن رسوله موسى تمرد وعصى (١) ؟

نقول : وهكذا يكرر ويزيد آراءه المنكوسة كما يقول ابن حبان ، فقد قلنا إن الأمر في المرة الأولى لم يكن تنفيذ الموت ، وإنما كان الأمر أمر اختبار وابتلاء ، وعلى أساس من هذا كان تنفيذ ما حدث فعلا .

٥ - ويقول :

كيف يكون موسى عبدا ثم يعيش بإرادته ، ويموت بإرادته ، ويستشير الله في أن يموت أو لا يموت (٢) ؟

ونقول : من الذى أعطاه هذه الإرادة ؟ أليس هو الله عز وجل ، هل أراد أمرا لم يردعه ربه عز وجل ؟

وعلى فرض التسليم بأن هذا لا يجوز ، فأين إرادة موسى التى أملاها . إنه في المرة الأولى لم يكن يعرف ملك الموت ، وإنما رأى رجلا يزعم أنه يريد أن ينزع منه الحياة . إذن لم تكن القضية أولا هى الاستجابة لملك الموت أو عدم الاستجابة له وإنما الدفاع عن النفس ، كما هو الحال بالنسبة لأى إنسان يجيئه رجل يقول له أجب ربك هل سيدعن له ؟ لا ، لن يدعن له ، بل سيدافع عن نفسه ، وعن حقه في الحياة التى أعطهاها الله عز وجل .

(١) المصدر السابق : ١٨٨/٢ .

(٢) المصدر السابق : ١٨٨/٢ - ١٨٩ .

وجل له . وإذا كان الأمر يختلف بالنسبة للأنبياء عليهم السلام في أنهم يمكنهم رؤية الملائكة ، ومنهم ملك الموت - فإنه لم يأت موسى على هيئة ملك وإنما جاءه على هيئة إنسان فلم يعرفه - كما جاء الملائكة إلى إبراهيم عليه السلام فقام وذبح لهم وقدم لهم الطعام ... كما حكى القرآن الكريم [هود : ٦٩ - ٧٠ ، الذاريات : ٢٤ - ٢٨] .

وفي المرة الثانية التي جاءه فيها ملك الموت كانت الإرادة هي إرادة الله سبحانه وتعالى ؛ فهو عز وجل هو الذى أراد أن يُخَيَّرَ موسى ، إذن فقد أراد سبحانه لموسى أن يحيى لمدة معلومة لو أراد الحياة أو يموت إذا اختار الموت .

ولن يتصور عاقل أن موسى كان سيحيى أو سيموت بغير إرادة الله ، فهو عز وجل له مشيئته وإرادته ، وللعبد مشيئته وإرادته التى تنبثق من مشيئة ربه عز وجل وإرادته (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) (١) .

ويبدو أن هذا الذى ينكر الحديث الصحيح لا يفهم أساليب العربية لأن الحديث لا يفهم منه الاستشارة التى معناها هو تردد إنسان بين أمرين ويطلب من الآخرين ما يرجح له أحد الأمرين فيكون بأسلوب أَفْعَلْ كذا أو أَفْعَلْ كذا ، أو ما شابهه ، وليس الأمر كذلك هنا ، فالأسلوب صريح فى معنى التخيير وليس فى معنى الاستشارة ، ففرق ما بين أن تقول لآخر : ما رأيك أن أفعل كذا أو أفعل كذا ، وبين أن نقول له : افعل كذا أو كذا والأسلوب الثانى هو أسلوب التخيير ، وهو الذى فى الحديث ؛ إذ قال الله جل شأنه لموسى : « إن كنت تريد الحياة فضع » إلى آخره . وكلمة « عدى » هنا فى الحديث الشريف لها مغزاها ، فهى تدل على أن الله هو السيد وهو المانع وهو المعطى وهو المتفضل ، وهذه كلها لا تكون فى الاستشارة .

٦ - ثم هو يكرر ويعيد فيقول :

إذا كانت وحدانية الله تتجلى فى كونه لا يستشير أحداً ولا يستعين بأحد ولا يعطل قدره أحد وقد آمننا بذلك إيماناً قوياً ، فكيف نصدق أن يأتى موسى فيعطل

(١) الإنسان : ٣٠ .

قدره في الموت ولا يموت إلا بإرادته ، وأعظم من ذلك استحالة أقول : كيف نصدق أن يفرض مشاركته لربه حتى أنه لا يموت إلا إذا استشاره الله فوافق هو على ذلك ، وإذا لم تكن هذه مشاركة تتنافى مع وحدانية الله ، فأى شيء تكون المشاركة إذن ^(١) ؟ .

وأقول : أرى أن هذا الهراء قد أجبننا عليه فيما سبق ، وقلنا إنه ليس هناك استشاره ، وإنما هنا تخيير ، وقلنا إن موسى لم يعطل القدر ، فالقدر إنما كان الابتلاء لا الإمامة في المرة الأولى التي جاء فيها ملك الموت .

وقد كان يمكن أن نقول - مجازة لهذا الهوس - إن موسى عطل قدر الله تعالى في الموت لو اختار الحياة ، ولكنه لم يختار الحياة واختار الموت . إذن لم يعطل قدرا ، ولم يعترض على قدر قدره الله عز وجل .

وفي كلمة « عبدى » في قوله عز وجل في الحديث : « ارجع إلى عبدى » ما يدل صريحا على عدم المشاركة التي اخترعها هذا الأئيم ، فموسى عبد ، والله عز وجل تبعاً لذلك إله يتفضل على عبده بتخييره ابتلاءً ، وقد نجح العبد في الابتلاء شأن النبيين والمرسلين فأثر لقاء الله ، ولم يختار الحياة الطويلة ، فما عند الله خير وأبقى .

٧ - وآخر اجترأ هذا على الحديث الشريف قوله مصوراً أن موسى عليه السلام محكوم عليه بالإعدام وأن ملك الموت هو المنفذ لحكم الإعدام : « فأقول لك مداعبا أيهما أقوى من الآخر المنفذ لحكم الإعدام أم المحكوم عليه بهذا الإعدام » ^(٢) .

ونحن في غنى عن التعقيب على هذه السماجة بعد أن وضحنا الفهم السليم للحديث كما عرض الإمام ابن حبان رضي الله تعالى عنه ، لكننا نضيف أن الحديث لا يتناول مجرماً محكوماً عليه بالإعدام ، وإنما يقص قصة رسول كريم وملك كريم وموقف كل منهما أعلى وأجل من موقف المجرمين المحكوم عليهم بالإعدام فالأنبياء والمرسلون يعيشون كراماً ويموتون كراماً .

(١) الأضواء القرآنية : ١٨٨/٢ - ١٨٩ .

(٢) المصدر السابق : ١٨٩/٢ .

وننقل كلام الإمام البغوى - وهو ثانى الاثنين اللذين اخترنا أن ننقل كلامهما في توضيح معنى الحديث يقول - رضى الله عنه :

« هذا الحديث يجب على المرء المسلم الإيمان به على ما جاء به من غير أن يعتبره بما جرى عليه عرف البشر ، فيقع في الارتياب ؛ لأنه أمر مصدره عن قدرة الله سبحانه وتعالى وحكمه ، وهو مجادلة بين ملك كريم ونبي كريم ، كل واحد منهما مخصوص بصفة خرج بها عن حكم عوام البشر ومجارى عاداتهم فى المعنى الذى خص به فلا يعتبر حالهما بحال غيرهما ، وقد اصطفى الله سبحانه وتعالى موسى برسالاته وبكلامه ، وأيده بالآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة ؛ كاليد البيضاء ، والعصا ، وانفلاق البحر ، وغيرها مما نطق به القرآن ، ودلت عليه الآثار . وكل ذلك إكرام من الله - عز وجل - أكرمه بها ، فلما دنت وفاته - وهو بشر يكره الموت طبعاً ، ويجد ألمه حساً لطيف له بأن لم يفاجئه به بغته ، ولم يأمر الملك الموكل به أن يأخذه به قهراً ، لكن أرسله إليه منذراً بالموت ، وأمره بالتعرض له على سبيل الامتحان فى صورة بشر ، فلما رآه موسى استنكر شأنه ، واستوعر مكانه ، فاحتجز منه دفعاً عن نفسه بما كان من صكه إياه ، فأتى ذلك على عينه التى ركبت فى الصورة البشرية التى جاء فيها دون صورة الملكية التى هو محبوب عليها .

« وقد كان فى طبع موسى حمية وحدة على ما قص الله علينا من أمره فى كتابه ؛ وكزه القبطى ، وإلقائه الألواح ، وأخذه برأس أخيه يحرقه إليه .

« ورؤى أنه كان إذا غضب اشتعلت قلنسوته ناراً ، وقد جرت سنة الدين بدفع من قصدك بسوء - كما جاء فى الحديث : « من اطلع فى بيت قومه بغير إذنه حل لهم أن يفتقوا عينه » ^(١) فلما نظر موسى إلى شخص فى صورة بشر هجم عليه يريد نفسه ،

(١) البخارى (٤٥/٨) (٨٧) كتاب الديات (٢٣) باب من اطلع فى بيت قوم ففتقوا عينه فلا دية له .

مسلم (١٦٩٩/٣) (٣٨) كتاب الآداب (٩) باب تحريم النظر فى بيت غيره (رقم ٢١٥٨/٤٤) ولفظ البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة قال : قال أبو القاسم ﷺ : لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذنه فحذفته بحصاة ففقت عينه لم يكن عليك جناح .

ويقصد هلاكه وهو لا يثبته ، ولا يعرفه أنه رسول ربه - دفعه عن نفسه فكان فيه ذهاب عينه ، فلما عاد الملك إلى ربه رد الله إليه عينه ، وأعادته رسولا إليه ليُعلم نبي الله عليه السلام إذا رأى صحة عينه المفقودة أنه رسول الله بعثه لقبض روحه ، فاستسلم حينئذ لأمره ، وطاب نفساً بقضائه ، وكل ذلك رفق من الله عز وجل ، ولطف منه في تسهيل ما لم يكن بدّ من لقائه ، والانقياد لمورد قضائه .

« قال : وما أشبه معنى قوله : « ما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن » ، يكره الموت بترديده رسوله ملك الموت إلى نبيه موسى عليه السلام ، فيما كرهه من نزول الموت به .

« وقد ذكر هذا المعنى أبو سليمان الخطابي في كتابه ردا على من طعن في هذا الحديث وأمثاله من أهل البدع والملحدّين أبادهم الله ، وكفى المسلمين شرهم »^(١) .
وهكذا أضاف الإمام البغوي إلى شرح الإمام ابن حبان جوانب من معاني هذا الحديث الشريف منها :

- ١ - أنها ما ينبغي لمسلم أن يقيس ما حدث بين نبي وملك عليهما السلام على ما يحدث في عرف البشر حتى لا يقع في الارتياب ، وأقول : أو في حبال المرتابين .
- ٢ - أن تردد الملك لحكمة ، وهي لطفه سبحانه وتعالى بموسى ورفقه به حتى يقع ما لا بد من لقائه .
- ٣ - أن من دوافع ضرب موسى للملك في صورة الرجل فوق ما بينه ابن حبان من أنه تهجم عليه ولا يعرفه - هو تصرف موسى كبشر يكره الموت طبعاً ويجد ألمه حساً .
- ٤ - أن الله سبحانه وتعالى عامل نبيه موسى عليه السلام بما يعامل عباده الصالحين في قوله في الحديث القدسي : « ما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن » .

(٣) رب ادننى من الأرض المقدسة رمية بحجر : دعا موسى الله عز وجل أن يقربه من بيت المقدس تيمنا بجوار الأنبياء والصالحين وتعرضا للرحمة النازلة عليهم ؛ ولأن الناس يقصدون المواضع الفاضلة ويزورون قبورها ويدعون لأهلها ، ومعنى « رمية بحجر » قدر رمية بحجر ، أى ادننى إليها حتى يكون بينى وبينها هذا القدر .
وقال بعض العلماء : إن الحكمة فى أنه لم يطلب دخولها ليعمى موضع قبره لئلا تَعْبُدَه الجَهِال من ملته .

ويحتمل أن يكون سر ذلك أن الله تعالى منع بنى إسرائيل من دخول بيت المقدس ، وتركهم فى التَّيه أربعين سنة إلى أن أفناهم الموت فلم يدخل الأرض المقدسة مع يوشع إلا أولادهم ، ولم يدخلها أحد ممن امتنع أولا أن يدخلها ... ومات هارون ، ثم موسى عليهما السلام قبل فتح الأرض المقدسة على الصحيح فكأن موسى لما لم يتهيا له دخولها لغلبة الجبارين عليها ، ولا يمكن نبشه بعد ذلك لينقل إليها طلب القرب منها ؛ لأن ما قارب الشيء يأخذ حكمه ^(١) .

وكما ترى : ليس فى الحديث إلا الدعاء من موسى عليه السلام ربه عز وجل ، وهذا لا يتنافى مع قوله عز وجل : (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) ^(٢) ؛ كما يزعم بعض المنكرين للحديث ؛ إذ الدعاء شئ واستجابة الله تعالى له شئ آخر ، وهذا الدعاء منه دليل على أنه لا يعرف أنه سيموت قريبا من الأرض المقدسة فدعا الله ذلك ؛ إذ لو كان يعلم ما سأل ربه عز وجل . أما كون الله عز وجل أجاب له دعاءه فهذا شئ والعلم به شئ آخر ، ويستطيع كل عاقل أن يفرق بينهما . على أنه لو قلنا إن موسى عليه السلام يرجح استجابة الله تعالى لدعائه ويكون هذا علما فإنه تبقى جهالة المكان لديه لأن هذا القرب الذى دعا به يمكن أن يتحقق من نقاط فى دائرة حول الأرض المقدسة .

وقد قال الله تعالى (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) ^(٣) وأولى الناس بإجابة

(١) فتح البارى : ٢٠٧/٣ .

(٢) لقمان : ٣٤ .

(٣) غافر : ٦٠ .

الدعاء هم أنبياء الله سبحانه وتعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام . وعندما يستجيب الله تعالى دعاء العبد فإنه لا يغير به قضاء ؛ لأن ما في الاجابة هو القضاء ؛ فالحق سبحانه وتعالى لا يفعل إلا ما يريد . هذا كله من البدهيات .

وتطبيقه على ما هنا تقول : إن الله تعالى استجاب دعاء موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وجعل موته بالقرب من الأرض المقدسة ، وكان هذا هو القضاء أى لم يقض سبحانه شيئاً يتنافى مع استجابة الدعاء .

ومع وضوح هذا استمع إلى هذا التخريف :

« أليس من العجيب ومن الخطأ والزور أن نصدق أن موسى يتدلل على ربه في موته وأن يصغى الله لطلباته في هذا القضاء المبرم إلى حد أن يطلب موسى الموت في مكان معين ، فيقول : يا رب قربنى من الأرض المقدسة رمية حجر كما في الحديث » (١) .

ألست معى أيها القارئ الكريم أن كلامه هذا هو العجيب والخطأ والزور ؟ وهل القضاء المبرم هو الموت أو المكان ؟ إن القضاء المبرم هو الموت الذى علم به موسى بدليل مجىء ملك الموت ليخبره . أما المكان فلم يعلم : - أن الله تعالى قضى بشئ فيه ، ولا يفيد الحديث ذلك ، ولذلك دعا الله عز وجل ، إذن ليس هناك قضاء مبرم طلب موسى أن يغيره بدعائه .

ولماذا لا نصدق أن موسى يتدلل على ربه كما يتدلل الحبيب على حبيبه ونحن نعلم مكانة موسى الحبيبة عند ربه ، ومكان الله الحبيب عند موسى الكليم . ألم يقل الله تعالى له (واصطنعتك لنفسى) (٢) أى معنى من الحب تحمله هذه العبارة الكريمة فى كتاب الله عز وجل ! .

(١) الأضواء القرآنية : ١٨٩/٢ .

(٢) طه : ٤١ .

ولماذا لا يصغى الله عز وجل لطلبات موسى ، وهو عز وجل يقول : (وإذا سألك عبادى عني فإني قريب) (١) .

(٤) لو أنى عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر :
الكثيب هو الرمل المجتمع ، وقد اشتهر قبره بأريحاء عند كثيب أحمر ، وأريحاء من الأرض المقدسة . قال القسطلاني : وليس نصا في الإعلام بتعيين قبره (٢) .

وهناك اختلاف كبير في المكان الذي دفن فيه موسى عليه السلام ، وقد روى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لا يعرف قبره ، ورسول الله ﷺ أبهم ذلك في الحديث الشريف حين قال « إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر ، ولو أراد بيانه لبين صريحاً وقال ابن عباس : لو علمت اليهود قبر موسى وهارون لاتخذوهما إلهين من دون الله تعالى (٣) .

وهكذا نرى أن مصدر القول بأن الله عمى قبر موسى وهارون عن اليهود حتى لا يتخذوهما من دون الله إلهين إنما هو الرواية عن ابن عباس ، أما الحديث فلم يتعرض لذلك وليس نصا في التعيين كما قال القسطلاني . ومع هذا ينكر بعضهم الحديث الصحيح محتجا بهذه الرواية ، وكأن الحديث الصحيح يقول بها ، يقول هذا المنكر : إذا كان الله سبحانه وتعالى قد ضلل اليهود عن قبر موسى حتى لا يعبدونه ويتخذونه كعبة يطوفون بها ، فكيف يتمنى النبي - ﷺ أن لو أرشدهم إليه ، وهو يعلم أنهم لو عرفوه لاتخذوه مزارا ... إلخ (٤) .

وهكذا يبنى على قول صحابى رد الحديث الشريف ؛ لأن الحديث لم يتعرض لمسألة عدم معرفة اليهود لقبر موسى عليه السلام ، وكل الذى فيه أنه يعرفه - ﷺ ويقول لأصحابه لو أنى عنده لأريتكم قبره .

(١) البقرة : ١٨٦ .

(٢) إرشاد السارى : ٣٨٨/٥ .

(٣) عمدة القارى : ٦٣/٧ .

(٤) الأضواء القرآنية : ١٨٩/٢ .

وعلى تقدير صحة قول ابن عباس فليس فيه ما يتعارض مع صحة الحديث لأن
النبي - ﷺ لم يبينه - كما قال العلماء - وأبهمه ، وكأن ابن عباس رضى الله عنهما يعلل
لم أبهم النبي - ﷺ تحديد مكانه ولم يبينه .

عصمنا الله تعالى من همزات الشياطين ، وزادنا تمسكا بسنة رسول الله - ﷺ
الصحيحة .

وقد بين بعض العلماء ما يستفاد من هذا الحديث ؛ لأن أحاديث الرسول ﷺ
دروس للأمة المحمدية - وإن كانت تتعلق بأحوال الأمم السابقة وأنبيائهم :

١ - فيه دلالة ظاهرة على أن لموسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - منزلة
كبيرة .

٢ - استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والقرب من مدافن الصالحين .

٣ - فيه أن للملك قدرة على التصور بصورة غير صورته .

٤ - في قوله « يضع يده على متن ثور » دلالة على أن الدنيا بقى منها
كثير ، وإن كان قد ذهب أكثرها ؛ لأن عدد الشعر الذى تواريه اليد قدر المدة التى بين
موسى وبعثة نبينا - ﷺ مرتين أو أكثر .

٥ - فيه دلالة على الزيادة فى العمر ، مثل الحديث الآخر : « من سره أن
يبسط فى رزقه ويُنسأ فى أثره فليصل رحمه » ، وهو يؤيد قول من قال فى قوله تعالى -
(وما يعمر من معمر) الآية أنه زيادة ونقص فى الحقيقة .

والجميع معلوم فى الكتاب (١) . والله أعلم .

★ ★ ★

(١) عمدة القارى : ٦٣/٧ ، ٦٤ - فتح البارى : ٤٤٣/٦ .

٦١ - وقال رسول الله - ﷺ : كانت ^(١) بنو إسرائيل يَغْتَسِلُونَ عُرَاءَ ^(٢) يَنْظُرُ بعضهم إلى سَوَاءِ بعض ، وكان موسى يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ ^(٣) ، فقالوا : والله ما يمنع موسى أن يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آذُرُ ^(٤) .

قال : فذهب مَرَّةً يَغْتَسِلُ ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ ، فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ .
قال : فجمع ^(٥) موسى في أثرِهِ بقول : ثَوْبِي حَجَرٌ ^(٦) ، ثَوْبِي حَجَرٌ .
حتى نَظَرْتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوَاءِ مُوسَى ^(٧) ، فقالوا : والله ما بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ .

قال : فَقَامَ الْحَجَرُ بَعْدَ مَا نُظِرَ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ ، وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ^(٨) ضَرْبًا .

قال أبو هريرة : والله ، إِنَّهُ نَدَبَ بِالْحَجَرِ ^(٩) سِتَّةً أَوْ سَبْعَةً ^(١٠) ؛ ضَرَبَ مُوسَى بِالْحَجَرِ ^(١١) .

● رواه أحمد (٦٦/١٦ ، ٦٧) بسنده للصحيحة وضمن روايته لها (رقم ٦٢/٨١٥٨) .

ورواه البخاري (٧٣/١) في (٥) كتاب الغسل - (٢٠) باب من اغتسل عريانا وحده في الخلوة ، ومن تستر فالستر أفضل - عن إسحاق بن نصر عن عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .
كما روى في (١٢٩/٤ - ١٣٠) (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء (٢٨) باب حدثني إسحاق بن نصر ... -
قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا عوف عن الحسن ومحمد وخلاس ، عن أبي هريرة -
رضي الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ : « إِنْ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيًّا سَتِيرًا ، لَا يَرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٍ اسْتَحْيَاءَ مِنْهُ ، فَأَذَاهُ مِنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا : مَا يَسْتَرُ هَذَا التَّسْتَرُ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ : إِمَّا بَرَصٌ ، وَإِمَّا أَدْرَه ، وَإِمَّا آفَةٌ ، وَإِنْ اللَّهُ أَرَادَ أَنْ يَبْرِئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى ، فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ ، ثُمَّ اغْتَسَلَ ، فَلَمَّا فَرَّغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا ، وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ عَرِيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ ، وَقَامَ الْحَجَرُ ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ ، وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بَعْضَاهُ ، فَوَاللَّهِ إِنْ بِالْحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا ، أَوْ أَرْبَعًا ، أَوْ خَمْسًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ [٦٩ سورة الأحزاب] (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ، وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً) .

وقد ذكرنا هذه الرواية لإسهامها في توضيح حديث همام الذى معنا .

وقد أخرج شيئا من هذه الرواية في (٢٧/٦ - ٢٨) (٣٣/٦٥) كتاب التفسير - (١١) باب (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) .

ورواه مسلم (١٨٤١/٤ - ١٨٤٢) في (٤٣) كتاب الفضائل - (٤٢) باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم بسنده لصحيفة همام . (٣٣٩/١٥٥) .

كما رواه في (٢٦٧/١) (٣) كتاب الحيض - (١٨) باب جواز الاغتسال عريانا في الخلوة . بالسند نفسه . (رقم ٣٣٩/٧٥) .

وكا يقول أحمد شاكر (٦٦/١٦) : « وهو من الأحاديث القلائل التي كررها مسلم في صحيحه في موضعين » .

* * *

(١) كانت بنو إسرائيل : أى جماعة بنى إسرائيل ، وهو كقوله تعالى : (قالت الأعراب) .

(٢) يغتسلون عراة ؛ ينظر بعضهم إلى سواة بعض : ظاهره أن ذلك كان جائزا في حقهم ، وإلا لما أقرهم موسى على ذلك ، وكان يغتسل وحده أخذا بالأفضل . أو كان حراما عندهم لكنهم كانوا يتساهلون في ذلك ؛ لأن فعلهم لا ينهض دليلا على جوازه في شرعهم ، فمن الجائز مخالفتهم للشرع في هذا الأمر ؛ قال القرطبي : كانت بنو إسرائيل تفعل ذلك معاندة للشرع ، ومخالفة لموسى عليه الصلاة والسلام ، وهذا من جملة عتوهم وقلة مبالاتهم باتباع شرعه (١) .

(٣) وكان موسى يغتسل وحده : يختار موسى عليه السلام الخلوة تنزهها واستحبابا وحياء .

وقد استدلل بذلك البخارى - رضى الله عنه - على جواز التعرى في الغسل فقال : « باب من اغتسل عريانا وحده في الخلوة ومن اغتسل فالغسل أفضل » (٢) .

(١) إرشاد السارى : ٣٣١/١ وعمدة القارى : ٣٨٦/١ .

(٢) انظر الموضوع السابق في التخرىج .

ووجه الدلالة منه أن النبي ﷺ قص قصته ولم يتعقب شيئا منها ، فدل على موافقة ذلك لشرعنا ، وإلا فلو كان فيهما شيء ، غير موافق لبيئته .

وقد يقال : إن وجه الدلالة منه أنه موسى عليه السلام ممن أمرنا بالاعتداء به . وهذا إنما يأتي على رأى من يقول : شرع من قبلنا شرع لنا (١) .

ولكن روى البخارى تعليقا بصيغة الجزم ، عن بهز ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي ﷺ « الله أحق أن يستحى منه من الناس » وهذا التعليق قطعة من حديث وصله أحمد والأربعة من طرق عن بهز وحسنه الترمذى وصححه الحاكم . ولفظ رواية ابن أوى شيبه : « قلت يا رسول الله ؛ عوراتنا ما نأتى منها وما نذر ؟ قال : احفظ عورتك إلا من زوجتك وما ملكت يمينك . قلت : يا رسول الله أأحدنا إذا كان خاليا ؟ قال : الله أحق أن يستحى منه من الناس » (٢) .

قال الحاكم : بهز كان من الثقات ممن يحتج بحديثه ، وإنما لم تعد من الصحيح روايته عن أبيه عن جده لأنها شاذة لا متابع له فيها .

ومفهوم قوله « إلا من زوجتك » يدل على أنه يجوز لها النظر إلى ذلك منه ، وقياسه أنه يجوز له النظر ، ويدل على أنه لا يجوز النظر لغير من استثنى ، ومنه الرجل للرجل والمرأة للمرأة .

وظاهر الحديث يدل على أن التعرى فى الخلوة غير جائز مطلقا .

فيجمع بين الحديثين بحمل حديث بهز بن حكيم على الأفضل ، والحديث الذى معنا على الجواز (٣) .

(٤) إلا أنه آدر : أى عظيم الخصيتين ، منتفخهما .

(١) فتح البارى : ٣٨٦/١ .

(٢) انظر تخرىج هذا الحديث فى كتاب آداب الزفاف للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ص ١٨ .

(٣) فتح البارى : ٢٨٦/١ . وقارن بإرشاد السارى ٣٣١/١ .

(٥) فجمع موسى : أى جرى مسرعاً .

(٦) ثوبى حَجْرُ : أى أعطنى ثوبى يا حجر ، فحجر منادى لأداة محذوفة وإنما خاطبه لأنه أجراه مجرى من يعقل فانتقل عنده من حكم الجماد إلى حكم الحيوان ، فناده فلما لم يعطه ضربه .

(٧) نظرت بنو إسرائيل إلى سوءة موسى : قال القسطلانى : فى هذا رد على من يقول بأن ستر العورة كان واجبا ، ولولا إباحة النظر إلى العورة لما أمكنهم موسى - عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا - من ذلك ، ولا خرج مارا على مجالسهم ، وهو كذلك ، وأما اغتساله خاليا فكان يأخذ فى حق نفسه بالأكمل والأفضل ، ويدل على الإباحة ما وقع لنبيينا ﷺ وقت بناء الكعبة من جعل إزاره على كتفه بإشارة العباس عليه بذلك ليكون أرفق به فى نقل الحجارة ، ولولا إباحته ما فعله ، لكنه أُلزم بالأكمل والأفضل لعلو مرتبته - ﷺ (١) .

(٨) وطفق بالحجر ضربا : أى جعل يضربه ضرباً .

(٩) ندب بالحجر : أى آثار بالحجر .

(١٠) أو سبعة : الشك من الراوى .

(١١) يستبطن من الحديث :

١ - ما ابتلى به الأنبياء والصالحون من أذى السفهاء والجهال وصبرهم عليهم .

١ - إباحة التعرى فى الخلوة للغسل وغيره ، بحيث يأمن أعين الناس وإن كان الستر أفضل ، وبهذا قال الشافعى ومالك وجماهير العلماء ، وخالفهم ابن أبى ليلى ، وقال : إن للماء ساكنا ، واحتج فى ذلك بحديث ضعيف .

٢ - جواز النظر إلى العورة عند الضرورة الداعية من مداواة ، أو براءة من العيوب ، أو إثباتها كالبرص وغيره مما يتحاکم الناس فيها ، مما لا بد فيها من رؤية البصر بها .

- ٣ - جواز الحلف على الإخبار كحلف أبي هريرة رضى الله عنه .
- ٤ - الدلالة على معجزة موسى عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا ، وهو مشى الحجر بثوبه إلى ملاء من بنى إسرائيل ، ونداؤه عليه الصلاة والسلام للحجر ، وتأثير ضربه فيه .
- ٥ - فيه دليل على أن الله تعالى كَمَّلَ أنبياءه خَلْقًا وَخُلُقًا ونزههم عن المعاييب والنقائص .
- قال الإمام النووي : ولا التفات إلى ما قاله من لا تحقيق له من أهل التاريخ في إضافة بعض العاهات إلى بعضهم ؛ بل نزههم الله تعالى من كل عيب وكل شيء يبغض العيون ، أو ينفر القلوب .
- ٦ - وجود التمييز في الجماد كاللحجر ونحوه ، ومثله تسليم الحجر بمكة ، وحنين الجذع ، ونظائره ^(١) .

رد شبه على الحديث :

وقد أنكر بعضهم هذا الحديث ونورد بواطيله ونرد عليها حتى لا يغتر بها مغتر :

- ١ - يقول : الأصل في نشأة هذه القصة هو الاستناد إلى قوله تعالى :
(لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ، وكان عند الله وجيهاً) . والمقصود أن يحذر هذه الأمة من أن تؤذى النبي - ﷺ - باتهامه بالسحر والكذب ، أو بالرغبة في السلطان عليهم ، مثل ما فعل بنو إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام ^(٢) .

نقول : أما إن الحديث قد ورد في تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى ...) ^(٣) فصحيح ، وقد وردت بذلك بعض الروايات .

(١) عمدة القارى : ١٢٥/٣ - شرح مسلم للنووى ٢٢٢/٥ .

(٢) الأضواء القرآنية : ٢٣٧/٢ .

(٣) الأحزاب : ٦٩ .

وأما ما قاله بعد ذلك فهو غير صحيح :

أولاً : إن الآية الكريمة تبدأ بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا) إذن فالآية فيها خطاب للمؤمنين ، وقد حذف هذا الجزء ليوهم القارئ ، وابتدأ الآية بـ (ولا تكونوا) والآية ليس فيها الواو . والمؤمنون لم يكونوا ليتهموا رسول الله ﷺ بسحر أو كذب إنح وإلا لم يكونوا مؤمنين ولا يستحقون أن يخاطبوا بهذا الوصف الكريم فكل من يفعل ذلك يتعدى مرتبة الإيذاء إلى الكفر والعياذ بالله تعالى ، والآية ليس فيها تحذير للأمة جميعها كما ادعى ، وإنما هي تحذير للمؤمنين ، والإيذاء الذى يمكن أن يصدر من المؤمنين هو أقل من هذا بكثير ، مثل رفع الصوت والمناداة من وراء الحجرات ومثل ذلك .

ثانياً : من أين أتى بهذا التفسير الذى لم يقل به أحد من المفسرين ، وكل المفسرين تقريباً قد أجمعوا على تفسير الآية بهذا الحديث الصحيح وغيره من الأحاديث الصحيحة .

ثالثاً : إن القرآن الكريم يسجل أن الذين اتهموا موسى بالسحر والكذب هم قوم فرعون وليس بنو إسرائيل . والحديث يقول : إن بنى إسرائيل هم الذين قالوا ما قالوا .
أله مصدر غير القرآن يقول به ؟ إنه ينكر الحديث لأن ما فيه لم يذكر في القرآن الكريم إذن من أين جاء بقوله : « ولكن الأذى الذى حدث لموسى من قومه هو اتهامه بالسحر والكذب » إذا كان يقصد « بقومه » بنى إسرائيل فهذا لم يأت به القرآن الكريم ، وإن كان يقصد قوم فرعون الذى لم يؤمنوا بموسى فالحديث لم يتناولهم ، ولا ينبغى أن ينكره بانتقادات ليست فيه .

٢ - يقول : لو فرضنا أن نوع الأذى الذى أصابه من قومه كان خاصاً ببدنه فكيف لا يستطيع الله تعالى أن يدافع عن عبده ونبيه موسى ، وأن يبرأه إلا بكشف عورته وفضيحته ، وجعله يجرى عارياً على مرأى من يكفرون به ... » (١) .

(١) الأضواء القرآنية : ٢٣٨/٢ .

نقول : أولا : ليس في الحديث ما هو فضيحة لموسى ؛ لأن التعرى كان عاديا في بنى اسرائيل عندما يغتسلون ، والحديث يسجل ذلك ، وقال بعض العلماء : إن هذا كان جائزا في شريعتهم - كما ذكر في الشرح - فإذا ظهر موسى عليهم عاريا لا يكون في هذا غير ما هو عادى أو مألوف أو فضيحة كما يصور .

ثم إن الله عز وجل برأ موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - بما يتلاءم مع طبيعة بنى اسرائيل المادية ، ومع نوع التهمة التى اتهموها له . أم ماذا كان يتصور في تبرئة الله له على غير ما جاء في الحديث ؟!

ثانيا : وهل بنو اسرائيل كانوا يكفرون بموسى في عهده ؟! يبدو أنه لا يستطيع أن يفرق بين فرعون وملأه الذين كفروا بموسى وبين بنى اسرائيل الذين آمنوا به ، وأنقذهم الله على يديه ، وآذوه بهذا ، كما يمكن أن يؤذى المؤمنون من أمة محمد ﷺ نبيهم ولهذا حذرهم الله تعالى .

٣ - وهو يكرر وهمه هذا فيقول : أى شئ يترتب على رؤية الكفار لموسى وهو يجرى عاريا ... »

نقول : هذا وهم وباطل فلم تكن القصة في الكافرين وموسى ولكن في بنى اسرائيل وموسى وهم مؤمنون وليسوا كفارا ، ولهذا ينهار كل ما قاله بعد ذلك بناء على هذا الأساس الباطل .

٤ - وهو يقول : إذا كانت هذه القصة قد حدثت فعلا ، فلماذا لم يوردها القرآن الكريم الذى أورد كل ما حدث بين موسى وبنى اسرائيل ، وهل كانت المشكلة والقضية في نظر بنى اسرائيل هي أن موسى بريئا أو مريضا [كذا] ؟ أم أن القضية كانت في نظرهم قضية عقائد ودين ، وأنها أكبر وأخطر من كونه مريض أو سليم [كذا] ؟^(١)

نقول : هو يريد أن ما لم يذكره القرآن الكريم وجاء به الرسول ﷺ لا يكون - في رأيه صحيحاً - ونحن قد ناقشنا ذلك وقلنا إن الرسول ﷺ توحى إليه أمور غير القرآن وأقرب الأمثلة على ذلك أوقات الصلوات الخمس وعدد ركعاتها مما لا يختلف فيه وليس في القرآن الكريم ... إلخ .

ومن أين علم أن القرآن قد أورد كل ما حدث بين موسى وبنى إسرائيل ؟ إن القرآن الكريم ليس فيه آية تقول ذلك إذن . فمن أى مصدر استقى ذلك أم يريد أن يرد الحديث الصحيح بالباطل وبالزور .

ثم هو يتحدى في تهريفه فيزعم أن القضية ليست قضية أن موسى مريض أو برىء . تقول إن القضية في البداية كذلك ليلحقوا بموسى المعاييب التى تجعله محل استهزاء وسخرية ، وبالتالى يسقطونه من نظرة الاحترام إليه فيستهزئون به ، وبالتالى يستهزئون بما يحمل من دعوة ورسالة ، نعم ؛ القضية الأساسية قضية عقائد ودين ولكنهم يصلون إلى أهدافهم من طرق خبيثة كالصاق العيوب الخلقية بموسى عليه السلام ليصلوا منها - كما قلنا إلى ما يريدون ؛ لأنهم لا يقوون على المواجهة ، وهذا هو شأن اليهود فى كل زمان ومكان .

٥ - ويقول : إذا كان نبينا يقول فى حديثه القوى : (لعن الله الناظر والمنظور) فكيف يعرض الله تبارك وتعالى بجسد موسى ليكون متعة لبصر الوحوش من بنى إسرائيل فيكشف لهم عورته ... » (١) .

نقول : إن الحديث ليس قويا كما قال ، فقد رواه البيهقى فى السنن الكبرى (٢) بسنده عن الحسن قال بلغنى أن رسول الله ﷺ قال ... فالحديث مرسل كما قال البيهقى ، ولا يحتج بالمرسل ، والمرسل ضعيف عند كثير من المحدثين . إذن من أين عرف أن هذا الحديث قوى ؟! وإذا كان يرفض الحديث الصحيح فلماذا يستشهد بالحديث الضعيف ؟!

ولقد قال العلماء كما يفهم من الحديث : إن التعرى عند الغسل كان عادة عند بنى إسرائيل ، وأنهم اتهموا موسى بالعيب الخلقى ؛ لأنه لا يجارهم فى عاداتهم فإذا

(١) المصدر السابق : ٢٣٨/٢ .

(٢) ٩٩/٧ .

ظهر موسى أمامهم عاريا كان هذا شيئا عاديا بالنسبة لهم ، بل سيلجم المغرضين الذين يريدون أن يعيبوا موسى بالباطل ؛ لأنه قد قام الدليل المادى أمامهم .

والحديث يحمل فى عباراته أن التستر مطلوب ، عندما سجل أن موسى كان يغتسل وحده ، وعندما بين أن موسى لم يرض أن يظهر عاريا أمامهم - مع أن فيه ما يجارى عادتهم - فطفق يضرب الحجر الذى فر بثوبه .

وهذا واضح تمام الوضوح ، ولكن الفهم الملتوى يصور أن موسى لا يستطيع أن ينهاهم عن العرى والتبرج وقد عرضه الله عليهم عريانا .

إن موسى لم يرض أمامهم بالعرى بل سلوكه قبل القصة وبعدها دعوة من موسى - وهو النبى المقتدى به - إلى ترك هذه العادة بغسله وحده ، وبجريه وراء ثوبه وحصوله عليه ، وضربه الحجر ، فإذا دعاهم بعد ذلك إلى ترك التعرى فلن يقول له واحد منهم إنك ظهرت عاريا ؛ لأنه كان واضحا لكل عاقل منهم أن موقفه كان موقف الرفض لذلك ؛ وهذا يتناقض ولا يتناقض مع ما يدعو إليه من تركهم العادة السيئة ، إذا سلمنا بأن فعلهم هذا كان غير جائز فى شريعتهم .

٦ - ويستمر فى إثارة الأباطيل فيقول : « أليس من العجيب أن ينسب إلى النبى - ﷺ فى هذا الحديث أنه أقسم أن موسى ضرب الحجر بعصاه وأن الحجر تأثر وتألم بضربه ، وأعجب من ذلك أيضا أن ينسب إلى موسى أنه تناول الحجر ضربا وهو يعلم أن هذا التصرف لا يصدر عن عاقل فضلا عن نبى مرسل (١) .

نقول : ليس المقسم فى الحديث هو رسول الله ﷺ ، وإنما هو أبو هريرة وهذا موجود فى رواية أخرى رواها الإمام البخارى ، وهو مصرح به كذلك فى روايتنا فى الصحيفة : « فقال أبو هريرة والله ... إلخ » .

وقد يكون قد علم ذلك فيكون كاذبا أو لم يعلم فيكون جاهلا ، ويرد الأحاديث الصحيحة بجهله .

ومن أين له أن الحجر تألم بضربه ؟ هل فى رواية من روايات الحديث ذلك ؟ ليس فيه ذلك ولكنه الافتراء والكذب .

وقد قلنا إن موسى قد يكون ضرب الحجر ليعلم غيظه أن يظهر عاريا أمامهم حتى لا يتخذ من ذلك مشروعية أنه راض بهذا وهو الرسول المقتدى به بالحكمة ليست التأثير فى الحجر بقدر ما كانت فى تأكيد قيمة دينية يحرص موسى على إرسائها .

على أن العلماء قد قالوا بأن الحجر قد خلق الله فيه إحساساً بدليل جريه بالثوب ووقوفه عند بنى إسرائيل ، فإذا كان قد تصرف تصرف العقلاء ، فموسى أيضا عامله معاملة العقلاء ، فتصرفه كان تربويا ومنطقيا .

٧ - وأخيرا يقول : إن هذا من الدس الاسرائيلى الرخيص (١) ؟

نقول : أى دس إسرائيلى هذا الذى يحذر المؤمنين من أن يؤذوا رسولهم كما آذى بنو إسرائيل رسولهم .

أيسجل الإسرائيليون على أنفسهم أنهم آذوا رسولهم وهم الذين يدعون أنهم كانوا على الحق بتمسكهم بموسى وبكتابه التوراة ؟!

أيدس الإسرائيليون إلى المسلمين ما يدعوهم إلى عدم إيذاء رسولهم محمد ، وهم الذين كانوا يتمنون له الإيذاء ، بل والهلاك ، وتفرق أصحابه عنه .

إن هذا المنطق عجيب ، ولكنه غير مستبعد من هؤلاء الجاهلين المارقين .

★ ★ ★

٦٢ - وقال رسول الله - ﷺ : ليس الغنى من كثرة العرض^(١) ،
ولكن الغنى غنى النفس^(٢) .

• رواه أحمد (٦٧/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٦٤/٨١٥٩) .
ورواه البغوي (٢٤٣/١٤) بسنده لصحيفة همام . وقال : هذا حديث متفق على صحته أخرجه من طرق عن
أبي هريرة .

وروى البخاري نحوه في (١٧٨/٧) (٨١) كتاب الرقاق - (١٥) باب الغنى غنى النفس . من طريق
أبي حصين ، عن أبي صالح عن أبي هريرة .. (رقم ٦٤٤٦) .
وروى مسلم نحوه في (٧٢٦/٢) (١٢) كتاب الزكاة - (٤٠) باب ليس الغنى عن كثرة العرض ، من طريق
سفيان بن عيينة عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة (رقم ١٠٥١/١٢٠) .

(١) ليس الغنى من كثرة العرض :

العَرَض : بفتح المهملة والراء - هو ما ينتفع به من متاع الدنيا ، ويطلق بالاشتراك
على كل ما يقابل الجوهر ، وعلى كل ما يعرض للشخص من مرض وغيره .

وقال بعضهم : العرض بتحريك الراء الواحد من العروض التي يتجر فيها « .
وبين بعضهم أن هذا خطأ فقد قال الله تعالى (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى)^(١)
ولا خلاف بين أهل اللغة في أنه ما يعرض فيه ، وليس هو أحد العروض التي يتجر فيها ،
بل واحدها عَرَضٌ بالإسكان ، وهو ما سوى النقيدين .

وقال أبو عبيد : العروض : الأمتعة ، وهي ما سوى الحيوان والعقار ، وما لا يدخله
كيل ولا وزن ، وهكذا حكاه عياض وغيره .

وقال ابن فارس : **العَرَضُ** : بالسكون كل ما كان من المال غير نقد ، وجمعه عروض . وأما بالفتح : فما يصيبه الإنسان من حظه في الدنيا ^(١) .

ولعل المراد : هو المعنى الأول : هو كل ما ينتفع به من متاع الدنيا .

قال القاضي عياض : « وفي الحديث : ليس الغنى عن كثرة العرض بفتح الراء : هو ما يجمع من متاع الدنيا يريد كثرة المال ، وسمى متاع الدنيا عرضاً لزواله ، قال تعالى : (تريدون عرض الدنيا ^(٢)) ^(٣) .

والمعنى : ليس الغنى الحقيقي المعتبر كثرة المال ؛ لأن كثيراً ممن وسع عليه في المال لا يقنع بما أوتي ، فهو يجتهد في الازدياد ولا يبالي من أين يأتيه ، فكأنه فقير من شدة حرصه ^(٤) .

وخيرية المال ليست لذاته حتى يغنى به صاحبه ، بل بحسب ما يتعلق به ، وإن كان يسمى خيراً في الجملة ، وصاحب المال الكثير ليس غنياً لذاته بل بحسب تصرفه فيه ، فإن كان في نفسه فقيراً أمسكه وامتنع عن بذله فيما أمر به خشية من نفاده ، فهو في الحقيقة فقير صورة ومعنى وإن كان المال تحت يده ؛ لكونه لا ينتفع به ؛ لا في الدنيا ولا في الأخرى ، بل ربما كان وبالاً عليه . أما إن كان في نفسه غنياً فإنه لن يتوقف في صرفه في الواجبات والمستحبات من وجوه البر والقربات ^(٥) .

(٢) ولكن الغنى غنى النفس :

في رواية الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عند أحمد وسعيد بن منصور وغيرهما : « إنما الغنى في النفس » . وأصله في مسلم . ولابن حبان من حديث أبي ذر :

(١) فتح الباري : ٢٧٢/١١ .

(٢) الأنفال : ٦٧ .

(٣) مشارق الأنوار : ٧٣/٢ .

(٤) إرشاد الساري : ٢٥٨/٩ .

(٥) فتح الباري : ٢٧٢/١١ .

« قال لى رسول الله - ﷺ : يا أبا ذر ، أترى كثرة المال هو الغنى ؟ قلت : نعم . قال : وترى قلة المال هو الفقر ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : إنما الغنى غنى القلب ، والفقر فقر القلب (١) .

قال بعض العلماء : معنى الحديث : ليس حقيقة الغنى كثرة المال ؛ لأن كثيرا ممن وسع الله عليه فى المال لا يقنع بما أوتى ، فهو يجتهد فى الازدياد ، ولا يبالى من أين يأتيه ، فكأنه فقير لشدة حرصه ، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس ، وهو من استغنى بما أوتى وقنع به ورضى ، ولم يحرص على الازدياد ، ولا ألح فى الطلب ، فكأنه غنى (٢) .

وقال بعضهم : معنى الحديث : إن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس ؛ وبيانه أنه إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع ، فعزت وعظمت ، وحصل لها من الخطوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذى يناله من يكون فقير النفس لحرصه ، فإنه يورطه فى رذائل الأمور ، وخسائس الأفعال ؛ لدناءة همته وبخله ، ويكثر من يذمه من الناس ، ويصغر قدره عندهم ، فيكون أحقر من كل حقير ، وأذل من كل ذليل . والحاصل أن المتصف بغنى النفس يكون قانعا بما رزقه الله ، ولا يحرص على الازدياد لغير حاجة ، ولا يلح فى الطلب ، ولا يُلحف فى السؤال ، بل يرضى بما قسم الله له ، فكأنه واجد أبدا ، والمتصف بفقر النفس على الضد منه لكونه لا يقنع بما أعطى ، بل هو أبدا فى طلب الازدياد من أى وجه أمكنه ، ثم إذا فاتته المطلوب حزن وأسف ، فكأنه فقير من المال ؛ لأنه لم يستغن بما أعطى ، فكأنه ليس بغنى .

ثم غنى النفس إنما ينشأ عن الرضا بقضاء الله عز وجل ، والتسليم لأمره ؛ علما بأن الذى عند الله خير وأبقى ، فهو معرض عن الحرص والطلب وما أحسن قول القائل . غنى النفس ما يكفيك من سد حاجةٍ فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا (٣) .

(١) المصدر السابق : ٢٧٢/١١ .

(٢) المصدر السابق : ٢٧٢/١١ وقد نسب ابن حجر هذا الرأى إلى ابن بطال .

(٣) المصدر السابق : ٢٧٢/١١ . وقد نسب ابن حجر هذا الرأى إلى القرطبي .

« وإنما يحصل غنى النفس بغنى القلب ؛ بأن يفتقر إلى ربه في جميع أموره فيتحقق أنه المعطى المانع ، فيرضى بقضائه ويشكره على نعمائه ، ويفزع إليه في كشف ضرائه ، فينشأ عن افتقار القلب لربه غنى نفسه عن غيره تعالى ، والغنى الوارد في قوله تعالى : (ووجدك عائلاً فأغنى) ^(١) يتنزل على غنى النفس ، فإن الآية مكينة ، ولا يخفى ما كان فيه النبي - ﷺ قبل أن تفتح عليه خير وغيرها من قلة المال . والله أعلم » ^(٢) .

وقال بعضهم في معنى الحديث : يمكن أن يراد بغنى النفس حصول الكمالات العلمية والعملية ، وإلى ذلك أشار القائل :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقير أى ينبغي أن ينفق أوقاته في الغنى الحقيقى ، وهو تحصيل الكمالات ، لا في جمع المال ، فإنه لا يزداد بذلك إلا فقراً ^(٣) .

قال ابن حجر معلقاً على هذا رأى الأخير : « وهذا وإن كان يمكن أن يراد لكن الذى تقدم أظهر في المراد .

ولا أرى تناقضاً بين هذه الآراء ؛ إذ يمكن أن يجمعها معنى الحديث الشريف ، وأن تكون مرادة جميعها . والله ورسوله أعلم .

★ ★ ★

(١) الضحى : ٨ .

(٢) فتح البارى : ٢٧٣/١١ .

(٣) المصدر السابق : ٢٧٣/١١ . وقد نسب ابن حجر هذا رأى إلى الطيبي .

٦٣ - وقال رسول الله - ﷺ إِنَّ مِنَ الظُّلْمِ مَظْلَ الْعَنِيِّ ^(١) ، وإن أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مِلْيَةٍ ^(٢) فَلْيَتَّبِعْ ^(٣) .

• رواه عبد الرزاق (٣١٦/٨ - ٣١٧) قال أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال : سمعت أبا هريرة يقول به . ثم قال : « قال معمر : وزادني رجل في هذا الحديث عن أبي هريرة ، عن النبي - ﷺ : « وأكذب الناس الصنائع » (رقم ١٥٣٥٥) .

ورواه أحمد (٦٧/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام . (رقم ٦٤/٨١٦٠) .

ورواه البخاري في (٨٥/٣) (٤٣) كتاب الاستقراض . (١٢) باب مظل الغني ظلم - من طريق عبد الأعلى عن معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله - ﷺ : « مظل الغني ظلم » . (رقم ٢٤٠٠) .

وروى نحوه في (٥٥/٣) (٣٨) كتاب الحوالة - (١) باب في الحوالة ، وهل يرجع في الحوالة - من طريق مالك عن أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة . (رقم ٢٢٨٧) .

وفي (٥٥/٣) الكتاب نفسه (٢) باب إذا أحال على ملى فليتبّع - من طريق سفيان (الثوري) عن ابن ذكوان ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة . (رقم ٢٢٨٨) .

ورواه مسلم في (١١٩٧/٣) (٢٢) كتاب المساقاة - (٧) باب تحريم مظل الغني وصحة الحوالة ، واستحباب قبولها إذا أحيل على ملى - بسنده للصحيفة ومن طريق عيسى بن يونس عن عبد الرزاق به . وذلك إحالة على حديث قبله رواه من طريق مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة . (رقم ١٥٦٤/٣٣) .

ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٧٠/٦) كتاب الحوالة - باب من أحيل على ملى فليتبّع ، ولا يرجع على الخيل - من طريقين إلى عبد الرزاق عن معمر عن همام ؛ أحدهما لأحمد بن يوسف السلمى - وهو راوى الصحيفة - عن عبد الرزاق . والآخر ل محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، وهو الذى روى عنه مسلم أحاديث الصحيفة .

(١) إن من الظلم مَظْلُ الْعَنِيِّ :

أصل المظل المد ، قال ابن فارس : مطلت الحديد أمطلها مطلا ؛ إذا مددتها لتطول ، وقال الأزهري : المظل : المدافعة ، وفي المحكم : المظل : التسوييف بالعدة والدين

والمراد هنا تأخير ما استحق أدائه بغير عذر ، قال القرطبي : المطل عدم قضاء ما استحق أدائه مع التمكن منه .

والمراد بالغنى هنا من قدر على الأداء فأخره ، ولو كان فقيراً ^(١) .

وإضافة المطل إلى الغنى : من إضافة المصدر إلى الفاعل عند الجمهور ، والمعنى أنه يحرم على الغنى القادر أن يطل بالدين بعد استحقاقه ، بخلاف العاجز .

وقيل : هو من إضافة المصدر للمفعول ، والمعنى : أنه يجب وفاء الدين ولو كان مستحقه غنياً ، ولا يكون سبباً لتأخير حقه عنه ، وإذا كان كذلك في حق الغنى ، فهو في حق الفقير أولى .

قال ابن حجر : ولا يخفى بُعد هذا التأويل ^(٢) ، وقال العيني : وفيه تكلف وتعسف ^(٣) .

(٢) فإذا أتبع أحدكم على مليء :

قال القرطبي : أما أتبع فبضم الهمزة وسكون التاء مبني على ما لم يسم فاعله عند الجميع ^(٤) . ومعناه : إذا أحيل أحدكم وهو الدائن على مليء ^(٥) .

والمليء : مأخوذ من الملاء ، يقال : ملؤ الرجل بضم اللام ، أى صار مليئاً وقال الكرماني : الملي كالغنى لفظاً ومعنى قال ابن حجر : فاقتضى أنه بغير همز ، وليس كذلك ، فقد قال الخطابي : إنه في الأصل بالهمز ، ومن رواه بتركها فقد سهله ^(٦) .

(١) فتح الباري : ٤/٤٦٥ .

(٢) المصدر السابق : ٤/٤٦٥ .

(٣) عمدة القاري : ١٠/١٠٤ .

(٤) فتح الباري : ٤/٤٦٥ .

(٥) شرح السنة : ٨/٢١٠ .

(٦) فتح الباري : ٤/٤٦٥ .

قال القسطلاني : وذكر هذه الجملة عقب ما قبلها يشعر بأن الأمر بقبول الحوالة معلل بكون المطل الغني ظلماً . قال ابن دقيق العيد : ولعل السبب فيه أنه إذا تقرر كونه ظلماً ، والظاهر من حال المسلم الاحتراز عنه ، فيكون ذلك سبباً للأمر بقبول الحوالة عليه ؛ لأن به يحصل المقصود من غير ضرر المطل ، ويحتمل أن يكون ذلك لأن الملتى لا يتعذر استيفاء الحق منه عند الامتناع ، بل يأخذه الحاكم قهراً ويوفيه ، ففي قبول الحوالة عليه يحصل الغرض من غير مفسدة في الحق . قال : والمعنى الأول أرجح لما فيه من بقاء معنى التعليل بكون المطل ظلماً ، وعلى هذا المعنى الثاني تكون العلة عدم وفاء الحق لا الظلم ^(١) .

(٣) فليتبّع : أى فَلْيَحْتَلْ ؛ يقال : أتبعته غريمي على فلان فتبعه ، أى أحلته فاحتال وتبعته الرجل بحقي أتبعه تباعة : إذا طالبته به ، وأنا تبيعه ، ومنه قوله سبحانه وتعالى : (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً) ^(٢) أى تابعاً مطالباً بالثأر ^(٣) .

وفي ضبطها قال الخطائي : إن أكثر المحدثين يقولونه بالتشديد ، والصواب التخفيف ومعناه : إذا أحيل فليحتل ^(٤) .

وقد رواه بهذا اللفظ أحمد ، عن وكيع ، عن سفيان الثوري ، عن أبي الزناد ، وفي رواية ابن ماجة من حديث ابن عمر بلفظ : فإذا أحلت على ملئ فاتبعه ، وهذا بتشديد التاء بلا خلاف ^(٥) .

وجهور العلماء على أن الأمر للندب وقال أهل الظاهر وجماعة من الحنابلة بالوجوب فأوجبوا قبولها على الملتى ، وإليه مال البخاري حيث قال : فليس له رد ، وهو ظاهر الحديث .

(١) إرشاد الساري : ١٤٤/٤ .

(٢) الإسرائ : ٦٩ .

(٣) شرح السنة : ٢١٠/٨ .

(٤) عمدة القاري : ١٠٤/١٠ .

(٥) فتح الباري : ٤٦٥/٤ وقارن بعمدة القاري : ١٠٤/١٠ .

وقال بغوى : قوله « فليتبّع » ليس ذلك على طريق الوجوب ؛ بل على طريق الإباحة ، إن اختار قبل الحوالة ، وإن شاء لم يقبل ، وزعم داود أن صاحب الحق إذا أحيل على ملئ يجب عليه أن يقبل ، فإن أبى يكره عليه ^(١) .

وأما من قال بصرف الحديث عن ظاهره ، وأن الأمر للندب فحجته أن ذلك راجع إلى مصلحة دينوية ، فيكون أمر إرشاد . أشار إليه ابن دقيق العيد بقوله : « لما فيه من الإحسان إلى المحيل بتحصيل مقصوده من تحويل الحق عنه ، وترك تكليفه التحصيل بالطلبية » ^(٢) .

لكن قد يعترض على ذلك بأن الإحسان قد يكون واجبا كإنظار المعسر ، والمصلحة الدنيوية إنما هي في جانب المحيل ، أما قبول المحتال الحوالة فلا أمر أخرى . وقيل الصارف كونه أمرا بعد حظر ، وهو بيع الكالئ بالكالئ ، فيكون للإباحة أو الندب على المرجح في الأصول ^(٣) .

وإذا قبل المحتال الحوالة تحول الدين من المحيل إلى ذمة المحال عليه ، ولا رجوع للمحتال على المحيل من غير عذر ، فإن أفلس المحال عليه أو مات ولم يترك وفاء اختلف أهل العلم فيه ، فذهب قوم إلى أنه لا رجوع له على المحيل بحال ، وهو قول عليّ ، وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو عبيد وأبو ثور . وقال إسحاق : إلا أن يراه المحتال حالة قبول الحوالة مليئا ، فبان معسرا رجع على المحيل ^(٤) .

واحتج هؤلاء بقوله - ﷺ : « إذا اتبع أحدكم على ملئ » والحوالة تصح على غير الملىء ، ففائدة ذكر الملاءة في الحديث سقوط سبيل المحتال على المحيل بعد ما قبل الحوالة

(١) شرح السنة : ٢١٠/٨ .

(٢) إرشاد السارى : ١٤٥/٤ .

(٣) المصدر السابق : ١٤٥/٤ .

(٤) شرح السنة : ٢١٠/٨ .

على من هو ملئ ، ولا ينظر إلى حدوث الفلس من بعد ؛ لأن الدين قد تحول من ذمة المحيل إلى ذمة المحال عليه ، وسميت بالحوالة لهذا (١) .

وذهب قوم إلى أنه يرجع على المحيل إذا أفلس المحال عليه ، أو مات ولم يترك وفاء ، وهو قول أصحاب الرأى ، واحتجوا بأن النبي - ﷺ - إنما أمره بأن يتبع المحال عليه إذا كان مليئاً ، فثبت أنه إذا لم يكن مليئاً يرجع على المحيل .

قال البغوى : والأول أولى ؛ لأنه إنما اشترط الملاءة وقت الحوالة لا فيما بعدها (٢) .

وقيل : إن أفلس في حياته لا يرجع على المحيل ؛ لأن المعسر قد يوسر ، وإذا مات ولم يترك وفاء يرجع (٣) .

أما المحال عليه فإن كان عليه دين للمحيل لم يعتبر رضاه على الأصح ، وإن لم يكن مديناً لم يصح بغير رضاه قطعاً (٤) .

ما يستفاد من الحديث :

١ - ويستفاد من الحديث فوق ما تقدم الزجر عن المطل ، واختلف : هل يعد فعله كبيرة أو لا ؟ فالجمهور على أن فاعله يفسق ويرتكب كبيرة ، لكن هل يثبت فسقه بمطله مرة واحدة أو لا ؟

قال النووى مقتضى مذهبنا التكرار ، ورده السبكى في « شرح المنهاج » بأن مقتضى مذهب الشافعية عدمه ، واستدل بأن منع الحق بعد طلبه وابتغاء العذر عن أدائه كالغضب ، والغضب كبيرة وتسميته ظلماً يشعر بكونه كبيرة ، والكبيرة لا يشترط فيها التكرار ، نعم لا يحكم عليه بذلك إلا بعد أن يظهر عدم عذره (٥) .

(١) المصدر السابق : ٢١٠/٨ - ٢١١ .

(٢) المصدر السابق : ٢١١/٨ .

(٣) المصدر السابق : ٢١٠/٨ .

(٤) عمدة القارى : ١٠٥/١٠ .

(٥) المصدر السابق : ١٠٤/١٠ - ١٠٥ .

والذى يشعر به الحديث التوقف على الطلب لأن المطل يشعر به ، ولا يفسق بالتأخير مع القدرة قبل الطلب . وقال بعضهم يفسق .

ويدخل فى المطل كل من لزمه حق كالزوج لزوجته والسيد لعبده والحاكم لرعيته وبالعكس (١) .

٢ - واستدل به على أن العاجز عن الأداء لا يدخل فى الظلم ، وهو بطريق المفهوم ؛ لأن تعليق الحكم بصفة من صفات الذات يدل على نفى الحكم عن الذات عند انتفاء تلك الصفة ، ومن لم يقل بالمفهوم أجاب بأن العاجز لا يسمى ماطلا .

٣ - واستدل به على أن الغنى الذى ماله غائب لا يدخل فى الظلم ، وهل هو مخصوص من عموم الغنى أو ليس هو فى الحكم بغيره ؟ الأظهر الثانى ؛ لأنه فى تلك الحالة يجوز إعطاؤه من سهم الفقراء من الزكاة ، فلو كان فى الحكم غنيا لم يجوز ذلك (٢) .

٤ - واستنبط منه أن المعسر لا يجبس ، ولا يطالب حتى يوسر . قال الشافعى : لو جازت مؤاخذته لكان ظالما ، والفرض أنه ليس بظالم لعجزه (٣) .

٥ - وفى الحديث ملازمة الماطل وإلزامه يدفع الدين والتوصل إليه بكل طريق ، وأخذه منه قهرا (٤) .

٦ - فيه الإرشاد إلى ترك الأسباب القاطعة لاجتماع القلوب ؛ لأنه زجر عن الماطلة وهو تؤدى إلى ذلك (٥) .

(١) فتح البارى : ٤٦٦/٤ .

(٢) المصدر السابق : ٤٦٦/٤ .

(٣) المصدر السابق : ٤٦٦/٤ .

(٤) عمدة القارى : ١٠/١٠٥ .

(٥) فتح البارى : ٤٦٦/٤ .

٦٤ - وقال رسول الله - ﷺ : أَغْيِظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(١) وَأَخْبِئُهُ وَأَغْيِظُهُ عَلَيْهِ رَجُلٌ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلاكِ ^(٢) ، لا مَلِكَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ^(٣) .

• رواه أحمد (٦٨/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (٦٥/٨١٦١) .
ورواه مسلم في (١٦٨٨/٣) (٣٨) كتاب الآداب - (٤) باب تحريم التسمي بملك الأملاك ، وملك الملوك بسنده للصحيفة (رقم ٢١٤٣/٢١) .
وروى قبله من طريق سفيان بن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « إن أُنْعِمَ اسْمٌ عند الله رَجُلٌ تسمى ملك الأملاك . وفي رواية « لا مالك إلا الله عز وجل » .
قال سفيان : مثل : « شاهان شاه » . وقال أحمد بن حنبل : سألت أبا عمرو عن « أُنْعِمَ » فقال : أَوْضَعُ . (٢١٤٣/٢٠) .

وروى البخاري في (١١٩/٧) (٧٨) كتاب الأدب (١١٤) باب أبغض الأسماء إلى الله عز وجل - من طريق شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة . نحو حديث مسلم من طريق سفيان .
ورواه البغوي الفراء (٣٣٧/١٢) في باب ما يكره من الأسماء بسنده للصحيفة وقال : هذا حديث صحيح . (رقم ٣٣٧٠) .

(١) أَغْيِظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : التقييد بيوم القيامة مع أن حكمه في الدنيا كذلك للإشعار بترتب ما هو مسبب عنه من إنزال الهوان وحلول العقاب ^(١) .
ويؤيد هذه الرواية ما أخرجه الطبراني : « اشتد غضب الله على من زعم أنه ملك الأملاك ^(٢) » .

وقال ابن أبي جهمرة ^(٣) : الحكمة في قوله (يوم القيامة) أنه يوم تظهر فيه الأمور

(١) إرشاد الساري : ١١٧/٩ .

(٢) فتح الباري : ٥٨٩/١٠ .

(٣) بهجة النفوس : ١٨٥/٤ .

على ما هي عليه حقيقة ، ليس فيها زغل ولا عناد ولا تجاوز ولا مجاز إلا حقائق ظاهرة ، وهذه الدار فيها التلوينات والاختلاطات ، وقد يكون ظاهر الأمر يوافق باطنه والضد ... و (هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت) ^(١) .

(٢) رجل كان يسمى ملك الأملاك : أى سَمَّى نفسه بذلك ، أو سُمِّي بذلك فرضى به واستمر عليه ، لأن هذا من صفات الحق جل جلاله ، وذلك لا يليق بمخلوق ، والعباد إنما يوصفون بالذل والخضوع والعبودية ^(٢) .

فهو قد تشبه باسم من (ليس كمثله شيء) لأن هذا الاسم لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى ^(٣) .

(٣) لا ملك إلا الله عز وجل : هذا استئناف لبيان تعليل تحريم التسمية بهذا الاسم ؛ فنفى جنس الملوك بالكلية ، لأن الملك الحقيقي ليس إلا هو ، ومالكية الغير أو ملكيته عارية مُسْتَرَدَّة إلى ملك الملوك ، والكل محكوم به جل وعلا . فمن تسمى بهذا الاسم نازع الله عز وجل في رداء كبريائه ، واستنكف أن يكون عبداً لله ، فيكون له الخزي والنكال ^(٤) .

واستدل بهذا الحديث - كما سبق - على تحريم التسمية بهذا الاسم لورود الوعيد الشديد .

ويلتحق به في التحريم ما في معناه ؛ مثل « خالق الخلق » ، و « أحكم الحاكمين » و « سلطان السلاطين » ، و « أمير الأمراء » .
وقيل يلتحق به أيضاً من تسمى بشيء من أسماء الله الخاصة به كالرحمن والقدوس والجبار ^(٥) .

(١) يونس : ٣٠ .

(٢) إرشاد السارى : ١١٧/٩ .

(٣) بهجة النفوس : ١٨٥/٤ .

(٤) إرشاد السارى : ١١٧/٩ - ١١٨ .

(٥) فتح البارى : ٥٩٠/١٠ .

وقال الشيخ أبو محمد بن أبي حمزة : يلتحق بملك الأملاك « قاضى القضاة » وإن كان اشتهر فى بلاد الشرق من قديم الزمان إطلاق ذلك على كبير القضاة ، وقد سلم أهل المغرب من ذلك ؛ فاسم كبير القضاة عندهم : « قاضى الجماعة » (١) .

وقال العيني : يمتنع أن يقال « أقضى القضاة » ؛ لأن معناه أحكم الحاكمين ، والله سبحانه هو أحكم الحاكمين ، وهذا أبلغ من « قاضى القضاة » ؛ لأنه أفعل التفضيل ، ومن جهلاء هذا الزمان من مسطرى سجلات القضاة يكتبون للنائب « أقضى القضاة » ، وللقاضى الكبير « قاضى القضاة » (٢) .

وكذلك قال الزمخشري فى كشافه عند قوله تعالى (أحكم الحاكمين) بالمنع من أن يلقب بأقضى القضاة (٣) .

ولكن بعض العلماء لا يرى بأساً من هذا وذاك ، فهناك من تسمى بقاضى القضاة كأبى يوسف من أصحاب أبى حنيفة رضى الله عنهما ، وفى زمنه كان أساطين الفقهاء والعلماء والمحدثين ، فلم ينقل عن أحد منهم إنكار ذلك (٤) .

وفى الحديث « أقضاكم على » ويستفاد منه ألا حرج على من أطلق على قاضى يكون أعدل القضاة أو أعلمهم فى زمانه أقضى القضاة ، أو يريد إقليمه وبلده (٥) . وكان الماوردى يلقب بأقضى القضاة ، مع منعه من تلقيب الملك الذى كان فى زمانه بملك الملوك (٦) ، يقول ابن حجر : وكأن وجه التفرقة بينهما الوقوف مع الخبر ، وظهور إرادة العهد الزمانى فى القضاة (٧) .

(١) المصدر السابق : ٥٩٠/١٠ - ٥٩١ .

(٢) عمدة القارى : ٢٦٨/١٨ .

(٣) إرشاد السارى : ١١٨/٩ .

(٤) عمدة القارى : ٢٦٨/١٨ .

(٥) فتح البارى : ٥٩٠/١٠ .

(٦) إرشاد السارى : ١١٨/١ .

(٧) فتح البارى : ٥٩٠/١٠ .

ويدل تمثيل سفيان السابق في رواية مسلم وكذلك عند البخارى « شاهانشاه » إلى التنبيه على أن الاسم الذى ورد الخبر بزمه لا ينحصر فى ملك الأملاك ، بل كل ما أدى إلى معناه بأى لسان كان ، فهو مراد بالذم ^(١) ؛ إذ هو فى اللغة الأعجمية (الفارسية) ومعناه « ملك الملوك » .

وفى الحديث مشروعية الأدب فى كل شىء ، لأن الزجر عن ملك الأملاك والوعيد عليه يقتضى المنع منه مطلقاً ؛ سواء أراد من تسمى بذلك أنه ملك على ملوك الأرض أو على بعضها ، سواء كان محققاً أو مبطلاً ، مع أنه لا يخفى الفرق بين من قصد ذلك وكان فيه صادقاً ، ومن قصده وكان فيه كاذباً ^(٢) .

وفيه إرشاد إلى علم السنة ، وإيثاره على غيره ؛ لأن هذا وأمثاله ، وهى مواضع عديدة لا تعلم إلا من طريق علم السنة والاهتمام به ، وقد غفل عن ذلك كثير من الناس ، وأوقعهم ذلك فى المهالك وهم لا يعلمون ، ويكون حالهم كما أخبر تعالى فى كتابه (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) ^(٣) فمنهم من جهله جملة واحدة ، ومنهم من اشتغل به لأثرة غيره عليه ، ويجعل ذلك نبلاً وكيساً ، وهو غىٌ وحرمان ، أعاذنا الله من ذلك بمنه ^(٤) .

(١) إرشاد السارى : ١١٨/٩ .

(٢) فتح البارى : ٥٩١/١٠ .

(٣) الكهف : ١٠٤ .

(٤) بهجة النفوس : ١٨٧/٤ .

٦٥ - وقال رسول الله - ﷺ : بينا رجل ^(١) يَتَبَخَّرُ في بُرْدَيْنِ ^(٢) ، وقد أَعْجَبَتْهُ نفسه - حُسِيفَ به الأرضُ ، فهو يَتَجَلَّجَلُ فيها إلى يومِ القيامةِ

● رواه أحمد (٦٨/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٦٦/٨١٦٢) .

وفيه « حتى يوم القيامة » ويقول الأستاذ أحمد شاكر : هذا هو الثابت في نسخ المسند وجامع المسانيد ، وهو الذى نقله الحافظ ابن حجر في الفتح (١) (٢٢٢/١٠) عن رواية همام عن أنى هريرة عن أحمد ، ووقع من الصحيفة المفردة : « إلى يوم القيامة » . وأخشى أن يكون تغييرا من ناسخ أو طابع « (٦٩/١٦) .

وربما كان الأمر غير ذلك ، وخاصة بالنسبة للطبع ؛ لأن رواية البغوى لهذا الحديث توافق رواية الصحيفة ، ومعلوم أنه يلتقى مع رواية الصحيفة هنا في اثنين من الرواة قبل عبد الرزاق كما سبق أن ذكرنا . وكذلك رواية مسلم التى أحال عليها رواية الصحيفة .

ورواه مسلم في (١٦٥٤/٣) (٣٧) كتاب اللباس والزينة - (١٠) باب تحريم التبخر في المشى مع إعجابه بثيابه - بسنده لصحيفة همام ، وذلك لإحالة على ما رواه قبله من طريق أنى الزناد عن الأعرج ، عن أنى هريرة . (رقم ٢٠٨٨/٥٠) .

كما روى من طريق الربيع (بن مسلم) وشعبة عن محمد بن زياد عن أنى هريرة ، عن النبى - ﷺ قال : بينا رجل يمشى قد أَعْجَبَتْهُ جُمُتُهُ وبرداه إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة » (٢٠٨٨/٤٩) .

كما روى من طريق حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنى رافع ، عن أنى هريرة قال : سمعت رسول الله - ﷺ يقول : « إن رجلا من كان قبلكم يتبختر في حلة » فذكر مثل حديث الصحيفة .

وروى البخارى نحوه في (٣٤/٧ - ٣٥) (٧٧) كتاب اللباس - (٥) من جَرَّ ثوبه من الخيلاء من طريق شعبة عن محمد بن زياد عن أنى هريرة . (رقم ٥٧٨٩) .

كما روى في الموضع نفسه من طريق الليث عن عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله (بن عمر) عن أبيه نحوه . (رقم ٥٧٩٠) .

كما روى هذا في (١٥٢/٤ - ١٥٣) (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء - باب رقم (٥٤) - من طريق يونس عن الزهرى عن سالم به ، ثم قال : تابعه عبد الرحمن بن خالد (بن مسافر) عن الزهرى . (رقم ٣٤٨٥) .

ورواه البغوى (٣٢٠/١٢ - ٣٢١) في باب صفة المشى وكراهية التبخر - بسنده للصحيفة وقال : هذا حديث متفق على صحته أخرجه من طرق عن أنى هريرة ، وأخرجه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق . وقد تبين لنا كل ذلك .

(١) بينا رجل : وقد زاد مسلم عن أبي رافع - كما تقدم - « ممن كان قبلكم » ، وقد أخرجه أحمد من حديث أبي سعيد وأبي يعلى من حديث أنس وفي روايتهما أيضاً « ممن كان قبلكم » .

ولهذا ذهب بعض العلماء أن هذا الرجل من الأمم السابقة كالبخارى الذى أخرجه فى أحاديث بنى إسرائيل كما تقدم ، وكانوى الذى جزم بذلك .
وبعضهم سماه فقال : إنه قارون . وجزم بذلك الكلاباذى ، وكذلك ذكر الجوهري فى الصحاح .

وكان مستندهم فى ذلك ما أخرجه الحارث بن أبى أسامة من حديث أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه وابن عباس رضى الله تعالى عنهما بسند ضعيف جداً قالوا : خطبنا رسول الله - ﷺ : فذكر حديثاً طويلاً ، وفيه : « ومن لبس ثوباً فاختال فيه خسف به من شفير جهنم فيتجلجل فيها ؛ لأن قارون لبس حلة فاختال فيها فخسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة . وذكر الطبرانى فى التاريخ من طريق سعيد بن أبى عروة ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنه يخسف بقارون كل يوم قامة ، وأن يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة .

وهناك من الأحاديث ما يدل على أن هذا حدث على عهد الرسول - ﷺ فقد أخرج أبو يعلى من طريق كريب قال : « كنت أقود ابن عباس فقال : حدثنى العباس قال : بينا أنا مع رسول الله - ﷺ إذ أقبل رجل يتبختر بين ثوبين » الحديث فهو ظاهر فى أنه وقع زمن الرسول - ﷺ .

ولكنّ سنده ضعيف ، والأول صحيح ؛ لأنه يرتكز على حديث صحيح عند مسلم - كما رأينا .

وعلى افتراض صحته فإنه يحمل على تعدد الواقعة ، أو أن معنى « ممن كان قبلكم » من كان قبل المخاطبين بذلك كأبى هريرة ، وقد يؤيد هذا الأخير ما أخرجه أبو بكر بن أبى شيبة وأبو يعلى ، وأصله عند أحمد ومسلم أن رجلاً من قريش أتى أبا هريرة فى

حلة يتبختر فيها ، فقال : يا أبا هريرة ؛ إنك تكثر الحديث ، فهل سمعته يقول في حلتى هذه شيئا ؟ فقال : والله إنكم لتؤذوننا ، ولولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ما حدثتكم بشيء سمعت ... » فذكر الحديث وقال في آخره : « فوالله ما أدري لعله كان من قومك » ^(١) .

(٢) يتبختر في بردين : أى يمشى مشية المتكبر المعجب بنفسه في إزار ورداء ^(٢) .

(٣) وقد أعجبته نفسه : قال القرطبي : إعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله ، فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر المذموم ^(٣) .

(٤) خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة : التجلجل بجيمين التحرك ، وقيل : الجلجلة : الحركة مع صوت وقال ابن دريد : كل شيء خلطت بعضه ببعض فقد جلجلته ، وقال ابن فارس : التجلجل : أن يسوخ في الأرض مع اضطراب شديد ، ويندفع من شق إلى شق ، فالمعنى يتجلجل في الأرض أى ينزل فيها مضطربا متدافعا ^(٤) .

وقال ابن الأثير : يغوص في الأرض حين يخسف به ^(٥) .

وحكى عياض أنه روى « يتجلجل » بجيم واحدة ولام ثقيلة وهو بمعنى يتغطى أى تغطيه الأرض . وحكى عن بعض الروايات أيضا « يتخلخل » واستبعدوا إلا أن يكون من قولهم (خلخلت العظم) إذا أخذت ما عليه من اللحم . وجاء في غير الصحيحين (يتحلحل) .

(١) فتح البارى : ٢٦٠/١٠ .

(٢) النهاية في غريب الحديث : ١٠١/١ .

(٣) إرشاد السارى : ٤١٩/٨ .

(٤) فتح البارى : ٢٦١/١٠ .

(٥) النهاية في غريب الحديث : ٢٨٤/١ .

قال ابن حجر : والكل تصحيف إلا الأول ؛ أى « يتجلجل » ^(١) .

ويؤخذ من الحديث أن البطر والتبختر مذموم « والذى يجتمع عليه الأدلة أن من قصد بالملبوس الحسن إظهار نعمة الله عليه مستحضرا لها شاكرا عليها ، غير محتقر لمن ليس له مثله لا يضره ما لبس من المباحات ولو كان فى غاية النفاسة » ^(٢) .

★ ★ ★

(١) فتح البارى : ٢٦١/١٠ .

(٢) المصدر السابق : ٢٥٩/١٠ .

٦٦ - وقال رسول الله - ﷺ : قال الله عز وجل : أنا عند ظنِّ

عبدى بى .

* * *

• رواه أحمد (٦٩/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٦٧/٨١٦٣) .

ورواه البخارى فى (١٩٩/٨) (٩٧) كتاب التوحيد - (٣٥) باب (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ، عن أبى
اليمان عن شعيب عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة متابعا له . (رقم ٧٥٠٥) .

ورواه جزءاً من حديث فى (١٧١/٨) الكتاب نفسه (١٥) باب قول الله تعالى : (ويحذركم الله نفسه) من
طريق الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى - ﷺ يقول الله تعالى : « أنا
عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن
ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خيرٍ منهم ، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب
إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتانى يمشى أتيتته هرولة . (رقم ٧٤٠٥) .

وروى مسلم فى (٢٠٦٧/٤ - ٢٠٦٨) (٤٨) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٦) باب فضل
الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى . من طريق وكيع ، عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبى هريرة وفيه زيادة :
« وأنا معه إذا دعانى » (رقم ٢٦٧٥/١٩) .

كما روى حديث الأعمش السابق عند البخارى (رقم ٢٦٧٥/٢١) .

ورواه البغوى (٢٠/٥) باب التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالنوافل والذكر - بسنده للصحيفة ، ومعه حديث
آخر فى الصحيفة ؛ ولفظه : « إن الله تبارك وتعالى قال : أنا عند ظن عبدى بى ، إذا تلقانى
عبدى بشبر تلقيتته بذراع ، وإذا تلقانى بذراع تلقيتته بباع ، وإذا تلقانى بباع ، جئتته أو قال :
أتيتته بأسرع » ثم قال : هذا حديث متفق على صحته وأخرجاه من طرق عن أبى هريرة (رضى الله تعالى عنه) .

* * *

أنا عند ظن عبدى بى : فإن ظن أبى أعفو عنه وأغفر فله ذلك ، وإن ظن أبى
أعاقبه أو آخذه فكذلك ؛ فينبغى للمرء أن يجتهد بقيام وظائف العبادات موقناً بأن الله
عز وجل يقبله ويغفر له ؛ لأنه وعده بذلك ، وهو لا يخلف الميعاد ، فإن اعتقد أو ظن

خلاف ذلك فهو آيس من رحمة الله ، وهو من الكبائر ، ومن مات على ذلك وُكِّل إلى ظنه (١) .

وقال القرطبي في المفهم : قيل معنى ظن عبدى لى : ظن الإجابة عند الدعاء ، وظن القبول عند التوبة ، وظن المغفرة عند الاستغفار ، وظن المجازاة عند فعل العباداة بشروطها تمسكاً بصادق وعده ، قال : ويؤيده قوله (ﷺ) في الحديث الآخر : « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة » قال : ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقناً بأن الله عز وجل يقبله ويغفر له ؛ لأنه وعد بذلك ، وهو لا يخلف الميعاد ؛ فإن اعتقد أو ظن أن الله تعالى لا يقبلها ، وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله ، وهو من الكبائر (٢) .

وأما ظن المغفرة مع الإصرار على المعصية فذلك محض الجهل والغرّة (٣) ، وهو يجر إلى مذهب المرجئه (٤) .

وقال ابن أبي جمرة : ظاهر الحديث يدل على أن الله عز وجل مع عبده على قدر ظنه ، والظاهر أنه عام في كل العبيد ؛ لأن الكل عبيد لله عز وجل ، وقد يكون الظن هنا على بابه أو هو بمعنى العلم به جل جلاله ، وينصرف إلى أمور الآخرة ، وما فيها من رحمته عز وجل وعقابه وما في معناه ، أو إلى أمور هذه الدار ، وما أجرى عز وجل فيها من خيراته وإحسانه لعبيده ، وما فيها أيضاً من نقمه وابتلائه ، أو راجع إلى ما كلف سبحانه عباده من طاعته وأتباع رسله - صلوات الله عليهم ، وما وعدتهم به الرسل عنه تعالى وما بشرتهم به من الشفاء من الآلام والأمور المخوفة بأيسر الأشياء ، مثل الإرشاد إلى الثقة به عز وجل والتوكل عليه ، وكيف حال من فعل ذلك وصدقه والعامل عليه وما في معناه (٥) .

(١) إرشاد السارى : ٣٨١/١٠ .

(٢) فتح البارى : ٣٨٦/١٣ .

(٣) إرشاد السارى : ٣٨١/١٠ .

(٤) فتح البارى : ٣٨٦/١٣ .

(٥) بهجة النفوس : ٢٨٥/٤ .

وهذا الحديث من جوامع الكلم ، فهو عبارة واحدة جاءت جامعة لمعانى السنة كلها ، أعنى فى الاعتقاد فيما يقع له فى كل عمل ، فما من عمل إلا والنية منسحبة عليه ؛ كانت النية حسنة أو رديئة ، فالله سبحانه وتعالى يجازيه بحسب نيته فى عمله ، وذلك هو الظاهر المراد فى الحديث .

ويدل الحديث على عظمة الله تعالى وعظم قدرته ، وعلى جلال صفاته ، يؤخذ ذلك من قوله عز وجل : « أنا عند ظن عبدي بى » فإنه سبحانه وتعالى مع جميع العبيد على كثرتهم ، أى مع كل واحد منفرداً بحسب ظنه به فى الزمن الفرد ، وهذا جار على ممر الدهور والأيام ، وكذلك الأنفاس ؛ لأن قلب ابن آدم أشد تقلباً من القدر إذا غلت ، فكل تقلب من تقلبات قلوب الجميع هو عز وجل معهم على ما يكونون عليه ، هذا يدل على أنه تعالى (ليس كمثله شئ) ^(١) ، ولا يدرك بالعقل ولا يحد بالأذهان ، ولا يخطر بالآوهام موجود حقاً (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) ^(٢) .

وفى الحديث إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف ؛ فإن العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلى ظن إيقاع الوعيد ، وهو جانب الخوف ؛ لأنه لا يختاره لنفسه ؛ بل يعدل إلى ظن وقوع الوعد ، وهو جانب الرجاء ^(٣) .

هذا وقد قال بعض العلماء : إن هذا الحديث ليس المراد به العموم وظن العبد بربه فى كل وقت ، ولكن المراد : عند الاحتضار ، ويؤيد ذلك حديث : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » ، وهو عند مسلم من حديث جابر رضى الله عنه ^(٤) .

لكن نقول إنه لا مانع إطلاقاً من أن يكون ذلك فى كل وقت مع امتداد معاملة العبد مع ربه فى كل مراحل حياته ، ومنها نهايتها - كما هو واضح جلى من شروح العلماء السابقة .

(١) الشورى : ١١ .

(٢) بهجة النفوس : ٢٨٧/٤ - ٢٨٨ .

(٣) فتح البارى : ٣٨٥/١٣ .

(٤) المصدر السابق : ٣٨٥/١٣ - ٣٨٦ .

وفي القرآن الكريم ما يدل على معنى ونتائج هذا الحديث من مثل قوله عز وجل :
 (وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه) ^(١) و (الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء) ^(٢)
 و (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربك أرداكم ؛ فأصبحتم من الخاسرين) ^(٣) والله تعالى
 أجل وأعلم .

★ ★ ★

(١) التوبة : ١١٨ .

(٢) فتح : ٦ .

(٣) فصلت : ٢٣ .

٦٧ - وقال رسول الله - ﷺ : مَنْ يُولَدُ يُولَدُ عَلَى هَذِهِ الْفِطْرَةِ ^(١) .
فأبواه يهودانه وينصرانه ^(٢) ، كما تُنْتَجَنُ الْبَيْهَمَةُ ^(٣) ، هل تجدون فيها من
جدعاء ^(٤) ، حتى تكونوا أنتم تَجْدَعُونَهَا ^(٥) ؟

قالوا : يا رسول الله ؛ أفرأيت من يموت وهو صغير ؟

قال : الله أعلم بما كانوا عاملين .

● رواه أحمد (٦٩/١٦ - ٧٠) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٦٨/٨١٦٤) .

ورواه البخارى فى (٢١١/٧) (٨٢) كتاب القدر - (٣) باب « الله أعلم بما كانوا عاملين » عن إسحاق
(بن نصر) عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ما من مولود
إلا يولد على الفطرة ... الحديث .

وروى جزءاً منه فى (٩٧/٢ - ٩٨) (٢٣) كتاب الجنائز - (٧٩) باب إذا أسلم الصبى فمات ، هل يصلى
عليه ؟ - من طريق يونس ، عن الزهرى ، عن أنى سلمة بن عبد الرحمن أن أباً هريرة رضى الله عنه قال نحوه إلى قوله : هل
تحسون فيها من جدعاء . وفيه : ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه : (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله
ذلك الدين القيم) (رقم ١٣٥٩) .

وفى الموضع نفسه (٩٧/٢) من طريق شعيب قال ابن شهاب : يصلى على كل مولود متوفى وإن كان لغيره ؛
من أجل أنه ولد على فطرة الإسلام يدعى أبواه الإسلام ، أو أبوه خاصة ، وإن كانت أمه على غير الإسلام إذا استهل
صار خاً صلى عليه ، ولا يصلى على من لا يستهل من أجل أنه سقَط ، فإن أباً هريرة - رضى الله عنه - كان يحدث قال
النبي ﷺ : ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كما تُنْتَجَنُ الْبَيْهَمَةُ
بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول أبو هريرة - رضى الله عنه - : فطرة الله التى فطر الناس عليها)
الآية .

وفى الكتاب نفسه فى (١٠٤/٢) (٩٢) باب ما قيل فى أولاد المشركين - من طريق ابن أبى ذئب ، عن
الزهرى ، عن أنى سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة رضى الله عنه نحوه فى جزئه الأول .

وكذلك فى (٢٠/٦) (٣٠/٦٥) كتاب التفسير - باب لا تبديل لخلق الله - من طريق يونس ، عن الزهرى
كحديثه الثانى .

ورواه مسلم في (٢٠٤٨/٤) (٤٦) كتاب القدر - (٦) باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين - بسنده للصحيفة - وفيه « كما تنتجون الإبل » . (رقم ٢٦٥٨/٢٤) .

كما روى نحوه من طرق عن الزهري عن سعيد بن المسيب (٢٦٥٨/٢٢) .

وعن الزهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ...

وعن الأعمش ، عن أبي صالح ... (٢٦٥٨/٢٣) .

- جميعا عن أبي هريرة . وفي بعض هذه الروايات : « على الجلالة حتى يُبين عنه لسانه .

وعن العلاء ، عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ قال : كل إنسان تلده أمه على الفطرة ، وأبواه بعدُ يهودانه ، وينصرانه ، ويمجسانه ، فإن كانا مسلمين فمسلم ، كل إنسان تلده أمه يلكره الشيطان في حضنيه إلا مريم وابنها .

ورواه البغوي (١٥٤/١) في باب أطفال المشركين - بسنده للصحيفة ثم قال : هذا حديث متفق على صحته أخرجه محمد بن إسحاق ، وأخرجه مسلم عن محمد بن رافع ، كلاهما عن عبد الرزاق . (رقم ٨٤) .

كما رواه من طريق مالك عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة لإحالة على حديث همام . (١٥٤/١ - ١٥٥ - نفس الرقم) .

قال الأستاذ أحمد شاكر مقارنا بين روايات هذا الحديث : « قوله : ما من مولود يولد إلا هذه الفطرة » . في رواية البخاري من طريق الصحيفة : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، ورواية الصحيفة المفردة : « من يولد يولد على هذه الفطرة » وهي موافقة لرواية مسلم من طريق الصحيفة » (٧٠/١٦) .

ونقول : إن رواية البغوي توافق تماماً رواية الصحيفة كذلك .

(١) من يولد يولد على هذه الفطرة : ظاهره تعميم الوصف المذكور في جميع المولودين وأصرح منه رواية : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، ولمسلم من طريق أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ « ليس من مولود إلا على هذه الفطرة حتى يعبر عنه لسانه » وفي رواية له من هذا الوجه : « ما من مولود إلا وهو على الملة » وكلها بالقصر - كما نرى .

وحكى ابن عبد البر عن قوم أنه لا يقتضى العموم ، وإنما المراد أن كل من ولد على الفطرة وكان له أبوان على غير الإسلام نقلاه إلى دينهما ، فتقدير الخبر على هذا : من يولد يولد على الفطرة وأبواه يهوديان مثلاً فإنهما يهودانه ، ثم يصير عند بلوغه إلى ما يحكم به عليه .

ولكن هناك روايات تصرح بالعموم ، منها رواية جعفر بن ربيعة بلفظ « كل بنى آدم يولد على الفطرة » ^(١) .

وقد اختلف العلماء في المراد بالفطرة :

١ - فقال بعض العلماء : الفطرة ها هنا الإسلام ، قالوا : « وهو المعروف عند عامة السلف ، وأهل التأويل قد أجمعوا في تأويل قول الله - عز وجل - : (فطرة الله التي فطر الناس عليها) ^(٢) قالوا : فطرة الله دين الإسلام .

واحتجوا بحديث محمد بن إسحاق ، عن ثور بن يزيد ، عن يحيى بن جابر ، عن عبد الرحمن بن عابد الأزدي ، عن عياض بن حماد المجاشعي أن رسول الله - ﷺ قال للناس يوماً : ألا أحدثكم بما حدثني الله (عز وجل) في الكتاب ؛ إن الله خلق آدم وبنيه حنفاء مسلمين . وأعطاهم المال حلالاً لا حرام فيه ، فجعلوا ما أعطاهم الله حراماً وحلالاً . وكذلك روى بكر بن مهاجر عن ثور بن يزيد بإسناده مثله في هذا الحديث : « حنفاء مسلمين » ^(٣) .

قال ابن عبد البر والحنيف في كلام العرب : المستقيم المخلص ، ولا استقامة أكثر من الإسلام ^(٤) .

(١) فتح الباري : ٢٤٨/٣ .

(٢) الروم : ٣٠ .

(٣) نقل ابن القيم عن ابن عبد البر : « روى هذا الحديث قتادة عن مطرف بن عبد الله عن عياض ، ولم يسمعه قتادة من مطرف ، ولكن قال : حدثني ثلاثة : عقبة بن عبد الغافر ، ويزيد بن عبد الله بن الشخير ، والعلاء بن زياد ؛ كلهم يقول : حدثني مطرف ، عن عياض عن النبي - ﷺ ، فقال فيه : « وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم » لم يقل : « مسلمين » وكذلك رواه الحسن عن مطرف ، ورواه ابن إسحاق عن لا يتهم ، عن قتادة بإسناده ، قال فيه : « وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم » ، ولم يقل : « مسلمين » قال (ابن عبد البر) : فدل هذا على حفظ محمد بن إسحاق وإتقانه وضبطه ؛ لأنه ذكر « مسلمين » في روايته عن ثور بن يزيد لهذا الحديث ، وأسقطه من رواية قتادة ، وقصر فيه عن قوله : « مسلمين » وزاده ثور بإسناده . والله أعلم » (شفاء العليل ص ٥٩٧ - ٥٩٨) .

(٤) شفاء العليل ، ص : ٥٩٧ - ٥٩٨ وانظر أدلة أكثر فيه .

وقد سبق في رواية الزهري قوله في الصلاة على المولود : « من أجل أنه ولد على فطرة الإسلام » (١) .

قال ابن القيم : وما ينبغي أن يعلم أنه إذا قيل : إنه ولد على الفطرة أو على الإسلام أو على هذه الملة ، أو خلق حنيفاً ، فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده ، فإن الله - (عز وجل) - يقول : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً) (٢) ولكن فطرته موجبة مقتضية لدين الإسلام لقربه ، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبه وإخلاص الدين له ، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئاً بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض .

وليس المراد أيضاً مجرد قبول الفطرة لذلك ، ولكن المراد أن كل مولود يولد على محبته لفاطره ، وإقراره له بربوبيته ، وادعائه له بالعبودية ، فلو خُلِّيَ وَعَدِمَ المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية والأشربة ، فيشتهي اللبن الذي يناسبه ويغذيه ، وهذا من قوله تعالى : (ربُّنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) (٣) وقوله - جل شأنه - : (الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى) (٤) ... ولهذا شبهت الفطرة باللبن ، بل كانت إياه في التأويل للرؤيا . ولما عُرض على النبي - ﷺ ليلة الإسراء اللبن والخمر أخذ اللبن فقبل له : أخذت الفطرة ، ولو أخذت الخمر لَقَوَّتْ أمتك ؛ فمناسبة اللبن لبدنه وصلاحه عليه دون غيره لمناسبة الفطرة لقلبه وصلاحه بها دون غيرها (٥) .

وتعقب بعضهم هذا الرأي بأنه كان يلزم ألا يصح استرقاق ابن الكافر ، ولا يحكم بإسلامه إذا أسلم أحد أبويه .

(١) انظر التخریج ، ص : ٢٥٩ .

(٢) النحل : ٧٨ .

(٣) طه : ٥٠ .

(٤) الأعلى : ٢ ، ٣ .

(٥) شفاء العليل ، ص : ٦٠٣ - ٦٠٤ .

وقد رد ابن حجر هذا التعقب بقوله : إن الحديث سيق لييان ما هو في نفس الأمر لا لييان الأحكام في الدنيا (١) .

٢ - وقال بعضهم المراد بالفطرة الخلقة التي خلق الله الناس عليها بعضهم للجنة وبعضهم للنار ؛ قال ابن حبان بعد روايته لهذا الحديث : « قوله - ﷺ - : « كل مولود يولد على الفطرة » أراد به الفطرة التي فطره الله عليها جل وعلا يوم أخرجهم من صلب آدم لقوله - جل وعلا - (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) (٢) ، يقول : لا تبديل لتلك الخلقة التي خلقهم لها ؛ إما الجنة ، وإما النار ؛ حيث أخرجهم من صلب آدم فقال : هؤلاء للجنة ، وهؤلاء للنار ، ألا ترى أن غلام الخضر قال ﷺ : « طَبَعَهُ اللهُ يوم طبعه كافراً ، وهو بين أبوين مؤمنين » ، فأعلم الله ذلك عبده الخضر ، ولم يعلم ذلك كليمة موسى - ﷺ - على ما ذكرنا في غير موضع من كتبنا » (٣) .

ثم روى ابن حبان خبر الأسود بن سريع قال : أفضى به القتل إلى أن قتلوا الذرية ، فبلغ النبي - ﷺ - فقال : « أو ليس خياركم أولادُ المشركين ، ما من مولود يولد إلا على فطرة الإسلام حتى يُعَرَّبَ ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » (٤) .

ويُنَّ أنه لا يتناقض مع التفسير الذي ذهب إليه فقال : في خبر الأسود بن سريع هذا « ما من مولود يولد إلا على فطرة الإسلام » أراد به الفطرة التي يعتقدها أهل الإسلام التي ذكرناها قبل ؛ حيث أخرج الخلق من صلب آدم ، فأقرار المرء بتلك الفطرة من الإسلام ، فنسب الفطرة إلى الإسلام عند الاعتقاد على سبيل المجاورة (٥) .

قال ابن القيم : قال أبو عمر : قال محمد بن نصر المروزي : وهذا المذهب شبيه بما حكاه أبو عبيد عن ابن المبارك أنه سئل عن هذا الحديث فقال : يفسره قوله : « الله أعلم

(١) فتح الباري : ٢٤٨/٣ - ٢٤٩ .

(٢) الروم : ٣٠ .

(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان : ١٩٠/١ - ١٩١ .

(٤) المصدر السابق : ١٩٣/١ .

(٥) المصدر السابق : ١٩٣/١ .

بما كانوا عاملين» قال المروزي : وقد كان أحمد بن حنبل يذهب إلى هذا القول ، ثم تركه . قال أبو عمر : وما رسمه مالك في موطنه ، وذكره في أبواب القدر فيه من الآثار ما يدل على أن مذهبه في ذلك نحو هذا ^(١) .

وقد بين ابن القيم ما يرد على هذا الرأي من نقد فقال : قال شيخنا : حقيقة هذا القول أن كل مولود يولد على ما سبق في علم الله أنه صائر إليه ، ومعلوم أن جميع المخلوقات بهذه المثابة ، فجميع البهائم مولودة على ما سبق في علم الله لها ، والأشجار مخلوقة على ما سبق في علم الله ، وحينئذ فيكون كل مخلوق قد خلق على الفطرة .

وأيضاً فلو كان المراد ذلك لم يكن لقوله : « فأبواه يهودانه » معنى ، فإنهما فعلاً به ما هو الفطرة التي ولد عليها ، وعلى هذا القول فلا فرق بين التهود والتنجيس ، وبين تلقى الإسلام وتعليمه وبين تعلم سائر الحرف والصنائع ؛ فإن ذلك كله واحد فيما سبق به العلم .

وكذلك فقلوه على « هذه الملة » وقوله : « إني خلقت عبادي حنفاء » مخالف لهذا .

وأيضاً فلا فرق بين حال الولادة وسائر أحوال الإنسان ؛ فإنه من حين كان جنيناً إلى ما لا نهاية له من أحواله على ما سبق في علم الله (عز وجل) فتخصيص الولادة بكونها على مقتضى القدر تخصيص بلا مخصص .

وقد ثبت في الصحيح أنه قيل حين نفخ الروح فيه : « يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد » فلو قيل كل مولود تنفخ فيه الروح على الفطرة لكان أشبه بهذا المعنى الذي ذهب إليه أصحاب هذا المذهب ، مع أن النفخ هو بعد الكتابة ^(٢) .

ومقصود أئمة السنة أن الخلق صائرون إلى ما سبق في علم الله فيهم من إيمان وكفر ، كما في الحديث الآخر : إن الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً ، والطبع

(١) شفاء العليل ص : ٦٠٦ .

(٢) المصدر السابق ص : ٦٠٥ - ٦٠٦ .

الكتاب ؛ أى كتب كافرا ؛ كما فى الحديث الصحيح : « فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد » . وليس إذا كان الله كتبه كافرا أن يولد وهو كافر ، بل يقتضى أنه لابد أن يكفر ، وذلك الكفر هو التغيير ؛ كما أن البهيمة التى ولدت جمعاء - وقد سبق فى علمه أنها تجدد - كتب أنها مجدوعة بجدد يحدث لها بعد الولادة ، ولا يجب أن تكون عند الولادة مجدوعة ^(١) .

٣ - المراد بالفطرة الخُلُقَة ؛ أى يولد سالما لا يعرف كفرا ولا إيمانا ، ثم يعتقد إذا بلغ التكليف .

ورجحه ابن عبد البر وقال : إنه يطابق التمثيل بالبهيمة ، ولا يخالف حديث عياض ؛ لأن المراد بقوله « حنيفاً » أى على استقامة .

وتُعقب بأنه لو كان كذلك لم يقتصر فى أحوال التبديل على ملل الكفر دون ملة الإسلام ولم يكن لاستشهاد أى هريرة بالآية الكريمة معنى ^(٢)

٤ - المراد بالفطرة ؛ أى فطرة الأبوين .

وهو متعقب بما ذكر فى الذى قبله .

٥ - المراد بالفطرة أن الله تعالى خلق فيهم المعرفة والإنكار فلما أخذ الميثاق من الذرية قالوا جميعا : بلى ؛ أما أهل السعادة فقالوها طوعا ، وأما أهل الشقاوة فقالوها كرها . وقال محمد بن نصر : سمعت إسحاق بن راهويه يذهب إلى هذا المعنى ويرجحه .
وتُعقب بأنه يحتاج إلى نقل صحيح ؛ فإنه لا يعرف هذا التفصيل عند أخذ الميثاق إلا عن السدى ولم يسنده ، وكأنه أخذه من الإسرائيليات ؛ حكاه ابن القيم عن شيخه ^(٣) .

(١) شفاء العليل : ٦٠٦ - ٦٠٧ .

(٢) فتح البارى : ٢٥٠/٣ ، وشفاء العليل : ٦٢٤ - ٦٢٦ .

(٣) شفاء العليل ٦١٥ : وقد نقل ابن القيم عن السدى هذا الأثر قال : « لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبطه من السماء مسح صفحة ظهره اليمنى ، فأخرج منه ذرية بيضاء ، مثل اللؤلؤ كهيئة الذر ، فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتى ، ومسح ظهره اليسرى ، فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر ، فقال : ادخلوا النار ولا أبالي . ذلك =

والرأى الأول هو الصحيح ؛ لأن - مع ما يؤيده من النصوص - آراء السلف التى « تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا الإسلام » .

وليس فى هذا التفسير ما يوافق مذهب القدرية الذين يحتجون به على الكفر والمعصية ليسا بقضاء الله ما دام الإنسان قد ولد مسلماً وغير هذا الإسلام والداه - ليس فيه ما يوافقهم لأن قوله « فأبواه يهودانه إلخ » محمول على أن ذلك يقع بتقدير الله تعالى ، ومن ثم احتج عليهم مالك بقوله - ﷺ فى آخر الحديث « الله أعلم بما كانوا عاملين » .

والحق أن ما ذهب إليه القدرية كان هو السبب فى الذهاب إلى تلك التفسيرات الكثيرة لمعنى الفطرة ؛ لأن القدرية كانوا يحتجون به على أن الكفر والمعصية ليسا بقضاء الله ، بل مما ابتدأ الناس إحداثه فحاول جماعة من العلماء مخالفتهم بتأويل الفطرة على غير معنى الإسلام ، وهو المعنى الذى يقول به القدرية (١) .

وقد يكون دافع من ذهب إلى غير التفسير الأول الذى يقول بأن الفطرة هى الإسلام هو أن مقتضى القول به يتناقض فى زعم هؤلاء مع ما هو مقرر من أن الأطفال يتبعون آباءهم فى الأحكام الدنيوية ، وهذا ما دفع الإمام محمد بن الحسن إلى القول بأن قوله ﷺ فى آخر هذا « الله أعلم بما كانوا عاملين » كان فى أول الإسلام ثم نسخ . إذ

= قوله (وأصحاب اليمين) [الواقعة : ٢٧] (وأصحاب الشمال) [الواقعة : ٤١] ثم أخذ منهم الميثاق فقال : (ألسنت بربكم ؟ قالوا : بلى) [الأعراف : ١٧٢] فأعطاه طائفة طائعين ، وطائفة كارهين على وجه التقية ، فقال هو والملائكة : (شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) [الأعراف : ١٧٢] فليس أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف الله بأنه ربه ، وذلك قوله عز وجل : (وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً) [آل عمران : ٨٣] وكذلك قوله : (قل لله الحجة البالغة ، فلو شاء لهداكم أجمعين) [الأنعام : ١٤٩] يعنى يوم أخذ الميثاق .

قال ابن القيم بعد هذه الرواية : قال شيخنا : وقيل : هذا الأثر لا يوثق به ، فإن فى تفسير السدى أشياء قد عرف بطلان بعضها ، وهو ثقة فى نفسه ، وأحسن أحوال هذا وأمثاله أن يكون كالمراسيل إن كان مأخوذاً عن النبى - ﷺ ، فكيف إذا كان مأخوذاً عن أهل الكتاب ، ولو لم يكن فى هذا إلا معارضة لسائر الآثار التى تتضمن التسوية بين جميع الناس فى الإقرار لكفى . (شفاء العليل ٦١٥) .

(١) شفاء العليل : ص ٦٠٠ - ٦٠١ .

الأطفال في رأى الشريعة يتبعون أبويهم في الدين ، ومن كان من ولد اليهودى أو النصرانى فإنه يتبعهما في الدين في أحكام الدنيا فيحكم له بحكم الكفر ، في أنه لا يصلى عليه ، ولا يدفن في مقابر المسلمين ، ولا يرثه المسلمون ، ويجوز استرقاقهم - وهذا يتنافى مع القول بأن المراد بالفطرة هى الإسلام على هذا الفهم .

ولكن الحديث لم يقصد بيان هذه الأحكام ، وإنما يقصد بيان ما ولد عليه الأطفال من الفطرة ؛ ولا يمكن القول بالنسخ ؛ لأن رواية من روايات هذا الحديث كانت بعد الجهاد الذى تطبق فيه هذه الأحكام ، وهى رواية الحسن ، عن الأسود بن سريع قال : قال رسول الله - ﷺ : « ما بال أقوام بلغوا فى القتل حتى قتلوا الولدان ؟ فقال رجل : أو ليس إنما هم أولاد المشركين ؟ فقال رسول الله ﷺ : أو ليس خياركم أولاد المشركين ؟ إنه ليس من مولود يولد إلا على الفطرة حتى يعبر عنه لسانه ، ويهوده أبواه أو ينصرانه » فقد روى هذا الحديث عن الحسن جماعة ؛ منهم أبو بكر المزنى ، والعلاء بن زياد والمزنى بن يحيى ، وقد روى عن الأحنف عن الأسود بن سريع ، قال ابن عبد البر : وهو حديث بصرى صحيح (١) .

(٢) فأبواه يهودانه وينصرانه : وفى بعض الروايات : « وَيُمَجِّسَانِهِ » .

ومعناه أنهما يعلمانه ما هما عليه ويصرفانه عن الفطرة ، ويحتمل أن يكون المراد : يرغبانه فى ذلك .

استشكل هذا التركيب بأنه يقتضى أن كل مولود يقع له التهود وغيره مما ذكر ، والغرض أن بعضهم يستمر مسلماً ولا يقع له شيء .

والجواب أن المراد أن الكفر ليس من ذات المولود ومقتضى طبعه بل إنما حصل بسبب خارج عن ذاته ، فإن سلم من ذلك السبب استمر على الحق . وهذا يقوى المذهب الصحيح فى تأويل الفطرة بأنها الإسلام (٢) .

(١) المصدر السابق : ص ٦٠٢ - ٦٠٣ .

(٢) فتح البارى : ٢٤٨/٣ - وعمدة القارى : ٩٥/٧ .

وهذه العبارة مما يؤيد المذهب الصحيح أيضاً في تفسير الفطرة لأنه ليس لوجود الفطرة ، وهى الإسلام شرط بل ذَكَرَ ما يمنع موجبها - كحصول اليهودية مثلاً - وهذا متوقف على أشياء خارجة عن الفطرة بخلاف الإسلام ^(١) .

والفاء فى « فأبواه » إما للتعقيب أو السبب أو جزاء شرط مقدر ؛ أى إذا تقرر ذلك فمن تغير كان بسبب أبويه ، إما بتعليمهما إياه ، أو بترغيهما فيه ، وكونه تبعاً لهما فى الدين يقتضى أن يكون حكمه حكمهما ^(٢) .

وهذا كما قلنا مراد به مجرد الإلحاق فى أحكام الدنيا دون أن يكون أراد أنهما يغيران الفطرة ، فهذا خلاف ما يدل عليه الحديث ؛ فإنه شبه تكفير الأطفال بجذع البهائم ، تشبيهاً للتغيير بالتغيير ، وأيضاً فإنه ذكر هذا الحديث لما قتل أولاد المشركين ، فنهاهم عن قتلهم وقال : « أليس خياركم أولاد المشركين ، كل مولود يولد على الفطرة » ^(٣) .

وخص الأبوان بالذكر للغالب ، فلا حجة فيه لمن حكم بإسلام الطفل الذى يموت أبواه كافرين ؛ فقد استمر عمل الصحابة ومن بعدهم على عدم التعرض لأطفال أهل الذمة ^(٤) .

(٣) كما تُنْتَجُونَ الْبَهِيمَةَ : يقال : نَتَجَ الناقةَ يَنْتَجُها نَتَجاً : إذا تولى نتاجها حتى وضعت فهو نَاتِجٌ ، وهو للبهائم كالقابلة للنساء ، والأصل : نَتَجَها ، ولذا يُعَدَّى إلى مفعولين ، وعليه بيت الحماسة :

« وهم نتجوك تحت الفيل سقيا »

وعلى ذلك يمكن ضبطها فى الحديث « تُنْتَجُونَ » .

(١) شفاء العليل : ٦٣٢ - فتح البارى : ٢٥٠/٣ .

(٢) فتح البارى : ٢٥٠/٣ .

(٣) شفاء العليل : ٦٢٠ .

(٤) فتح البارى : ٢٥٠/٣ .

فإذا بنى للمفعول الأول قيل : « نَتَجَتْ وَلَدًا إذا وضعته » (١) .

ويقال : تُتَجَّت الناقة - على صيغة ما لم يسم فاعله - تُتَجُّ ، وأُتِجَ الرجل ناقته يُتِجُهَا إنتاجاً (٢) وعلى هذا يمكن ضبطها في الحديث « تُتِجُونَ » .

٤ - هل تجدون فيها من جَدَعَاء : الجَدَعَاء : البهيمة التي قطعت أذنها ؛ من جَدَعَ : إذا قطع الأذن والأنف ، والعبارة في موضع الحال ، أى بهيمة سليمة مقولاً في حقها هذا القول ، وفي هذا نوع من التأكيد ؛ يعنى كل من نظر إليها قال هذا القول لظهور سلامتها (٣) .

وفيه إيماء إلى أن تصميمهم على الكفر كان بسبب صممهم عن الحق (٤) ، وأنه كان فطرة فيهم .

٥ - حتى تكونوا أنتم تجدعونها : أى تقطعون آذانها أو أنفها أو شيئاً منها . قال القسطلانى : « شبه بالمحسوس المشاهد ؛ ليفيد أن ظهوره بلغ في الكشف والبيان مبلغ هذا المحسوس المشاهد .

» ومحصله أن العالم إما عالم الغيب ، أو عالم الشهادة فإذا نُزِّلَ الحديث على عالم الغيب أشكل معناه ، وإذا صرف إلى عالم الشهادة سهل تعاطيه ، فإذا نظر الناظر إلى المولود نفسه من غير اعتبار عالم الغيب وأنه ولد على الفطرة ؛ من الاستعداد للمعرفة وقبول الحق ، والتأني عن الباطل ، والتمييز بين الخطأ والصواب حكم أنه لو ترك على ما هو عليه ولم يعتوره من الخارج ما يصدُّه استمر على ما هو عليه من الفطرة السليمة . وانظر قتل الخضر الغلام ، إذ كان باعتبار النظر إلى عالم الغيب . وإنكار موسى عليه كان باعتبار عالم الشهادة وظاهر الشرع . فلما اعتذر الخضر بالعلم الخفى الغائب أمسك موسى

(١) عمدة القارى : ٩٥/٧ .

(٢) فتح البارى : ٢٥٠/٣ .

(٣) عمدة القارى : ٩٥/٧ .

(٤) فتح البارى : ٢٥٠/٣ .

عليه السلام عن الإنكار ، فلا عبرة بالإيمان الفطرى فى أحكام الدنيا ، وإنما يعتبر الإيمان الشرعى المكتسب بالإرادة والفعل » (١) .

(٦) الله أعلم بما كانوا عاملين :

قال الإمام أحمد فى أطفال المسلمين : لا يختلف فيهم أحد ؛ يعنى أنهم فى الجنة وحكى ابن عبد البر عن جماعة أنهم توقفوا فيهم ، وأن جميع الولدان تحت المشيئة تطبيقاً لظاهر قول الرسول - ﷺ . هذا (٢) .

على أنه على القول الأول يمكن أن يقال : إن الله - عز وجل - علم أنهم كانوا سيعملون بعمل أهل الجنة ، فكانوا من أولاد المسلمين - أى تنطبق عليهم أيضاً هذه العبارة من الحديث الشريف .

ومن ذهب إلى القول بالتوقف من أهل الفقه والحديث حماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وابن المبارك ، وإسحاق بن راهويه وهو شبه ما رسمه مالك فى موطنه فى أبواب القدر ، وما أورده من الأحاديث فى ذلك ، وقد ذهب أكثر أصحابه إلى ذلك ، وليس عنه فيه شئ منصوص ، إلا أن المتأخرين من أصحابه ذهبوا إلى أن أطفال المسلمين فى الجنة ، وأطفال المشركين خاصة فى المشيئة (٣) .

وعلى أية حال فأطفال المشركين للناس فيهم مذاهب :

١ - الوقف فيهم ، وترك الشهادة بأنهم فى الجنة أو فى النار ، بل يوكل علمهم إلى الله تعالى ، ويقال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » أى إذا سبق فى علم الله أنهم كانوا سيعملون بعمل أهل الجنة ، فهم إلى الجنة أو العكس .
وقد احتج هؤلاء بهذا الحديث وغيره (٤) .

(١) إرشاد السارى : ٣٤٩/٩ .

(٢) طريق المهجرتين : ص ٣٦٠ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٦٠ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٦٠ - ٣٦١ .

لكن الحديث ليس فيه ما يدل على أنه - سبحانه وتعالى - يجزيهم بمجرد علمه فيهم بلا عمل يعملونه . وإنما فيه أن يعلم منهم ما هم عاملون بتقدير حياتهم فمعناه : أن الله سبحانه وتعالى يعلم من يؤمن منهم ومن يكفر بتقدير الحياة . أو أنهم يلحقون بأبائهم بلا عمل ؛ لأن الله تعالى يعلم ما كانوا عاملين به . ويدل قوله ﷺ « الله أعلم بما كانوا عاملين » على أنهم متباينون في التبعية ، وإن كانوا يلحقون بهم في الدنيا ، فالله تعالى لا يجازيهم بهذا العلم ^(١) .

٢ - أنهم في النار : وهذا قول جماعة من المتكلمين وأهل التفسير واحتجوا بأحاديث ؛ إما مُعَلَّة ، أو يمكن فهمها على نحو آخر غير ما ذهبوا إليه .
وقد حكى عياض هذا المذهب عن أحمد ، وغلطه ابن تيمية بأنه قول لبعض أصحابه ، ولا يحفظ عن الإمام أصلاً ^(٢) .

٣ - أنهم في الجنة : قال النووي : وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون ، « ويستدل عليه بأشياء ؛ منها : حديث إبراهيم الخليل - ﷺ حين رآه النبي - ﷺ - في الجنة ، وحوله أولاد الناس ، قالوا : يا رسول الله ، وأولاد المشركين ؟ قال : وأولاد المشركين . رواه البخاري في صحيحه ؛ ومنها : قوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ^(٣) ، ولا يتوجه على المولود التكليف ، ويلزمه قول الرسول - ﷺ : حتى يبلغ ، وهذا متفق عليه » ^(٤) .

٤ - أنهم في برزخ بين الجنة والنار ؛ لأنهم لم يعملوا حسنات يدخلون بها الجنة ، ولا سيئات يدخلون بها النار .

٥ - أنهم خدم أهل الجنة ، وفيه حديث عن أنس ضعيف ؛ أخرجه أبو داود

(١) المصدر السابق : ص ٣٦٠ - ٣٦٢ .

(٢) فتح الباري : ٢٤٦/٣ .

(٣) الإسراء : ١٥ .

(٤) شرح مسلم : ٥١٣/٥ .

الطيالسي وأبو يعلى ، وللطبراني والبخاري من حديث سمرة مرفوعاً : « أولاد المشركين خدام أهل الجنة » ، وإسناده ضعيف .

٦ - أنهم يمتحنون في الآخرة بأن ترفع له نار ؛ فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن أبى عذّب . أخرجه البخاري من حديث أنس وأبي سعيد ، وأخرجه الطبراني من حديث معاذ بن جبل .

وقد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ومن مات في الفترة من طرق صحيحة (١) .

وحكى البيهقي أنه المذهب الصحيح (٢) .

وتعقب بأن الآخرة ليست دار تكليف ، فلا عمل فيها ولا ابتلاء . وأجيب بأن ذلك بعد أن يقع الاستقرار في الجنة أو النار ، وأما في عرصات القيامة فلا مانع من ذلك ، وقد قال الله تعالى : (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون) (٣) وفي الصحيحين : « أن الناس يؤمرون بالسجود ، فيصير ظهر المنافق طَبَقاً ، فلا يستطيع أن يسجد » (٤) .

٧ - أنهم تبع لآبائهم ؛ فأولاد المسلمين في الجنة ، وأولاد الكفار في النار ،

(١) فتح الباري : ٢٤٦/٣ .

(٢) هكذا قال ابن حجر (فتح ٢٤٦/٣) وقد قال البيهقي في كتاب الاعتقاد : « وما صح من ذلك يدل على أن أمرهم موكول إلى الله تعالى ، وإلى ما علم الله من كل واحد منهم ، وكتب له من السعادة أو الشقاوة ، وقد قيل في أولاد المسلمين أن الله تبارك وتعالى أكرم هذه الأمة بأن ألحق بهم ذرياتهم في الجنة » (ص ٧٤) ثم قال : « ومن قال بالطريقة الأولى في التوقف في أمرهم جعل امتحانهم (أولاد المسلمين) و امتحان أولاد المشركين في الآخرة » ثم ذكر احتجاجهم بأحاديث أسانيد بعضها صحيحة ، ولكنها ليست في حق الصغار ، ثم قال : وهكذا ينبغي أن يقول في الطريقة الثانية (الامتحان) في أولاد المسلمين ، فمن لم يواف أحد أبويه القيامة مؤمناً يجعل امتحانه في الآخرة حيث لم يجد متبعاً يلحق به في الجنة » (ص ٧٦ - ٧٧) وكأنه يقول بالتوقف لأنهم يمتحنون في الآخرة . والله أعلم .

(٣) القلم : ٤٢ .

(٤) فتح الباري : ٢٤٧/٣ - ٢٤٨ .

وحكاه ابن حزم عن الأزارقة من الخوارج ، واحتجوا بقوله تعالى : (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا إلا فاجراً كفّاراً) (١) .
وتعقبه بأن المراد قوم نوح خاصة ، وإنما دعا بذلك لمّا أوحى الله إليه (أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) (٢) .

وأما حديث : « هم من آبائهم أو منهم ، فذاك ورد في حكم الحرى .
وروى أحمد من حديث عائشة : « سألت رسول الله - ﷺ - عن ولدان المسلمين قال : « في الجنة » ، وعن أولاد المشركين ، قال : « في النار » . فقلت : يا رسول ، لم يدركوا الأعمال ؟ قال : ربك أعلم بما كانوا عاملين ، لو شئت أسمعك تضاعيمهم في النار » . وهو حديث ضعيف جداً ؛ لأن في إسناده أبا عقيل مولى بهية ، وهو متروك (٣) .

وهناك أقوال أخرى يمكن إرجاعها إلى ما سبق (٤) . والله تعالى أعلم .

★ ★ ★

(١) نوح : ٢٦ - ٢٧ .

(٢) هود : ٣٦ .

(٣) فتح البارى : ٢٤٦/٣ .

(٤) انظر فتح البارى : ٢٤٦/٣ - ٢٤٧ .

٦٨ - وقال رسول الله - ﷺ : إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عِظْمًا لَا تَأْكُلُهُ
الْأَرْضُ أَبَدًا ، فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

قالوا : أَيُّ عَظْمٍ ؟ قال : عَجْمُ الذَّنْبِ ^(١) .

وقال أبو الحسن : إنما هو « عَجْبُ » ، ولكنه قال بالميم ^(٢) .

• رواه أحمد (٧٠/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام . (رقم ٦٩/٨١٦٥) .

ورواه مسلم في (٢٢٧٠/٤) (٢) - كتاب الفتن وأشراف الساعة - (٢٨) باب ما بين النفختين - بسنده
للصحيفة (رقم ٢٩٥٥/١٤٣) .

كما روى قبله نحوه من طريق أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة (رقم ٢٩٥٥/١٤٢) .

وروى نحوه جزءًا من حديث من رواية الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة (رقم ٢٩٥٥/١٤١) .

وروى البخاري في (٣٤/٦) (٣٩/٦٥) كتاب التفسير - (٤) باب (ونفخ في الصور فصعق من في
السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) نحوه جزءًا من حديث الأعمش ، عن
أبي صالح ، عن أبي هريرة (رقم ٤٨١٤) .

وقد رواه كذلك من هذا الطريق في (٧٩/٦) (٧٨/٦٥) (١) باب (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً) .

(١) فيه يركب يوم القيامة : في رواية أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة
« إلا عجب الذنب ؛ منه خلق ، ومنه يركب » ^(١) .

(٢) عَجْمُ الذَّنْبِ : وفي بعض الروايات « عجب الذنب » وفي حديث أبي
سعيد عند الحاكم وأبي يعلى : « قيل يا رسول الله ؛ ما عجب الذنب ؟ قال : مثل حبة
خردل » ^(٢) .

(١) في صحيح مسلم ؛ والموضع في التخريج .

(٢) فتح الباري : ٥٥٢/٨ .

وهو عظم لطيف في أصل الصلب ، وهو رأس العصص (العمود الفقري) ،
وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع .

قال ابن الجوزي : قال ابن عقيل : لله في هذا سر لا يعلمه إلا الله ؛ لأن من يظهر
الوجود من العدم لا يحتاج إلى شيء يبنى عليه ، ولا خميرة ^(١) .

ويجوز أن يكون الباري جلت قدرته وعظمته جعل ذلك علامة للملائكة على أن
يجبى كل إنسان بجواهره بأعيانها ، ولا يحصل العلم للملائكة بذلك إلا إبقاء عظم كل
شخص ليعلم أنه إنما أراد بذلك إعادة الأرواح إلى تلك الأعيان التي هي جزء منها ؛ كما أنه
لما مات عزير عليه السلام وحماره أبقى عظام الحمار فكساها ، ليعلم أن الحمار المنشأ هو
حماره لا غيره ، ولولا إبقاء شيء لجوزت الملائكة أن تكون الإعادة للأرواح إلى أمثال
الأجساد ، لا إلى أعيانها ^(٢) .

ولا يتعارض ما في هذا الحديث من أن « عجب الذنب » يبقى مع ما ورد في
الصحيح من أنه يبلى كل شيء من الإنسان ؛ لأن أحدهما عام والآخر خاص ، وكما يقول
العيني : « هذا ليس بأول عام تُخص ، ولا بأول مجمل فصل » .

وهذان الحديثان تخصصهما الأحاديث التي تبين أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء
منها قول الرسول - ﷺ : « إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد » ^(٣) الأنبياء .
وألحق بهم ابن عبد البر الشهداء ، والقرطبي المؤذن المحتسب . قال عياض : فتأويل الحديث :
كل ابن آدم مما يأكله التراب وإن كان التراب لا يأكل أجساداً كثيرة كالأنبياء ^(٤) .

والحديث ينص على أن عجب الذنب لا يبلى ، وهذا ما ذهب إليه الجمهور . وقد
خالف المزني فقال في رواية للحديث رواها البخاري : « وسبيلي كل شيء من الإنسان إلا
عجب ذنبه » - قال : « إلا » هنا بمعنى الواو ؛ أي وعجب الذنب أيضا يبلى .

(١) المصدر السابق : ٥٥٣/٨ - ٥٥٤ .

(٢) عمدة القاري : ٤١٢/١٥ - ٤١٣ .

(٣) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي (المستدرک ٢٧٨/١) .

(٤) فتح الباري : ٥٥٣/٨ .

ويرد عليه الحديث هنا : « إن في الإنسان عظما لا تأكله الأرض أبداً » ^(١) .

ويرد هذا الحديث أيضا على من يقول إن المراد بقوله ﷺ في بعض الروايات « لا يبلى » على عجب الذنب - أنه لا يطول بقاءه ، لا أنه لا يفنى أصلاً ، والحكمة فيه أنه قاعدة بدء الإنسان وأسه الذى ينبى عليه ، فهو أصلب من الجميع ؛ كقاعدة الجدار ، وإذا كان أصلب كان أديم بقاء .

نقول : يرد هذا القول الحديث الذى معنا ؛ لأنه يقول : « عظما لا تأكله الأرض أبداً » ، ولأن هذا القول ليس له دليل ، قال بعض العلماء « وهذا مردود ؛ لأنه خلاف الظاهر بغير دليل » ^(٢) .

(٢) وقال أبو الحسن : إنما هو « عَجْبُ » ولكنه قال بالميم :

أبو الحسن هو أحمد بن يوسف السلمى ، وهو راوى الصحيفة عن عبد الرزاق - كما ذكرنا .

ونقول : إن عَجْبَ وَعَجَمَ بمعنى واحد والميم فى الثانية عوض عن الباء فى الأولى . قال ابن حجر : « والعجب بفتح المهملة وسكون الجيم بعدها موحدة ، ويقال له : عجم بالميم أيضا عوض الباء » ^(٣) .

قال الأستاذ أحمد شاكر : « ويظهر أن السلمى لم يصل إليه صحة هذا الحرف بالميم ، ولكنه صحيح ، « وعجب الذنب » بفتح العين وبضمها مع سكون الجيم ، وآخره باء موحدة هو أصل الذنب وعظمه المغروز فى مؤخر العجز ، وهو بالميم بدل الباء صحيح أيضا . قال الجوهري فى الصحاح : « العجم أصل الذنب مثل العجب » وكذلك فى القاموس ، وزاد جواز ضم العين أيضاً كالعُجب . ونقل شارحه عن اللحيانى

(١) عمدة القارى : ٤١٣/١٥ .

(٢) فتح البارى : ٥٥٣/٨ - وعمدة القارى ٤١٣/١٥ .

(٣) فتح البارى : ٥٥٢/٨ .

أن ميمها بدل باء عَجِب وعُجِب ، وفي المصباح « والعجم أيضا أصل الذنب لغة في العجب .

« فاستدراك الحافظ السلمي هنا ليس بذي شأن ، والحرفان صحيحان » ^(١) .

★ ★ ★

(١) تحقيق المسند : ٧١/١٦ .

٦٩ - وقال رسول الله - ﷺ : إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ ^(١) ، إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ . قالوا : فَإِنَّكَ تَوَاصِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ^(٢) . قال : إِنْ لَسْتُ فِي ذَاكُمْ مِثْلَكُمْ ^(٣) ؛ إِنْ أَيْتَ يُطْعِمُنِي رُبِّي وَيَسْقِينِي ^(٤) ، فَاكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا لَكُمْ بِهِ طَاقَةٌ ^(٥) .

• رواه عبد الرزاق (٢٦٧/٤) في باب الوصال من كتاب الصوم - عن معمر عن همام أنه سمع أبا هريرة يقول به : ، وفيه « فَإِنْ فِي ذَاكُمْ لَسْتُ مِثْلَكُمْ ، إِنْ أَظَلَّ » .

ورواه أحمد (٧١/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٧٠/٨١٦٦) .

ورواه البخاري في (٢٤٣/٢) في (٣٠) كتاب الصوم - باب التنكيل لمن أكثر الوصال عن يحيى (بن موسى) ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام أنه سمع أبا هريرة يقول به (رقم ١٩٦٦)

وروى مسلم نحوه في (٧٧٤/٢ - ٧٧٥) (٣٠) كتاب الصيام - (١١) باب النهي عن الوصال في الصوم - من طريق جرير ، عن عمار ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة (١١٠٣/٥٨) .

ومن طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة .

ومن طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة .

ومن طريق مالك عن نافع عن ابن عمر (رقم ٥٥ ، ١١٠٢/٥٦)

وقد روى البخاري في (٢٤٢/٢) (٤٨) باب الوصال من كتاب الصوم شواهد لهذا الحديث ، عن أنس وعبد الله بن عمر (رقما ١٩٦١ - ١٩٦٢) .

ورواه البغوي (٢٦١/٦) في باب النهي عن الوصال في الصوم - بسنده للصحيفة - وقال : « هذا حديث متفق على صحته » (رقم ١٧٣٦) .

وفي كل روايات همام في غير الصحيفة ؛ في المسند ، والمصنف ، وشرح السنة وفي نسخة « ب » من الصحيفة « ذاكم » و « فاكلفوا » وفي طبعة الصحيفة في مجلة المجمع اللغوي بدمشق « ذلكم » و « فاكلفوا » مما نرجح أن يكون هناك خطأ في النسخ ، أو في الطبع بالنسبة للكلمة الثانية ؛ لأن الدكتور حميد الله لم ينبه على الاختلاف فيها عند أحمد ، كما هي عادته . ولهذا أثبتنا ما أجمعت عليه الروايات الأخرى .

هذا وقد نبه الحافظ ابن حجر في الفتح على أن رواية البخاري لحديث همام مختصرة في كونها لا يوجد فيها إلا « إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ مِثْلَكُمْ » بهذا اللفظ دون تكرار لعبارة « إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ » كما هي عند أحمد (فتح الباري ٢٠٦/٤) .

ونضيف أنها مكررة كذلك عند عبد الرزاق واليغوى . واستنبط ابن حجر أن هذا الاختصار من البخارى أو من شيخه .

كما نبه الأستاذ أحمد شاكى إلى أن هناك اختصاراً آخر عن المسند . (٧١/١٦ من تحقيق المسند) .
ونقول : وهو اختصار عما فى المصنف وشرح السنة ، وهنا فى الصحيفة ، فليس فى رواية البخارى : « إني لست فى ذاكم مثلكم » .

(١) إياكم والوصال : وفى بعض الأحاديث « لا تواصلوا » ، وفى بعضها : « نهى النبى - ﷺ عن الوصال » .

والوصال هو الترك فى ليالى الصيام لما يفطر بالنهار بالقصد .

وقد اختلف العلماء فى نهى النبى - ﷺ - عن الوصال : .

١ - فذهب بعضهم إلى أن الوصال مباح ، واحتجوا بقول عائشة « نهاهم عن الوصال رحمة لهم » فقالوا : إنما نهاهم رفقا لا إلزاما لهم .
واحتجوا أيضا بكون النبى - ﷺ - واصل بأصحابه يومين حين أبوا أن ينتهوا ؛
قال القرطبى : وهو يدل على أن الوصال ليس بحرام ولا مكروه من حيث هو وصال ،
لكن من حيث يذهب بالقوة ..

ومن كان يواصل عبد الله بن الزبير وابن عامر وابن وضاح من المالكية كان يواصل أربعة أيام ، وحكى القاضى عياض ، عن ابن وهب وإسحاق وابن حنبل أنهم أجازوا الوصال (١) .

ولعل هؤلاء قد قالوا : إن النهى عن الوصال منسوخ .

٢ - وذهب الأكثرون إلى تحريم الوصال لظاهر هذا النهى ، ولقوله - ﷺ : « إذ أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم » إذ لم يجعل الليل محلاً لسوى الفطر ، فالصوم فيه مخالفة لوضعه كيوم الفطر .

وإذا كان يعترض على هذا الرأي بقوله - ﷺ - معللاً النهى عن الوصال :
« رحمة رحمكم الله بها » فإنهم أجابوا بأن هذا لا يتعارض مع التحريم ؛ فإن من رحمته لهم
أن حرمه عليهم .

وإذا كان يعترض عليه أيضاً بأن الرسول - ﷺ - واصل بالصحابة رضوان الله
عليهم - فقد أجابوا عن ذلك بأن هذا لا يتعارض مع التحريم ، فهو - ﷺ - قد فعل
ذلك تقريعاً وتنكيلاً لهم فاحتمل منهم ذلك لأجل مصلحة النهى عن الوصال في تأكيد
زجرهم ؛ لأنهم إذا باشروه ظهرت لهم حكمة النهى ، وكان ذلك أدعى إلى قلوبهم لما يترتب
عليهم من الملل في العبادة ، والتقصير فيما هو أهم من الوصال وأرجح ؛ من وظائف
الصلاة والقراءة وغير ذلك (١) .

قال ابن العرى : « وتمكينهم منه تنكيل لهم ، وما كان على طريق العقوبة لا يكون
من الشريعة » (٢) .

(٣) وذهب بعض العلماء إلى أن النهى للكرهية وليس للتحريم ، وذكر ذلك عن
مالك والشافعي وأبي حنيفة والثوري ، وجماعة من أهل الفقه (٣) .

ومن أدلة الجواز إقدام الصحابة على الوصال بعد النهى فدل على أنهم فهموا أن
النهى للتنزيه لا للتحريم ، وإلا لما أقدموا عليه (٤) .

(٤) وذهب آخرون إلى التفصيل ؛ فالوصال جائز لمن قوى عليه ، ويحرم على
من يشق عليه ، « فمن لم يشق عليه ، ولم يقصد موافقة أهل الكتاب ، ولا رغب عن
السنة في تعجيل الفطر لم يمنع من الوصال » .

وقد نقل التفصيل عن عبد الله بن الزبير ، وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عنه

(١) فتح الباري : ٢٠٤/٤ - ٢٠٥ .

(٢) عمدة القارى : ١٣٩/٩ .

(٣) المصدر السابق : ١٣٩/٩ .

(٤) فتح الباري : ٢٠٥/٤ .

أنه كان يواصل خمسة عشر يوماً ، وذهب إليه من الصحابة أيضاً أخت أبى سعيد ، ومن التابعين عبد الرحمن بن أبى نعم ، وعامر بن عبد الله بن الزبير ، وإبراهيم بن زيد التيمي وأبو الجوزاء كما نقله أبو نعيم في ترجمته في الحلية وغيرهم . رواه الطبري وغيره (١) .

(٥) جواز الوصال إلى السحر ، ذهب أحمد وإسحاق وابن المنذر وابن خزيمة وجماعة من المالكية لحديث أبى سعيد - رضى الله عنه الذى رواه البخارى : « لا تواصلوا فأياكم إذا أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر ، قالوا : فإنك تواصل يا رسول الله قال : إني لست كهيتكم ، إني أبيت لى مُطعم يطعمنى ، وساق يسقين » (٢) .

قال أصحاب هذا رأى : إن هذا الوصال لا يترتب عليه شئ مما يترتب على غيره ؛ فهو فى الحقيقة يؤخر عشاءه ؛ لأن الصائم له فى اليوم والليلة أكلة ، فإذا أكلها فى السحر كان قد نقلها من أول الليل إلى آخره ، وكان أخف لجسمه فى قيام الليل ، ولا يخفى أن محل ذلك ما لم يشق على الصائم وإلا فلا يكون قربة (٣) .

(٢) قالوا : فإنك تواصل يا رسول الله : لم يكن هذا من الصحابة - رضوان الله عليهم - على سبيل الاعتراض ؛ لأنهم أكثر الناس أدباً ، ولكن على سبيل استخراج الحُكم أو الحكمة ، أو بيان التخصيص (٤) .

(٣) إني لست فى ذاكم مثلكم : هذا تصريح منه ﷺ على أن الوصال يختص به ﷺ ، أو هو أقدر منهم عليه .

(٤) إني أبيت يطعمنى ربي ويسقيني :

قال ابن حجر مبيناً اختلاف الروايات عن أبى هريرة ما بين قوله ﷺ « إني

(١) المصدر السابق : ٢٠٤/٤ .

(٢) البخارى فى (٢٤٢/٢) (٣٠) كتاب الصوم (٤٨) باب : الوصال .

(٣) فتح البارى : ٢٠٤/٤ .

(٤) عمدة القارى : ١٣٩/٩ .

أبيت « وبين « إني أظلم » : قال : « إني أبيت » كذا في الروایتين (رواية أبي سلمة ورواية همام كلاهما) عن أبي هريرة في هذا الباب ، وقد تقدم في الباب الذي قبله من رواية في حديث أنس بلفظ « أظلم » ، وكذا في حديث عائشة عن الاسماعيلی ، وهي محمولة على مطلق الكون لا على حقيقة اللفظ ؛ لأن المتحدث عنه هو الإمساك ليلا لا نهارا ، وأكثر الروايات إنما هي « أبيت » وكأن بعض الرواة عبر عنها « بأظلم » نظراً إلى اشتراكهما في مطلق الكون ؛ يقولون كثيراً « أضحي فلان كذا مثلاً » ، ولا يريدون تخصيص ذلك بوقت الضحي ، ومنه قوله تعالى : (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً)^(١) فإن المراد به مطلق الوقت ، ولا اختصاص لذلك بنهار دون ليل . وقد رواه أحمد وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة كلهم عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة بلفظ : « إني أظلم عند ربي فيطعمني ويسقيني »^(٢) .

نقول : إن رواية عبد الرزاق في مصنفه بلفظ « أظلم » كما سبق أن عرفنا في التخریج .

واختلف في معنى إطعام ربه عز وجل له ﷺ وسقيه :

(١) فقيل : هو على ظاهره وأنه يؤتى على الحقيقة بطعام وشراب يتناولهما ، فيكون ذلك تخصيص كرامة .

وتعقب هذا الرأي بأنه لو كان كذلك لم يكن مواصلاً ، قال القرطبي : لو كان كذلك لما صدق عليه قولهم : إنك تواصل ، ولا ارتفع اسم الوصال عنه ؛ لأنه حينئذ يكون مفطراً ، وحينئذ يخرج كلامه عن أن يكون جواباً لما سئل عنه^(٣) .

كما تعقب بأن في بعض ألفاظه : « إني أظلم عند ربي يطعمني ويسقيني » « وظلم » إنما يقال فيمن فعل الشيء نهارة ، وبات فيمن يفعله ليلاً ، وحينئذ كان يلزمه فساد صومه ، وذلك باطل بالإجماع .

(١) النحل : ٥٨ .

(٢) فتح الباری : ٢٠٧/٤ .

(٣) عمدة القاری : ١٣٩/٩ .

وأجيب على التعقيب الأول وهو أن اتيانه الطعام والشراب يخرججه عن وصاله بأن ما يؤتى به الرسول - ﷺ على سبيل الكرامة ليس من جنس طعامنا ، وحينئذ لا تجرى عليه أحكام المكلفين فيه ، كما غسل صدره - ﷺ في طست من ذهب ، مع أن استعمال أواني الذهب والفضة حرام ، والذي يفطر شرعاً إنما هو الطعام المعتاد ، والكرامة لا تبطل العبادة ^(١) .

وأجيب على التعقيب الثاني ، وهو أن كلمة « أظل » في بعض الروايات تقتضى فساد صومه ؛ للطعام والشراب بأن الراجح من الروايات لفظ « أبيت » دون « أظل » ، وعلى « تقدير الثبوت فليس حمل الطعام والشراب على المجاز بأولى له من حمل لفظ « أظل » على المجاز ^(٢) .

(٢) وقيل إن الله تعالى يخلق فيه من الشبع والرى ما يغنيه عن الطعام والشراب . واعترض القرطبي صاحب « المفهم » على هذا بقوله إن النظر إلى حاله - ﷺ - يبعد هذا الرأي ؛ فإنه كان يجوع أكثر مما يشبع ، ويربط على بطنه الحجارة من الجوع .

كما يبعده كذلك النظر إلى المعنى ، وذلك لأنه لو خلق فيه الشبع والرى لما وجد لعبادة الصوم روحها الذى هو الجوع والمشقة ، وحينئذ كان يكون ترك الوصال أولى ^(٣) .

(٣) وقيل إن الله تعالى يحفظ عليه قوته من غير طعام وشراب ، كما يحفظها بالطعام والشراب ، فقله : يطعمنى ويسقبنى مجاز عن لازم الطعام . والشراب وهو القوة أو عبر بهما عن فائدهما ... فكأنه قال : يعطينى قوة الآكل والشارب ، ويفيض على ما يسد مسد الطعام والشراب ، ويقوى على أنواع الطاعة من غير ضعف فى القوة ولا كلال فى الإحساس .

(١) فتح البارى : ٢٠٧/٤ .

(٢) المصدر السابق : ٢٠٧/٤ .

(٣) عمدة القارى : ١٣٩/٩ .

والفرق بين هذا الرأي وما قبله أن هذا معناه أنه يعطى القوة من غير شبع ولا رىء ؛
أى مع الجوع والعطش .

وذكر ابن حجر أن هذا هو رأى الجمهور ^(١) ، كما ذكر العيني بأن ابن العربى
اقتصر عليه ، وحكى الرافعى عن المسعودى قال : أصح ما قيل فى معناه : « إني أعطى
قوة الطاعم والشارب » ^(٢) .

(٤) ويحتمل أن يكون المراد بقوله - ﷺ : « يطعمنى ويسقيني » أى يشغلنى
بالتفكر فى عظمته والتملئ بمشاهدته ، والتغذى بمعارفه ، وقررة العين بمحبته ، والاستغراق
فى مناجاته ، والاقبال عليه - عن الطعام والشراب . قال ابن القيم : قد يكون هذا الغذاء
أعظم من غذاء الأجساد ، ومن له أدنى ذوق وتجربة يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب
والروح عن كثير من الغذاء الجسمانى ، ولاسيما الفرح المسرور بمطلوبه الذى قرت عينه
بمحبوبه ^(٣) .

هذا وقد استدلل ابن حبان بظاهر الحديث على تضعيف الأحاديث الواردة بأنه -
ﷺ كان يجوع ويشد الحجر على بطنه من الجوع . قال : لأن الله تعالى كان يطعم
رسوله ويسقيه إذا واصل فكيف يتركه جائعا حتى يحتاج إلى شد الحجر على بطنه ؟ ثم
قال : وماذ يُغنى الحجر من الجوع ؟ ثم ادعى أن ذلك تصحيف ممن رواه ، وإنما هى
« الحُجَز » بالزأى جمع حُجْزة .

قال ابن حجر : وقد أكثر الناس من الرد عليه فى جميع ذلك ، وأبلغ ما يرد عليه به
أنه أخرج فى صحيحه من حديث ابن عباس قال : « خرج النبى - ﷺ بالهاجرة فرأى
أبا بكر وعمر فقال : ما أخرجكما ؟ قالا : ما أخرجنا إلا الجوع . فقال : وأنا والذى
نفسى بيده ما أخرجنى إلا الجوع » . الحديث . فهذا الحديث يرد ما تمسك به .

(١) فتح البارى : ٢٠٧/٤ .

(٢) عمدة القارى : ١٣٩/٩ .

(٣) المصدر السابق : ٢٠٧/٤ .

وأما قوله : وما يغنى الحجر عن الجوع ؟ فجوابه أنه يقيم الصلب ؛ لأن البطن إذا خلا ربما ضعف صاحبه عن القيام لانشاء بطنه عليه ، فإذا ربط عليه الحجر اشتد وقوى صاحبه على القيام ، حتى قال بعض من وقع له ذلك : كنت أظن الرجلين يحملان البطن ، فإذا البطن يحمل الرجلين ^(١) .

(٥) فاكلفوا من العمل ما لكم به طاقة : أى تحملوا ما تستطيعون القيام به من الأمور التى فيها مشقة ، ولا تتحملوا فوق ما تطيقونه فتعجزوا .

ومما يستفاد من هذا الحديث :

١ - استواء المكلفين فى الأحكام ، وأن كل حكم ثبت فى حق النبى - ﷺ - ثبت فى حق أمته إلا ما استثنى بدليل كما هنا .

٢ - وفيه جواز مراجعة المفتى فيما أفتى به إذا كان بخلاف حاله ، ولم يعلم المستفتى سر المخالفة .

٣ - وفيه الاستكشاف عن حكمة النهى .

٤ - وفيه ثبوت خصائصه - ﷺ ، وأن عموم قوله تعالى : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) ^(٢) مخصوص .

٥ - وفيه أن الصحابة كانوا يرجعون إلى فعله المعلوم صفته ، ويبادرون إلى الاقتداء به إلا فيما نهاهم عنه .

٦ - وفيه أن خصائصه - ﷺ لا يتأسى به فى جميعها ، وقد توقف فى ذلك إمام الحرمين ، وقال أبو شامة : ليس لأحد التشبه به فى المباح كالزيادة على أربع نسوة ، ويستحب التنزه عن المحرم عليه ، والتشبه به فى الواجب عليه (كقيام الليل) وأما

(١) فتح البارى : ٢٠٨/٤ .

(٢) الأحزاب : ٢١ .

المستحب فلم يتعرض له . والوصال منه . فيحتمل أن يقال : إن لم يَنْهَ عنه لم يمنع الاقتداء به فيه . والله أعلم .

٧ - وفيه بيان قدرة الله تعالى على إيجاد المسببات العاديات من غير سبب ظاهر ^(١) . والله أعلم .

★ ★ ★

(١) فتح الباري : ٢٠٥/٤ .

٧٠ - وقال رسول الله - ﷺ : إذا استيقظ أحدكم فلا يضع يده على ^(١) الوضوء حتى يغسلها ؛ إنه لا يدرى أحدكم أين باتت يده .

(١) م : في الوضوء .

• رواه أحمد (٧٢/١٦) ضمن روايته للصحيفة . (رقم ١٨٦٧) .

وفيه : « إذا استيقظ أحدكم من نومه » وربما سقطت كلمة « من نومه » من الصحيفة في الطبع لأن الدكتور حميد الله لم يشر إلى هذا الفرق بين رواية أحمد ورواية الصحيفة ، كعادته في التنبيه على مثل ذلك . ولا أدري لِمَ لم ينبه الأستاذ أحمد شاكر على هذا الفرق ، كعادته كذلك في مثل هذا . والله تعالى أعلم . ومع ذلك فرواية همام عند الحافظ العراقي في « طرح التثريب » ، بدون هذه اللفظة (من نومه) وهذا قد يشكك في وجود هذه اللفظة عند أحمد ؛ لأن الحافظ العراقي روى هذا الحديث عنه [٤٢ - ٤١/١] وروايته عند أبي عوانه بدونها أيضاً (٢٦٤/١) مما يرجح في النهاية أن رواية الصحيفة أساساً كذلك .

ورواه مسلم في (٢٣٣/١ - ٢٣٤) (٢) كتاب الطهارة - (٢٦) باب كراهة غمس المتوضئ وغيره يده المشكوك في نجاستها في الإناء قبل غسلها ثلاثاً - بسنده للصحيفة ، وذلك لإحالة على روايات رواها هذا الحديث (رقم ٢٧٨/٨٨) .

والحديث الذي رواه قبله هو عن سلمة بن شبيب ، عن الحسن بن أعين ، عن معقل ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، عن أبي هريرة أنه أخبره أن النبي - ﷺ - قال : « إذا استيقظ أحدكم فليفرغ على يده ثلاث مرات قبل أن يدخل يده في إنائه ، فإنه لا يدرى فيم باتت يده » (٢٧٨/٨٨) .

كما روى عن نصر بن علي وحامد بن عمر ، عن بشر بن المفضل ، عن خالد ، عن عبد الله بن شقيق ، عن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - قال : « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً ؛ فإنه لا يدرى أين باتت يده » (رقم ٢٧٨/٨٧) .

وقد أحال على هذه الرواية رواية الأعمش عن أبي رزین وأبي صالح ، عن أبي هريرة .

وكذلك رواية الزهري عن أبي سلمة وابن المسيب كلاهما عن أبي هريرة .

وهذه الروايات كلها ذكرت لفظ « ثلاثاً » .

وقد روى مسلم روايات أخرى ؛ عن الأعرج ؛ وابن سيرين ؛ والعلاء (بن عبد الرحمن) عن أبيه ؛ وثابت مولى عبد الرحمن بن زيد جميعاً عن أبي هريرة .

وهذه الروايات كلها - ومعها رواية همام - لم تذكر « ثلاثاً » .

وقد ذكر الأستاذ أحمد شاکر - عليه رحمة الله - (تحقیق المسند ١٦/٧٢) أن الشیخین لم یرویا هذا الحدیث من طریق الصحیفة . كما ذكر أن مسلماً رواه . من طرق أخرى غیر الصحیفة و غیر نسخة الأعرج .
وهذا سهر منه - رحمة الله علیه - بالنسبة لمسلم فقد رواها من طریق الصحیفة ، كما روى حدیث الأعرج أيضاً - كما رأینا .

ورواه أبو عوانة (٢٦٤/١) فی باب إيجاب غسل الیدین ثلاثاً علی المستیقظ من نومه - عن السلمي - راوی الصحیفة - والدبری عن عبد الرزاق به .

وروى البخاری نحوه فی (٤٨/١ - ٤٩) (٤) کتاب الوضوء - (٢٦) باب الاستجمار وترأ - من طریق مالک ، عن أنى الزناد ، عن الأعرج ، عن أنى هريرة جزءاً من حدیث ، أو بمعنى آخر أدق مع حدیث آخر .
وحديث مالک هذا فی الموطأ (٢١/١) (٢) کتاب الطهارة - (٢) باب وضوء النائم إذا قام إلى الصلاة (رقم ٩) .

ورواه البیهقی فی السنن الکبری فی (٢٣٤/١) کتاب الطهارة - جماع أبواب ما یفسد الماء - باب الماء الدائم تقع فیہ نجاسة وهو أقل من القلتین - بسنده للصحیفة ، وهو يلتقى معنأ هنا فی أنى بکر محمد بن الحسین القطان - كما ذكرنا من قبل .

كما أشار فی (٤٥/١) - کتاب الطهارة - باب غسل الیدین قبل إدخالهما فی الإناء إلى رواية همام ، وأنها لم تذكر التکرار فی الغسل - قال : « وثبت عن محمد بن سیرین ، وهمام بن منبه ، وعبد الرحمن بن یعقوب ، وثابت مولى عبد الرحمن بن زید ، عن أنى هريرة عن النبی ﷺ هذا الحدیث دون ذکر التکریر » .

قال العینی : وهذا الحدیث روى عن جابر وعبد الله بن عمر - رضی الله عنهم - أيضاً ورواهما الدارقطنی وإسنادهما حسن (عمدة القاری ٣١٢/٢) .

شرح الحدیث :

(١) - إذا استیقظ أحدکم : أى من نومه - كما ورد مصرحاً به فی بعض الروایات .

وقد أخذ بعموم ذلك الشافعی ، والجمهور فاستحبوه عقب كل نوم قال الشافعی : « وأحب لكل من استیقظ من النوم ؛ قائلة كانت أو غیرها ألا یدخل یده فی وضوئه حتى یغسلها » ^(١) وخصه أحمد بنوم اللیل ، لقوله فی آخر الحدیث : « باتت یده » ؛ لأن حقيقة المبيت أن يكون فی اللیل . وفی رواية لأنى داود : « إذا قام أحدکم من

(١) جامع الترمذی (٣٦/١ - ٣٧) أبواب الطهارة - باب ما جاء إذا استیقظ أحدکم .

الليل» ^(١) وكذلك للترمذى من وجه آخر صحيح ^(٢) ، ولأبى عوانة فى رواية ساق مسلم إسنادهما : « إذا قام أحدكم إلى الوضوء حين يصبح » ^(٣) .

لكن التعليل يقتضى إلحاق نوم النهار بنوم الليل ؛ « إنه لا يدري » أى لا يأمن النجاسة على يده فهذا محتمل فى نوم الليل والنهار . قال إسحاق بن راهويه : « لا ينبغي لأحد استيقظ ليلاً أو نهاراً إلا أن يغسل يده قبل أن يدخلها الوضوء » ، قال : والقياس فى نوم الليل أنه مثل نوم النهار .

قال الحافظ العراقى : وما قاله إسحاق هو الذى عليه عامة العلماء ، وأجابوا عن الحديث بأن ذلك خرج مخرج الغالب ، ويدل على ذلك رواية أبى داود : « أو أين كانت تطوف يده » ^(٤) وفى رواية الدارقطنى : « أو أين باتت تطوف يده » ^(٥) ولا يلزم من صيغة « أو » فى الروایتين أن يكون ذلك شكاً ؛ بل يجوز أن يكون النبى ﷺ قال الأمرين معاً يريد : أين باتت يده فى المبيت ، أو أين كانت تطوف يده فى نومه ؛ مساء كان أو نهاراً ^(٦) . والله أعلم .

وقال بعض العلماء : يمكن أن يقال : الكراهة فى الغمس لمن نام ليلاً أشد منها لمن نام نهاراً ؛ لأن الاحتمال فى نوم الليل أقرب لطوله عادة ^(٧) .

(١) السنن (٧٦/١) (١) كتاب الطهارة - (٤٩) باب فى الرجل يدخل يده فى الإناء قبل أن يغسلها - وهى رواية أبى رزين وأبى صالح عن أبى هريرة . (رقم ١٠٣) .

(٢) الجامع (٣٦/١) (١) أبواب الطهارة - (١٩) باب ما جاء إذا استيقظ أحدكم من منامه فلا يغمس يده فى الإناء حتى يغسلها - وهى رواية سعيد بن المسيب وأبى سلمة عن أبى هريرة .

(٣) مسند أبى عوانة (٢٦٥/١) باب إيجاب غسل اليدين . وهى رواية العلاء ، عن أبيه ، عن أبى هريرة .

(٤) السنن (٧٨/١) (١) كتاب الطهارة - (٤٩) باب فى الرجل يدخل يده فى الإناء قبل أن يغسلها -

وهى رواية معاوية بن صالح ، عن أبى مريم عن أبى هريرة (رقم ١٠٥) .

(٥) السنن (٥٠/١) كتاب الطهارة - باب غسل اليدين لمن استيقظ من نومه - وهى رواية معاوية بن

صالح عن أبى مريم أيضاً . (رقم ٤) .

(٦) طرح التهذيب ٤٣/١ .

(٧) فتح البارى ٢٦٣/١ .

ولفظ « أحدهم » يقتضى اختصاص هذا الأمر بغيره - ﷺ - ؛ فيخرج نومه - ﷺ ؛ لأنه تنام عينه دون قلبه - ﷺ (١) .

(٢) - فلا يضع يده على الوضوء حتى يغسلها : الوضوء بفتح الواو ، هو الماء الذى يتوضأ به ، والفعل بالضم وقد أثبت سيبويه الوضوء والطهور والوقود بالفتح فى المصادر ، فهى تقع على الاسم والمصدر .

واختلف العلماء فى هذا النهى ، هل هو للتحريم أو للتنزيه ؟ . وكذلك الأمر فى الروايات التى فيها الأمر « فليغسل يده » هل هو للوجوب أو للندب ؟

ذهب أكثر أهل العلم إلى أن ذلك على الندب والتنزيه ، لا على الوجوب والتحريم ، وهو قول مالك والشافعى وأهل الكوفة وغيرهم .

وذهب الحسن البصرى وأهل الظاهر إلى أن ذلك على الوجوب والتحريم لظاهر الأمر والنهى (٢) .

وقد بين العيني حجة من يقولون بعدم الوجوب أو عدم التحريم ، قال : استدل به أصحابنا على أن غسل اليدين قبل الشروع فى الوضوء سنة ، بيان ذلك أن أول الحديث يقتضى وجوب الغسل للنهى عن إدخال اليد فى الإناء قبل الغسل ، وآخره يقتضى استحباب الغسل ؛ للتعليل بقوله : « فإنه لا يدرى أن باتت يده » ؛ يعنى فى مكان طاهر من بدنه أو نجس فلما اتقى الوجوب لمانع فى التعليل المنصوص ثبتت السنية ؛ لأنها دون الوجوب (٣) .

وقال الخطاى : الأمر فيه أمر استحباب لا أمر إيجاب ؛ وذلك لأنه قد علقه بالشك والأمر المضمن بالشك لا يكون واجباً ، وأصل الماء الطهارة ، وكذلك بدن الإنسان ، وإذا ثبتت الطهارة يقينا لم تزل بأمر مشكوك فيه (٤) .

(١) عمدة القارى : ٣١٦/٢ .

(٢) طرح التثريب ٤٤/١ .

(٣) عمدة القارى ٣١٤/٢ .

(٤) تحقيق سنن أبى داود نقلا عن الخطاى : ٧/١ ، وعمدة القارى : ٣١٤/٢ .

ولقد أشار الخطابي بهذا إلى أساس القول بالوجوب أو التحريم أو بعدمهما . وهو هل الماء ينجس بالغمس والإدخال قبل الغسل أو لا ؟

فالأكثرون قالوا : لا ينجس ، وله أن يغمس يديه في الإناء قبل غسلهما مع الكراهة ^(١) . وأن الماء طاهر ما لم يتيقن نجاسة يده ، ومن روى عنه ذلك عبيدة ، وابن سيرين وإبراهيم النخعي ، وسعيد بن جبير ، وسالم ، والبراء بن عازب ، والأعمش فيما ذكره البخاري ^(٢) .

وأدخل ابن عمر والبراء بن عازب اليد في الإناء قبل الغسل ثم توضأ ^(٣) . ومن قال لا يهراق الماء كذلك عطاء ، ومالك ، والأوزاعي ، والشافعي ، وأبي عبيدة ^(٤) .

أما الحسن البصري وأهل الظاهر فقالوا : يهراق الماء ، وحكى الخطابي عن داود ومحمد بن جرير وجوب ذلك ، وأنهما رأيا أن الماء ينجس به إذا لم تكن اليد مغسولة ^(٥) ؛ وقد استدلل لهم بما ورد من الأمر بإراقته ؛ لكنه حديث ضعيف أخرجه ابن عدى ^(٦) . وقد اختلف العلماء كذلك في الأمر « فليغسل » أو في النهي « فلا يدخل » هل أحدهما للتعبد أو أنه معقول المعنى ؟

قال بعضهم : هو تعبّد ، حتى إن من تحقق طهارة يده من نومه بأن لفّ عليها ثوباً أو خرقة طاهرة واستيقظ وهو كذلك كان مأموراً بغسلها لعموم أمر المستيقظ بذلك ، وهو أحد الوجهين لأصحاب الشافعي ، وهو مشهور مذهب مالك أنه يستحب وإن تيقن طهارة يده ^(٧) .

(١) شرح السنة : ٤٠٧/١ .

(٢) عمدة القارى : ٣١٤/٢ .

(٣) شرح السنة : ٤٠٧/١ .

(٤) عمدة القارى : ٣١٤/٢ .

(٥) طرح التثريب : ٤٤/١ .

(٦) فتح البارى : ٢٦٣/١ .

(٧) طرح التثريب : ٤٥/١ .

وقال الجمهور إنه معقول المعنى بدليل قوله - ﷺ : في آخر الحديث :

(٣) - إنه لا يدري أين باتت يده : فالتعليل باحتمال النجاسة ، ومقتضاه إلحاق من يشك في ذلك ، ولو كان متيقظاً ، ومفهوماً أن من درى : أين باتت يده لا كراهة ، وإن كان غسلها مستحباً - كما في المستيقظ (١) .

وإذا تقرر ذلك ، وأن الشارع أشار إلى العلة فقد حاول العلماء أن يبينوا السبب من وراء قول الرسول - ﷺ هذا :

قال الشافعي - رضي الله عنه : معناه أن أهل الحجاز كانوا يستنجون بالأحجار ، ويلادهم حارة ، فإذا نام أحدهم عرق ، فلا يأمن النائم أن تطوف يده على ذلك الموضع النجس ، أو على بثره ، أو قملة ، أو قدر أو غير ذلك .

وقال أبو الوليد الباجي : اختلف في سبب غسل اليد للمستيقظ ، فقال ابن حبيب : إما لعلّه قد مس من نجاسة خرجت منه لم يعلم بها ، أو غير نجاسة مما يقدر ، وقيل : لأن أكثرهم كانوا يستجمرون ، وقد يمس بيده أثر النجس ... والأظهر ما ذهب إليه العراقيون من المالكين وغيرهم أن النائم لا يكاد تسلم يده من حك مَعَانِهِ ، أو بثره في بدنه . وقد نص على الأخير الشافعي - رضي الله عنه (٢) .

وفي قوله - ﷺ - : « فإنه لا يدري أين باتت يده » - كما قال البيضاوي إيماء إلى أن الباعث على الأمر بذلك احتمال النجاسة ؛ لأن الشارع إذا ذكر حكماً وعقبه بعلّة دل على أن ثبوت الحكم لأجلها ، ومثله قوله - ﷺ - في شأن المحرم الذي سقط فمات : « فإنه يبعث ملبياً » بعد نهيمهم عن تطييبه ، فَنَبَّهَ على علة النهي ؛ وهي كونه محرماً (٣) .

(١) عمدة القارى : ٣١٦/٢

(٢) طرح التثريب : ٤٥ / ١ - ٤٦ .

(٣) فتح البارى : ٢٦٤ / ١ .

على أن الذين يرون الأمر تعديداً يمكن أن يقولوا إن هذه العلة لا تمنع الغسل مع التيقن من عدم النجاسة ، كما هو الشأن في الرَّمْل في الطواف ، فقد كان لظهور قوة المسلمين أمام قريش ، ثم استمر بعد ذلك سنة .

واستنبط من الحديث - مع ما تقدم :

١ - استدلل الأحناف بهذا الحديث على أن الإِنَاء يغسل من ولوغ الكلب ثلاث مرات ؛ وذلك لأن النبی - ﷺ - أمر القائم من الليل بإفراغ الماء على يده مرتين أو ثلاثاً (في بعض روايات الحديث) ؛ وذلك لأنهم كانوا يتغوطون ويبولون ، ولا يستنجون بالماء ، وربما كانت أيديهم تصيب المواضع النجسة فتتنجس ، فإذا كانت الطهارة تحصل بهذا العدد من البول والغائط ، وهما أغلظ النجاسات - كان أولى وأحرى أن تحصل مما هو دونهما من النجاسات ^(١) .

٢ - استدلل به النسائي على وجوب الوضوء من النوم ، وبوّب عليه في سننه ، وكذا قال ابن عبد البر : فيه إيجاب الوضوء من النوم قال : وهو أمر مجمع عليه في النائم المضطجع الذي قد استثقل نوماً ، وقال زيد بن أسلم والسدي في قوله تعالى : (إذا قمتم إلى الصلاة) أى من النوم ، ثم حكى بعد ذلك اختلاف العلماء في نقض الوضوء بالنوم ، وحكاها النووي أيضاً ^(٢) .

٣ - قوله - ﷺ - : « في الإِنَاء » محمول على ما إذا كانت الآنية صغيرة كالكوز أو كبيرة كالحب ، ومعه آنية صغيرة . أما إذا كانت الآنية كبيرة ، وليست معها آنية صغيرة ، فالنهي محمول على الإدخال على سبيل المبالغة ، حتى لو أدخل أصابع يده اليسرى مضمومة في الإِنَاء دون الكف ، ويرفع الماء منها ، ويصب على يده اليمنى ، ويدلك الأصابع بعضها ببعض ، فيفعل كذلك مرات ، ثم يدخل اليمنى بعد ذلك كما يشاء جاز ^(٣) .

(١) عمدة القارى : ٣١٣/٢ .

(٢) طرح التريب : ٤٩/١ . وانظر تفصيلاً لهذه المسألة في ص ٥٠ - ٥١ . وفي الاستذكار

١٨٩/١ - ١٩٣ .

(٣) عمدة القارى : ٣١٤ / ١ - ٣١٥ .

وخرج بذلك « الإناء » البرك والحياض التي لا تفسد بغمس اليد فيها ، على تقدير نجاستها فلا يتناولها النهى ^(١) . والله أعلم .

ويثير العيني مسألة في غاية من الأهمية ، وهي أن تغير الظروف والأحوال قد تؤدي إلى أن يقول البعض لا حاجة إلى مثل هذا الحديث الشريف . يقول العيني : « فإن قلت : كان ينبغي ألا تبقى السُّنَّة ؛ لأنهم كانوا يتوضعون من الأتوار ، فلذلك أمرهم عليه الصلاة والسلام بغسل اليدين قبل إدخالهما الإناء ، وأما في هذا الزمان فقد تغير ذلك . قلت : السنة لما وقعت سنة في الابتداء بقيت ودامت ، وإن لم يبق ذلك المعنى ؛ لأن الأحكام إنما يحتاج إلى أسبابها حقيقة في ابتداء وجودها لا في بقائها ؛ لأن الأسباب تبقى حكماً ، وإن لم تبقى حقيقة ؛ لأن للشارع ولاية الإيجاد والإعدام ، فجعلت الأسباب الشرعية بمنزلة الجواهر في بقائها حكماً ، وهذا كالرَّمْل في الحج ونحوه » ^(٢) .

وشبيه بهذا ما أثاره البعض عند أبي هريرة وابن عمر - رضى الله عنهم - من إثارة ما يمكن به تعطيل العمل بالحديث من ضرب الأمثال :

عندما حدث أبو هريرة بهذا الحديث قال قيس الأشجعي : كيف إذا جئنا مهرا سكم هذا ، كيف نصنع به ؟ فقال أبو هريرة : أعوذ بالله من شرك ، « فكره أبو هريرة ضرب الأمثال للحديث » ^(٣) .

وعندما حدث ابن عمر بمثل هذا الحديث قال له رجل : أرايت إن كان حوضاً ؟ فحصبه ابن عمر وقال : أخبرك عن رسول الله - ﷺ - تقول : أرايت إن كان حوضاً ^(٤) ، « فكره ابن عمر ضرب الأمثال بحديثه - ﷺ - وكان شديد الاتباع للأثر » ^(٥) .

(١) فتح الباری : ٢٦٤/١ .

(٢) عمدة القاری : ٣١٤/٢ .

(٣) طرح التثريب : ٤٤/١ - ٤٥ .

(٤) عمدة القاری : ٣١٢/٢ .

(٥) طرح التثريب : ٤٥/١ .

ولهذا قال الحافظ العراقي : ينبغي للسامع لأقواله - ﷺ أن يتلقاها بالقبول ودفع الخواطر الرائدة لها ، وأن لا يضرب بها الأمثال ... والأدب مع أقواله بعده كالأدب معه في حياته - ﷺ - لو سمعه يتكلم ، فنسأل الله (عز وجل) أن يحفظ قلوبنا من الخواطر الرديئة ، ويرزقنا الأدب مع الشريعة المطهرة باطنا وظاهرا . والله أعلم » (١) .

٤ - فيه استحباب الأخذ بالاحتياط في أبواب العبادات ؛ قال الخطابي « في الحديث من العلم أن الأخذ بالوثيقة والعمل بالاحتياط في باب العبادات أولى » (٢) قال النووي : ما لم يخرج عن حد الاحتياط إلى حد الوسوسة (٣) .

٥ - فيه من الفقه أن موضع الاستنجاء مخصوص بالرخصة في جواز الصلاة مع بقاء أثر النجاسة عليه عندما يكون بالأحجار وأن ما عداه غير مقيس عليه (٤) .

٦ - فيه استحباب استعمال الكنايات في المواضع التي فيها استهجان ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « فإنه لا يدري أين باتت يده ، ولم يقل : فلعل يده وقعت على كذا ، وإن كان هذا معنى قوله - ﷺ . وهذا إذا علم أن السامع يفهم بالكناية المقصود ، فإن لم يكن كذلك فلا بد من التصريح لينتفى اللبس والوقوع في خلاف المطلوب ، وعلى هذا يحمل ما جاء من ذلك مصرحاً به (٥) .

٧ - فيه أن الماء القليل يؤثر فيه النجاسة وإن لم تغيره . يقول العيني : « وهذه حجة قوية لأصحابنا (أى الأحناف) في نجاسة القلتين ؛ لوقوع النجاسة فيه وإن لم تغيره ، وإلا لا يكون للنهي فائدة » (٦) .

٨ - فيه أن النجاسة المتهمة يستحب فيها الغسل ، ولا يؤثر فيها الرش ؛ فإنه

(١) المصدر السابق : ٥١/١ .

(٢) سنن أبي داود (هامش التحقيق) ٧٧/١ وعمدة القارى ٣١٥/٢ .

(٣) شرح مسلم : ٥٧٠/١ .

(٤) سنن أبي داود : (التحقيق) ٧٧ / ١ .

(٥) عمدة القارى : ٣١٥/٢ .

(٦) المصدر السابق : ٣١٥/٢ .

صلى الله عليه وسلم أمر بالغسل ولم يأمر بالرش (١) . وأما ما ورد من نضح الثوب بعد الاستنجاء فليس ذلك للتطهير ، وإنما هو لدفع الوسواس ، حتى إذا وجد بللاً أحاله على الرش لتذهب عنه الوسوسة . والله تعالى أعلم (٢) .

٩ - اختلف العلماء : هل تزول الكراهة بغسل اليد مرة قبل غمسها ، أو يتوقف زوالها على غسلها ثلاثاً ، على ما ثبت في رواية مسلم ؟

قال الشافعي في مختصر البويطي : فإن لم يغسلها إلا مرة أو مرتين ، أو لم يغسلها أصلاً حين أدخلها في وضوئه فقد أساء . وقال النووي : إن ما نص عليه الشافعي صرح به الأصحاب ، وما نص عليه الشافعي وأصحابه من توقف زوال الكراهة على الثلاث يشكل عليه ما تقدم تصحيحه من أنه لا يكره غمس اليد إذا تحقق طهارتها ، ومعلوم أن المرة الواحدة مطهرة لليد إن لم يكن ثم نجاسة عينية لم يزل حكمها ، فكيف يقال ببقاء الكراهة مع تحقق الطهارة (٣) ؟

١٠ - فيه دليل على الفرق بين ورود النجاسة على الماء القليل ، وورود الماء على النجاسة ؛ فإذا وردت النجاسة على الماء القليل تنجسه ولا تزول النجاسة ، وإذا أورد عليها الماء القليل طهرها (٤) .

١١ - ليست كراهة غمس المتوضئ يده في الإناء قبل غسلها خاصة بحال الاستيقاظ من النوم ؛ لأنه تقدم أن المعنى فيه احتمال النجاسة - كما نبه عليه في آخر الحديث ، وعلى هذا فمن شك في نجاسة يده كره له ذلك وإن لم يكن قد نام (٥) .

وقد قال الشعبي النائم والمستيقظ سواء إذا وجب عليه الوضوء لم يدخل يده في الإناء حتى يغسلها ، ورؤي ذلك عن ابن عمر والحسن وطاوس ، ولعل من أطلق ذلك

(١) المصدر السابق : ٣١٥/٢ .

(٢) طرح التثريب : ٤٨/١ .

(٣) المصدر السابق : ٤٦/١ .

(٤) شرح السنة : ٤٠٨/١ .

(٥) طرح التثريب : ٤٧/١ .

أراد الاعتراض للاستعمال احترازًا عن الوضوء في الأواني الصغار ، ولعل من حجتهم أن النهي عن إدخال يد المستيقظ من النوم في الإناء خرج على جواب سؤال عنه ، فلا يكون له مفهوم ، وذكر بعض أفراد العموم لا يخصص .

ولكن الجمهور يفرق بين المستيقظ من النوم وغيره ممن ليس في معناه وأنه لم ينقل في طرق الحديث خروج ذلك على جواب سؤال فلا يثبت شيء بناء على هذا الاحتمال ^(١) . والله أعلم .

١٢ - قوله : « في الإناء » - وإن كان عاماً لكن القرينة دلت على أنه إناء الماء ، بدليل قوله في هذه الرواية : « في وضوئه » ولكن الحكم لا يختلف بينه وبين غيره من الأشياء الرطبة ^(٢) .

(١) المصدر السابق : ٤٣/١ .

(٢) عمدة القارى : ٣١٥/١ .

٧١ - وقال رسول الله - ﷺ : كُلُّ سُلَامَى مِنْ النَّاسِ عَلَيْهِ
 صدقة كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ؛ قال : تَعْدِلُ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ ^(١) صدقة ، وتعين
 الرجل في دابته وتحمله عليها ، أو ترفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة
 صدقة . وكلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صدقة . وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ
 صدقة .

(١) م : تعدل بين اثنين .

• رواه أحمد (٧٢/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٧٢/١٨٦٨) .

ورواه البخارى في ثلاثة مواضع من طريق الصحيفة كلها وبسند واحد :

في (١٥/٤) (٥٦) كتاب الجهاد - (١٢٨) باب من أخذ بالركاب ونحوه - قال : حدثنا إسحاق ، أخبرنا
 عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن همام ، عن أنس هريرة - رضى الله عنه به (رقم ٢٩٨٩) .

وفي (١٧٠/٣ - ١٧١) (٥٣) كتاب الصلح - (١١) باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم .

وفي (٢٢٤/٣) (٥٦) كتاب الجهاد - (٧٢) باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر . وفيه « ودلَّ
 الطريق صدقة » ، بدلا من « إماطة الأذى عن الطريق صدقة » .

والروايتان الأخيرتان عن إسحاق بن نصر عن عبد الرزاق به ، وساقها البخارى جميعها للاختلاف في لفظها
 بالزيادة والنقص ، وأقرب الروايات إلى روايتنا الأولى .

ورواه مسلم في (٦٩٨/٢ - ٦٩٩) (١٢) كتاب الزكاة - (١٦) باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل
 نوع من المعروف - بسنده للصحيفة . (رقم ١٠٠٩/٥٦) .

وقد أخرج مسلم روايات أخرى تسهم في معنى هذا الحديث منها :

عن عبد الله بن فروخ أنه سمع عائشة تقول : « إن رسول الله - ﷺ - قال : إنه خلق كل إنسان من بنى آدم
 على ستين وثلاثمائة مفصل ، فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله ، وسبح الله ، واستغفر الله ، وعزل حجراً عن طريق الناس
 أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس ، وأمر بمعروف ، أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامي فإنه يمشي
 يومئذ ، وقد زحزح نفسه عن النار » (رقم ١٠٠٧/٥٤) .

وعن سعيد بن أنس بريدة ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي - ﷺ - قال : « على كل مسلم صدقة . قيل أرأيت إن
 لم يجد ؟ قال : يعتمل يديه فينفع نفسه ويتصدق . قال : قيل له : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة

الملهوف . قال : قيل له : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : يأمر بالمعروف أو الخير . قال : أرأيت إن لم يفعل ؟ قال : يمسك عن الشر ؛ فإنها صدقة » . (١٠٠٨/٥٥) .

ورواه البغوى الفراء (١٤٥/٦) بسنده للصحيفة ، وقال : هذا حديث متفق على صحته أخرجه محمد (البخارى) عن إسحاق بن منصور ، وأخرجه مسلم عن محمد بن رافع ، كلاهما عن عبد الرزاق . (رقم ١٦٤٥) .

شرح الحديث :

(١) - كُلُّ سَلَامَى مِنَ النَّاسِ :

السَّلَامَى : بضم السين وفتح الميم مقصور ، وهو جمع سلامية ، وقيل : واحده وجمعه سواء ، ويجمع على سلاميات .

واختلف في معناها فقيل : السلامية الأتملة من أنامل الأصابع ، وقيل السلامى كل عظم مجوف من صغار العظام . وقال أبو عبيد : هو عظم يكون فى فرسن البعير . قال الحافظ العراقى : الصواب أن السلامى هى المفاصل ، وأنها ثلاثمائة وستون مفصلا - كما ثبت ذلك مبينا فى صحيح مسلم من حديث عائشة - رضى الله عنها « حيث بين أن السلامى هى المفاصل ^(١) .

(٢) - كل سلامى من الناس عليه صدقة :

أعاد الضمير فى « عليه » إلى السلامى وهى مؤنثة ، وكان القياس أن يقول : « عليها » ؛ والمعهود فى « كل » إذا أضيفت إلى نكرة أن يجيئ الخبر أو التمييز أو غيرهما على وفق المضاف إليه ؛ كقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) ^(٢) .

قال ابن حجر : دلّ مجيئها فى هذا الحديث على الجواز ، ويحتمل أن يكون ضمن السلامى معنى العظم أو المفصل ، فأعاد الضمير عليه كذلك ^(٣) .

والمعنى : على كل مسلم مكلف بعدد كل مفصل من عظامه صدقة لله تعالى

(١) طرح التثريب : ٢٠٣/٢ .

(٢) آل عمران : ١٨٥ .

(٣) فتح البارى : ١٣٢/٢ .

على سبيل الشكر له عز وجل بأن جعل عظامه مفاصل يتمكن بها من القبض والبسط وبأن أصبح سليماً من الآفات كل يوم باقياً على الهيئة التي تم بها منفعه وأفعاله ، وخصت السلامى بالذكر لما فى التصرف بها من دقائق الصنائع التي اختص بها آدمى (١) . فهي من أعظم نعم الله على الإنسان ، وحق المنعم عليه أن يقابل كل نعمة منها بشكر يخصها ، فيعطى صدقة كما أعطى منفعة (٢) .

والمراد بالصدقة أساساً هي إعطاء المال بدليل الأحاديث الأخرى ، ومنها حديث أبى سعيد الخدرى عند مسلم كما سبق فى التخرىج : « على كل مسلم صدقة . قيل : أرأيت إن لم يجد ، قال : يعتمل بيديه ، فينفع نفسه ويتصدق » الحديث .

وحديث أبى ذر عند مسلم أيضاً (٩٩٧/٢) فى نفس الكتاب والباب اللذين سبقا فى التخرىج) أن ناساً من أصحاب النبى - ﷺ - قالوا للنبي - ﷺ : يا رسول الله ذهب أهل الدثور (المال الكثير) بالأجور ؛ يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم . قال : أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ؟ إن بكل تسبيحة صدقة ... إلخ .

فمن هذا نفهم أن الأمور التي ذكرت فى الحديث إنما هي لمن لم يجد المال ، وأن الله تعالى خفف بأن جعل العدل بين الناس ونحوه صدقة . كما ذكر الحديث الشريف .

وقريب من هذا قول القاضى عياض فيما نقله عنه النووى : « يحتتمل تسميتها صدقة أن لها أجراً كما للصدقة أجر ، وأن هذه الطاعات تماثل الصدقات فى الأجور ، وسماها صدقة على طريق المقابلة وتجنيس الكلام ، وقيل : معناه صدقة على نفسه » (٣) .

وظاهر التعبير فى « عليه صدقة » أن ذلك من الواجبات ؛ لأن السنن لا توصف بأنها على المكلف . والجواب أن هذا قد يطلق فى الفعل المتأكد ، وإن لم يكن واجباً كقوله

(١) فتح البارى : ١٣٢/٦ .

(٢) إرشاد السارى : ٤٢٩/٤ و ١١٣/٥ .

(٣) شرح مسلم : ٤٣/٣ .

— ﷺ — : « للمسلم على المسلم ست خصال ؛ يسلم عليه إذا لقيه » الحديث .
ومعلوم أن النوافل لا تجزى عن الواجبات ، مع الاتفاق على عدم وجوب صلاة الضحى
على عموم الناس . والله أعلم . على أنه يمكن أن تؤول هذه الأفعال المذكورة في الباب على
الوجوب ^(١) . كما سيأتى .

قال القرطبي : ظاهر هذا يقتضى الوجوب ، ولكن خففه الله تعالى ، حيث جعل
ما خفى من المندوبات مسقطاً له .

(٢) تعدل بين الاثنين صدقة :

فاعل تعدل الشخص المسلم المخاطب بهذا ، وهو مبتدأ تقديره « أن تعدل » مثل
قوله : « تسمع بالمعيدي خير من أن تراه » . وقد قال الله سبحانه وتعالى (ومن آياته
يريكم البرق) ^(٢) .

ويحتمل أن يراد به العدل في الأحكام ، من القضاة والأمراء ، ويحتمل أن يراد به
الإصلاح بين الناس ، وإن كان من غير من له ولاية على ذلك ولا تسليط ، وهو الظاهر ؛
لأن عدل القضاة والأمراء واجب لا تطوع ، وقد أدخله البخارى في صحيحه في باب
الإصلاح بين الناس .

وإن أريد حمله على الواجب حقيقة فيحمل على عدل الحكام ^(٣) .

(٣) وتعين الرجل في دابته وتحمله عليها ، أو ترفع عليها متاعه صدقة :

الفاعل المسلم المكلف ^(٤) ، كما في سابقه .

والمعنى أن تتركب العاجز عن الركوب على دابته ، وكذا أن تحمل معه على دابته

(١) طرح التثريب : ٣٠٢/٢ .

(٢) فتح البارى : ١٣٢/٦ - إرشاد السارى : ١٣٣/٥ .

(٣) طرح التثريب : ٣٠٣/٢ .

(٤) إرشاد السارى : ١٣٣/٥ .

متاعه ، ويؤب عليه البخارى : « باب من حمل متاع صاحبه فى السفر » كما مر فى التخرىج .

ويمكن أن يُحمل على الوجوب فى المكارى ؛ فإنه يجب عليه إركاب الشيخ لعجزه عن الركوب وحده ، ويجب عليه إبرك الحمل للمرأة لعجزها ، أو المشقة عليها فى ركوب البعير قائماً . والله أعلم ^(١) .

و « أو » هنا للشك من الراوى أو للتنويع ^(٢) .

(٤) - والكلمة الطيبة صدقة : يحتمل أن يراد بالكلمة الطيبة المخاطبة للناس كأن يجيب السائل بكلمة طيبة من غير إفحاش ، ونحو ذلك ؛ وهو الظاهر ، كما قال فى حديث آخر : « تبسمك فى وجه أخيك صدقة » ، وفى الحديث الآخر : « ولو أن تلقى أخاك ووجهك منشط إليه » .

ويحتمل أن يراد بها الكلمة من الأذكار ؛ كالتهليل والتسبيح والتحميد ، كما هو مصرح به فى حديث عائشة عند مسلم : « فمن كبر الله ، وحمد الله ، وهلل الله ، وسبح الله ... » الحديث . وهو أحد الأقوال فى قوله سبحانه وتعالى (ضرب الله مثلا كلمة طيبة) ^(٣) أن المراد « لا إله إلا الله » . وكذا قيل فى قوله تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب) ^(٤) (٥) .

(٥) - وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة : أى يرفع له بها درجة ، ويحط عنه خطيئة ، ولهذا حث الشارع على كثرة الخطا إلى المساجد ، وترك الإسراع فى السير إليه ^(٦) .

(١) طرح الثريب : ٣٠٣/٢ .

(٢) فتح البارى : ١٣٣/٦ .

(٣) إبراهيم : ٢٤ .

(٤) فاطر : ١٠ .

(٥) طرح الثريب : ٣٠٣/٢ .

(٦) عمدة القارى : ٥٧/١٢ .

وفى هذا ما يقتضى أن ثواب الخطأ إنما هو فى الذهاب إلى المسجد ، دون الرجوع ، وهو محتمل ، لكن قد ورد التصريح فى مسند أحمد بقوله - ﷺ : « ذاهبا وراجعا » (١) .

وإن حملناه على الوجوب فيمكن أن يحمل على السعى الواجب ؛ كالسعى للجمعة ، إلا أنه يردده قوله - ﷺ : « كل يوم تطلع الشمس » فإنما يجب السعى مرة فى الجمعة . نعم ؛ يحمل على قول من أوجب الجماعة فى كل صلاة . والله (٢) أعلم .
والألف واللام فى الصلاة للعهد ، أى الصلوات المكتوبة .

ويحتمل أن تكون للجنس ، فيكون المراد : كل صلاة يشرع المشى إليها كالصلوات المكتوبة ، والعيد والجنائز . وهذا الاحتمال بعيد والله (٣) أعلم .

(٦) - **وتقبط الأذى عن الطريق صدقة** : أى تزيل الأذى عن الطريق ، يقال ماط الرجل الشئ بميطة ميطاً وإمطة إذا أزاله . ويقال : أماط الله عنك الأذى إذا دعوت بزواله (٤) .

ويشمل إزالة كل ما يؤذى المارة من حجر أو شوك ، وكذا قطع الأحجار من الأماكن الوعرة ، وكذا كنس الطريق من التراب الذى يتأذى به المار ، وردم ما فيه من حفرة ، أو وهدة ، وقطع شجرة تكون فى الطريق ، وفى معناه كذلك توسيع الطرق التى تضيق على المارة ، وإقامة من يبيع أو يشتري فى وسط الطرق العامة ؛ كمحل السعى بين الصفا والمروة ونحو ذلك ، فكله من باب إمطة الأذى عن الطريق .

ومن ذلك ما يرتفع إلى درجة الوجوب كالبثر التى فى وسط الطريق التى يخشى أن

(١) طرح التثريب : ٣٠٣/٢ .

(٢) المصدر السابق : ٣٠٣/٢ .

(٣) المصدر السابق : ٣٠٣/٢ - ٣٠٤ .

(٤) عمدة القارى : ٥٧/١٢ .

يسقط فيها الأعمى والصغير والدابة ، فإنه يجب طمُّها ، أو التحويط عليها ، إن لم يضر ذلك بالمارة ^(١) . والله أعلم .

وفى رواية من روايات البخارى - كما رأينا فى التخرىج « وذل الطريق صدقة » وهو أن يدل من لا يعرف الطريق عليها .

هذا وقد جاءت أحاديث عن رسول الله - ﷺ - تذكر بعض الأمور التى اعتبرها الرسول - ﷺ - صدقة ، مما يبين أن ما ذكر فى هذا الحديث لم يكن على سبيل الحصر ، وذلك مثل ما جاء فى رواية عائشة رضى الله عنها ، ومثل ما جاء فى رواية أبى سعيد ، وقد ذكرناهما فى التخرىج ، ومن هذا ما رواه مسلم عن أبى ذر عن رسول الله - ﷺ : « إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليل صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن منكر صدقة ، وفى بضع أحدكم صدقة » ^(٢) . وعن حذيفة ، عن النبى - ﷺ - قال : « كل معروف صدقة » ^(٣) .

وهكذا كل ما يقدمه المسلم من الخير مما عرف فيه رضا الله تعالى فهو صدقة أو ثوابه ثواب الصدقة - جزى الله تعالى نبينا عنا أفضل ما جازى نبيا عن أمته ورسولاً عن قومه ، فقد حمل لنا الخير الكثير من ربه وربنا عز وجل .

وقد حكى عن بعض العلماء أن هذه الأمور التى ذكرت فى الحديث من قول أبى هريرة موقوفة عليه .

وتعقب بأن الفضائل كهذه لا تدرك بالقياس ، وإنما تؤخذ توقيفاً من النبى - ﷺ - ^(٤) .

هذا ما ذكره ابن حجر عليه رحمة الله تعالى . ونضيف أننا رأينا أن بعض ما جاء فى هذا الحديث جاء مثله فى الروايات السابقة التى روينها عن الإمام مسلم عليه رضوان الله تعالى ، وهى عن غير أبى هريرة ، ومرفوعة إلى النبى - ﷺ . والله أعلم .

(١) طرح التثريب : ٣٠٤/٢ .

(٢) الموضوع السابق فى التخرىج . (رقم الحديث ١٠٠٦/٥٣) .

(٣) الموضوع السابق فى التخرىج (رقم الحديث ١٠٠٦/٥٢) .

(٤) فتح البارى : ١٣٣/٦ .

٧٢ - وقال رسول الله - ﷺ : إذا ما رَبُّ النَّعَمِ لم يُعْطِ حقها تُسَلِّطُ عليه يوم القيامة ؛ تَخْبِطُ وجهه بأُخْفَافِها .

• رواه أحمد (٧٣/١٦) ضمن روايته للصحيفة (رقم ٧٣/١٨٦٩) .

ورواه البخارى فى (٦٠/٨) (٩٠) كتاب الحيل - (٣) باب فى الزكاة ، وألا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق خشية الصدقة - عن إسحاق (بن راهويه) عن عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام ، عن أبى هريرة به (رقم ٦٩٥٨) .

كما روى نحوه فى (١١٠/٢) (٢٤) كتاب الزكاة - (٣) باب إنهم مانع الزكاة .. نحوه أتم منه - قال : حدثنا الحكم بن نافع ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد ، أن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج حدثه أنه سمع أبى هريرة ، رضى الله عنه يقول : قال النبى - ﷺ : تأتى الإبل على صاحبها على خير ما كانت إذا هو لم يعط فيها حقها ، تطؤه بأخفافها . وتأتى الغنم على صاحبها على خير ما كانت إذا لم يعط فيها حقها ، تطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها . قال : ومن حقها أن تحلب على الماء . قال : ولا يأتى أحدكم يوم القيامة بشاة يملها على رقبته لها يُعار فيقول : يا محمد ، فأقول : لا أملك شيئاً قد بلغت . (رقم ١٤٠٢) .

وروى مسلم نحوه كجزء من حديث فى (٦٨٦/٢) (١٢) كتاب الزكاة - (٨) باب تغليظ عقوبة من لا يؤدى الزكاة - بسنده عن أبى ذر قال : انتهيت إلى النبى - ﷺ - وهو جالس فى ظل الكعبة ، فلما رآنى قال : هم الأنخسرون ورب الكعبة . قال : فجئت حتى جلست ، فلم أبق أن أقمت ، فقلت : يا رسول الله ! فذاك أبى وأمى ، من هم ؟ قال : هم الأكثرون أموالاً ، إلا من قال : هكذا وهكذا (من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، وقليل ما هم ، ما من صاحب إبل ولا بقرة ولا غنم لا يؤدى زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه ، تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ، كلما نفدت أحرأها عادت عليه أولأها ، حتى يقضى بين الناس .

ورواه البغوى (٤٧٩/٥ - ٤٨٠) مع الحديث الآتى بسند واحد هو سنده للصحيفة وقال : هذا حديث صحيح . (رقم ١٥٦٢) .

شرح الحديث :

(١) - إذا ما رَبُّ النَّعَمِ : ما زائدة ، والرب هنا بمعنى المالك ، وله معانٍ آخر ، ويستعمل فى حق غير الله تعالى مضافاً ؛ كما فى هذا الحديث ، ولا يستعمل مع الإطلاق إلا فى حق الله تعالى (١) .

(١) طرح التثريب : ٥/٤ .

والتَّعَمُّمُ : الإبل والغنم والبقر ، وقيل الإبل والغنم فقط . حكاها في المحكم ، وقيل : الإبل فقط .

ويؤيد القول الأول قوله تعالى : (ومن الأنعام حمولة وفرشاً) [الأنعام : ١٤٢] ثم فسرته الآيات بعد ذلك بالإبل والبقر والغنم .

ويؤيد القول الثالث اقتصاره هنا على الأخفاف ؛ فإنها للإبل خاصة ^(١) .

وقال القاضي عياض : هي الإبل خاصة ، فإذا قيل الأنعام دخلت معها في ذلك البقر والغنم وقيل : هما لفظان بمعنى واحد على الجميع ^(٢) .

والأرجح أن يكون المراد كل هذه الأنواع الثلاثة بدليل حديث أنى ذر الذى ذكرناه في التخريج ، فيه : « ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم ... » .

(٢) - لم يعط حقها : أى لم يؤد زكاتها ، كما جاء في حديث أنى ذر الذى ذكرناه في التخريج .

(٣) - تسلط عليه يوم القيامة : أى إن الله تعالى يحبسها بعينها ليعاقبه بها ، وفي ذلك معاملة له بنقيض قصده ؛ لأنه قصد بمنع حق الله تعالى فيها الارتفاق والانتفاع بما منعه ، فكان ذلك الذى قصد الانتفاع به أضر الأشياء عليه ، وسلط عليه حتى باشر عقوبته بنفسه ^(٣) .

(٤) - تُخَبِّطُ وجهه بأخفافها : أى تضرب وجهه ، وفي رواية البخارى « تطؤه بأخفافها » وفي رواية لمسلم من طريق أنى صالح عن أنى هريرة : « ما من صاحب إبل لا يؤدى حقها منها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر (مستوى من الأرض واسع) أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها ^(٤) .

(١) فتح البارى : ٣٣٢/١٢ .

(٢) مشارق الأنوار : ١٧/٢ .

(٣) طرح التثريب : ٦/٤ .

(٤) مسلم (٦٨٠/٢) (١٢) كتاب الزكاة - (٦) باب إثم مانع الزكاة .

فإذا كان مقتضى روايتنا أن تضربه وهو قاعد - فإن هاتين الروايتين تبيينان أنه يُطرح لها أى يلقى على قفاه ، فتضربه وتطوّه . ويجب الأخذ بهذه الرواية الأخيرة لأن فيها زيادة ، والزيادة يجب الأخذ بها ^(١) .

وإذا كان حق الفقراء إنما هو فى القدر الواجب دون جميع المال ، وكان مقتضى ذلك أنه لا يعاقب إلا بخبط القدر الواجب خاصة - فإنه من جهة أخرى قد أمر بتطهير ماله بالزكاة فلما لم يخرجها كان المال كله غير مطهر ، ولم يؤد حق الله فى جميعه ، والفقراء حينئذ ليس لهم شئ معين ، بل حقهم فى جميع المال ^(٢) .

على أنه - بهذا الاعتبار - إذا كان ما هو أقل من خمس وعشرين من الإبل لا تكون زكاته من جنسه بل من الغنم - فإن هذه تعتبر مقابلاً لجزء من هذه الإبل ، فيصدق عليها ما قلناه .

ويستنبط من الحديث - فوق ما تقدم :

وجوب الزكاة فى الإبل والبقر والغنم على ما رجحناه من أن لفظ « النعم » يشملها .

(١) طرح الثريب : ٦/٤ .

(٢) المصدر السابق : ٦/٤ .

٧٣ - وقال رسول الله - ﷺ : يكونُ كَنْزٌ أَحَدِكُمْ يومَ القيامةِ شُجَاعاً أَقْرَعَ ، يَفْرُ منه صاحبه ، ويطلبه ويقول : أنا كنزك . قال : والله لن يزَالَ يَطْلُبُهُ حتى يَنْسُطَ يَدَهُ فَيَلْقَمَهَا فَأَه .

(١) م = والله إن يزال .

• رواه أحمد (٧٤/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام - (رقم ٧٤/٨١٧٠) .

ورواه البخاري في (٦٠/٨) (٩٠) كتاب الحيل - (٣) باب في الزكاة - من طريق إسحاق (ابن راهويه) ،

عن عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة به . (رقم ٦٩٥٧) .

وروى نحوه في (١٧٢/٥) (٣/٦٥) كتاب التفسير - (١٤) باب (ولا يحسبن الذين ييخلون بما آتاهم الله

من فضله) - من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله

- ﷺ : من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، يأخذ بلهزيمتيه - يعنى

بشدقيه يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ، ثم تلا هذه الآية (ولا يحسبن الذين ييخلون بما آتاهم الله من فضله) إلى آخر

الآية الكريمة [آل عمران ١٨٠] (رقم ٤٥٦٥) .

كما روى في (١١٠/٢ - ١١١) (٢٤) كتاب الزكاة - (٣) باب إنم مانع الزكاة - حديث عبد الرحمن هذا .

(رقم ١٤٠٣) .

وروى جزءاً منه في (٢٠٣/٥) (٩/٦٥) كتاب التفسير - (٦) باب (والذين يكتزون الذهب والفضة

ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرهم بعذاب أليم) - عن الحكم بن نافع ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد : أن

عبد الرحمن الأعرج حدثه : أنه قال حدثني أبو هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله - ﷺ يقول : « يكون كنز

أحدكم يوم القيامة شجاعاً أقرع » .

ورواه البغوي (٤٨٠/٥) في باب وعيد مانع الزكاة . هو والحديث السابق بسند واحد وهو سنده للصحيفة -

كما ذكرنا . وقال : هذا حديث صحيح (رقم ٤٨٠) .

شرح الحديث :

(١) - يكون كنز أحدكم : قال ابن عبد البر : الكنز في لسان العرب هو المال

المتجمع المخزون فوق الأرض كان ، أو تحتها ، ذكره صاحب العين وغيره بمعناه ^(١) ، وأما في

(١) طرح التثريب : ٧/٤ .

قوله تعالى : (والذين يكنزون الذهب والفضة)^(١) وما في معناه فالجمهور على أنه ما لم تؤد زكاته ، وعليه جماعة فقهاء الأمصار ، ثم ذكر ذلك عن عمر ، وابنه عبد الله ، وجابر ابن عبد الله وابن مسعود ، وابن عباس ، ثم استشهد لذلك بما رواه عن أم سلمة قالت : « كنت ألبس أوضاحاً من ذهب ، فقلت : يا رسول الله ، أكنز هو ؟ . قال : « ما بلغ أن تؤدى زكاته فزكى فليس بكنز » قال : وفي إسناده مقال .

ولكن رواه الحاكم وقال : هذا صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه ووافقه الذهبى^(٢) .

قال ابن العراق : « أخرج أبو داود^(٣) ، وقال والدى - رحمه الله - في شرحه للترمذى : إسناده جيد ؛ رجاله رجال البخارى .

قال ابن عبد البر : ويشهد بصحته حديث أبى هريرة أن النبى - ﷺ قال : « إذا أدبت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك »^(٤) .

وهذا الحديث رواه الترمذى وقال : حسن غريب^(٥) . ورواه الحاكم فى مستدركه وقال : صحيح من حديث المصريين^(٦) ، وذكر الحافظ العراقى : أنه على شرط ابن حبان فى صحيحه^(٧) .

(١) التوبة : ٣٤ .

(٢) المستدرک : ٣٩٠/١ - كتاب الزكاة .

(٣) السنن (٢١٢/٢ - ٢١٣) (٣) كتاب الزكاة - (٣) باب الكنز ما هو - وزكاة الحلى . وقال المنذرى : فيه عتاب بن بشير ، أبو الحسن الحرانى ، وقد أخرج له البخارى ، وتكلم فيه غير واحد .

(٤) طرح الثريب ٧/٤ .

(٥) السنن (٥ ، ٤/٣) (٥) كتاب الزكاة - (٢) باب ما جاء إذا أدبت الزكاة فقد قضيت ما عليك

(رقم ٦١٨) .

(٦) المستدرک : ٣٩٠/١ - كتاب الزكاة .

(٧) طرح الثريب ٧/٤ ووافقه الذهبى .

وفي معناه أيضاً حديث جابر مرفوعاً : « إذا أديت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره .. رواه الحاكم في مستدركه ، وصححه على شرط مسلم ^(١) ، ورجح البيهقي وقفه على جابر ^(٢) . وكذلك ذكره ابن عبد البر ، وكذا صحح أبو زرعة وقفه على جابر ، وذكره بلفظ « ما أدى زكاته فليس بكنز » ^(٣) . وروى البيهقي عن ابن عمر مرفوعاً : « كل ما أدى زكاته فليس بكنز ، وإن كان مدفوناً تحت الأرض ، وكل ما لا يؤدي زكاته فهو كنز ، وإن كان ظاهراً » . قال البيهقي : ليس هذا بمحفوظ ، والمشهور عن سفيان ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر موقوفاً ^(٤) .

وفي سنن أبي داود عن ابن عباس : لما نزلت هذه الآية (والذين يكتزون الذهب والفضة) قال : كبر ذلك على المسلمين ، فقال عمر : أنا أفرج عنكم ، فانطلق ، فقال للنبي - ﷺ : يا نبي الله كبر على أصحابك هذه الآية : فقال رسول الله - ﷺ : « إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليُطيب ما بقي من أموالكم » ^(٥) الحديث .

قال ابن عبد البر : والاسم الشرعي قاض على الاسم اللغوي ، وما أعلم مخالفاً في أن الكنز ما لم تؤد زكاته إلا شيئاً روى عن علي وأبي ذر والضحاك ، ذهب إليه قوم من أهل الزهد قالوا : « إن في المال حقاً سوى الزكاة » .

أما أبو ذر فقد ذهب إلى أن كل مال مجموع يفضل عن القوت وسداد العيش فهو كنز ، وأن آية الوعيد نزلت في ذلك ، وأما عليّ فروى عنه أنه قال : أربعة آلاف نفقه

(١) المستدرک : ٣٩٠/١ - کتاب الزکاة .

(٢) السنن الكبرى (٨٤/٤) کتاب الزکاة - باب الدلیل علی أن من أدى فرض الله فی الزکاة فليس علیه أكثر منه .

(٣) طرح التثريب ٧/٤ .

(٤) السنن الكبرى (٨٣/٤) کتاب الزکاة - باب تفسیر الکثر الذی ورد الوعيد فيه .

(٥) السنن (٣٠٥/٢ - ٣٠٦) (٣) کتاب الزکاة - (٣٢) باب فی حقوق المال - ورواه الحاكم وقال : هذا حديث صحيح ولم يخبر به . ولم يوافقه الذهبي ، بل قال : عثمان (بن القطان ، وهو بين غيلان بن جامع وجعفر بن إياس) لا أعرفه والخبر عجيب . المستدرک (٣٣٣/٢) کتاب التفسیر - تفسیر سورة التوبة .

هذا والذي في سنن أبي داود : « غيلان عن جعفر بن إياس » وليس بينهما عثمان (طبعة حلب ٣٠٦/٢ - طبعة مصطفى الحلبي ٣٨٧/١) .

فما كان فوقها فهو كنز . وأما الضحاك فقال : من ملك عشرة آلاف درهم فهو من الأكثرين الأخصرين ، إلا من قال بالمال هكذا وهكذا ، وكان مسروق يقول في قوله عز وجل (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) هو الرجل يرزقه الله المال فيمنع قرابته الحق الذى فيه فيجعل حية يطوقها ^(١) .

قال ابن عبد البر : وهذا ظاهر في أنه غير الزكاة ويحتمل أنه الزكاة . قال : وسائر العلماء من السلف والخلف على ما تقدم في الكنز . وما استدل به من الأمر بإتفاق الفضل فمعناه أنه على النذب ، أو يكون قبل نزول فرض الزكاة ، ونسخ بها كما نسخ صوم عاشوراء برمضان ، وعاد فضيلة بعد أن كان فريضة ^(٢) .

روى البخارى تعليقا قال : « وكان أحمد بن شبيب بن سعيد يقول : حدثنا أبى ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن خالد بن أسلم ، قال : خرجنا مع عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - فقال أعرابى : أخبرنى عن قول الله (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) . قال ابن عمر - رضى الله عنهما : من كنزها ، فلم يؤد زكاتها فويل له ، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة ، فلما أنزلت جعلها الله طهراً للأموال » ^(٣) .

ثم قال ابن عبد البر : على أن أبا ذر أكثر ما تواتر عنه في الأخبار الإنكار على من أخذ المال من السلاطين لنفسه ، ومنع منه أهله ، فهذا ما لا خلاف عنه في إنكاره . وأما إيجاب غير الزكاة فمختلف عنه فيه . وتأول القاضى عياض أيضا كلام أبى ذر على نحو ذلك ، فقال : الصحيح أن إنكاره إنما هو على السلاطين الذين يأخذون المال لأنفسهم من بيت المال ، ولا ينفقونه في وجوهه .

(١) طرح التثريب : ٧/٤ - ٨ .

(٢) المصدر السابق : ٨/٤ .

(٣) هذا التعليق وصله أبو داود في الناسخ والمنسوخ عن محمد بن يحيى الذهلى ، عن أحمد بن شبيب بإسناده . وأخرجه البيهقى فقال : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو محمد دعلج بن أحمد السخيتاني ببغداد ، حدثنا محمد بن على بن زيد الصائغ ، حدثنا أحمد بن شبيب ، حدثنا أبى إلى آخره بهذا الإسناد . (عمدة القارى : ١٨٣/٧) .

ولعل ابن عبد البر أراد بالسلطين بعض نواب الخلفاء ك معاوية ، وقد وقع بينه وبين أنى ذر بسبب هذه الآية تشاجر أوجب انتقال أنى ذر إلى المدينة ؛ كان معاوية يقول : هى فى أهل الكتاب خاصة . وقال أبو ذر : هى فىنا وفيهم ^(١) .

وعلى كل حال فمذهب جمهور الصحابة ومن بعدهم على أن الوعيد على مانعى الزكاة ^(٢) . وحجتهم ما روى عن النبى ﷺ - من غير وجه أنه ذكر الزكاة ، فقال رجل : يا رسول الله ، هل على غيرها ؟ فقال : « لا إلا أن تتطوع » ^(٣) .

(٢) - شجاعاً أقرع : الشجاع الحية ، وسمى أقرع لأنه يقرع السم ويجمعه فى رأسه حتى تتساقط منه فروة رأسه . وقيل : هو ضرب من الحيات لطيف دقيق ، وهو كما زعموا أقرؤها . وقيل : ضرب من الحيات توابث الفارس والراجل ويقوم على ذنبه . وربما بلغ وجه الفارس ، يكون فى الصحارى .

والأقرع هو الذى فى رأسه بياض ، وقيل : كلما كثر سمه ابيض رأسه ^(٤) . وظاهر الحديث أن الله تعالى يصير نفس المال بهذه الصفة ، ولا مانع منه ، ويكون عقابه يوم القيامة على يديه ، ويقول له : أنا كنزك لزيادة حسرته وندمه حيث لا ينفعه ذلك ^(٥) . ويستنبط من الحديث مع ما تقدم : وجوب الزكاة فى الذهب والفضة ، وهو مجمع عليه ^(٦) . والله أعلم .

(١) طرح التثريب : ٨/٤ .

وقد روى البخارى فى صحيحه بسنده عن زيد بن وهب قال : مررت على أنى ذر بالرُبَذة ، فقلت ما أنزلك بهذه الأرض ؟ . قال : كنا بالشام ، فقرأت (والذين يكتزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها فى سبيل الله ، فبشرهم بعذاب أليم) . قال معاوية : ما هذه فىنا ، ما هذه إلا فى أهل الكتاب . قال : قلت : إنها لفينا وفيهم (كتاب التفسير ٩/٦٥) - (٦) باب قوله « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .

(٢) فتح البارى ٢٧٣/٣ .

(٣) سنن الترمذى (٥/٣) - (٥) كتاب الزكاة - (٢) باب ما جاء إذا أدت الزكاة فقد قضيت ما عليك .

(٤) عمدة القارى ١٨١/٧ .

(٥) طرح التثريب : ٩/٤ .

(٦) المصدر السابق : ٩/٤ .

٧٤ - وقال رسول الله - ﷺ : لا يُبَالُ في الماء الدائم الذي لا يجري ، ثم يُغتسل به .

• • •

• رواه عبد الرزاق (٨٩/١) في باب البول في الماء الدائم ولفظه : « لا يبولن أحكم في الماء الدائم الذي لا يجري ، ثم يتوضأ منه . (رقم ٢٩٩) » .

ورواه أحمد (٧٤/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام . (رقم ٧٥/٨١٧١) وفيه : « لا تبُل في الماء الدائم الذي لا يجري ، ثم تغتسل منه » قال الأستاذ أحمد شاكر : « وقوله : « لا تبُل في الماء الدائم » هو الثابت في أصول المسند وجامع المسانيد ، وهو الموافق لرواية مسلم من طريق الصحيفة . وفي الصحيفة المفردة : « لا يبال في الماء الدائم » وما في المسند أوثق وأصح » .

نقول : أيما كان الأمر فعند البغوي ، والبيهقي - وروايتهما تلتقي مع رواية الصحيفة المفردة في اثنين من الرواة قبل عبد الرزاق - عندهما « لا يبال في الماء الدائم » كما هنا .

وكما رأينا عند عبد الرزاق ، لا هذا ولا ذاك في موضعين :

(١) « لا يبولن » - و (٢) « ثم يتوضأ منه » .

وعند الترمذي (١٠٠/١) أبواب الطهارة - (٥١) باب ما جاء في كراهية البول في الماء الراكد - ما يوافق ما عند عبد الرزاق في المصنف ؛ فقد رواه عن محمود بن غيلان حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « لا يبولن أحكم في الماء الدائم ، ثم يتوضأ منه » ثم قال : هذا حديث حسن صحيح . (رقم ٦٨) .

ورواه مسلم في (٢٣٥/١) (٢) كتاب الطهارة - (٢٨) باب النهي عن البول في الماء الراكد - بسنده للصحيفة . (رقم ٢٨٢/٩٦) .

كما روى نحوه من طريق ابن سيرين ، عن أبي هريرة . (٢٨٢/٩٥) .

وعن الليث عن أبي الزبير عن جابر عن رسول الله - ﷺ أنه « نهى أن يبال في الماء الراكد » (٢٨١/٩٤) .

ورواه البيهقي (٢٣٤/١) في كتاب الطهارة - جماع أبواب ما يفسد الماء - باب الماء الدائم تقع فيه نجاسة ، وهو أقل من قلتين بسنده عن أبي بكر القطان ، عن السلمي ، عن عبد الرزاق ، عن معمر به .

ورواه البغوي في (٦٦/٢) باب النهي عن البول في الماء الدائم بسنده للصحيفة ، ثم قال : هذا حديث متفق على صحته أخرجه مسلم ، عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق . وأخرجاه من أوجه عن أبي هريرة .

وروى البخارى في (٦٥/١) (٤) كتاب الوضوء - (٦٨) باب البول في الماء الدائم - عن أبى الجمان ، عن شعيب قال : أخبرنا أبو الزناد : أن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج حدثه : أنه سمع أبا هريرة : أنه سمع رسول الله - ﷺ يقول : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، وبإسناده نحوه .

نتاول تعليقنا على هذا الحديث في نقاط :

(١) - وجدنا اختلافاً في روايات هذا الحديث ؛ ففى بعضها مثلاً : « ثم يغتسل منه » وفى بعضها : « ثم يتوضأ منه » ولا تعارض فى هذا ، ولا فى غيره ، وإن اختلف معنى الوضوء عن الغسل وعن الشرب ، « فقد صح الكل ، ومحملة أن النبى - ﷺ ذكر الثلاثة ، فأدى بعضهم واحداً ، وأدى بعضهم اثنين على ما حفظ كل واحد من الرواة » . فهى أحاديث متعددة ؛ لأن الاغتسال والوضوء مما يمكن السؤال عنه ^(١) .

(٢) - الماء الدائم : هو الساكن ، يقال : دوم الطائر تدوماً إذا صف جناحيه فى الهواء فلم يحركهما . وقال ابن الأنبارى : الدائم من حروف الأضداد ؛ يقال : للساكن والدائر ، ومنه : أصاب الرأس دوام أى دوار ، وقيل الدائم والراكد مقابلان للجارى ، لكن الدائم الذى له نبع ، والراكد الذى لا نبع له ^(٢) .

(٣) - الذى لا يجرى : هو إيضاح لمعنى الماء الدائم ، أو هو احتراز بقوله : « الذى لا يجرى » عن راكد يجرى بعضه كالبرك ، وقيل : احتراز به عن الماء الدائر ؛ لأنه جارٍ من حيث الصورة ، ساكن من حيث المعنى ^(٣) .

(٤) - لا ييال فى الماء الدائم ، الذى لا يجرى ، ثم يغتسل به :

هذا أسلوب خبرى ، ولا نافية ، ولكنه يراد به الإنشاء ، أى النهى بدليل الروايات الأخرى من حديث همام : « لا يبولن » و « لا تبول » كما سبق فى التخريج ، ومعلوم أن

(١) طرح التثريب : ٣٠/٢ .

(٢) فتح البارى : ٣٤٦/١ - ٣٤٧ .

(٣) عمدة القارى : ٤٨/٣ .

الأسلوب الخبرى أبلغ فى النهى من الأسلوب الإنشائى ؛ لأنه يتضمن النهى وزيادة - كما هو معروف عند علماء البلاغة .

ومعنى « ثم يغتسل به » على أحد ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : النهى عن البول ، والنهى عن الاغتسال : أى لا تبلولوا فى الماء الدائم ولا تغتسلوا فيه .

وقد يؤيد هذا المعنى ما رواه ابن حبان بسنده عن أبى هريرة - رضى الله عنه يقول : قال رسول الله - ﷺ : « لا يغتسل أحدكم فى الماء الدائم وهو جنب ، فقالوا : كيف نفعل يا أبا هريرة ؟ . قال : يتناوله تناولاً » ^(١) وقد بَوَّب له ابن حبان بقوله : « ذكر الزجر عن اغتسال الجنب فى أقل من القلتين من الماء حذر نجاسة على بدنه إن بقيت » ^(٢) .

فدل هذا على أن المنع من الانغماس فى الماء فى الغسل لئلا يصير الماء مستعملاً فيمتنع على الغير الانتفاع به . والصحاحى أعلم بمواد الخطاب من غيره ^(٣) . أو لتنجسه بما يبقى على الجسد من نجاسة كما يشير ابن حبان .

وما رواه أيضاً بسنده عن جابر ، عن رسول الله - ﷺ : « أنه نهى عن أن يبال فى الماء الراكد » ^(٤) فمعنى ذلك أن كلا منهما مقصود النهى عنه بمفرده ولهذا بَوَّب له ابن حبان بقوله : « ذكر الزجر أن يتبول المرء فى الماء الذى لا يجرى إذا كان ذلك دون قلتين » ^(٥) .

وقد استدلل أبو يوسف بهذا المعنى على نجاسة الماء المستعمل ؛ فإنه قرن بين

(١) ورواه مسلم (٢٣٦/١) (٢) كتاب الطهارة - (٢٩) باب النهى عن الاغتسال فى الماء الراكد . (رقم ٢٨٣/٩٧) .

(٢) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان : ٣٩٥/٢ .

(٣) فتح البارى : ٣٤٧/١ .

(٤) ورواه مسلم (٢٣٥/١) (٢) كتاب الطهارة - (٢٨) باب النهى عن البول فى الماء الراكد . (رقم ٢٨١/٩٤) .

(٥) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان : ٣٩٤/٢ .

الغسل فيه والبول فيه ، أما البول فيه فينجسه فكذلك الغسل فيه ، وفي دلالة القران بين الشيئين على استوائهما في الحكم خلاف بين العلماء ، فالمذكور عن أنى يوسف والمزنى ذلك ، وخالفهما غيرهما ^(١) .

وتعقب ابن حجر هذا الرأي فقال : « وُرِدَ بأنها دلالة اقتران ، وهى ضعيفة ، وعلى تقدير تسليمها فلا يلزم التسوية » ^(٢) .

ولكن العينى ناقش هذا فقال : « وقال بعضهم : واستدل به بعض الحنفية على تنجس الماء المستعمل ؛ لأن البول يُنَجِّسُ الماء ، فكذلك الاغتسال ، وقد نبى عنهما معاً ، وهو للتحريم ، فدل على أن النجاسة فيهما ثابتة . ورد بأنها دلالة اقتران وهى ضعيفة . قلت (أى العينى) : هذا عجب منه ؛ فإنه إذا كانت دلالة الاقتران صحيحة عنده فبقوله : « وهى ضعيفة » يرد على قائله على أن مذهب أكثر أصحاب إمامه مثل مذهب بعض الحنفية .

« ثم قال هذا القائل : وعلى تقدير تسليمها فلا ^(٣) يلزم التسوية ، فيكون النهى عن البول لثلاثين نجسه ، وعن الاغتسال فيه لثلاثين يسلبه الطهورية . قلت (أى العينى) : هذا أعجب من الأول ؛ لأنه تحكم ، حيث لا يفهم هذه التسوية من نظم الكلام ، والذي احتج به فى نجاسة الماء المستعمل يقول بالتسوية من نظم الكلام ^(٤) .

وواضح تماماً - كما هنا - وكما هو موجود فى فتح البارى الذى نقل منه العينى بعض نصوصه أن الأخير يقصد بـ « قال بعضهم » أو « قال هذا القائل » ابن حجر .

وعلى هذا الوجه أيضاً فى فهم الحديث استدلل به الشافعى والجمهور على أن الماء المستعمل مسلوب الطهورية ، فلا يتطهر به مرة أخرى ، ولولا الاغتسال فيه يخرج منه عن كونه يغتسل به مرة أخرى لما نهى عنه ^(٥) .

(١) عمدة القارى : ٤٩/٣ .

(٢) فتح البارى : ٣٤٧/١ .

(٣) فى عمدة القارى « قد » وما أثبتناه من « فتح البارى ٣٤٧/١ » وهو الذى يتلاءم مع السياق .

(٤) عمدة القارى ٤٩/٣ .

(٥) طرح التثريب : ٣٤/٢ .

الوجه الثاني : المعنى هو النهى عن الجمع بين البول والغسل أو الوضوء ، وتنصب « يغتسل » على تقدير « أن » ، أى لا يجمع أحدكم بين الأمرين .
ويقوى هذا الوجه : رواية أبى داود : « لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم ولا يغتسل فيه من الجنابة » (١) .

وتعقب النووى هذا رأى فقال : « وأما النصب فلا يجوز ؛ لأنه يقتضى أن المنهى عنه الجمع بينهما دون أفراد أحدهما ، وهذا لم يقله أحد ، بل البول فيه منهى عنه ؛ سواء أراد الاغتسال فيه أو منه أم لا » (٢) .

ولكن ابن دقيق العيد بيّن أن هذا التعليل الذى علّل به امتناع النصب ضعيف ؛ لأنه ليس فيه أكثر من أن هذا الحديث لا يتناول النهى عن البول فى الماء الراكد بمفرده ، وليس يلزم أن يدل على الأحكام المتعددة بلفظ واحد ، فيؤخذ النهى عن الجمع من هذا الحديث ، ويؤخذ النهى عن الأفراد من حديث آخر (٣) .

كما ذكر القرطبى أنه لا يجوز النصب ، ولكن بتعليل آخر غير تعليل النووى ، وهو أنه لا يجوز النصب بأن المقدرة بعد « ثم » (٤) .

ولكن ابن مالك أجاز ذلك بإعطاء « ثم » حكم الواو (٥) .

الوجه الثالث : المعنى : لا يبول أحدكم فى الماء الدائم ؛ لأنه يحتاج إليه فيمتنع عليه استعماله (٦) وكما قال النووى : لا تبل ، ثم أنت تغتسل منه (٧) ، فهذا تنبيه على مآل الحال .

(١) السنن (٥٦/١) (١) كتاب الطهارة (٣٦) باب البول فى الماء الراكد (رقم ٧٠) .

(٢) شرح النووى على مسلم : ٥٧٧/١ .

(٣) طرح التثريب : ٣١/٢ .

(٤) المصدر السابق : ٣١/٢ .

(٥) فتح البارى : ٣٤٧/١ .

(٦) المصدر السابق : ٣٤٧/١ .

(٧) شرح النووى على مسلم : ٥٧٧/١ .

ويكون هذا كالحديث الصحيح : لا يضرب أحدكم امرأته ضرب الأمة ، ثم يضاجعها «^(١) فالمراد النهي عن الضرب ؛ لأنه يحتاج في مآل حاله إلى مضاجعتها فتمتنع لإساءته إليها فلا يحصل له مقصوده «^(٢) .

(٥) - قال العيني : احتج به أصحابنا (أى الحنفية) أن الماء الذى لا يبلغ الغدير العظيم إذا وقعت فيه نجاسة لم يجز الوضوء به قليلاً كان أو كثيراً ، وعلى أن القلتين تحمل النجاسة ؛ لأن الحديث مطلق ، فبإطلاقه يتناول القليل والكثير ، والقلتین والأكثر منهما ، ولو قلنا : إن القلتين لا تحمل النجاسة لم يكن للنهي فائدة ، وهذا الحديث أصح من حديث القلتين «^(٣) .

وأجاب أصحاب الشافعى عن هذا بأن الحديث الذى معنا يتعذر العمل بعمومه إجماعاً ؛ لأن الماء الدائم الكثير المستبحر لا تؤثر فيه النجاسة اتفاقاً بين الأحناف والشافعية ، وإذا بطل عمومه وتطرق إليه التخصيص خصصناه بحديث القلتين فيحمل عمومه على ما دون القلتين جمعاً بين الحديثين ؛ فإن حديث القلتين يقتضى عدم تنجيس القلتين فما فوقهما ، وذلك أخص من مقتضى الحديث العام ، والخاص مقدم على العام «^(٤) . والله أعلم .

(١) طرح الثريب : ٣٠/٢ .

(٢) فتح البارى : ٣٤٧/١ .

(٣) عمدة القارى : ٤٩/٣ .

وحديث القلتين هو : « إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً » .

رواه الشافعى وأحمد والأربعة أصحاب السنن وابن حبان والحاكم والدارقطنى والبيهقى من حديث عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه ، ولفظ أبى داود : « سئل رسول الله ﷺ - عن الماء وما ينبو من الدواب والسباع ، فقال - ﷺ - : إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث [السنن ٥١/١ (١) كتاب الطهارة - (٣٣) باب ما ينجس الماء] ، ولفظ الحاكم : « إذا كان الماء قلتين لم ينجسه شيء » ، وفى رواية لأبى داود وابن ماجه : « فإنه لا ينجس » . قال الحاكم : صحيح على شرطهما ، وقد احتجا بجميع رواته . (التلخيص الحبير ١٦/١ - ٢٠) .

(٤) طرح الثريب : ٣٢/٢ .

(٦) - في هذا الحديث حجة للقول القديم للشافعي أن الماء الجاري ، وإن كان قليلاً ، لا تؤثر فيه النجاسة إلا إذ غيرته فإنه ينجس إجماعاً ، فأما إذا لم يتغير فمفهوم الحديث إخراجه عن الماء الدائم في أنه ليس منياً عن البول فيه ، ولا عن الاغتسال منه ، وهو مفهوم صفة ، وهو حجة على الصحيح في الأصول .

وخصص جمهور أصحاب الشافعي مفهوم هذا الحديث بمفهوم حديث القلتين ، فإن مفهومه تأثير النجاسة فيما دونها جارياً كان أو راكداً . والله أعلم ^(١) .

(٧) - فيه دليل على تحريم الغسل والوضوء بالماء النجس ^(٢) .

(٨) - احتج به أحمد - رحمه الله - على أن بول الآدمي وما في معناه من العذرة ينجس الماء الراكد ، وإن كان أكثر من قلتين ، وأن غير ذلك من النجاسات يعتبر فيه القلتين فلم تُعدَّ حكم البول والعذرة إلى غيرهما من النجاسات ، وفي كلام بعض الشراح عن أحمد تقييد العذرة بالمائعة ، وكأنها هي التي عنده في معنى البول دون الجامدة .

أما غيره فقال : إن النهي لمعنى النجاسة ، وعدم التقرب إلى الله تعالى بما خالطها وهذا المعنى يستوى فيه سائر الأنجاس ، ويحمل الحديث على أن ذكر البول ورد تنبيهاً على غيره مما يشاركه في معناه من الاستقذار ^(٣) .

(٩) - ويفترق الحكم بالنسبة إلى قلة الماء وكثرته في النهي عن البول في الماء الراكد ؛ فإن كان الماء كثيراً فالنهي عن ذلك على وجه التنزه ، وإن كان قليلاً فالنهي عن الوجوب ، قال الإمام النووي : « وهذا النهي في بعض المياه للتحريم ، وفي بعضها للكراهة ، ويؤخذ ذلك من حكم المسألة ؛ فإن كان الماء كثيراً جارياً لم يحرم البول فيه لمفهوم الحديث ، ولكن الأولى اجتنابه ، وإن كان قليلاً جارياً فقد قال جماعة من أصحابنا يكره ، والمختار أنه يحرم ؛ لأنه يقدره ، وينجسه على المشهور من مذهب الشافعي وغيره ،

(١) المصدر السابق : ٣٢/٢ .

(٢) عمدة القاري : ٥٠/٣ .

(٣) طرح التثريب : ٣٢/٢ ، ٣٣ .

وَيُغَرُّ غَيْرُهُ فَيَسْتَعْمَلُهُ مَعَ أَنَّهُ نَجَسٌ ، وَإِنْ كَانَ الْمَاءُ كَثِيرًا رَاكِدًا فَقَالَ أَصْحَابُنَا يَكْرَهُ وَلَا يَحْرَمُ ، وَلَوْ قِيلَ : يَحْرَمُ لَمْ يَكُنْ بَعِيدًا ؛ فَإِنَّ النِّهْيَ يَقْتَضِي التَّحْرِيمَ عَلَى الْمُخْتَارِ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ وَالْأَكْثَرِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَصُولِ ، وَفِيهِ مِنَ الْمَعْنَى أَنَّهُ يُقَدَّرُ ، وَرَبَّمَا أَدَّى إِلَى تَنْجِيسِهِ بِالْإِجْمَاعِ لِتَغْيِيرِهِ ، أَوْ إِلَى تَنْجِيسِهِ عِنْدَ أَى حَنِيفَةٍ وَمِنْ وَافَقِهِ فِي أَنَّ الْغَدِيرَ الَّذِي يَتَحَرَّكُ بِتَحَرُّكِ طَرَفِهِ الْآخَرَ يَنْجَسُ بِوُقُوعِ نَجَسٍ فِيهِ . وَأَمَّا الرَّاكَدُ الْقَلِيلُ فَقَدْ أَطْلَقَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ مَكْرُوهٌ ، وَالصَّوَابُ الْمُخْتَارُ أَنَّهُ يَحْرَمُ الْبَوْلُ فِيهِ ؛ لِأَنَّهُ يَنْجَسُهُ ، وَيَتَلَفُ مَالِيَتَهُ ، وَيُغَرُّ غَيْرُهُ بِاسْتِعْمَالِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ » ^(١) .

هَذَا وَقَدْ حَمَلَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى النِّهْيَ عَلَى التَّنْزِيهِ فِيمَا لَا يَتَغَيَّرُ ، هُوَ قَوْلُ الْبَاقِينَ فِي الْكَثِيرِ ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَى التَّحْرِيمِ مُطْلَقًا عَلَى قَاعِدَةِ سَدِّ الذَّرِيعَةِ ؛ لِأَنَّهُ يَفْضَى إِلَى تَنْجِيسِ الْمَاءِ ^(٢) .

(١٠) - هَلْ يَلْحَقُ بِالنِّهْيِ عَنِ الْبَوْلِ فِي الْمَاءِ الرَّاكَدِ الِاسْتِنْجَاءُ فِيهِ ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ تَقْذِيرِهِ ، أَوْ لَيْسَ الِاسْتِنْجَاءُ فِي حُكْمِ الْبَوْلِ ؟

قَالَ النَّوَوِيُّ : « وَأَمَّا انْغِمَاسُ مَنْ لَمْ يَسْتَنْجِ فِي الْمَاءِ لَيْسَتْ جُنَى فِيهِ ؛ فَإِنْ كَانَ قَلِيلًا بِحَيْثُ يَنْجَسُ بِوُقُوعِ النِّجَاسَةِ فِيهِ فَهُوَ حَرَامٌ ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ تَلَطُّخِهِ بِالنِّجَاسَةِ وَتَنْجِيسِ الْمَاءِ ؛ وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا لَا يَنْجَسُ بِوُقُوعِ النِّجَاسَةِ فِيهِ ؛ فَإِنْ كَانَ جَارِيًا فَلَا بَأْسَ بِهِ ، وَإِنْ كَانَ رَاكِدًا فَلَيْسَ بِحَرَامٍ ، وَلَا تَظْهَرُ كِرَاهَتُهُ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي مَعْنَى الْبَوْلِ وَلَا يُقَارِبُهُ ، وَلَوْ اجْتَنَبَ الْإِنْسَانُ هَذَا كَانَ أَحْسَنَ » ^(٣) .

(١) شرح مسلم : ٥٧٧/١ - وقوله : « ويتلف ماليته » كذا بالأصل ، وربما هي : « ويتلف ماهيته » فهي أقرب إلى المعنى .

(٢) فتح الباري : ٣٤٨/١ .

(٣) شرح مسلم : ٥٧٨/١ .

قال الحافظ العراقي معقبا على كلام النووي : « فإن كان أراد الاستنجاء من البول فواضح ، وإن أراد الاستنجاء من الغائط ففي عدم الكراهة نظر ، خصوصاً لمن لم يخففه بالحجر ، ومع الانتشار والكثرة ؛ فربما كان أفحش من البول » والله أعلم ^(١) .

(١١) - في الرواية التي معنا : « ثم يغتسل به » وفي رواية أحمد : « ثم يغتسل منه » وفي بعض الروايات « ثم يغتسل فيه » .

أما على روايتنا فيحتمل النهي عن الأخذ من الماء المبال فيه للغسل ، أو الانغماس فيه ولكن رواية « ثم يغتسل منه » فتدل على منع التناول بالنص والانغماس بالاستنباط ورواية « ثم يغتسل فيه » تدل على العكس ؛ أى على منع الانغماس بالنص ومنع التناول بالاستنباط ^(٢) . والله تعالى أعلم .

★ ★ ★

(١) طرح التثريب : ٣٦/٢ .

(٢) فتح الباري ٣٤٨/١ - عمدة القارى : ٤٨/٣ .

٧٥ - وقال رسول الله - ﷺ : « ليس المسكين هذا الطَّوْفُ الذى يَطُوفُ على الناس ؛ تُرَدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ؛ إِنَّمَا الْمُسْكِينُ الذى لا يجد غِنَى يُعْغِيهِ ، وَيَسْتَحْيِي أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ ، وَلَا يُفْطَنَ لَهُ ، فَيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ .

• رواه أحمد (٧٥/١٦) ضمن روايته للصحيفة (رقم ٧٥/٨١٧٢) .

وروى نحوه البخارى فى (١٣١/٢) (٢٤) كتاب الزكاة - (٥٣) باب قول الله تعالى : (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا) [٢٧٣ البقرة] - من طريق شعبة ، عن محمد بن زياد ، عن أنس هريرة (رقم ١٤٧٩) .

ومن طريق مالك ، عن أنس الزناد ، عن الأعرج ، عن أنس هريرة (رقم ١٤٧٩) .

وفى (١٦٤/٥) - (٢/٦٥) كتاب التفسير - (٤٨) باب (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا) - من طريق شريك ابن أنس نمر ، من عطاء بن يسار ، وعبد الرحمن بن أنس عمرة الأنصارى ، عن أنس هريرة - رضى الله عنه - قال : قال النبى - ﷺ : ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان ، ولا اللقمة ولا اللقمتان ، إنما المسكين الذى يتعفف ؛ اقرعوا إن شئتم - يعنى قوله تعالى - (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا) . (رقم ٤٥٣٩) .

كما روى نحوه مسلم فى (٧١٩/٢) (١٢) كتاب الزكاة - (٣٤) باب المسكين الذى لا يجد غنى ، ولا يفطن له ، فيتصدق عليه . من طريق المغيرة الحزامى عن أنس الزناد ، عن الأعرج ، عن أنس هريرة (رقم ١٠٣٩/١٠١) ومن طريق شريك عن عطاء بن يسار عن أنس هريرة (١٠٣٩/١٠٢) .

ومن طريق شريك أيضا وعبد الرحمن بن أنس عمرة عن أنس هريرة (١٠٣٩/١٠٢) .

ورواه البغوى (٨٧/٦) فى باب من لا تحل له الصدقة من الأغنياء والأقوياء بسنده للصحيفة (رقم ١٦٠٣) وقال : هذا حديث متفق على صحته .

شرح الحديث :

(١) ليس المسكين هذا الطواف الذى يطوف على الناس :

قال البغوى : هذا الحديث يدل على أن المسكين كان فى المتعارف عندهم هو الطواف السائل ، فأخبر النبى - ﷺ أن المسكين الذى لا يسأل ، ولا يفطن إليه

فيعطى ؛ لأن السائل قد تأتبه بمسألته كفايته ، فتزول حاجته ، ويسقط عنه اسم المسكنة ، ولا يزول عمن لا يفطن به ، فيعطى ^(١) .

وقال العلماء فى معنى الحديث : إن المسكين الكامل المسكنة هو المتعفف الذى لا يطوف على الناس ولا يسألهم ولا يفطن لحاله ، وليس معناه نفى أصل المسكنة عن الطّواف ، وإنما معناه نفى كمالها ، وهذا كقوله عليه الصلاة والسلام : « أتدرون من المفلس » وكقوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن ^(٢) » .

وقد ذهبوا إلى هذا المعنى لأن اسم المسكين يطلق على الطّواف الذى يطوف أيضاً ، وقد استدلل ابن عبد البر على إطلاقه اسم المسكنة على الطّواف بحديث أم نجيد مرفوعاً : « ردوا المسكين ولو بظلف مُحَرَّق » ويقول عائشة رضى الله عنها : « إن المسكين ليقف على بابى » الحديث ، وقد جعل الله تعالى الصدقات للفقراء والمساكين ، وأجمعوا على أن السائل الطّواف المحتاج مسكين ^(٣) .

(٢) - إنما المسكين الذى لا يجد غنى يُغنيه : معناه لا يجد شيئاً يقع موقعاً من حاجته ويسدها ^(٤) ، وقد ورد فى هذا ما رواه الترمذى وغيره من حديث ابن مسعود مرفوعاً : « من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته فى وجهه خموش . قيل : يا رسول الله ، وما يغنيه ؟ قال : خمسون درهماً ، أو قيمتها من الذهب » ^(٥) .

قال الإمام الترمذى بعد روايته : حديث ابن مسعود حديث حسن ، وقد تكلم

(١) شرح السنة : ٨٧/٦ .

(٢) طرح التثريب : ٣٢/٤ .

(٣) المصدر السابق : ٣٢/٤ ، ٣٣ وحديث أم نجيد فى الترمذى (٤٣/٣ - ٤٤) - (٥) كتاب الزكاة

- (٢٩) باب ما جاء فى حق السائل .

(٤) فتح البارى : ٣٤١/٣ .

(٥) السنن (٣١/٣ - ٣٢) (٥) كتاب الزكاة - (٢٢) باب ما جاء من تحل له الزكاة (رقم ٦٥٠) .

شعبة في حكيم بن جبير من أجل هذا الحديث ^(١) والعمل على هذا عند بعض أصحابنا . وبه يقول الثوري ، وعبد الله بن المبارك ، وأحمد ، وإسحاق ؛ قالوا : إذا كان عند الرجل خمسون درهما لم تحل له الصدقة .

ثم قال الترمذى : ولم يذهب بعض أهل العلم إلى حديث حكيم بن جبير ، ووسعوا في هذا وقالوا : إذا كان عنده خمسون درهما أو أكثر ، وهو محتاج ، فله أن يأخذ الزكاة ، وهو قول الشافعى وغيره من أهل الفقه والعلم ^(٢) .

وقد قال الإمام الشافعى - رضى الله عنه - : قد يكون الرجل غنيا بالدرهم مع الكسب ، ولا يغنيه الألف ، مع ضعفه في نفسه وكثرة عياله ^(٣) .

(٣) - فيصدق عليه : قد أثبت الله سبحانه وتعالى للمسكين والفقر لكل واحد منهما سهماً في الصدقات . ولكن العلماء اختلفوا في معنى كل منهما :

١ - قال ابن عباس : المسكين الطَّوَّاف .

٢ - وقال مجاهد وعكرمة والزهرى : المسكين الذى يسأل ، والفقر الذى لا يسأل .

٣ - وقال قتادة : الفقر : الذى به زَمَانَةٌ ، والمسكين : الصحيح المحتاج .

٤ - وقال الشافعى : الفقر من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعاً ؛ زَمناً كان أو غير زَمْنٍ ، والمسكين من له مال أو حرفة ولا تغنيه ؛ سائلاً كان أو غير سائل ،

(١) روى الإمام الترمذى هذا الحديث أيضاً من طريق سفيان عن حكيم بن جبير ، ثم روى : فقال له عبد الله بن عثمان صاحب شعبة : لو غير حكيم حدث بهذا الحديث ؟ فقال له سفيان : سمعت زبيداً يحدث بهذا الحديث عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد .

وقال ابن حجر في الفتح : ونص أحمد في « علل الخلال » وغيرها أن رواية زبيد موقوفة (فتح ٣/ ٣٤١) .

(٢) السنن : ٣/ ٣٢٢ .

(٣) فتح البارى : ٣/ ٣٤٢ .

فالمسكين عنده أحسن حالا من الفقير ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال : (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) ^(١) أثبت لهم الملك مع اسم المسكنة ^(٢) .

وقد استدلل أصحاب هذا الرأي بهذا الحديث ؛ إذ قوله - ﷺ « يُغْنِيهِ » أى عنده قدر زائد على اليسار ، إذ لا يلزم من حصول اليسار للمرء أن يَغْنَى به بحيث لا يحتاج إلى شيء آخر . قال القسطلاني : « واللفظ محتمل لأن يكون المراد نفى أصل اليسار ، ولأن يكون المراد نفى اليسار المقيد بأنه يغنيه مع وجود أصل اليسار ، وعلى الاحتمال الثاني ففيه أن المسكين هو الذى يقدر على مال أو كسب يقع موقعاً من حاجته ولا يكفيه كتمانته من عشرة ، وهو حينئذ أحسن حالا من الفقير ، فإنه الذى لا مال له أصلاً ، أو يملك ما لا يقع موقعاً من كفايته ، كثلاثة من عشرة » ^(٣) .

٥ - وقال بعض العلماء : هما سواء .

ويستنبط من الحديث مع ما تقدم :

١ - أن المسكنة إنما تحمد مع العفة عن السؤال والصبر على الحاجة .

٢ - فيه استحباب الحياء فى كل الأحوال .

٣ - حسن الإرشاد لوضع الصدقة ، وأن يتحرى وضعها فيمن صفتها التعفف دون الإلحاح ^(٤) .

★ ★ ★

(١) الكهف : ٨٠ .

(٢) شرح السنة : ٨٨/٦ .

(٣) إرشاد السارى : ٦٤/٣ .

(٤) فتح البارى ٣/٣٤٣ .

٧٦ - وقال رسول الله - ﷺ : لا تصوم المرأة وبعلمها شاهد إلا بإذنه ، ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه ، وما أنفقت من كسبه من (١) غير أمره فإن نصف أجره له .

(١) م : عن غير .

• رواه عبد الرزاق في (٣٠٥/٤) كتاب الصيام - باب صيام المرأة بغير إذن زوجها - عن معمر عن همام ابن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله - ﷺ . وفيه : « لا تصومن امرأة تطوعاً وبعلمها شاهد إلا بإذنه » و « ما أنفقت » بدون ولو (رقم ٧٨٨٦) .

كما روى جزءاً منه في (١٤٧/٤) كتاب الزكاة - باب صدقة المرأة بغير إذن زوجها - عن معمر ، عن همام أيضا .

ورواه أحمد (٧٦/١٦ - ٧٧) (٧٦/١٦ - ٧٧) ضمن روايته لصحيفة همام ، (رقم ٧٧/٨١٧٣) ، ٧٨ ، ٧٩) وقد وزع الأستاذ ، أحمد شاكر هذا الحديث في تلك الأرقام الخاصة بالصحيفة ؛ « لأن البخاري فصل الجزء الأول والجزء الأخير ، وجعل كلا منهما حديثاً مستقلاً ، كما سيظهر من التخريج » - (٧٦/١٦) .

ونرى أن هذا لم يكن مبرراً كافياً لذلك ، خاصة وأننا نعلم أن البخاري قد يقطع الحديث ، ويورد أجزاء منه فقط .

وروى البخاري في (٨/٣) (٣٤) كتاب البيوع - (١٢) باب قول الله تعالى : (أنفقوا من طيبات ما كسبتم) [البقرة ٢٦٧] عن يحيى بن جعفر : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام قال : سمعت أبا هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال : « إذا أنفقت المرأة من كسب زوجها من غير أمره فلها نصف أجره » (رقم ٢٠٦٦) .

كما روى في (١٩٢/٦) (٦٩) كتاب النفقات - (٥) باب نفقة المرأة إذا غاب عنها زوجها ، ونفقة الولد - من هذا الطريق نفسه هذا الجزء من الحديث . (رقم ٥٣٦٠) .

وروى في (١٥٠/٦) (٦٧) كتاب النكاح - (٨٤) باب صوم المرأة بإذن زوجها تطوعاً - عن محمد بن مقاتل ، عن عبد الله ، عن معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة ، عن النبي - ﷺ - قال : لا تصوم المرأة وبعلمها شاهد إلا بإذنه . (رقم ٥١٩٢) .

وروى نحوه كاملاً في (١٥٠/٦) (٦٧) كتاب النكاح أيضا (٨٦) باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه - عن أبي اليمان ، عن شعيب ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة (رقم ٥١٩٥) .

كما روى نحو جزئه الأخير في (١١٧/٢) (٢٤) كتاب الزكاة - (١٧) باب من أمر خادمه بالصدقة ، ولم يتناول نفسه - من طريق منصور ، عن شقيق (أبي وائل) ، عن مسروق ، عن عائشة (رقم ١٤٢٥ - وقارن بما في [٢٦] باب أجر المرأة إذا تصدقت أو أطعمت من بيت زوجها غير مفسدة - أرقام ١٤٣٩ - ١٤٤٠ - ١٤٤١ . و [٣٤] كتاب البيوع [١٢] باب قول الله تعالى [أنفقوا من طيبات ما كسبتم] [رقم ٦٥٢٠] . ورواه مسلم في (٧١١/٢) (١٢) كتاب الزكاة - (٢٦) باب ما أنفق العبد من مال مولاه - بسنده للصحيفة وفيه : « لا تصم المرأة » (رقم ١٠٢٦/٨٤) .

كما روى حديث أبي وائل ، عن مسروق ، عن عائشة ، من طرق عدة (أرقام ٨٠ - ٨١/١٠٢٤) . ورواه أبو داود (٣١٧/٢) (٣) كتاب الزكاة - (٤٤) باب المرأة تتصدق من بيت زوجها - عن الحسن بن علي ، عن عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن همام بن منبه قال سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « إذا أنفقت المرأة من كسب زوجها من غير أمره فلها نصف أجره » (رقم ١٦٨٧) . وفي (٨٢٧/٢) (٨٢٧) (٨) كتاب الصوم - (٧٤) باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها - بالطريق نفسه ، وبالجزئين الآخرين من الحديث ، وفيه « غير رمضان » . ورواه البغوي في (٢٠٢/٦) كتاب الزكاة - باب المرأة تتصدق من مال الزوج والهازن والعبد من مال المولى - بسنده للصحيفة . وقال : هذا حديث متفق على صحته .

شرح الحديث :

(١) لا تصوم المرأة : هذا نفى يراد به النهي ، ووروده بلفظ الخبر أبلغ في النهي لأنه يدل على تأكيد الأمر فيه . ويؤيد هذا ورود بعض الروايات بالنهي ، ومنها رواية مسلم - كما سبق في التخريج « لا تصم » (١) .

وقد استنبط العلماء من ذلك أن النهي للتحريم ، ويؤيد هذا أيضا رواية في صحيح البخاري بلفظ : « لا يحل » وهي صريحة في التحريم (٢) . ، وبه صرح الشافعية (٣) . والمراد بالنهي صوم التطوع والمنذور الذي ليس له وقت معين ، كما تدل عليه رواية أبي داود - كما سبق في التخريج : « في غير رمضان » ، وهذا لا بد من استثنائه فلا يحتاج في

(١) فتح الباري : ٢٩٦/٩ .

(٢) المصدر السابق : ٢٩٥/٩ .

(٣) شرح مسلم للنووي : ٦٥/٣ .

صوم رمضان إلى إذنه ولا يتمنع بمنعه ، وفي معنى صوم رمضان كل صوم واجب مضيق كقضاء رمضان إذا تعدت بالإفطار ، أو كان الفطر بعذر ، ولكن ضاق وقت القضاء بأن لم يبق من شعبان إلا قدر القضاء ، أو نذرت قبل النكاح أو بعده بإذنه صيام أيام بعينها . والموسع كقضاء رمضان إذا كان الفطر بعذر ولم يضق الوقت ، والكفارة والنذر الذى ليس له وقت معين فهو كالتطوع فى أن له منعها منه ^(١) قال الإمام البغوى فى هذا : « فأما قضاء رمضان فتستأذنه ما بين شوال إلى شعبان ، قالت عائشة : إن كان ليكون على صيام من رمضان فلا أستطيع أن أقضيه حتى يأتى شعبان ، وهذا يدل على أن حق الزوج محصور بالوقت ، وإذا اجتمع مع الحقوق التى يدخلها المهلة كالحيض ونحوه قدم عليها » ^(٢) .

(٢) - **وبعلها شاهد إلا بإذنه** : أى زوجها مقيم فى البلد ، وهذا الإذن قد يكون صريحاً أو ما يقوم مقامه من احتفاف القرائن التى تدل على رضاه .

ومفهوم هذا أن لها صوم التطوع فى غيبته ، والمراد بالغيبة هنا الغيبة المعتبرة فى أكثر المسائل الشرعية ، وهى أن يكون على مسافة القصر ، ولو ظنت قدومه فى بقية اليوم بسبب من الأسباب فينبغى تحريم صوم ذلك اليوم ^(٣) .

وفى معنى الغيبة أن يكون مريضاً لا يمكنه الاستمتاع بزوجه ، فلها حينئذ الصوم من غير إذنه فيما يظهر ^(٤) .

وقد بين الإمام النووى السبب فى تحريم هذا الصوم فقال : « إن الزوج له حق الاستمتاع بها فى كل الأيام ، وحقه واجب على الفور ، فلا يفوته بتطوع ولا بواجب على التراخى ، فإن قيل : فينبغى أن يجوز لها الصوم بغير إذنه ، فإن أراد الاستمتاع بها كان له

(١) طرح التثريب : ١٤١/٤ .

(٢) شرح السنة : ٢٠٣/٦ .

(٣) طرح التثريب : ١٤١/٤ .

(٤) المصدر السابق : ١٤١/٤ .

ذلك ، ويفسد صومها فالجواب أن صومها يمنعه من الاستمتاع في العادة ؛ لأنه يهاب انتهاك الصوم بالإفساد » ^(١) .

(٣) - ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه :

قيد « وهو شاهد » لا مفهوم له ، بل خرج مخرج الغالب ، وإلا فغيبية الزوج لا تقتضى الإباحة للمرأة أن تأذن لمن يدخل بيته ، بل يتأكد حينئذ عليها المنع ؛ لثبوت الأحاديث الواردة في النهي عن الدخول على المغيبات ، أى من غاب عنها زوجها .

ويحتمل أن يكون له مفهوم ، وذلك أنه إذا حضر تيسر استئذانه ، وإذا غاب تعذر ، فلو دعت الضرورة إلى الدخول عليها لم تفتقر إلى استئذانه لتعذره .

وهذا كله فيما يتعلق بالدخول عليها ، أما مطلق دخول البيت بأن تأذن لشخص في دخول موضع من حقوق الدار التى هى فيها ، أو إلى دار منفردة عن سكنها - فالذى يظهر أنه ملتحق بالأول ^(٢) .

قال النووي : « فيه إشارة إلى أنه لا يفتات على الزوج وغيره من مالكي البيوت وغيره بالإذن في أملاكهم إلا بإذنهم ، وهذا محمول على ما لا يعلم رضا الزوج ونحوه به ، فإن علمت المرأة ونحوها رضاه به جاز ^(٣) ، كمن جرت عادته بإدخال الضيفان موضعاً معداً لهم سواء كان حاضراً أو غائباً ، فلا يفتقر إدخالهم إلى إذن خاص لذلك ، وحاصله أنه لا بد من اعتبار إذنه تفصيلاً أو إجمالاً ^(٤) .

وقد ذكر ابن حجر أن في الحديث حجة على المالكية في تجويز دخول الأب ونحوه بيت المرأة بغير إذن زوجها . وأجابوا عن الحديث بأنه معارض بصلة الرحم ، وأن بين الحديثين عمومًا وخصوصًا وجهًا فيحتاج إلى مرجح ، ويمكن أن يقال : صلة الرحم إنما

(١) شرح مسلم للنووى : ٦٥/٣ .

(٢) فتح البارى : ٢٩٦/٩ .

(٣) شرح مسلم للنووى : ٦٥/٣ .

(٤) فتح البارى : ٢٩٦/٩ .

تندب بما يملكه الواصل ، والتصرف في بيت الزوج لا تملكه المرأة إلا بإذن الزوج ، فكما لأهلها ألا تصلهم بماله إلا بإذنه فأذنهم لهم في دخول البيت كذلك (١) .

وقد روى أبو داود سببا لهذا الحديث الشريف ؛ فعن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - قال جاءت امرأة إلى النبي - ﷺ ، ونحن عنده فقالت : يا رسول الله ، إن زوجي صفوان بن المعطل يضربني إذا صليت ، ويفطرنني إذا صمت ، ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس . قال : وصفوان عنده ، قال : فسأله عما قالت . فقال : يا رسول الله ، أما قولها يضربني إذا صليت فإنها تقرأ بسورتين ، وقد نهيتها . قال : فقال : لو كانت سورة واحدة لكفت الناس ، وأما قولها : يفطرنني ، فإنها تنطلق فتصوم ، وأنا رجل شاب ، فلا أصبر فقال رسول الله - ﷺ يومئذ : لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها ، وأما قولها : إني أصلي حتى تطلع الشمس فإنما أهل بيت قد عرف لنا ذاك ، لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس . قال : فإذا استيقظت فصل (٢) .

(٤) - وما أنفقت من كسبه من غير أمره :

معناه : ما أنفقت من غير أمره الصريح في ذلك القدر المعين ، ويكون معها إذن عام سابق متناول لهذا القدر وغيره ، صراحة أو عرفا ، ولابد من هذا التأويل ؛ لأنه - ﷺ - جعل الأجر مناصفة ، ومعلوم أنها إذا أنفقت من غير إذن صريح ، ولا معروف من العرف فلا أجر لها ، بل عليها وزر (٣) .

(١) فتح الباري : ٢٩٧/٩ .

(٢) السنن (٨٢٧/٢ - ٨٢٨) - (٨) كتاب الصوم - (٧٤) باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها .

(رقم ٢٤٥٩) .

قال الخطابي معلقا على قوله - ﷺ : « فإذا استيقظت فصل » : يشبه أن يكون ذلك منه على معنى ملكة الطبع واستيلاء العادة ، فصار كالشيء المعجوز عنه ، وكان صاحبه في ذلك إنما كان يصيبه في بعض الأوقات دون بعض ، وذلك إذا لم يكن في حضرته من يوقظه ويبعثه من المنام . فيتأدى به النوم حتى تطلع الشمس دون أن يكون ذلك منه في عامة الأوقات ، فإنه قد يبعد أن يبقى الإنسان على هذا في دائم الأوقات ، وليس بحضرته أحد لا يصلح هذا القدر من شأنه ، ولا يراعى مثل هذا من حاله ، ولا يجوز أن يظن به الامتناع من الصلاة في وقتها ذلك مع زوال العذر بوقوع التنبيه والإيقاظ ممن يحضره ويشاهده . والله أعلم (تحقيق سنن أنس بن مالك ٨٢٨/٢) .

(٣) شرح مسلم للنووي : ٦٣/٣ .

وهذا يتعلق بالقدر اليسير الذى يعلم رضا المالك به فى العادة ، فإن زاد على المتعارف لم يجوز ، وهذا معنى قوله - ﷺ - فى بعض الأحاديث : « إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة » فأشار - ﷺ - إلى أنه قدر يعلم رضا الزوج به فى العادة ^(١) .

كما أن قوله - ﷺ - « من طعام بيتها » يخصص العام الذى معنا : « من كسبه » ، فالطعام هو الذى يسمح به فى العادة بخلاف النقود فى حق أكثر الناس ، وفى كثير من الأحوال .

ويمكن أن يكون المعنى : ما إذا أنفقت من مالها الذى اكتسبه وأعطاه لها فى نفقتها ، فلها الأجر ، وإن لم يأذن لها فى إنفاقه ؛ لأنه خالص ملكها ، وله الأجر باكتسابه ودفعه لها ، كما قال أبو هريرة فيما رواه أبو داود بسنده فى المرأة تصدق من بيت زوجها قال : لا ، إلا من قوتها ، والأجر بينهما ، ولا يحل لها أن تصدق من مال زوجها إلا بإذنه ^(٢) .

قال صاحب طرح التثريب : وهذا إما مرفوع إن كان لا يقال مثله من قبل الراى ، وإما موقوف لكنه من كلام راوى الحديث ؛ فهو أعلم بتفسيره ، والمراد به ^(٣) .

قال أبو داود : « وهذا يضعف حديث همام » .

وليس المراد ضعفه من حيث الصحة ، وإلا فحديث همام بلا شك أصح ؛ لأنه - على الأقل - صريح فى الرفع . ولكنه يريد - كما قال ابن حجر - : أنه يُضَعَّفُ حمله على التعميم ^(٤) ؛ أى ليست عبارة « وما أنفقت من غير أمره » على عمومها ، وإنما هى خاصة بإنفاقها من نفقتها ؛ كما يدل على ذلك هذا الحديث .

(١) المصدر السابق : ٦٣/٣ .

(٢) السنن (٣١٨/٢) - (٣) كتاب الزكاة - (٤٤) باب المرأة تصدق من بيت زوجها . رقم

(١٦٨٨) .

(٣) طرح التثريب : ١٤٤/٤ .

(٤) فتح البارى : ٢٩٧/٩ .

على أنه قد ورد من الأحاديث ما يدل ظاهره على التعارض بينه وبين هذا الحديث ؛ ومن ذلك ما رواه أبو داود بسنده عن سعد (ابن أبي وقاص) قال : لما بايع رسول الله - ﷺ - النساء قامت امرأة جلييلة كأنها من نساء مضر ، فقالت : يا نبي الله ، إنا كلُّ على آبائنا وأبنائنا - قال أبو داود : وأرى فيه : وأزواجنا - فما يحل لنا من أموالهم ؟ فقال : الرُّطْبُ تأكلنه وتهدينه ^(١) .

وأخرج الترمذى وابن ماجه عن أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله - ﷺ - في خطبة الوداع يقول : لا تنفق امرأة شيئا من بيت زوجها إلا بإذن زوجها . قيل : يا رسول الله ، ولا الطعام ؟ قال : ذاك أفضل أموالنا ^(٢) .

إذا كان ظاهر هذين الحديثين التعارض مع حديثنا فإنه يمكن الجمع بأن المراد بالحديث الذى معنا ما يتسارع إليه الفساد من الطعام . أما غيره فلا يكون الإنفاق منه إلا بإذن الزوج .

وقد ذكر الحافظ العراقى كلاماً طيباً فى الجمع بين الأحاديث المختلفة التى وردت فى هذا الموضوع ، قال : وكيفية الجمع بينها أن ذلك يختلف باختلاف عادات البلاد ، وباختلاف حال الزوج فى مساحته بذلك ، وكراهته له ، وباختلاف الحال فى الشيء المنفق بين أن يكون شيئاً يسيراً يتسامح به ، وبين أن يكون له خطر فى النفس يبخل بمثله ، وبين أن يكون رطباً يخشى فساده إن تأخر ، وبين أن يكون يدخر ولا يخشى عليه .

واستشهد بقول الخطائى عقب حديث عائشة : « إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة » : هذا الكلام خارج على عادة الناس بالحجاز ، وبغيرها من

(١) السنن : (٣١٦/٢ - ٣١٧) (٣) كتاب الزكاة - (٤٤) باب المرأة تصدق من بيت زوجها (رقم ١٦٨٦) وقال عقبة : الرطب الخبز والبقل والرطب ..

(٢) سنن الترمذى : (٤٨/٣ - ٤٩) - (٥) كتاب الزكاة - (٣٤) باب فى نفقة المرأة من بيت زوجها - وقال عقبة : « حديث أبى أمامة حديث حسن » واللفظ له . (رقم ٧٦٠) .

وسنن ابن ماجه : (٧٧٠/٢) (١٢) كتاب التجارات - (٦٥) باب ما للمرأة من مال زوجها (رقم ٢٢٩٥) .

البلدان ، فى أن رب المال قد يأذن لأهله ولعياله ، وللخادم فى الإنفاق بما يكون فى البيت من طعام وإدام ونحوه ، ويطلق أمرهم فى الصدقة منه ، إذا حضرهم السائل ، ونزل بهم الضيف ، فحضرهم رسول الله - ﷺ على لزوم هذه العادة ، واستدامة ذلك الصنيع ، ووعدهم الأجر والثواب عليه « ... وليس ذلك بأن تفتت المرأة أو الخازن على رب البيت بشيء لم يؤذن لهما فيه ، ولم يطلق لهما الإنفاق منه ، بل يُخاف أن يكونا آثمين إن فعلا .

كما استشهد بكلام لابن العربى والمنذرى لا يخرج عن هذا ^(١) .

(٥) - فإن نصف أجره له : أى والنصف الآخر لها ، ويدل لذلك قوله فى رواية أبى داود : « فلها نصف أجره » ^(٢) ، فحصل من مجموع الروایتين أنه بينهما نصفين . ويوافق ذلك ما فى صحيح مسلم ، عن عمير مولى أبى اللحم قال : أمرنى مولى أن أقدم لحماً ، فجاءنى مسكين ، فأطعمته منه ، فعلم بذلك مولى فضربنى ، فأتيت رسول الله - ﷺ - فذكرت ذلك له ، فدعاه ، فقال : لم ضربتة ؟ فقال : يعطى طعامى بغير أن آمره ، فقال : الأجر بينكما ^(٣) .

وهذه المناصفة ليست على حقيقتها وظاهرها ، بل المراد أن لهذا ثواباً ولهذا ثواباً ، وإن كان أحدهما أكثر ، ولا يلزم أن يكون مقدار ثوابهما سواء ، بل قد يكون ثواب هذا أكثر ، وقد يكون عكسه ، وقوله هنا « نصفان » معناه : قسمان ، وإن كان أحدهما أكثر كما قال الشاعر :

إذا مت كان الناس نصفان بيننا ^(٤) شامِت وآخر مُثْن بالذى كنت أصنع

(١) طرح التثريب : ١٤٦/٤ - ١٤٧ .

(٢) السنن : ٣١٧/٢ .

(٣) مسلم (٧١١/٢) (١٢) كتاب الزكاة - (٢٦) باب ما أنفق العبد .

(٤) طرح التثريب ١٤٤/٤ ، وقد أورد النووى فى شرح مسلم (٦٢/٣) الشطر الأول وزيدت كلمة « بيننا » منه ؛ لأن البيت لا يكتمل إلا بها . وربما هى (ما بين) حتى يستقيم وزن البيت .

فإذا أعطى المالك لخازنه ، أو امرأته ، أو غيرهما مائة درهم ، أو نحوها ليوصلها إلى مستحق الصدقة على باب داره أو نحوه فأجر المالك أكثر . وإن أعطاه رمانة أو رغيماً ونحوهما حيث ليس له كبير قيمة ؛ ليذهب به إلى محتاج في مسافة بعيدة بحيث يقابل مشى الذاهب إليه بأجرة تزيد على الرمانة والرغيف فأجر الوكيل أكثر ، وقد يكون عمله قدر الرغيف مثلاً ، فيكون مقدار الأجر سواء ^(١) .

قال النووي : وأشار القاضى إلى أنه يحتمل أيضاً أن يكون سواء ؛ لأن الأجر فَضْلٌ من الله تعالى يؤتيه من يشاء ، ولا يدرك بقياس ، ولا هو بحسب الأعمال ، بل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وعلى الرغم من وجاهة هذا الرأى إلا أن النووي رجح المعنى الأول ، قال : والمختار الأول ^(٢) . والله أعلم .

★ ★ ★

(١) المصدر السابق ١٤٤/٤ - ١٤٥ .

(٢) شرح مسلم للنووى ٦٢/٣ .

٧٧ - وقال رسول الله - ﷺ - : لا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الموتَ ولا يدعو به من قبل أن يَأْتِيَهُ ؛ إنه إذا مات أَحَدُكُمْ انقطع عمله - أو قال : أَجَلُهُ ؛ إنه لا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ ^(١) عُمُرُهُ إلا خيراً .

(١) ط : « المؤمن من عمره » . وما أثبتناه من م .

• رواه عبد الرزاق (٣١٤/١١ - ٣١٥) في كتاب الجامع من المصنف - باب تمنى الموت - عن معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : لا يتمنى أحدكم الموت ، ولا يدعو به من قبل أن يأتيه ؛ فإنه إذا مات أحدكم انقطع أمله وعمله ، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً .

ورواه أحمد (٧٧/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٨٠/٨١٧٤) وهناك اختلاف في اللفظ قليل سنعود إليه .

ورواه مسلم في (٢٠٦٥/٤) - (٤٨) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - (٤) باب تمنى الموت لضر نزل به - من طريق روايته لصحيفة همام (رقم ٢٦٨٢/١٣) .

كما روى في الكتاب والباب نفسيهما (٢٠٦٤/٤) من طريق إسماعيل بن علية ، عن عبد العزيز ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لابد متمنياً فليقل : « اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي » .

وروى البخاري حديث أنس هذا في (١٠/٧) - (٧٥) كتاب المرضى - (١٩) باب تمنى المريض الموت - رواه عن آدم ، عن شعبة ، عن ثابت البناني ، عنه به .

كما روى في الموضع نفسه عن أبي اليمان ، عن شعيب ، عن الزهري قال : أخبرني أبو عبيد مولى عبد الرحمن بن عوف أن أبا هريرة - رضي الله عنه - قال : لن يدخل أحدًا عمله الجنة . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله بفضله ورحمة ، فسددوا وقاربوا ، ولا يتمنين أحدكم الموت ؛ إما محسنًا ، فلعله أن يزداد خيراً ، وإما مسيئًا فلعله أن يستعذب .

ورواه البغوي (٢٥٨/٥ - ٢٥٩) في باب كراهة تمنى الموت - من طريق روايته للصحيفة ، ومن طريق آخر يلتقى مع الطريق الأول عند أبي الحسن أحمد بن يوسف السُّلَمِي عن عبد الرزاق .

ثم قال : هذا حديث صحيح أخرجه مسلم . (رقم ١٤٤٦) .

هذا وقد جاء في طبعة الدكتور حميد الله للصحيفة : « إنه لا يزيد المؤمن من عمره » بزيادة « من » ويقول الأستاذ أحمد شاکر معلقاً : « وقوله : « وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً » (أى في رواية أحمد) - هو الثابت في

مخطوطتى المسند (ك ، م) وجامع المسانيد ، وهو الموافق لرواية مسلم . وفى ح (أى فى الطبعة الأولى للمسند)
والصحيفة المفردة (أى هنا) : « لا يزيد المؤمن من عمره إلا خيرا » بزيادة حرف « من » بعد لفظ المؤمن وهى زيادة -
وإن كان من الممكن أن تكون صوابا إلا أنها مخالفة لسائر الأصول الموثقة » .

ونقول : إن كل الكتب التى أخرجت هذا الحديث من طريق الصحيفة تتفق - على ما نعلم - على أن هذه
الزيادة غير موجودة فيه ، وهذا يرجح الظن الذى يقرب من اليقين أن هناك خطأ من الناسخ ، وبما يرشح هذا هو أن
نهاية كلمة « المؤمن » تتماثل مع « من » وكأن الناسخ ظن أنه لم يكمل كلمة « المؤمن » فكتب مرة أخرى « من » .
وبما يؤكد هذا أيضاً أن البغوى الذى يلتقى مع رواية الصحيفة هنا فى اثنين من الرواة قبل عبد الرزاق لم يذكر
هذه الزيادة .

وقد ذكر ابن حجر فى فتح البارى رواية همام عند أحمد ، وليس فيها « من » (١٣٠/١٠) .
ولهذا أثبتنا الحديث دون « من » هذه التى زيدت فى طبعة الصحيفة السابقة .

شرح الحديث :

(١) لا يتمنى أحدكم الموت ، ولا يدعو به : هذا نهى فى صورة النفى ، وهو أبلغ
فى النهى وأكد . قال ابن العراقى : وهو محمول على الكراهة ، كما حكى والدى - رحمه الله
- فى شرح الترمذى الإجماع عليه ، وقال : إن هذا هو الصارف عن حمل النهى على
التحريم ، ثم قال ابن العراقى : لكن صرح أبو عمر بن عبد البر بالتحريم فقال : المتمنى
للموت ليس بمحب للقاء الله ، بل هو عاصي لله تعالى فى تمنيه للموت إذا كان بالنهى
عالما ^(١) .

وبيين معنى هذا الحديث حديث أنس الذى سبق ذكره فى التخرىج بأن يكون
التمنى لضر ينزل به ، والمراد الضر الدينوى من مرض أو فاقة أو محنة من عدو ، أو نحو
ذلك من مشاق الدنيا ؛ كما هو مبين فى رواية النسائى وابن حبان فى صحيحه ، قال :
« لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فى الدنيا » ^(٢) ، وهو الذى أرادته أيوب عليه الصلاة

(١) طرح التثريب : ٢٥٣/٣ .

(٢) سنن النسائى (٣/٤) كتاب الجنائز - باب تمنى الموت - من طريق يزيد بن زريع ، عن حميد ، عن

أنس .

والسلام في قوله : (مسنى الضر) ^(١) وإخوة يوسف عليهم السلام في قولهم : (مسنا وأهلنا الضر) ^(٢) (٣) .

وليس النهي عن تمنى الموت عاماً ، فقد يجوز هذا التمنى لخوف فتنة في الدين .

ويدل لذلك حديث أبى هريرة : « لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى مكانه وليس به الدين إلا البلاء ، وحديث معاذ مرفوعاً : إذا أردت بالناس فتنة فتوفنى إليك غير مفتون » ، وقال تعالى حكاية عن مريم عليها السلام : (يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) ^(٤) (٥) .

وقد صح عن عمر رضى الله عنه الدعاء بالموت فيما رواه مالك في الموطأ أنه قال : اللهم قد ضعفت قوتي ، وكبرت سنى ، وانتشرت رعتى ، فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مقصر ، فما جاوز الشهر حتى قبض رحمه الله .

قال ابن الحافظ العراقي : ظاهره أنه لخوف فتنة في الدين ، فإنه خائف لضعف قوته وانتشار رعيته وكثرتهم أن يقع تضييع منه لأموالهم ، وتقصير في القيام بحقوقهم ، فلما خشى هذه الفتنة دعا بالموت ^(٦) .

كما جاء تمنى الموت عن جماعة من السلف خوفاً من أن إظهار أحوالهم التى بينهم وبين الله تعالى ، لا يجون اطلاع الخلق عليها .

ويمكن إرجاع هذا أيضاً إلى خوف الفتنة في الدين ، فقد خشوا من ظهور أعمالهم وأحوالهم ، وخروجها من السر إلى العلانية ما يؤدى إلى تطرق المفسدات إليها من الرياء والإعجاب ، وكانوا في راحة بالاختفاء ، فطلبوا الموت خوفاً من مفسدة الظهور ^(٧) .

(١) الأنبياء : ٨٣ .

(٢) يوسف : ٨٨ .

(٣) طرح التثريب : ٢٥٦/٣ .

(٤) مريم : ٢٣ .

(٥) طرح التثريب : ٢٥٧/٣ .

(٦) المصدر السابق : ٢٥٣/٣ .

(٧) المصدر السابق : ٢٥٣/٣ - ٢٥٤ .

قال الإمام البغوي : يكره تمنى الموت من ضر أصابه في نفسه أو ماله ، أما من الخوف على دينه لفساد الزمان فلا يكره ، كما جاء في الدعاء : « وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون » (١) .

وروى عن مرة الهمداني قال : تمنى عبد الله بن مسعود لنفسه ولأهله الموت ، فقليل له : تمنيت لأهلك ، فلم تمنى لنفسك ؟ قال : لو أني أعلم أنكم تسلمون على حالكم هذه تمنيت أن أعيش فيكم عشرين سنة . وقال : لأهل بيتي أهون على موتاً من الجعلان ، ولا يأتي عليكم عام إلا وهو شر من الآخر (٢) .

كما يستثنى كذلك تمنى الموت شوقاً إلى الله ورسوله فلا بأس به ، وقد فعله جماعة من السلف (٣) .

وهذا النهي لا يتعارض مع طلب يوسف عليه السلام الموت في قوله تعالى : (توفني مسلماً ، وألحقني بالصالحين) (٤) ؛ لأن المختار من معنى الآية الكريمة : توفني عند حضور أجلى مسلماً ، وليس مراده استعجال الموت المنهى عنه هنا .

وعلى تقدير حملها على الدعاء بالموت فقد اختلف أهل الأصول في أن شرع من قبلنا : هل هو شرع لنا أو لا ؟ ويتقدير أن يكون شرعاً لنا فشرطه ألا يرد في شرعنا ما ينسخه ، وقد ورد في شرعنا نسخه في هذا الحديث الذي معنا ، والذي ينهى عن ذلك (٥) .

(١) شرح السنة ٢٥٩/٥ وهذا الجزء من الحديث أخرجه أحمد (رقم ٣٤٨٤) والترمذي (رقم ٣٢٣١) من حديث ابن عباس ، وهو في المسند ٦٦/٤ و ٢٤٣/٥ ، ٣٧٨ من حديث معاذ بن جبل ، ومن حديث بعض الأصحاب (تحقيق شرح السنة ٢٥٩/٥) .

(٢) شرح السنة : ٢٥٩/٥ .

(٣) طرح التثريب : ٢٥٧/٣ .

(٤) يوسف : ١٠١ .

(٥) طرح التثريب : ٢٥٤/٣ .

وهذا النهى لا يتعارض أيضا مع قول النبي - ﷺ - في آخر مرض موته :
 « اللهم اغفر لي ، وارحمي ، وألحقني بالرفيق الأعلى » (١) - فهذا ليس دعاء بالموت ،
 وإنما هو رضى به عند مجيئه ؛ فإن الأنبياء صلوات الله عليهم لا يقبضون عند انتهاء
 آجالهم حتى يخبروا إكراماً لهم وتعظيماً لشأنهم ، ولن يختاروا لأنفسهم إلا ما يختاره الله عز
 وجل لهم ، فلما خير النبي - ﷺ - عند انتهاء ، أجله اختار ما اختاره الله تعالى له ،
 ورضى بالموت وأحبه ، وطلبه بعد التخيير ، لا ابتداء .

(٢) - من قبل أن يأتيه : لأن تمنى الموت قبل حلوله نوع من الاعتراض
 ومراغمة للمقدور المحتوم . وهذا يقتضى أنه لا كراهة في طلب الموت عند تحقق مجيئه ؛ لما
 في ذلك من إظهار الرضا بقضاء الله ، والاستبشار بما يرد من عنده غير جازع ولا قلق .

(٣) - إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله :

أشار النبي بهذا إلى المعنى في النهى عن تمنى الموت والدعاء به ، وهو انقطاع
 الأعمال بالموت ، ففي الحياة زيادة الأجور بزيادة الأعمال ، ولو لم يكن إلا استمرار
 الإيمان لكفى ، روى أحمد في مسنده من رواية على بن يزيد ، عن القاسم بن عبد الرحمن ،
 عن أبى أمامة قال : جلسنا إلى رسول الله - ﷺ - فذكرنا ورققنا ، فبكى سعد (بن
 أبى وقاص) فأكثر البكاء ، فقال : يا ليتنى مت . فقال النبي - ﷺ - : يا سعد : أعندى
 تمنى الموت ؟ فردد ذلك ثلاث مرات ، ثم قال : يا سعد ، إن كنت خلقت للجنة فما
 طال من عمرك ، وحسن من عملك فهو خير لك (٢) .

فما دام الإيمان باقٍ فالحسنات بصدد التضعيف ، والسيئات بصدد التكفير .
 وقد خرج هذا الحديث مخرج تحسين الظن بالله عز وجل ، وأن المحسن يرجو من الله

(١) صحيح البخارى (١٠/٧) - (٧٥) كتاب المرضى - (١٩) باب تمنى المريض الموت - من طريق

هشام عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة .

(٢) المسند (٥/٢٦٦ - ٢٦٧) عن أبى المغيرة ، عن معان بن رفاعة ، عن على بن يزيد به .

الزيادة بأن يوفقه للزيادة من عمله الصالح ، وأن المسيء لا ينبغي له القنوط من رحمة الله سبحانه ، ولا قَطَعَ رجائه ^(١) .

وهذا مخصص بقول الرسول - ﷺ : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ^(٢) .

(٤) - إنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً : استشكل هذا بأنه قد يعمل السيئات فيزيده عمره شراً ، وأجيب بأجوبة :

أحدها : حمل « المؤمن » على الكامل ، فكامل الإيمان لا يصدر منه إلا خير .

ثانيها : أن المؤمن بصدد أن يعمل ما يكفر ذنوبه ؛ إما من اجتناب الكبائر ، وإما من فعل حسنات أخر ، قد تقاوم بسبب تضعيفها سيئاته ، فما دام أصل الأعمال وهو الإيمان موجوداً - فحسناته مقبولة مضاعفة ، وسيئاته مخفوفة بالمكفرات ، بحيث لا يبقى منها - إن شاء الله تعالى - إلا اليسير ؛ يحويه الكرم المحض ، والعفو العظيم .

ثالثها : أن هذا المعنى أطلق على الغالب من شأن المؤمن ، فشأن المؤمنين أن يزيدهم عمرهم خيراً ، مع حسن الظن بالله عز وجل ^(٣) .

نقول : ليس هناك ما يمنع أن تكون كل هذه مرادة في قول الرسول - ﷺ .

(١) فتح الباری : ١٠/١٣١ .

(٢) رواه أحمد وأحمد والبخاري في الأدب ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة (جمع الجوامع للسيوطي) .

(٣) المصدر السابق : ١٠/١٣٠ - ١٣١ .

٧٨ - وقال رسول الله - ﷺ : لا يقل أحدكم للعنب الكرم ؛ إنما الكرم الرجل المسلم .

• رواه عبد الرزاق (٤٣٦/١١) في كتاب الجامع - باب مثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن - عن معمر ، عن همام به ولفظه « قال رسول الله - ﷺ : لا يسب أحدكم الدهر ؛ فإن الله هو الدهر ، ولا يقول أحدكم للعنب الكرم ؛ فإن الكرم الرجل المسلم ... والجزء الأول من الحديث هو رقم ١١٨ فى الصحيفة - إن شاء الله تعالى . ورواه أحمد (٧٨/١٦) ضمن روايته للصحيفة (رقم ٨١/١٧٥) .

ورواه مسلم فى (١٧٦٣/٤) - (٤٠) كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها - (٢) باب كراهية تسمية العنب كرمًا - بسنده للصحيفة . (رقم ٢٢٤٧/١٠) . وفيه « لا يقولن أحدكم » .

كما روى نحوه من طريق أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، وفيه : « فإنما الكرم قلب المؤمن » (رقم ٢٢٤٧/٩) .

ومن طريق معمر ، عن أيوب ، عن ابن سمين ، عن أبى هريرة (٢٢٤٧/٦) . وروى البخارى نحوه فى (١١٥/٧) - (٧٨) كتاب الأدب - (١٠٢) باب قول النبى - ﷺ : إنما الكرم قلب المؤمن - من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة - رضى الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ : « ويقولون : الكرم ، إنما الكرم قلب المؤمن » . (رقم ٦١٨٣) .

وفى (١٠١) باب لا تسبوا الدهر - من طريق الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة قال : « لا تسبوا العنب الكرم » .

ورواه البغوى فى (٣٥٥/١٢) باب ما يكره من ألفاظ العادة وحفظ المنطق - بسنده للصحيفة ، ثم قال : هذا حديث متفق على صحته أخرجه من طريق معمر من أوجه عن أبى هريرة . (رقم ٣٣٨٥) كما روى معه بالإسناد نفسه الحديث الآتى ، رقم (١١٨) .

شرح الحديث :

(١) - لا يقل أحدكم للعنب الكرم : فيه النهى عن تسمية العنب كرمًا ، وليس ذلك على سبيل التحريم ، وإنما هو على سبيل الكراهة ^(١) وقال بعض العلماء : هو على جهة الإرشاد لما هو الأولى ^(٢) .

(١) شرح مسلم ١٠٣/٥ - طرح التثريب ١٥٩/٨ .

(٢) طرح التثريب ١٥٩/٨ .

وقال العلماء : سبب كراهة ذلك أن لفظة « الكرم » كانت العرب تطلقها على شجر العنب وعلى العنب ، وعلى الخمر المتخذة من العنب ، سموها كرمًا لكونها متخذة منه ، ولأنها تحمل على الكرم والسخاء ، فكره الشرع إطلاق هذه اللفظة على العنب وشجره ؛ لأنهم إذا سمعوا اللفظة ربما تذكروا بها الخمر ، وهيجت نفوسهم إليها ، فوقعوا فيها ، أو قاربوا ذلك ^(١) . فسلبها هذا تحقيرا لشأنها ، وتأكيذا لحرمتها .

وقال أبو العباس القرطبي : إنما سميت العربُ العنبَ بالكرم لكثرة حمله ، وسهولة قطافه ، وكثرة منافعه . وأصل الكرم الكثرة ، والكريم من الرجال هو الكثير العطاء والنفع ^(٢) .

ثم نقل القرطبي عن المازري قوله : إنما نهى النبي - ﷺ - عن تسمية العنب بالكرم لأنه لما حرم الخمر عليهم وكانت طباعهم تخنهم على الكرم كره عليه الصلاة والسلام أن يسمى هذا المحرم باسم يهيج طباعهم إليه ^(٣) .

(٢) - إنما الكرم الرجل المسلم : وفي رواية : « إنما الكرم قلب المؤمن » ، قال العلماء : إنما يستحق هذا الاسم الرجل المسلم أو قلب المؤمن لأن الكرم مشتق من الكرم بفتح الراء ، وقد قال الله سبحانه وتعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ^(٤) فسمى كرمًا لما فيه من الإيمان والهدى والنور والتقوى ، والصفات المستحقة لهذا الاسم ^(٥) .

والمعنى الأحق بالاسم هذا هو الرجل المسلم ، ويكون محمل هذا الحديث محمل قوله - ﷺ : ليس المسكين بالطواف (و ليس الشديد بالصرعة ، وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب) أى الأحق باسم الكرم المسلم أو قلب المؤمن .

(١) شرح مسلم للنووى : ١١٣/٥ .

(٢) طرح التثريب : ١٥٩/٨ .

(٣) المصدر السابق : ١٥٩/٨ - ١٦٠ .

(٤) الحجرات : ١٣ .

(٥) شرح مسلم للنووى : ١١٣/٥ .

وقد بين ابن أبي جهمرة الحكمة في تسمية قلب المؤمن بالكرم فقال : لما كان اشتقاقه من الكرم ، والأرض الكريمة هي أحسن الأرض ، وهذه الصفة حيث ما وجدت فهي من أحسن الصفات ، فلا يليق إلا أن يعبر بها عن قلب المؤمن الذي هو خير الأشياء ؛ لأن المؤمن هو خير البرية على أحد الوجوه ، وخير ما في المؤمن قلبه ؛ لأنه قد قال - ﷺ : « إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » وكيف لا يكون كذلك ، وهي أرض لبنات ثمرة الإيمان التي قد قال مولانا سبحانه (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها (١)) (٢) .

وفي الكرمية شبه من المؤمن ، لأنها ليّنة ، قريبة الجنى ، حلوة المذاق ، وتغنى عن الطعام وعن الماء .

وكذلك إذا كانت أوصاف الشيطان تجرى معها كما يجرى الشيطان في بنى آدم مجرى الدم - فإن غفلة المؤمن عن شيطانه أوقعته في المخالفة ، وألبسته ثوب البعد والحرام ، كذلك إن غفل عن عصير الكرمية ظهرت تلك الأوصاف فيها وألبستها ثوب التخمر والتنجيس ، وهو الخمر المتفق على تحريمه جميع العلماء بلا خلاف .

ويقوى الشبه بينهما أن الخمر من ساعته يعود نحلاً فكساه ثوب التخليل ، فكذلك المؤمن من ساعته بالتوبة النصوح عادت له طهارته الأصلية ، ورياشته الجميلة ، وجبت توبته ما كان قبلها من البعد والحرام ، وأذهبت الآثام والأثقال .

وإذا كانت توبة المؤمن تكون بمعالجة من وعظ أو تذكار ، أو تكون بفيض لا يتقدمه علاج ، فكذلك العصير إذا تخمر قد يكون تخلله بمعالجة ، وقد يكون دفعة من غير علاج « فهل نظرت يا مسكين إلى عصير كرم قلبك ، فتعالج تخميره ؛ لعله يعود نحلاً ، ولا تغفل عنه ؛ فيذهب بجميع عقلك ، فتلحق بالهالكين ؟ » (٣) . والله تعالى أعلم .

(١) إبراهيم : ٢٤ .

(٢) بهجة النفوس : ١٨٠/٤ .

(٣) المصدر السابق : ١٨٠/٤ - ١٨١ .

٧٩ - وقال رسول الله - ﷺ : اشترى رجل من رجل عقاراً ، فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب . فقال له الذى اشترى العقار : خذ ذهبك منى ؛ إنما اشتريت منك الأرض ، ولم أبتع منك الذهب . فقال الذى ^(١) شرى الأرض : إنما ^(٢) بعْتُكَ الأرضَ وما فيها .

فَتَحَاكَمَا إلى رجل . فقال الذى تحاكما إليه : أَلَكُمَا ولد ؟ فقال أحدهما : لى غلام ، وقال الآخر : لى جارية . فقال : أُنكِح ^(٣) الغلام الجارية ، وأنفِقُوا ^(٤) على أنفسكما منه ، وَتَصَدَّقَا .

* * *

(١) م : وقال الذى باع الأرض . (٢) إنما : ليست فى م . (٣) م : أنكحوا .

(٤) م : زيادة : « عليهما و » .

• رواه أحمد (٧٨/١٦ - ٧٩) ضمن روايته للصحيفة (رقم ٨٢/٨١٧٦) .

ورواه البخارى فى (١٥٠/٤) - (٦٠) كتاب الأنبياء - باب (٥٤) من طريق إسحاق بن نصر عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبى هريرة به .

ورواه مسلم فى (١٣٤٥/٣) - (٣٠) كتاب الأقضية - (١١) باب استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين - بسنده للصحيفة (رقم ١٧٢١/٢١) .

وقد قارن الشيخ أحمد شاكر بين الروايات الأربع ؛ رواية الصحيفة ، والمسند ، والبخارى ، ومسلم فقال : « ولفظ الحديث هنا (فى المسند) موافق للفظ البخارى إلا فى كلمتين ؛ فى قوله : « وقال الذى باع الأرض » - ولفظ البخارى : « وقال الذى له الأرض » . ونص الحافظ فى الفتح على رواية المسند هذه [٥١٩/٦] . وأما رواية مسلم ففيها : « فقال الذى شرى الأرض » . وهو الموافق لرواية الصحيفة المفردة . و « شرى » بمعنى باع ؛ وفى قوله : « أنكح الغلام الجارية » . ولفظ البخارى : « أنكحوا » بصيغة الجمع ، وكذلك لفظ مسلم . وما هنا موافق لما فى الصحيفة المفردة . وفى مسلم والصحيفة المفردة : « وأنفقوا على أنفسكما منه » وما هنا هو الموافق لرواية البخارى . وهو الأجود . وفى ذلك تكلف » (تحقيق المسند ٧٩/١٦) .

ورواه البغوى (٣٢٠/٨ - ٣٢١) فى باب اللقطة : - بسنده للصحيفة ، وقال : هذا متفق على صحته ، أخرجه محمد ، عند إسحاق بن نصر ، وأخرجه مسلم عن محمد بن رافع كلاهما عن عبد الرزاق (رقم ٢٢١٢) .

* * *

شرح الحديث :

(١) - اشترى رجل من رجل : ذكر البخارى هذا الحديث فى ذكر بنى إسرائيل ، وذلك يقتضى أن هذه القصة جرت فيهم ، وحينئذ فلا استدلال بها مبنى على المسألة الأصولية المعروفة : أن شرع من قبلنا : هل هو شرع لنا أو لا ؟ والأكثر أن على أنه ليس شرعاً لنا ، وأراد البخارى بذكرها بيان مناقبهم ، ومسلم أوردتها فى الأفضية ، وذلك يقتضى قصد الاستدلال بها ^(١) .

(٢) - عَقَّاراً : العَقَّار فى اللغة المنزل والضيعة ، وخصه بعضهم بالنخل ، ويقال للمتاع النفيس الذى للمنزل عقار أيضاً . وأما عياض فقال : العقار : الأصل من المال ، وقيل المنزل والضيعة ، وقيل متاع البيت ^(٢) فجعله خلافاً . والمعروف فى اللغة أنه مقول بالاشتراك على الجميع ، والمراد به هنا الدار ، وصرح بذلك فى حديث وهب بن منبه ^(٣) .

(٣) - فإنما اشتريت منك الأرض ولم ابتع منك الذهب : هذا صريح فى أن العقد إنما وقع بينهما على الأرض خاصة ، فاعتقد المشتري أن ما فيها لا يدخل ضمناً ، واعتقد البائع أنه يدخل ، وأما صورة الدعوى بينهما ف وقعت على هذه الصورة ، وأنهما لم يختلفا فى صورة العقد التى وقعت والحكم فى شرعنا على هذا فى مثل ذلك : أن القول قول المشتري ، وأن الذهب باق على ملك البائع ^(٤) .

ويحتمل أنهما اختلفا فى صورة العقد بأن يقول المشتري : لم يقع التصريح ببيع الأرض وما فيها ؛ بل ببيع الأرض خاصة . والبائع يقول : وقع التصريح بذلك ، والحكم فى هذه الصورة أن يتحالفا وأن يسترد المبيع . وهذا كله بناء على ظاهر اللفظ أنه وجد فيه جرة من ذهب . وفى رواية إسحاق بن بشر أن المشتري قال : إنه اشترى داراً فعمرها ، فوجد فيها كنزاً ، وأن البائع قال لما دعاه إلى أخذه : ما دفنت ولا علمت ، وأنهما قالوا للقاضى :

(١) طرح التثريب : ١٤٣/٦ .

(٢) مشارق الأنوار : ١٠٠/٢ .

(٣) فتح البارى : ٥١٨/٦ - ٥١٩ .

(٤) المصدر السابق : ٥١٩/٦ .

ابعث من يقبضه وتضعه حيث رأيت فامتنع . وعلى هذا فحكم هذا المال حكم الركاى فى هذه الشريعة إن عرف أنه من دفين الجاهلية ، وإلا فإن عرف أنه من دفين المسلمين فهو لقطة . وإن جهل فحكمه حكم المال الضائع يوضع فى بيت المال . ولعلمهم لم يكن فى شرعهم هذا التفصيل فحكم القاضى بما حكم به ^(١) .

(٤) - فقال الذى شرى الأرض : وقع فى رواية البخارى - كما تقدم - : « وقال الذى له الأرض » أى الذى كانت له الأرض ، وفى لفظ أحمد بيان المراد من ذلك : « فقال الذى باع الأرض ، إنما بعتك الأرض » ووقع فى نسخ مسلم اختلاف ، فالأكثر روى بلفظ : « فقال الذى شرى الأرض » كما هنا ، والمراد باع الأرض ، كما روى أحمد ، ولبعضهم : « فقال الذى اشتري الأرض ، ووهما القرطبى قال : إلا إن ثبت أن لفظ « اشترى » من الأضداد « كَشَرَى » ، فلا وهم ^(٢) .

(٥) - فتحا كما إلى رجل : قال القرطبى : ظاهره أنهما حكما فى ذلك ، وأنه لم يكن حاكما منصوبا للناس ، مع أنه يحتمل ذلك ، وفى ظاهره يكون فيه للمالك حجة على صحة قوله : إن المتداعيين إذا حكما بينهما من له أهليه الحكم صح ، ولزمهما حكمه ، ما لم يكن جورا ؛ سواء وافق ذلك الحكم رأى قاضى البلد ، أو خالفه . وقال أبو حنيفة : إن وافق رأيه رأى قاضى البلد نفذ ، وإلا فلا . واختلف قول الشافعى ، فقال مثل قول مالك . وقال أيضا : لا يلزمه حكمه ، ويكون ذلك كالفتوى منه ، وبه قال شريح ^(٣) .

قال صاحب طرح التثريب : الصحيح من مذهب الشافعى جواز التحكيم فى غير حدود الله تعالى ، ولكن ما عرفت من أين للقرطبى أن ظاهره أن هذا لم يكن حاكما ، وإنما كان مُحَكِّمًا ، فاللفظ محتمل كما ذكره آخرًا ، وقد سماه النووى فى تبويبه فى شرح مسلم حاكما ^(٤) .

(١) المصدر السابق : ٥١٩/٦ .

(٢) المصدر السابق : ٥١٩/٦ .

(٣) طرح التثريب : ١٤٣/٦ - ١٤٤ .

(٤) المصدر السابق : ١٤٤/٦ .

وفى حديث إسحاق بن بشر التصريح بأنه كان حاكماً منصوباً للناس ، فإن ثبت ذلك فلا حجة فيه لمن جوز للمتداعيين إن يحكما بينهما رجلاً وينفذ حكمه . وأما كان الأمر فقد قال القرطبي : إن هذا الرجل المُحَكَّم لم يَحْكَمْ على أحد منهما ، وإنما أصلح بينهما ، بأن ينفقا ذلك المال على أنفسهما وعلى ولديهما ، ويتصدقا . وذلك أن هذا المال ضائع ؛ إذ لم يَدَّعه أحد لنفسه ، ولعله لم يكن لهم بيت مال ، فظهر لهذا الرجل أنهما أحق بذلك المال من غيرهما من المستحقين لزهدهما وورعهما وحسن حالهما ، ولما ارتجى من طيب نسلهما وصلاح ذريتهما ^(١) .

وفى الحديث فضل الإصلاح بين المتنازعين ، وأن القاضى يستحب له الإصلاح بين المتنازعين ، كما يستحب لغيره ، وقد عَدَّ بعض العلماء ذلك من وظائف القضاء ، لكنه ليس من وظائفه الخاصة به . والله أعلم ^(٢) .

كما أن الهدف من القصة هذه بيان التقوى والأمانة عند كل من البائع والمشتري ؛ وفى رواية عن أبى هريرة قال : لقد رأيتنا يكثر تمارينا ومنازعتنا عند النبى - ﷺ . أيهما أكثر أمانة ^(٣) .

★ ★ ★

(١) المصدر السابق : ١٤٥/٦ .

(٢) المصدر السابق : ١٤٥/٦ .

(٣) فتح البارى : ٥١٩/٦ .

٨٠ - وقال رسول الله - ﷺ : أيفرح أحدكم براحلته إذا ضلَّ منه ، ثم وجدها ؟

قالوا : نعم يا رسول الله .

قال : والذى نفسُ محمدٍ بيده لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده إذا تاب من أحدكم براحلته إذا وجدها .

• روى عبد الرزاق (٢٩٧/١١ - ٢٩٨) عن معمر ، عن همام بن منه ، عن أبي هريرة - قال : لا أدرى : أيفرعه أم لا -- قال : إن الله ليفرح بتوبة عبده ، كما يفرح أحدكم أن يجد ضالته بواد ، فخاف أن يقتله فيه العطش . ورواه أحمد (٧٩/١٦) ضمن روايته للصحيفة . (رقم ٨٣/٨١٧٧) .

ورواه مسلم في (٢١٠٢/٤) - (٤٩) كتاب التوبة - (١) باب الحض على التوبة والفرح بها - بسنده للصحيفة . وذلك لإحالة على حديث رواه قبله من طريق أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ : « الله أشد فرحاً بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها . » (رقم ٢٦٧٥/٢) .

كما روى من طريق جرير ، عن الأعمش ، عن عُمارة بن عمير ، عن الحارث بن سويد قال : دخلت على عبد الله أعوده وهو مريض ، فحدثنا بجديتين ؛ حديثاً عن نفسه ، وحديثاً عن رسول الله - ﷺ قال : سمعت رسول الله - ﷺ يقول : الله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجلٍ في أرضٍ ذُوِيَّةٍ مهلكة ، معه راحلته ، عليها طعامه وشرابه ، فنام فاستيقظ ، وقد ذهب فطلبها حتى أدركه العطش ، ثم قال : أرجع إلى مكانى الذى كنت فيه ، فأنام حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت ، فاستيقظ وعنده راحلته ، وعليها زاده وطعامه وشرابه ، فאלله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده . (رقم ٢٧٤٤/٣) .

وقد روى معناه كذلك عن النعمان بن بشير (رقم ٢٧٤٥/٥) والبراء بن عازب (رقم ٢٧٤٦/٦) وأنس بن مالك (رقم ٢٧٤٧/٧) . وفيه « ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى ، وأنا ربك » أخطأ من شدة الفرح .

وروى البخارى في (١٤٥/٧ - ١٤٦) - (٨٠) كتاب الدعوات - (٤) باب التوبة - حديث الأعمش ، عن عمارة بن عمير ، عن الحارث بن سويد - عن أحمد بن يونس ، عن أنس بن شهاب ، وقد أتى بالحديثين اللذين قال عنهما ابن مسعود : إن أحدهما عن النبى - ﷺ والآخر عن نفسه ، ولم يبين كما هو مبين عند مسلم أى الحديثين عن النبى ﷺ (رقم ٦٣٠٨) .

كما روى فى الموضوع نفسه (ص ١٤٦) حديث أنس بن مالك - من طريق همام عن قتاده عنه (رقم ٦٣٠٩) .

ورواه البيهقي الفراء (٨٣/٥ - ٨٤) في باب التوبة بسنده للصحيفة ، ويسند آخر يلتقى مع الأول عند أحمد ابن يوسف السُّلَمِي .

* * *

شرح الحديث :

(١) - **الله أشد فرحاً** : قال أبو سليمان الخطابي : معناه : أرضى بالتوبة ، وأقبل لها ، والفرح الذى يتعارفه الناس فى نعوت بنى آدم غير جائز على الله عز وجل إنما معناه الرضى ، كقوله عز وجل (كل حزب بما لديهم فرحون) ^(١) أى راضون ، وكذلك فُسِّر الضحك الوارد فى الحديث فى صفات الله سبحانه وتعالى بالرضى ، وكذلك الاستبشار قد جاء فى الحديث ومعناه عندهم : الرضى ^(٢) .

وقال أبو العباس القرطبي : هذا مثل قصد به بيان سرعة قبول الله تعالى لتوبة عبده التائب ، وأنه يُقبل عليه بمغفرته ورحمته ، ويعامله معاملة من يفرح به ، ووجه هذا التمثيل أن العاصي حصل بسبب معصيته فى قبضة الشيطان وأسر ، وقد أشرف على الهلاك ، فإذا لطف الله به ، وأرشدته إلى التوبة - خرج من شؤم تلك المعصية ، وتخلص من أسر الشيطان ، ومن الهلكة التى أشرف عليها ، فأقبل الله عليه برحمته ومغفرته ، وبادر إلى ذلك مبادرة هذا الذى قد أشرف على الهلاك كَمَا عدم راحلة ، ثم وجدها . وإلا فالفرح الذى هو من صفاتنا محال على الله تعالى ؛ لأنه اهتزاز وطرب يجده الانسان فى نفسه عند ظفركه بغرض يستكمل به الإنسان نقصانه ، ويسد به خلته ، أو يدفع به عن نفسه ضرراً أو نقصاً ، وكل ذلك محال على الله تعالى ؛ فإنه الكامل بذاته الغنى بوجوده الذى لا يلحقه نقص ولا قصور ، ولكن هذا الفرح عندنا له ثمرة وفائدة ، وهو الإقبال على الشئ المفروح به ، وإحلاله المحل الأعلى ، وهذا هو الذى يصح فى حقه تعالى ، فعبر عن ثمرة الفرح بالفرح على طريقة العرب فى تسميتها الشئ باسم ما جاوزه ، أو كان منه بسبب . وذلك القانون جارٍ فى جميع ما أطلقه الله تعالى على نفسه من الصفات التى لا تليق به كالغضب والرضى والضحك وغير ذلك ^(٣) .

(١) المؤمنون : ٥٤ .

(٢) شرح السنة : ٨٨/٥ .

(٣) طرح التريب : ٢٣٧/٨ - ٢٣٨ .

وقد ذهب بعض العلماء هذا المذهب غير الخطائى والقرطبى ، وهناك مذهب آخر أسلم وأدق ونؤمن به وهو ما عليه « المتقدمون من أهل الحديث (حيث) فهموا من هذه الأحاديث ما وقع الترغيب فيه من الأعمال والإخبار عن فضل الله عز وجل ، وأثبتوا هذه الصفات لله عز وجل ، ولم يشتغلوا بتفسيرها ، مع اعتقادهم أن الله سبحانه وتعالى منزّه عن صفات المخلوقين (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ^(١)) » ^(٢) .

قال ابن أبى جمرة : « اختلف العلماء فى ذكره سبحانه وتعالى عن نفسه الوجه واليدين ، فمن أهل السنة من تأول الوجه بمعنى الذات ؛ لأن العرب تقول : وجه الطريق بمعنى ذاته ، واليد بمعنى النعمة ، ومنهم من يمر اللفظ على ظاهره مع نفى الجارحة ، ونفى التحديد والتكليف ويجرى هذا الوجه فى هذا الحديث وما فى معناه من الحب والغضب والرضا والضحك ، وكلما جاء فى الأحاديث من هذا النوع ، مع نفى ما تضمن تلك الصفة منا ، مثل الفرح ، يقر اللفظ على حاله ، مع نفى المعنى الذى نحذره نحن من السرور به ، والميل إلى ذلك الشئ المفروح به ، والطرب به ، والبشاشة إليه ، وإيثاره على غيره ، وكون ذلك كما يليق بجلاله سبحانه ، مع نفى الشبه والمثال ، وإبقاء ما ينالنا من تلك الصفة من الخير على جري عادتنا ، فإن من أجل ذلك ضرب لنا المثل ، وكذلك يمشى هذا الوجه فى الغضب والرضى والضحك ؛ لأن القاعدة قد تقررت بمدلول العقل والنص أنه - جل جلاله - (ليس كمثله شئ ^(٣)) ^(٤) .

(٢) - بتوبة عبده : التوبة فى الشرع ترك الذنب لقبحه ، والندم على فعله ، والعزم على عدم العود ، ورد المظلمة إن كانت ، أو طلب البراءة من صاحبها ، وأن يفعل ذلك كله إخلاصاً لله تعالى ، ومن أجله جل شأنه .

(١) الشورى : ١١ .

(٢) شرح السنة : ٨٨/٥ .

(٣) الشورى : ١١ .

(٤) بهجة النفوس : ٢٠٤/٤ .

والباعث على هذا تنبيه إلهي لمن أراد الله عز وجل سعادته لقبح الذنب وضرره ؛ لأنه سم مهلك ، يُفَوِّت على الإنسان سعادة الدنيا والآخرة ، ويحجبه عن معرفة الله تعالى في الدنيا ، وعن تقريبه في الآخرة .

ومن تفقد نفسه وجدها مشحونة بهذا السم ، فإذا وفق انبعث منه خوف هجوم الهلاك عليه ، فيبادر بطلب ما يدفع به عن نفسه ضرر ذلك ، فحينئذ ينبعث منه الندم على ما سبق ، والعزم على ترك العود عليه .

والتوبة إما من الكفر ، وإما من الذنب ، فتوبة الكافر من كفره مقبولة قطعاً ، وتوبة العاصي مقبولة بالوعد الصادق ، ومعنى القبول الخلاص من ضرر الذنوب حتى يرجع كمن لم يعمل ، ثم توبة العاصي إما من حق الله ، وإما من حق غيره ، فحق الله تعالى يكفى في التوبة منه الترك على ما تقدم ، غير أن منه ما لم يكتف الشرح فيه بالترك فقط ، بل أضاف إليه القضاء أو الكفارة . وحق غير الله تعالى يحتاج إلى إيصالها لمستحقها ، وإلا لم يحصل الخلاص من ضرر ذلك الذنب ، لكن من لم يقدر على الإيصال بعد بذله الوسع في ذلك فغفو الله مأمول ، فإنه - سبحانه وتعالى - يضمن التبعات ، ويبدل السيئات حسنات . والله أعلم ^(١) .

وقد حكى عن ابن المبارك بعض الشروط الأخرى للتوبة ؛ منها مثلاً : أن يعتمد إلى البدن الذي رياه بالسُّحْت فيذيبه بالهم والحزن ، حتى ينشأ منه لحم طيب ، وأن يذيق نفسه ألم الطاعة كما أذاقها لذة المعصية . وهذه - كما قال ابن حجر مكملات للتوبة لا أنها لا تصح إلا بذلك ، والله أعلم ^(٢) .

وقال ابن حجر : زاد بعض من أدركناه في شروط التوبة أموراً أخرى منها (١) أن يفارق موضع المعصية ، (٢) وألا يصل في آخر عمره إلى الغرغرة ، (٣) وألا تطلع الشمس من مغربها ، (٤) وألا يعود إلى ذلك الذنب ، فإن عاد إليه بان بأن توبته باطله .

(١) فتح الباري : ١٠٣/١١ .

(٢) المصدر السابق : ١٠٣/١١ .

قال ابن حجر : معلقاً على هذا : الأول مستحب والثاني والثالث داخلان في حد التكليف . والرابع الأخير عزى للقاضي أبي بكر الباقلاني ، ويرده (بعض الأحاديث) ... وقد قال الحلیمی فی تفسیر « التواب » فی الأسماء الحسنى : أنه العائد على عبده بفضل رحمته كلما رجع لطاعته ، وندم على معصيته ، فلا يحبط عنه ما قدمه من خير ، ولا يجرمه ما وعد به الطائع من الإحسان . وقال الخطابي : التَّوَابُ الذي يعود إلى القبول كلما عاد العبد إلى الذنب وتاب ^(١) . والله أعلم .

★ ★ ★

(١) المصدر السابق : ١٠٤/١١ .

٨١ - وقال رسول الله - ﷺ : إن الله عز وجل قال : إذا تَلَقَّاني عبدى بِشِيرِ تَلْقِيته بِذِرَاعٍ ؛ وإذا تَلَقَّاني بِذِرَاعٍ تَلْقَيْتُهُ بِبَاعٍ ؛ وإذا تَلَقَّاني بِبَاعٍ جِئْتُهُ - أو قال : أَتَيْتُهُ - بِأَسْرَعٍ ^(١) .

(١) م : بِأَسْرَعٍ مِنْهُ .

• رواه أحمد (٨٠/١٦) ضمن روايته للصحيحة (رقم ٨٤/٨١٧٨) .

ورواه مسلم في (٢٠٦١/٤ - ٢٠٦٢) - (٤٨) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - (١) باب الحث على ذكر الله تعالى - بسنده للصحيحة . وفيه « جئته أتيت به بِأَسْرَعٍ » (رقم ٢٦٧٥/٣) .

وقال النووي في هذا : « هكذا هو في أكثر النسخ » جئته أتيت به ، وفي بعضها « جئته بِأَسْرَعٍ » فقط ، وفي بعضها « أتيت به » ، وهاتان ظاهرتان ، والأول صحيح أيضاً ، والجمع بينهما للتوكيد ، وهو حسن ، لاسيما عند اختلاف اللفظ . والله أعلم (شرح مسلم ٥٣٤/٥) .

كما روى نحوه جزءاً من حديث من طريق الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة (٢٦٧٥/٢) .

وفي (٢٠٦٧/٤ - ٢٠٦٨) الكتاب نفسه - (٦) باب فضل الذكر والدعاء ، والتقرب إلى الله تعالى - روى نحوه من طريق سليمان التيمي عن أنس بن مالك ، عن أبي هريرة (٢٦٧٥/٢) .

ومن طريق الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ... (٢٦٧٥/٢١) .

ومن طريق الأعمش ، عن المعمر بن سويد ، عن أبي ذر ... (٢٦٨٧/٢٢) .

وروى البخاري نحوه في (١٧١/٨) - (٩٧) كتاب التوحيد - (١٥) باب قول الله تعالى : (ويحذركم الله نفسه) من طريق الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة - رضى الله عنه (رقم ٧٤٠٥) وقد سبق ذكر هذه الرواية في تخريج حديث رقم (٦٦) في ص ٢٥٥ من هذا الكتاب .

وروى نحوه في (٢١٢/٨) الكتاب نفسه - (٥٠) باب ذكر النبي - ﷺ - وروايته عن ربه - من طريق شعبة ، عن قتادة ، عن أنس (٧٥٣٦) .

ومن طريق التيمي عن أنس عن أبي هريرة (٧٥٣٧) .

ورواه البغوي الفراء (٢٠/٥) في باب التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالأنوافل والذكر بسنده للصحيحة ، هو وحديث رقم (٦٦) وقد سبق أن ذكرنا لفظه هناك (ص ٢٥٥ من هذا الكتاب) .

شرح الحديث :

- (١) - إذا تلقاني عبدى بشبر : أى تقرب إلى بمقدار شبر .
- (٢) - تلقيته بباع : قال الخطاى : الباع معروف ، وهو قدر مد اليدين ، وقال الباجى : الباع طول ذراعى الإنسان وعضديه وعرض صدره ، وذلك قدر أربعة أذرع .
- (٣) - أتيته بأسرع : أى بأسرع من ذلك .
- قال ابن أبنى جمرة : هذا ليس على ظاهره بدليل أنك تجد ذلك من نفسك الذى أنت محدود متحيز على غير ظاهره ، فكيف فى جانب من لا يُحَدُّ ولا يُكَيَّفُ ، وإلا فأين الموضع الذى تقرب فيه من مولاك كشبر أو ذراع أو باع ؟ أو أى موضع يأتيه يمشى ؛ لأنه عز وجل ليس له جهة محدودة ، فيقرب من تلك الجهة بحسب هذه التنوعات ، فما بقى إلا التأويل من الجهتين ، ويكون المعنى فى ذلك : أنك مهما تقربت إلى مولاك بجهة من وجوه القرب ، فهو بفضله يجازيك على ذلك بأكثر مما جئت به ، وقد بين عز وجل ذلك بقوله : (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) ^(١) ، وقد جاء أن الحسنه بعشر ، وجاء بسبعين ، وجاء بسبعمائة ، وجاء بأكثر من ذلك بقوله تعالى : (والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) ^(٢) (٣) .

وقال الخطاى : هذا مثل ، ومعناه حسن القبول ومضاعفة الثواب على قدر العمل الذى يتقرب به العبد إلى ربه ، حتى يكون من ذلك مُمَثَّلًا بفعل من أقبل نحو صاحبه قدر شبر ، فاستقبله صاحبه ذراعاً ، وكمن مشى إليه فهرول إليه صاحبه ؛ قبولاً له ، وزيادة فى إكرامه . وقد يكون معناه التوفيق له والتيسير للعمل الذى يقربه منه ^(٤) .

وقد بين القاضى عياض أن العمل قد يكون واحداً وزيادة القبول إنما تكون بمقدار نية المؤمن ، فمن تقرب إلى شبرا : أى بالقصد والنية قربته توفيقاً وتيسيراً ذراعاً ؛ وإن

(١) الأنعام : ١٦٠ .

(٢) البقرة : ٢٦١ .

(٣) بهجة النفوس : ٢٧٧/٤ - ٢٧٨ .

(٤) طرح التثريب : ٢٣٥/٨ .

تقرب إلى العزم والاجتهاد ذراعاً قربته بالهداية والرعاية باعاً ، وإن أتاني معرضاً عن سواي ، مقبلاً إلى أدنيته ، وحُلْتُ بينه وبين كل قاطع ، وسبقت به كل صانع ، وهو معنى الهرولة ^(١) .

والقاضي عياض في هذا يرجع نيل الدرجات إلى النيات دون الأعمال المحسوسة ولكن الأظهر مجموع الأعمال والنيات بدليل قوله سبحانه وتعالى على لسان نبيه عليه السلام : « لن يتقرب إلى المتقربون بأحب من أداء ما افترضت عليهم ، ثم لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها » ، وجاء قوله - ﷺ : « أوقع الله أجره على قدر نيته » . فبان بهذا أن الأعمال في نفسها بعضها أقرب إلى الله تعالى من بعض ، ولذلك قال تعالى : (يبتغون إلى رهم الوسيلة أيهم أقرب) ^(٢) وبأن حسن النية يزيد العمل رفعة وقرباً إلى الله سبحانه ، ولذلك قال سبحانه : (ولا تطرد الذين يدعون رهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) ^(٣) فما أثنى عز وجل عليهم إلا بحسن نياتهم وجميل قصدهم ^(٤) .

وكل هذه التأويلات لاستحالة أن تكون هذه الألفاظ على المعنى الذي يراد من فعل الحوادث ، فهذا - كما يقول النووي : - من أحاديث الصفات ، ويستحل إرادة ظاهره ^(٥) .

ولكن سبق بيان موقفنا من مثل هذا الحديث ، وهو أننا نخر اللفظ كما جاء ، دون تأويل ، أو تفسير يؤدي إلى مشابهة الله - جل شأنه - للحوادث . فالله - عز وجل - أعلم بمراده .

(١) المصدر السابق : ٢٣٥/٨ .

(٢) الإسراء : ٥٧ .

(٣) الأنعام : ٥٢ .

(٤) بهجة النفوس : ٢٧٨/٤ .

(٥) شرح مسلم للنووي : ٥٣٤/٥ .

وظاهر هذا الخطاب أن من عمل حسنة جوزى بمثلها ؛ فإن الذراع شبران ، وفي الكتاب والسنة أن أقل ما يجازى على الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة لا تحصى فكيف يوجه الجمع ؟

والجمع أن هذا الحديث لم يسق لبيان مقدار الأجور وعدد تضاعفها ، وإنما سيق لتحقيق أن الله لا يضيع عمل عامل ، قليلاً كان أو كثيراً ، وأن الله تعالى يسرع إلى قبوله ، وإلى مضاعفة الثواب عليه إسراع من جرى إليه بشيء فبادر لأخذه ، وبشئ له شبهة من سر به ، ووقع منه الموضع ، ألا ترى قوله : « وإن أتاني يمشی أتيته هرولة ، وهنا : « بأسرع » ولا تتقدر الهرولة والإسراع بضعفى المشى ، وأما عدد الأضعاف فيؤخذ من موضع آخر ، لا من هذا الحديث ^(١) . والله أعلم .

ويستنبط من الحديث فوق ما تقدم : أنه ينبغي على المرء أن يعتنى بترفع عمله بأن ينظر الأعلى فالأعلى في أعيان الأعمال ، وفي تحسين النية فيها ما أمكنه ، ولا يخلى قلبه من ذكر مولاه والشغل بما يقرب إليه ؛ لأن هذه هي الفائدة التى تترتب على معرفة هذا الحديث ، مع قوة اليقين وخالص الإيمان والصدق والتصديق الذى لا يخالطه شك ولا ريب ، وإلا كان الأمر عليه لاله ، جعلنا الله ممن هداه ، ووفقه لما يقربه إليه ونفعه به بمَنِّه ^(٢) .

★ ★ ★

(١) طرح التثريب : ٢٣٦/٨ .

(٢) بهجة النفوس : ٢٧٨/٢ .

٨٢ - وقال رسول الله - ﷺ : إذا توضأ أحدكم فليستنشق بمَنَحْرَيْهِ من ^(١) ماءٍ ، ثم لينتثر .

* * *

(١) م : من الماء .

• رواه أحمد (٨١/١٦) ضمن روايته للصحيفة (رقم ٨٥/٨١٧٩) .

ورواه مسلم (٢١٢/١) - (٢) كتاب الطهارة - (٨) باب الايتار في الاستنثار والاستجمار - بسنده للصحيفة (رقم ٢٣٧/٢١) .

وروى نحوه من طريق سفيان ، عن أنى الزناد ، عن الأعرج ، عن أنى هريرة . وفيه : « إذا استجمر أحدكم فليستجمر وترا » . (٢٣٧/٢٠) .

ومن طريق مالك ، عن ابن شهاب ، عن أنى إدريس الحَوْلَانِي ، عن أنى هريرة (٢٣٧/٢٢) .

ومن طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن أنى إدريس الحَوْلَانِي عن أنى هريرة وأنى سعيد الخدري . (٢٣٧/٢٢) .

وروى من طريق ابن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن عيسى بن طلحة ، عن أنى هريرة أن النبي - ﷺ - قال : « إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستثر ثلاث مرات ؛ فإن الشيطان يبيت على خياشيمه » . (٢٣٨/٢٣) .

قال الأستاذ أحمد شاكر مقارنا بين رواية الصحيفة ، وبين رواية المسند ، ومسلم : « وقوله : (ثم لينثر) هو الثابت في أصول المسند ، وجامع المسانيد . وفي الصحيفة المفردة : (ثم لينتثر) ، وهو موافق لرواية مسلم .

وقد روى البخاري في (٤٨/١) - (٤) كتاب الوضوء - (٢٥) باب الاستنثار في الوضوء - حديث ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ، عن أنى إدريس ، عن أنى هريرة « من توضأ فليستثر ... » (رقم ١٦١) .

وفي (٤٨/١ - ٤٩) (٢٦) باب الاستجمار وتراً - روى حديث مالك ، عن أنى الزناد ، عن الأعرج ، عن أنى هريرة نحوه في جزء منه . (رقم ١٦٢) .

ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٤٩/١) - كتاب الطهارة - باب كيفية المضمضة والاستنشاق عن أنى طاهر الفقيه ، عن أبي بكر محمد بن الحسين القطان ، عن أحمد بن يوسف السلمي ، عن عبد الرزاق به وفيه « ثم لينثر » . وهو - كما نرى - يلتقى مع سند الصحيفة هنا في محمد بن الحسين القطان .

* * *

شرح الحديث :

(١) - فليستنشاق : الاستنشاق هو أن يبلغ الماء خياشيمه ، وهو من استنشاق الريح إذا شمها مع قوة (١) .

(٢) - بمنخريه : بفتح الميم وكسر الخاء ، وبكسرهما جميعاً لغتان معروفتان . قال الفيومي : والمنخر ، مثال مسجد ، خرق الأنف ، وأصله موضع النخير ، وهو الصوت من الأنف (٢) .

(٣) - ثم لينثر : الانتثار هو إخراج الماء بعد الاستنشاق ، مع ما في الأنف من مخاط وشبهه . وهذا قول الفقهاء وأهل الحديث (٣) .

ويمكن تناول معنى هذا الحديث وأحكامه في نقاط :

١ - استدل به أحمد وأبو ثور على وجوب الاستنشاق ؛ لظاهر الأمر ، وهو قول ابن أبي ليلى وإسحاق أيضاً ، حكاه الخطائى عنهما (٤) .

وربما كان من حجة هؤلاء - زيادة على ذلك - أنه لم يحك أحد ممن وصف وضوءه عليه الصلاة والسلام على الاستقصاء أنه ترك الاستنشاق (٥) .

وحمله الجمهور ؛ مالك والشافعي وأهل الكوفة على الندب ؛ لقوله - ﷺ - للأعرابي : توضأ كما أمرك الله ، وليس في الآية التي أمر الله بالوضوء فيها ذكر الاستنشاق . والقرينة الحالية والمقالية في قصة الأعرابي ناطقة صريحة بأن المراد من قوله : « كما أمرك الله تعالى » الأمر المذكور في آية الوضوء ، وليس فيها ما يدل على وجوب الاستنشاق ، ولا على المضمضة (٦) ، فلا حجة لمن يقول : إن معنى « كما أمرك الله » أى في الكتاب والسنة .

(١) طرح التثريب : ٥٢/٢ .

(٢) المصباح المنير : مادة « نخر » .

(٣) طرح التثريب : ٥٢/٢ .

(٤) المصدر السابق : ٥٣/٢ .

(٥) فتح الباري : ٢٦٢/١ .

(٦) عمدة القاري : ٣١٠/٢ .

ومن حجتهم كذلك : أن العلماء اتفقوا على عدم وجوب الانتثار ، مع كونه مأموراً به ، ومعطوفاً على أمره بالاستنشاق ؛ ولأنه أمر في بعض طرق الحديث بالتثليث فيه ؛ وليس بواجب اتفاقاً ، فدل على أن أصل الأمر للنذب .

وفي دفاع صاحب المفهم ؛ القرطبي عن رأى الجمهور قال : يحتمل أن يكون أمره - ﷺ بالاستنشاق أمراً بالوضوء ، كما قد جاء مفسراً في غير رواية مسلم « فليتوضأ وليستنثر ثلاثاً » (١) .

ومن حجتهم كذلك أنه لا يُعلم خلاف في أن من ترك الاستنشاق لا يعيد ؛ وهذا دليل قوى ، فإنه لا يحفظ ذلك عن أحد من الصحابة ولا التابعين إلا عن عطاء ، وثبت عنه أنه رجع عن إيجاب الإعادة (٢) .

كما أنه لا حجة لمن ذهب إلى الوجوب في قوله : إنه لم يحك أحد ممن وصف وضوءه ﷺ على الاستقصاء أن ترك الاستنشاق - فكما يقول العيني : فإنه يلزمه أن يقول بوجوب التسمية أيضاً ؛ لأنه لم ينقل أنه ترك التسمية فيه ، ومع هذا فهو سنة أو مستحبة عن إمام هذا القائل (٣) .

٢ - قد يستدل به من ذهب إلى أن مشروعية الاستنشاق لا تحصل بإيصال الماء إلى الخيشوم ؛ بل بالانتثار عقبه ؛ لأنه فائدة الاستنشاق ، كما اشترط بعضهم مج الماء من الفم في حصول المضمضة (٤) .

٣ - لم يُفَرَّق في حديث أبى هريرة في الاستنشاق بين الصائم وغيره ، وقد فرق بينهما في حديث لقيط بن صبرة أن النبى - ﷺ قال له : « وبالغ في الاستنشاق إلا أن

(١) طرح التثريب : ٥٣/٢ .

(٢) فتح البارى : ٢٦٢/١ .

(٣) عمدة القارى : ٣١٠/٢ .

(٤) طرح التثريب : ٥٤/٢ .

تكون صائماً^(١) . رواه أصحاب السنن ، وصححه الترمذى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم . وكذلك ذكر بعض أصحاب الشافعى أنه يكره للصائم المبالغة فيه ، وأنه لو بالغ فوصل الماء إلى جوفه بطل صومه على الأصح ؛ لأنه لم تشرع له المبالغة ، بخلاف ما وصل مع عدم المبالغة ، فإنه لا يضره . والله أعلم^(٢) .

٤ - وحكمة الاستنشاق كما ثبت في الصحيحين من رواية عيسى بن طلحة ، عن أبى هريرة أن النبى - ﷺ قال : إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر ثلاث مرات ، فإن الشيطان يبيت على خياشيمه ، فبين سبب الأمر ، وهو تطهير آثار الشيطان . وقد حكى القاضى عياض احتمالين : أنه محمول على الحقيقة أنه يبيت على الخياشيم جمع خيشوم ، وهو أعلى الأنف ؛ أو هو على الاستعارة ؛ لأن ما ينعقد من الغبار ورطوبة الخياشيم قذارة توافق الشيطان . قال صاحب المفهم : وهذا على عادة العرب في نسبتهم المستخبث والمستبشع إلى الشيطان ، كما قال الله تعالى : (كأنه رءوس الشياطين)^(٣) ؛ ويحتمل أن يكون ذلك عبارة عن تكسيه عن القيام للصلاة ؛ كما قال : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ... »^(٤) الحديث .

هذا في النوم . أما في اليقظة فيكون لطرد الشيطان^(٥) أى تعرضه للمؤمن .

وذكر الخطائى حكمة أخرى فقال : وترى أن معظم ما جاء من الحث والتحريض على الاستنشاق في الوضوء - إنما جاء لما فيه من المعونة على القراءة وتنقية مجرى النفس التى تكون به التلاوة ، وبإزالة ما فيه من التفل تصح مخارج الحروف^(٦) .

(١) سنن أبى داود (٩٨/١) (١) كتاب الطهارة - (٥٥) باب في الاستنثار - من طريق إسماعيل بن كثير ، عن عاصم بن لقيط بن صبرة عن لقيط .

وارجع إلى تحفة الأشراف : ٣٣١/٨ - ٣٣٢ حديث رقم ١١١٧٢ ، ففيه بيان روايات هذا الحديث في بقية السنن الأربع .

(٢) طرح التثريب : ٥٤/٢ .

(٣) الصافات : ٦٥ .

(٤) طرح التثريب : ٥٢/٢ .

(٥) فتح البارى : ٢٦٢/١ .

(٦) طرح التثريب : ٥٤/٢ .

هذا وقد ذكر بعضهم أن الحكمة في تقديم الاستنشاق والمضمضة وغسل الكفين على غسل الأعضاء الواجبة حتى يعرف المتوضئ بذلك أوصاف الماء الثلاثة ، وهي : الرائحة والطعم واللون ؛ هل هي متغيرة أو لا .

وكما يقول الحافظ العراقي : هذا وإن كان محتملا فإنه لا دليل عليه ، والعلة المنصوصة في الاستنشاق أولى ^(٧) . والله تعالى أعلم .

★ ★ ★

٨٣ - وقال رسول الله - ﷺ - : والذي نفس محمد بيده لو أن عندي أحداً ذهباً لأحببت ألا يأتي علي ثلاث ليال^(١) وعندي منه دينارٌ أجد من يتقبله مني ، ليس شيء أرصده في دين علي .

(١) ليس في « م » : ليال .

• رواه أحمد (٨١/١٦) ضمن روايته للصحيفة (رقم ٨٦/٨١٨٠) .

ورواه البخارى في (١٢٨/٨) - (٩٤) كتاب التمني - (٢) باب تمنى الخير وقول النبي - ﷺ - : « لو كان لي أحد ذهباً - قال : حدثني إسحاق بن نصر ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام : سمع أبا هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « لو كان عندي أحد ذهباً لأحببت ألا يأتي علي ثلاث وعندي منه دينار ليس شيء أرصده في دين علي أجد من يقبله » : (رقم ٧٢٢٨) .

وروى نحوه في (٨٣/٣) - (٤٣) كتاب الاستقراض - (٣) باب أداء الديون - من طريق يونس ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عتبة ، عن أنس بن مالك . وقال : رواه صالح وعقيل عن الزهري . (رقم ٢٣٨٩) .
كما روى في هذا الباب - وقبل هذا الحديث مباشرة - من طريق أنس بن شهاب ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه حديثاً طويلاً ، جزء منه نحو هذا الحديث ، كما يبين سبب ذكر أحد فيه ، وسنورد هذا الجزء في الشرح - إن شاء الله تعالى . (رقم ٢٣٨٨) .

كما روى في (١٧٨/٧) - (٨١) كتاب الرقاق - (١٤) باب قول النبي ﷺ : « ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهباً - هذين الحديثين : حديث يونس عن ابن شهاب (رقم ٦٤٤٥) ، وحديث الأعمش عن زيد بن وهب (رقم ٦٤٤٤) .

وروى مسلم في (٦٨٧/٢) - (١٢) كتاب الزكاة - (٨) باب تغليط عقوبة من لا يؤدي الزكاة - من طريق الربيع بن مسلم ، عن محمد بن زياد ، عن أنس بن مالك ، وعن شعبة عن محمد بن زياد نحوه . (٩٩١/٣١) .
ورواه البغوي الفراء (١٥٢/٦) في كتاب الزكاة - باب ما يكره من إمساك المال ، وما يؤمر به من الإنفاق - بسنده للصحيفة ، وفيه « لو أن عندي مثل أحد » ، وقال : هذا حديث متفق على صحته أخرجه من طرق عن أنس بن مالك وأبي هريرة . (رقم ١٦٥٣) .

وعند البغوي أيضاً لفظ « يتقبله » كما هنا في الصحيفة ، وقد أشار الأستاذ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٨٢/١٦) إلى أنه ربما كان وجود هذه اللفظة إنما هو خطأ من ناسخ أو طابع ، والذي دفعه إلى ذلك هو وجود « يقبله » في أصول المسند وجامع المسانيد ، وفي البخارى .

نقول : ولكن وجودها عند البغوى - الذى يلتقى مع سند الصحيفة هنا فى رجلين قبل عبد الرزاق - موافقة لما فى مخطوطات الصحيفة يدل على أن الأمر ليس خطأ فى الطبع أو النسخ ، كما يدل على أن رواية الصحيفة هكذا .

شرح الحديث :

(١) - والذى نفس محمد بيده :

التعبير عن النفس بالاسم دون الضمير زيادة تأكيد ؛ لأن الإنسان إذا استحضر أن نفسه التى هى أعز الأشياء عليه بيد الله يتصرف فيها كيف يشاء غلب عليه الخوف فارتدع عن الحلف على ما لا يتحققه .

و « بيده » من أحاديث الصفات التى فيها مذهبان مشهوران ؛ أحدهما : تأويل اليد بالقدرة ؛ وثانيهما : إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ، والكف عن تفسير الصفة المذكورة ^(١) . وهذا هو الذى نختاره .

وفى هذا جواز الحلف بغير تحليف . قال النووى : بل هو مستحب إذا كان مصلحة ؛ كتوكيد أمر مهم ، وتحقيقه ، ونفى المجاز عنه . قال : وقد كثرت الأحاديث الصحيحة فى حلف رسول الله - ﷺ - فى هذا النوع لهذا المعنى ^(٢) .

(٢) - لو أن عندى أحداً ذهباً :

وقد ورد فى حديث أبى ذر عند البخارى وغيره ما يبين سبب ذكر أحد ، وذكر هذا الحديث : « قال أبو ذر : كنت أمشى مع النبى - ﷺ - فى حرة المدينة فاستقبلنا أحد ، فقال : يا أبا ذر ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : ما يسرنى أن عندى مثل أحد هذا ذهباً ، تمضى على ثلاثة وعندى منه دينار ، إلا شيئاً أرضيه لدين ، إلا أن أقول به - فى عباد الله - هكذا وهكذا - عن يمينه ، وعن شماله ، ومن خلفه - ثم مشى ، ثم قال : إن الأكثرين هم المُقِلُّون يوم القيامة ، إلا من قال هكذا ، وهكذا ، وهكذا - عن يمينه ، وعن شماله ، ومن خلفه ، وقليل ما هم ^(٣) .

(١) طرح التثريب ٣٠/٤ .

(٢) المصدر السابق ٣٠/٤ .

(٣) انظر الموضع فى التخرىج .

وقوله - ﷺ « لو أن عندى أحدًا » يحتمل أن تقديره « مثل أحد ، ففيه مضاف حذف ، وأقيم المضاف إليه مقامه ، ويحتمل أن يكون المراد انقلاب أحد نفسه وصيورته ذهباً . ويدل للاحتمال الأول قوله في رواية البخارى من طريق عبيد الله بن عبد الله عن أبى هريرة مرفوعاً : « لو كان لى مثل أحد » ، ويدل للاحتمال الثانى قوله فى حديث أبى ذر فى الصحيح : « فلما أبصر - يعنى أحدا قال : ما أحب أن تحول لى ذهباً يمكث عندى منه دينار » الحديث (١) .

وفى هذا استحباب التمنى فى الخير ، وأن النهى عن ذلك فى قوله - ﷺ : « لا تقولوا (لو) ؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان » إنما هو فى أمور الدنيا ، فأما تمنى الخير فمحبوب مأجور عليه (٢) .

(٣) - لأحببت ألا يأتى على ثلاث ليال وعندى منه دينار :

قيد بالثلاث ليال ؛ لأنه قد لا يتيهأ تفريق قدر أحد من الذهب فى أقل منها غالباً ، وإذا كان فى بعض الأحاديث : « يوم وليلة » فإنه يمكن الجمع بأن الثلاثة أقصى ما يحتاج إليه ، والواحدة أقل ما يمكن (٣) .

وفى هذا الحث على الصدقة والإنفاق فى القربات ، وأن النبى - ﷺ كان فى أعلى درجات الزهد ، يحب ألا يبقى عنده من جبل ذهب بعد ثلاثة أيام شئ (٤) .

(٤) - أجد من يتقبله منى :

فالإنفاق إنما يكون عند وجود القابلين له ، فأما مع فقدهم فلا يتأتى الإنفاق ؛ لأن الآخذ أحد ركنيه ، وقد استدل به بعض العلماء على أنه إذا لم يجد من يقبل صدقته

(١) طرح التثريب : ٣٠/٤ .

(٢) المصدر السابق : ٣١/٤ .

(٣) فتح البارى : ٢٦٥/١١ .

(٤) طرح التثريب : ٣٠/٤ .

فلا حرج عليه ؛ لأنه - ﷺ - شرط في تمنيه الإنفاق في ثلاثٍ وجودَ القابل ، وهذا استدلال واضح (١) .

(٥) - ليس شيء أرصده في دين عليّ :

أى أعده وأحفظه ؛ لا أتمنى أن أدخر ديناراً من هذا الذهب الكثير إلا ديناراً أدخره لسداد دين عليّ .

وهذا الإرصاء أعم من أن يكون لصاحب دين غائب حتى يحضر فيأخذه ، أو لأجل وفاء دين مؤجل حتى يحل فيوفى (٢) .

وفي هذا دليل على تقديم وفاء الدين على الصدقة (٣) .

وفيه أيضاً جواز الاستقراض والاستدانة ، وقيد بعض العلماء ذلك باليسير للاقتداء بالنبي - ﷺ - في إرصاده ديناراً لدينه . قال : ولو كان عليه مائة دينار أو أكثر لم يرصد لأدائها ديناراً ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان أحسن الناس قضاء . قال : فبان بهذا الحديث أنه ينبغي للمؤمن ألا يستغرق في كثرة الدين خشية الاهتمام به والعجز عن أدائه ، وقد استعاذ النبي - ﷺ - من ضلع الدين ، واستعاذ من المأثم والمغرم ، وقال : إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ، ووعد فأخلف .

والحق أنه ليس في الحديث ما يدل على هذا ، فالرسول - ﷺ - يريد أنه يرصد من المال ما به وفاء الدين قليلاً كان المال أو كثيراً (٤) . ولهذا علق ابن حجر على هذا الرأي بقوله : « ولا يخفى ما فيه » (٥) .

وفي الحديث كذلك الاهتمام بأمر وفاء الدين (٦) ، وأنه أصل في أداء الأمانات (٧) . والله تعالى أعلم .

(١) المصدر السابق : ٣٠/٤ .

(٢) فتح الباري ١١/٢٦٥ .

(٣) طرح التثريب : ٣١/٤ .

(٤) المصدر السابق : ٣١/٤ .

(٥) فتح الباري : ٥٥/٥ .

(٦) المصدر السابق : ٥٥/٥ .

(٧) المصدر السابق : ٣١/٤ .

٨٤ - وقال رسول الله - ﷺ : إذا جاءكم ^(١) الصانع بطعامكم ^(٢) قد أغنى عنكم حره ودُّخانَه - فادعوه فليأكل معكم ، وإلا فالقِمَوه في يده أو لِيُناولُهُ في يده .

(١) م : إذا جاء . (٢) م : بطعام .

• رواه أحمد (٨٢/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٨٧/٨١٨١) .

وروى نحوه البخارى في (١٢٥/٣) - (٤٩) كتاب العتق - (١٨) باب إذا أتاه خادمه بطعامه - من طريق شعبة عن محمد بن زياد عن أنى هريرة (رقم ٢٥٥٧) .
وفي (٢١٤/٦) - (٧٠) كتاب الأطعمة - (٥٥) باب الأكل مع الخادم - من الطريق السابق نفسه . (رقم ٥٤٦٠) .

وروى مسلم نحوه في (١٢٨٤/٣) - (٢٧) كتاب الأيمان - (١٠) باب إطعام المملوك مما يأكل ، وإلباسه مما يلبس ، ولا يكلفه مما يغلبه - من طريق داود بن قيس ، عن موسى بن يسار ، عن أنى هريرة وفيه « فإن كان الطعام مَشْفُوهاً قليلاً فليضع في يده منه أكلة أو أكلتين . قال داود : يعنى لقمة أو لقمتين . (رقم ١٦٦٣/٤٢) .
هذا ، وقد ذكر الدكتور حميد الله عبارة « أو ليناوله في يده » بين قوسين الأمر الذى جعل الأستاذ أحمد شاکر يقول : إنها زيادة منه ، ويقول : « ولعلها من مخطوطة برلين التى يدل وصفه إياها على أنها لا قيمة لها » (تحقيق المسند ٨٢/١٦) .

ونرجح ألا تكون هذه الزيادة من الدكتور حميد الله ، كما نرجح ألا تكون فى نسخة دون نسخة ؛ لأن الدكتور حميد الله ينبه على الفروق بين النسخ ، ولم يذكر هذا الفرق ، كما ذكر ما يدل على أن هذه العبارة من الفروق بين الصحيفة وبين رواية المسند حيث قال فى التعليقات : « وحذف ح كلمة : « أو ليناوله في يده » . (مجلة المجمع العلمى العربى فى دمشق ١٩٥٣/٢٨ م / ص ٤٥٧) . وزيادة على ذلك فهمى فى « م » .

أما القوسان اللذان وضع الدكتور حميد الله بينهما العبارة فيدلان فقط على أن الرسول ﷺ قال « فألقموه في يده » أو « ليناوله في يده » ، ولم يقل العبارتين معاً ، وإنما قال إحداهما . وقد سلك مثل هذا فى حديث رقم (١٠٠) فى الصحيفة حيث كتب عبارة « ﷺ » ، وهو يشير إلى رباعيته « بين قوسين دلالة على أنها ليست من كلام الرسول ﷺ » ، وإن كانت من الحديث . وسيأتى هذا برقم (١٠١) عندنا - إن شاء الله تعالى . والله أعلم .

شرح الحديث :

(١) - إذا جاءكم الصانع بطعامكم : المراد بالصانع الذى صنع الطعام ، وينبغى

أن يكون في معناه حامل الطعام لوجود المعنى فيه ؛ وهو تعلق نفسه به ، وشم رائحته وإراحة صاحب الطعام من حمله كما أن في الصانع إراحته من طبخه ، وإن كان الحامل أقل عملاً من الصانع ^(١) . ويطلق على كل هذا خدم المرء ممن يعانى ذلك .

(٢) - فادعوه ، فليأكل معكم ، وإلا فآلقموه في يده :

قال الإمام الشافعى بعد أن ذكر الحديث : هذا عندنا - والله أعلم على وجهين ؛ أولهما : معناه أن إجلاسه معه أفضل ، فإن لم يفعل فليس بواجب ، أو يكون بالخيار بين أن يجلسه أو يناوله ، وقد يكون أمره اختياراً غير حتم .

قال بعض العلماء : وهذا الحديث تفسير حديث أبى ذر في الأمر بالتسوية مع الخادم في المطعم والملبس ؛ فإنه جعل الخيار إلى السيد في إجلاس الخادم معه وتركه ^(٢) . وحديث أبى ذر يقول : « أطعموهم كما تطعمون » أى سواء بأكلهم معكم أو بإعطائهم لقمة أو لقمتين كما قال الحديث هنا .

وقد بينت بعض الأحاديث متى يجلسه ليأكل معه ، ومتى يناوله لقمة أو لقمتين في يده ؛ فالأمر مرهون بكثرة الطعام وقلته ، كما في رواية مسلم : « فإن كان مشفوها قليلاً فليضع في يده منه أكلة أو أكلتين .

وقد تكون المناولة عند إباء الخادم أن يأكل مع سيده حياء منه أو تأدباً أو يأبى السيد كما جاء في بعض الروايات ^(٣) .

هذا وقد حكى ابن المنذر عن جميع أهل العلم أنه لا يجب إطعام المملوك من جنس مأكول سيده ، فله أن يتناول الأطعمة النفيسة ، ويطعم رقيقه مما دون ذلك وكذلك خدمه ، وإن كان الأفضل المشاركة ، ولكن الواجب أن يطعمهم من غالب الطعام الذى يأكل منه من في مستواهم وطبقته ، وكذلك الكسوة الغالبة ^(٤) .

(١) طرح التثريب : ٢٢/٦ .

(٢) فتح البارى : ٥٨٢/٩ .

(٣) طرح التثريب : ٢٢/٦ .

(٤) المصدر السابق : ٢٢/٦ .

٨٥ - وقال رسول الله - ﷺ : لا يقل أحدكم : « اسق ربك » أو « أطعم ربك » ، و « ضئ ربك » . ولا يقل أحدكم : « رنى » وليقل : « سيدى » ، « مولى » . ولا يقل أحدكم : « عبدى » ، « أمتى » ؛ وليقل : « فتاتى » ، « فتاتى » ، « غلامى » .

• رواه عبد الرزاق (٤٥/١١) فى كتاب الجامع من المصنف - باب لا يقل أحد : رنى ولا ربتى - عن معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يحدث أن النبى - ﷺ قال : لا يقل أحدكم : « أطعم ربك » ، « اسق ربك » ، « وضئ ربك » ، وليقل : « سيدى » و « مولى » . ولا يقل أحدكم : « عبدى » ، وأمتى « وليقل : « فتاتى » ، و « فتاتى » ، و « غلامى » . (رقم ١٩٨٦٩) .

ورواه أحمد (٨٣/١٦) ضمن روايته للصحيفة (رقم ٨٨/٨١٨٢) .

ورواه البخارى فى (١٢٤/٣) - (٤٩) كتاب العتق - (١٧) باب كراهية التطاول على الرقيق ، وقوله عبدى أو أمتى - عن محمد ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة به ، (رقم ٢٥٥٢) ومحمد هذا الذى روى عنه عبد الرزاق قال البغوى فى شرح السنة إنه محمد بن رافع (٣٤٩/١٢) ، وقال صاحب طرح التثريب : هو ابن يحيى الذهلى (٢٢١/٦) .

ورواه مسلم فى (١٧٦٤/٤ - ١٧٦٥) - (٤٠) كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها - (٣) باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد - بسنده للصحيفة (رقم ٢٢٤٩/١٥) .

كما روى قبله حديثين يبين فيهما رسول الله - ﷺ العلة فى هذا النهى -

أحدهما : من طريق العلاء - هو ابن عبد الرحمن - عن أبيه ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله - ﷺ قال : « لا يقول أحدكم عبدى وأمتى ؛ كلكم عبيد الله ، وكل نسائكم إماء الله ، ولكن ليقول : غلامى وجاريته وفتاتى وفتاتى » . (٢٢٤٩/١٣) .

وثانيهما : من طريق الأعمش ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله - ﷺ قال : لا يقول أحدكم عبدى ؛ فكلكم عبيد الله ولكن ليقول : فتاتى ، ولا يقل العبد : رنى ولكن ليقول سيدى .

وفى رواية فى هذا الحديث ؛ حديث الأعمش : « ولا يقل لسيدة : « مولى » وستعرض لهذا الاختلاف بين هذه الرواية وبين حديثنا فى الشرح - إن شاء الله تعالى (ص ٣٧١) .

ورواه البغوي في (٣٤٩/١٢) باب لا يقول العبد للملكه ربي ، ولا المالك عبدى بسنده للصحيفة ، وقال : هذا حديث متفق على صحته أخرجاه عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق (رقم ٣٣٨٠) .
ورواه البيهقي في السنن الكبرى (١٣/٨) في كتاب النفقات - باب ما ينادى به كل واحد منهما صاحبه -
عن أبي طاهر الفقيه ، عن أبي بكر القطان ثنا أحمد بن يوسف ، ثنا عبد الرزاق ، أنبا معمر ، عن همام بن منبه به .
وهو بهذا يلتقى - كالبغوي - مع سند الصحيفة هنا في رجلين قبل عبد الرزاق .

* * *

(١) - لا يقل أحدكم : « اسق ربك إلخ :

السبب في هذا النهي أن حقيقة الربوبية لله تعالى ؛ لأن الرب هو المالك والقائم بالشيء ، فلا توجد حقيقة ذلك إلا لله تعالى . قال الخطابي : سبب المنع أن الإنسان مريبوب متعبد بإخلاص التوحيد لله وترك الإشراك معه ، فكره له المضاهاة في الاسم ؛ لئلا يدخل في معنى الشرك ، ولا فرق في ذلك بين الحر والعبد ، فأما ما لا تعبد عليه من سائر الحيوانات والجمادات فلا يكره إطلاق ذلك عليه عند الإضافة كقولك : « رب الدار » و « رب الثوب » . وقال ابن بطال : لا يجوز أن يقال لأحد غير الله رب ، كما لا يجوز أن يقال له إله .

ولقد ورد في بعض الأحاديث الحكمة في هذا النهي - كما ذكرنا في التخريج ؛ فعند مسلم - رضى الله عنه - « لا يقولن أحدكم : « عبدى » و « أمتى » ؛ بلكم عبيد الله ، وكل نسائكم إماء الله » .

قال ابن حجر : والذي يختص بالله تعالى إطلاق الرب بلا إضافة ، أما مع الإضافة فيجوز إطلاقه ، كما في قوله تعالى حكاية عن يوسف (اذكرني عند ربك) (١) ، وقوله : (ارجع إلى ربك) (٢) وقوله (إنه ربي أحسن مثواي) (٣) وقوله عليه الصلاة والسلام في أشراط الساعة : « أن تلد الأمة ربتها » فدل على أن النهي في ذلك محمول على الإطلاق (٤) .

(١) يوسف : ٤٢ .

(٢) يوسف : ٥٠ .

(٣) يوسف : ٢٣ .

(٤) فتح الباري : ١٧٩/٥ .

وربما فات ابن حجر أن هنا إضافة ، ومع ذلك ورد النهى « اسق ربك ... » .
ولقد حاول العلماء الجمع بين هذا الحديث وما ورد فى مثل هذه الآيات والحديث
فقالوا : إن النهى هنا للأدب والتنزيه وليس للتحريم وما ورد من ذلك فليبان الجواز أو أن
المراد النهى عن الإكثار من استعمال هذه اللفظة واتخاذها عادة شائعة ، ولم ينه عن
إطلاقها فى نادر الأحوال . أى المراد النهى عن ذكرها فى الجملة ^(١) .

وعلى كل حال فهذا النهى للمملوك أن يقول لسيده ربي ، وكذلك نهى غيره ، فلا
يقول أحد للمملوك ربك ، ويدخل فى ذلك أن يقول السيد ذلك عن نفسه ، فإنه يقول :
اسق ربك فيضع الظاهر موضع الضمير على سبيل التعظيم لنفسه ، بل هو أولى بالنهى
من قول العبد أو الأجنبي ذلك عن السيد ^(٢) .

وذكر السقى والإطعام والوضوء أمثلة ، والمقصود بالنهى استعمال لفظ الرب ،
وإنما ذكرت هذه الأمور لغلبة استعمالها فى المحاطبات ^(٣) .

(٢) - وليقل : « سيدى » « مولاي » :

فى هذا جواز إطلاق العبد على مالكه « سيدى » . قال القرطبى وغيره : إنما فرق
بين الرب والسيد ؛ لأن الرب من أسماء الله تعالى اتفاقاً ، واختلف فى « السيد » ، ولم يرد
فى القرآن أنه من أسماء الله تعالى ^(٤) ، ولفظة « السيد » غير مختصة بالله تعالى اختصاص
الرب ولا مستعملة كاستعمالها .

قال البغوى : ولم يمنع العبد أن يقول : سيدى ومولاي ؛ لأن مرجع السيادة إلى
معنى الرئاسة على من تحت يده ، والسياسة له ، وحسن التدبير لأمره ، ولذلك سمي
الزوج سيداً . قال سبحانه وتعالى : (وألقيا سيدها لدى الباب ^(٥)) ^(٦) .

(١) شرح مسلم للنووى : ١٠٥/٥ .

(٢) طرح التثريب : ٢٢١/٦ .

(٣) المصدر السابق : ٢٢١/٦ .

(٤) فتح البارى : ١٨٠/٥ .

(٥) يوسف : ٢٥ .

(٦) شرح السنة : ٣٥٠/١٢ - ٣٥١ .

وقد قال النبي - ﷺ - للحسن بن علي رضي الله عنهما إن ابني هذا سيد .
وقال : قوموا إلى سيدكم - يعني سعد بن معاذ ، وقال : اسمعوا ما يقول سيدكم ، يعني سعد
ابن عباد (١) .

وفي هذا الحديث أنه لا بأس كذلك بقوله « مولاي » والمولى كثير التصرف من
ولى وناصر وابن عم وحليف ومعتق ، وأصله من ولاية أمر وإصلاحه فلم يمنع من أن
يوصف به مالك الرقبة (٢) .

وأما ما رواه مسلم والنسائي من طريق الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة
« ولا يقل أحدكم مولاي ؛ فإن مولاكم الله ، ولكن ليقول سيدي » فقد بين مسلم الاختلاف
عن ذلك على الأعمش ، وأن منهم من ذكر هذه الزيادة ، ومنهم من حذفها . وقال
عياض : حذفها أصح (٣) . وقال القرطبي : المشهور حذفها . قال : وإنما صرنا إلى
الترجيح للتعارض مع تعذر الجمع ، وعدم العلم بالتاريخ (٤) .

(٣) - ولا يقل أحدكم « عبدى » ، « أمتى » ، وليقل : « فتاى » « فتاقى »
« غلامى » :

في هذا نهى السيد أن يقول لمملوكه : « عبدى » و « أمتى » . وإرشاده إلى أن
يقول غلامى وجارىتى وفتاقى ؛ وذلك لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى ، ولأن
فيها تعظيماً لا يليق بالخلق واستعماله لنفسه ، وقد بين النبي - ﷺ - العلة في ذلك
فقال : « كلكم عبيد الله » فنهى عن التطاول في اللفظ ، كما نهى عن التطاول في الفعل ؛
في إسبال الإزار ونحوه (٥) . قال الخطابي : المعنى في ذلك كله راجع إلى البراءة من الكبر
والتزام الذل والخضوع لله عز وجل ، وهو الذى يليق بالمربوب (٦) .

(١) طرح الثريب : ٢٢٢/٦ .

(٢) شرح السنة : ٣٥١/١٢ .

(٣) شرح مسلم للنووى : ١٠٥/٥ .

(٤) فتح البارى : ١٨٠/٥ .

(٥) طرح الثريب : ٢٢٣/٦ .

(٦) فتح البارى : ١٨٠/٥ .

وقد أرشد الرسول - ﷺ إلى ما يؤدي إلى المعنى مع السلامة من التعاضم : « وليقل : « فتأى » إلخ ؛ لأن لفظى الفتى والغلام ليسا دالين على محض الملك كدلالة العبد ، فقد كثر استعمال الفتى فى الحر ، وكذلك الغلام والجارية ، وإنما هى للاختصاص ^(١) .

وهذا النهى على التنزيه دون التحريم ، وقد حملة على ذلك جميع العلماء حتى أهل الظاهر ، وأشار إلى ذلك البخارى فى صحيحه ، فبوب : « باب كراهية التطاول على الرقيق ، وقوله عبدى وأمتى ، وقال الله تعالى : (والصالحين من عبادكم وإمائكم) ^(٢) » وقال : (عبداً مملوكاً) ^(٣) (وألفيا سيدها لدى الباب) ^(٤) وقال : (من فتياتكم المؤمنات) ^(٥) وقال النبى - ﷺ : (قوموا إلى سيدكم) و (اذكرونى عند ربك) ^(٦) ؛ سيدك ، و « من سيدك » ثم روى الحديث هذا ، وحديث ابن عمر « إذا نصح العبد سيده » ، وحديث أنى موسى : « المملوك الذى يحسن عبادة ربه ويؤدى إلى سيده ، وحديث ابن عمر : « من أعتق له نصيباً من عبد » وحديثه « والعبد راجع على مال سيده » وحديث أنى هريرة وزيد بن خالد : « إذا زنت الأمة فاجلدوها » فاستدل البخارى بهذه الآيات والأحاديث على أن النهى فى هذا الحديث للكرهية ^(٧) .

وقال ابن بطلال : ما جاء فى هذا الباب من النهى عن التسمية فهو من باب التواضع ويجوز أن يقول : « عبدى » و « أمتى » ؛ لأن القرآن قد نطق به فى قوله تعالى : (والصالحين من عبادكم وإمائكم) ^(٨) .

ويرى الإمام النووى - رحمه الله تعالى - أن استعمال لفظ العبد وغيره للتعريف والوصف لا يشمل النهى ^(٩) . والله تعالى أعلم .

(١) شرح مسلم للنووى : ١٠٦/٥ .

(٢) النور : ٣٢ .

(٣) النحل : ٧٥ .

(٤) يوسف : ٢٥ .

(٥) النساء : ٢٥ .

(٦) يوسف : ٤٢ .

(٧) صحيح البخارى (١٢٤/٣ - ١٢٥) (٤٩) كتاب العتق - (١٧) باب كراهية التطاول على الرقيق .

(٨) طرح الثريب : ٢٢٣/٦ - ٢٢٤ .

(٩) شرح مسلم : ١٠٦/٥ .

٨٦ - وقال رسول الله - ﷺ : **أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلْجُ الْجَنَّةَ صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يَنْصُقُونَ فِيهَا وَلَا يَمْتَخِطُونَ ، وَلَا يَتَعَوَّطُونَ . آيَتُهُمْ وَأَمْشَاتُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ ، وَمَجَامِرُهُمْ مِنَ الْأَلْوَةِ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخٌّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا .**

• رواه عبد الرزاق في (٤١٣/١١ - ٤١٤) كتاب الجامع من المصنف - باب الجنة وصفتها - عن معمر ، عن همام بن منبه ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم رسول الله - ﷺ : إن أول زمرة تلج في الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يمتخطون ، ولا ييصقون ، ولا يتغوطون ، آيتهم وأمشاتهم من الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوة ، ورشحهم المسك ، لكل امرئ منهم زوجتان ، يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيا .

ورواه أحمد (٨٣/١٦) ضمن روايته للصحيفة (رقم ٨٩/٨١٨٣) .

وفيه زيادة : « ولا يتفلون فيها » ، ولم ينبه عليها الأستاذ أحمد شاكر على غير عادته في التنبيه على مثل ذلك .

ورواه مسلم في (٢١٨٠/٤) - (٥١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - (٧) باب في صفات الجنة وأهلها وتسييحهم فيها بكرة وعشيا - بسنده للصحيفة (٢٨٣٤/١٧) .

ورواه من طرق أخرى ستعرض لها في الشرح إن شاء الله تعالى .

ورواه البخاري في (٨٦/٤) - (٥٩) كتاب بدء الخلق - (٨) باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة - من طريق عبد الله - هو ابن المبارك ، عن معمر ، عن همام بن منبه به (رقم ٣٢٤٥) .

كما روى نحوه من طريق أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، وفيه « والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة . (رقم ٣٢٤٦) .

ومن طريق عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة (رقم ٣٢٥٤) .

وفي (١٠٢/٤) - (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء - (١) باب خلق آدم وذريته - من طريق أبي زرعة

عن أنى هريرة . وفيه « ومجامرهم الأثوة ؛ الألتجوج عود الطيب » و « على تخلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء .

وحديث ابن المبارك عن معمر الذى رواه البخارى فى كتاب الزهد لابن المبارك ؛ نسخة نعيم بن حماد فى آخر الكتاب ص ١٣٠ رقم ٤٣٣ .

ورواه الترمذى فى (٦٧٨/٤) - (٣٩) كتاب صفة الجنة - (٧) باب ما جاء فى صفة أهل الجنة - من طريق عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن همام بن منبه ، عن أنى هريرة . ثم قال : هذا حديث صحيح .
ورواه البغوى (٢٠٧/١٥) فى باب صفة الجنة ، وما أعد الله للصالحين فيها - بسنده للصحيحة ، هو وأحاديث أخرى رواها معه بسند واحد ، وقال : هذه أحاديث متفق على صحتها أخرجاها من طرق عن أنى هريرة وغيره .
وفى كل الروايات نرى كلمة « ساقيهما » أو « ساقهما » ما عدا ما فى الصحيفة المطبوعة وكذلك ما فى المصنف كما رأينا .

شرح الحديث :

(١) - لخص ابن الحافظ العراقى فى طرح التثريب روايات هذا الحديث من حيث ما فيها من اختلاف أو زيادات ومن أخرجهما فقال : أخرجه مسلم من هذا الوجه من طريق عبد الرزاق ، وأخرجه البخارى والترمذى من طريق عبد الله بن المبارك كلاهما عن معمر ، عن همام ، واتفق عليه الشيخان من طريق عمارة بن القعقاع ، عن أنى زرعة ، عن أنى هريرة ، وزاد فيه بعد قوله : « ليلة البدر » « ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دُرِّيِّ فى السماء إضاءة » وليس فيه : « ولكل واحد منهم زوجتان » إلى آخره . وفى آخره : « وأزواجهم الحور العين ، على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً فى السماء . وأخرجه البخارى أيضاً من طريق شعيب بن أنى حمزة ، عن أنى الزناد ، عن الأعرج ، عن أنى هريرة ، وفيه : « والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة » وأخرجه مسلم من طريق أيوب السخيتانى ، عن محمد بن سيرين ، عن أنى هريرة . وفيه : « والذى تليها على أضوأ كوكب دُرِّيِّ فى السماء » وأخرجه أيضاً من طريق الأعمش ، عن أنى صالح ، عن أنى هريرة بلفظ : « أول زمرة تدخل الجنة من أمتى على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد نجم فى السماء إضاءة ، ثم هم بعد ذلك منازل » الحديث . وذكر عن شيخه أنى بكر بن أنى شيبه : « على تخلق رجل » بضم الخاء واللام ، وعن شيخه أنى كريب : « على تخلق رجل » أى بفتح الخاء وإسكان اللام ^(١) .

(١) طرح التثريب : ٢٦٧/٨ .

(٢) - أول زمرة : الزمرة الجماعة . وفي صحيح البخارى ومسلم من حديث سهل بن سعد مرفوعاً : « ليدخلن من أمتى سبعون ألفاً الجنة أو سبعمئة ألف ، متماسكون آخذ بعضهم بعضاً لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » ^(١) ، فبين في هذه الرواية عدد هذه الزمرة .

وفي هذا دليل على دخول أهل الجنة إليها جماعة بعد جماعة ، وقد صرح به في قوله تعالى : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زُمراً) ^(٢) وذلك بحسب الفضل وتفاوت الدرجات ، فمن كان أفضل كان إلى الجنة أسبق . وأول من يدخل الجنة نبينا محمد ﷺ ؛ ففي الحديث الصحيح : « آتى يوم القيامة باب الجنة فاستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك » ^(٣) .

(٣) - تلج الجنة : أى تدخلها ؛ ومنه قوله تعالى : (حتى يَلَجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) .

(٤) - صورهم على صورة القمر ليلة البدر : أى فى الإضاءة والإشراق ، فهم فى إشراق وجوههم على صفة القمر ليلة تمامه وكاله ، وهى ليلة أربع عشرة ، وشبههم بذلك لأن القمر فى حال التمام يكون أجمل شئ فى هذه الدار ، ولو كان شئ فى هذه الدار أتم جمالاً منه لشبههم به ^(٤) . وإن كانت الحقيقة أكبر من ذلك ، ولهذا ورد ما يقتضى ما هو أبلغ ، فروى الترمذى من حديث سعد بن أبى وقاص مرفوعاً : « لو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدأ أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم » ^(٥) .

(١) صحيح البخارى (٢٠١/٧) (٨١) كتاب الرقاق - (٥١) باب صفة الجنة والنار ومسلم (١٩٨/١ - ١٩٩) (١) كتاب الإيمان (٩٤) - باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (رقم ٢١٩/٣٧٣) .

(٢) الزمر : ٧٣ .

(٣) طرح التثريب : ٢٦٧/٨ - ٢٦٨ .

(٤) بهجة النفوس : ٧/٤ .

(٥) صحيح الترمذى (٦٧٨/٤) - (٣٩) كتاب صفة الجنة - (٧) باب ما جاء فى صفة أهل الجنة

(رقم ٢٥٣٨) .

وبين ابن أوى جمرة : لم قال - ﷺ « صورهم » ولم يقل « وجوههم » بما يجلى ما قلناه فقال : إنه عليه الصلاة والسلام ما أراد من تمثيل صورتهم بصورة البدر أنهم مثله ليس إلا ، وإنما القمر هو نور ، وليلة البدر يكمل نوره ، فيكون معنى التشبيه أنهم « نوريون » فى أتم ما يكون النور ، بدليل قوله - ﷺ : « لو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس ، كما تطمس الشمس ضوء النجوم » وقال عليه الصلاة والسلام : « لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت الدنيا وما فيها ، ولألت ما بينهما ريحا ولنصيفها - يعنى خمارها - خير من الدنيا وما فيها » فإذا كان سواره يطمس ضوء الشمس ، فكيف يكون وجهه مثل البدر ؟ هذا مستحيل ، فبان ما أشرنا إليه أنه عليه الصلاة والسلام ما أراد إلا تمام نورهم بحسب نور تلك الدار ، فكذلك شبه عليه الصلاة والسلام بالصورة ، ولم يذكر الوجه ، ولا شيئا من الحواس ، كما مثل مولانا جل جلاله فُرْشَهم فقال : (بطائنها من استبرق) الذى هو أعلى ما فى هذه الدار ، ولم يخبرنا عن الوجوه ؛ لأنه ليس فى هذه الدار شيء يشبهها (١) .

(٥) - لا يصقون فيها ، ولا يمتخطون ولا يتغوطون : زاد فى رواية : « ولا يبولون ولا يتفلون وفى رواية : « لا يسقمون » وقد اشتمل ذلك على نفى جميع النقص عنهم . ولمسلم من حديث جابر : « يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون طعامهم ، ذلك جشاء كريح المسك ، وكأنه مختصر مما أخرجه النسائي من حديث زيد ابن أرقم قال : جاء رجل من أهل الكتاب فقال : يا أبا القاسم : تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال : نعم ؛ إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع ، قال : الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة ، وليس فى الجنة أذى . قال : تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك ، وسمى الطيراني فى روايته هذا السائل ثعلبة بن الحارث . قال ابن الجوزى : لما كانت أغذية أهل الجنة فى غاية اللطافة والاعتدال لم يكن فيها أذى ولا فضلة تستقذر ، بل يتولد عن تلك الأغذية أطيب ريح وأحسنه (٢) .

(١) بهجة النفوس : ٧/٤ ، ٨ .

(٢) فتح البارى : ٣٢٤/٦ .

وهذا إعلام منه ﷺ بتنزيه تلك الدار عن الفضلات المستقدرة وعن النجاسات بخلاف هذه الدار . قال ابن أبي جمرة : وفى ذلك دليل على عظيم قدرة الله تعالى ، يؤخذ ذلك من كون أهل تلك الدار ليس لهم غائط ولا بول ، ولا فضلة مستقدرة مع كثرة أكلهم ... فهذا أدل دليل على عظيم القدرة وأن الأشياء هى بمقتضى الإرادة لا بالعادة ولا باللازم ^(١) .

وهذه الصفات لأهل الجنة مطلقاً ، ولا يختص ذلك بالزمرة الأولى ، وقد دلّ على ذلك الرواية التى بين فيها صفة الذين يلونهم ، وأشار إلى بقية المنازل ^(٢) .

(٦) - آيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة : إخبار منه - ﷺ - بالتمتع هناك بالذهب والفضة ، وهما محرمان فى الدنيا ، وقد قال - عليه الصلاة والسلام فى حق الكفار : هو لهم فى الدنيا ، وهو لنا فى الآخرة ؛ يعنى أواني الذهب - وفى إخباره عليه الصلاة والسلام بهذا أدل دليل على سعة رحمة الله تعالى وغناه عن جميع خلقه ؛ يؤخذ ذلك من كونه عز وجل قد أعطى الكفار هنا أن يستمتعوا بأواني الذهب والفضة مع كفرهم حتى لا يحرموا منه بالكلية ، وكذلك جعل الله عز وجل لهم حظاً من النعيم فى هذه الدار ^(٣) .

وفيه دليل لمن يقولون : إن أسماء الله عز وجل كلها لا بد أن يظهر من كل اسم أثر فى العباد يدل عليه ؛ فمن أسمائه - عز وجل - « الرحمن » ، فأعطى من مدلول هذا الاسم نسبة للكفار فى هذه الدار . ومن أسمائه - عز وجل - « المنتقم » ، فقال المؤمنون من مدلول هذا الاسم ما يلحقهم فى هذه الدار من التشويشات ؛ كل بحسب ما شاء الله تعالى وما قسم ^(٤) .

(١) بهجة النفوس : ٨/٤ .

(٢) طرح التثريب : ٢٦٨/٨ .

(٣) بهجة النفوس : ٨/٤ .

(٤) المصدر السابق : ٩/٤ .

وقد جاء في بعض الروايات الاقتصار على أن بعض هذه من الذهب وبعضها من الفضة ، وكأنه اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ، ويحتمل أن يكون لكل واحد منهم النوعان ، ويحتمل أن يكون لبعضهم الذهب وللبعضهم الفضة ويؤيده حديث أبى موسى مرفوعاً « جنتان من ذهب ؛ آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما » الحديث متفق عليه ، ويؤيد الأول ما أخرجه الطبراني بإسناد قوى عن أنس مرفوعاً : « إن أدنى أهل الجنة درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم ، بيد كل واحد صحفتان ؛ واحدة من ذهب والأخرى من فضة » الحديث (١) .

قال أبو العباس القرطبي : قد يقال : أى حاجة فى الجنة للأمشاط ، ولا تتلبد شعورهم ولا تتسخ ، وأى حاجة للبخور وريحهم أطيب من المسك ، ويجاب عن ذلك بأن نعيم أهل الجنة وكسوتهم ليس عن دفع ألم اعتراهم ، فليس أكلهم عن جوع ، ولا شربهم عن ظمأ ، ولا تطيبهم عن نتن ، وإنما هى لذات متوالية ، ونعم متتابعة ، وحكمة ذلك أن الله تعالى نعمهم فى الجنة بنوع ما كانوا يتنعمون به فى الدنيا ، وزادهم على ذلك ما لا يعلمه إلا الله - سبحانه وتعالى (٢) . وقال النووى : مذهب أهل السنة أن تنعم أهل الجنة على هيئة تنعم أهل الدنيا إلا ما بينهما من التفاضل فى اللذة ، ودل الكتاب والسنة على أن نعيمهم لا انقطاع له (٣) .

(٧) - ومجامرهم من الآلوة :

المجامر : جمع مُجَمَّر ، وهى التى يوضع فيه النار للبخور ، وقد يطلق على ما يتبخر به وأُعدَّ له الجمر ، وهو المراد فى هذا الحديث .

والآلوة : هو العود الذى يتبخر به ، وهو العود الهندى ، أى إن بخورهم العود ، وهو الأنجوج المذكور فى رواية أخرى فى الصحيح .

(١) فتح البارى : ٣٢٤/٦ .

(٢) طرح الثريب : ٢٦٨/٨ - ٢٦٩ .

(٣) فتح البارى : ٣٢٥/٦ .

وإذا كانت رائحة العود إنما تفوح بوضعه في النار فقد تفوح رائحته بلا نار في الجنة ؛ لأن أمور الآخرة ليست على قياس أمور الدنيا ^(١) . والله أعلم .

(٨) - **ورشحهم المسك** : أى إن العرق الذى يترشح منهم رائحته رائحة المسك ، وهو قائم مقام التغوط والبول من غيرهم ؛ كما قال في حديث آخر : « لا يبولون ولا يتَغَوَّطُونَ » ، وإنما هو عرق يجرى من أعراضهم مثل المسك ؛ يعنى من أبدانهم ، ولما كانت أغذية الجنة فى غاية اللطافة والاعتدال ، لم يكن لها فضلة تستقذر ؛ بل تستطاب وتستلذ ، فعبّر عنها بالمسك الذى هو أطيب طيب أهل الدنيا ، وإن كان فى حقيقته أطيب من ذلك ^(٢) .

(٩) - **ولكل واحد منهم زوجتان يرى نحر ساقها من وراء اللحم من الحسن** : أى من نساء الدنيا ، وفى أحاديث - وإن كانت ضعيفة أن للمؤمن أكثر من ذلك من الحور العين ، قال ابن القيم : ليس فى الأحاديث الصحيحة زيادة على زوجتين سوى ما فى حديث أنى موسى : « إن فى الجنة للمؤمن كَحَيِّمة من لؤلؤة له فيها أهلون يطوف عليهم » . قال ابن حجر : وقد صحح الضياء (المقدسى) : « إن الرجل من أهل الجنة ليفضى إلى مائة عذراء » والذى يظهر أن أقل ما لكل واحد منهم زوجتان . وقد أجاب بعضهم باحتمال أن تكون التشية تنظيراً لقوله : « جنتان » و « عينان » ونحو ذلك ، أو المراد تشية الكثير والتعظيم نحو لبيك وسعديك ^(٣) .

وقد استدل به أبو هريرة - رضى الله عنه - على أن النساء فى الجنة أكثر من الرجال ؛ ففى صحيح مسلم عن محمد بن سيرين قال : (أما تفاخروا ، أما تذاكروا ؛ الرجال أكثر فى الجنة أم النساء ؟ فقال أبو هريرة : لو لم يقل أبو القاسم - ﷺ : « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذى تليها على أضواء كوكب درى فى السماء ، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى نحر سوقهما من وراء اللحم ، وما فى الجنة

(١) طرح التثريب : ٢٦٩/٨ .

(٢) طرح التثريب : ٢٦٩/٨ - بهجة النفوس ٩/٤ .

(٣) فتح البارى : ٢٣٥/٦ .

«عزب» وفي رواية له : « اختصم الرجال والنساء ، أيهم في الجنة أكثر ، فسألوا أبا هريرة » ، فذكره . فإذا خلّت الجنة عن العُزَاب ، وكان لكل واحد زوجتان كان النساء مثلي الرجال . ويعارضه الحديث الآخر : « إني رأيتهن أكثر أهل النار » وفي الحديث الآخر : « اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء . وكلاهما في الصحيح .

والجمع بينهما أنهن أكثر أهل الجنة ، وأكثر أهل النار لكثرتهم ؛ قال القاضي عياض : يخرج من مجموع هذا أن النساء أكثر ولد آدم . قال : وهذا كله في الآدميات ، وإلا فقد جاء أن للواحد من أهل الجنة من الحور العدد الكثير . ومن هذا قال القرطبي إن الذي يكثر النساء هم الحور ؛ قال : بهذا يعلم أن نوع النساء المشتمل على الحور والآدميات في الجنة أكثر من نوع الرجال من بني آدم ، ورجال بني آدم أكثر من نسائهم ، والله أعلم (١) .

وقد وقع في جميع طرق الحديث « زوجتان » بالتاء ، وهي لغة متكررة في الأحاديث وكلام العرب والأكثر حذفها ، وبه جاء القرآن العزيز وأكثر الأحاديث (٢) .

وذكر أبو حاتم السجستاني أن الأصمعي كان يُنكر « زوجة » ويقول إنما هي زوج قال : فأنشدناه قول الفرزدق :

وإن الذي يسعى لِيُفْسِدَ زَوْجَتِي لَسَاعٍ إِلَى أُسْدِ الشَّرَى يَسْتَنْبِلُهَا

قال : فسكت ، ثم ذكر له شواهد أخرى (٣) .

وقوله - ﷺ - : « يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن » يعنى من شدة صفاء لحم الساقين ، كما يرى السلك في جوف الدرة الصافية . وروى الترمذى من حديث ابن مسعود مرفوعاً : « إن المرأة من نساء أهل الجنة يرى بياض ساقها من وراء

(١) طرح التثريب : ٢٧٠/٨ .

(٢) المصدر السابق : ٢٦٩/٨ .

(٣) فتح الباري : ٣٢٥/٦ .

سبعين حلة حتى يرى محها ؛ وذلك أن الله - عز وجل - يقول : (كأنهن الياقوت والمرجان)^(١) . فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ، ثم استصفيته لرأيته من ورائه^(٢) .

(١٠) - لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب واحد :

أى أن الله طهر قلوبهم من مذموم الأخلاق مكملًا لمحاسنها ، فسبب الافتراق في هذه الدار ما في القلوب من التباغض والضغائن فلما طهرت هناك القلوب كما أخبر جل جلاله في كتابه بقوله تعالى : (وَزَعْنَا مَا فِي صدورهم من غِلٍّ)^(٣) جاء الود والسرور التام^(٤) .

(١١) - يسبحون الله بكرة وعشيًا :

قال أبو العباس القرطبي : هذا التسبيح ليس عن تكليف وإلزام ؛ لأن الجنة ليست بمحل تكليف ، وإنما هي محل جزاء ، وإنما هو تيسير وإلهام ، وقد فسر جابر في حديثه عند مسلم : « يلهمون التسبيح والتحميد والتكبير ، كما يلهمون النَّفْس ، ووجه التشبيه أن تنفس الإنسان لا بد له منه ، ولا كلفة عليه ولا مشقة في فعله . فكذلك يكون ذكر الله - سبحانه وتعالى - على ألسنة أهل الجنة ، وسِرُّ ذلك أن قلوبهم قد تنورت بمعرفته ، وأبصارهم قد تمتعت برؤيته ، وقد غمرتهم سوايغ نعمته ، وامتألت أفئدتهم بمحبته ، فألستهم ملازمة ذكره ، ورهينة شكره ، فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره^(٥) . ومعنى « بكرة وعشيًا » أى قدر بكرة وعشى . قال ابن أبي جمر : وفيه دليل على أن حال أهل تلك الدار على حالتين تسبيح لله تعالى مرة وتنعيم أخرى ؛ يؤخذ ذلك من كونه

(١) الرحمن : ٢٢ .

(٢) طرح التثريب : ٢٧١/٨ .

(٣) الحجر : ٤٧ .

(٤) بهجة النفوس : ٩/٤ .

(٥) طرح التثريب : ٢٧١/٨ - ٢٧٢ .

عليه الصلاة والسلام أخبر عن تسبيحهم في الزمان بقدر ما أخبر مولانا جل جلاله عن قدره في أكلهم ، بقوله عز وجل : (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) ^(١) ، وقد جاء أنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النَّفْس فصيح لهم نعيم دائم مختلف الوجوه ، جعلنا الله - عز وجل - منهم بفضلته ، وصلى الله على سيدنا محمد الكريم وآله ^(٢) .
والله تعالى أعلم

★ ★ ★

(١) مريم : ٦٢ .

(٢) بهجة النفوس : ٩/٤ .

٨٧ - وقال رسول الله - ﷺ اللهم إني أتخذُ عندك عهداً لنْ تُخلفه ^(١)، إنما أنا بشرٌ، فأَيُّ المؤمنين آذيتُه، أو شتمتُه، أو جلدتُه، أو لعنتُه، فاجعلها ^(٢) صلاةً وزكاةً وقربةً تقربه بها يوم القيامة .

(١) م : تخلفناه . (٢) م : فاجعلها له .

● رواه عبد الرزاق في (١٩٠/١١) كتاب الجامع من المصنف - من دعا عليه النبي - ﷺ عن معمر ، عن همام عن أبي هريرة . وفيه « فاجعلها له صلاة وكفارة » .

ورواه أحمد (٨٤/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٩٠/٨١٨٤) .

ورواه البغوي في (٩ - ٨/٥) كتاب الدعوات - باب دعاء النبي - ﷺ لمن لعنه من أمته أن يجعلها له قربة - بثلاث طرق : أحدها ينتهي إلى أبي بكر محمد بن الحسين القطان - وهو راوي الصحيفة هنا - والثاني إلى عبيد الله بن إبراهيم بن بالوية المزكي - كلاهما عن أحمد بن يوسف السلمي . وثالثها إلى أحمد بن منصور الرمادي جميعاً عن عبد الرزاق . قال البغوي : (وفي رواية ابن بالوية : « اتخذت عندك عهداً » وقال القطان : « فاجعلها صلاة ») (رقم ١٢٣٩) .

ثم قال : هذا حديث متفق على صحته اتفاقاً على إخرجه من طرق عن أبي هريرة .

وقد روى البخاري نحوه في (١٥٧/٧) - (٨٠) كتاب الدعوات - (٣٤) باب قول النبي - ﷺ : « من آذيتُه فاجعله له زكاة ورحمة - من طريق يونس ، عن ابن شهاب قال : أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع النبي - ﷺ يقول : « اللهم فأَيُّ مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربةً إليك يوم القيامة » (رقم ٦٣٦١) .

وروى نحوه مسلم في (٢٠٠٧/٤ - ٢٠٠٨) - (٤٥) كتاب البر والصلة والآداب - (٢٥) باب من لعنه النبي - ﷺ أو سبه أو دعا عليه ، وليس هو أهلاً لذلك - كان له زكاة وأجرٌ ورحمة - من طريق الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة (٢٦٠١/٨٩) .

ومن طريق أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة (٢٦٠١/٩٠) .

ومن طريق سعيد بن أبي سعيد ، عن سالم مولى النصريين ، عن أبي هريرة (٢٦٠١/٩١) .

ومن طريق يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة (٢٦٠١/٩٢) .

ومن طريق ابن جريج عن أبي الزبير ، عن جابر (٢٦٠٢/٩٤) .

وقد روى مسلم أحاديث ثلاثة أخرى تسهم في معنى هذا الحديث ، ويحتاج إليها في شرحه ولذلك نوردُها :

١ - من طريق الأعمش ، عن أنى الضحى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : دخل على رسول الله ﷺ رجلان فكلّما به بشيء لا أدرى ما هو ، فأغضباه فلعنهما وسبهما ، فلما خرجا قلت : ما أصاب من الخير شيئا ما أصابه هذان ، قال : وما ذاك ؟ قالت : قلت : لعنتهما وسببتهما . قال : أو ما علمت ما شارطت عليه ربي ؟ قلت : اللهم إنما أنا بشر ؛ فأى المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرأ (رقم ٢٦٠٠/٨٨) .

فهذا الحديث يبين سبب دعاء النبي - ﷺ هذا .

٢ - من طريق عكرمة بن عمار ، حدثنا ابن أنى طلحة ، حدثني أنس بن مالك قال : كانت عند أم سليم يتيمة ، وهى أم أنس . فرأى رسول الله ﷺ - ﷺ اليتيمة ، فقال آنت هيه ؟ لقد كبرت لا كبر سنك ، فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكى ، فقالت أم سليم : مالك يا بنية ؟ قالت الجارية : دعا عليّ نبي الله - ﷺ ألا يكبر سننى ، فالآن لا يكبر سننى أبدا ، أو قالت قرئى ، فخرجت أم سليم مستعجلة تلوث خمارها [أى تديره على رأسها] حتى لقيت رسول الله - ﷺ ، فقال لها رسول الله ﷺ : ما لك يا أم سليم ؟ فقالت : يا نبي الله ، أدعوت على يتيمنى ؟ قال : وما ذاك يا أم سليم ، أما تعلمين أن شرطى على ربي ؛ إني اشترطت على ربي فقلت : إنما أنا بشر ، أرضى كما يرضى البشر ، ويغضب كما يغضب البشر ؛ فأما أحد دعوت عليه من أمتى بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهورا وزكاة وقربة يقربه بها منه يوم القيامة . (رقم ٢٦٠٣/٩٥) .

فهذا يدل على أن دعاء الرسول ﷺ إنما هو لمن ليس أهلا لشمته أو سبه .

٣ - من طريق شعبة ، عن أنى حمزة القصاب ، عن ابن عباس قال : كنت ألعب مع الصبيان ، فجاء رسول الله - ﷺ فتواريت خلف باب ، قال : فجاء فحطأني حطأة [ضربني بيده مبسوطة بين الكتفين] وقال : اذهب وادع لى معاوية ، قال : فجئت ، فقلت : هو يأكل ، قال : ثم قال لى : اذهب فادع لى معاوية . قال : فجئت فقلت : هو يأكل ، فقال : لا أشبع الله بطنه . (رقم ٢٦٠٤/٩٦) .

فهذا يدل على أن الرسول - ﷺ لا يقصد الدعاء عليه ، وإنما جرى ذلك على لسانه - ﷺ .

* * *

شرح الحديث :

(١) - اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تحلفه :

معناه أنه طلب ذلك من الله تعالى ، فأجاب دعاءه ، وحقق طلبته ، وعن هذا عبر بقوله فى الرواية الأخرى شرطت على ربي ، أى دعائى المحاب ؛ فالله تعالى لا يشترط عليه شرط ، ولا يجب عليه لأحد حق ، بل ذلك كله منه على سبيل الفضل والكرم ، والإكرام لأوليائه (١) .

(١) طرح التثريب : ١٤/٨ .

(٢) إنما أنا بشر : وفي رواية « أغضب كما يغضب البشر ، قال النووي : فقد يقال : ظاهره أن السب ونحوه كان بسبب الغضب ؛ لا أنه على مقتضى الشرع ، وجوابه ما ذكره المازرى قال : يحتمل أنه - ﷺ أراد أن دعاءه وسبه وجلده كان مما يخير فيه بين أمرين : أحدهما : هذا الذى فعله ، والثانى : زجره بأمر آخر ، فحمله الغضب لله تعالى على أحد الأمرين المتخير فيهما ، وهو سبه أو لعنه وجلده ونحو ذلك ، وليس ذلك خارجاً عن حكم الشرع ^(١) .

ومعنى ذلك أن الرسول - ﷺ لا يخرج الغضب عن الحق ؛ لأنه معصوم عن الخروج عن الحق فى حالتى الرضا والغضب .

(٣) فأى المؤمنين آذيته أو شتمته أو جلده أو لعنته فاجعلها صلاة وزكاة ... :

المراد بهذا الدعاء لمن لم يكن أهلاً للشتم أو الإيذاء أو السب أو غير ذلك ، كما يدل على ذلك رواية مسلم السابقة . « دعوت عليه من أمتى بدعوة ليس لها بأهل » . قال النووي مشيراً إلى هذه الرواية : هذه الرواية المذكورة آخرًا تبين المراد بباقي الروايات المطلقة ، وأنه إنما يكون دعاءه عليه رحمة وكفارة وزكاة ونحو ذلك إذا لم يكن أهلاً للدعاء عليه وللسب وللعن ونحوه وكان مسلماً ، وإلا فقد دعا - ﷺ على الكفار والمنافقين ، ولم يكن ذلك لهم رحمة ^(٢) .

ولكن كيف يدعو - ﷺ - على من ليس أهلاً للدعاء عليه ؟

أجاب العلماء بعدة أجوبة منها :

١ - أن المراد أنه ليس بأهل لذلك عند الله تعالى وفى باطن الأمر ، ولكنه فى الظاهر مستوجب له ، فيظهر له - ﷺ استحقاقة لذلك بأمانة شرعية ، ويكون فى

(١) شرح مسلم للنووى : ٤٥٩/٥ .

(٢) المصدر السابق : ٤٥٨/٥ .

باطن الأمر ليس أهلاً لذلك ، وهو - ﷺ مأمور بالحكم بالظاهر . والله يتولى السرائر (١) .

قال المازرى : إن قيل : كيف يدعو - ﷺ بدعوة على من ليس لها بأهل ؟ قيل المراد بقوله « ليس لها بأهل » عندك في باطن أمره ، لا على ما يظهر مما يقتضيه حاله وجنابته حين دعائى عليه ، فكأنه يقول : من كان باطن أمره عندك أنه ممن ترضى عنه فاجعل دعوتى عليه التى اقتضاها ما ظهر لى من مقتضى حاله حينئذ طهوراً وزكاة . قال : وهذا مذهب صحيح لا إحالة فيه ؛ لأنه كان مُتَعَبِّداً بالظواهر ، وحساب الناس فى البواطن على الله .

قال ابن حجر : وهذا مبنى على قول من قال : إنه كان يجتهد فى الأحكام ، ويحكم بما أدى إليه اجتهاده . وأما من قال : كان لا يحكم إلا بالوحى فلا يتأتى منه هذا الجواب (٢) .

٢ - أن ما وقع من سبه ودعائه ونحوه ليس بمقصود ، بل هو مما جرت به عادة العرب فى وصل كلامها بلا نية ، كقوله : تربت يمينك ، وعَفَرَى حَلَقَى ، ولا كبرت سنك كما مر فى حديث يتيمة أم سليم ، وفى حديث معاوية : لا أشبع الله بطنك ونحو ذلك ، ولا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء ، فخاف - ﷺ أن يصادف شيء من ذلك إجابة فسأل ربه - سبحانه وتعالى - ورغب إليه فى أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهوراً وأجراً . وإنما كان يقع هذا منه - ﷺ - فى النادر والشاذ من الأزمان . ولم يكن ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ، ولا لَعَاناً ولا منتقماً لنفسه ، وقد قيل له : ادع على دوس ، فقال : اللهم اهْدِ دُوساً ، وقال اللهم اغفر لقومى ، فإنهم لا يعلمون (٣) .

وأشار القاضى عياض إلى ترجيح هذا الاحتمال الأخير .

(١) المصدر السابق : ٤٥٨/٥ .

(٢) فتح البارى : ١٧٢/١١ .

(٣) شرح مسلم للنووى : ٤٥٨/٥ - ٤٥٩ .

قال ابن حجر : وهذا الاحتمال حسن إلا أنه يرد عليه قوله : « جلدته » فإن هذا الجواب لا يتمشى فيه ؛ إذ لا يقع الجلد عن غير قصد ، وقد ساق الجميع مساقاً واحداً إلا إن حمل على الجلدة الواحدة فيتجه (١) .

٣ - أنه - ﷺ كان لا يقول ولا يفعل في حال غضبه إلا الحق ، لكن غضبه لله - عز وجل - قد يحمله على تعجيل معاقبة مخالفه وترك الإغضاء والصفح ، ويؤيده حديث عائشة - رضى الله عنها - : ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله - سبحانه وتعالى - وهو في الصحيح .

قال ابن حجر : فعلى هذا فمعنى قوله : « ليس لها بأهل » أى من جهة تعيين التعجيل (٢) .

وفي الحديث غير ما تقدم :

١ - بيان ما اتصف به - ﷺ من شففته على أمته واعتناؤه بمصالحهم ، وجميل خلقه وكرم ذاته ، حيث قصد مقابلة ما وقع منه بالجبر والتكريم .

قال ابن حجر : وهذا كله فى حَقِّ معين فى زمنه واضح ، وأما ما وقع منه بطريق التعميم لغير معين حتى يتناول من لم يدرك زمنه - ﷺ - فما أظنه يشمل (٣) .

ونقول : ما المانع أن يكون دعاء الرسول - ﷺ - عاماً ، وأن يشمل من هم فى زمنه - ﷺ - ومن هم فى غير زمنه ؟ فشفقة الرسول - ﷺ - لا تتعدى من هم فى زمنه من أمته فقط . والله تعالى أعلم .

٢ - جواز لعن العاصى المعين . وقد ذكر النووى أن ظواهر الأحاديث تدل على جوازه ، وإن كان المشهور فى المذهب خلافه (أى فى المذهب الشافعى) .

(١) فتح البارى : ١٧٢/١١ .

(٢) المصدر السابق : ١٧٢/١١ .

(٣) المصدر السابق : ١٧٢/١١ .

٣ - قوله - ﷺ - : « أو شتمته أو جلدته أو لعنته » بعد قوله « آذيته » من ذكر الخاص بعد العام ، وقوله « فاجعلها » أى تلك الخصلة .

٤ - قوله - ﷺ - « صلاة » أى رحمة كما فى الرواية الأخرى ، والصلاة من الله مفسرة بالرحمة . وقوله « وزكاة » يحتمل أن يراد ترقية لنفسه ، ويحتمل أن يراد الزيادة فى الأجر ، كما عبر عنها فى الرواية الأخرى بالأجر . والقربة : « ما يقرب إلى الله تعالى وإلى رضوانه » (١) .

★ ★ ★

(١) طرح التثريب : ١٥/٨ .

٨٨ - وقال رسول الله - ﷺ : لم تَحِلَّ الغنائمُ لمن كان قَبْلَنَا .
ذلك بأن الله رأى ضَعْفَنَا وَعَجَزَنَا فَطَيَّبَهَا لَنَا .

٨٩ - وقال رسول الله - ﷺ : دخلت امرأة^(١) النارَ مِن جَرَاءِ
هَرَّةٍ لها ، أَوْ هِرٍّ^(٢) رَبَطْتُهَا ؛ فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا ، وَلَا هِيَ أُرْسَلَتْهَا تَتَقَهُمْ^(٣) مِنْ
خَشَّاشِ الْأَرْضِ ، حَتَّى مَاتَتْ هَزْلاً .

● حديث رقم (٨٨) سيأتي جزءاً من الحديث رقم (١٢٤) إن شاء الله تعالى وسنُخرِّجه ونشرحه هناك -
بإذن الله عز وجل .

● حديث رقم (٨٩) .

(١) م : المرأة . (٢) ط : هرة ، وما أثبتناه من م . (٣) م : تتقهم .

رواه عبد الرزاق (٢٨٤/١١ - ٢٨٥) في كتاب الجامع من المصنف - باب الرخص والشدائد ، عن
معمر ، عن همام أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله - ﷺ : دخلت امرأة النار في هرة لها ، أو هر - ربطتها ، فلا
هي أطعمتها ، ولا هي أرسلتها تقضم من خَشَّاشِ الْأَرْضِ ، حَتَّى مَاتَتْ هَزْلاً .

ورواه أحمد (٨٥/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام ، وفيه « ترم من خَشَّاشِ الْأَرْضِ » وليس فيه : « أوهر » .
(رقم ٩٢/٨١٨٦) .

ورواه مسلم في (٢٠٢٣/٤) - (٤٥) كتاب البر والصلة والآداب - (٣٧) باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها
من الحيوان الذي لا يؤذى بسننه للصحيفة ، وفيه « أو هر » و « لا هي أرسلتها تُرْمَرَم من خَشَّاشِ الْأَرْضِ » (رقم
٢٦١٩/١٣٥) .

كما روى من طريق جويرية - يعنى ابن أسماء ، عن نافع ، عن ابن عمر نحوه وفيه « فدخلت فيها النار »
(٢٤٢/١٣٣) .

ومثله عن معن بن عيسى عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر .

ونحوه عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ... (٢٢٤٢/١٣٤) .

وعن عبيد الله ، عن سعيد المقبري ، عن أنس هريرة .

وقد روى مسلم هذه الطرق جميعها كذلك في (١٧٦٠/٤) - (٣٩) كتاب السلام - (٤٠) باب تحريم
قتل الهرة . ولذلك أعطاها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رقماً واحداً ههنا وهناك . وقد روى في هذا الموضع نحوه من

طريق هشام بن عروة عن أبيه عن أنى هريرة (٢٢٤٣/١٥٢) ومن طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن حميد ابن عبد الرحمن عن أنى هريرة (٢٢٤٣/٥٢) .

وروى البخارى فى (٧٧/٣) - (٤٢) كتاب الشرب (والمساقاة) - (٩) باب سقى الماء - طريق مالك ، عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت جوعا ، فدخلت فيها النار ، فقال والله أعلم - لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستها ، ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض (رقم ٢٣٦٥) .

وروى فى (١٠٠/٤) - (٥٩) كتاب بدء الخلق - (١٦) باب إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم - طريق عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر وأحال عليه رواية عبيد الله عن سعيد المقبرى ، عن أنى هريرة (رقم ٣٣١٨) . وفى (١٥٢/٤) - (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء - (٥٤) باب حدثنا أبو اليمان روى حديث جويرية بن أسماء ، عن نافع عن عبد الله بن عمر (رقم ٣٤٨٢) .

ورواه البيهقى فى السنن الكبرى (١٤/٨) فى كتاب النفقات - باب نفقة الدواب - من طريق أنى بكر القطان عن أحمد بن يوسف السلمى - راويا الصحيفة - عن عبد الرزاق به .

وفى م والمصنف وعند مسلم « أو هر » ولكن فى النسخة المطبوعة للمصنف « أو هرة » وقد رجحنا أن يكون هذا خطأ من نسخ أو طبع - كما قال الأستاذ أحمد شاكر فى تحقيق المسند (٨٥/١٦) ولهذا أثبتنا ما وافق ما فى م والمصنف وما فى مسلم .

شرح الحديث :

(١) - دخلت امرأة النار : قال أبو العباس القرطبى : هذه المرأة التى رآها النبى - ﷺ فى النار هى امرأة طويلة من بنى إسرائيل ، كذا فى رواية لمسلم ، وفى أخرى له أنها حميرية ، وحمير قبيلة من العرب ، وليسوا من بنى إسرائيل ^(١) .

والروايتان اللتان يشير القرطبى أنهما فى مسلم فى (١٠) كتاب الكسوف من صحيحه - باب ما عرض على النبى ﷺ فى صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار ^(٢) .

يقول ابن حجر ، ولا تضاد بينهما ؛ لأن طائفة من حمير كانوا قد دخلوا فى اليهودية

(١) طرح التثريب : ٢٤٢/٨ .

(٢) صحيح مسلم (٦٢٢/٢ - ٦٢٣) من طريق هشام الدستوائى ، عن أنى الزبير ، عن جابر بن عبد الله .

فنسبت إلى دينها تارة وإلى قبيلتها أخرى ، وقد وقع ما يدل على ذلك في « كتاب البعث والنشور » للبيهقي وأبداه عياض احتمالاً ، وأغرب النووى فأنكره ^(١) .

(٢) - من جراء هرة لها أو هر : الهر ذكر السنور ، والأنثى هرة ، فتردد في هذه الرواية ؛ هل كان ذكراً أو أنثى ، ويجمع الهر على هررة كقرد وقردة ، والهرة على هرر كقربة وقرب .

و « من جرّاء » يجوز فيها المد والقصر ، يقال : فعلته من جرّاءك ومن جرّائك ؛ أى من أجلك ^(٢) .

وهذا الحديث صريح في أن هذه المرأة إنما عذبت بسبب قتل هذه الهرة بالحبس وترك الطعام .

وقال القاضى عياض : يحتمل أن يكون هذا العذاب بالنار ، أو يكون بالحساب على ذلك ، فمن نوفش الحساب عذب ، وتكون هذه المرأة كافرة ، فعذبت بكفرها وزيدت عذاباً بسبب أعمالها ؛ وكان منها هذا لأنها لم تكن مؤمنة فتُغْفَر صغائرها باجتناب الكبائر ^(٣) .

وواضح أن القاضى عياضاً يدفع أن يفهم أن المرأة كانت مسلمة وعذبت بسبب هذا الفعل الذى يعتبر صغيرة ، والمسلم مغفورة صغائره إذا اجتنب الكبائر . وهذا هو الذى جعله يعدل عن ظاهر الحديث .

وقد أنكرت السيدة عائشة على أى هرة رضى الله عنه أن يحدث بهذا الحديث دون أن يبين أن المرأة كانت كافرة ، أى عذبت بسبب كفرها « إن المؤمن أكرم عند الله من أن يعذبه من جرّى هرة » ^(٤) .

(١) فتح البارى : ٣٥٧/٦ .

(٢) طرح الثريب : ٢٤٢/٨ .

(٣) شرح مسلم للنووى : ١٠٠/٥ .

(٤) قال الزركشى فى كتابه الإجابة ؛ لإيراد ما استدركنه السيدة عائشة على الصحابة : « رواه أبو محمد =

قال النووي دافعاً هذا الإشكال ، ذاهبا إلى رأى آخر : « والصواب ما قدمناه أنها كانت مسلمة ، وأنها دخلت النار بسببها ، كما هو ظاهر الحديث ، وهذه المعصية ليست صغيرة ، بل صارت بإصرارها كبيرة ، وليس في الحديث أنها تخلد في النار .

وإذا كان كل من القاضي عياض والنووي قد مال إلى جانب ، فقد طرح أبو العباس القرطبي كلا الاحتمالين دون ترجيح بينهما ؛ قال : هل كانت كافرة أولا ، كل محتمل .

ولكن رتب على كلا الاحتمالين حكما ؛ قال : فإن كانت كافرة ففيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع ، ومعاقبون على تركها . وإن لم تكن كافرة فقد تمحض أن سبب تعذيبها في النار حبس الهرة إلى أن ماتت جوعا ، ففيه من الفقه أن الهر لا يتملك ، وأنه لا يجب إطعامه إلا على حبسه ^(١) .

وتعقبه بعض العلماء فقال : ليس فيه دليل على أن الهر لا يتملك ، فإنه إنما حكى فيه واقعة خاصة ، وهى تعذيبها على حبسه ، حتى أفضى إلى تلفه ، ولا دلالة فيه على حكم غير حالة الحبس ، هل فيها إثم بسبب ترك الإنفاق لكونه مملوكا أو لا ؟

= قاسم بن ثابت السرقسطى فى كتاب غريب الحديث : نا محمد بن جعفر قال : نا أبو أحمد محمود بن غيلان المروزي : نا أبو داود الطيالسي قال : نا أبو عامر صالح بن رستم قال : ناسيار أبو الحكم ، عن الشعبي ، عن علقمة ابن قيس قال : كنا عند عائشة ومعنا أبو هريرة فقالت : « يا أبا هريرة ، أنت الذى تحدث عن رسول الله - ﷺ أن امرأة عذبت بالنار من جرى هرة ، لا هى أطعمتها ولا سقتها ، ولا هى تركها تأكل من خشاش الأرض شيئا حتى ماتت ؟ قال أبو هريرة : سمعته من رسول الله - ﷺ . قالت عائشة : المؤمن أكرم عند الله من أن يعذبه من جرى هرة . أى إن المرأة مع ذلك كانت كافرة ؛ يا أبا هريرة ، إذا حدثت عن رسول الله - ﷺ - فانظر كيف تحدث .

ورواه البزار فى مسنده بسنده عن الشعبي ، عن علقمة قال : قيل لعائشة : رحمة الله عليها - إن أبا هريرة يروى عن النبى - ﷺ : أن امرأة عذبت فى هرة . قال : فقالت عائشة : إن المرأة كانت كافرة (الإجابة ١١٧ ، ١١٨) .

وهذا اختلاف فى تفسير الحديث لا فى وروده عن رسول الله - ﷺ .

(١) طرح التثريب : ٢٤٣/٨ .

وذهب النووى إلى عكس ما ذهب القرطبى فاستنبط أن الهر كان ملكاً لهذه المرأة ، وقال : فيه وجوب نفقة الحيوان على مالكة .

ولكنه تعقب في هذا ؛ لأنه ليس في الحديث تصريح بأن الهرة كانت مملوكة لها . ثم قارن ابن العراق بين رأيه ورأى القرطبى فقال : لكنه أقرب مما ذكره القرطبى ؛ لإمكان استنباط كونها مملوكة لها من الإضافة في قوله « لها » فإن ظاهرها الملك ، وأيضاً فقد يكون استدلاله بطريق القياس ، ووجهه أنها إذا عذبت على إتلافها بالحبس دل ذلك على أنها محترمة ، وحينئذ فتجب نفقتها إذا ملكت ، كسائر المحترمات ، وأما الاستدلال به على أنها لا تملك فضعيف جداً ، لا وجه له . والله أعلم ^(١) .

(٣) - تَتَقَهُمْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ : تتقهم : من قولهم : « أقهم فلان إلى الطعام إقهماً إذا اشتهاه .

أما تقم - كما في م - فمعناها : تأكل من قمامة الأرض أى كناستها . وخشاش بفتح الخاء المعجمة وكسرهما وضمها ثلاث لغات حكاهما القاضي عياض في المشارق ، قال : بفتح الخاء وكسرهما ؛ أى هوامها ، وحكى فيه خشاش بالضم عن أبى على ، وقيل الخشاش أيضاً صغار الطير ^(٢) .

وحكى النووى أنه روى بالخاء المهملة ، والمراد نبات الأرض ، قال : وهو ضعيف أو غلط ^(٣) .

والمراد هوام الأرض وحشرات من فارة ونحوها ^(٤) . ويدل لذلك قوله في رواية لمسلم في صحيحه « من حشرات الأرض » .

(٤) - حَتَّى مَاتَتْ هَزْلاً : بضم الهاء وإسكان الزاى ، ويجوز فيه فتح الهاء أيضاً ، وهو الهزال ضد السمن يقال : هُزِلَت الدابة هزلاً ، على ما لم يسم فاعله ، وهزلتها أنا هزلاً .

(١) المصدر السابق : ٢٤٣/٨ .

(٢) مشارق الأنوار : ٢٤٧/١ .

(٣) شرح مسلم للنووى : ٩٩/٥ .

(٤) فتح البارى : ٣٥٧/٦ .

ويستنبط من الحديث فوق ما تقدم :

١ - تغليب جانب الخوف من عذاب الله عز وجل ؛ لأن هذه المرأة إذا كانت مسلمة فقد عذبت فيما هو ليس بكبير ، وفيما هي كانت في غنى عنه . قال الإمام الزهري معلقا على هذا الحديث : « ذلك لئلا يتكل رجل » ^(١) .

٢ - قال ابن الحافظ العراقي : فيه دليل على أن بعض الناس معذب بدخول النار في زمن النبي - ﷺ - ولو لم تكن إلا هذه الرواية لأمكن تأويلها على معنى أنها ستدخل وأن ذلك الأمر لما كان محقق الوقوع أخبر به قبل وقوعه ، كما في قوله تعالى : (أتى أمر الله) ونظائره . لكن في حديث الكسوف في الصحيح من حديث جابر : (وعرضت على النار ، فرأيت فيها امرأة من بنى إسرائيل تعذب في هرة لها ربطتها فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ، ورأيت أبا ثمامة عمرو بن مالك يجرقصه في النار) وفي بعض ألفاظه : (ورأيت في النار امرأة حميرية سوداء طويلة) ولم يقل : من بنى إسرائيل ، وفي لفظ آخر : (لقد جرى بالنار ، وذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها ، حتى رأيت فيها صاحب المَحْجَن يجرقصه في النار ؛ كان يسرق الحاج بمحجنه ، فإن فطن له قال : إنما تعلق بمحجني ، وإن غفل عنه ذهب به ، وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً) وفي الصحيح أيضا من حديث من حديث عائشة في الكسوف : (ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا حين رأيتموني تأخرت ورأيت فيها عمرو بن لحي الذي سيب السوائب) ^(٢) وهذا صريح في مشاهدته - ﷺ - لذلك ^(٣) .

(١) تقريب الأسانيد وشرحه طرح التثريب ٢٤٢/٨ ، ٢٤٣ .

(٢) كل هذه الروايات في صحيح مسلم (٦١٨/٤ - ٦٢٤) - (١٠) كتاب الكسوف - (١) باب صلاة الكسوف ، (٣) باب ما عرض على النبي - ﷺ - في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار .

(٣) طرح التثريب : ٢٤٤/٨ .

نقول : إنه يمكن أن يكون هذا تصويراً لرسول الله - ﷺ - حتى يرى المستقبل ، كما رأى ليلة الإسراء والمعراج ، وكما قال حذيفة ابن اليمان - رضى الله عنه - : « رأى - ﷺ - الجنة والنار ووعد الآخرة أجمع » (١) .

والله أعلم

★ ★ ★

(١) انظر الحديث وتخريجه في كتاب الإسراء والمعراج للمؤلف ص ٤٨ .

٩٠ - وقال رسول الله - ﷺ : لا يَسْرِقُ سَارِقٌ . وهو حين يسرقُ مؤمن ، ولا يزني (١) زانٍ - وهو حين يزني مؤمن ، ولا يشرب الحدودَ أحدكم - يعنى الخمر - وهو حين يشربها مؤمن .

والذى نفس محمد بيده لا يَنْتَهَبُ أحدكم نُهْبَةً ذاتَ شَرَفٍ يرفع إليه المؤمنون أعينهم فيها - وهو حين يَنْتَهَبُها مؤمن ، ولا يَغُلُّ أحدكم حين يَغُلُّ وهو مؤمن .

وإيّاكم (٢) وإيّاكم .

(١) م : « يزني » بدون ياء . (٢) م : « إيّاكم » .

• رواه عبد الرزاق (٤١٦/٧) في باب لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن - عن معمر ، عن همام أنه سمع أبا هريرة به . وفيه « قال : ثم يقول أبو هريرة : إيّاكم إيّاكم » وكأن العبارة هذه موقوفة على أبي هريرة .

ورواه أحمد (٨٦/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٩٣/٨١٨٧) وفيه : « إيّاكم إيّاكم » ويقول أحمد شاكر : « هو الثابت في أصول المسند . وفي جامع المسانيد « إيّاكم وإيّاكم » . ونقول : هو في « م » كذلك .

وروى البخاري نحوه في (١٠٧/٣) - (٤٦) كتاب المظالم - (٣٠) باب النهي بغير إذن صاحبه - من طريق عقيل ، عن ابن شهاب ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة دون عبارة « ولا يغل أحدكم حين يغل وهو مؤمن » . (رقم ٢٤٧٥) وبعده تفسير من البخاري : « قال أبو عبد الله تفسيره أن ينزع منه ، يريد الإيمان .

وفي (٢٤١/٦) - (٧٤) كتاب الأشربة - (١) باب قول الله تعالى : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) - من طريق يونس عن ابن شهاب قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن وابن المسيب يقولان قال أبو هريرة - وليس فيه « ولا ينتهب نبهة ... » إلخ . (رقم ٥٥٧٨) .

وفي (١٣/٨) - (٨٦) - كتاب الحدود - (١) باب لا يشرب الخمر - من الطريق الأول - طريق عقيل عن ابن شهاب ثم قال : وعن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - إلا النبهة . (رقم ٦٧٧٢) .

وفي (٢٠/٨) ، (٢١) الكتاب نفسه - (٢٠) باب إنهم الزناة - من طريق الأعمش ، عن ذكوان ، عن أبي هريرة ، وليس فيه النبهة ، وفيه « والتوبة معروضة بعد » (رقم ٦٨١٠) .

كما روى قبله من طريق الفضيل بن غزوان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس نحوه دون النبهة ، وفيه : « ولا يقتل وهو مؤمن » . قال عكرمة : قلت لابن عباس : كيف ينزع الإيمان منه ؟ قال : هكذا ، وشبك بين أصابعه ، ثم أخرجها ، فإن تاب عاد إليه هكذا - وشبك بين أصابعه » .

ورواه مسلم في (١ / ٧٧) - (١) كتاب الإيمان - (٢٤) باب بيان نقصان الإيمان ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفى كماله - بسنده للصحيحة وذلك إحالة على حديث رواه قبله ، وهو حديث يونس عن ابن شهاب عن سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب (١٠٠ - ٥٧ / ١٠٣) .

كما روى طرقاً أخرى تلك التي رواها البخاري (أرقام ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ / ٥٧) .

ورواه البيهقي (١ / ٨٩) في كتاب الإيمان - باب الكبائر - بسنده للصحيحة ثم قال : هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق .

شرح الحديث :

سنتناول معنى الحديث والتعليق عليه في نقاط إن شاء الله تعالى :

الأولى : أشار ابن جرير الطبري إلى أن بعضهم قد أنكر هذا الحديث وأن الرواة قد غلطوا فيه ، قال : « فأنكر بعضهم أن يكون رسول الله - ﷺ - قال هذا القول على ما روينا عن ذكرنا روايته ذلك عن رسول الله - ﷺ - وقال : غلط الرواة في أداء لفظ رسول الله - ﷺ - ذلك » ^(١) .

وقال بعضهم : « إنما قال النبي - ﷺ : لا يزين مؤمن ، ولا يسرق مؤمن » ^(٢) .

ويبدو أن الذي أنكر هذا الحديث إنما أنكره لأنه فهمه على معنى أن هذه الكبائر تسلب الإيمان ، وهو لا يرى ذلك ، ولتعارض بعض الأدلة كما سيأتي .

أما من حيث أسانيده فكثير منها - مما ذكرناه هنا ، وما ذكره الطبري - صحيح ، ولذلك بادر الطبري بقوله : « وهذا خبر عندنا صحيح سنده » ^(٣) .

(١) تهذيب الآثار ، مسند عبد الله بن عباس ، السفر الثاني . ص ٦٢٣ .

(٢) المصدر السابق ص : ٦٢٣ .

(٣) المصدر السابق ص : ٦٠٥ .

وأما من حيث التعارض فقد فهم العلماء الحديث مع إمكان الجمع بينه وبين الأدلة الأخرى .

الثانية : وتمسك بعضهم بظاهر هذا الحديث وقالوا : معنى ذلك لا يزني المؤمن ولا يسرق المؤمن ، ولا يشرب المؤمن الخمر ، وذلك أن هذا من فعل أهل الكفر قالوا : ومن فعل ذلك فهو كافر خارج عن الإيمان ^(١) .

قال القرطبي : وظاهر هذا الحديث حجة للخوارج ، والمعتزلة وغيرهم ممن يخرج عن الإيمان ارتكاب الكبائر ^(٢) .

الثالثة : أما كثير من العلماء فصرفوا الحديث عن ظاهره لأدلة منها :

أ - إيجاب الحد في الزنا على أنحاء مختلفة في حق الحر المحسن ، والحر البكر ، وفي حق العبد ، فلو كان المراد بنفي الإيمان ثبوت الكفر لاستوتوا في العقوبة ؛ لأن المكلفين فيما يتعلق بالإيمان والكفر سواء ، فلما كان الواجب من العقوبة مختلفاً دل على أن مرتكب ذلك ليس بكافر حقيقة ^(٣) .

ب - أن ظاهره يتعارض مع أحاديث صحيحة أخرى منها : حديث أئى ذر - رضى الله عنه : « من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة ، وإن زنى وإن سرق » ، وحديث عبادة الصحيح المشهور « أنهم بايعوا رسول الله ﷺ - على ألا يسرقوا ولا يزناوا » وفي آخره : « ومن فعل شيئاً من ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفارة ، ومن لم يعاقب فهو إلى الله ؛ إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه ، فهذا مع قول الله عز وجل (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ^(٤) .

(١) المصدر السابق ص : ٦٤٤ .

(٢) المفهم مخطوط مكتبة حلب ٤٥ ب .

(٣) فتح البارى : ٦٠/١٢ .

(٤) النساء : ٤٨ .

ج - إجماع أهل السنة على أن مرتكبي الكبائر لا يكفرون ؛ بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان ؛ إن تابوا سقطت عقوبتهم ، وإن ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة ؛ فإن شاء الله عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولاً ، وإن شاء عذبهم ، ثم أدخلهم الجنة ثانياً .

قال النووي : كل هذه الأدلة تضطرننا إلى تأويل هذا الحديث وشبهه (١) .
وقال القرطبي : ولما صحت هذه المعارضة تعين تأويل تلك الأحاديث الأول وما في معناها (٢) .

وقد اختلف العلماء في ذلك :

١ - قال بعضهم قال : لا يزني الزاني إلخ أى لا يزني وهو مستحل للزنا ويكون مؤمناً ، فأما إن زنا وهو معتقد تحريمه فهو مؤمن . وكذلك القول في السرقة وغيرها (٣) .

ومن نقل عنه ذلك ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : « إن فعل ذلك ؛ يعنى إن زنى أو سرق أو انتهب - وهو يرى أن ذلك محرم عليه فهو مؤمن ، وإن فعل ذلك وهو يرى أن ذلك ليس بمحرم عليه فليس بمؤمن » (٤) .

ورجح هذا القرطبي في المفهم فقال : وتأويل ابن عباس هذا أحسنها (٥) .

٢ - وقال آخرون : معنى ذلك : لا يزني الزاني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق وهو مؤمن ، ولكن ينزع منه الإيمان بأن يزول عنه اسم المدح الذى يسمى به أولياء الله من المؤمنين ، والذى يمدحون به ؛ ويستحق به اسم الذم الذى يسمى به المنافقون فيذمون ، فيقال له : « منافق ، فاسق » (٦) .

(١) شرح مسلم للنووى : ٢٤٢/١ .

(٢) المفهم ٤٥ ب .

(٣) تهذيب الآثار مسند ابن عباس ، السفر الثانى ص ٦٢٤ .

(٤) المصدر السابق ص : ٦٢٤ .

(٥) المفهم : ٤٥ ب .

(٦) تهذيب الآثار مسند ابن عباس ص : ٦٤٠ .

ومن نقل عنه ذلك الحسن البصرى ؛ قال : النفاق نفاقان ؛ نفاق تكذيب
 لحمد - ﷺ ، فذلك لا يغفر ، ونفاق خطايا وذنوب يرجى لصاحبه (١) .

وقال الأوزاعي : « كانوا لا يكفرون أحداً بذنب ، ولا يشهدون على أحد بشرك ،
 ويتخوفون نفاق الأعمال على أنفسهم ، ولا يسمون به أمتهم ، فإذا نزل بأحدهم شيء مما
 خافوا فيه من النفاق كان في قوله كمن صدق بالحديث أنه من فعل كذا فهو منافق » (٢) .

وهذا الرأي هو الذى اختاره ابن جرير الطبرى ورجحه ؛ قال : « والصواب من
 القول فى ذلك عندنا فى معنى قول النبى - ﷺ : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ،
 ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن » قول من
 قال : يزول عنه الاسم الذى هو معنى المدح ، إلى الاسم الذى هو بمعنى الذم ، فيقال
 له : « فاسق ، فاجر ، زان ، سارق » وذلك أنه لا خلاف بين جميع علماء الأمة أن ذلك
 من أسمائه ما لم يظهر منه خشوع التوبة مما ركب من المعصية ، فذلك اسمه عندنا حتى
 يزول عنه بظهور التوبة مما ركب من الكبيرة .

ثم بين ابن جرير كيف نزيل عنه لفظ مؤمن ، ونثبت له فى الوقت نفسه فقال :
 نزيله عنه بالإطلاق ، ونثبت له بالصلة والتقيد ، نقول : مؤمن بالله ورسوله ، مصدق قولاً
 بما جاء به محمد - ﷺ ، ولا نقول مطلقاً هو مؤمن ؛ إذ كان الإيمان عندنا معرفة وقولاً
 وعملاً ، فالعارف المقر ، المخالف عملاً ما هو مقر به قولاً غير مستحق اسم الإيمان
 بالإطلاق ؛ إذ لم يأت بالمعاني التى يستوجب بها ذلك ، ولكنه أتى بمعان يستحق التسمية
 به موصولاً فى كلام العرب ، ونسميه بالذى تسميه به العرب فى كلامها ، ونمنعه الآخر
 الذى تمنعه دلالة كتاب الله وآثار رسوله - ﷺ - ، وفطرة العقل (٣) .

٣ - وقريب من هذا ما قاله بعض العلماء : أن معناه لا يفعل هذه المعاصى ،

(١) المصدر السابق : ص ٦٤٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٦٤١ .

(٣) المصدر السابق : ص ٦٥١ .

وهو كامل الإيمان أى يكون ناقص الإيمان . وهذا من الألفاظ التى تطلق على نفى الشيء ويراد به نفى كماله ومختاره ؛ كما يقال : « لا علم إلا ما نفع » ، و « ولا مال إلا الإبل » و « لا عيش إلا عيش الآخرة » . ومعناه لا يزنى حين يزنى وهو مستكمل الإيمان ، بل هو قبل أن يقدم على الفجور أكمل إيماناً منه حالة اشتغاله وهو كقوله « لا إيمان لمن لا أمانة له » يريد لا إيمان كاملاً . والله أعلم .

قال النووى فى هذا إنه القول الصحيح الذى قاله المحققون ، وأن تأويل الحديث عليه ظاهر سائغ فى اللغة مستعمل فيها كثيرا ، وهذا يجمع بين الأحاديث المختلفة فى هذا الشأن ^(١) .

قال ابن العراقى : ويوافق التأويل الذى صححه النووى ما رواه البزار فى مسنده عن أنى جعفر محمد بن على - رحمه الله - أنه سئل عن ذلك فأدار دارة واسعة فى الأرض ، ثم أدار فى وسط الدارة دارة ، فقال : الدارة الأولى الإسلام ، والدارة التى فى وسط الدارة الأولى الإيمان ، فإذا زنى خرج من الإيمان إلى الإسلام ، ولا يخرج من الإسلام إلا الشرك ^(٢) .

وقرر ابن حزم هذا القول بتقرير حسن ، وهو أن مذهب أهل الحق أن الإيمان اعتقاد بالقلب ، ونطق باللسان ، وعمل بجميع الطاعات ، فرضها ونفلها ، واجتناب المحرمات ، فالمرتكب لبعض هذه الأمور لم يختل اعتقاده ولا نطقه ، وإنما اختلت طاعته ، فالإيمان المنفى عنه هو الطاعة ^(٣) .

وقد أشار المازرى إلى أن القول المصحح هنا مبنى على قول من يرى أن الطاعات تسمى إيماناً ^(٤) .

(١) شرح مسلم للنووى : ٢٤١/١ - ٢٤٢ .

(٢) طرح التريب : ٢٦٠/٧ - ٢٦١ .

(٣) المصدر السابق : ٢٦١/٧ .

(٤) فتح البارى : ٦٢/١٢ .

قال الطيبي : يحتمل أن يكون الذى نقص من إيمان المذكور الحياء ، وهو المعبر عنه فى الحديث الآخر بالنور ، وقد مضى أن الحياء من الإيمان فيكون التقدير : لا يزنى حين يزنى ، وهو يستحيى من الله ؛ لأنه لو استحيى منه . وهو يعرف أنه مشاهد حاله لم يرتكب ذلك ^(١) .

٥ - وقال آخرون : الموحد المصدق بما جاء به محمد - ﷺ - مؤمن ما لم يغش كبيرة ، فإذا غشها نزع منه الإيمان ، فإذا فارقها عاد إليه الإيمان ^(٢) .
وعن عبد الله بن رواحة أنه قال : إن مثل الإيمان مثل قميصك بينما أنت وقد نزعته إذ لبسته ، وبينما أنت قد لبسته إذ نزعته .

وعن أنى أيوب : إنه تمر على المرء ساعة وما فى جلده موضع إبرة من إيمان ، وإنه تمر عليه ساعة وما فى جلده إبرة من النفاق ^(٣) .

وقد روى البخارى هذا المعنى عن ابن عباس ، كما سبق فى التخرىج .
وجاء مثل هذا مرفوعا ؛ أخرجه أبو داود والحاكم بسند صحيح من طريق سعيد المقبرى أنه سمع أبا هريرة رفعه : « إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان كان عليه كالظلة ، فإذا انقلع رجع إليه الإيمان » ^(٤) ، وأخرج الحاكم من طريق ابن حجر أنه سمع أبا هريرة يقول : « من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان ، كما يخلع الإنسان القميص من رأسه » ، وأخرج الطبرانى بسند جيد من رواية رجل من الصحابة لم يُسمَ رفعه ؛ « من زنى خرج منه الإيمان ، فإن تاب تاب الله عليه » .

قال ابن بطال : وبيان ذلك أن الإيمان هو التصديق ، غير أن للتصديق معنيين ؛ أحدهما قول والآخر عمل ، فإذا ركب المصدق كبيرة فارقه اسم الإيمان فإذا كف عنها عاد له الاسم ^(٥) .

(١) المصدر السابق : ٦٢/١٢ .

(٢) تهذيب الآثار مسند عبد الله بن عباس .

(٣) المصدر السابق ، ص : ٦٤٩ .

(٤) سنن أنى داود (٦٦/٥) - (٣٤) كتاب السنة - (١٦) باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه .

والمستدرک ٢٢/١ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا برواته ووافقه الذهبي .

(٥) فتح البارى : ٦١/١٢ .

٦ - وقريب منه من يقول إن معناه من يفعل هذه المعاصي ينزع منه نور الإيمان من قلبه ^(١) .

وكان ابن عباس إذا اشترى عبداً أو أمة قال له أزوجك ؟ فإن قال : لا أو نعم قال ابن عباس سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : من زنى نزع الله نور الإيمان من قلبه ، فإن شاء أن يرده عليه رده ، وإن شاء أن يمسكه أمسكه ^(٢) .

٧ - وقال المهلب - من فقهاء الشافعية - ينزع منه بصيرته في طاعة الله تعالى ^(٣) .

وقد حكى النووى معظم هذه الأقوال ، ثم قال : وهذه الأقوال التي ذكرتها في تأويله كلها محتملة ، والصحيح في معنى الحديث ما قدمناه أولاً . والله أعلم ^(٤) .
ويقصد النووى بهذا القول الثالث هنا ، والذي ذكرنا أنه قد صححه .

٨ - وقد يكون المراد به الإنذار بزوال الإيمان إذا اعتادها واستمر عليها ؛ كقوله - ﷺ - في حديث النعمان بن بشير « من يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه » ^(٥) أى إذا اعتاد هذه الأمور لم يؤمن أن يقع في ضد الإيمان وهو الكفر .

٩ - وبعض العلماء رأى أن « لا » نافيه ؛ أى المؤمن لا ينبغي أن يرتكب الزنا ^(٦) ... إلخ والمراد النهى وإن ورد على صيغة الخبر ، معناه : لا يزنى الزانى ، ولا يسرق إذ هو مؤمن ، ولا يليق مثل هذه الأفعال بأهل الإيمان .

(١) شرح مسلم للنووى : ٢٤٢/١ .

(٢) تهذيب الآثار ، مسند ابن عباس ص ٦٢٢ ، وفي سند هذا الحديث ضعفاء . (انظر تحقيق محمود شاكر ص ٦٢٢) ومع هذا قال ابن حجر : « والعجب من النووى كيف جزم بأن في التأويل المنقول عن ابن عباس حديثاً مرفوعاً ، ثم صحح غيره ، فلعله لم يطلع على صحته (فتح ٦٢/١٢) .
نقول : لا يلزم من قول النووى : إن هناك حديثاً مرفوعاً أن يكون صحيحاً حتى يعتمد عليه ، فقد تبين لنا أن هذا الحديث المشار إليه ضعيف .

(٣) شرح مسلم للنووى : ٢٤٢/١ .

(٤) المصدر السابق : ٢٤٢/١ .

(٥) طرح التثريب : ٢٦١/٧ ، والحديث متفق عليه .

(٦) فتح البارى ٦١/١٢ وشرح السنة : ٩٠/١ .

١٠ - أن معنى كونه مؤمناً أنه شابه الكافر في عمله ، وموقع التشبيه أنه مثله في جواز قتاله في تلك الحالة ليكف عن المعصية ، ولو أدى إلى قتله ، فإنه لو قتل في تلك الحالة كان دمه هدراً ، فانفتت دائرة الإيمان في حقه بالنسبة إلى زوال عصمته ، وهذا يقوى ما تقدم من التقييد بحالة المعصية ^(١) .

١١ - معنى الحديث : أنه إذا فعل هذه المعاصي يكون غير مستحضر في حالة تلبسه بها جلال من آمن به ، فهو كناية عن الغفلة التي جلبتها له غلبة الشهوة ، وعبر عن هذا ابن الجوزي بقوله : فإن المعصية تذهله عن مراعاة الإيمان ، وهو تصديق القلب ، فكأنه نسي من صدق به ^(٢) .

١٢ - نفى الإيمان معناه في الحديث نفى الأمان من عذاب الله ؛ لأن الإيمان مشتق من الأمان ^(٣) .

قال ابن حجر : وحاصل ما اجتمع لنا من الأقوال في معنى هذا الحديث ثلاثة عشر قولاً خارجاً عن قول الخوارج ، وعن قول المعتزلة ، وقد أشرت إلى أن بعض الأقوال المنسوبة لأهل السنة يمكن رد بعضها إلى بعض . قال المازري : هذه التأويلات تدفع قول الخوارج ومن وافقهم من الرافضة أن مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار إذا مات على غير توبة وكذا قول المعتزلة : إنه فاسق مخلد في النار ، فإن الطوائف المذكورين تعلقوا بهذا الحديث وشبهه ^(٤) .

وإذا كان هؤلاء العلماء قد تكلموا في معنى الحديث وأولوه فإن الزهري ذهب مذهباً آخر ، وهو أن هذا الحديث وما أشبهه يؤمن بها وتقر على ما جاءت ، ولا يخاض في معناها ، فإننا لا نعلم معناها ، وقال : « أُمِرُّهَا كَمَا أَمَرَهَا مَنْ قَبْلَكُمْ » ^(٥) وقد ذهب إلى ذلك البغوي ؛ قال : والقول ما قال الرسول - ﷺ - ، والعلم عند الله عز وجل ^(٦) .

(١) فتح الباري : ٦١/١٢ .

(٢) المصدر السابق : ٦٢/١٢ .

(٣) المصدر السابق : ٦٢/١٢ .

(٤) المصدر السابق : ٦٢/١٢ .

(٥) طرح التثريب : ٢٦٠/٧ .

(٦) شرح السنة : ٩١/١ .

الرابعة : قال القاضي عياض : أشار بعض العلماء إلى أن في هذا الحديث تنبيهاً على جميع أنواع المعاصي والتحذير منها ، فنبه بالزنا على جميع الشهوات ، وبالسرقة على الرغبة في الدنيا والحرص على الحرام ، وبالخمر على جميع ما يصد عن الله تعالى ويوجب الغفلة عن حقوقه ، وبالاتهاب الموصوف على الاستخفاف بعباد الله وترك توقيرهم والحياء منهم وعلى جمع الدنيا من غير وجهها ^(١) .

وقد عرض القرطبي هذا الرأي بشيء من التفصيل - وإن كان لم يصرح بأنه للقاضي عياض - فقال : ومقصود هذا الحديث التنبيه على جميع أنواع المعاصي والتحذير منها ؛ فنبه بالزنا على جميع الشهوات المحرمة ؛ كشهوة النظر والكلام والسمع ، ولمس اليد ، ونقل الخطأ إلى نيل تلك الشهوة ، كما قال عليه السلام : زنا العين النظر ، وزنا اللسان الكلام ، وزنا اليد البطش ، وزنا الرجل الخطأ والفرج يصدق ذلك أو يكذبه ، ونبه بالسرقة على اكتساب المال بالحيل الخفية ، والنهب على اكتسابه على جهة الهجوم والمغالبة ، والغلول على أخذه على جهة الخيانة . هذا ما أشار إليه بعض العلماء ^(٢) .

وتعقب ذلك القرطبي فقال : هذا تنبيه لا يتمشى إلا بالمساحة ، وأولى منه يقال : إن الحديث يتضمن التحذير عن ثلاثة أمور هي من أعظم أصول المفساد ، وأضدادها من أصول المصالح ، وهي استباحة الفروج المحرمة ، والأموال المحرمة ، وما يؤدي إلى الإخلال بالعقول ، وخص بالذكر أغلب الأوجه التي يؤخذ بها مال الغير بغير الحق ^(٣) .

وقد فسر ابن حجر عبارة القرطبي : « هذا تنبيه لا يتمشى إلا بالمساحة » وسبب تعقبه فقال : وأشار بذلك إلى أن ما ذكره الأول يشمل الكبائر والصغائر ، وليست الصغائر مرادة هنا ؛ لأنها تكفر باجتناّب الكبائر فلا يقع الوعيد عليها بمثل التشديد الذي في هذا الحديث ^(٤) .

(١) فتح الباري : ٦٢/١٢ .

(٢) المفهم : ١٤٥ ، ب .

(٣) المفهم : ٤٥ ب وقد نقل ابن حجر عبارة القرطبي في فتح الباري (٦٢/١٢) ولكن فيه اختلاف

ونقص ظاهر ، وربما سقطت بعض العبارات في الطبع .

(٤) فتح الباري : ٦٢/١٢ .

الخامسة : ظاهر الإطلاق في قوله - ﷺ - « لا يزنى » و « لا يشرب الخمر » أنه لا فرق في الزانى بين أن يكون محصناً أولاً ، ولا في شرب الخمر بين أن يكون المشروب كثيراً أو قليلاً ، وهو كذلك . قال ابن العراقى : وقد صرح أصحابنا (من الشافعية) بأن شرب قليل الخمر من الكبائر (١) .

السادسة : التهمة بضم النون المنهوب وهو المغصوب وذات شرف أى ذات قدر عظيم وقيل ذات استشراف يستشرف الناس لها ناظرين إليها رافعين أبصارهم .

وأطلق في الحديث ذكر السرقة ، وقيد التهمة بأن تكون ذات شرف يرفع إليه المؤمنون أعينهم فيها ، وذلك يدل على أن السرقة أشد من الغصب ، ويوافق هذا كلام أئى سعيد الهروى من الشافعية ؛ فإنه شرط في كون الغصب من الكبائر كون المغصوب نصاباً ولم يشترط ذلك في السرقة .

وقد يقال : إنما سكت هو وغيره عن ذلك في السرقة ؛ لأن المتبادر إلى الفهم من إطلاقها كون المسروق نصاباً فإنه الموجب للقطع ، فإذا أطلق حمل على ذلك كما كان إطلاق الآية الكريمة (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) محمولا على ذلك .

وفي هذا الحديث تعظيم شأن الغصب على غيره ، بكونه - ﷺ - أقسم على ذلك ، والقسم يدل على التأكيد (٢) .

السابعة : قال ابن المنذر : فسر الحسن والنخعى هذا الحديث فقالا : **التهبة** المحرمة أن ينتهب مال الرجل بغير إذنه ، وهو له كاره ، وهو قول قتادة . قال أبو عبيد : وهذا وجه الحديث على ما فسرهما النخعى والحسن . وأما التهمة المكروهة فهي ما أذن فيه صاحبه للجماعة وأباحه لهم ، وغرضه تساويهم فيه أو مقاربة التساوى ، فإذا كان القوى منهم يغلب الضعيف ويحرمه لم تطب نفس صاحبه بذلك الفعل ، واختلف العلماء فيما ينثر على رعوس الصبيان وفي الأعراس فيكون فيه التهمة ، فكرهه مالك والشافعى ،

(١) طرح التثريب : ٢٦٢/٧ .

(٢) المصدر السابق : ٢٦٣/٧ .

وأجازته الكوفيون . قال ابن المنذر : وإنما أكرهه لأن من أخذه إنما أخذه بفضل قوة وقلة حياء ، ولا يقصد به هو وحده ، إنما قصد به الجماعة ، ولا يعرف حظه من حظ غيره ، فهو خلصة وسخف ^(١) .

واحتج الكوفيون بأن النبي - ﷺ لما نحر الهدى قال : دونكم فانتهبوا . قال ابن المنذر : وهذا الحديث حجة في إجازة أخذ ما ينثر في الملاك ^(٢) وغيره ، وأبيح أخذه ؛ لأن المبيح لهم ذلك قد علم اختلاف قوتهم في الأخذ ، وليس في البدن التي أباحها النبي - ﷺ لأصحابه معنى إلا وهو موجود في الثَّار ^(٣) .

الثامنة : أطلق في المحكم أن الغلول الخيانة ، ثم قال : وخص بعضهم به الخون في الفىء . قال أبو عبيد : الغلول من المغنم خاصة ولا نراه من الخيانة ولا من الحقد ^(٤) . وقال في المشارق كل خيانة غلول ؛ لكنه صار في عرف الشرع لخيانة المغانم خاصة ^(٥) . وقال في النهاية : هو الخيانة في المغنم والسروقة من الغنيمة قبل القسمة ، وكل من خان في شيء خفية فقد غلَّ .

وسميت غلولاً لأن الأيدي فيها مغلولة أى ممنوعة مجعول فيها غل ، وهو الحديدية التي تجمع يد الأسير إلى عنقه ^(٦) .

وعلى هذا فإن كان الغلول مطلق الخيانة فهو أعم من السرقة ، وإن كان من المغنم خاصة فبينه وبينها عموم وخصوص من وجه ^(٧) .

(١) المصدر السابق : ٢٦٣/٧ .

(٢) عقد النكاح .

(٣) المصدر السابق : ٢٦٣/٧ .

(٤) المصدر السابق : ٢٦٣/٧ .

(٥) مشارق الأنوار : ١٣٤/٢ .

(٦) النهاية في غريب الحديث : ٣٨٠/٣ .

(٧) طرح الثريب : ٢٦٤/٧ .

التاسعة : قوله : « وإياكم وإياكم » معناه واحذروا واحذروا من فعل شيء من هذا ،
 والتكرير للتأكيد ، يقال : « إياك وفلاننا » أى احذره ، ويقال : « إياك » أى احذر من غير
 ذكر فلان كما هنا ^(١) .

★ ★ ★

(١) المصدر السابق : ٢٦٤/٧ .

٩١ - وقال رسول الله - ﷺ - : والذى نَفْسُ محمد بيده لا (١)
يسمُعُ بى أحدٌ من هذه الأمة ، ولا يهودى ، ولا نصرانى ، ومات ولم يؤمن بالذى
أُرسِلْتُ به إلا كان من أصحاب النار .

- (١) م : ما يسمع .
• رواه أحمد (٨٦/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٩٤/٨١٨٨) .
وروى مسلم نحوه في (١٣٤/١) - (١) كتاب الإيمان - (٧٠) باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد -
ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته - من طريق ابن وهب عن عمرو (بن الحارث) ، عن أنى يونس ، عن أنى هريرة
(رقم ١٥٣/٢٤٠) .
ورواه أبو عوانة في مسنده (١٠٤/١) في كتاب الإيمان - بيان ثواب من آمن بمحمد - ﷺ - عن أحمد بن
يوسف السلمى ، عن عبد الرزاق به .
ورواه البغوى (١٠٤/١) في كتاب الإيمان - باب من مات لا يشرك بالله شيئا - بسنده للصحيفة . وقال هذا
حديث صحيح أخرجه مسلم من وجه آخر عن أنى هريرة (رقم ٥٦) .

شرح الحديث :

- (١) - لا يسمع بى أحد من هذه الأمة : قال القرطبى : الأمة فى أصل اللغة
الجماعة من الحيوان ، قال الله تعالى (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه
إلا أمم أمثالكم) (١) ، وقال - جل شأنه - : (فوجد عليه أُمَّةٌ من الناس يسقون) (٢)
ثم قد استعمل فى محامل شتى . والمراد به فى هذا الحديث : كل من أرسل إليه محمد -
ﷺ - ولزمته حجته سواء صدقه أو لم يصدقه (٣) .

(١) الأنعام : ٣٨ .

(٢) القصص : ٢٣ .

(٣) المفهم : ١٦٨ .

وعلى هذا يتناول اللفظ جميع أمة الدعوة ؛ من هو موجود في زمنه - ﷺ - ، ومن يتجدد وجوده بعده إلى يوم القيامة ، فكلهم يجب الدخول في طاعته ﷺ (١) .

(٢) - ولا يهودى ، ولا نصرانى : هذا من عطف الخاص على العام ، وإنما ذكرهما تنبيهاً على من سواهما ، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب ، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً فغيرهم ممن لا كتاب له أولى (٢) . والله أعلم . هذا ما قاله النووى . وقال القرطبى : إذا كانت الرواية من غير عطف « يهودى » و « نصرانى » فهما بدل من الأمة . أما بالعطف كما هنا فلا يدخل اليهودى ولا النصرانى . فى الأمة المذكورة (٣) .

وقد وضع ذلك صاحب طرح التثريب فقال : ويحتمل أن يراد بهذه الأمة العرب الذين هم عبدة الأوثان ، وحينئذ فعطف اليهودى والنصرانى على بابه لعدم دخولهما فيما تقدم ، وقوله فى روايتنا « ولا يهودى ولا نصرانى » يوافق ذلك (٤) .

(٣) - ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار :

فى هذا إثبات نسخ الملل كلها برسالة نبينا - ﷺ - ، وفى مفهومه دلالة على أن من لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور ، وهذا جار على ما تقدم فى الأصول أنه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح (٥) .

قال القرطبى : وفيه دليل على أن من لم تبلغه دعوة رسول الله ﷺ ولا أمره لا عقاب عليه ، وهذا كما قال الله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (٦) ، ومن لم تبلغه دعوة الرسول ولا معجزته فكأنه لم يبعث إليه رسول (٧) .

(١) طرح التثريب : ١٥٨/٧ .

(٢) شرح مسلم للنوى : ٣٦٩/١ .

(٣) المفهم : ١٦٩ .

(٤) طرح التثريب : ١٦٠/٧ .

(٥) شرح مسلم للنوى : ٣٦٩/١ .

(٦) الإسراء : ١٥ .

(٧) المفهم : ١٦٩ .

وهذا الحديث لا يتعارض مع الآية الكريمة (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١) ؛ لأن معنى « آمن بالله » يتضمن الإيمان بمحمد ﷺ ؛ قال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية الكريمة : « معنى إيمان المؤمن في هذا الموضع ثباته على إيمانه وتركه تبديله ، وأما إيمان اليهود والنصارى والصابئين فالتصديق بمحمد - ﷺ ، وبما جاء به ، فمن يؤمن منهم بمحمد - ﷺ وبما جاء به واليوم الآخر ويعمل صالحا فلم يبدل ولم يغير حتى توفي على ذلك فله ثواب عمله وأجره عند ربه ، كما وصف جل ثناؤه (٢) .

ويرى ابن عباس - رضى الله عنهما - أن هذه الآية منسوخة ، وقد نزل بعدها (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) (٣) فكان يرى أن الله - جل ثناؤه كان قد وعد من عمل صالحاً من اليهود والنصارى والصابئين على عمله في الآخرة الجنة ، ثم نسخ ذلك بقوله - سبحانه وتعالى - (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) .

قال ابن جرير الطبري : والذى قلنا من التأويل الأول أشبه بظاهر التنزيل (٤) وعلى كل فلا إشكال بين الحديث والآية الكريمة .

وفى الحديث فوق ما تقدم :

- ١ - الانتفاع بالإسلام قبيل الموت ، ولو فى المرض الشديد ما لم يصل إلى المعاينة (٥) . ويؤخذ ذلك من قوله - ﷺ - : « ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به » .
- ٢ - تكفير من أنكر بعض ما جاء به - ﷺ ، إذا ثبت ذلك بنص قطعى ، وأجمعت عليه الأمة (٦) . والله أعلم .

(١) البقرة : ٦٢ .

(٢) جامع البيان ٢٥٤/١ .

(٣) آل عمران : ٨٥ .

(٤) جامع البيان : ٢٥٦/١ - ٢٥٧ .

(٥) طرح الثريب : ١٦٠/٧ .

(٦) المصدر السابق : ١٦٠/٧ .

٩٢ - وقال رسول الله - ﷺ - : التسبيح للقوم ، والتصفيق للنساء في الصلاة .

• رواه عبد الرزاق في المصنف (٤٥٦/٢) في باب التسبيح للرجال والتصفيق للنساء - عن معمر ، عن همام بن منبه ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : التسبيح للرجال والتصفيق للنساء في الصلاة . وهكذا فيه « للرجال » بدل « للقوم » (رقم ٤٠٦٩) .

ورواه أحمد (٨٧/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٩٥/٨١٨٩) .

ورواه مسلم في (٣١٩/١) - (٤) كتاب الصلاة (٢٣) باب تسبيح الرجل وتصفيق المرأة إذا ناهما شيء من الصلاة - بسنده للصحيفة ، وذلك إحالة على أحاديث رواها من طريق ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن عن أنى هريرة (٤٢٢/١٠٦) .

وقد ذكر الشيخ أحمد شاكر عليه رحمة الله في تحقيقه للمسند - وهماً - أن الشيخين لم يروياه من طريق الصحيفة (٨٧/١٦) وها نحن قد رأينا مسلماً رواه من طريقها .

وروى البخاري نحوه في (٦٠/٢) - (٢١) كتاب العمل في الصلاة - (٥) باب التصفيق للنساء - من طريق سفيان ، عن الزهري ، عن أنى سلمة ، عن أنى هريرة رضى الله عنه ، ومن طريق سفيان ، عن أنى حازم ، عن سهل ابن سعد - رضى الله عنه . وليس في الحديثين « في الصلاة » .

ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٢٤٧/١) كتاب الصلاة - باب ما يقول إذا نابه شيء في صلاته من طريق أبي بكر محمد بن الحسين القطان ، عن أحمد بن يوسف السلمى عن عبد الرزاق به . وقال : رواه مسلم في الصحيح عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق .

شرح الحديث :

١ - إذا ناب المصلى في صلاته ما يقتضى إعلام غيره بشيء ؛ من تنبيه إمامه على خلل يريد فعله في الصلاة ، أو رؤية أعمى يقع في بئر ، أو استئذان داخل ، أو كون المصلى يريد إعلام غيره بأمرٍ فينبغى له أن يسبح بأن يقول : « سبحان الله » لإفهام ما يريد التنبيه عليه ، ويدل لذلك قوله - هنا - « في الصلاة » وفي رواية للبيهقي من طريق

أبى صالح ، عن أبى هريرة : إذا استؤذن على الرجل ، وهو يصلى فأذنه التسبيح ، وإذا استؤذن على المرأة ، وهى تصلى فأذنها التصفيق « (١) .

وقال فى الخلافات : رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات (٢) .

وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد : « من نابه شئ فى صلاته فليسبح ، فإنه إذا سبح التفت إليه ، وإنما التصفيق للنساء » (٣) .

وبهذا قال مالك والشافعى وأحمد وإسحاق وأبو يوسف والأوزاعى وأبو ثور ، وجمهور العلماء من السلف والخلف .

وقال أبو حنيفة ومحمد بن الحسن : متى أتى بالذكر جوابا بطلت صلاته .

وحجتهما كما بينها الزيلعى : أن الكلام مبنى على قصد المتكلم ، فإن من قال : « يا بنى اركب معنا » وأراد به خطابه يكون كلاما مفسدا ، لا قراءة القرآن ، وكذا لو قال لرجل اسمه يحيى : « يا يحيى خذ الكتاب بقوة » وأراد به الخطاب ، ولهذا لو قرأ الجنب الفاتحة على نية الثناء والدعاء دون القراءة يجوز ، وكذا لو قرأها فى صلاة الجنازة على نية الدعاء دون القراءة تجوز ، وإن لم تشرع فيها القراءة (٤) .

وإن قصد به الإعلام بأنه فى الصلاة لم تبطل ، فحملا التسبيح المذكور فى هذا الحديث على ما إذا كان القصد به الإعلام بأنه فى الصلاة .

وحملا قوله - ﷺ : « من نابه شئ فى صلاته » على نائب مخصوص ، وهو إرادة الإعلام فى الصلاة بأنه فى الصلاة .

(١) السنن الكبرى (٢٤٧/١) كتاب الصلاة - باب ما يقول إذا نابه شئ فى صلاته - من طريق إبراهيم بن طهمان ، عن سليمان الأعمش عن ذكوان (أبى صالح) .

(٢) طرح الثريب ٢/٢٤٣ .

(٣) صحيح البخارى (١٦٧/١) - (١٠) كتاب الأذان - (٤٨) باب من دخل ليوم الناس - من طريق مالك عن أبى حازم بن دينار ، عن سهل بن سعد - وصحيح مسلم (٣١٦/١) (٤) كتاب الصلاة - باب تقديم الجماعة من يصلى بهم (رقم ٤٢١/١٠٢) .

(٤) تبين الحقائق : ١/١٥٧ .

وقد تعقب ابن العراق على هذا بأنهما محتاجان لدليل على هذا التفصيل وقوله - صلى الله عليه وسلم : « من نابه شيء » عام لكونه نكرة في سياق الشرط ، فالأصل عدم تخصيصه ، فيتناول النائب الذى يحتاج معه إلى الجواب ، والنائب الذى يحتاج معه إلى الإعلام بأنه فى الصلاة ؛ فالحمل على أحدهما من غير دليل لا يمكن المصير إليه .

على أن الواقعة التى هى سبب الحديث لم يكن القصد فيها الإعلام بأنه فى الصلاة ، وإنما كان القصد تنبيه أى بكر الصديق رضى الله عنه على حضور النبى - صلى الله عليه وسلم . فأرشدهم النبى - صلى الله عليه وسلم إلى أنه كان حقهم عند هذا النائب التسبيح ، وكذا عند كل نائب . وقد اتفقوا على أن السبب لا يجوز إخراجاه ^(١) .

هذا وقد دافع العيني عن أى حنيفة فى اتهامه بمخالفة هذا الحديث فقال : لا نسلم أن أبا حنيفة خالف ... ، فإن مذهب أى حنيفة أنه إذا سبح أو حمد جواباً لإنسان فإنه يقطع لأنه يكون كلاماً ، وإما إذا وقع شيء من ذلك لغير جواب فلا يضر ذلك ؛ لأن « الصلاة هى : التسبيح والتكبير وقراءة القرآن » ؛ كما ثبت فى الصحيح ^(٢) .

كما يبين الزيلعى أن هذا الحديث هو الذى منع أبا حنيفة ومحمداً من القول بأن التسبيح للإعلام يبطل الصلاة وإلا فالقياس يدل على ذلك ، ولكن الأحناف تركوا القياس من أجل الحديث ^(٣) .

٢ - فى الحديث إذا ناب المرأة مثل ما وصفنا بالنسبة للرجل فى الصلاة فينبغى لها أن تصفق .

وبهذا قال الشافعى وأحمد والجمهور ، وسوى مالك فى ذلك بين الرجل والمرأة ، وقال : إن المشروع فى حقها التسبيح كالرجل ، وضعف أمر التصفيق للنساء ، وحكى أبو العباس القرطبى عن مشهور قول مالك أنه لا يجوز أن يفعله فى الصلاة ؛ لا الرجال

(١) طرح الثريب : ٢٤٣/٢ .

(٢) عمدة القارى : ٣٠٥/٦ .

(٣) تبين الحقائق ١٥٧/١ .

ولا النساء . وحكى القاضى عياض عن أبى حنيفة أنه رأى فساد صلاة المرأة إذا صفقت في صلاتها ، قال : وخطأ أصحابه هذا القول . وقال الأبهري من المالكية إن صفقت المرأة لم تبطل صلاتها ، غير أن المختار التسبيح ^(١)

وذكر ابن عبد البر في توجيه قول مالك أنه أخذ بظاهر قوله في حديث سهل بن سعد : « من نابه شيء في صلاته فليسبح » قال : وهذا على عمومته في الرجال والنساء ، وتأولوا قوله : « وإنما التصفيق للنساء على أن التصفيق من أفعال النساء على جهة الذم .

قال ابن العراق : وهذا التأويل مردود ، وهو وإن كان محتملا في لفظ هذه الرواية فإنه تعذر في رواية أخرى رواها البخارى في صحيحه لفظها : « إذا نابكم شيء في الصلاة فليسبح الرجال ، وليصفح النساء » وعن مالك رواية موافقة للجمهور ، وجزم بها عنه ابن المنذر ، فقال بعد ذكر حديث التسبيح للرجال ، والتصفيق للنساء : قال بظاهر هذا الخبر مالك ^(٢) .

واختار جماعة من المالكية موافقة الجمهور في ذلك ، فقال القاضى أبو بكر ابن العربى بعد نقله مشهور مذهب مالك في ذلك : وليس بصحيح . وقال أبو العباس القرطبى بعد ذكره مذهب الجمهور في ذلك : هو الصحيح خيراً ونظراً ^(٣)

وقد نقل ابن حزم إجماع الصحابة في ذلك فقال : رويناه عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى أنهما قالوا : التسبيح للرجال والتصفيق للنساء ، ولا يعرف لهما من الصحابة رضى الله عنهم مخالف ^(٤) .

(١) طرح التثريب : ٢٤٣/٢ - ٢٤٤ .

(٢) المصدر السابق : ٢٤٤/٢ .

(٣) المصدر السابق : ٢٤٤/٢ .

(٤) المحلى : ٧٨/٤ .

٣ - وقد نقل بعضهم عن الإمام الشافعي وغيره مشروعية التصفيق للنساء لأن أصواتهن عورة ، كما منعن من الأذان ، ومن الجهر بالإقامة والقراءة . وقال القاضي أبو بكر بن العربي في قوله : « وإنما التصفيق للنساء ؛ يعنى أن أصواتهن عورة فلا يظهرنه » . قال ابن العراق : لكن الصحيح عند الشافعية أن صوتها ليس بعورة ، نعم إن خشي الافتتان بسماعه حرم ، وإلا فلا .

وقد علل ابن عبد البر ذلك بخوف الافتتان وهذا أولى ، قال في الاستذكار : وقال بعضهم : إنما كره التسبيح للنساء لأن صوت المرأة فتنه ولهذا منعت من الأذان والإقامة والجهر بالقراءة في صلاتها ^(١) .

٤ - وذكر النووي وغيره أن التسبيح للرجال والتصفيق للنساء سنة ، وعن تقي الدين السبكي أنهما سنتان إذا كان التنبيه قربة ، فإن كان مباحاً كانا مباحين وقياس ذلك إذا كان التنبيه واجبا ؛ كإنداز الأعمى من الوقوع في بئر أن يكونا واجبين إذا تعينا طريقا وحصل المقصود بهما ^(٢) . وقال ابن قدامة في المغنى : وإذا سها الإمام فأتى بفعل في غير موضعه لزم المأمومين تنبيهه ؛ فإن كانوا رجالا سبحوا وإن كانوا نساء صفقن ببطون أكتفهن على ظهور الأخرى وبهذا قال الشافعي ^(٣) .

وذهب الغزالي إلى أنه مباح ، ويوافق ذلك ما رواه ابن ماجه في سننه عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أنه قال : رخص رسول الله - ﷺ للنساء في التصفيق وللرجال في التسبيح ^(٤) .

قال ابن العراق في طرح التثريب : والحق انقسام التنبيه في حالة الصلاة إلى ما هو واجب ، وإلى ما هو مندوب ، وإلى ما هو مباح ، بحسب ما يقتضيه الحال ^(٥) .

(١) طرح التثريب : ٢٥٠/٢ .

(٢) المصدر السابق : ٢٤٥/٢ .

(٣) المغنى : ١٩/٢ .

(٤) السنن (٣٣٠/١) (٥) كتاب إقامة الصلاة (٦٥) باب التسبيح للرجال . وفي الزوائد : إسناده حسن .

(٥) طرح التثريب : ٢٤٥/٢ .

٥ - لو خالف الرجل المشروع في حقه وصفق في صلاته لأمر ينوبه لم تبطل صلاته ؛ لأن الصحابة - رضی الله عنهم صفقوا في الصلاة في قضية إمامة الصديق - رضی الله عنه - ولم يأمرهم النبي - ﷺ بالإعادة (١) .

وقال ابن حزم الظاهري : لا يحل للرجل أن يصفق بيديه في صلاته ، فإن فعل وهو عالم بالنهي بطلت صلاته (٢) .

وتعقبه ابن العراقي فقال : والقول بهذا على إطلاقه مردود ، وليس في الحديث نهى الرجل عن التصفيق في الصلاة وليس في الحديث تحريمه (٣) .

وكذلك إذا خالفت المرأة المشروع في حقها وسبحت في صلاتها لأمر ينوبها لم تبطل صلاتها أيضاً ، لكن إن أسرت به بحيث لم يسمعها أحد فليس هذا تنبيها يحصل به المقصود ، وإن جهرت به بحيث أسمعت من تريد إفهامه فالذي ينبغي أن يقال : إن كان امرأة أو محرماً فلا كراهة ، وإن كان رجلاً أجنبياً كره ذلك ، بل يحرم على رأى من يقول إن صوتها عورة (٤) .

وقال ابن حزم : وأما المرأة فحكمها إن نابها شيء في صلاتها أن تصفق بيديها ، فإن سبحت فحسن ، وهو قول الشافعي وداود . وإنما جاز التسبيح للنساء لأنه ذكر الله تعالى والصلاة مكان لذكر الله عز وجل .

وقد تعقبه العراقي في تحسينه هذا ، فقال : وما قاله من أن تسبيحها حسن ليس بجيد ؛ لأن المراد هنا تسبيحها جهراً للتنبيه ، لا تسبيحها في نفسها سراً ، فإن ذلك حسن ، فأما رفعها صوتها بالتسبيح لتنبيه الإمام أو غيره فليس بحسن ؛ لأن المرأة لا ترفع

(١) المصدر السابق : ٢٤٦/٢ .

(٢) المحلى : ٧٧/٤ .

(٣) طرح التثريب : ٢٤٦/٢ - ٢٤٧ .

(٤) المصدر السابق : ٢٤٧/٢ .

صوتها بما يشرع لها الإتيان به من التكبير ونحوه ، فكيف ترفع صوتها بما لم يؤذن لها فيه ^(١) ؟!

٦ - في حديث سهل بن سعد : « فإنه إذا سبح التفت إليه » وفي بعض ألفاظه في الصحيح : « فليقل : سبحان الله ، فإنه لا يسمعه أحد حين يقول سبحان الله إلا التفت » فدل هذا على أن التسبيح قد صار شعاراً للتنبيه ، وعلامة عليه فلا يعدل إلى غيره ؛ لعدم حصول المقصود به .

قال الحافظ العراقي في ذلك : لا شك أن الاتباع في ذلك مقصود ، وربما يكون في التسبيح معنى لا يوجد في غيره من الأذكار ؛ لأنه يكون في الغالب تنبيهاً للإمام أو غيره على ما غفل عنه ، فناسب أن يأتي بلفظ يقتضى تنزيه الله تعالى عما هو جائز على البشر من النسيان والغفلة ^(٢) .

وفي كلام القاضي أبي بكر بن العربي ما يدل على استعمال غير التسبيح لبعض ما ينوب ، فقال عقب حديث علي : كنت إذا استأذنت على النبي - ﷺ - وهو يصلي يسبح : « والذي أفعله أن أعلن بالقراءة ، وأرفع صوتي بالتكبير ، أى حالة كنت فيها أظهرها ؛ ليعلم أنى مشغول بها . ثم حكى عن ابن حبيب أنه قال : يجوز للرجل أن يراجع من يستأذن عليه بدعاء أو قرآن يجوز له في الصلاة كما فعل ابن مسعود .

قال الحافظ العراقي معقباً على هذا : والاقتصار على ما ورد به النص أولى ، حيث حصل به التنبيه ، فإن لم يحصل به التنبيه انتقل إلى ما هو أصرح منه ، بل إن احتاج إلى النطق إذا لم يحصل التنبيه إلا به وكان في أمر واجب وجب ذلك ^(٣) .

ولو أتت المرأة بغير التصفيق مما هو في معناه ، كالضرب بعصى أو نحوها ، أو على الحائط فظاهر الحديث أنه لا يشرع لها ذلك ، وأن التصفيق لها متعين .

(١) المصدر السابق : ٢٤٧/٢ .

(٢) المصدر السابق : ٢٤٨/٢ .

(٣) المصدر السابق : ٢٤٨/٢ .

ويحتمل أن يقال : إنما ذكر عليه الصلاة والسلام التصفيق لكونه هو المتيسر لها في كل وقت ، وهو المعتاد للنساء دون الضرب على الحائط وبعضى ، فقد لا يتمكن من ذلك لعدم وجوده عندها ذلك الوقت ، فيكون ذكره - ﷺ التصفيق إنما هو للتنبيه على ما عداه .

وهنا أيضا اختار الحافظ العراقى الاتباع في ذلك ، وقال : تصفيق المرأة بيدها متيسر في حقها لاعتيادها ذلك في غير الصلاة ، بخلاف الضرب بالعصى ونحوه ، فقد يظن المُنبِّه أنه لضرب عقرب ونحوه ^(١) .

٧ - قال الإمام النووى في التصفيق : وهو التصفيح ، فتضرب بطن كفها الأيمن على ظهر كفها الأيسر ، ولا تضرب بطن كف على بطن كف على وجه اللعب واللهو ، فإن فعلت هكذا على وجه اللعب بطلت صلاتها ؛ لمنافاتها الصلاة ^(٢) .
وظاهر الحديث يقتضى حصول المقصود بالتصفيق على أى وجه كان ^(٣) .

٨ - قال الزهرى - رضى الله عنه : « وقد رأيت رجالاً من أهل العلم يسبحون ويشيرون » أى فى الصلاة ^(٤) . وجمع بينهما لأن فى كل منهما إفهام ما فى النفس . وأكثر العلماء من السلف والخلف على جواز الإشارة فى الصلاة ، وأنها لا تبطل بها ولو كانت مفهومة ، وبهذا قال مالك والشافعى وأحمد ، وقد ورد فى الإشارة فى الصلاة أحاديث تكاد أن تبلغ حد التواتر .

وذهب الحنفية إلى بطلان الصلاة بالإشارة المفهومة ، ونزلوها منزلة الكلام .
واستدلوا لذلك بما رواه أبو داود فى سننه عن أنى هريرة مرفوعاً : « من أشار فى

(١) المصدر السابق : ٢٤٩/٢ .

(٢) شرح مسلم للنووى : ٦٨/٢ .

(٣) طرح التثريب : ٢٤٩/٢ .

(٤) تقريب الأسانيد ، ص ١٨ .

صلاته إشارة تفهم عنه فليعد لها - يعنى الصلاة » ^(١) ، لكنه حديث ضعيف . قال أبو داود : هذا الحديث وهم . وقال أبو بكر بن أبي داود : أبو غطفان مجهول ، لعله من قول ابن إسحاق ، والصحيح عن النبي - ﷺ أنه كان يشير في الصلاة . وقال أبو زرعة : ليس في شيء من الأحاديث هذا الكلام ، وليس عندي بذلك الصحيح ؛ إنما رواه ابن إسحاق ، وقال أحمد بن حنبل : لا يثبت هذا الحديث ؛ إسناده ليس بشيء ^(٢) .

★ ★ ★

(١) سنن أبي داود (١/٥٨٠ - ٥٨١) - (٢) كتاب الصلاة - (١٧٤) باب الإشارة في الصلاة - من طريق محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن أبي غطفان ، عن أبي هريرة (رقم ٩٤٤) .
(٢) طرح التثريب : ٢٥١/٢ .

٩٣ - وقال رسول الله - ﷺ - : كل كلم يكلم^(١) به المسلم في سبيل الله يكون يوم القيامة كهيئتها إذا^(٢) طُعِنَتْ يَفْجُرَ دَمًا ؛ اللون لون الدم^(٣) ، والعَرَفُ عَرَفُ الْمِسْكَ .

* * *

(١) م : يكلمه المسلم . (٢) م : يوم طعنت . (٣) م : دم ... مسك .

• رواه عبد الرزاق في المصنف (٢٥٣/٥) باب فضل الجهاد - عن معمر عن همام بن منه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « كل كلم يكلمها المسلم في سبيل الله يكون كهيئتها إذا أُصِيبَتْ ، يفجر دمًا . قال : اللون لون الدم ، والريح ريح المسك .

ورواه أحمد (٨٧/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٩٦/٨١٩٠) .

ورواه البخاري في (٦٥ ، ٦٤/١) - (٤) كتاب الوضوء - (٦٧) باب ما يقع من النجاسات في السمن والماء - من طريق عبد الله (بن المبارك) ، عن معمر ، عن همام بن منه عن أبي هريرة (رقم ٢٣٧) .

كما روى نحوه في (٢٣١/٦) - (٧٢) كتاب الصيد والذبائح - (٣١) باب المسك - من طريق عمارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة (رقم ٥٥٣٣) .

وفي (٢٠٤/٣) - (٥٦) كتاب الجهاد - (١٠) باب من يخرج في سبيل الله عز وجل - من طريق مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة .

ورواه مسلم في (١٤٩٧/٣) (٣٣) كتاب الإمامة - (٢٨) باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله - بسنده للصحيفة . (رقم ١٨٧٦/١٠٦) وروى معه بهذا السند حديث رقم (١٩) هنا .

وروى نحوه من طريق سفيان بن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة (١٨٧٦/١٠٥) . ومن طريق يحيى بن سعيد عن أبي صالح عن أبي هريرة (رقم ١٨٧٦/١٠٦) ومن طريق سهيل (بن أبي صالح) عن أبيه عن أبي هريرة (١٨٧٦/١٠٧) .

وجزءاً من حديث من طريق عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة (١٨٧٦/١٠٣) .

ورواه البيهقي في (٣٦٥/١٠ - ٣٦٦) كتاب السير والجهاد - باب ثواب الشهادة - بسنده للصحيفة ، وقال : هذا حديث متفق على صحته . (رقم ٢٦٣١) .

ورواه البيهقي في السنن الكبرى (١٦٥/٩) في كتاب السير - باب فضل من يخرج في سبيل الله - من طريق عبيد الله بن إبراهيم بن بالويه المزكي عن أحمد بن يوسف السلمي عن عبد الرزاق عن معمر عن همام .

قال الأستاذ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٨٧/١٦) : « قوله (أى في رواية أحمد) : « ثم تكون » : لفظ « ثم » لم يذكر في الصحيحة المفردة ولا في رواية البخارى ، وثبت في أصول المسند ورواية مسلم » .
ونضيف : أنه لم يذكر أيضا في روايات : المصنف ، وشرح السنة ، والبيهقي .

شرح الحديث :

(١) - **كُلُّ كَلِمٍ** : الكلم الجرح . ونقل العيني عن الكرمانى أنه الجراحة « وتعقبه بقوله : وليس كذلك ، بل الكلم الجرح من كَلَّمَه يكلمه كلما : إذا جرحه من باب « ضرب يضرب » ، والجمع كلوم وكلام ، ورجل كليم ومكلوم أى مجروح ^(١) .
(٢) - **يكلم به المسلم** : المراد بالمسلم الكامل الإسلام الذى أخلص لله فى الجهاد ، وقد خلت هذه الرواية مما وجد فى رواية أخرى تفيد هذا المعنى ، وهى عن أنى هريرة : « والذى نفسى بيده لا يُكَلِّمُ أحد فى سبيل الله - والله أعلم بمن يكلم فى سبيله - خلت روايتنا من هذه الجملة الاعتراضية لإفادة لفظ « المسلم » لها .
وروايتنا خصصت تلك الرواية التى فيها : « أحد » هذه العامة ^(٢) .

(٣) - **كهيتها إذا طعنت** : أى كهية الكلمة ، وأنث الضمير باعتبار الكلمة ، ونقل العيني عن الكرمانى ومن تبعه تأنيث الضمير باعتبار إرادة الجراحة ثم قال : ليس كذلك ، بل باعتبار الكلمة ؛ لأن الكلم والكلمة مصدران ، والجراحة اسم لا يعبر به عن المصدر ، مع أن بعضهم قال : ويوضحه رواية القابسى عن أنى زيد المروزى عن الفريرى (أى عن البخارى) « كل كلمة يكلمها » وكذا فى رواية ابن عساكر . وهذا يوضح ما قلت لا ما قاله ^(٣) .

ويقصد بالبعض هنا ابن حجر ، لأن هذا ما هو موجود فى فتح البارى له ^(٤) .

(١) عمدة القارى : ٤٥/٣ .

(٢) طرح التثريب : ١٩٩/٧ .

(٣) عمدة القارى : ٤٥/٣ .

(٤) فتح البارى : ٣٤٥/١ .

وقوله : « إذا طعنت » أى حين طعنت ، و « إذا » هنا بمعنى « إذ » إذ هما يتعاقبان أو هو لاستحضار صورة الطعن ؛ إذ الاستحضار - كما يكون بصريح لفظ المضارع ، كما فى قوله تعالى : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا » يكون أيضا بمعنى المضارع كما هنا .

وقد نقل العيني عن الكرمانى أنه قال : إنه لا يصح المعنى على الاستقبال ، وأن معنى « إذا » مجرد الظرفية . ثم تعقب عليه بما سبق (١) .

والتأنيث فى « طعنت » باعتبار الكلمة كما فى « هيئتها » ؛ لأنها هى المطعونة فى الحقيقة والذى يكلم إنما يسمى مطعونا باعتبار الكلمة والطعنة .

وقال الكرمانى : المطعون المسلم وهو مذكر ، لكن لما أردا « طعن بها » حذف الجار ثم أوصل الضمير المجرور بالفعل ، وصار المنفصل متصلا .

وتعقبه البرماوى : بأن التاء علامة لا ضمير ، فإن أراد الضمير المستتر فتسميته متصلا طريقة ، والأجود أن الاتصال والانفصال وصف للبارز (٢) .

كما ذكر العيني أن تفسير الكرمانى هذا تعسف ، ثم ذكر ما نقلناه عنه (٣) .

والحكمة فى كون دم الشهيد يأتى يوم القيامة على هيئته أنه يشهد لصاحبه بفضلله وعلى ظالمه بفعله (٤) .

(٤) - والعَرَفُ عَرَفَ المسك : العَرَفُ هو الريح ، كما جاء فى رواية أخرى ، وقد فسره بذلك الإمام أحمد (٥) . وقد فسرها البغوى بأنها الريح الطيبة ، قال : ومنه قوله تعالى

(١) عمدة القارى : ٤٥/٣ .

(٢) إرشاد السارى : ٣٠٣/١ .

(٣) عمدة القارى : ٤٥/٣ .

(٤) المصدر السابق : ٤٥/٣ .

(٥) المسند : ٨٧/١٦ .

(عرفها لهم) ^(١) أى طيبها ، ويقال : أصحاب الأعراف ، سموها لأنهم يجدون رائحة الجنة ^(٢) .

والمسك : قال الجاحظ : هو من دويبة تكون فى الصين تصاد لنوافجها وسررها ، فإذا صيدت شدت بعصائب ، وهى مدليه يجتمع فيها دمها ، فإذا ذبحت قوّرت السرة التى عصبت ودفنت فى الشعر ، حتى يستحيل ذلك الدم المختنق الجامد مسكاً ذكياً بعد أن كان لا يرام من التن . ومن ثم قال القفال : إنها تندبغ بما فيها من المسك فتطهر كما يطهر غيرها من المدبوغات ، والمشهور أن غزال المسك كالظبي ، لكن لونه أسود ، وله نابان لطيفان أبيضان فى فكه الأسفل ، وأن المسك دم يجتمع فى سرتة فى وقت معلوم من السنة ، فإذا اجتمع ورم الموضع فمرض الغزال إلى أن يسقط منه ، ويقال : إن أهل تلك البلاد يجعلون لها أوتاداً فى البرية تحتك بها ليسقط . ونقل ابن الصلاح فى مشكل الوسيط أن النافجة فى جوف الظبية كالأنفحة فى جوف الجدى ^(٣) .

قال النووى : أجمعوا على أن المسك طاهر يجوز استعماله فى البدن والثوب ويجوز بيعه ^(٤) .

(٥) - ويؤخذ من الحديث مع ما تقدم :

١ - أن المجروح فى سبيل الله يحىء يوم القيامة على هيئته حالة الجراحة ، وظاهره أنه لا فرق فى ذلك بين أن يستشهد أو تبرأ جراحته لقوله : « كل كلم » ^(٥) . وقد بينا أن الحكمة فى ذلك أن يكون معه شاهد فضيلته وبذل نفسه فى طاعة الله تعالى ^(٦) .

(١) محمد : ٦ .

(٢) شرح السنة : ٣٦٦/١٠ .

(٣) فتح البارى : ٦٦٠/٩ - ٦٦١ .

(٤) المصدر السابق : ٦٦١/٩ .

(٥) طرح التزيب : ٢٠٠/٧ .

(٦) المصدر السابق : ٢٠٠/٧ .

٢ - قال النووي : قالوا : وهذا الفضل ، وإن كان ظاهره أنه في قتال الكفار ، فيدخل فيه من خرج في سبيل الله في قتال البغاة وقطاع الطريق ، وفي إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك ^(١) والله أعلم .

وكذا قال ابن عبد البر : إن مخرج الحديث في قتال الكفار ، ويدخل فيه بالمعنى هذه الأمور ، واستشهد على ذلك بقوله - ﷺ : « من قتل دون ماله فهو شهيد » . قال ابن العراقي : قد يتوقف في دخول المقاتل دون ماله في هذا الفضل لإشارة النبي - ﷺ إلى اعتبار الإخلاص في ذلك في قوله - ﷺ : « والله أعلم بمن يكلم في سبيله » والمقاتل دون ماله لا يقصد بذلك وجه الله تعالى ، إنما يقصد صون ماله وحفظه ، فهو يفعل ذلك بداعية الطبع لا بداعية الشرع ، ولا يلزم من كونه شهيدا أن يكون دمه يوم القيامة كريح المسك ، وأى بذل بذل نفسه فيه الله تعالى حتى يستحق هذا الفضل ، والله أعلم ^(٢) .

٣ - الدلالة على فضل الجراحة في سبيل الله - عز وجل .

٤ - قال العيني : قوله - ﷺ : « عرف المسك » لا يستلزم أن يكون مسكاً حقيقة ، بل يجعله الله شيئاً يشبه هذا ، ولا كونه دماً يستلزم أن يكون دماً نجساً حقيقة ، ويجوز أن يحوله الله إلى مسك حقيقة لقدرته على كل شيء ، كما أنه يحول أعمال بني آدم من الحسنات والسيئات إلى جسد ليوزن في الميزان الذي ينصبه يوم القيامة ^(٣) والله أعلم .

نقول : وليس في ظاهر الحديث ما يدل على أن دم الشهيد يتحول إلى مسك ، لأنه لم يثبت له من المسك إلا الرائحة فقط ، وليس وزن الحسنات والسيئات بمستلزم تحويلها إلى شيء مادي ، لأنه قد تكون لها أجرام ابتداء وإن كنا لا ندركها وعلى هذا

(١) شرح مسلم للنووي : ٤/٥٤١ ، ٥٤٢ .

(٢) طرّب الثريب : ٧/٢٠٠ .

(٣) عمدة القارى : ٣/٤٦ .

فيمكن وزنها ، والميزان أيضا ليس بلامر أن يكون جسدا كميزان الدنيا . والأولى بنا في كل هذا ألا نقيس ما في الدار الآخرة بما في الدار الدنيا . والله أعلم .

٥ - قال ابن عبد البر : يحتمل أن كل ميت يبعث على حاله التي يموت عليها إلا أن فضل الشهيد أن ريح دمه كريخ المسك ، وليس ذلك لغيره . قال : ومن قال : إن الموتى جملة يبعثون على هيأتهم احتج بحديث يحيى بن أيوب ، عن ابن الهادي ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبي سلمة ، عن أبي سعيد الخدري أنه لما حضرته الوفاة دعا بثياب جُدُد ، فلبسها ، ثم قال : سمعت رسول الله - ﷺ يقول : إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها ^(١) . قال : ويحتمل أن يكون أبو سعيد سمع الحديث في الشهيد ، فتأوله على العموم ، ويكون الميت المذكور في حديثه هو الشهيد الذي أمر أن يزمّل بثيابه ويدفن فيها ولا يغسل عنه دمه ، ولا يغير شيء من حاله ، بدليل حديث ابن عباس وغيره ، عن النبي - ﷺ : إنكم تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غُرُلًا ، ثم قرأ : (كما بدأنا أول خلق نعيده) ^(٢) . وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم . قال : وتأوله بعضهم على أنه يبعث على العمل الذي يختم له به ، وظاهره على غير ذلك .

وعلق على هذا ابن العراقي بقوله : ويحتمل أن أبا سعيد إنما نزع الثياب التي كانت عليه لنجاسة فيها ؛ إما محققة ؛ وإما مشكوكة ، فأراد أن يكون بثياب محققة الطهارة وهذا من جملة الأعمال المأمور بالمحافظة عليها ، ولا سيما عند اختتام الآجال ؛ فإن الإنسان محثوث على أن يختم أعماله بالصالحات في جميع الأمور ^(٣) . والله أعلم .

٦ - استدل به على أن الشهيد لا يزال عنه الدم بغسل ولا غيره .

(١) سنن أبي داود (٤٨٥/٣) - (١٥) كتاب الجنائز - (١٨) باب ما يستحب من تطهير ثياب الميت عند الموت .

(٢) الأنبياء : ١٠٤ .

(٣) طرح التثريب : ٢٠٠/٧ - ٢٠١ .

قال ابن العراقي : ولو لم يكن إلا هذا لكان الاستدلال به على ذلك ضعيفاً ؛ فإنه لا يلزم من غسلنا الدم إقامة لواجب التطهير والغسل ذهاب الفضل الحاصل بالشهادة ، ألا ترى أنه لو كان حياً لزم بغسله لبقاء التكليف عليه ، ومع ذلك يجيء دمه على هذه الصورة البديعة ، كما اقتضاه قوله : « كل كلم » على ما قدمناه ، لكن قد ورد الأمر بترك غسل دم الشهيد فوجب إتباعه ^(١) .

(١) المصدر السابق : ٢٠١/٧ .

٩٤ - (١) وقال رسول الله - ﷺ - : لا تَزَالُونَ تَسْتَفْتُونَ حَتَّى يَقُولَ أَحَدُكُمْ : هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ ؟

(١) بين هذا الحديث والذي بعده تقديم وتأخير في م .

• رواه أحمد (٨٨/١٦) ضمن روايته للصحيحة ، وإن كان على غير ترتيب الصحيفة ؛ إذ هو متأخر عن الحديث الذي يليه في الصحيفة (رقم ٩٨/٨١٩٢) . وهو موافق لمخطوطة م .

ولم يروه الشيخان من طريق الصحيفة ولكن رواه نحوه من طرق أخرى :

روى البخارى في (٩٢/٤) - (٥٩) كتاب بدء الخلق - (١١) باب صفة إبليس وجنوده من طريق ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير قال أبو هريرة - رضى الله عنه - قال رسول الله - ﷺ - : « يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ حَتَّى يَقُولَ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَبْتَئِهِ » .

وروى مسلم في (١١٩/١) - (١) كتاب الإيمان (٦٠) باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها - من طريق سفيان ، عن هشام ، عن أبيه ، عن أنى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال : هذا خلق الله الخلق ، فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل : آمنت بالله . (رقم ١٣٤/٢١٢) .

ومن طريق أنى سعيد المؤدب ، عن هشام بن عروة بهذا الإسناد أن رسول الله - ﷺ - قال : يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ ؟ مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ ؟ فَيَقُولُ : اللَّهُ . ثم ذكر بمثله ، وزاد « ورسله » (١٣٤/٢١٣) .

ومن طريق ابن شهاب عن عروة بن الزبير ، عن أنى هريرة . مثل ما روى البخارى (١٣٤/٢١٣) .

ومن طريق أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أنى هريرة ، عن النبی - ﷺ - : قال : لا يزال الناس يسألونكم عن العلم حتى يقولوا هذا الله خلقنا ، فمن خلق الله .

قال - وهو آخذ بيد رجل - فقال : صدق الله ورسوله ، قد سألتني اثنان ، وهذا الثالث . أو قال : سألتني واحد ، وهذا الثاني . (رقم ١٣٥/٢١٥) .

ومن طريق عكرمة (بن عمار) عن يحيى ، عن أنى سلمة ، عن أنى هريرة قال : قال لى رسول الله - ﷺ - : لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة حتى يقولوا : هذا الله ، فمن خلق الله ؟ قال : فبينما أنا في المسجد ، إذ جاءني ناس من الأعراب ، فقالوا : يا أبا هريرة ، هذا الله ، فمن خلق الله ؟ قال : فأخذ حصي بكفه فرماهم ، ثم قال : قوموا ، قوموا ، صدق خليلي . (الرقم السابق) .

ومن طريق جعفر بن برقان ، حدثنا يزيد بن الأصم قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله - ﷺ : « ليسألنكم الناس عن كل شيء حتى يقولوا : الله خلق كل شيء ، فمن خلقه ؟ » (١٣٥ / ٢١٦) .

ومن طريق محمد بن فضيل ، عن مختار بن فلفل ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله - ﷺ - : قال : قال الله عز وجل : إن أمتك لا يزالون يقولون : ما كذا ؟ ما كذا ؟ حتى يقولوا : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ وقد أوردت هذه الروايات جميعها لأنها تسهم في توضيح معنى الحديث .

شرح الحديث :

(١) - رأينا من الروايات التي رويناها في التخريج أن الشيطان هو الذى يوسوس للمؤمن ويستدرجه إلى هذا السؤال ، وقد يدفع بعض الناس إلى أن يتساءلوا فى ذلك .

وأن الرسول - ﷺ - قد رسم الطريق وأعطى الدواء للتخلص من هذا الكيد « فليستعذ بالله ولينته » . « فليقل : آمنت بالله » ومعنى ذلك أنه يقطع الطريق على الشيطان ويلتجئ إلى الله عز وجل الذى يستطيع حماية المؤمن منه ، وليؤكد إيمانه به سبحانه وتعالى ، وثباته على ذلك ، والحكمة فى هذا أن الإنسان بنفسه لا سبيل له إلى محاسنة الشيطان لتأصل عدواته وتأكدها ، وأنه لا يدفع كيده إلا الاستعاذة بالله تعالى منه .

(٢) - وقد بين الخطأى الحكمة فى عدم الاسترسال فى وسوسة الشيطان ، وألا سبيل إلى مغالته إلا بالالتجاء إلى الله عز وجل فقال : وجه هذا الحديث ومعناه ترك الفكر فيما يخطر بالقلب من وساوس الشيطان والامتناع من قبولها ، واللياذ بالله فى الاستعاذة منه والكف عن مجاراته فى حديث النفس ، ومطاولته فى المحاجة والمناظرة ، والاشتغال بالجواب على ما يوجبه حق النظر فى مثله لو كان المناظر عليه بشر وكلمك فى مثل ذلك ، فإن من ناظره وأنت تشاهده وتسمع كلامه ويسمع كلامك لا يمكنه أن يغالطك فيما يجرى بينكما من الكلام حتى يخرجك كلامه من حدود النظر ورسوم الجدل ؛ فإن باب السؤال وما يجرى فيه من المعارضة والمناقضة معلوم ، والأمر فيه محدود

محصور ، فإذا رعيت الطريقة وأصبحت الحجة وألزمته خصمك انقطع وكُفيت مئونته ، وحسنت شغبه ، وباب ما يوسوس به الشيطان إليك غير محدود ولا متناه ؛ لأنك كلما ألزمته حجة وأفسدت عليه مذهبا زاغ إلى أنواع آخر من الوسواس التي أعطى التسليط فيها عليك ، فهو لا يزال يوسوس إليك حتى يؤويك إلى الحيرة والهلاك والضلال ، فأرشد النبي - ﷺ - عندما يعرض من وسأوسه في هذا الباب إلى الاستعاذة من شره ، والالتقاء عن مراجعته وحسم الباب فيه بالإعراض عنه ، والاستعاذة بذكر الله والاشتغال بأمر سواه . وهذه حيلة بليغة وجنة حصينة يخزى معها الشيطان ويبطل كيده (١) .

(٣) - والأمر بالإعراض والدفع بالرجوع إلى كلمة التوحيد : « آمنت بالله » إنما هو في الخطرات التي لا تُردُّ عن شبهة وهي المسماة بالوسوسة ؛ لأنها لما طرأت عن غير أصل دفعت بغير نظر في دليل الإبطال ، وعلى هذا محمل الحديث .

وأما الخطرات التي تجلبها الشبهة وتستقر فإنما تدفع بالاستدلال على إبطالها . والأصل في ذلك حديث « فمن أعدى الأول ؟ » ؛ فإنه - ﷺ - لما قال : « لا عدوى » ، وقال الأعرابي : فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء ، فدخلها البعير الأجرب فتجرب - رأى أنه قد انقدحت في نفسه شبهة العدوى ، فأزالها بقوله : « فمن أعدى الأول ؟ » ، أى إن جربت لهذا الداخل ، فالداخل إن جرب لأنه عدا إليه جرب بغير آخر تسلسل لا إلى نهاية ، والتسلسل باطل ، وإن كان لأن الله أجره فكذلك تلك الإبل . وهذا النوع من الاستدلال الذى أشار إليه الرسول - ﷺ - هو عمدة المتكلمين في الرد على من جوز من الملحدة حوادث لا أول لها (٢) .

(١) طرح الثريب ١٦٤/٨ - ١٦٥ .

(٢) إكمال إكمال المعلم ٢٣٩/١ ونسبه الأئى صاحب هذا الكتاب إلى المازرى ، وقارن بالمفهم : ١٦٤ .

(٤) - وقد استخدم الإمام الخطابي هذا الاستدلال وغيره للإجابة على هذا السؤال وإثبات أن الله - جل وعلا - خالق لا مخلوق - وعلى هذا فالحق أنه لا محل عقلا ولا منطقاً لهذا السؤال ، فقال : ذلك أنه إذا قال : هذا الله خلق الخلق ، فمن الذى خلقه فقد نقض بأول كلامه آخره ، وأعطى : ألا شئ يُتوهم دخوله تحت هذه الصفة من ملك وإنس وجان ، ونوع من أنواع الحيوان الذى يتأتى منه فعل ؛ لأن جميع ذلك واقع تحت اسم الخلق ، فلم يبق للمطالبة مع هذا محل ولا قرار .

وأيضاً لو جاز على هذه المقالة أن يسأل فيقال : من خلق الله ، فيسمى شئ من الأشياء يُدعى له هذا الوصف للزم أن يقال : ومن خلق ذلك الشئ ، ولامتد القول فى ذلك إلى مالا يتناهى ، والقول بما لا يتناهى فاسد ، فسقط السؤال من أجله .

وكذلك ، فإنما وجب إثبات الصانع الواحد لما اقتضاه أوصاف الخليفة من سمات الحدث الموجبة أن لها محدثاً ، فقلنا : إن لها خالقاً ، ونحن لمّا نشاهد الخالق عياناً فنحيط بكنهه ، ولم يصح لنا أن نصفه بصفات الخلق ، فيلزمنا أن نقول : إن له خالقاً ... والمفعول لا يشبه فاعله فى شئ من نعوته الخاصة ، فبطل مطلقاً ما يقع فى الوهم من اقتضاء خالق لمن خلق الخلق كله .

ثم قال : ولو أكثرنا فى هذا لدخلنا فى نوع ما نهينا عنه فيما رويناه من هذا الحديث ، فإذا انتهى إلى ما أمرنا به من حسم هذا الباب فى مناظرة الشيطان الجهله وقلة إنصافه وكثرة شغبه . وقد تواصلى العلماء والحكماء فيما دونوه ورسوموه من حدود الجدل وآداب النظر بترك مناظرة من هذه صفته ، وأمروا بالإعراض عنه ^(١) .

(٥) - ويستتبط من الحديث فوق ما تقدم

- ١ - الإشارة إلى ذم كثرة السؤال والاستغناء عن الأمور التى لا يحتاج إليها ، وأن ذلك يجر إلى السؤال عما لا يجوز ، فينبغى للإنسان اجتنابه حذراً مما يجر إليه ^(٢) .
- ٢ - الإخبار عن مغيب قد وقع كما دلت على ذلك روايات الحديث ^(٣) .

(١) طرح التثريب : ١٦٥/٨ .

(٢) المصدر السابق : ١٦٣/٨ .

(٣) انظر التخریج ص : ٤٢٨ .

٩٥ - وقال رسول الله - ﷺ - : إني لأنقلبُ إلى أهلي فأجد التمرة ساقطةً على فراشي - أو في بيتي - فأرفعها لآكلها ، ثم أخشى أن تكون من الصدقة ، فألقيها .

• رواه عبد الرزاق في المصنف (٥٢/٤) كتاب الزكاة - باب لا تحل الصدقة لآل محمد - عن معمر ، عن همام بن منه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله - ﷺ - إني لأدخل بيتي وأجد التمرة ملقاة على فراشي ، فلولا أني أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها . (رقم ٦٩٤٤) .

ورواه أحمد (٨٨/١٦) ضمن روايته للصحيفة وترتيبه عنده قبل الحديث السابق هنا (رقم ٩٤) كما أشرنا من قبل (رقم ٨١٩١/٩٧) . وكما هو في « م » .

ورواه البخاري في (٩٤/٣) ، (٤٥) - كتاب اللقطة - (٦) باب إذا وجد تمر في الطريق من طريق عبد الله (بن المبارك) عن معمر ، عن همام بن منه ، عن أبي هريرة . (رقم ٢٤٣٢) .

كما روى جزءاً منه تعليقا في (٥/٣) - (٣٤) كتاب البيوع - (٤) باب ما ينتزه من الشبهات . كما روى في هذا الموضع من طريق سفيان ، عن منصور ، عن طلحة ، عن أنس - رضي الله عنه - قال : مر النبي - ﷺ - بتمر مسقوطة فقال : لولا أن تكون صدقة لأكلتها (رقم ٢٠٥٥) . وكذلك رواه في الموضع الأول . (رقم ٢٤٣١) .

ورواه مسلم في (٧٥١/٢) - (١٢) كتاب الزكاة - (٥٠) باب تحريم الزكاة على رسول الله - ﷺ - وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب ، دون غيرهم - بسنده للصحيفة (رقم ١٠٦٩/١٦٣) .

كما روى نحوه من طريق ابن وهب عن عمرو ، عن أبي يونس مولى أبي هريرة عنه (رقم ١٠٧٠/١٦٢) . وروى من طريق شعبة عن محمد (بن زياد) سمع أبا هريرة يقول : « أخذ الحسن بن علي تمر من تمر الصدقة فجعلها في فيه ، فقال رسول الله - ﷺ - كُفْ ، كُفْ ، ارم بها ، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة ؟ » (رقم ١٠٦٩/١٦١) .

ورواه البغوي (٩٩/٦ ، ١٠٠) في كتاب الزكاة - باب تحريم الصدقة على رسول الله - ﷺ - وعلى أهل بيته - من طريق عبيد الله بن إبراهيم بن بالوية المزكي وأبي بكر محمد بن الحسين القطان - كلاهما عن أحمد بن يوسف

السلمي عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام به - ثم قال : هذا حديث متفق على صحته أخرجه مسلم عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، واتفقا على إخرجه من رواية أنس

شرح الحديث :

(١) - فيه تحريم الصدقة على النبي - ﷺ ، وظاهره أنه لا فرق بين الصدقة الواجبة وصدقة التطوع ، فأما الأولى فلا خلاف فيها ، وأما الثانية فهو الأصح من قولي الشافعي (١) .

وقال ابن قدامة في المغنى : « فأما النبي - ﷺ فالظاهر أن الصدقة جميعها كانت محرمة عليه ؛ فرضها ونفلها ؛ لأن اجتنابها كان من دلائل نبوته وعلاماتها ، فلم يكن ليخل بذلك . وفي حديث إسلام سلمان الفارسي أن الذي أخبره عن النبي - ﷺ ووصفه قال : « إنه يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة » وقال أبو هريرة : « كان النبي - ﷺ إذا أتى بطعام سأل عنه ؛ فإن قيل : صدقة قال لأصحابه كلوا ، ولم يأكل . وإن قيل له : هدية ، ضرب بيده فأكل معهم . أخرجه البخارى . وقال النبي - ﷺ - في لحم تُصَدَّق به على بريرة : « هو عليها صدقة ، وهو لنا هدية » ... وقال عليه الصلاة والسلام : إنا لا تحل لنا الصدقة ، ولأن النبي - ﷺ كان أشرف الخلق ، وكان له من المغانم خمس الخمس والصفى ، فحرم نوعى الصدقة ؛ فرضها ونفلها ، وآله دونه في الشرف ، ولهم الخمس وحده ، فحرموا أحد نوعيها ، وهو الفرض .

« وقد روى عن أحمد أن صدقة التطوع لم تكن محرمة عليه . قال الميموني : سمعت أحمد يقول : الصدقة لا تحل للنبي - ﷺ - وأهل بيته ، صدقة الفطر وزكاة الأموال ، والصدقة يصرفها الرجل على محتاج يريد بها وجه الله تعالى فأما غير ذلك فلا ... والصحيح أن هذا لا يدل على إباحة الصدقة له ، إنما أراد أن ما ليس من صدقة الأموال على الحقيقة ؛ كالقرض والمعروف غير محرم عليه » (٢) .

(١) طرح التثريب : ٣٥/٤ .

(٢) المغنى : ٦٦٠/٢ .

(٢) - قال بعض العلماء فى قوله - ﷺ « على فراشى أو فى بيتى » : لعله - ﷺ - كان يقسم الصدقة ، ثم يرجع إلى أهله فيعلق بثوبه من تمر الصدقة شئ ، فيقع فى فراشه ، وإلا فما الفرق بين هذا وبين أكله من اللحم الذى تصدق به على بريرة .
وعلق ابن حجر على ذلك بقوله : ولم ينحصر وجود شئ من تمر الصدقة فى غير بيته حتى يحتاج إلى هذا التأويل ، بل يحتمل أن يكون ذلك التمر حمل إلى بعض من يستحق الصدقة ممن هو فى بيته ، وتأخر تسليم ذلك له ، أو حمل إلى بيته فقسمه فبقيت منه بقية (١) .

(٣) - قال بعض العلماء : إنما تركها - ﷺ - تورعاً وليس بواجب ؛ لأن الأصل أن كل شئ فى بيت الإنسان على الإباحة حتى يقوم دليل على التحريم (٢) .

(٤) - فى الحديث استعمال الورع ، وهو ترك الشبهات ، فإن هذه الثمرة لا تحرم بمجرد الاحتمال ، ولهذا رفعها النبى - ﷺ - ليأكلها ، ولا يقدم إلا على ما يجوز له فعله ، لكن ترجح عنده الورع (٣) .

وجملة الورع نوعان ؛ أحدهما : مندوب إليه ، وهو أن يشتبه عليه أمر التحليل والتحريم فالأولى أن يجتنبه ، وكذلك معاملة من أكثر ماله ربا أو حرام ، ومعاملة من يتخذ الملاهى والصور ، فيأخذ عليها الأجر ، ومعاملة اليهود والنصارى الذى يتصرفون فى الخمر ، فالأولى اجتنابه .

والثانى مكروه ، وهو ألا يقبل الرخص التى رخص الله سبحانه وتعالى ، كالفطر فى السفر ، وقصر الصلاة ، وترك قبول الهدية ، وإجابة الداعى ، والتشكك بالخواطر التى جماعها العنت والخرج (٤) .

(١) فتح البارى : ٢٩٤/٤ .

(٢) المصدر السابق : ٢٩٤/٤ .

(٣) طرح الثريب : ٣٥/٤ .

(٤) شرح السنة : ١٠٠/٦ ، ١٠١ .

(٥) - والحكمة في أن الرسول - ﷺ - لا يأكل الصدقة أنها أوساخ الناس تطهروا بها ؛ وقد صح عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث ، عن النبي - ﷺ - قال : « إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس ، وإنها لا تحل لمحمد ، ولا لآل محمد » (١) .

(٦) - استدل بالحديث على أن التمرة ونحوها من محقرات الأموال لا يجب تعريفها ؛ بل يباح أكلها ، والتصرف فيها في الحال ، لأنه عليه الصلاة والسلام إنما تركها خشية أن تكون من الصدقة لا لكونها لقطة (٢) .

قال القاضي عياض : وفيه إباحة اللقطة اليسيرة التي لا يلتفت إليها الناس طعاما كانت أو غيره ؛ لأنه إنما علل الإباية لخوف الصدقة (٣) .

وقال النووي : وهذا الحكم متفق عليه ، وعلله بعض العلماء بأن صاحبها لا يطلبها ، ولا يبقى له فيها مطمع (٤) . والله أعلم .

★ ★ ★

(١) مسلم (٧٥٤/٢) - (١٢) كتاب الزكاة - (٥١) باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة - من طريق يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن عبد الله الحارث بن نوفل الهاشمي عن عبد المطلب به . (رقم ١٠٧٢/١٦٨) .

(٢) طرح التثريب : ٣٥/٤ .

(٣) إكمال إكمال المعلم : ٢١٣/٣ .

(٤) شرح مسلم للنووي : ١٢٤/٣ .

٩٦ - وقال رسول الله - ﷺ [والله] ^(١) لَأَنْ يَلْجَأَ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ فِي أَهْلِهِ ، آثَمُ ^(٢) له عند الله من أن يعطى كفارته التي فرض الله - عز وجل ^(٣) .

(١) « والله » ليست في ط وهي من م . (٢) م : إنما عند الله . وفي ط « آثم » . (٣) م زيادة « عليه » .

• رواه عبد الرزاق في المصنف (٤٩٧/٨) باب اليمين بما يصدقك صاحبك - عن معمر ، عن همام بن منه أنه سمع أبا هريرة يقول : إذا استلجج أحدكم بيمين في أهله ، فإنه آثم له عند الله من الكفارة التي أمر الله بها . (رقم ١٦٠٣٦) .

ورواه أحمد (٨٨/١٦ ، ٨٩) ضمن روايته لصحيفة همام : (رقم ٩٩/٨١٩٣) .

كما رواه في موضع آخر (١٦٤/١٤) بسند الصحيفة أيضا ، ولكن بلفظ أقرب إلى لفظ المصنف منه إلى لفظ الصحيفة (رقم ٧٧٢٩) .

ورواه البخاري في (٢١٧/٧) - (٨٣) كتاب الأيمان والنذور - (١) باب قول الله تعالى : (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) - عن إسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن همام بن منه قال : هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : نحن الآخرون السابقون يوم القيامة .. وقال رسول الله - ﷺ - : والله لأن يلجأ .. الحديث (رقم ٦٦٢٥) .

كما روى بعده عن إسحاق بن إبراهيم ، عن يحيى بن صالح ، حدثنا معاوية ، عن يحيى ، عن عكرمة ، عن أنى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : من استلج في أهله بيمين فهو أعظم إثما ، ليبر ؛ يعني الكفارة .

ورواه مسلم في (١٢٧٦/٣) - (٢٧) كتاب الأيمان - (٦) باب النهي عن الإصرار على اليمين ، فيما يتأذى به أهل الخائف مما ليس بحرام - بسنده للصحيفة (رقم ١٦٥٥/٢٦) .

ورواه البغوي (١٦/١٠) في كتاب الأيمان - باب من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها ، يتحلل ويكفر - بسنده للصحيفة ، وقال هذا حديث متفق على صحته ، أخرجه محمد بن إسحاق بن إبراهيم ، وأخرجه مسلم عن محمد بن رافع ، كلاهما عن عبد الرزاق (رقم ٢٤٣٧) .

ورواه البيهقي في السنن الكبرى في (٣٢/١٠) كتاب الأيمان - باب من حلف على يمين فرأى خيرا منها فليأت الذي هو خير ، وليكفر عن يمينه . من طريق أبي بكر محمد بن الحسين القطان عن أحمد بن يوسف السلمي عن عبد الرزاق به . وهو يلتقي مع الصحيفة هنا في راويين قبل عبد الرزاق كالْبغوي .

وفي المسند والبخارى ومسلم وشرح السنة والسنن الكبرى جميعاً : « والله لأن يلج » . ولهذا أثبتنا لفظ « والله » وليست في طبعة الصحيفة . ولكنها في م .

كما ذكر خطأ في المطبوعة « آثم » بدل « آثم » وأثبتنا الصحيح .

شرح الحديث :

(١) - لأن يلج أحدكم يمينه في أهله : لَجَّ يَلْجُ لِجَاجاً وَلِجَاجَةً إذا لازم الشيء وواظبه ، كما في المصباح ، أى لأن يصر أحدكم على المحلوف بسبب يمينه في أهله ، أى في قطيعتهم ؛ كالحلف على ألا يكلمهم ، ولا يصل إليهم ، ثم لا ينقضها على أن يكفر بعده ...

وقال ابن الأثير : لَجَّ في الأمر إذا تمادى عليه ، وأنى أن ينصرف عنه .

وقال النووي : اللجاج في اللغة : الإصرار على الشيء ^(١) .

(٢) - قال النووي - رحمه الله تعالى : معنى الحديث : إذا حلف يميناً تتعلق بأهله ، ويتضررون بعدم حثه ، ويكون الحنث ليس بمعصية ، فينبغي له أن يحنث ، فيفعل ذلك الشيء ، ويكفر عن يمينه ، فإن قال : لا أحنث ؛ بل أتورع عن ارتكاب الحنث وأخاف الإثم فيه فهو مخطئ بهذا القول ، بل استمراره في عدم الحنث وإدامة الضرر على أهله أكثر إثماً من الحنث .

فهذا مختصر بيان معنى الحديث ، ولا بد من تنزيله على ما إذا كان الحنث ليس بمعصية كما ذكرنا ^(٢) .

وعلى هذا التفسير تتوجه كلمة « آثم » التي يقصد بها مقابلة اللفظ على زعم الخالف وتوهمه ؛ فإنه يتوهم أن عليه إثماً في الحنث ، مع أنه لا إثم عليه ، فقال - ﷺ - : الإثم عليه في اللجاج أكثر لو ثبت الإثم . والله أعلم بالصواب ^(٣) .

(١) شرح النووي لصحيح مسلم : ٢٠٣/٤ .

(٢) المصدر السابق : ٢٠٤/٤ .

(٣) المصدر السابق : ٢٠٤/٤ .

ويزيد القاضى عياض هذا المعنى وضوحاً ، فيقول : والحديث على العموم ، مثل الحالف على قطع منفعة عن نفسه أو عن غيره ، أو على ترك صلة رحم أو كلام صديق أو فعل معروف كحلف أبى بكر - رضى الله تعالى عنه ألا ينفق على مسطح ، فأنزل الله - جل شأنه - : (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القرى) (١) ؛ لأن تمادى الحالف على شئ من ذلك ؛ إما معصية ومكروه فتحنيثه نفسه ، وإخراجه الكفارة خير ، وجاء بلفظ (آثم) مع أنه خير على المقابلة ؛ لأنه فى مقامه على ذلك آثم ، أو استعمار للمخالفة لفظ الإثم ، أو لاعتقاده أنه فى تحنيثه نفسه آثم ، فوقعت المفاضلة بين الإثمين من هذا الوجه (٢) .

(٣) - قال بعض العلماء مبيناً معنى آخر للكلمة (آثم) قال : ولا يبعد أن يكون قوله هنا : (آثم) من باب قولهم العسل أحلى من الخل ؛ يعنى أن إثم اللجاج فى بابهِ أبلغ من ثواب إعطاء الكفارة فى بابهِ (٣) .

(٤) - وقال بعضهم فى معنى الحديث يريد أن الرجل إذا حلف على شئ أصر عليه لجأجأ مع أهله كان ذلك أدخل فى الوزر ، وأفضى إلى الإثم من أن يخنث فى يمينه ويكفر عنها ؛ لأنه جعل الله تعالى بذلك عرضة للامتناع عن البر والمواساة مع الأهل والإصرار على اللجاج ، وقد نهى عن ذلك بقوله : (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) و (آثم) اسم تفضيل أصله أن يطلق للآج فى الإثم ، فأطلق لمن يلج فى موجب الإثم اتساعاً (٤) .

(٥) - قال ابن العراق : فيه أن الحنث فى اليمين تنعقد على الأحكام الخمسة فعلاً وتركاً ، ولا تغير حكم المحلوف عليه .

(١) النور :

(٢) إكمال إكمال المعلم : ٣٨١/٤ - ٣٨٢ .

(٣) المصدر السابق : ٣٨٢/٤ .

(٤) فتح البارى : ٥١٩/١١ ونسب ابن حجر هذا الرأى إلى البيضاوى . وقارن بمكمل إكمال الإكمال

فإن حلف على فعل واجب أو ترك حرام فيمينه طاعة ، والإقامة عليها واجبة والحنث معصية وتجب به الكفارة .

وإذا حلف على ترك واجب أو فعل حرام فيمينه معصية ، ويجب عليه أن يحنث ويكفر .

وإن حلف على فعل نفل ؛ كصلاة تطوع ، وصدقة تطوع فالإقامة عليه طاعة والمخالفة مكروهة .

وإن حلف على ترك نفل فاليمين مكروهة والإقامة عليها مكروهة ، والسنة أن يحنث ، وعد الشيخ أبو حامد (الغزالي) وجماعة من هذا القبيل : ما إذا حلف لا يأكل طيباً ولا يلبس ناعماً ، وقال اليمين عليه مكروهة ؛ لقوله تعالى : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) ^(١) واختار بعض العلماء أنها يمين طاعة ، لما عرف من اختيار السلف خشونة العيش . وقال بعض العلماء : يختلف ذلك باختلاف أحوال الناس وقصودهم ، وفراغهم للعبادة واشتغالهم بالضيق والسعة .

وإن حلف على مباح لا يتعلق به مثل هذا الغرض كدخول دار وأكل طعام ولبس ثوب وتركها فله أن يقيم على اليمين وله أن يحنث ، وهل الأفضل : الوفاء باليمين أو الحنث أو يتخير بينهما ولا ترجيح ، كما كان قبل اليمين ؟ فيه أوجه أصحها الأول ؛ لقوله تعالى : (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) ^(٢) ولما فيه من تعظيم اسم الله تعالى .

إذا علمت ذلك فإن الحلف على ترك واجب كالإنفاق على الزوجة ونحو ذلك فالحنث واجب ، وإن كان على ترك مندوب كالإنفاق على الأقارب الذين لا تلزمه نفقتهم فالحنث مستحب والإقامة على اليمين مكروهة ، وإن كان على مباح فقد علمت الخلاف فيه ، وقد يستدل به من يستدل على أن الحنث أفضل ، وقد يقال : لا يتصور فيه مع

(١) الأعراف : ٣٢ .

(٢) النحل : ٩١ .

تعلقه بالأهل استواء طرفيه ؛ لأن ذلك إنما يكون في الحلف على ترك منفعة لهم أو جلب ضرر لهم ، وعلى التقديرين فالحنث فيه مطلوب .

وأما لو حلف على ترك المبيت في بيت مخصوص ، وكان لا يحصل لأهله بذلك ضرر ولا نفع فلا يتناوله لفظ الحديث .

ولا يخفى أن الحديث فيما إذا لم يكن الحنث معصية ، ولو تضرر أهله ببقائه على اليمين ، فإن بقاءه عليه واجب ، ولا يفعل مصلحة أهله بمعصية الله تعالى ^(١) .

٦ - فائدة ذكر « أهله » في هذا المقام للمبالغة ، وهي مزيد الشفاعة لاستهجان اللجاج فيما يتعلق بالأهل ؛ لأنه إذا كان في غيرهم مستهجننا ففي حقهم أشد ^(٢) . وفي قوله ﷺ في حديث أبي هريرة : « من حلف بيمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه ، وليفعل الذي هو خير » ^(٣) . ما يدل على أن المؤمن مندوب إلى ذلك في الأهل في غيرهم .

٧ - كان مقتضى المقابلة أن تكون بين البقاء على اليمين والحنث فيها ، ولكنه - ﷺ عدل عن ذلك إلى المقابلة بين البقاء على اليمين وإعطاء الكفارة من إطلاق اللازم على الملزوم ليشير بذكر الكفارة إلى أنها جابرة للحنث ، رافعة لمفسدة هتك حرمة الإثم ، فإذا قابلنا بين بقاءه على مقتضى يمينه مع ما فيه من الضرر ، وبين إيجاب الكفارة وانتفاع الآخذين بها الناشئ عن الحنث - وجدنا إعطاء الكفارة أعظم مصلحة وأتم نفعاً ،

(١) طرح التثريب : ١٦٤/٧ - ١٦٥ .

(٢) فتح الباري : ٥١٩/١١ .

(٣) الموطأ : (٤٧٨/٢) - (٢٢) كتاب النذور والأيمان - (٧) باب ما تجب فيه الكفارة من الأيمان

(رقم ١١) من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه ، عن أبي هريرة .

ومسلم (١٢٧٢/٣) - (٢٧) كتاب الأيمان - (٣) باب ندب من حلف بيميناً فرأى غيرها خيراً منها من

الطريق نفسه . واللفظ من الموطأ . (رقم ١٦٥٠/١٢) .

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : (لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت
الذى هو خير وكفرت عن يميني) (١) .

٨ - في الحديث إيجاب الكفارة بتقدير الحنث لقوله - ﷺ - : « فرض الله »
وفي رواية « التى أمر بها » (٢) .

★ ★ ★

(١) طرح التثريب ١٦٥/٧ وانظر موضع مسلم السابق فقد روى قريبا من لفظه (١٢٧٠/٣) أرقام
(٧ - ١٠ / ١٦٤٩) .

(٢) المصدر السابق : ١٦٦/٧ .

٩٧ - وقال رسول الله - ﷺ - : إذا أكره الاثنان على اليمين فاستحباها ^(١) فأسهّم بينهما .

» « »

(١) ط : فاستحياهما ، وما أثبتاه من م .

• وروى عبد الرزاق في المصنف (٢٧٩/٨) باب في الرجلين يدعيان السلعة يقيم كل واحد منهما البينة - عن معمر ، عن همام أنه سمع أبا هريرة يقول : عرض النبي - ﷺ - على قوم اليمين ، فأسرع الفريقان جميعاً في اليمين ، فأمر النبي - ﷺ - أن يُسَهَمَ بينهم أيهم يخلف .

وهكذا نرى لفظين لهذا الحديث بهذا السند الواحد عند عبد الرزاق - رحمة الله عليه .
وقد روى البخاري لفظ المصنف في (١٦١/٣) - (٥٢) كتاب الشهادات - (٢٤) باب إذا تسارع قوم في اليمين - عن إسحاق بن نصر ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة .
وقال ابن حجر : هذا اللفظ أخرجه النسائي أيضاً عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، وقال : « فأسرع الفريقان » .

أما لفظ الصحيفة فقد رواه :

الإمام أحمد في (٨٩/١٦) ضمن روايته للصحيفة بلفظ إذا أكره الاثنان على اليمين واستحباها فليستهما عليها . (رقم ١٠٠/٨١٩٤) .

وهذا أول الحديث في المسند من أحاديث الصحيفة التي توفي الأستاذ أحمد شاكر - عليه رحمة الله دون استكمال تحقيقها ، ولهذا لا نجد مقارنة بين أحاديث أحمد وأحاديث الصحيفة التي نشرها الدكتور محمد حميد الله . كما هو الشأن فيما سبق من الأحاديث .

وقد رواه أبو داود في (٣٩/٤ - ٤٠) - (١٨) كتاب الأقضية - (٢٢) باب الرجلين يدعيان شيئاً وليس لهما بينة - عن الإمام أحمد وسلمة بن شبيب عن عبد الرزاق ، عن معمر عن أبي هريرة ، عن النبي - ﷺ - قال : إذا كره الاثنان اليمين أو استحباها فليستهما عليها . وذكر أن رواية سلمة : « إذا أكره » .

وهكذا نرى اختلافا في الرواية عن أحمد بين لفظي : « كره » و « أكره » وبين حرفي « واستحباها » وبين « أو استحباها » .

ورواه البغوي في (١٠٩/١٠) كتاب الإمارة والقضاء - باب إذا توجه اليمين على جماعة بقرع بينهم - بسنده للصحيفة .

وقد روى البيهقي في السنن الكبرى (٢٥٥/١٠) كتاب الدعوى والبيئات - باب المتداعين يتنازعان المال ، وما يتنازعان فيه في أيديهما معا - باللفظين معا ؛ لفظ المصنف من طريق إسحاق بن إبراهيم وعبد الرحمن بن بشر كلاهما عن عبد الرزاق .

ولفظ الصحيفة من طريق أنى طاهر الفقيه ، عن أنى بكر القطان ، عن أحمد بن يوسف (السلمي) عن عبد الرزاق .

قال ابن حجر : وأما اللفظ الذى ذكره البخارى فيحتمل أن يكون عند عبد الرزاق فيه حديث آخر باللفظ المذكور .

قال : ويؤيده رواية أنى رافع عن أنى هريرة « أن رجلين اختصما في متاع ليس لواحد منهما بيته ، فقال النبى - ﷺ : استهما على اليمين ما كان ، أحبا ذلك ، أو كرهما ^(١) ؛ فإنها بمعناه .

قال : ويحتمل أن تكون قصة أخرى بأن يكون القوم المذكورون مدعى عليهم بعين في أيديهم مثلا ، وأنكروا ولا بيته عليهم فتوجهت عليهم اليمين ، فتسارعوا إلى الحلف ولا جائز أن يقع عليهم الحلف في وقت واحد ، لأن الحلف لا يقع إلا بتلقين الحلف ، فقطع النزاع بينهم بالقرعة ، فمن خرجت له بدأ به في ذلك ^(٢) . والله أعلم .

نقول على أية حال ، فاللفظ الذى ذكره البخارى موجود عند عبد الرزاق في المصنف ، كما رأينا ؛ أى إن عند عبد الرزاق اللفظين معا ، إما بإرادة معنى واحد ، أو باختلاف القصة والواقعة . والله أعلم .

هذا وقد جاء في طبعة الصحيفة « فاستحياهما » وقال الدكتور حميد الله إنها كذلك في نسخة دمشق ، وهى الوحيدة التى اعتمد عليها في هذا الموضع . ورجح أن تكون « فاستحياها » أى فاستحيا اليمين .

وقد أثبتنا ما هو من المؤكد أنه الصواب ؛ كما في نسخة « م » وكما عند البغوى والبيهقى اللذين يلتقيان مع سند الصحيفة هنا في أنى بكر القطان عن أحمد بن يوسف السلمى ، وكما يفهم من رواية المصنف وما عند البخارى : « فاستحياها » من الاستحياء وليس من الاستحياء وهى كذلك عند أحمد وأنى داود مع اختلاف

(١) سنن أنى داود (٣٩/٤) - (١٨) كتاب الأفضية - (٢٢) باب الرجلين يدعيان شيئا ، وليست لهما بيته - من طريق قتادة ، عن خلاص ، عن أنى رافع ، عن أنى هريرة . واللفظ له (رقم ٣٦١٦) وسنن ابن ماجه (٧٨٦/٢) - (١٣) كتاب الأحكام - (٢٠) باب القضاء بالقرعة من طريق أنى داود نفسه ابتداء من سعيد بن أنى عروية الذى روى عن قتادة (رقم ٢٣٤٦) .

(٢) فتح البارى : ٢٨٦/٥ .

بينهما في حرف العطف ففي الصحيفة بالفاء وعند أحمد بالواو : « واستحبها » وعند أبي داود « أو » :
« أو استحباها » .

شرح الحديث :

(١) - هناك إشكال في معنى هذا الحديث ؛ لأن هناك تناقضا بين إكراه الاثنين على اليمين واستحبها إياها ؛ وذلك في رواية العطف بالفاء - كما هنا - أو بالواو - كما في رواية أحمد في المسند .

وليس هذا الإشكال موجودا في رواية أبي داود عن أحمد ؛ لأن العطف بأو يفيد وجود أحدهما فلا يقتضى اجتماع النقيضين .

ولهذا عمل العلماء على إزالة على الإشكال :

فمنهم من قال : إن الروایتين الموجود فيهما العطف بالفاء أو الواو خطأ والصحيح رواية العطف بـ « أو » . وهذا هو رأى الإسماعيلي (١) .

وقال ابن حجر : رواية الواو يمكن حملها على رواية « أو » ، وأما رواية الفاء فيمكن توجيهها بأنهما أكرها على اليمين في ابتداء الدعوى ، فلما عرفا أنهما لابد لهما منها أجابا إليها ، وهو المعبر عنه بالاستحباب (٢) .

وقال الخطاوى وغيره : الإكراه هنا لا يراد به حقيقته ؛ لأن الإنسان لا يكره على اليمين ، وإنما المعنى : إذا توجهت اليمين على اثنين وأرادا الحلف - سواء كانا كارهين لذلك بقلبيهما وهو معنى الإكراه ، أو مختارين لذلك ، وهو معنى الاستحباب - وتنازعا أيهما يبدأ فلا يقدم أحدهما على الآخر بالتشهى ، بل بالقرعة ، وهو المراد بقوله : فليستهما ؛ أى فليقترا (٣) .

(١) فتح البارى : ٢٨٦/٥ .

(٢) المصدر السابق : ٢٨٦/٥ .

(٣) المصدر السابق : ٢٨٦/٥ .

وهذا المعنى قريب من الرواية التى فيها : « أو » .

(٢) - وحمل بعضهم الحديث على ما إذا تنازع اثنان عينا ليست فى يد واحد منهما ، فيقر ، ولا بينة لهما ، فيقرع بينهما ، فمن خرجت قرعته حلف وأخذها ، ويدل عليه حديث أنى رافع السابق (١) .

قال الخطائى : وروى ما يشبه هذا عن على بن أبى طالب ؛ قال حنش بن المعتمر : أوتى على ببغل وجد فى السوق يباع ، فقال رجل : هذا بغلى لم أبعه ولم أهبه . قال : ونزع على ما قال بخمسة يشهدون . قال : وجاء آخر يدعيه ، فزعم أنه بغله ، وجاء بشاهدين ، قال : فقال على : إن فيه قضاء وصلحاً ، وسوف أبين لكم ذلك كله ؛ أما صلحه أن يباع البغل فيقسم على سبعة أسهم ، لهذا خمسة ، ولهذا اثنان ، وإن لم يصطلحوا إلا القضاء فإنه يحلف أحد الخصمين أنه بغله ما باعه ولا وهبه ، فإن تشاحتما أيكم يحلف أقرعت بينكما على الحلف ، فأيكما قرع حلف . قال : قضى بها وأنا شاهد (٢) . والله تعالى أعلم .

(١) طرح التثريب : ٨٧/٨ وتخريج حديث أنى رافع فى هذا الكتاب ص : ٤٤٣ .

(٢) تحقيق كتاب سنن أنى داود . رقم (٢) فى الهامش : ٣٩/٤ وهو منقول عن الخطائى فى معالم السنن .

٩٨ - وقال رسول الله - ﷺ - : إذا ما أحدم^(١) اشترى لِقْحَةً مُصَرَّةً أو شاة^(٢) مُصَرَّةً^(٣) فهو بِخَيْرِ النظرين بعد أن يحلبها ، إما هي ، وإلا فليردها . وصاعاً من تمر .

(١) م : إذا ما اشترى أحدم . (٢) في م : أو قال : شاة . (٣) « مصرة » ليست في ط ، وأثبتناها من م .

• رواه أحمد (٩٠/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ١٠١/٨١٩٥) .

ورواه مسلم في (١١٥٩/٣) - (٢١) كتاب البيوع - (٧) باب حكم بيع المصرة - بسنده للصحيفة (رقم ١٥٢٤/٢٨) .

وروى نحوه من طريق داود بن قيس ، عن موسى بن يسار عن أبي هريرة (رقم ١٥٢٤/٢٣) .

ومن طريق سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة (١٥٢٤/٢٤) .

ومن طريق قرة ، عن محمد ، عن أبي هريرة (١٥٢٤/٢٥) وفيه « رد معها صاعاً من طعام لا سمرء » وفيه وفي الذي قبله « فهو بالخيار ثلاثة أيام » .

ومن طريق أيوب عن محمد عن أبي هريرة (١٥٢٤/٢٦) .

وروى البخاري نحوه جزءاً من حديث في (٢٦/٣) - (٣٤) كتاب البيوع - (٦٤) باب النهي للبائع ألا يُحْمَلَ الإبل والبقر والغنم وكل محفلة - من طريق مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة (رقم ٢١٥٠) .

ومن طريق الليث عن جعفر بن ربيعة عن الأعرج قال أبو هريرة رضي الله عنه ، ثم قال : ويذكر عن أبي صالح ، ومجاهد ، والوليد بن رباح ، وموسى بن يسار ، عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - : « صاع تمر » وقال بعضهم عن ابن سيرين : « صاعاً من طعام ، وهو بالخيار ثلاثاً » وقال بعضهم عن ابن سيرين : « صاعاً من تمر » ولم يذكر ثلاثاً . واتمر أكثر . (رقم ٢١٤٨) .

ومن طريق معتمر (بن سليمان) عن أبيه عن أبي عثمان ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه جزءاً من حديثه (رقم ٢١٤٩) .

وفي (٢٦/٣) - (٦٥) باب إن شاء رد المصرة ، وفي حليتها صاع من تمر . من طريق ابن جريج عن زياد (بن سعد الخراساني) عن ثابت مولى عبد الرحمن بن زيد ، عن أبي هريرة (رقم ٢١٥١) .

وذكر مكمل تحقيق مسند الإمام أحمد (٩٠/١٦) أن البخارى علق هذا الحديث . والصحيح أنه رواه متصلاً مسنداً من طرق عن أنى هريرة وابن مسعود ، وبطبيعة الحال لا يقصد أنه علقه من طريق همام لأنه ذكر ذلك معطوفاً على قوله « ورواه أبو داود وابن ماجه ... » وهما لم يروياه من طريق همام .

ورواه البغوى (١٢٦/٨) فى باب بيع المصرة وغيره - بسنده للصحيحة ، وقال : هذا حديث صحيح . (رقم ٢١٠٠) .

ورواه البيهقى فى السنن الكبرى (٣١٨/٥) فى كتاب البيوع - باب الحكم فىمن اشترى مصرة - عن أنى طاهر الفقيه ، عن أنى بكر القطان ، عن أحمد بن يوسف السلمى ، عن عبد الرزاق به . وفى « م » والمسنند ، وصحيح مسلم ، وشرح السنة ، والسنن الكبرى « أو شاة مصرة » وكلها بسند الصحيحة ابتداءً من عبد الرزاق وي زيد الكتبان الأخران راوين آخرين : وهما القطان عن السلمى . ولهذا أثبتنا ذلك فى الأصل . أما فى المطبوعة فليس فيها وصف الشاة بـ « مصرة » .

وقد لخص العيني روايات هذا الحديث عن أنى هريرة ، فقال : وقد رواه عن أنى هريرة محمد بن زياد ، ومحمد بن سيرين ، والأعرج ، وهمام ، وأبو صالح ، وموسى بن يسار ، وثابت مولى عبد الرحمن بن زيد ، ومجاهد ، والوليد بن رباح ؛ أما رواية محمد بن زياد فانفرد بها الترمذى ^(١) فقال : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن حماد بن سلمة ، عن محمد ابن زياد ، عن أنى هريرة قال : قال النبى - ﷺ : « من اشترى مصرة فهو بالخيار إذا حلبها ، إن شاء ردها ، ورد معها صاعاً من تمر » ، وأخرجه الطحاوى أيضاً من رواية محمد بن زياد عن أنى هريرة ^(٢) . وأما رواية محمد بن سيرين فأخرجها مسلم ^(٣) عن محمد بن عمرو بن جبلة ، عن أنى عامر العقدى ، وأخرجها مسلم ^(٤) وأبو داود والنسائى من رواية أيوب عن محمد بن سيرين ، وأما رواية الأعرج فأخرجها الشيخان ^(٥) وأبو داود من طريق مالك ، عن أنى الزناد ، عن الأعرج . وأما رواية همام فانفرد بها مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر ، عن همام ^(٦) . وأما رواية أنى صالح فانفرد بها مسلم أيضاً من رواية يعقوب بن عبد الرحمن ، عن سهيل بن أنى صالح ، عن أبيه ^(٧) . وأما رواية موسى بن يسار فأخرجها مسلم ^(٨) والنسائى من رواية داود بن قيس عنه . وأما رواية ثابت وهو ابن عياض فأخرجها

(١) سنن الترمذى (٥٤٤/٣) - (١٢) كتاب البيوع - (٢٩) باب ما جاء فى المصرة . قال أبو عيسى : وفى الباب عن أنس ، ورجل من أصحاب النبى - ﷺ - : (رقم ١٢٥١) .

(٢) شرح معانى الآثار (١٧/٤) باب بيع المصرة .

(٣) انظر التخرىج ص : ٤٤٦ .

(٤) انظر التخرىج ص : ٤٤٦ .

(٥) انظر التخرىج بالنسبة للبخارى ص : ٤٤٦ وأما مسلم فقد رواه فى (١١٥٥/٣) - (٢١) كتاب

البيوع - (٤) باب تحريم بيع الرجل على بيع أخيه (رقم ١٥١٥/١١) .

(٦) وهو هذا الحديث الذى معنا .

(٧) انظر التخرىج ، ص : ٤٤٦ .

(٨) انظر التخرىج ص : ٤٤٦ .

البخارى^(١) وأبو داود من رواية زياد بن سعد عنه ، وأما رواية مجاهد والوليد بن رباح فذكرهما البخارى تعليقاً^(٢) وأخرج الطحاوى هذا الحديث من ثمانى طرق ؛ عن ابن سيرين بطريقين : أحدهما معه خلاص بن عمرو ، ومحمد بن زياد ، وموسى بن يسار ، والأعرج ، وعكرمة ، وأبى إسحاق السبيعي ، وعبد الرحمن بن سعد مع عكرمة^(٣) وهناك روايات أخرى أو أحاديث فى معنى هذا الحديث عن غير أبى هريرة - كما سنذكر إن شاء الله عز وجل .

* * *

شرح الحديث :

(١) - لَقَحَةٌ مُصْرَّةٌ :

قال النووى : اللقحة : بكسر اللام وبفتحتها هى الناقة القريبة العهد بالولادة ، نحو شهرين أو ثلاثة ، والكسر أفصح ، والجماعة « لِقَح » كقربة وقرب^(٤) .

والتَّصْرِيَّةُ والصَّرَّ : ربط أخلاف الإبل أو البقر أو الغنم ليتجمع اللبن فى ضرعها فيعظم ، فيظن المشتري أن كثرة لبنها عادة مستمرة ، ومنه قول العرب : صرَّيت الماء فى الحوض أى جمعته . وصرى الماء فى ظهره ، أى حبسه فلم يتزوج . قال الخطاى : اختلف العلماء وأهل اللغة فى تفسير المصرة وفى اشتقاقها ؛ فقال الشافعى : التصرية أن يربط أخلاف الناقة أو الشاة ويترك حلبها اليومين والثلاثة حتى يجمع لبنها ، فيزيد مشتريها فى ثمنها بسبب ذلك ؛ لظنه أنه عادة لها ، وقال أبو عبيد : من صرى اللبن فى ضرعها أى حقنه فيه ، وأصل التصرية حبس الماء ، قال أبو عبيد : ولو كانت من الربط لكانت مصرورة أو مصرة^(٥) . قال الخطاى : وقول أبى عبيد حسن ، وقول الشافعى صحيح . قال : والعرب تصر ضرور المحلوبات ، واستدل لصحة قول الشافعى بقول العرب : « لا يحسن الكرّ ، إنما يحسن الحلب والصر . ويقول مالك بن نويرة :

فقلت لقومى : هذه صدقاتكم مصرة أخلافها لم تجرد

(١) انظر التخرىج ص : ٤٤٦ .

(٢) انظر التخرىج ص : ٤٤٦ .

(٣) انظر شرح معانى الآثار : (١٧/٤ - ١٩) - باب بيع المصرة وعمدة القارى (٣٦٣/٩) .

(٤) شرح مسلم : ١٥/٤ .

(٥) انظر غريب الحديث لأبى عبيد (٦١/٢ - ٦٣) .

قال : ويحتمل أن أصل المصرة مصرورة ؛ أبدلت إحدى الرائيين ألفاً كقوله تعالى : « خاب من دسّأها » ، أى دسّسها ، كرهوا اجتماع ثلاثة أحرف من جنس (١) .

(٢) - احتج بهذا الحديث ابن أبى ليلى ومالك والليث والشافعى وأحمد وإسحاق وأبو ثور وأبو عبيد وأبو سليمان وزفر وأبو يوسف فى بعض الروايات فقالوا : من اشترى مصرة فحلبها فلم يرض بها فإنه يردّها ، إن شاء ، ويرد صاعاً من تمر ، إلا أن مالكا قال : يؤدى أهل كل بلد صاعاً من أغلب عيشهم ، وابن أبى ليلى قال : يرد معها قيمة صاع من تمر ، وهو قول أبى يوسف ، وهو غير مشهور عنه . وقال زفر : يرد معها صاعاً من تمر ، أو صاعاً من شعير ، أو نصف صاع من تمر . وفى شرح الموطأ للإشبيلى : قال مالك : إذا احتلبها ثلاثاً وسخطها لاختلاف لبنها ردها ومعها صاعاً من قوت ذلك البلد ؛ تمرّاً كان ، أو بُراً ، أو غيره ، وبه قال الطبرى ، وأبو على بن أبى هريرة من أصحاب الشافعى . وعن مالك : يرد مكيّلة ما حلب من اللبن تمرّاً أو قيمته . وقال أكثر أصحاب الشافعى : لا يكون إلا من التمر . وإذا لم يجد المشتري التمر فهل ينتقل إلى غيره ؟ حكى الماوردى فيه وجهين : أحدهما يرد قيمته بالمدينة ، والثانى قيمته بأقرب بلاد التمر إليه ، واقتصر الرافعى على نقل الوجه الأول عن الماوردى ، والوجهان معاً فى الحاوى ، فإن اتفق المتبايعان على غير التمر فى رد بدل لبن المصرة فقد حكى الرافعى عن ابن كج وجهين فى أجزاء البُر عن التمر إذا اتفقا عليه ، فكان كالاستبدال عما فى ذمته (٢) .

(٣) - وقال أبو حنيفة ومحمد وأبو يوسف فى المشهور عنه ومالك (٣) فى رواية ، وأشهب من المالكية وابن أبى ليلى فى رواية وطائفة من أهل العراق : ليس للمشتري رد

(١) المصدر السابق : ١٠/٤ .

(٢) عمدة القارى : ٣٦٤/٩ .

(٣) فى رواية رواها عنه أشهب أنه سئل عن هذا الحديث فقال : قد سمعت ذلك وليس بالثابت ، ولا الموطأ عليه ، وله اللبن بما علف وضمن . قيل له : نراك تضعف الحديث ، فقال : كل شيء يوضع موضعه : قال ابن عبد البر هذه رواية منكورة . والصحيح عن مالك ما رواه ابن القاسم أنه قال له : تأخذ بهذا الحديث ؟ قال : نعم ، أو لأحد فى هذا الحديث رأى ؟ وقال ابن القاسم : وأنا آخذ به . (طرح الترتيب ٨١/٦) وكلام ابن القاسم فى المدونة : ٢٨٧/٣ .

المصرة بخيار العيب ؛ ولكنه يرجع بالنقصان لأنه وجد ما يمنع الرد ، وهو الزيادة المنفصلة عنها ، وفي الرجوع بالنقصان روايتان عن أبي حنيفة في شرح الطحاوى ؛ يرجع على البائع بالنقصان من الثمن لتعذر الرد ، وفي رواية الأسرار لا يرجع ؛ لأن اجتماع اللبب وجمعه لا يكون عيباً^(١) .

وواضح من هذا أن هؤلاء كما روى عنهم لا يعملون بهذا الحديث ، ولهم حجج في عدم الأخذ به سنعود إليها إن شاء الله تعالى بعد بيان استنباطات الفقهاء ، وشروحهم له ممن يعملون به .

(٤) - ولا ينبغي أن يشغلنا هذا الخلاف عن تقرير أن التصرية حرام جاء النهى عنها في أحاديث منها : « لا تُصَرُّوا الإبل والغنم » وظاهره أنه لا فرق بين أن يفعل ذلك للبيع أو غيره ، وعلل بعض الفقهاء في غير البيع لما فيه من إيذاء الحيوان ، ولكن روى المزني عن الشافعى ، عن سفيان ومالك كلاهما عن أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً : « لا تصروا الإبل والغنم للبيع » ورواه البيهقى في المعرفة من طريقه ، وهذا يقتضى التحريم بحالة البيع ، فلو حفلها وجمع لبنها لولدها أو لضييف يقدم عليه لم يحرم ، ويجاب عن التأذى بأنه يسير لا يحصل منه ضرر مستمر ، فيغتفر لأجل تحصيل المصلحة المتعلقة به ، كما يغتفر تأذى الدابة في الركوب والحمل حيث لا يكون فيه ضرر ومحذور^(٢) .

وقد روى ابن أبى شيبة وعبد الرزاق بإسناد صحيح عن ابن مسعود موقوفاً « بيع المُحَفَّلَاتِ خِلَابَةً ، ولا تحل الخِلَابَةُ لمسلم^(٣) . ورواه أحمد^(٤) »

(١) عمدة القارى ٣٦٤/٩ .

(٢) طرح التثريب ٧٧/٦ .

(٣) المصنف لابن أبى شيبة (٢١٤/٦ - ٢١٥) - كتاب البيوع والأفضية - (٩٧) في بيع المحفلات . (رقم ٨٥٥) عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، عن الأسود قال : قال لى عبد الله : إياكم وبيع المحفلات ؛ فإنها خلابة ، ولا تحل الخلابة لمسلم .

ومصنف عبد الرزاق (١٩٨/٨) كتاب البيوع - باب الشاة المصرة - عن التيمى عن الأعمش به ، وفيه « إياكم والمحفلات » (رقم ١٤٨٦٥) .

(٤) (المسند ، تحقيق أحمد شاكر (٨٤/٦) عن وكيع ، عن المسعودى ، عن جابر ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : حدثنا رسول الله - ﷺ . (رقم ٤١٢٥) .

وابن ماجه ^(١) عن ابن مسعود مرفوعاً ، وفي إسناده ضعف ، وروى ابن أبى شيبة من طريق قيس بن أبى حازم قال : « كان يقال : التصرية خلافة » وإسناده صحيح ^(٢) .

وقد علق ابن عبد البر على حديث النهى عن التصرية بقوله : « هذا الحديث أصل فى النهى عن الغش ، وأصل فى ثبوت الخيار لمن دلس عليه بيع ، وأصل فى أنه لا يفسد أصل البيع ، وأصل فى أن مدة الخيار ثلاثة أيام ، وأصل فى تحريم التصرية ، وثبوت الخيار بها ^(٣) .

(٥) - ذكر الإبل والغنم فى الحديث دون غيرها خرج مخرج الغالب

فيما كانت العرب تصريه وتبيعه تدليساً وغشاً ، فإن البقر قليل ببلادهم ، وغير الأنعام لا يقصد لبنها غالباً فلم يكونوا يصرون غير الإبل والغنم ، وما خرج مخرج الغالب لا مفهوم له ، وهو مفهوم لقب ، وليس حجة عند الجمهور .

وروى الترمذى من رواية محمد بن زياد عن أبى هريرة مرفوعاً : « من اشترى مصرة » وهو يتناول كل مصرة ، لكن فى صحيح مسلم وغيره من رواية محمد بن سيرين عن أبى هريرة « من اشترى شاة مصرة » فصرح بذكر الموصوف ^(٤) .

(٦) - وظاهر الحديث أن الخيار لا يثبت إلا بعد الحلب ، والجمهور على أنه

إذا علم بالتصرية ثبت له الخيار ولو لم يحلب ، لكن لما كانت التصرية لا تعرف غالباً إلا بعد أن يحلب ذكر قيداً فى ثبوت الخيار ، فلو ظهرت التصرية بغير الحلب فالخيار ثابت ^(٥) .

(١) سنن ابن ماجه (٧٥٣/٢) - (١٢) كتاب التجارات - (٤٢) باب بيع المصرة - من طريق وكيع نفسه عند أحمد (٢٢٤١) ، وفى مصباح الزجاجة فى إسناده جابر الجعفى ، وهو متهم .

(٢) المصنف لابن أبى شيبة (٢١٥/٦) كتاب البيوع والأقضية (٩٧) فى بيع المحفلات (رقم ٨٥٦) .

(٣) فتح البارى : ٣٦٧/٤ .

(٤) طرح التثريب ٧٧/٦ - ٧٨ . وانظر موضع تخريج رواية محمد بن زياد فى هامش ص : ٤٤٧ .

(٥) فتح البارى : ٣٦٢/٤ .

(٦) - قوله « إما هي » فُسرّ في الروايات الأخرى منها « إن شاء أمسك » وفي رواية مالك عن أبي الزناد « إن رضيها أمسكها » أي أبقاها في ملكه .

وهذا يقتضى صحة بيع المصرة ، أو إثبات الخيار للمشتري ، ولو اطلع على عيب بعد الرضا بالتصرية فردها فالأصح عند الشافعية وجوب الرد ، ونقلوا نص الشافعي على أنه لا يرد ، وعند المالكية قولان ^(١) .

(٧) - ظاهر قوله « وإلا فليردها وصاعاً من تمر » أن الرد يكون على الفور ، لكن تقدم أن في بعض طرقه « فهو بالخيار ثلاثة أيام » ولهذا اختلف العلماء ؛ فبعضهم قال : إن الخيار يمتد إلى ثلاثة أيام ، وبعضهم قال : إنه على الفور ، ويحملون التقييد بثلاثة أيام في بعض الأحاديث على ما إذا لم يعلم أنها مصرة إلا في ثلاثة أيام ؛ لأن الغالب أنه لا يعلم فيمادون ذلك ، فإنه إذا نقص لبنها في اليوم الثاني عن الأول احتتمل كون النقص لعارض من سوء مرعاها في ذلك اليوم ، أو غير ذلك ، فإذا استمر كذلك ثلاثة أيام علم أنها مصرة ^(٢) .

(٨) - ونعود إلى موقف الأحناف الذين لم يعملوا بهذا الحديث ، وقد بين موقفهم ، واحد منهم ، وهو الطحاوي فقال : ذهبوا إلى أن ما روى عن رسول الله - ﷺ منسوخ ، فروى عنهم هذا الكلام مجملاً ، ثم اختلف عنهم من بعد في الذي نسخ ذلك ما هو ؟

فقال محمد بن شجاع نسخ قول رسول الله - ﷺ - « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » فلما قطع رسول الله - ﷺ بالفرقة الخيار ثبت بذلك أنه لا خيار لأحد بعدها إلا لمن استثناه رسول الله - ﷺ في هذا الحديث بقوله « إلا بيع الخيار » .

وقال عيسى بن أبان : كان ما روى عن رسول الله - ﷺ من الحكم في المصرة بما في الآثار الأول ، في وقت ما كانت العقوبات في الذنوب يؤخذ بها الأموال - كان الحكم

(١) المصدر السابق : ٣٦٢/٤ .

(٢) شرح مسلم للنووي : ١٥/٤ ، وانظر تفصيلاً في طرح التريب : ٧٨/٦ - ٧٩ .

فى أول الإسلام كذلك حتى نسخ الله الربا أفردت الأشياء المأخوذة إلى أمثالها إن كانت لها أمثال ، وإلى قيمتها إن كانت لا أمثال لها ، وكان رسول الله - ﷺ - قد نهى عن التصرية . فكان من فعل ذلك ، وباع ما قد جعل بيعه إياه مخالفا لما أمر به رسول الله - ﷺ - ، وداخلا فيما نهى عنه ، فكانت عقوبته فى ذلك أن يجعل اللبن المحلوب فى الأيام الثلاثة للمشتري بصاع من تمر ، ولعله يساوى آصعاً كثيرة ، ثم نسخت العقوبات فى الأموال بالمعاصى ، وردت الأشياء إلى ما ذكرنا - فلما كان ذلك كذلك ، ووجب رد المصرة بعينها وقد زایلها اللبن - علمنا أن ذلك اللبن الذى أخذه المشتري منها قد كان بعضه فى ضرعها فى وقت البيع عليها ، فهو فى حكم المبيع ، وبعضه حدث فى ضرعها فى ملك المشتري بعد وقوع البيع عليها ، فذلك للمشتري .

فلما لم يكن رد اللبن بكماله على البائع إذا كان بعضه بما لم يملك بيعه ، ولم يمكن أن يجعل اللبن كله للمشتري إن كان ملك بعضه من قبل البائع بيعه إياه الشاة التى قد ردها عليه بالعيب ، وكان ملكه إياه بجزء من الثمن الذى وقع به البيع ، فلا يجوز أن يرد الشاة بجميع الثمن ، ويكون اللبن سالما له بغير ثمن .

فلما كان كذلك مُنع المشتري من ردها ، ورجع على بائعه بنقصان عيبها ، قال عيسى : فهذا وجه الحكم فى المصرة .

ورأى أبو جعفر الطحاوى وجهها آخر فقال : إني رأيت فى ذلك وجهها آخر هو أشبه عندى بنسخ هذا الحديث عن ذلك الوجه الذى ذهب إليه عيسى .

ومجمل رأيه أن العمل بحديث المصرة فيه بيع الدين بالدين ؛ لأن المشتري أخذ اللبن واستفاد منه أو من بعضه فأصبح فى ملكه ديناً بصاع تمر دين ، فدخل ذلك فى بيع الدين بالدين ، ثم نهى رسول الله - ﷺ - من بعد عن بيع الدين بالدين ، فنسخ ذلك ما كان تقدم منه مما روى عنه فى المصرة مما حكمه حكم الدين .

وقد روى عن رسول الله - ﷺ - « الخراج بالضمان » وعملت بذلك العلماء ، وليس يخلو الصاع الذى يوجب على مشتري المصرة إذا ردها أن يكون عوضاً عن جميع اللبن الذى احتلبه بعد الشراء مما حدث فى ملك المشتري وهذا يتناقض مع حديث

الخراج بالضمان ، وإن كان عوضا عن اللبن الذى كان فى ضرع الشاة قبل البيع فقد دخل فى بيع الدين بالدين وقد نهى عنه الرسول - ﷺ - (١) .

هذه هى اعتذارات الأحناف عن عدم العمل بالحديث وكلها تؤدى إلى القول بأن هذا الحديث منسوخ .

وإذا كان الأمر كذلك فالأحناف هنا لا يضعفون هذا الحديث ، وإنما يعترفون بصحته وإن كانوا لا يعملون به ؛ لأنه منسوخ .

ولا نعتقد أن الأئمة الكبار أمثال أبى حنيفة ومحمد اللذين لم يعملوا بهذا الحديث قد ذهبوا إلى ما نقل عن بعض الأحناف من أنهم لم يعملوا بهذا الحديث لكونه من رواية أبى هريرة ، ولم يكن كابن مسعود وغيره من فقهاء الصحابة ، فلا يؤخذ بما رواه مخالفاً للقياس الجلى (٢) .

فنحن نُجَلِّ أبى حنيفة ومحمداً عن مثل هذا ، وكما يقول ابن حجر : « قد ترك أبو حنيفة القياس الجلى لرواية أبى هريرة وأمثاله كما فى الوضوء بنبيذ التمر ، ومن القهقهة فى الصلاة وغير ذلك (٣) .

وكما رأينا عند الطحاوى ومن قبله من الأحناف كمحمد بن شجاع وكعيسى بن أبان لم يثيروا مسألة خلاف الحديث للقياس الجلى ، وإنما الذى أثاروه هو أنه مخالف لأحاديث أخرى متفق على العمل بها ، ليثبتوا نسخه .

ويشبه أن يكون هذا من متأخرى الأحناف الذين لم يدققوا فى علة عدم عمل الأئمة لهذا الحديث ، أو من كلام بعض المتعصبين من خصومهم .

وعلى كل حال فلا مناص من مناقشة اعتذارات الأحناف هذه وأمثالها مما نسب إليهم حتى يتضح جانب العلماء الذين تمسكوا بالحديث وعملوا بظاهره ، وذلك يضيف جوانب هامة على معنى الحديث كما سيتضح لنا إن شاء الله تعالى .

(١) شرح معاني الآثار : ١٩/٤ - ٢٢ .

(٢) فتح البارى : ٣٦٤/٤ .

(٣) المصدر السابق : ٣٦٤/٤ - ٣٦٥ .

١ - لا يرد الحديث إذا رواه مثل الصحابي الجليل أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - سواء وافق قياساً جلياً أو لم يوافقه ؛ لأن ما يرويه صحيح عن رسول الله - ﷺ - إذا روى بطرق صحيحة عنه ، وصحيح حديث رسول الله - ﷺ - فوق القياس - ولا يقال له : « لَمْ وَكَيْفَ » ونقول هذا لأن أبا هريرة حافظ اختص بمزيد الحفظ ؛ لدعاء رسول الله - ﷺ - له ؛ كما روى ذلك البخاري ، ولأنه انقطع لحديث رسول الله - ﷺ - حتى أجاد إتقانه وحفظه ؛ قال : « إن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكنت ألزم رسول الله - ﷺ - فأشهد إذا غابوا ، وأحفظ إذا نسوا » . ولم ينفرد أبو هريرة برواية أصل هذا الحديث ، فقد أخرجه أبو داود من حديث ابن عمر ، وأخرجه الطبراني من وجه آخر عنه ، وأبو يعلى من حديث أنس ، وأخرجه البيهقي في الخلافيات من حديث عمرو بن عوف المزني ، وأخرجه أحمد من رواية رجل من الصحابة لم يسم ، وقال ابن عبد البر : هذا الحديث مجمع على صحته وثبوته من جهة النقل ^(١) .

ب - أما بيان محمد بن شعاع أن هذا الحديث منسوخ بحديث « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » فقد تكفل الطحاوي - وهما من الأحناف - بالرد عليه ، فقال : وهذا التأويل عندى فاسد ؛ لأن الخيار المجمعول في المصرة إنما هو خيار عيب ، وخيار العيب لا يقطع الفرفة ^(٢) .

ج - وأما جواب عيسى بن أبان ، وهو أن الحديث منسوخ بما ورد من رفع العقوبة بالمال ، وقد كانت مشروعة قبل ذلك ، كما في حديث بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده في مانع الزكاة : « فإننا آخذوها وشطر ماله » وحديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده في الذي يسرق من الجرين يغرم مثليه وكلاهما في السنن ، وحديث المصرة من هذا القبيل - فتعقب بأن التصرية إنما وجدت من البائع ، فلو كان حديث التصرية من ذلك الباب للزم تغريمه لا تغريم المشتري فليس حديث المصرة من باب العقوبة بالمال ^(٣) .

(١) فتح الباري : ٣٦٥/٤ .

(٢) شرح معاني الآثار : ١٩/٤ .

(٣) فتح الباري : ٣٦٥/٤ .

ء - وأما جواب الطحاوى وهو أن الحديث منسوخ لأنه من باب بيع الدين بالدين ، وقد نهى رسول الله - ﷺ عن بيع الدين بالدين - فتعقب بأن هذا الحديث ضعيف باتفاق المحدثين ، وعلى فرض صحته فإنما شرع التمر فى مقابل الحلب سواء أكان اللبن موجودا أو غير موجود ، فلم يتعين فى كونه من الدين بالدين .

وقد قال الطحاوى - فيما سبق (١) - إن هذا الحديث يتعارض مع حديث « الخراج بالضمان » وقد نسخه هذا الحديث الأخير - والجواب عن ذلك أن حديث المصرة ورد فى شئ مخصوص ، وبتقدير عمومته فالمشتري لم يغرم بدل ما حدث على ملكه ، وإنما غرم بدل اللبن الذى ورد عليه العقد ، « فليس هذا من ذلك الحديث فى شئ » (٢) .

قال النووى فى ذلك : فإن قيل : كيف يلزم المشتري رد عوض اللبن ، مع أن الخراج بالضمان ، وأن من اشترى شيئا معيبا ثم علم العيب فرد به لا يلزمه رد الغلة والأكساب الحاصلة فى يده ؟ فالجواب أن اللبن ليس من الغلة الحاصلة فى يد المشتري ، بل كان موجودا عند البائع وفى حالة العقد ، ووقع العقد عليه وعلى الشاة جميعا فهما مبيعان بضمن واحد ، وتعذر رد اللبن لاختلاطه . بماحدث فى ملك المشتري فوجب رد عوضه . والله أعلم (٣) .

هـ - وقيل : هو معارض لعموم القرآن ، كقوله تعالى : (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) (٤) .

وأجيب بأنه من ضمان المتلفات لا العقوبات ، والمتلفات قد تضمن بالمثل ، وقد تضمن بغير المثل (٥) . والآية عامة وهذه قضية خاصة ، والخاص مقدم على العام (٦) .

(١) انظر ص : ٤٥٣ - ٤٥٤ من هذا الكتاب .

(٢) طرح التثريب : ٨٥/٦ .

(٣) شرح مسلم : ١٦/٤ .

(٤) النحل : ١٢٦ .

(٥) فتح البارى : ٣٦٥/٤ .

(٦) طرح التثريب : ٨٤/٦ .

ولا نستطيع أن نقول : إن الآية الكريمة نسخته لأن من شرط النسخ معرفة التاريخ ، وليس عندنا يقين بأن هذه الآية متأخرة عن حديث المصرة ^(١) .

و - وقيل : إن حديث التصرية حديث مضطرب لذكر التمر فيه تارة والقمح أخرى واللبن أخرى ، واعتباره بالصاع تارة وبالمثل أو المثلين تارة وبالإناء أخرى .

والجواب أن الطرق الصحيحة لهذا الحديث لا اختلاف فيها . أما الضعيفة فهي التي ورد فيها هذا الاختلاف ، « والضعيف لا يعمل به الصحيح » ^(٢) .

على أنه قد ورد في الطرق الصحيحة « من طعام لا سمراء » ولكن المراد بالطعام هنا التمر ؛ والتمر من طعام العرب ^(٣) .

ز - وقيل : إن حديث المصرة خالف قياس الأصول من جهات :

الأولى : من حيث إن اللبن التالف إن كان موجودا عند العقد فقد نقص جزء من المبيع فيمتنع الرد ، وإن كان حادثا عند المشتري فهو غير مضمون .

وأجيب أولا : بأن الحديث أصل مستقل برأسه ، ولا يقال : إنه خالف قياس الأصول ؛ وهو مضمون ؛ لأن تناول الأصل محل خبر الواحد مضمون أيضاً وغير مقطوع به ؛ لجواز استثناء محل الخبر عن ذلك الأصل ^(٤) .

وثانيا : بالنسبة لهذه الجهة بأن النقص إنما يمنع الرد إذا لم يكن لاستعلام العيب ، وهو هنا لاستعلام العيب فلا يمنع .

الثانية : إن بعض روايات الحديث جعلت الخيار ثلاثة أيام مع أن خيار العيب وخيار المجلس وخيار الرؤية لا يقدر شيء منها بالثلاثة .

(١) طرح التريب : ٨٤/٦ .

(٢) فتح الباري : ٣٦٥/٤ .

(٣) شرح السنة ١٢٧/٨ .

(٤) طرح التريب : ٨٨/٦ .

وأجيب بأن المصرة انفردت بالمدة المذكورة لأنه لا يتبين حكم التصرية في الأغلب إلا بها بخلاف غيرها .

الثالثة : الحديث يلزم ضمان الأعيان مع بقائها حيث كان اللبن موجودا .

وأجيب عنه بأنه غير موجود متميز ؛ لأنه مختلط باللبن الحادث ، فقد تعذر رده بعينه بسبب الاختلاط .

الرابعة : الحديث يلزم إثبات الرد بغير عيب ولا اشتراط ؛ لأنه لو كان نقصان اللبن عيبا لثبت به الرد من دون تصرية ؛ ولأنه لم يشترط الرد .

وأجيب بأنه في حكم خيار الشرط من حيث المعنى ؛ فإن المشتري لما رأى ضرعها مملوءاً فكأن البائع شرط له أن ذلك عادة لها ، وقد ثبت لهذا نظائر ^(١) .

الخامسة : أن المعلوم من الأصول أن ضمان المثليات بالمثل وضمن المقومات بالقيمة من النقدية ، فإن كان اللبن مثليا فينبغي ضمان مثله لبناً ، وإن كان متقوماً ضمنه بقيمته من النقدين ، وقد ضمن هنا بالتمر ، وهو خارج عن الأصلين معاً ^(٢) .

وأجيب بأنه لا نسلم أن جميع الأصول تقتضى الضمان بأحد الأمرين على ما ذكرتموه فإن الحر يضمن بالإل ، وليست بمثل له ولا قيمة ، والجنين يضمن بالغرة ، وليست بمثل له ولا قيمة ، وأيضا فقد يضمن المثل بالقيمة إذا تعذرت المماثلة ، كمن أتلف شاة لبونا فعليه قيمتها مع اللبن ، ولا يجعل بإزاء لبنها لبن آخر لتعذر المماثلة فكذلك هنا لا تتحقق مماثلة ما يرده من اللبن عوضا عن اللبن التالف في القدر فيجوز أن يكون أكثر منه أو أقل ^(٣) .

قال النووي : وأجاب الجمهور عن هذا بأن السنة إذا وردت لا يعترض عليها بالمعقول ، وأما الحكمة في تقييده بصاع التمر فلأنه كان غالب قوتهم في ذلك الوقت

(١) سبل السلام : ٨٢٩/٣ .

(٢) طرح التثريب : ٨٥/٦ .

(٣) المصدر السابق : ٨٦/٦ .

فاستمر حكم الشرع على ذلك ، وإنما لم يجب مثله ولا قيمته ، بل وجب صاع في القليل والكثير ، ليكون ذلك حدًّا يرجع إليه ويزول به التخاصم ، وكان عليه السلام حريصاً على رفع الخصام والمنع من كل ما هو سبب له ، وقد يقع بيع المصرة في البوادي والقرى وفي مواضع لا يوجد من يعرف القيمة ويعتمد قوله فيها ، وقد يتلف اللبن ويتنازعون في قلته وكثرته ، وفي عينه فجعل الشرع لهم ضابطاً لا نزاع معه ، وهو صاع تمر ، ونظير هذا الدية ، فإنها مائة بعير ولا يختلف باختلاف حال القتيل قطعاً للنزاع ، ومثله الغرة في الجنابة على الجنين سواء كان ذكراً أو أنثى ، تام الخلق أو ناقصه ، جميلاً كان أو قبيحاً ، ومثله الجبران في الزكاة بين الشيعة جعله الشرع شاتين أو عشرين درهماً قطعاً للنزاع ، سواء كان التفاوت بينهما قليلاً أو كثيراً ^(١) .

السادسة : أن القواعد الكلية تقتضى أن يكون الضمان بقدر التالف ، وهنا ضمن اللبن بمقدار واحد وهو الصاع قل اللبن أو كثر ^(٢) .

وأجيب بنحو ما ذكر في الإجابة على ما سبق ؛ فبعض الأصول لا يتقدر بما ذكر كالموضحة ؛ فإن أروشها مقدر مع اختلافها بالكبر والصغر ، والحر ديته مقدرة وإن اختلف بالصغر والكبر وسائر الصفات . والحكمة فيه أن ما يقع فيه التنازع والتشاجر يقصد قطع النزاع فيه بتقديره بشئ معين ، وتقدم هذه المصلحة في مثل هذا المكان على تلك القاعدة ^(٣) .

على أنه لفقهاء الأحناف تعقيبات على هذه الأجوبة سجلها العيني في كتابه « عمدة القارى » ^(٤) .

(١) شرح مسلم : ١٥/٤ - ١٦ .

(٢) طرح التثريب : ٨٥/٦ .

(٣) المصدر السابق : ٨٧/٦ .

(٤) عمدة القارى : ٣٦٧/٩ - ٣٦٨ .

ونرجح أن هذه المعركة قد نشأت بين الفقهاء المتأخرين ، ولم يَعدُ الأمر بالنسبة للأحناف المتقدمين القول بنسخ الحديث لأحاديث أخرى . أما مخالفة الحديث لقياس الأصول ، وتفصيل ذلك والتعقيب على هذا التفصيل ، من المخالفين ، والتعقيب على التعقيب فلم ينشأ إلا بعد ذلك .

ومهما يكن من شيء فالحديث صحيح يعمل به عند كثير من الفقهاء ، وصحيح منسوخ لا يعمل به عند بعضهم . والله أعلم .

★ ★ ★

٩٩ - وقال رسول الله - ﷺ - : الشيخ شابٌ على حُبِّ اثنتين : طول الحياة ، وكثرة المال .

• رواه أحمد (٩١/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام ، ولفظه : « الشيخ على حب اثنتين طول الحياة ، وكثرة المال » (رقم ١٠٢/٨١٩٦) ورواه عنه الحافظ العراقي في « تقريب الأسانيد » بلفظ « الشيخ على حبه اثنتين » (ص ٥٢) .

وروى البخارى نحوه في (١٧١/٧) - (٨١) كتاب الرقاق - (٥) باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر - عن علي بن عبد الله ، عن أبي صفوان عبد الله بن سعيد ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب « أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله - ﷺ يقول : لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين ؛ في حب الدنيا ، وطول الأمل » . ثم قال : قال ليث عن يونس ، وابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال : أخبرني سعيد وأبو سلمة (رقم ٦٤٢٠) .

ومن طريق هشام ، عن قتادة ، عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ - : يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنتان : حب المال وطول العمر ، ثم قال : رواه شعبه ، عن قتادة .

وروى مسلم في (٧٢٤/٢) - (١٢) كتاب الزكاة - (٣٨) باب كراهية الحرص على الدنيا - من طريق سفيان بن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة يبلغ به النبي - ﷺ - قال : قلب الشيخ شابٌ على حب اثنتين ؛ حب العيش والمال (رقم ١٠٤٦/١١٣) .

ومن طريق ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : قلب الشيخ شاب على حب اثنتين : طول الحياة وحب المال . (١٠٤٦/١١٤) .

ومن طريق أبي عوانة عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله - ﷺ - : يهرم ابن آدم ويشب منه اثنتان : الحرص على المال ، والحرص على العمر . (رقم ١٠٤٧/١١٥) .

ورواه البغوى في (٢٨٤/١٤) باب طول الأمل والحرص - بسنده للصحيفة ، وقال : هذا حديث متفق على صحته . (رقم ٤٠٨٩) .

كما روى نحوه من طريق محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة (٤٠٨٨) .

شرح الحديث :

(١) - قال النووي في معنى هذا الحديث : هذا مجاز واستعارة ؛ ومعناه أن قلب الشيخ كامل الحب للمال محتكم في ذلك كاحتكام قوة الشباب في شبابه ثم قال : هذا صوابه وقيل في تفسيره غير هذا مما لا يرتضى ^(١) .

قال ابن حجر مفسراً عبارة النووي الأخيرة : وكأنه أشار إلى قول عياض : هذا الحديث فيه من المطابقة وبديع الكلام الغاية ؛ وذلك أن الشيخ من شأنه أن تكون آماله وحرصه على الدنيا قد بليت على بلاء جسمه إذا انقضى عمره ، ولم يبق له إلا انتظار الموت ، فلما كان الأمر بضده ذم . قال : والتعبير بالشباب إشارة إلى كثرة الحرص وبعد الأمل الذى هو في الشباب أكثر ، وبهم أليق ؛ لكثرة الرجاء عادة عندهم في طول أعمارهم ودوام استمتاعهم ولذاتهم في الدنيا ^(٢) .

(٢) - قال بعض العلماء : الحكمة في تخصيص طول الحياة وكثرة المال بالحب عند الشيخ هي أن أحب الأشياء إلى ابن آدم نفسه ، فهو راغب في بقائها ، فأحب لذلك طول العمر ، وأحب المال لأنه من أعظم الأسباب في دوام الصحة التى ينشأ عنها غالباً طول العمر ، فكلما أحس بقرب نفاد ذلك اشتد حبه له ، ورغبته في دوامه ^(٣) .

(٣) - في الحديث ذم طول الأمل في الحياة ، والحرص على جمع المال ، وذلك يقتضى فضل الصدقة للعَنَى ، والتعفف للفقير ^(٤) .

★ ★ ★

(١) شرح مسلم : ٨٦/٣ .

(٢) فتح البارى : ٢٤١/١١ .

(٣) المصدر السابق : ٢٤١/١١ .

(٤) طرح التثريب : ٨٢/٤ ، ونسب ابن حجر شبيهاً بهذا المعنى للقرطبي (فتح البارى ٢٤١/١١) .

١٠٠ - وقال رسول الله - ﷺ : لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح ؛ فإنه لا يدري أحدكم ، لعل الشيطان أن ^(١) ينزع في يده ^(٢) ، فيقع في حفرة من النار .

* * *

(١) أن ليست في م . (٢) ط ؛ « من يده » وما أثبتناه من م .

• رواه عبد الرزاق في المصنف (١٦٠/١٠) - باب ذكر رفع السلاح - عن معمر ، عن همام بن منبه قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله - ﷺ - : لا يشير أحدكم على أخيه بسلاح ، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده ، فيضعه في حفرة من نار . (رقم ١٨٦٧٩) وأشار محقق الكتاب إلى أن في نسخة « من النار » .

ورواه أحمد (٩١/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام . (رقم ١٠٣/٨١٩٧) وفيه « لا يمشين أحدكم » .
ورواه البخاري في (٩٠/٨) - (٩٢) كتاب الفتن - (٧) باب قول النبي - ﷺ - : من حمل علينا السلاح فليس منا - من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام به وفيه « لعل الشيطان ينزع في يديه » (رقم ٧٠٧٢) .

ورواه مسلم في (٢٠٢٠/٤) - (٤٥) كتاب البر والصلة والآداب - (٣٥) باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم - بسنده للصحيفة . (رقم ٢٦١٧/١٢٦) .

ورواه البغوي في (٢٦٥/١٠) باب النهي عن أن يشير إلى أحد بالسلاح . بسنده للصحيفة . (رقم ٢٥٧٣) .
وفي « م » وكل هذه المصادر بلا استثناء « في يده » وليس « من يده » كما في ط فلعله خطأ في الطبع أو النسخ .

* * *

شرح الحديث :

(١) - لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح : هذا نهى بلفظ الخبر ؛ كقوله تعالى : (لا تضارّ والده بولدها ، ولا مولود له بولده) ^(١) ، وقوله تعالى : (والوالدات

يرضعن أولادهن) ^(١) . وهو أبلغ وأكد من صيغة النهي ^(٢) ؛ لأنه يتضمن النهي ، وزيادة أن مدلوله متحقق شأن الخبر ؛ كأنه يقول : من شأن أحدكم ألا يمشی إلى أخيه بالسلاح .
وهذا النهي للتحريم ؛ ففى صحيح مسلم ^(٣) : « من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه ، حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه » ولعن الملائكة لا يكون إلا بحق ، ولا يستحق اللعن إلا فاعل المحرم .

ولا فرق فى ذلك بين أن يكون على سبيل الجد أو الهزل ، وقد دل على ذلك قوله : « وإن كان أخاه لأبيه وأمه ؛ فإن الإنسان لا يشير إلى شقيقه بالسلاح على سبيل الجد ، وإنما يقع منه معه هزلا . وتقدير أن يكون على سبيل الجد فتحريم ذلك أغلظ من تحريم غيره ، فلا يصح جعله غاية ، فدل على أن المراد الهزل ، فإن تحريمه على طريق الجد واضح ؛ لأنه يريد قتل مسلم أو جرحه ، وكلاهما كبيرة ، وأما الهزل فلأنه ترويع مسلم وأذى له ، وذلك محرم أيضا ، وقد جاء فى الحديث عن أنس هريرة : « لا يحل لمسلم أن يروع مسلما » ^(٤) .

والمراد بالأخوة أخوة الإسلام ، ويلتحق به الذمى أيضا لتحريم أذاه ، وخرج الحديث مخرج الغالب ^(٥) .

ودخل فى السلاح ما عظم منه وصغر ^(٦) .

(١) البقرة : ٢٣٣ .

(٢) طرح التثريب : ١٨٤/٧ .

(٣) صحيح مسلم (٢٠٢٠/٤) - (٤٥) كتاب البر والصلة والآداب - (٣٥) باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم من طريق سفيان بن عيينة ، عن أيوب ، عن ابن سيرين عن أنس هريرة . (رقم ٢٦١٦/١٢٥) .

(٤) سنن أنس داود (٢٧٣/٥ - ٢٧٤) - (٣٥) كتاب الأدب - (٩٣) باب من يأخذ الشيء على المزاح من طريق الأعمش عن عبد الله بن يسار عن عبد الرحمن بن أنس ليلي عن أصحاب محمد ﷺ . (رقم ٥٠٠٤) وقد أخرجه البغوى فى شرح السنة من حديث أنس هريرة (٢٦٣/١٠ ، ٢٦٤) .

(٥) طرح التثريب : ١٨٤/٧ .

(٦) المصدر السابق : ١٨٤/٧ .

(٢) - لعل الشيطان أن ينزع في يده :

قال النووى : ضبطناه بالعين المهملة ونقله عياض عن جميع روايات مسلم بالعين المهملة ، ومعناه : يرمى به فى يده ويحقق ضربته ^(١) ، كأنه يرفع يده ويحقق إشارته ، والنزع العمل باليد ؛ كالاستقاء بالدلو ونحوه ، وأصله الجذب والقلع ^(٢) . قال عياض : وأصل فَعَلَ إذا كان عينه أو لامه حرف حلق أن يكون مستقبله كذلك مفتوحاً ، ولم يأت فى المستقبل مكسوراً إلا ينزع ويهنى ^(٣) .

ووقع فى رواية البخارى « لعل الشيطان ينزع فى يده » بالغين المعجمة ، قال الخليل فى العين : نزع الشيطان بين القوم نزغاً حمل بعضهم على بعض بالفساد ، ومنه : (من بعد أن نزع الشيطان بينى وبين إخوتى) ^(٤) ، والمراد أنه يغرى بينهم حتى يضرب أحدهما الآخر بسلاحه ، فيحقق الشيطان ضربته له . وقال ابن التين : معنى ينزعه : يقلعه من يده فيصيب به الآخر ، أو يشد يده فيصبيه ^(٥) . قال القاضى عياض : ومن رواه بالمعجمة فمعناه : يغريه ويحملة على تحقيق الضرب عندما يحدث عند اللعب والهزل ^(٦) .

(٣) - فيقع فى حفرة من النار :

روى « فيقع » بالنصب والرفع لكونه فى جواب الترجى ، وقد قرئ بهما قوله تعالى (لعل أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع) ^(٧) قرأ حفص عن عاصم بالنصب ، والباقون بالرفع ^(٨) .

(١) مشارق الأنوار : ٩/٢ ، ١٠ .

(٢) طرح الثريب : ١٨٤/٧ .

(٣) مشارق الأنوار : ٩/٢ .

(٤) يوسف : ١٠٠ .

(٥) فتح البارى ٢٥/١٣ .

(٦) مشارق الأنوار : ١٠/٢ .

(٧) غافر : ٣٦ - ٣٧ .

(٨) طرح الثريب ١٨٥/٧ .

وهذا كناية عن وقوعه في المعصية التي تفضي به إلى دخول النار ، قال ابن بطال :
معناه أن أنفذ عليه الوعيد (١) .

ويحتمل أن يكون الحديث على ظاهره في أن الشيطان يتعاطى بيده جرح المسلم ، أو يغري المشير حتى يفعل ذلك ، ويحتمل أنه مجاز على طريقة نسبة الأشياء القبيحة المستنكرة إلى الشيطان ، والمراد سبق السلاح بنفسه من غير قصد (٢) .

وفي الحديث مع ما تقدم :

١ - النهي عما يفضي إلى المخذور ، وإن لم يكن المخذور محققا سواء كان ذلك في جد أو هزل . وقد أخرج الترمذي بسند صحيح عن جابر : « نهى رسول الله - ﷺ أن يتعاطى السيف مسلولا » ، ولأحمد والبخاري من وجه آخر عن جابر أن النبي - ﷺ مر بقوم في مجلس يسلون سيفاً يتعاطونه بينهم غير مغمود فقال : ألم أجز عن هذا ؟ إذا سل أحدكم السيف فليغمده ، ثم ليعطه أخاه » ، ولأحمد والطبراني بسند جيد عن أبي بكره نحوه ، وزاد : « لعن الله من فعل هذا ، إذا سل أحدكم سيفه فأراد أن يناوله أخاه فليغمده ، ثم يناوله إياه » ، وإنما نهى عن تعاطى السيف مسلولا لما يخاف من الغفلة عند التناول ، فيسقط ويؤذى (٣) .

٢ - فيه تأكيد حرمة المسلم ، والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه ، والتعرض له بما قد يؤذيه .

٣ - استدلل به بعض المالكية على مذهبهم في سد الذرائع في قوله : « فإنه لا يدرى أحدكم » إلخ (٤) . والله أعلم .

(١) فتح الباري : ٢٥/١٣ .

(٢) طرح التثريب : ١٨٥/٧ .

(٣) فتح الباري : ٢٥/١٣ .

(٤) طرح التثريب : ١٨٥/٧ .

١٠١ - وقال رسول الله - ﷺ - : اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا ^(١) برسول الله - ﷺ - : وهو حينئذ يشير إلى رِبَاعِيَّتِهِ .

(١) م : فعلوا هناة .

- رواه أحمد (٩٢/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ١٠٤/٨١٩٨) .
- ورواه البخارى فى (٣٧/٥) - (٦٤) كتاب المغازى - (٢٤) باب ما أصاب النبى من الجراح يوم أحد .
- من طريق إسحاق بن نصر عن عبد الرزاق عن معمر ، عن همام به رقم (٤٠٧٣) .
- وفى الباب نفسه روى نحوه من طريق ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « اشتد غضب الله على قوم دُمُوا وجه نبي الله - ﷺ - (رقم ٤٠٧٤) وفى رواية : « اشتد غضب الله على من دُمى وجه رسول الله - ﷺ - » (رقم ٤٠٧٦) .
- ورواه مسلم فى (١٤١٧/٣) - (٣٢) كتاب الجهاد والسير - (٣٨) باب اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله - ﷺ . بسنده للصحيفة وفيه « فعلوا هذا برسول الله - ﷺ » . (رقم ١٧٩٣/١٠٦) .
- ورواه البيهقى فى (٣٣٥/١٣) باب دعائه - ﷺ المشركين ، وصبره على أذاهم - بسنده للصحيفة ، وقال : هذا حديث متفق على صحته . (رقم ٣٧٥٠) .

شرح الحديث :

ذكر ابن حجر أحاديث تبين سبب هذا الحديث ، وتلقى ضوءاً على معناه فقال :

- ١ - روى مسلم من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس : « أن النبى - ﷺ قال يوم أحد وهو يسلى الدم عن وجهه - ﷺ : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ، وكسروا رباعيته ، وأدموا وجهه ؟ فأنزل الله - عز وجل (ليس لك من الأمر شئ) » ^(١) .

- ٢ - وقال ابن إسحاق فى المغازى : حدثنى حميد الطويل عن أنس قال : كسرت رباعية النبى - ﷺ يوم أحد ، وشج وجهه ، فجعل الدم يسيل على وجهه ،

(١) آل عمران : ١٢٨ .

وجعل يمسح الدم ، وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ، وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله - عز وجل الآية (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون) .

٣ - وذكر ابن هشام في حديث أبي سعيد الخدري : « أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي - ﷺ - السفلى ، وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في جبهته ، وأن عبد الله بن قمئة جرحه في وجنته ، فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ، وأن مالك بن سنان مص الدم من وجه رسول الله - ﷺ - ، ثم ازدرده ، فقال : لن تمسك النار .

٤ - وروى ابن إسحاق من حديث سعد بن أبي وقاص قال : فما حرصت على قتل رجل قط حرصى على قتل أخى عتبة بن أبي وقاص لما صنع برسول الله - ﷺ - يوم أحد .

٥ - وفي الطبراني من حديث أبي أمامة : « رمى عبد الله بن قمئة رسول الله - ﷺ - يوم أحد فشح وجهه وكسر رباعيته ، فقال : خذها وأنا ابن قمئة ، فقال رسول الله - ﷺ - وهو يمسح الدم عن وجهه : مالك أقمأك الله ، فسلط الله عليه تيس جبل ، فلم يزل ينطحه حتى قَطَعَهُ قِطْعَةً قِطْعَةً » .

٦ - وأخرج ابن عائد في المغازي عن الوليد بن مسلم ، حدثني عبد الرحمن بن يزيد ، عن جابر ، فذكر نحوه منقطعاً ^(١) .

٧ - وروى عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري قال : ضرب وجه رسول الله - ﷺ - يومئذ بالسيف سبعين ضربة ، ووقاه الله شرها كلها . قال ابن حجر : وهذا مرسل قوى ، ويحتمل أن يكون أراد بالسبعين حقيقتها ، أو المبالغة في الكثرة ^(٢) .

(١) فتح الباري : ٣٦٥/٧ - ٣٦٦ .

(٢) المصدر السابق : ٣٧٢/٧ .

وقد روى البخارى من طريق أبى حازم أنه سمع سهل بن سعد ، وهو يُسأل عن جرح رسول الله - ﷺ - فقال : أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله - ﷺ - ومن كان يسكب الماء ، وبما دووى ، قال : كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله - ﷺ . تغسله وعلى يسكب الماء بالمِجَن ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير ، فأحرقها ، وألصقتها فاستمسك الدم ، وكسرت رباعيته يومئذ ، وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه - ﷺ - « (١) .

٢ - الرُّبَاعِيَّة : هى السن التى تلى الشيه من كل جانب ، وللإنسان أربع ثنايا وهى الواقعة فى مقدم الفم ، ثنتان من أعلى ، وثنتان من أسفل وتليها الرباعيات ؛ أربع أيضاً ؛ ثنتان من أعلى وثنتان من أسفل ، والذى كسر من رباعيته - ﷺ - الرباعية اليمنى السفلى (٢) .

٣ - فى الحديث أن وقوع الأسقام والآلام للأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه لينالوا جزيل الأجر ، ولتعرف أممهم وغيرهم ما أصابهم ، ويتأسؤا بهم .

قال القاضى عياض : وليعلم أنهم من البشر تصيبهم محن الدنيا ، ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ على أجسام البشر ، فيستيقنوا أنهم مخلوقون ، ولا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات ، ولا يلبس الشيطان من أمرهم ما لبسه على النصارى وغيرهم (٣) .

★ ★ ★

(١) صحيح البخارى (٣٨/٥) (٦٤) كتاب المغازى - (٢٤) باب ما أصاب النبى - ﷺ - من

الجراح يوم أحد (رقم ٤٠٧٥) .

(٢) طرح التثريب : ٢١٢/٧ .

(٣) المصدر السابق : ٢١٢/٧ - ٢١٣ .

١٠٢ - وقال ^(١) رسول الله - ﷺ - : اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله - ﷺ - في سبيل الله - عز وجل .

(١) م : « وقال : اشتد غضب الله » وكأنه هو وما قبله حديث واحد .
 • رواه أحمد (٩٢/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٨١٩٨ م / ١٠٥) .
 ورواه البخاري (٣٧/٥) - (٦٤) كتاب المغازي - (٢٤) باب ما أصاب النبي - ﷺ - من الجراح يوم أحد - من طريق إسحاق بن نصر عن عبد الزراق ، عن معمر ، عن همام به . وقد رواه هو والحديث السابق (رقم ١٠١) بهذا السند ، وكأنهما حديث واحد ، فلم يفصل بينهما بفصل يبين أنهما حديثان (رقم ٤٠٧٣) .
 كما روى عن ابن عباس نحوه بلفظ « اشتد غضب الله على من قتله النبي - ﷺ - » من الطريق نفسه الذي ذكر في تخریج الحديث السابق (رقم ٤٠٧٦) .
 ورواه مسلم في (١٤١٧/٣) - (٣٢) كتاب الجهاد والسير - (٣٨) باب اشتداد غضب الله - عز وجل - على من قتله رسول الله - ﷺ - بسنده للصحيفة . ومع الحديث السابق بهذا السند .
 ورواه البغوي في (٣٣٥/١٣) باب دعائه - ﷺ - المشركين ، وصبره على أذاهم - بسنده للصحيفة ، وفعل مثل البخاري فرواه هو والحديث السابق بهذا السند دون فاصل بينهما وكأنهما حديث واحد . (رقم ٣٧٥٠) .

شرح الحديث :

١ - احترز بقوله « في سبيل الله » عمن يقتله حذًا أو قصاصًا ؛ لأن من يقتله رسول الله - ﷺ - في سبيل الله كان قاصدا قتله عليه الصلاة والسلام ^(١) .
 ٢ - وقد اتفق ذلك لأبي بن خلف قصد يوم أحد قتل النبي - ﷺ - ، فاعترض له رجال من المؤمنين ، فأمرهم رسول الله - ﷺ - فخلوا طريقه ، وطعنه النبي - ﷺ - بحربة ، فوقع عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم ، فرجع إلى قومه ، وجعل يقول : قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلك ، فوالله لو بصق على لقتلني ، فمات بسرف ، وهم قافلون به إلى مكة . وحكى عنه أنه قال : لو كان هذا الذي بي بأهل ذى الجواز لماتوا أجمعون ^(٢) .

(١) طرح التثريب : ٢١٣/٧ .

(٢) المصدر السابق : ٢١٣/٧ .

١٠٣ - وقال رسول الله - ﷺ - : على ابن آدم نصيب من الزنا ، أدرك ذلك لا محالة . قال : فالعين زنيتهما النظر ، وتصديقها الإعراض ، واللسان زنيته المنطق ، والقلب زنيته التمني ، والفرج يصدق بما ^(١) ثم أو يكذب .

(١) م : مَا تَمَّ .

• رواه أحمد (٩٢/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام . ويحسن بنا ذكره للمقارنة بين الروایتين : « كُيِّبَ على ابن آدم نصيبه من الزنا أدرك لا محالة ؛ فالعين زنيتهما النظر ، ويصدقها الإعراض واللسان زنيته المنطق ، والقلب التمني والفرج يصدق مَا تَمَّ أو يكذب » .

ومعنى « مَا تَمَّ » أى ما هناك من مقدمات الزنا .

وفى النسخة المطبوعة للصحيفة « بِمَاتَمَّ » وأرى أن هذا خطأ ، وأن الهمزة زائدة فى الطبع ، خاصة وأن مخطوطة دمشق التى اعتمد عليها الدكتور حميد الله تهمل النقاط وكثيرا من الهمزات . وفى م « مَا تَمَّ » كما عرفنا . وعلى هذا نرجح أن يكون الصحيح « بِمَاتَمَّ » وبهذا تكون موافقة لرواية الإمام أحمد ولبقية الروايات الأخرى لغير الصحيفة ؛ إذ فى أغلبها « والفرج يصدق ذلك ... » ولهذا أثبتنا فى الأصل « بِمَاتَمَّ » بحذف الهمزة .

وروى البخارى نحوه فى (١٣٠/٧) - (٧٩) كتاب الاستئذان - (١٢) باب زنا الجوارح دون الفرج قال حدثنا الحميدى قال : حدثنا سفيان ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، عن ابن عباس - رضى الله عنهما قال : لم أر شيئا أشبه باللمم من قول أنى هريرة ... » .

قال : وحدثنى محمود (ابن غيلان) أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس قال : ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة ، عن النبى - ﷺ - : « إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا ، أدرك ذلك لا محالة : فزنا العين النظر ، وزنا اللسان المنطق ، والنفس تمنى وتشتى ، والفرج يصدق ذلك ويكذبه . (رقم ٦٣٤٣) .

وأعاد هذا الحديث فى (٢١٤/٧) - (٨٢) كتاب القدر - (٩) باب (وحرام على قرية أهلكتها أنهم لا يرجعون) . ثم قال : وقال شبابة : حدثنا ورقاء ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، عن أنى هريرة عن النبى - ﷺ . (رقم ٦٦١٢) .

وروى مسلم فى (٢٠٤٦/٤) (٤٦) كتاب القدر - (٥) باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره - ما رواه البخارى من طريق عبد الرزاق ، عن معمر (رقم ٢٦٥٧/٢٠) .

كما روى في الموضع نفسه من طريق أبي هشام المخزومي ، حدثنا وهيب ، حدثنا سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه عن أبي هريرة ، عن النبي - ﷺ - : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا ، مدرك ذلك لا محالة ؛ فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه .

وروى أبو داود الحديثين ؛ حديث ابن عباس وحديث أبي هريرة في (٢/ ٦١١ - ٦١٢) (٦) كتاب النكاح - (٤٤) باب ما يؤمر به من غض البصر وفي حديث أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة زيادة « والفم يزني ، فزناه القُبْل » (انظر أرقام : ٢١٥٢ ، ٢١٥٣ ، ٢١٥٤) .

شرح الحديث :

(١) - **على ابن آدم نصيب من الزنا** : أى قدر عليه نصيب من الزنا ، فهو مدرك ذلك النصيب ومرتكب له بلا شك ؛ لأن الأمور المقدرة لابد من وقوعها ، فمنهم من يكون زناه حقيقيا بإدخال الفرج في الفرج الحرام ، ومنهم من يكون زناه مجازياً ؛ إما بالنظر إلى ما يحرم عليه النظر إليه ، وإما بمحادثة الأجنبية في ذلك المعنى ، وإما بالسمع إلى حديثها بشهوة ، وإما بلمسها بشهوة ، وإما بالمشى إلى الفاحشة ، وإما بالتقبيل المُحرَّم ، وإما بالتمنى بالقلب ، والتصميم على فعل الفاحشة ، فكل هذه الأمور مقدمات للزنا ، ويطلق عليها اسم الزنا مجازاً وعلامة المجاز فيها لزوم التقييد ، فإنه لا يصح أن يقال في صاحب النظر المحرم إنه زان مطلقاً بلا قيد .

قال ابن بطال : كل ما كتبه الله على الآدمي فهو قد سبق في علم الله ، وإلا فلا بد أن يدركه المكتوب عليه ، وإن الإنسان لا يستطيع أن يدفع ذلك عن نفسه ، إلا أنه يلام إذا وقع ما نهى عنه بحجب ذلك عنه ، وتمكينه من التمسك بالطاعة ، فبذلك يندفع قول القدرية والمجبرة ^(١) .

ونفهم من هذا وذاك أمرين :

الأمر الأول : أن زنا هذه الأشياء ليس حقيقة ، بل هو مجازى ؛ وإطلاق الزنا عليها من باب إطلاق المسبب وإرادة السبب ، أى هى مقدمات للزنا وأسباب له .

(١) فتح الباري (٥٠٤/١١) .

الأمر الثاني : أن الشرع لا يحاسب الإنسان عما لا يستطيع أن يتجنبه وإنما يحاسبه على اقتراف ما نهاه عنه ويعلم أنه يستطيع أن يتجنبه ولا يعلم ما قدره الله له فيه ، فمثلا النظرة الأولى لا يملكها الإنسان ، وعلى ذلك لا يحاسب عليها ، وأما النظرة الثانية فيستطيع تجنبها ، ولهذا يحاسب عليها ، وسيأتى مزيد لتوضيح هذا إن شاء الله عز وجل .

(٢) - **أدرك ذلك لا محالة :** أى أدرك ذلك الذى كتب عليه وواقعه . وقوله « لا محالة » أى لابد من ذلك ، ومن ذلك قول قس بن ساعدة .

أيقنت أنى لامحاً لة حيث صار القوم صائر

قال فى النهاية : أى لا حيلة ^(١) .

ولا يختص هذا بالزنا وحده ، بل كذلك حكم الله تعالى فى جميع أنواع الخير والشر من كتب له منه شيئا فلا بد له منه ، لا يرده عنه راد ؛ لأنه قد نص العلماء على أن ما قدر على العبد على ضربين : قَدَرٌ قُدِّرَ أن يقع حتماً ، وقدر قدر أن يرده وجهاً ما من الوجوه فذلك الذى ينفع أثر الحكمة فيه ، وهى التسبب فى دفعه ^(٢) .

(٣) - **فالعين زيتها النظر :** بكسر الزاى ، وإسكان النون ، أى هيئة زناها للسبب كهيئة الزنا الحقيقى ، والفعللة بالكسر للهيئة ، ولو روى زيتها بالفتح على المرة لصح ، ولكن الكسر على الهيئة أظهر ، وهو المروى .

والمقصود - كما أشرنا - فيما زاد على النظرة الأولى التى لا يملكها ، فالمراد النظر على سبيل اللذة والشهوة ^(٣) .

(٤) - **وتصديقها الإعراض :** الظاهر أن معناه يصدق العين الإعراض ، أى يجعلها ذات صدق ، فإذا أعرضت بعد نظرها ، وغضت عن النظر المحرم ، فهى

(١) طرح التريب : ١٩/٨ . والنهية (٣٠٤/٤) .

(٢) بهجة النفوس : ١٩٢/٤ - ١٩٣ .

(٣) عمدة القارى : ٢٩٦/١٨ .

ذات صِدْقَ ماشية على الاستقامة ، وتلك النظرة الأولى ، إن كانت عن غير قصد فلا إثم بها ، وهى نظرة الفجأة ؛ وإن كانت عن قصد فقد ثابت ورجعت عنها ^(١) .

وفيه إشارة إلى أنه لا ينبغي النظر مرة بعد أخرى ، بل ينبغي الكف بحسب الإمكان . وفى صحيح مسلم عن جرير - رضى الله عنه : « سألت رسول الله - ﷺ - عن نظر الفجأة فأمرنى أن أصرف بصرى » . وفى سنن أبى داود والترمذى عن بريدة قال : قال رسول الله - ﷺ - لِعَلَى : يا عَلَى : لا تتبع النظرة النظرة ؛ فإن لك الأولى ، وليست لك الآخرة ^(٢) .

وعلى هذا فمعنى التصديق هنا غير معناه فى قوله بعده « والفرج يصدق ما ثم ويكذب » ، فإن معنى التصديق هناك تحقيق للزنى بالفرج ، ومعنى التكذيب ألا يحققه بالإيلاج ، فصارت تلك النظرة كأنها كاذبة لم يتصل بها مقصودها ، فالتصديق هنا محمود ، والتصديق هناك مذموم ^(٣) .

(٥) - واللسان زنيته المنطق : زنا المنطق فيما يلتذ به من محادثة ما لا يحل له ذلك منه ^(٤) .

وذكره العين واللسان هو من باب التنبيه بالأعلى على الأدنى ؛ لأن لكل جارحة زنا وهو خروجها فى تصرفها عما شرع لها ، فإن اليد لما لمست ما لم يجز لها ، وكذلك الأذن إذا سمعت ما لا يجوز لها فقد زنت وكذا جميع الحواس ؛ زنا كل جارحة بحسب خروجها عما شرع لها .

لكن لا تخلو كل جارحة من الجوارح أن يكون خروجها عما شرع لها مما هو من أسباب النكاح وأدواته ، أو من غير ذلك ، فإن كان مما هو من أسباب النكاح وأدواته فهو الذى يكون الفرج يصدقه أو يكذبه - كما فى آخر الحديث - وهو الذى أشار إليه

(١) طرح التثريب : ٢٠/٨ .

(٢) المصدر السابق : ٢٠/٨ .

(٣) المصدر السابق : ٢٠/٨ .

(٤) عمدة القارى : ٢٩٦/١٨ .

سيدنا رسول الله ﷺ في الحديث الذى نحن بسبيله ، وإن كان خروجها عما شرع لها لا يكون كذلك فليس من هذا الحديث الذى نحن بسبيله ، ولها حكمها منصوص عليه في موضعه ، مثال ذلك الغيبة التى هى مختصة باللسان ، وهى من الكبائر بلا خلاف ؛ لقوله - ﷺ : « الزنا اثنان وسبعون باعاً أدناه مثل أن يطاء الرجل أمه ، وإن أرى الربا استطالة لسان المسلم في عرض أخيه » ، فمن وقع في الغيبة بلسان فقد تحقق عليه إثم الغيبة ولا يحتاج في ذلك إلى جارحة أخرى تصدقه أو تكذبه (١) .

(٦) - **والقلب زنيته القنى** : قد يستدل به على تحريم قنى الزنا بالقلب ، ويعارضه ما صحح وثبت من أن الخواطر والوساوس معفو عنها ، فلا مؤاخذة بها ، فيحمل هذا الحديث على العزم على ذلك والجزم به ، فإنه من المحقق المؤاخذة بالعزم المستقر ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « القاتل والمقتول في النار ، قالوا : يا رسول الله ، هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصاً على قتل أخيه » .

أو يحمل هذا الحديث على قنى حل الزنا ؛ فإن ذلك حرام ؛ لأنه لم يحل في ملة من الملل ، بل حكى عن الحنفية الكفر بذلك ، لكن قال النووي : الصواب أنه لا يكفر إذا لم يكن نية (٢) .

قال ابن حجر في العبارة المقابلة لهذه العبارة في الرواية الأخرى : « والنفس تتمنى ذلك وتشتهى » يعود على ما ذكر في الحديث ؛ لأنها مطبوعة على تمنى جميع الشهوات حلالاً كانت أو حراماً ، لكن لا يضر ذلك إذا زجرها صاحبها ولم يوافقها على ذلك ، ودخل تحت معنى قوله تعالى : (ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى) (٣) ، فإن لم ينهها ولم يقع ما طلبته منه بحكم الوفاق لم يكن من أحد القسمين ، ولم يكن ممن ينطلق عليه اسم زانٍ ؛ لأنه لم يقع الفعل بالفرج الذى هو يصدقه ، ولم يكن أيضاً ممن

(١) بهجة النفوس : ١٩٢/٤ .

(٢) طرح التثريب : ٢١/٨ .

(٣) النزاعات : ٤٠ - ٤١ .

زجر النفس عن الهوى ، فتكون الجنة له مأوى ، وكذلك كلما حدثت به النفس من غير ذلك إنما هو مفتقر إلى ظهوره على جارحة من الجوارح التي ذلك الفعل يختص بها ، فإن هو زجرها ونهاها كان هو من المفلحين ، وإن هو وافقها حتى ظهر ذلك على تلك الجارحة كان من الخاسرين ... » (١) .

(٧) - والفرج يصدق بما ثم أويكذب : أى والفرج يصدق ما هناك المذكور من مقدمات الزنا ، كزنا العين ، وزنا اللسان .

وأتى بإشارة البعيد دون القريب لاستقذار الفواحش وتبعيدها عن النفس ، ولا ينبغي التعبير عنها إلا بما يعبر به عن البعيد حساً (٢) .

وهذه العبارة الأخيرة تدل على أنه لا يراد بفعل ما قبلها زناً حقيقة ، إذ الحقيقى هو بالفرج ، ولهذا - وإن كان النظر محرماً - لا يترتب عليه حكم الزنا من إيجاب حد ولا غيره ، وإنما يجب الحد فى الزنا الحقيقى ، بل لا يؤاخذ به إذا لم يقع مرتكبه فى الكبائر عفواً وكرماً ، قال الله تعالى : (إن تجتنبوا كبائر ما تُنْهَوْنَ عنه نكفر عنكم سيئاتكم ، وندخلكم مدخلا كريماً) (٣) فجعل الصغائر مكفرة باجتناب الكبائر . وقال تعالى : (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللّم إن ربك واسع المغفرة) (٤) وهو على المشهور ما يلزم به الإنسان من صغائر الذنوب التي لا يكاد يسلم منها إلا من عصمه الله عز وجل .

وهذا ما فهمه ابن عباس - رضى الله عنه - من هذا الحديث ، فقال : ما رأيت شيئاً أشبه باللّم مما قاله أبو هريرة عن النبى - ﷺ ثم روى هذا الحديث ، وكان قد سئل عن اللّم ، وهو يريد تفسير هذه الآية الكريمة (٥) .

(١) بهجة النفوس : ١٩٣/٤ .

(٢) طرح التثريب : ٢٢/٨ .

(٣) النساء : ٣١ .

(٤) النجم : ٣٢ .

(٥) طرح التثريب : ٢١/٨ .

والحديث - كما هو واضح - يحذر من الزنا عندما يبين أن هناك مقدمات طبيعية يمكن أن تقود المسلم إلى الزنا الحقيقي ، فعليه أن يحذرهما ما أمكنه الحذر ، فلا يستهين بهما ، أو يسترسل فيها ؛ لأن الرسول - ﷺ - أطلق عليها كلمة « الزنى » .

قال ابن أبي جمرة : ويترتب على فهم الحديث لشرحه فائدتان :

إحداهما : أن تجتهد في أفعال الخير لعله يدفع عنك بها من الشر ما لا تعلمه وقد كتب عليك ، فتكون ممن وقاه معروفه مصارع سوء .

والأخرى : دوام الخوف ، وإن كنت على أرفع الأحوال ، وعلى أى حالة كنت ، خوفاً من أن يكون قد سبق عليك في الكتاب الختم بما لا تطيقه وأنت لا تعلم ، ومن أجل هذه الإشارة قال جل جلاله : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) جعلنا الله ممن يخشاه ، وكانت خشيته سببا إلى سعادته بمنه (١) .

وإذا كان هذا الأمر واضحاً فقد أعطاه بعض الآثمين معنى يسوّغ له به إنكاره ، فقد رأى أن « فيه حجة تعطى المنحرفين حجة التعلل بأن الزنا حجة تجعل الزانى مسيراً إلى الزنا » (٢) .

ثم بنى على ذلك كل تخريفه وتضليله ودعّمه لإنكار أحاديث البخارى الصحيحة وكل ما قاله يدور حول هذا : أن الحديث يبين أنه لا دخل للإنسان في الزنا الذى سيرتكبه ، وهذا يتنافى مع الأمر فى القرآن الكريم بغض البصر ، وأن الله لا يظلم الناس شيئا إلى آخر تخريفاته .

ونقول : لقد رأينا أن ما كتبه الله على ابن آدم - مما ذكره رسول الله - ﷺ - لا يسمى زنا حقيقة : وإنما هو تعبير على سبيل المجاز ، أما الزنا الحقيقى فهو فى حالة واحدة فقط ، وهى الأخيرة ، أى حالة فعل الفرج .

(١) بهجة النفوس (١٩٣/٤) .

(٢) الأضواء القرآنية : ٣٠٦/٢ .

ويمكننا أن نقول : فعل هذه الأمور على ثلاثة أنواع - كما فهمناه من الحديث وشرحه :

١ - فعل مدفوع إليه الإنسان ، والقدر هو الدافع إليه ؛ وهو النظرة الأولى ، أو نظرة الفجأة ، وهذا معفو عنه « لك النظرة الأولى وعليك الثانية » ، وينطبق على هذا ما يترامى إلى سمع الإنسان دون قصد منه إلى سماعه .

٢ - فعل له دخل فيه ، حتى وإن كان الله تعالى قد قدره عليه ، فهو لا يعلم ما قدره عليه ولهذا رتب عليه الشارع إثماً ، وإن كان هذا الإثم من اللوم - كما فسر ابن عباس رضى الله عنه - ولكنه ليس من الكبائر ، التى لا تغفر إلا بتوبة متحققه بشروطها ، وهذا فى الحديث تلك الأفعال التى يفعلها المرء - كمقدمات للزنا .

٣ - فعل له دخل فيه مثل الثانى ، ومقدر عليه ما لا يعلمه ، ولذلك يتحمل مسئوليته ، وهو من الكبائر ، وهو عمل الفرج الذى نهى الله عز وجل عنه - وهو الذى يطلق عليه الزنا الحقيقى ، ويترتب عليه الحد ؛ لأنه عمله باختياره كما سبق أن قلنا إن هناك قدراً قدر الله عز وجل أن يدفعه بوجه ما من الوجوه ، وهو الذى ينفع أثر الحكمة فيه ، وهى التسبب فى دفعه .

وهذا الفهم الصحيح للحديث هو الذى يرشدنا إلى أن الحديث رَسَمَ لواقع الإنسان وطبيعته ؛ ليتبين أمره ، وما ينبغى عليه أن يفعله ، ويأخذ منه حذره ، والقدر لم يكن حجزاً للمؤمنين كى يتدفعوا إلى ما حرم الله عز وجل ، فكل ما يقع بقدر من الله سبحانه وتعالى ، ولكن هذا القدر لا يعلمه المؤمن ، وإذا تجنب الزنا ومقدماته فهو القدر بعينه ، وهو مطالب بأن يطيع الله عز وجل ورسوله - ﷺ - فى نهيهما . وهما لا ينهايان إلا ما يستطيعه المؤمن : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) ^(١) .

والقرآن الكريم قد حكى أن المتعللين بالقدر مكذِّبين وليس عندهم علم ، وهذا ينبغى أن يكون مستقراً فى ضمير المؤمن وهو يفهم مثل هذا الحديث ، قال تعالى : (سيقول

الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمانا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل : هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن ، وإن أنتم إلا تخرصون » (١) .

والحديث بهذا لا يتنافى مع قوله تعالى : (بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره) (٢) كما يزعم هذا الرجل ؛ لأن الله لا يحاسبه إلا على فعله واختياره في فعل هذه الأمور بصرف النظر عن كونها مقدرة عليه ؛ لأن ما يفعله هو ما يوافق القدر دائماً إيجاباً أو سلباً ، وكما يفعل الطاعة بالقدر ويثاب عليها ، يفعل المعصية بقدر ويعاقب عليها لأن المناط في ذلك هو الاختيار والإرادة منه ، وهو حر فيهما ، والله يعلم منه أولاً ما يريد ، ويختاره له فيقدره عليه .

كما أنه لا يتنافى مع قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) (٣) لأن معنى الحديث أنه إذا قدر على الإنسان نظرة مفاجئة تقع على الجنس الآخر ، فليحذر النظرة الثانية لأنها مقدمة لتصديق الفرج فيقع في كبيرة ، فالحديث والآية يسيران في اتجاه واحد .

كما لا يتنافى مع قول الله تعالى (إن الله لا يظلم الناس شيئاً) (٤) لأنه لا يتعرض للثواب والعقاب ، وقد فهم العلماء من الحديث أن الله تعالى لا يحاسب على النظرة الأولى ؛ لأنها ليست بإرادة الإنسان ؛ بل هو يتجاوز عن فعل الإنسان الذي هو دون الزنا الحقيقي بفضلته تعالى وكرمه ، إذن فالحديث يقول : إن الإنسان إذا ارتكب الزنا الذي اعتبر كبيرة في القرآن والسنة فهو الذي ظلم نفسه كما تقول الآية ؛ لأنه حذر من المقدمات التي تؤدي إليه ، فمعنى ذلك أنه لم يحذر وأدى تصرفه إلى ما لا تحمد عقباه من تحقيق الكبيرة « والفرج يصدق ذلك » إذن فقد ظلم نفسه ، ولم يظلمه ربه عز وجل .

نعوذ بالله تعالى من أن نقول عن حديث رسوله ﷺ - بغير علم كما يفعل هؤلاء المخرفون . والله تعالى من وراء القصد .

(١) الأنعام : ١٤٨ .

(٢) القيامة : ١٤ ، ١٥ .

(٣) النور : ٣٠ .

(٤) يونس : ٤٤ .

١٠٤ - وقال رسول الله - ﷺ - : إِذَا أَحْسَنَ ^(١) أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ فكل حسنه يعملها تكتبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إلى سبع مائة ضِعْفٍ ، وكل سيئة يعملها تكتبُ له بمثلها حتى يلقي الله عز وجل .

(١) م : أحدث .

• رواه أحمد (٩٣/١٦ ، ٩٤) ضمن روايته لصحيفة همام ، وقد اختلف الترتيب عنده عما في الصحيفة ؛ إذ روى حديثاً قبله هو آخر حديث في الصحيفة المفردة : « أياً قرية أتيتموها فأقمتم فيها ... » (رقم ١٠٨/٨٢٠١) .
ورواه البخاري في (١٦ ، ١٥/١) - (٢) كتاب الإيمان - (٣١) باب حسن إسلام المرء - عن إسحاق بن منصور قال : حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر به ، وفيه « بعشرة » وليس فيه : « حتى يلقي الله عز وجل » (رقم ٤٢) .

كما روى قبله تعليقاً عن مالك عن زيد بن أسلم أن عطاء بن يسار أخبره أن أبا سعيد الخدري أخبره أنه سمع رسول الله - ﷺ يقول : « إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان زلَّفها ، وكان بعد ذلك القصاص : الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، والسيئة بمثلها ، إلا أن يتجاوز الله عنها » (رقم ٤١) .
ورواه مسلم في (١١٨/١ - ١١٩) - (١) كتاب الإيمان - (٥٩) باب إذا هم العبد بحسنة كتبت ، وإذا هم بسيئة لم تكتب - رواه مع حديثين بسنده للصحيفة ، وهو ثالث الأحاديث (رقم ١٢٩/٢٠٥) والحديث الأول مر في الصحيفة برقم (٥٤) ص ١٨٨ من هذا الكتاب ، والحديث الثاني سيأتي - إن شاء الله تعالى - برقم (١٠٦) .

ومن العجيب أن متمم مسند أحمد بعد الأستاذ أحمد شاعر قد ذكر أن مسلماً أخرجه ثم نقل الحديثين الأولين بلفظهما مع السند ، ولم يذكر الثالث ، وهو هذا الحديث ، مما يوهم بأن مسلماً لم يرو لفظ هذا الحديث . (هامش المسند ٩٣/١٦ ، ٩٤) .

ورواه البغوي في (٣٣٨/١٤) في كتاب الرقاق - باب ثواب من عمل حسنة أو هم بها . بسنده للصحيفة ، وروى معه الحديثين اللذين رواهما مسلم معه بذلك السند (رقم ٤١٤٨) وقال : هذا حديث متفق على صحته .

شرح الحديث :

إذا أحسن أحدكم إسلامه : قال بعض العلماء : أى صار إسلامه حسناً باعتقاده وإخلاصه ودخوله له فيه بالباطن والظاهر ، وأن يستحضر عند عمله قرب ربه منه وإطلاعه عليه ، كما دل عليه الإحسان فى حديث سؤال جبريل - عليه السلام ^(١) .

قال ابن بطال : قوله « فحسن إسلامه » قد فسره عليه الصلاة والسلام حين سئل : (ما الإحسان ؟ فقال أن تعبد الله كأنك تراه) أراد مبالغة الإخلاص لله تعالى بالطاعة والمراقبة له ^(٢) .

وأصحاب هذا التفسير يرون أن مضاعفة الحسنات على هذا النحو يتطلب شيئاً زائداً على مجرد الإسلام .

ويرى آخرون أن معنى هذه العبارة : « أحسن أحدكم إسلامه » أى أسلم إسلاماً حقيقياً وليس كإسلام المنافقين ^(٣) ، ولا يراد بذلك قدر زائد على حقيقة الإسلام . قال النووي : وهذا معروف فى استعمال الشرع ؛ يقولون : « حسن إسلام فلان » إذا دخل فيه حقيقة بإخلاص ، وساء إسلامه أو لم يحسن إسلامه ، إذا لم يكن كذلك ^(٤) .

قال ابن العراق مرجحاً هذا الرأى الثانى الذى عرضه فى كتابه أولاً - قال : والأول هو الظاهر ، ولا يتوقف كون الحسنة بعشر أمثالها وغير ذلك مما ذكر فى هذا الحديث على أن يكون الفاعل لذلك مبالغاً فى الإخلاص لله تعالى بالطاعة والمراقبة له ، بل مجرد الإسلام الذى هو شرط صحة العبارة كافٍ فى ذلك ، ولا يحتز بذلك إلا عن النفاق . والله أعلم ^(٥) .

(١) فتح البارى : ٩٩/١١ .

(٢) طرح التثريب : ٢٣٢/٨ .

(٣) شرح مسلم للنووى : ٣٣٤/١ .

(٤) المصدر السابق : ٣٢٣/١ .

(٥) طرح التثريب : ٢٣٢/٨ .

تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف : هو من باب التكثير والتضعيف ، لا من باب حصر العدد ؛ كقوله سبحانه وتعالى : (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة)^(١) ، وكذلك قوله عز وجل : (إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم)^(٢) . لم يرد أنه عليه السلام إن زاد على السبعين غفر لهم ، ولكن معناه : فإن استكثر من الدعاء للمنافقين والاستغفار لهم لم يغفر الله - عز وجل - لهم ، والعرب تضع التسبيع موضع التضعيف ، وإن جاوز السبع . حكى أن أعرابيا أعطاه رجل درهما فقال : سبّع الله له الأجر ؛ أراد التضعيف^(٣) .

وفي الصحيحين عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - عن رسول الله - ﷺ - فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى : « إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ؛ فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عز وجل عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة » وهو صريح في أن التضعيف لا يقف على سبعمائة ، بل قد يزيد عليها لمن أراد تعالى زيادته له ، وهو أحد القولين في قوله تعالى : (والله يضاعف لمن يشاء) .

وحكى الماوردى أن بعض العلماء أخذ بهذه الغاية فزعم أن التضعيف لا يتجاوز سبعمائة .

قال الإمام النووي ذاكراً للرأين مرجحاً الرأى الأول : « وأما قوله - ﷺ - : « إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة » ففيه تصريح بالمذهب الصحيح المختار عند العلماء أن التضعيف لا يقف على سبعمائة ضعف ، وحكى أبو الحسن أقصى القضاة الماوردى عن بعض العلماء : أن التضعيف لا يتجاوز سبعمائة ضعف ، وهو غلط ؛ لهذا الحديث . والله أعلم^(٤) .

(١) البقرة : ٢٦١ .

(٢) التوبة : ٨٠ .

(٣) شرح السنة : ٢٣٨/١٤ - ٢٣٩ .

(٤) شرح مسلم للنووى : ٣٣٧/١ .

وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها : وهذا يقتضى أن السيئات لا تضاعف ، وهذا من رحمة الله عز وجل وفضله وكرمه .

لكن يستثنى من ذلك ما فى القرآن الكريم فى أمهات المؤمنين - رضوان الله عليهن - : (يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) ^(١) وذلك لشرفهن - رضى الله عنهن - وعلو مرتبتن ، وأن الفاحشة منهن عظيمة الموقع ؛ لشدة تأذى النبى - ﷺ - بها ، وكذلك جاء فى سيئات الحرم وقد ذكرنا ذلك من قبل ^(٢) .

وفى الحديث مع ما تقدم : بيان ما تفضل الله عز وجل على هذه الأمة من مضاعفة حسناتهم إلى ما لا يحصى والمجازاة على السيئة بمثلها . وفيه ترجيح جانب الرجاء ، وفى صحيح مسلم فى آخر حديث ابن عباس : « ولا يهلك على الله - عز وجل - إلا هالك » . قال القاضى عياض : معناه من حُتِّم هلاكه وسدت عليه أبواب الهدى مع سعة رحمة الله تعالى وكرمه ، وجعله السيئة حسنة إذا لم يعملها ، وإذا عملها واحدة والحسنة إذا لم يعملها واحدة وإذا عملها عشرة إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، فمن حرم هذه السعة وفاته هذا الفضل وكثرت سيئاته حتى غلبت - مع أنها أفراد - حسناته - مع أنها متضاعفة - فهو الهالك المحروم ^(٣) . والله عز وجل أعلى وأعلم .

(١) الأحزاب : ٣٠ .

(٢) ص ١٩٣ من هذا الكتاب .

(٣) طرح التثريب : ٢٣٣/٨ .

١٠٥ - وقال رسول الله - ﷺ - : إذا ^(١) أمَّ أحدكم للناس فَلْيُخَفِّفْ الصلاة ؛ فإن فيهم الكبير ، وفيهم الضعيف ، وفيهم السقيم . وإن قام وحده فَلْيُطِلْ صلاته ما شاء .

(١) م : إذا ما أم .

• رواه عبد الرزاق في المصنف في (٣٦٢/٢) باب تخفيف الإمام قال : عن معمر ، عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله - ﷺ - : ... وفيه : « وإذا صلى وحده فليطيل صلاته ما شاء » . (رقم ٣٧١٢) .
ورواه أحمد (٩٤/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام . (رقم ١٠٩/٨٢٠٢) .
وفيه « إذا ما قام أحدكم للناس » .

ورواه مسلم في (٣٤١/١) - (٤) كتاب الصلاة - (٤٧) باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام - بسنده للصحيفة ولفظه : « إذا ما قام أحدكم للناس فليخفف الصلاة ؛ فإن فيهم الكبير ، وفيهم الضعيف ، وإذا قام وحده فليطيل صلاته ما شاء » . (رقم ٤٦٧/١٨٤) .
وروى شواهد لهذا الحديث ومتابعات له ، منها :

١ - من طريق المغيرة بن عبد الرحمن الحزامي ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة نحوه (رقم ٤٦٧/١٨٣) .

٢ - من طريق هشيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ، عن أبي مسعود الأنصاري قال : جاء رجل إلى رسول الله - ﷺ - فقال : إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا ، فما رأيت النبي - ﷺ - غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ ، فقال : يا أيها الناس ، إن منكم منفرين ، فأياكم أم الناس فليؤجر ، فإن من ورائه الكبير والضعيف وذو الحاجة . (رقم ٤٦٦/١٨٢) .

٣ - ومن طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة نحوه (٤٦٧/١٨٥) .

٤ - ومن طريق عمرو بن عثمان ، عن موسى بن طلحة حدثني عثمان بن أبي العاص الثقفي أن النبي - ﷺ - قال له : أم قومك . قال : قلت : يا رسول الله ، إني أجد في نفسي شيئاً . قال : ادنه ، فجلستني بين يديه ، ثم وضع كفه في صدرى بين ثديي ، ثم قال : تحول . فوضعها في ظهري بين كتفي ، ثم قال : أم قومك ، فمن أم قوماً فليخفف ، فإن فيهم الكبير ، وإن فيهم المريض ، وإن فيهم الضعيف ، وإن فيهم ذو الحاجة ، وإذا صلى أحدكم وحده فليصل كيف شاء .

وهناك أحاديث أخرى نذكرها في الشرح إن شاء الله تعالى .

وروى البخارى في (١٧٢/١) - (١٠) كتاب الأذان - (٦٢) باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء - نحوه من طريق مالك ، عن أنس الزناد ، عن الأعرج ، عن أنس هريرة نحوه (رقم ٧٠٣) .

كما روى أحاديث أخرى في الأبواب التي قبل هذا الباب والتي بعده سنذكر منها في الشرح - إن شاء الله تعالى .

ورواه البيهقي في (٤٠٧/٣) باب الإمام يخفف للصلاة - بإسنادين : أحدهما ينتهي إلى أنس القاسم عبيد الله بن إبراهيم بن بالوية المزكى ، عن أحمد بن يوسف السلمى ، وثانيهما إلى أنس بكر محمد بن الحسين القطان عن أحمد بن يوسف السلمى عن عبد الرزاق به وفيه : « إذا ما أم أحدكم » وقال : هذا حديث متفق على صحته . (رقم ٨٤٢) .

شرح الحديث :

إذا أم أحدكم للناس فليخفف الصلاة :

١ - في هذا أمر الأئمة بتخفيف الصلاة مراعاة لحال المأمومين . قال ابن عبد البر : التخفيف لكل إمام أمر مجمع عليه مندوب عند العلماء إليه . وقال أيضاً : لا أعلم بين أهل العلم خلافاً في استحباب التخفيف لكل من أم قوماً على ما شرطنا من الائتمام بأقل ما يجزىء ^(١) .

ولكن الترمذى ذكر ما يقتضى خلافاً بين أهل العلم ؛ إذ قال بعد أن روى حديث الأعرج عن أنس هريرة : « إذا أم أحدكم الناس فليخفف ، فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض ، فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء » قال : حديث أنس هريرة حديث حسن صحيح ، وهو قول أكثر أهل العلم ^(٢) .

قال صاحب طرح التثريب : وكأن الترمذى توهم الخلاف في ذلك من قول ابن أنس شعبة في مصنفه في التثريب « التخفيف في الصلاة ، من كان يخففها » ^(٣)

(١) طرح التثريب : ٣٤٦/٢ .

(٢) سنن الترمذى في (٤٦١/١ - ٤٦٢) أبواب الصلاة - (١٧٥) باب ما جاء إذا أم أحدكم الناس فليخفف - (رقم ٢٣٦) .

(٣) مصنف ابن أنس شعبة : (٥٤/٢) - كتاب الصلاة .

وليس ذلك صريحاً في وجود الخلاف ^(١) ؛ لأن ابن أبي شيبة لم يبوب على التطويل المقابل للتخفيف كعادته عندما يكون خلافاً ولأنه يحتمل سلوك العلماء في الصلاة ما بين مخفف ومطول عندما يكونون منفردين أو محصور عددهم ، فهذا ما تدل عليه بعض رواياته .

ومهما يكن من أمر فقد روى ابن أبي شيبة في الباب المذكور عن ثابت البناني قال : صليت مع أنس العتمة ، فتجوز ما شاء الله ، وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال : كان أبي إذا صلى في المسجد خفف الركوع والسجود وجوز ، وإذا صلى في بيته أطال الركوع والسجود والصلاة ، فقلت له ، فقال : إنا أئمة يقتدى بنا ، وعن أبي رجاء - وهو العطاردي قال : رأيت الزبير بن العوام صلى صلاة خفيفة ، فقلت : أنتم أصحاب رسول الله - ﷺ أخف الناس صلاة ، فقال : إنا نبادر هذا الوسواس ، وعن عمار بن ياسر أنه قال : احذفوا هذه الصلاة قبل وسوسة الشيطان ، وعن حذيفة أنه علم رجلاً فقال : إن الرجل ليخفف الصلاة ، ويتم الركوع والسجود ، وعن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبيه قال كان يصلي خلف أبي هريرة . قال : وكانت صلاته نحواً من صلاة قيس يتم الركوع والسجود ويجوز . قال فقليل لأبي هريرة : هكذا كانت صلاة رسول الله - ﷺ ؟ قال : نعم وأجوز وعن إسماعيل بن أبي خالد عن أبيه قال : رأيت أبا هريرة صلى صلاة تجوز فيها ، فقلت له : هكذا كانت صلاة النبي - ﷺ - قال : نعم وأجوز . وعن عمرو بن ميمون : لما طعن عمر ، وهاج الناس تقدم عبد الرحمن بن عوف ، فقرأ بأقصر سورتين في القرآن : (إن أعطيناك الكوثر) و (إذا جاء نصر الله والفتح) ، وعن إبراهيم النخعي أنه كان يخفف الصلاة ، ويتم الركوع والسجود ، وعن أبي مجلز قال : كانوا يتمون ويجوزون ويبادرون الوسوسة ، وعن عمر بن ميمون قال : ما رأيت الصلاة في موضع أخف منها فيما بين هذين الحائطين - يعني مسجد الكوفة الأعظم ، وعن النعمان بن قيس قال : كن النساء إذا مررن على عبيدة وهو يصلي قلن خففوا ، فإنها صلاة عبيدة - يعني من خفتها ^(٢) .

(١) طرح الثريب : ٣٤٦/٢ - ٣٤٧ .

(٢) المصنف : ٥٦/٢ - ٥٧ .

روى هذه كلها ابن أبى شيبه مما يبين أنه لا خلاف بينهم في تخفيف الصلاة - وخاصة في حال الجماعة ، اللهم إلا إذا كانوا محصورين في العدد ولا يخشى من الإطالة عليهم من بأس .

قال الإمام البغوي : وهذا قول عامة العلماء ، اختاروا ألا يطيل الإمام الصلاة مخافة المشقة على الضعيف ، والإطالة على ذى الحاجة ، فإن أراد القوم كلهم الإطالة فلا بأس (١) .

٢ - التطويل والتخفيف من الأمور الإضافية ، فقد يكون الشيء طويلاً بالنسبة إلى عادة قوم ، وقد يكون خفيفاً بالنسبة إلى عادة آخرين ، وقد قال بعض الفقهاء : إنه لا يزيد الإمام على ثلاث تسبيحات في الركوع والسجود ، والمرى عن الرسول - ﷺ - أكثر من ذلك ، مع أمره بالتخفيف ، فكأن ذلك ؛ لأن عادة الصحابة لأجل شدة رغبتهم في الخير يقتضى ألا يكون ذلك تطويلاً ، هذا إذا كان فعل النبي - ﷺ - ذلك عاماً في صلواته أو أكثرها ، وإن كان خاصاً ببعضها فيحتمل أن يكون لأن أولئك المأمومين يؤثرون التطويل ، وهو متردد بين ألا يكون تطويلاً بسبب ما يقتضيه حال الصحابة ، وبين أن يكون تطويلاً لكنه بسبب المأمومين ، وظاهر الحديث المروى : لا يقتضى الخصوص ببعض صلواته - ﷺ (٢) .

وينبغي أن يكون الحد الأدنى من التخفيف أن يكون بحيث لا يخل بسنتها ومقاصدها . وقال ابن حزم الظاهري لما ذكر قوله - ﷺ - في حديث عثمان بن أبى العاص : « واقدروا القوم بأضعفهم » (٣) هذا حد التخفيف ، وهو أن ينظر ما يحتمل أضعف من خلفه ، وأمسهم حاجة ؛ من الوقوف والركوع والسجود فليصل على حسب ذلك .

(١) شرح السنة : ٤٠٩/٣ .

(٢) لإحكام الأحكام لابن دقيق العيد : ١٨٨/١ .

(٣) أخرجه أبو داود والنسائي ، وإسناده حسن ، وأصله في مسلم (فتح الباري ١٩٩/٢) .

لكن ضبط بعضهم ما يحصل به التخفيف من تسبيحات الركوع والسجود وغيرهما بأن يقتصر في الركوع والسجود على ثلاث تسبيحات ، وقيل : خمس ، ولا يضم إليه « اللهم لك ركعت ... » إلى آخره في الركوع ، ولا « اللهم لك سجدت » إلى آخره في السجود ، إلا إن انحصر المأمومون ، ورضوا بالتطويل ، وأن يكون الدعاء بعد التشهد والصلاة على النبي - ﷺ - أنقص منهما ^(١) .

وأما القراءة ففي مسلم من طريق الليث ، عن أنى الزبير ، عن جابر أنه قال : « صلى معاذ بن جبل الأنصاري لأصحابه العشاء ، فطَوَّلَ عليهم ، فانصرف رجل منا ، فصلى ، فأخبر معاذ عنه ، فقال : إنه منافق ، فلما بلغ ذلك الرجل دخل على رسول الله ﷺ فأخبره ما قال معاذ ، فقال له النبي - ﷺ - : أتريد أن تكون فتاناً يا معاذ ؟ ، إذا أمت الناس فاقرأ بـ (الشمس وضحاها) ، و (سُبْحِ اسم ربك الأعلى) ، و (اقرأ باسم ربك) ، و (والليل إذا يغشى) .

وقد جمع حد أدنى الإتمام قوله - ﷺ - للمصلى الذى يسئ إلى صلاته « إذا أقيمت الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم افعِلْ ذلك في صلاتك كلها » ، ويقول عليه الصلاة والسلام : « كل ركعة لم تقرأ فيها بأم القرآن فهي خِذاج ، هي خِذاج ، هي خِذاج (أى ناقصة) ، لأن التمام في الصلاة في ثلاثة أشياء : في الإجزاء في القراءة ؛ وفي إكمال الأركان ؛ وفي إكمال عدد الركعات فيكون ذلك بعد تحقيق دخول وقتها ^(٢) .

٣ - والأمر بالتخفيف على سبيل الاستحباب ، وذهب جماعة إلى الوجوب

تمسكاً بظاهر الأمر . قال ابن حزم الظاهري : يجب على الإمام التخفيف إذا أم جماعة لا يدرى طاقتهم وقال ابن عبد البر المالكي : في هذا الحديث أوضح الدلائل على أن أئمة

(١) طرح الثريب : ٣٤٩/٢ .

(٢) بهجة النفوس : ٤/٢ .

الجماعة يلزمهم التخفيف لأمر رسول الله - ﷺ - إياهم بذلك ، ولا يجوز لهم التطويل ؛ لأن في الأمر لهم بالتخفيف نهياً عن التطويل ، وكذا قال ابن بطال في شرح البخارى : فيه دليل أن أئمة الجماعة يلزمهم التخفيف ؛ لأمر رسول الله - ﷺ - لهم بذلك (١) .

فإن فيهم الكبير ، وفيهم الضعيف ، وفيهم السقيم .

١ - هذه علل الحكم بالتخفيف ، ويجمعها كلها مشقة التطويل ، ويمكن أن تكون هناك أمور أخرى تمثل مشقة على المصلين ، فتكون مندرجة تحت هذا الحكم ؛ وذلك : مثل بكاء طفل التى تصلى فى الجماعة ؛ فقد روى البخارى بسنده عن يحيى بن أبى كثير ، عن عبد الله بن أبى قتادة ، عن أبيه أبى قتادة ، عن النبى - ﷺ - قال : إني لأقوم فى الصلاة أريد أن أطول فيها ، فأسمع بكاء الصبى ، فأَتَجَوَّزُ فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه (٢) ؛ ومثل أن تكون لأحد المصلين حاجة مؤقتة بوقت ، وذلك مثل ما فى حديث جابر بن عبد الله ، فقد روى البخارى بسنده إلى شعبة قال : حدثنا محارب بن دثار قال : سمعت جابر بن عبد الله الأنصارى قال . أقبل رجال بناضحية - وقد جنح الليل - فوافق معاذاً يصلى ، فترك ناضحه وأقبل إلى معاذ ، فقرأ بسورة البقرة والنساء - فانطلق الرجل ، وبلغه أن معاذاً نال منه ، فأتى النبى - ﷺ - فشكا إليه - معاذاً ، فقال النبى - ﷺ - يا معاذ ، أفتان أنت - أو أفاتن أنت (ثلاث مرار) ، فلولا صليت بسبِّح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها والليل إذا يغشى ؛ فإنه يصلى وراءك الكبير ، والضعيف ، وذو الحاجة (٣) .

قال ابن دقيق العيد مسجلاً هذا : لما ذكرت العلة وجب أن يتبعها الحكم ، فحيث يشق على المأمومين التطويل ويريدون التخفيف يؤمر بالتخفيف ، وحيث

(١) طرح التثريب : ٣٤٨/٢ .

(٢) صحيح البخارى (١٧٣/١) - (١٠) كتاب الأذان - (٦٥) باب من أخف الصلاة عند بكاء

الصبى (رقم ٧٠٧) .

(٣) صحيح البخارى (١٧٣/١) - (١٠) كتاب الأذان - (٦٣) باب من شكا إمامه إذا طول . (رقم

لا يشق ، أو لا يريدون التخفيف لا يكره التطويل ، وعلى هذا قال الفقهاء : إنه إذا علم من المأمومين أنهم يؤثرون التطويل طَوَّلَ ، كما إذا اجتمع قوم لقيام الليل ، فإن ذلك وإن شق عليهم فقد آثروه ودخلوا عليه (١) .

٢ - والنقطة الأخيرة التى آثارها ابن دقيق العيد ركز عليها ابن أبى جمرة ، وبين أن عادة النبى - ﷺ وأصحابه التطويل ، وأن التخفيف إنما يكون فى حالات مستثناة لأنهم كانوا يحبون ذلك ويألفونه . قال مبينا ذلك : « وما نفهم التخفيف حتى نذكر شيئاً من عاداتهم المنقولة عنهم فى طول صلواتهم ؛ لأن الله تعالى قد أمر بإطالة الصلاة فى كتابه حيث يقول : (وقوموا لله قانتين) والقنوت فى الصلاة لغة هو طول القيام فيها ، وما كان النبى - ﷺ ولا الصحابة أن يتركوا ما هو أقل من هذا ، فكيف بهذا الأمر الجلى ، وما تورمت قدماءه - ﷺ - إلا لطول القيام فى الصلاة ، وقد نقل عن الصحابة وعن السلف - رضى الله عنهم أنهم يكونون فى الركعة فيخرج الرجل إلى البقيع ، ويرجع إلى المسجد وهم فى الركعة الواحدة لم يتموها ، وأن الرجل منهم كان يدعو فى سجوده - بعد ما يسبح الله سبحانه ، ويصلى على النبى - ﷺ ، ويستغفر لنفسه ولأبويه ، ولسبعين من أصحابه وقرابته ، ويسميههم بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم .

» وحديث معاذ بن جبل أنه صلى المغرب بقومه بسورة البقرة ، فقال له رسول الله - ﷺ : « أفتان أنت يا معاذ » ، وإنما قال له ذلك لأن صلاة المغرب السنة فيها التخفيف ، من أجل أن ذلك وقت إفطار الصائم ، ووقت الضرورات أيضاً ، وكان بالمؤمنين رحيماً - ﷺ .

» وما روى عن أبى بكر - رضى الله عنه أنه كان يصلى الصبح بسورة البقرة فى الركعتين معاً ، فأبو بكر - رضى الله عنه وعن جميعهم - فهم عن النبى - ﷺ ، فجعل التطويل فى محله ، والكل سادة على خير ، وما روى عن عثمان - رضى الله عنه - أنه قال بعض الصحابة : ما حفظت سورة يوسف إلا من عثمان لكثرة ما كان يرددها فى صلاة

(١) إحكام الأحكام لابن دقيق العيد : ١/ ١٨٨ .

الصباح . وقد جاء في الموطأ عن أم الفضل بنت الحارث أنها سمعت عبد الله بن عباس يقرأ : (والمُرْسَلَاتِ غُرَفًا) فقالت له : يا بنى ، لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة أنها لآخر ما سمعت رسول الله - ﷺ - يقرأ بها في المغرب ، وكانت قراءته عليه السلام بطيئة حسنة ، كما نعتها الواصف لها ، قال : كانت قراءته عليه السلام لو شئت أن أعد حروفها لعددتها .

« فبتقرير هذه الآثار علمنا أنه - عليه السلام - ما كان نهيہ لمعاذ على الإطلاق ، وإنما كان لكونه طول ذلك التطويل في المغرب ، وقد ثبت بالسنة خلفاً عن سلف أن العمل جرى على أن المستحب في صلاة المغرب أن تكون أخف الصلوات ، ولولا ذلك ما كان أبو بكر - رضى الله عنه يصلى في الصباح بالبقرة ، كما ذكرنا .

« فلما كان المتعاهد منهم في الصلاة التطويل ، فإذا كانت هناك علة كما ذكر من بكاء الصبي أو ما يشبه ذلك خفف عليه السلام حتى خرج بذلك التخفيف عن العادة الجارية لهم » ^(١) .

وقد أطلنا في نقل كلام ابن أبى جمرة هذا لأن بعض الناس يستخدم أحاديث التخفيف في موضعها وفي غير موضعها ، ويستهزئون في كثير من الأحيان ممن يطيلون في صلاتهم حتى وإن عرف أنهم راضون ذلك التطويل محبون له ، فما ينبغي أن يفهم نص من كتاب الله عز وجل أو من سنة رسوله - ﷺ - إلا بعد دراسة وبحث لجميع النصوص في موضوعه ليفهم على النحو الصحيح دون انحراف عنه . وفقنا الله إلى ذلك بمنه وفضله وكرمه .

٣ - هذا ومن الأمانة العلمية - ونحن نميل إلى رأى ابن أبى جمرة - أن نذكر أن بعض العلماء رأى أن الأمر بالتخفيف ينبغي أن يكون مطلقاً حتى ولو علم الإمام أن المصلين معه أقوياء ؛ لأنه قد يعرض لهم بعد ذلك عارض يستدعى التخفيف ؛ قال ابن عبد البر : قد بان في هذا الحديث العلة الموجبة للتخفيف ، وهى - عندى - غير

(١) بهجة النفوس : ٢/٢ - ٣ .

على أحد من أئمة الجماعة ؛ لأنه - وإن علم قوة من خلفه فإنه لا يدرى ما يحدث لهم من آفات بنى آدم ، ولذلك قال : فإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء ؛ لأنه يعلم من نفسه ما لا يعلم من غيره ، وقد يحدث للظاهر القوة ، ومن يعرف منه الحرص على طول الصلاة حادث من شغل ، وعارض من حاجة ، وآفة من حدث بول أو غيره . وتبعه على ذلك ابن بطال ، فذكر مثل هذا الكلام ^(١) .

ولكن تعقب هذا رأى صاحب طرح التثريب فقال : وهو ضعيف ؛ فإن الاحتمال الذى لم يقم عليه دليل لا يترتب عليه حكم ، فإذا انحصر المأمومون ، ورضوا بالتطويل لا نأمر إمامهم بالتخفيف لاحتمال عارض لا دليل عليه ، وحديث أى قتادة يرد على ما ذكره ؛ فإنه عليه الصلاة والسلام قال : **إني لأقوم في الصلاة ، وأنا أريد أن أطول فيها ، فأسمع بكاء الصبي ، فأتجاوز كراهية أن أشق على أمه . فأرادته - عليه الصلاة والسلام أولاً التطويل يدل على جواز مثل ذلك ، وما تركه إلا للدليل قام على تضرر بعض المأمومين به . وهو بكاء الصبي الذى يشغل خاطر أمه** ^(٢) . والله أعلم .

على أنه إذا كان بكاء الصبي ينبه الإمام إلى التخفيف ، فقد أفتى بعض العلماء بأنه إذا جدّت حالة تستدعى تنبيه الإمام ينبهه بأدنى ما يكون التنبيه ؛ قال البغوى : روى عن مكحول الدمشقى أن أبا الدرداء صلى بالناس ولم ير مطراً ، وليس في المسجد إلا سقيفة واحدة في الصف الأول ، فلما انصرف إذا الناس قد مطروا . فقال : أما كان في المسجد رجل فقيه يقول : أيها المطول على الناس خفف ؛ فإنهم قد مطروا ^(٣) .

ومعنى ذلك أن هذا القدر من الكلام لا يفسد الصلاة على رأى أى الدرداء ، بل يعين على اتباع السنة فيها .

(١) طرح التثريب : ٣٥٠/٢ .

(٢) المصدر السابق : ٣٥٠/٢ - ٣٥١ .

(٣) شرح السنة : ٤٠٩/٣ .

٤ - ولكن إذا كان التطويل فيه كمال للصلاة ، ألا ينقص التخفيف من كمالها ؟

والجواب أنه لا ينقص من كمالها ؛ لأن التخفيف يكون فيه مراعاة حقوق الغير ، كما تراعى حقوق نفسك وترفع الفتنة عن صاحب الحاجة إلى التخفيف ، وفي هذا ما يوازى الكمال من التطويل إن لم يُفَقَّهُ ، قال ابن أبي جمرة موضحاً ذلك : « ويترتب على تخفيفها منه لأجل بكاء الصبي رعى حقوق الغير ، كما تراعى حقوق نفسك ، فتخفيفها من أجل الصبي كمال فيها ؛ فإنه قد حصل له في صلاته القدر المجزئ ، وبدل الكمال يجبر صلاة أم الصبي برفع الفتنة عنها بتعجيل الصلاة ، وجبر الصبي نفسه ، فجاء الخير هنا متعديا ، وهو الأكمل » (١) .

وأيضا فالامثال لأمر النبي - ﷺ هو الكمال بعينه ؛ فهو - ﷺ « في كل الأحوال على أتمها وأعلاها » (٢) .

وإن قام وحده فليطل صلاته ما شاء : هذا التطويل إنما هو في الأركان التي تحتل التطويل ، وهى القيام ، والركوع ، والسجود ، والتشهد ، دون الاعتدال من الركوع والجلوس بين السجدين (٣) .

وينبغي أن يتقيد التطويل بما إذا لم يخرج إلى سهو ، فالتطويل المؤدى إلى سهو مكروه ، وقد نص على ذلك الشافعى رحمه الله في الدعاء في آخر الصلاة ، ويقاس عليه غيره من أفعال الصلاة قال الشافعى في الأم : أحب لكل مصل أن يزيد على التشهد والصلاة على النبي - ﷺ - ذكر الله عز وجل وتحميده ودعائه في الركعتين الأخيرتين ، وأرى أن تكون زيادته ذلك إن كان إماماً أقل من قدر التشهد والصلاة على النبي - ﷺ -

(١) بهجة النفوس : ٤/٢ .

(٢) المصدر السابق : ٤/٢ .

(٣) طرح التريب : ٣٥٣/٢ .

- فيه قليلا ؛ للتخفيف عمن خلفه ، قال : وأرى أن يكون جلوسه إذا كان وحده أكثر من ذلك ، ولا أكره ما أطال ما لم يخرج به ذلك إلى سهو أو يخاف به سهوا (١) .

ويوافق هذا ما تقدم عن غير واحد من الصحابة من تعليل تخفيف الصلاة بمبادرة الوسواس ، وعلى هذا فيختلف القصر والتطويل باختلاف عادة الناس في مبادرة الوسواس إليهم وتأخره عنهم ، فمن كان سريع الوسواس لا يطول ، ومن كان بطيء الوسواس طَوَّل . والله أعلم (٢) .

وفي الحديث مع ما تقدم :

١ - فيه دليل على رحمته - ﷺ بأمته ؛ لأنه لما أرشد إلى ذلك فالجاء الكيس قد أخذ بجزء وافر من السنة ، والعاجز المسكين لم يحرم من حظ من السنة ، وما بينهما سعة وتوسط في الخير التي هي السنة (٣) .

٢ - فيه دليل على الرفق بالمؤمنين وسائر الأتباع ، ومراعاة مصلحتهم ، وألا يدخل عليهم ما شق عليهم ، وإن كان يسيراً من غير ضرورة (٤) . والله أعلم .

(١) الأم : ١٠٥/١ .

(٢) طرح التثريب : ٣٥٣/٢ .

(٣) بهجة النفوس : ٨/٢ .

(٤) شرح مسلم للنووي : ١٠٨/٢ .

١٠٦ - وقال رسول الله - ﷺ - : قالت الملائكة : « يا رب ، ذاك عبدٌ ^(١) يريد أن يعمل سيئة ، وهو أبصر به ، فقال : ارقبوه ، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها ، وإن تركها فاكتبوها له حسنة ؛ إنما ^(٢) تركها من جرّأى .

(١) م : عبدك . (٢) م : إنه تركها .

• رواه أحمد (٩٥/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام بن منبه (رقم ١١٠/٨٢٠٣) وفيه « رب ذاك عبدك » .

وقد تقدم في تخريج حديث (٥٤) من الصحيفة أن عبد الرزاق روى في المصنف (٢٨٧/١١) في كتاب الجامع ، باب الرخص والشذائد - عن معمر عن همام عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : « ... فإن هم بسئته فعملها فاكتبوها واحدة ، وإن تركها فاكتبوها حسنة » وذكرنا اختلاف معنى الحديث في المصنف عما في حديث الصحيفة هناك ، ولكنه موافق لما هنا فيمن يترك السيئة بعد ما يهيم بها .

ورواه مسلم في (١١٨/١) - (١) كتاب الإيمان - (٥٩) باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسئته لم تكتب . بسنده للصحيفة مع حديثين آخرين ذكرا في الصحيفة أحدهما رقم (٥٤) وثانيهما رقم (١٠٤) وفيه : « رب ذاك عبدك » (رقم ١٢٩/٢٠٥) .

وقد روى نحوه من طريق الجعد أبي عثمان ، عن أبي رجاء العطاردي ، عن ابن عباس عن رسول الله - ﷺ - وفيه : « وإن هم بسئته فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » وفي رواية لهذا الحديث « ومحأها الله ، ولا يهلك على الله إلا هالك » .

وقد روى البخارى نحوه في (١٩٨/٨) - (٩٧) كتاب التوحيد - (٣٥) باب قول الله تعالى : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) - من طريق أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة ، وفيه : « إذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ، فإن عملها فاكتبوها بمثلها ، وإن تركها من أجلى فاكتبوها له حسنة ... » (رقم ٧٥٠١) .

كما روى في (١٨٧/٧) - (٨١) كتاب الرقاق - (٣١) باب من هم بحسنة أو سيئة حديث أبي رجاء العطاردي عن ابن عباس - كما سبق عند مسلم (رقم ٦٤٩١) .

ورواه البغوى (٣٣٨/١٤) - باب ثواب من عمل حسنة أو هم بها - بسنده للصحيفة وفيه : « إنه تركها من جرّأى » (رقم ٤١٤٨) وقد روى بهذا السند معه حديثى رقم (٥٤) و (١٠٤) في الصحيفة هنا . وهو يوافق الصحيفة في لفظة : « يا رب ذاك عبد » .

شرح الحديث :

(١) - ذاك عبد يريد أن يعمل سيئة : هذا يوضح أن الإنسان له إرادة حرة ، فقد علم الله الملائكة أن الإنسان يريد ، ويعمل بإرادته ، والسر في السؤال هو الالتئام بأمر مولاهم الحق سبحانه في كتابة ما يأمر به عز وجل تجاه هذه الإرادة أو ما يترتب عليها .

(٢) - وهو أبصر به : هذا للدفع توهم أن يكون كلام الملائكة لربهم سبحانه وتعالى لإعلانه شيئاً لا يعلمه ، فهو أعلم بما يأتي عبده وما يذره ، وما يريد أن يقوم به (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (١) .

(٣) - فإن عملها فاكتبوها له بمثلها : وهذا مصداق قول الله تعالى : (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثله ، وهم لا يظلمون) . وقد ذكرنا في شرح حديث (٥٤) : أنه قد استثنى بعض العلماء وقوع المعصية في الحرم المكي . ووقوع المعصية من أمهات المؤمنين أيضاً مستثنى لقوله تعالى : (من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) (٢) ؛ لأن فيها زيادة على السيئة - أذى النبي - ﷺ .

(٤) - وإن تركها فاكتبوها له حسنة : وفي حديث آخر : « إذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه » وفي حديث : « وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها » .

وليس بين هذه كلها اختلاف ؛ لأن العبد الذي يريد عمل سيئة يكون على إحدى ثلاث حالات :

١ - إما أن تكون هذه الإرادة هذه مجرد همّ ، ولا يعملها فهذا لا تكتب عليه سيئة .

٢ - وإما أن يعزم على عمل السيئة ويصرفه عنها صارف لا دخل لإرادته فيه ،

(١) الملك : ١٤ .

(٢) الأحزاب : ٣٠ .

وهو باقٍ على إصراره لو أُتيحت له فرصة عملها . وهذا عليه وزر ذلك . ومنه قوله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » قيل : هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصاً على قتل صاحبه .

٣ - وإما أن يهَمَّ أو يعزم عليها ، ويصرفه عنها خوف الله ، والانتهاه بنبيه سبحانه وتعالى عن فعلها وهذه تكتب له حسنة ويغفر له سيئة العزم قبل ذلك وهذه الحالة هي التي يعينها الحديث الذي معنا : « إن تركها فاكتبوها له حسنة ؛ **إِنَّمَا تَرْكُهَا مِنْ جَرَايَ** » . هذا بعض ما ذهب إليه العلماء .

قال الإمام النووي موضحاً كل ذلك : قال الإمام المازري رحمه الله : مذهب القاضي أبي بكر بن الطيب أن من عزم على المعصية بقلبه ، ووطَّن نفسه عليها أثم في اعتقاده وعزمه ، ويحمل ما وقع في هذه الأحاديث وأمثالها على أن ذلك فيمن لم يُوطَّن نفسه على المعصية ، وإنما مر ذلك بفكره من غير استقرار ، ويسمى ذلك همًّا ، ويفرق بين الهم والعزم . وهذا مذهب القاضي أبي بكر . وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين ، وأخذوا بظاهر الحديث ، قال القاضي عياض - رحمه الله : عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين على ما ذهب إليه أبو بكر ؛ للأحاديث الدالة على المؤاخذة بأعمال القلوب ؛ لكنهم قالوا : إن هذا العزم يكتب سيئة ، وليست السيئة التي هم بها ؛ لكونه لم يعملها ، وقطع عنها قاطع غير خوف الله تعالى والإنابة ، لكن نفس الإصرار والعزم معصية ، فتكتب معصية ، فإذا عملها كتبت معصية ثانية ، فإن تركها خشية الله تعالى كتبت حسنة ، كما في الحديث : (**إِنَّمَا تَرْكُهَا مِنْ جَرَايَ**) ، فصار تركه لها لخوف الله تعالى ومجاهدته نفسه الأمارة بالسوء في ذلك ، وعصيانه هواه حسنة ، فأما الهم الذي لا يكتب ، فهي الخواطر التي لا توطن النفس عليها ولا يصحبها عقد ، ولا نية وعزم ^(١) .

ويمكن توضيح عدم الخلاف على نحو آخر بين هذه الأحاديث على الأقل ، وهو أن عدم كتابة السيئة لا يتنافى مع كتابة حسنة له ، وهما لا يتنافيان مع مغفرة الله عز وجل على همه ، لأنه عمل يمكن أن يحاسبه الله عليه .

(١) شرح مسلم : ٣٢٦/١ .

١٠٧ - وقال رسول الله - ﷺ : قال الله عز وجل : كَذَّبَنِي
عبدى ، ولم يكن ^(١) ذلك له ، وَشَتَمَنِي عبدى ، ولم يكن ^(١) ذلك له ، أما
تَكْذِيبُهُ إِيَّائِي أن يقول : لن يُعِيدَنَّا كما بَدَأْنَا ، وأما شتمه إِيَّائِي أن يقول : اتَّخَذَ
اللهُ وَلَدًا ، وأنا الصَّمَدُ ، لَمْ أَلِدْ ، وَلَمْ أُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ .

(١) م : ولم يكن له ذلك في الموضعين .

• رواه أحمد (٩٥/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ١١١/٨٢٠٤) .

ورواه البخارى في (٩٥/٦) - (١١٢/٦٥) كتاب التفسير - (٢) باب قوله : (الله الصمد) - عن
إسحاق بن منصور ، عن عبد الرزاق أخبرنا معمر ، عن همام ، عن أبى هريرة به وفيه : « كذبى ابن آدم » . (رقم
٤٩٧٥) .

كما رواه في الباب الذى قبله عن أبى اليمان ، عن شعيب ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة رضى الله
عنه . وفيه : « وليس أهون الخلق بأهون على من إعادته » (رقم ٤٩٧٤) .

وروى حديث أبى الزناد هذا من طريق سفيان عنه في (٧٣/٤) (٥٩) كتاب بدء الخلق - (١) باب ما جاء
في قوله تعالى : (وهو الذى يبدأ الخلق ، ثم يعيده) ، ولفظه « يشتمنى ابن آدم ، وما ينبغى له أن يشتمنى ، ويكذبنى ،
وما ينبغى له ؛ أما شتمه فقلوه : إن لى ولداً ، وأما تكذيبه فقلوه : ليس يعيدنى كما بدأنا .

وقد ذكر مكمل مسند أحمد عند تخريج حديث همام أن البخارى روى هذا الحديث مشيراً إلى هذه الرواية
الأخيرة ، مما يوهم أنه لم يرو رواية همام ، ولكن الحقيقة أنه رواها في كتاب التفسير ، كما ذكرنا .

وروى في (١٤٩/٥) - (٢/٦٥) - (٨) باب (وقالوا : اتخذ الله ولداً سبحانه) نحوه عن أبى اليمان ، عن
شعيب ، عن عبد الله بن أبى حسين ، عن نافع بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبى - ﷺ : وفيه : « وأما شتمه إِيَّائِي
فقلوه : لى ولد ، فسبحانى أن أتخذ صاحبة أو ولداً . (رقم ٤٤٨٢) .

ورواه البغوى في (٨١/١) باب الكبائر من كتاب الإيمان - بسنده للصحيفة ولفظه موافق للصحيفة تماماً -
وقال : هذا حديث صحيح . (رقم ٤١) .

شرح الحديث :

(١) - كذبني عبدى : المراد هنا عبيد مخصوصون ، وهم منكرو بعث الأجسام ، وهم كفرة العرب ، وجعلوا مكذبين لله سبحانه وتعالى لتكرار إخباره على السنة رسله يبعث العباد كلهم ، وإعادة الأرواح إلى أجسادها ^(١) ، ومن ذلك قوله تعالى : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ : مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ؟ قُلْ : يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ . الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ، أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ؟ بَلَى ، وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ^(٢) .

(٢) - ولم يكن ذلك له : أى ما ينبغي له أن يكذبني - كما جاء فى بعض الروايات - لأن القدرة التى خلقت من العدم تستطيع أن تعيد ما خلقت قبلاً .

(٣) - وشتمنى عبدى : من الشتم وهو الوصف بما يقتضى النقص ، ولا شك أن دعوى الولد لله يستلزم الإمكان المستدعى للحدوث ، وذلك غاية النقص فى حق البارى - سبحانه وتعالى ^(٣) .

(٤) - ولم يكن ذلك له : أى ما ينبغي له أن يصفنى بصفات النقص .

(٥) - أما تكذبيه إياى أن يقول : لن يعيدنا كما بدأنا : وفى حديث ابن عباس : فزعم أنى لا أقدر أن أعيده كما كان . ووقع فى رواية الأعرج عن أنى هزيمة الرد البليغ من المولى سبحانه وتعالى : « وليس أول الخلق بأهون على من إعادته » .

(١) طرح التثريب : ١٦١/٨ .

(٢) يس : ٧٨ - ٨٣ .

(٣) فتح البارى : ٢٩١/٦ .

(٦) - وأما شتمه إياي أن يقول . اتخذ الله ولدا . وأنا الصمد : وفي رواية ابن عباس : « فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولدا » أى أتنزه عن اتخاذ الزوجة والولد ، وأنا السيد . قال البخارى : « والعرب تسمى : أشرافها الصمد ، وقال أبو وائل : هو السيد الذى انتهى سؤدده » (١) .

وقال ابن عطية المفسر : الصمد فى كلام العرب السيد الذى يصمد إليه فى الأمور ، ويستقل بها ، وأنشد :

ألا بكّر النَّاعِي بِخَيْرِ بَنِي أَسَدٍ بعمر بن مسعود وبالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

وبهذا نفس الآية (الله الصمد) لأن الله تعالى جلت قدرته هو موجد الموجدات وإليه يصمد ، وبه قوامها ، ولا غنى بنفسه إلا الله تبارك وتعالى .

وقال كثير من المفسرين : الصمد الذى لا جوف له ، كأنه بمعنى المصمت . وقال الشعبي : الذى لا يأكل ولا يشرب .

قال ابن عطية : وفى هذا التفسير كله نظر ؛ لأن الجسم فى غاية البعد عن صفات الله تعالى .

وقال الزمخشري : الصمد فَعَلَ بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده ، وهو السيد المصمود إليه فى الحوائج (٢) .

(٧) - لم ألد ولم أولد : لما كان الرب سبحانه واجب الوجود لذاته ، قديما موجودا قبل وجود الأشياء ، وكان كل مولود محدثا انتفت عنه الوالدية ، ولما كان لا يشبهه أحد من خلقه ولا يجانسه حتى يكون لجنسه صاحبة فتتوالد انتفت عنه الولدية (٣) ، ومن هذا

(١) صحيح البخارى : ٩٥/٦ .

(٢) طرح التثريب : ١٦٢/٨ .

(٣) فتح البارى : ٧٤٠/٨ .

قوله سبحانه وتعالى (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبه ،
وَحَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) (١) .

(٩) - ولم يكن لى كفوًّا أحد : أى لم يكن له مماثلاً ولا مشاركاً ومشاكلاً
بحيث ينتفى معه صاحبة الولد والوالد ، ولما كان الكلام مساقاً لنفى المكافأة عن ذات
البارى سبحانه قدمت هذه اللفظة على « أحد » وكان الترتيب « ولم يكن لى أحد كفوًّا ؛
أى قدم الخبر على الاسم (٢) .

وقرىء : « كُفُوًّا » بضم الكاف والفاء ، وهى قراءة الأكثرين ، وقرأ حفص بضم
الفاء وفتح الواو من غير همز (كُفُوًّا) وقرأ حمزة بإسكان الفاء مع الهمزة فى الوصل
(كُفُوًّا) فإذا وقف أبدل الهمزة واواً مفتوحة وقرىء فى غير المشهور بكسر القاف
وإسكان الفاء (كِفُوًّا) (٣) .

(١) الأنعام : ١٠١ .

(٢) طرح الترتيب : ١٦٢/٨ .

(٣) المصدر السابق : ١٦٢/٨ وتحرير التيسير ص ٢٠٣ .

١٠٨ - وقال رسول الله - ﷺ - : أُبْرِدُوا عَنْ (١) الْحَرِّ فِي الصَّلَاةِ ؛
فَإِنْ شَدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ .

(١) م : أُبْرِدُوا الْحَرَّ عَنْ الصَّلَاةِ .

• رواه عبد الرزاق (٥٤٣/١) باب وقت الظهر - عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة ، وذلك إحالة على حديث رواه قبله عن معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين قال : بلغني أن رسول الله - ﷺ - قال : أُبْرِدُوا عَنْ الظَّهْرِ فَإِنْ شَدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ . (رقم ٢٠٥٠ - ٢٠٥١) .

ورواه أحمد (٩٥/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام . (رقم ١١٢/٨٢٠٥) .

ورواه مسلم في (٤٣١/١) - (٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة - (٣٢) باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة ، ويناله الحر في طريقه - بسنده للصحيفة (رقم ٦١٥/١٨٣) .
وروى قبله نحوه من طريق الليث عن ابن شهاب ، عن ابن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة .
ومن طريق يونس عن ابن شهاب به (رقم ٦١٥/١٨٠) .

ومن طريق ابن وهب عن عمرو عن بكير عن بسر بن سعيد وسليمان الأغر عن أبي هريرة . (٦١٥/١٨١) .

ومن طريق العلاء (بن عبد الرحمن) عن أبيه ، عن أبي هريرة (٦١٥/١٨٢) .

وروى بعده نحوه من طريق شعبة عن مهاجر أبي الحسن عن زيد بن وهب عن أبي ذر قال : أذن مؤذن رسول الله - ﷺ - بالظهر ، فقال النبي - ﷺ - « أُبْرِدْ ، أُبْرِدْ » أو قال : « انتظر ، انتظر » وقال : إن شدة الحر من فيح جهنم ، فإذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة - قال أبو ذر : حتى رأينا قِيءَ التلؤلؤ . (رقم ٦١٦/١٨٤) .

ومن طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان ، عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : إذا كان الحر فأبردوا عن الصلاة ، فإن شدة الحر من فيح جهنم . وذكر أن النار اشتكت إلى ربها ، فأذن لها في كل عام بنفسين ، نفس في الشتاء ونفس في الصيف (٦١٧/١٨٦) .

وروى البخاري في (١٣٥/١) - (٩) كتاب مواقيت الصلاة - (٩) باب الإبراد بالظهر في شدة الحر . من طريق صالح بن كيسان ، عن الأعرج عبد الرحمن وغيره عن أبي هريرة ونافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر أنهما حدثاه عن رسول الله ﷺ نحوه (رقم ٥٣٣ ، ٥٣٤) .

كما روى حديث أبي ذر بالطريق الذي تقدم عند مسلم (رقم ٥٣٥) .

ومن طريق الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أنى هريرة قال : إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة ، فإن شدة الحر من فيح جهنم ، واشتكت النار إلى ربها فقالت : يارب أكل بعضى بعضا ، فأذن لها بنفسين ، نفس في الشتاء ونفس في الصيف ، فهو أشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير » (رقم ٥٣٧) .

ومن طريق الأعمش ، عن أنى صالح ، عن أنى سعيد قال : قال رسول الله - ﷺ : « أبردوا بالظهر ؛ فإن شدة الحر من فيح جهنم » وقال : تابعه سفيان ويحيى وأبو عوانه عن الأعمش .

وفي (١٣٦/١) في الكتاب نفسه - (١٠) باب الإبراد بالظهر في السفر - من طريق شعبة قال : حدثنا مهاجر أبو الحسن مولى لبنى تيم الله قال : سمعت زيد بن وهب ، عن أنى ذر الغفاري قال : كنا مع رسول الله - ﷺ - في سفر ، فأراد المؤذن أن يؤذن للظهر ، فقال النبي - ﷺ : أبرد ، ثم أراد أن يؤذن ، فقال له : أبرد ، حتى رأينا قياء التلول ، فقال النبي - ﷺ : إن شدة الحر من فيح جهنم ، فإذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة .

شرح الحديث :

(١) - فأبردوا : بقطع الهمزة ، وكسر الراء ؛ أى أُخروا إلى أن يبرد الوقت ، يقال أبرد إذا دخل في البرد ، كأظهر إذا دخل في الظهيرة ، ومثله في المكان أُتجد إذا دخل نجداً وأتهم إذا دخل تهامة .

والمراد بالإبراد أن تؤخر الصلاة عن أول الوقت مقدار ما يظهر للحيطان ظل ، ولا يحتاج إلى المشي في الشمس ، هذا ما ذكره بعض مصنفى الشافعية ، وعند المالكية : يؤخر الظهر إلى أن يصير الفى ذراعاً^(١) .

والأمر بالإبراد أمر استحباب ، وقيل أمر إرشاد ، وقيل : بل هو للوجوب ، حكاه عياض وغيره .

قال ابن حجر : وغفل الكرمانى فنقل الإجماع على عدم الوجوب . نعم قال أهل العلم : يستحب تأخير الظهر في شدة الحر إلى أن يبرد الوقت وينكسر الوهج^(٢) .

(٢) - ولكنهم اختلفوا فيما إذا كان هذا مطلقاً ، أو غير مطلق : فذهب الكثيرون إلى أن الاستحباب مطلق سواء أكان المصلى في جماعة أم منفرداً .

(١) أحكام الإحكام لابن دقيق العيد : ٢٥٠/١ .

(٢) فتح البارى : ١٦/٢ .

وحكى ابن القاسم عن مالك أن الظهر تصلى إذا فاء الفى ذراعاً في الشتاء والصيف ؛ للجماعة والمنفرد ، على ما كتب به عمر بن الخطاب إلى عماله . وقال ابن عبد الحكم وغيره : معنى كتاب عمر : **مساجد الجماعة** ، فأما المنفرد فأول الوقت أولى به . قال ابن عبد البر : وإلى هذا مال الفقهاء المالكيون من البغداديين ، ولم يلتفتوا إلى رواية ابن القاسم ^(١) . وقال في الاستذكار : وكان مالك يستحب لمساجد الجماعات أن يؤخروها بعد الزوال حتى يكون الفى ذراعاً ، على ما كتب به عمر إلى عماله ، وذلك عند مالك فيما روى عنه ابن القاسم صيفاً وشتاء ، وروى غيره عن مالك أن أحب الأمر إليه في أوقات الصلوات البدار إليها في أوائل أوقاتها إلا الظهر في شدة الحر ، فإنه يريد بها ^(٢) .

وقال الشافعى : إنما يستحب الإبراد في شدة الحر بشروط :

الأول : أن يكون في بلد حار ، وقال الشيخ أبو محمد الجوينى وغيره : يستحب في البلاد المعتدلة والباردة أيضا إذا اشتد الحر .

الثانى : أن تصلى في جماعة ، فلو صلى منفردا فتقديم الصلاة له أفضل .

الثالث : أن يقصد الناس في الجماعة من بُعد ، فلو كانوا مجتمعين في موضع صلوا في أول الوقت .

الرابع : ألا يجدوا كُنَّا يمشون تحته يقيمهم الحر .

فإن اختل شرط من هذه الشروط فالتقديم أفضل ^(٣) .

واستنبط الشافعى - رحمه الله هذه الشروط التى اعتبرها من الحديث ، وجعله تخصيصاً للنص بالمعنى ، فحكى عنه أنه قال : إن أمر رسول الله - ﷺ - بالإبراد كان

(١) طرح التثريب : ١٥١/٢ .

(٢) الاستذكار : ٣٨/١ .

(٣) طرح التثريب : ١٥١/٢ .

بالمدينة لشدة حر الحجاز ، ولأنه لم يكن بالمدينة مسجد غير مسجده - صلى الله عليه يومئذ ، وكان ينتاب من البعد ، فيتأذون بشدة الحر ، فأمرهم بالإبراد لما في الوقت من السعة .

وما ذهب إليه الشافعي مقرر في الأصول أنه يجوز أن يستنبط من النص معنى يخصه (١) .

ورأى الإمام الترمذى أن بعض هذه الشروط فيها عدم اتباع للحديث الشريف ، قال : « ومعنى من ذهب إلى تأخير الظهر في شدة الحر هو أولى وأشبه بالاتباع ، وأما ما ذهب إليه الشافعي أن الرخصة لمن ينتاب من البعد والمشقة على الناس فإن في حديث أبي ذر ما يدل على خلاف ما قال الشافعي . قال أبو ذر : (كنا مع النبي - ﷺ في سفر فأذن بلال بصلاة الظهر ، فقال النبي - ﷺ - : يا بلال ، أبرد ، ثم أبرد) فلو كان الأمر على ما ذهب إليه الشافعي لم يكن للإبراد في ذلك الوقت معنى ، لاجتماعهم في السفر ، وكانوا لا يحتاجون أن ينتابوا من البعد (٢) .

ولكن يمكن التعقيب على قول الترمذى هذا بأن اجتماعهم في السفر قد يكون أكثر مشقة منه في الحضر ، فإنه يكون كل واحد منهم في خبائه أو مستقرا في ظل شجرة أو صخرة ، ويؤذيه حر الرمضاء إذا خرج من موضعه ، وليس هناك ظل يمشون فيه ، وأيضا فليس هناك خباء كبير يجمعهم فيحتاجون إلى أن يصلوا في الشمس ، والظاهر أيضا أن أخبيتهم كانت قصيرة لا يتمكنون من القيام فيها . وقد ثبت في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام كان يأمر مناديه في الليلة الباردة أو المطيرة في السفر أن يقول : ألا صلوا في الرحال ، فلما كان وجود البرد الشديد أو المطر في السفر مرخصاً في ترك الجماعة كذلك وجود الحر الشديد مقتضى للإبراد بالظهر .

(١) المصدر السابق : ١٥٢/٢ - ١٥٣ .

(٢) صحيح الترمذى : ٢٩٧/١ .

وقال ابن المنذر : ثبت أن رسول الله ﷺ قال : إذا اشتد الحر فأبردوا بالظهر ،
ونخب رسول الله ﷺ - نقول لا سبيل يستثنى من ذلك البعض (١) .

وقال الشيخ موفق الدين بن قدامة في المغنى : **ظاهر كلام أحمد استحباب**
الإبراد بها على كل حال . قال الأثرم : وعلى هذا مذهب أبى عبد الله ، سواء يستحب
تعجيلها في الشتاء والإبراد بها في الحر (٢) ... وقال القاضى إنما يستحب الإبراد بثلاثة
شروط : شدة الحر ، وأن يكون في البلدان الحارة ، ومساجد الجماعات ، فأما من صلاها
في بيته أو في مسجد بفناء بيته فالأفضل تعجيلها . وهذا مذهب الشافعى ؛ لأن التأخير
إنما يستحب لينكسر الحر ويتسع في الحيطان ويكثر السعى إلى الجماعات ، ومن
لا يصلى في جماعة لا حاجة به إلى التأخير . وقال القاضى في الجامع لا فرق بين البلدان
الحارة وغيرها ، ولا بين كون المسجد ينتابه الناس أو لا ، فإن أحمد رحمه الله كان يؤخرها
في مسجده ، ولم يكن بهذه الصفة والأخذ بظاهر الخبر أولى (٣) .

والحق أنه لا يتعين أن تكون العلة ما أشار إليه بعض الفقهاء من أنها هي تأذى
المسلمين بالحر في طريقهم ، فقد تكون العلة ما يجدونه من حر الرمضاء في جباههم في
حالة السجود ، وقد ثبت في الصحيح عن أنس قال : كنا إذا صلينا خلف رسول الله -
ﷺ - بالظواهر جلسنا على ثيابنا اتقاء الحر .. رواه أبو عوانة في صحيحه بلفظ
« سجدنا » بدل : « جلسنا » . وفي سنن أبى داود وغيره : كنت أصلى الظهر مع رسول
الله - ﷺ - فأخذ قبضة من الحصى لتبرد في كفى أضعها لجبتي أسجد عليها لشدة
الحر . وفي حديث أنس في الصحيح : « فإذا لم يستطع أحدنا أن يمين جبهته من الأرض
بسط ثوبه فسجد عليه » (٤) فهذا هو المنقول عن الصحابة - رضى الله عنهم ولم ينقل

(١) طرح التثريب : ١٥٢/٢ ، ١٥٣ .

(٢) المغنى : ٣٨٩/١ .

(٣) المصدر السابق : ٣٩٠/١ .

(٤) صحيح مسلم (٤٣٣/١) - (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة - (٣٣) باب استحباب تقديم
الظهر في أول الوقت من طريق غالب القطان ، عن بكر بن عبد الله ، عن أنس بن مالك (رقم ٦٢٠/١٩١) .

أنهم شكوا مشقة المسافة وبعد الطريق ، ويمكن أن تكون العلة - كما في ظاهر الحديث أنه وقت يفوح منه حر جهنم ولهبها ، وهذا يقتضى الكف عن الصلاة كما في حديث عمرو ابن عبسة « فإذا اعتدل النهار فَأَقْصِرْ - يعنى عن الصلاة - ؛ فإنها ساعة تُسَجَّر فيها جهنم ^(١) .

(٣) - وقد حمل بعضهم الصلاة على عمومها بناء على أن المفرد المَعْرَف يُعَم ، فقال به أشهب في العصر ^(٢) ولكن الجمهور على أنها الظهر فقط كما في بعض روايات الحديث ؛ ولأنها التى يشتد فيها الحر .

(٤) وذهب بعض العلماء إلى عدم استحباب تأخير الظهر ، وقد يفهم من موقفهم هذا عدم العمل بهذا الحديث ، وبالتالي القول بعدم صحته ، وليس الأمر كذلك ، فقد قالوا :

إن معناه عجلوا بوقت الظهر ، أخذاً من بَرَدَ النهار ، وهو أوله .

ولكن يعترض على هذا عبارة « فإن شدة الحر من فيح جهنم » ؛ لأن أول وقت الظهر أشد حراً من آخره ، وحديث أئى ذر المتقدم صريح فى أن المراد بالإبراد التأخير ، إلى وقت البرد . قال الخطائى : « ومن تأوله على بَرَدَى النهار فقد خرج عن جملة قول الأمة » ^(٣) .

والذى دعاهم إلى هذا رأى وهذه الإجابة هو ورود أحاديث دالة على فضيلة أول الوقت ، وحديث خباب قال : شكونا إلى رسول الله - ﷺ - حر الرضاء فى جباهنا وأكفنا فلم يُشْكِنَا ^(٤) .

(١) طرح التثريب : ١٥٣/٢ .

(٢) فتح البارى : ١٧/٢ .

(٣) هامش سنن أئى داود : ٢٨٤/١ .

(٤) صحيح مسلم (٤٣٣/١) - (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة - (٣٣) باب استحباب تقديم الظهر فى أول الوقت - من طرق عن أئى إسحاق ، عن سعيد بن وهب ، عن خباب (رقم ١٨٩ - ١٩٠/٦١٩) .

ولكن يمكن الإجابة عن هذين بحيث لا يعطل العمل بهذا الحديث الصحيح :
فأحاديث الحث على الصلاة في أول وقتها عامة فيقدم عليها هذا الحديث لخصوصه ؛ أى
يعمل بها في غير وقت الظهر في شدة الحر ؛ إذ فيه تؤخر الصلاة للإبراد ، كما في هذا
الحديث .

وأما حديث خباب فيجمع بينه وبين هذا الحديث من وجوه :

أحدهما : أنهم كانوا يريدون أن يؤخروا الصلاة بعد الوقت ، ولهذا لم يجبههم - ﷺ -
- لِمَا سألوا ، وترك شكواهم . فهو - ﷺ - أراد منهم ألا يؤخروا ، الصلاة عن وقتها
المحدد لها ، واستحب لهم أن ينتظروا بحيث لا يخرجون عن وقتها جملة .

ثانيها : أن حديث خباب ونحوه من الأحاديث الدالة على التقديم منسوخة
بأحاديث الإبراد ؛ لأنها رويت من أحاديث أنى هريرة والمغيرة بن شعبة ونحوهما ممن تأخر
إسلامه ، بخلاف أحاديث التعجيل كحديث خباب ، وحديث عبد الله بن مسعود .

ومن ذلك ما رواه ابن ماجة وابن حبان في صحيحه عن قيس بن أنى حازم ، عن
المغيرة بن شعبة - رضى الله عنه - قال : كنا نصلى مع رسول الله - ﷺ - صلاة الظهر
بالهاجرة ، فقال لنا : أبردوا بالصلاة ؛ فإن شدة الحر من فيح جهنم ^(١) . ورواه الطحاوى
بلفظ : « ثم قال : « أبردوا » ^(٢) وإذا كان قد أعله أبو حاتم بأنه روى عن قيس بن أنى
حازم عن عمر بن الخطاب من قوله ، فقد ذكر الخلال عن الميمونى أنهم ذاكروا أبا

(١) سنن ابن ماجة (٢٢٣/١) - (٢) كتاب الصلاة - (٤) باب الإبراد بالظهر في شدة الحر - من
طريق شريك ، عن بيان ، عن قيس بن أنى حازم . وقال في مصباح الزجاجة (٨٦/١ - ٨٧) هذا إسناد صحيح
ورجاله ثقات رواه ابن حبان في صحيحه .

(٢) شرح معاني الآثار (١٨٧/١) باب الوقت الذى يستحب أن يصلى صلاة الظهر فيه .

وقد استدلل به الطحاوى على القول بالنسخ - كما ذهب هو إلى ذلك ، قال : فمادّل أن أحد الأمرين أولى من
الآخر قبل له : لأنه قد روى أن تعجيل الظهر في الحر قد كان يفعل ثم نسخ ... فأخبر المغيرة في حديثه هذا أن أمر
رسول الله - ﷺ - بالإبراد بالظهر بعد أن كان يصليها في الحر ، فثبت بذلك نسخ تعجيل الظهر في شدة الحر ،
ووجب استعمال الإبراد في شدة الحر .

عبد الله - يعنى أحمد بن حنبل حديث المغيرة بن شعبة ، فقال : أسانيد جيد ، ثم قال : خباب يقول : شكونا إلى النبى - ﷺ فلم يشكنا ، والمغيرة - كما ترى - روى القصةين جميعا . قال : وفى رواية غير الميمونى : « وكان آخر الأمرين من رسول الله - ﷺ الإبراد » . وقال الأثرم - بعد ذكر أحاديث التعجيل والإبراد : فأما التى ذكر فيها التعجيل فى غير الحر فإن الأمر عليها . وأما حديث خباب وجابر ^(١) وما كان فيها من شدة الحر فإن ذلك عنه قبل أن يأمر بالإبراد . وقد جاء بيان ذلك فى حديثين : أحدهما حديث بيان عن قيس عن المغيرة بن شعبة قال : « كنا نصلى مع النبى - ﷺ - بالهاجرة ، فقال لنا : أبردوا » . فتبين أن الإبراد كان بعد التهجير ، والحديث الآخر أبين من هذا : خالد بن دينار أبو خلدة قال : سمعت أنسا يقول : كان النبى - ﷺ - إذا كان البرد بكر بالصلاة ، وإذا كان الحر أبرد بالصلاة .

ثالثها : أن الإبراد رخصة ، وتقديمه - ﷺ - الصلاة كان أخذاً بالأشق والأولى .

رابعها : أن معنى قوله « فلم يُشكنا » : لم يحوجنا إلى شكوى ، بل رخص لنا فى الإبراد ولكن يُردُّ هذا أن بعض طرق الحديث : « فما أشكنا وقال : إذا زالت الشمس فصلوا » روى هذه الزيادة أبو بكر بن المنذر - كما ذكره ابن القطان .

خامسها : أن الإبراد أفضل ، وحديث خباب فيه بيان جواز التعجيل . دلَّ عليه كلام ابن حزم ؛ فإنه ذكر استحباب الإبراد ثم قال : وإنما لم نحمل هذا الأمر على الوجوب لحديث خباب .

وكما قال صاحب طرح التثريب : فى هذا نظر ؛ لأن ظاهر حديث خباب المنع من التأخير أو أنه مرجوح بالنسبة إلى التقديم . والله أعلم ^(٢) .

(١) حديث جابر رواه شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن محمد بن عمرو بن حسن قال : سألنا جابر بن عبد الله فقال : كان رسول الله - ﷺ - يصلى الظهر بالهاجرة أو حين تزول الشمس (رواه من هذا الطريق البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى جميعا فى الصلاة ، (انظر مواضع كلى فى تحفة الأشراف ٢/٢٨٤ - رقم ٢٦٤٤) .

(٢) طرح التثريب : ١٥٣/٢ - ١٥٥ .

سادسها : الأحاديث الدالة على فضيلة التعجيل عامة أو مطلقة ، وهذا خاص ، قال ابن دقيق العيد : ولا مبالاة بقول من قال : إن التعجيل أفضل ؛ لأنه أكثر مشقة ؛ فإن مراتب الثواب إنما يرجع فيها إلى النصوص ، وقد يترجح بعض العبادة الخفيفة على ما هو أشق منها بحسب المصالح المتعلقة بها ^(١) .

(٥) - استدل بهذا الحديث على استحباب الإبراد بصلاة الجمعة لدخولها في مسمى الصلاة ، وأيضاً فإنها في وقت الظهر وقائمة مقامها ، والعلة المقتضية للإبراد بالظهر ، وهى شدة الحر موجودة في وقتها . وقد روى البخارى في صحيحه عن أنى خلدة ، وهو خالد بن دينار قال : سمعت أنس بن مالك يقول : كان النبى - ﷺ إذا اشتد البرد بَكَرَّ بالصلاة ، وإذا اشتد الحر أبَرَد بالصلاة - يعنى الجمعة ^(٢) .

قال صاحب طرح التثريب بعد أن ذكر هذا : وهذا أحد الوجهين لأصحابنا (أى الشافعية) والوجه الثانى - وهو الأصح : أنه لا يبرد بها ، وبه قال سفيان الثورى ومالك وأحمد ، وأجابوا عنه الحديث « فأبردوا عن الحر فى الصلاة » أن المراد بها الظهر . وإذا كانت المشقة فى شدة الحر فإنها ليست فى التعجيل بالجمعة ، بل فى التأخير ، فإن الناس ندبوا للتبكير لها ، وإذا حضروا كانت راحتهم فى إيقاع الصلاة ، لينصرف كل واحد منهم إلى منزله ، فيستريح من شدة الحر لا فى التأخير ؛ فإنهم يتضررون بطول الاجتماع فى شدة الحر ، فانعكس الحكم .

أما الحديث الذى رواه البخارى وفيه عبارة - : « يعنى الجمعة » ، فإنها ليست من قول أنس - رضى الله عنه ، وإنما هى من فهم الراوى ؛ إذ لو كانت من قول أنس لما احتاج إلى قوله « يعنى » .

(١) أحكام الإحكام : ٢٥٠/١ .

(٢) صحيح البخارى : (٢١٧/١) - (١١) كتاب الجمعة - (١٧) باب إذا اشتد الحر يوم الجمعة - عن محمد بن أنى بكر المقدمى حدثنا حرمى بن عمارة قال : حدثنا أبو خلدة به (رقم ٩٠٦) .

وإذا لم يكن في المسألة نص وجب مراعاة المعنى وملاحظته ، والمعنى مقتض
للتعجيل كما تقدم (١) .

(٦) - فإن شدة الحر من فيح جهنم : فيح جهنم وفوحها بالياء والواو مع
فتح الأول فيهما وبالحاء المهملة سطوع حرها وانتشاره ، يقال فاحت القدر تفيح وتفوح
إذا غلت .

وجهنم من أسماء النار ، وهو غير مصروف للعلمية والتأنيث .
واختلف العلماء في قوله : « فإن شدة الحر من فيح جهنم » ، هل هو حقيقة
أو مجاز ، فحمله الجمهور على الحقيقة ، وقالوا : إن وهج الحر من فيح جهنم ، ويؤيده
حديث أبي هريرة المذكور في التخريج : « اشتكت النار إلى ربها - عز وجل ... » وقيل :
إنه كلام خرج مخرج التشبيه ؛ أى كأنه نار جهنم في الحر ، فاجتنبوا ضرره .
قال القاضي عياض : وكلا الوجهين ظاهر ، وحمله على الحقيقة أولى . وقال
ابن عبد البر : القول الأول يعضده عموم الخطاب وظاهر الخطاب ، وهو أولى بالصواب .
وعلى تقدير حمله على الحقيقة ففيه أن النار مخلوقة الآن موجودة . وهذا إجماع ممن
يعتد به ، إلا أن المعتزلة قالوا : إنها إنما تخلق يوم القيامة ، والأدلة السمعية متوافرة على
خلاف ذلك (٢) .

والله أعلم

(١) طرح التريب : ١٥٥/٢ - ١٥٦ .

(٢) المصدر السابق : ١٥٧/٢ - ١٥٨ .

١٠٩ - وقال : رسول الله - : لا تُقْبَلُ صلاةٌ أحَدِكُمْ إذا أحدث حتى يتوضأ .

• رواه عبد الرزاق في المصنف (١٣٩/١) في باب الوضوء من الحديث - عن معمر ، عن همام بن منه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله - ﷺ : لا يقبل الله صلاة من أحدث حتى يتوضأ قال : فقال له رجل من أهل حضرموت : ما الحدث يا أبا هريرة ؟ قال : فسأ أو ضراط . (رقم ٥٣٠) .

ورواه أحمد (٩٦/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام . وفيه : « لا يقبل الله صلاة أحدكم » (رقم ١١٣/٨٢٠٦) .

ورواه البخاري في (٤٣/١) - (٤) كتاب الوضوء - (٢) باب لا تقبل صلاة بغير طهور - عن إسحاق ابن إبراهيم الحنظلي (ابن راهويه) قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر ، عن همام بن منه به ومعه الجملة المدرجة : قال رجل من حضرموت ... إلخ (رقم ١٣٥) .

وفي (٥٩/٨) - (٩٠) كتاب الحيل - (٢) باب في الصلاة - عن إسحاق بن نصر عن عبد الرزاق به . دون الجملة المدرجة . (رقم ٦٩٥٤) .

ورواه مسلم في (٢٠٤/١) في (٢) كتاب الطهارة - (٢) باب وجوب الطهارة للصلاة بسنده للصحيفة ، وهو مطابق في لفظه تماماً لما في الصحيفة (رقم ٢٢٥/٢) .

ورواه أبو داود في (٤٨/١) - (١) كتاب الطهارة - (٣١) باب فرض الوضوء - عن أحمد بن حنبل عن عبد الرزاق به . (رقم ٥٩) .

ورواه الترمذي (١١٠/١) في أبواب الطهارة - (٥٦) باب ما جاء في الوضوء من الريح - عن محمود بن غيلان عن عبد الرزاق به . وقال : هذا حديث حسن صحيح . وفي بعض النسخ : غريب حسن صحيح .

ورواه البيهقي في (١٦٠/١) كتاب الطهارة - باب انتقاض الظهر بعمد الحدث وسهوه . عن أبي طاهر الفقيه ، ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ، ثنا أحمد بن يوسف السلمي ، ثنا عبد الرزاق به .

ورواه البغوي في (٣٢٨/١) باب ما يوجب الوضوء - بسنده للصحيفة ، ثم قال : هذا حديث متفق على صحته . (رقم ١٥٦) .

شرح الحديث :

(١) - لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث : استدل به العلماء على اشتراط الطهارة في صحة الصلاة ، وهو مجمع عليه حكى الإجماع في ذلك جماعة من الأئمة .

ومعنى القبول هنا ترتيب الغرض المطلوب من الشيء على الشيء ، والغرض من الصلاة وقوعها مجزئة بمطابقتها للأمر ، فإذا حصل هذا الغرض ثبت القبول ، وإذا ثبت القبول ثبتت الصحة . وإذا انتفى القبول انتفت الصحة .

ولكن بعض العلماء فسر القبول بكون العبادة بحيث يترتب الثواب والدرجات عليها والإجزاء كونها مطابقة للأمر ، وعلى ذلك فالمعنيان هنا أحدهما أخص من الآخر ، فالقبول أخص من الإجزاء ، فقد تكون الصلاة مجزئة ولكنها غير مقبولة على هذا التفسير ، فلا يلزم من نفى الأخص نفى الأعم ^(١) .

وقد ورد انتفاء القبول في بعض الأحاديث - مع وجود الصحة ، كالعبد إذا أبق لا تقبل له صلاة ^(٢) ، وكما ورد فيمن أتى عَرَفًا ، وفي شارب الخمر . فصلاة هؤلاء مجزئة غير مقبولة .

وقد بين بعض العلماء أن التفسير الأول للقبول تفسير مجازي ؛ لأن حقيقة القبول ثمرة وقوع الطاعة مجزئة ، رافعة لما في الذمة ، ولما كان الإتيان بشروطها مظنة الإجزاء الذي القبول ثمرته عبر عنه بالقبول مجازا .

وأما القبول على التفسير الثاني فهو الحقيقي ^(٣) .

ما المقياس إذاً في معرفة ما إذا كان القبول في الأحاديث يراد به التفسير الأول فيلزم من نفيه نفى الصحة ، أو يراد به التفسير الثاني فلا يلزم من نفيه نفى الصحة .

(١) إحكام الأحكام : ١١/١ .

(٢) شرح النووي لمسلم : ٢٥٧/١ .

(٣) فتح الباري : ٢٣٥/١ .

قدم صاحب طرح التثريب هذا فقال : ننظر في المواضع التى نفى فيها القبول ، فإن كان ذلك العمل قد اقترنت به معصية علمنا أن عدم قبول ذلك العمل إنما هو لوجود تلك المعصية ، فمن هذا الوجه كان العمل غير مرضي لكنه صحيح فى نفسه ؛ لاجتماع الشروط والأركان فيه ، وهذا كصلاة العبد الآبق ، وشارب الخمر ، وآتى العراف ، فهؤلاء إنما لم تقبل صلاتهم للمعصية التى ارتكبوها مع صحة صلاتهم ؛ وإن لم يقترن بذلك العمل معصية فعدم قبوله إنما هو لفقد شرط من شروطه ، فهو حينئذ غير صحيح ؛ لأن الشرط ما يلزم من عدمه العدم وهذا كصلاة المحدث ، والمرأة مكشوفة الرأس ؛ فإن الحدث وكشف المرأة رأسها حيث لا يراها الرجال الأجانب ليس معصية ، فعدم قبول هذه العبادة إنما هو لأن ضد الحدث الذى هو الطهارة شرط فى صحة الصلاة ، وكذلك ضد الكشف ، وهو الستر شرط فى صحة الصلاة ، ففقدت الصحة لفقد شرطها ثم قال : « فَأَعْتَبِرْ ما ذكرته تجد جميع الأحاديث ماشية عليه من غير خلل ولا اضطراب . والله أعلم » (١) .

(٢) - صلاة أحدكم : مفرد مضاف فيعم كل صلاة ؛ سواء فى ذلك الفريضة والنافلة وصلاة الجنائزة ، وهذا أمر مجمع عليه إلا ما حكى عن الشعبى ومحمد بن جرير الطبرى أنهما قالا : تجوز صلاة الجنائزة بغير طهارة . قال النووى : « أجمعت الأمة على تحريم الصلاة بغير طهارة من ماء أو تراب ، ولا فرق بين الصلاة المفروضة والنافلة وسجود التلاوة والشكر وصلاة الجنائزة ، إلا ما حكى عن الشعبى ومحمد بن جرير الطبرى من قولهما تجوز صلاة الجنائزة بغير طهارة وهذا مذهب باطل ، وأجمع العلماء على خلافه » (٢) .

ونقل القاضى عياض عن بعض العلماء أن حكم الوضوء حكم ما توضع له من نافلة أو سنة (٣) .

(١) طرح التثريب : ٢١٥/٢ .

(٢) شرح النووى لمسلم : ٥٠٣/١ .

(٣) طرح التثريب : ٢١٥/٢ .

(٣) - قال القاضى أبو بكر بن العرى : الطهارة من شروط أداء الصلاة لا من شروط وجوبها بإجماع الأمة .

قال صاحب طرح التثريب : وفيما نقله من الإجماع نظر ، فعند المالكية فى ذلك خلاف سينتضح فيما يلى :

وقد استدلل القاضى عياض وغيره بهذا الحديث على أن فاقده الطهورين ؛ الماء والتراب - لا تجب عليه الصلاة وزاد صاحب المفهم على ذلك أن فيه دليلاً على أنه لا يجب القضاء أيضاً ، قال : لأن عدم قبولها لعدم شرطها يدل على أنه ليس مخاطباً بها حالة عدم شرطها ، فلا يترتب شئ فى الذمة فلا تقضى ، وبه قال مالك وابن نافع قال : وعلى هذا فتكون الطهارة من شروط الوجوب . واختلف أصحاب مالك فى هذه المسألة لاختلافهم فى كون الطهارة شرطاً فى الوجوب فنسقط الصلاة عمن تعذرت عليه ، أو شرطاً فى الأداء فيقف الفعل على الوجود ^(١) .

قال الإمام النووى ملخصاً أقوال العلماء فى المعذور الذى لم يجد ماء ولا تراباً « فيه أربعة أقوال للشافعى - رحمه الله تعالى ، وهى مذاهب للعلماء قال بكل واحد منها قائلون أصحابها عند أصحابنا : يجب عليه أن يصلى على حاله ، ويجب أن يعيد إذا تمكن من الطهارة . والثانى : يحرم عليه أن يصلى ويجب القضاء ، والثالث : يستحب أن يصلى ويجب القضاء ، والرابع يجب أن يصلى ولا يجب القضاء ، وهذا القول اختيار المزنى ، وهو أقوى الأقوال دليلاً ، فأما وجوب الصلاة فلقوله صلى الله عليه وسلم : إذا أمرتكم بأمر فافعلوا منه ما استطعتم ^(٢) وأما الإعادة فإنما تجب بأمر مجدد والأصل عدمه ، وكذا يقول المزنى : كل صلاة أمر بفعلها فى الوقت على نوع من الخلل لا يجب قضاؤها ^(٣) . والله أعلم .

(١) المصدر السابق : ٢١٦/٢ .

(٢) انظر حديث رقم (٣٢) وتخرجه فى هذا الكتاب .

(٣) شرح مسلم للنووى : ٥٠٣/١ . وانظر توسعاً فى طرح التثريب : ٢١٦/٢ - ٢١٧ .

(٤) - وإذا تقرر دلالة الحديث على بطلان الصلاة عند فقد الطهارة فإنها تحرم في تلك الحالة لما في ذلك من التلاعب بعمل العبادة الفاسدة إذا صلى بغير طهارة ومن غير عذر ، وقد حكى عن أبي حنيفة أنه يكفر ، وقال الجمهور : لا يكفر ؛ لأن الكفر بالاعتقاد وهذا المصلى اعتقاده صحيح ^(١) .

(٥) - وللحدث معانٍ :

أحدها : الخارج المخصوص الذى يذكره الفقهاء فى باب نواقض الوضوء ، ويقولون : الأحداث كذا وكذا .

الثانى : نفس خروج ذلك الخارج .

الثالث : المنع المترتب على ذلك الخروج وبهذا المعنى يصح قولنا : « رفعت الحدث » و « نويت رفع الحدث » فإن كل واحد من الخارج والخروج قد وقع ، وما وقع يستحيل رفعه ، بمعنى ألا يكون واقعاً ، وأما المنع المترتب على الخروج فإن الشارع حكم به ، ومد غايته إلى استعمال المكلف الطهور ، فباستعماله يرتفع المنع ، فيصح قولنا : « رفعت الحدث » و « ارتفع الحدث » ؛ أى ارتفع المنع الذى كان ممدوداً إلى استعمال المطهر .

وبهذا التحقيق يقوى قول من يرى أن التيمم يرفع الحدث ؛ لأنه يزيل المنع ويرفعه وإن كان هذا الرفع مخصوص بوقت ما أو بحالة ما ، وهى عدم الماء ومثل التيمم فى هذا مثل بعض الأحكام التى قد تختلف باختلاف أحوالها ، وقد كان الوضوء مثلاً فى صدر الإسلام واجباً لكل صلاة على ما حكوه ، ولا شك أنه كان رافعاً للحدث فى وقت مخصوص ، وهو وقت الصلاة ، ولم يلزم من انتهائه بانتهاء وقت الصلاة فى ذلك الزمن ألا يكون رافعاً للحدث ، وكذلك التيمم .

الرابع : هو وصف حكمى مقدر قيامه بالأعضاء ، فما نقول : إنه يرفع الحدث

(١) طرح التثريب : ٢١٨/٢ .

كالوضوء والغسل - يزيل ذلك الأمر الحكمي ، وما نقول بأنه لا يرفع الحدث فذلك المعنى المقدر القائم بالأعضاء حكماً باقٍ لم يزل .

وبهذا الاعتبار يقال : إن التيمم لا يرفع الحدث بمعنى أنه لم يزل ذلك الوصف الحكمي المقدر ، وإن كان المنع زائلاً .

قال ابن دقيق العيد : إن كثيراً من الفقهاء يدعون هذا المعنى الرابع ، وهم مطالبون بدليل شرعي يدل على إثباته .

ثم قال : وقد يقولون إن الدليل هو أن الماء المستعمل قد انتقل إليه المانع ولكن المسألة متنازع فيها ، فقد قال قوم بطهوية الماء المستعمل ، ولو قيل بعدم طهوريته أو بنجاسته لم يلزم انتقال مانع إليه فلا يتم الدليل ^(١) .

قال صاحب طرح التثريب : الدليل عليه ما رواه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه وصححه عن عمرو بن عمرو بن العاص قال : « احتلمت في ليلة باردة في غزاة ذات السلاسل ، فأشفقت أن أغتسل فأهلك ، فتيمنت ، ثم صليت بأصحابي ، فذكروا ذلك لرسول الله - ﷺ - فقال : يا عمرو : صليت بأصحابك وأنت جنب ؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت : إني سمعت الله عز وجل - يقول : (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً) ^(٢) . فضحك النبي - ﷺ - ولم يقل شيئاً » ^(٣) فأقره النبي - ﷺ - على الصلاة ، فدل على أن المنع المترتب على الخارج قد زال ، ثم أثبت له وصف الجنابة بقوله : « وأنت جنب » وهذا يقوى القول بأن التيمم لا يرفع الحدث ؛ أي الوصف الحكمي المقدر ، وإن كان الحدث بالمعنى الثالث ، وهو المنع - قد زال ، وإن اختص زواله ببعض الأحوال كفقده الماء أو وجوده مع الحاجة إليه ، وبعض الأوقات ؛ فإنه لا يرفع المنع إلا من فريضة واحدة . ومن يرى أن التيمم رافع للحدث

(١) إحكام الأحكام : ١٢/١ - ١٣ .

(٢) النساء : ٢٩ .

(٣) سنن أبي داود : (٢٣٨/١) - (١) كتاب الطهارة - (١٢٦) باب إذا خالف الجنب البرد أتيتم ؟

(رقم ٣٣٤) .

لا يثبت هذا المعنى ، ويقول : إذا زال المنع لم يبق حدث ^(١) . قال صاحب طرح التثريب : والظاهر أن المراد بالحدث في هذا الحديث المعنى الأول أو الثاني أو الرابع ، ولا يمكن إرادة الثالث ؛ لأن هذا الحديث هو الدال على المنع ، فلو حملنا قوله « إذا أحدث » على المنع لم يكن فيه فائدة ^(٢) .

(٦) - استعمل الفقهاء « الحدث » عاماً فيما يوجب الطهارة - فإذا حمل الحديث عليه كان معنى « إذا أحدث » أى نوع من أنواع النواقض جميعها ، وهى مفصلة فى مواضعها .

وفى المصنف وفى صحيح البخارى - كما مر فى التخرىج - : « قال رجل من حضرموت : ما الحدث يا أبا هريرة ؟ قال : فساء أو ضراط . أى أنه فسر الحدث بأخص من هذا الاصطلاح .

قال ابن دقيق العيد : ولعله قد قامت له قرائن حالية اقتضت هذا التخصيص ^(٣) . وقال ابن بطلال : إنما اقتصر على بعض الأحداث لأنه أجاب سائلاً سألته عن المصلى يحدث فى صلاته ، فخرج جوابه على ما يسبق المصلى من الأحداث فى صلاته ؛ لأن البول والغائط والملامسة غير معهودة فى الصلاة ، وهو نحو قوله - ﷺ - للمصلى إذ أمره باستصحاب اليقين فى الطهارة : « لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً » ، ولم يقصد به تعيين الأحداث وتعدادها .

وقال ابن بطلال أيضاً : والأحداث التى أجمع العلماء أنها تنقض الوضوء - سوى ما ذكره أبو هريرة : البول ، والغائط ، والمذى ، والودى ، والمباشرة ، وزوال العقل بأى حال زال ، والنوم الكثير .

والأحداث التى اختلف فى وجوب الوضوء منها : القبلة ، والجمسة ، ومس الذكر ،

(١) طرح التثريب : ٢١٨/٢ - ٢١٩ .

(٢) المصدر السابق : ٢١٩/٢ .

(٣) إحكام الأحكام : ١٤/١ .

والرعاف ، ودم الفصد ، وما يخرج من السيلين نادراً غير معتاد ؛ كسلس البول والمذى ودم الاستحاضة والدود يخرج من الدبر وليس عليه أذى ^(١) .

(٧) - وقد تكلم القفال في محاسن الشريعة على حكمة ربط الطهارة بالأحداث بما ملخصه : أن الطهارة بالماء مستحسنة عقلاً وعادة ، ولو لزم فعلها كل وقت لتعذر أو شق فعلت بحال مخصوصة وهى الصلاة ؛ لأنها أولى ما تعلق به ؛ لما فيها من مناجاة الله تعالى ، ولو وجبت لكل صلاة لشق ، ولا بد لها من نهاية ينقضى حكمها بوجودها ، ولا يصلح أن تكون تلك النهاية عدداً مخصوصاً من الصلوات ؛ فإن الطهارة قد تجب لغير الصلاة ، فجعلت نهايتها خروج أشياء من البدن مستفطرة جرت العادات الحسنة باجتنابها وإزالتها ، وسميت تلك الأشياء أحداثاً . وزوال العقل مظنة خروج شيء ؛ بل هو يزيل التكليف ، وهو أشنع الأشياء فألحق بما يخرج من السيلين .

على أن الطهارة إنما تقع بما يتنظف به ، والخارج من البدن إما مستخبث كالبول ونحوه ، أو غير مستخبث كالعرق والبزاق ونحوهما - فاختصت بخروج المستخبث ؛ لأنه الذى يحتاج إلى التنظيف منه .

وقد نهى الله بما أمرنا به من الطهارة من الحدث على الطهارة من الآثام لأن أفعال البدن ؛ مستخبث كالمعصية ؛ وغير مستخبث كالطاعة ، فانقسم ما يخرج من البدن قسمين كانقسام ما يخرج من أفعال البدن قسمين ، وكان التطهير للمذموم منهما فى الناس .

وإذا كان القفال قد ذهب إلى فلسفة الطهارة من الأحداث على هذا النحو فقد رأى القاضى أبو بكر بن العرى رأياً آخر ، وهو : أن ربط الطهارة بالأحداث عبادة لا يعقل معناها . وربما كان هذا هو الطريق الأسلم فى مثل هذه الأمور ^(٢) .

(١) طرح التثريب : ٢٢٠/٢ .

(٢) المصدر السابق : ٢٢١/٢ .

(٨) - والمراد من قوله ﷺ « حتى يتوضأ » حتى يتطهر بماء أو تراب ، وإنما اقتصر على الوضوء لكونه الأصل أو الغالب ^(١) . على أن التيمم من أسمائه الوضوء قال عليه الصلاة والسلام « الصعيد الطيب وضوء المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين » فأطلق الشارع على التيمم أنه وضوء ؛ لكونه قام مقامه ، وإنما اقتصر على ذكر الوضوء نظراً إلى كونه الأصل . كما ترك ذكر قيد آخر للعلم به ، وهو حتى يتوضأ - مع باقي شروط الصلاة ^(٢) .

(٩) - استدل بهذا الحديث على أن الوضوء لا يجب لكل صلاة ، ووجه الاستدلال به أنه - ﷺ - نفى القبول ممتداً إلى غاية الوضوء مطلقاً ، وتدخل تحته الصلاة الثانية قبل الوضوء لها ثانياً ^(٣) .

وكذلك فقد قيد عدم القبول بشرط الحدث ، ومفهومه حجة عند الأكثرين ، ومفهومه هنا أنه إذا لم يحدث تقبل صلاته ، وإن لم يجد وضوءاً ^(٤) .

(١٠) - قال صاحب طرح التثريب : قد يستأنس به لأصح الأوجه عند أصحابنا (أى الشافعية) أن الطهارة تجب بالحدث والقيام إلى الصلاة ، والثاني أنها تجب بالحدث وجوباً موسعاً ، والثالث تجب بالقيام إلى الصلاة فقط ^(٥) .

(١١) - فيه الدليل على بطلان الصلاة بالحدث ، سواء كان خروجه اختيارياً أو اضطرارياً لعدم التفرقة بين حدث وحدث في حالة دون حالة ^(٦) . والله أعلم .

★ ★ ★

(١) شرح مسلم للنووى : ٥٠٣/١ .

(٢) عمدة القارى : ٢٢٢/٢ .

(٣) إحكام الأحكام : ١٤/١ .

(٤) طرح التثريب : ٢٢٢/٢ .

(٥) المصدر السابق : ٢٢٢/٢ .

(٦) عمدة القارى : ٢٢٢/٢ .

١١٠ - وقال رسول الله - ﷺ - : إذا نُودِيَ بالصلاة فأتوها وأنتم تمشون ، وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا ، وما سبقكم فأتموا .

● رواه عبد الرزاق في المصنف (٢٨٨/٢) في باب المشى إلى الصلاة ، عن معمر ، عن همام به (رقم ٣٤٠٣) .

ورواه أحمد (٩٧/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام . (رقم ١١٤/٨٢٠٧) وفيه « فاقضوا » بدل « فأتوا » .

ورواه مسلم (٤٢١/١) - (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة - (٢٨) باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة ، والنهي عن إتيانها سعيًا . بسنده للصحيفة (رقم ٦٠٢/١٥٣) .

وقد ذكر الحافظ العراقي في تقريب الأسانيد أن مسلماً لم يسق لفظه ^(١) ، والحق أنه قد ذكر الحديث بلفظه وسنده . قال ابنه أبو زرعة : وكأنه اشتبه حالة الكتابة بالرواية الثانية وهي رواية ابن عيينة ، وقد وهم في ذلك ^(٢) .

كما روى من طرق عن ابن عيينة ، وإبراهيم بن سعد ، ويونس جميعاً عن الزهري عن سعيد (بن المسيب) أو عنه وأبي سلمة ، أو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ، وأتوها تمشون وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا » . (رقم ٦٠٢/١٥١) .

ومن طريق العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : إذا ثوب للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ، وأتوها وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا ؛ فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة . (رقم ٦٠٢/١٥٤) .

ومن طريق هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، وفيه « صل ما أدركت واقض ما سبقك » (رقم ٦٠٢/١٥٤) .

ومن طريق يحيى بن أبي كثير ، عن عبد الله بن أبي قتادة ، عن أبيه قال : بينما نحن نصل مع رسول الله - ﷺ - فسمع جلبة فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : استعجلنا إلى الصلاة قال : فلا تفعلوا ، وذكر نحو حديثنا . (رقم ٦٠٣/١٥٥) .

وحديث أبي قتادة هذا رواه البخاري بنفس هذا الطريق في (١٥٦/١) - (١٠) كتاب الأذان - (٢٠) باب قول الرجل : فاتتنا الصلاة . (رقم ٦٣٥) .

(١) ص : ٢٦ .

(٢) طرح التثريب : ٣٦٠/٢ .

وفي (١٥٧/١) - (٢٣) باب لا يسعى إلى الصلاة مستعجلاً - ولا يقيم بالسكينة والوقار - دون القصة .

كما روى في (١٥٦/١) - (١٠) كتاب الأذان - (٢١) باب لا يسعى إلى الصلاة ، وليأت بالسكينة والوقار - من طريق ابن أبي ذئب ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ولفظه : « إذا سمعت الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة ، والوقار ، ولا تسرعوا ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا » (رقم ٦٣٦) .

كما روى حديثاً عن الزهري في (٢١٨/١) - (١١) كتاب الجمعة - (١٨) باب المشي إلى الجمعة وقول الله جل ذكره (فاسعوا إلى ذكر الله) رواه عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة نحو حديث همام (رقم ٩٠٨) .

ورواه البيهقي في (٢٩٥/٢) كتاب الصلاة - باب المسبوق ببعض صلاته يصنع ما يصنع الإمام ، فإذا سلم الإمام قام فأتى باقي الصلاة - بسنده عن أحمد بن يوسف السلمى ثنا عبد الرزاق ، أنبأ معمر ، عن همام قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة . وذكره .

وفي (٢٩٨/٢) في الكتاب نفسه - باب ما أدرك من الصلاة فهو أول صلاته عن أبي طاهر الفقيه ، عن أبي بكر محمد بن الحسين القطان ، عن أحمد بن يوسف السلمى ، عن عبد الرزاق به . وهو يلتقى مع سند الصحيفة في أبي بكر محمد بن الحسين القطان .

ومن تخريج هذا الحديث يتبين لنا أن الإمام أحمد تفرد بروايته : « وما فاتكم فاقضوا » في حديث همام عن أبي هريرة .

وقد لخص الحافظ العراقي اختلاف الروايات فيما بين « فأتوا » و « فاقضوا » والترجيح فيما بينها فقال : « كذا في المسند من هذا الوجه ، « فاقضوا » ولم يسبق مسلم لفظه ^(١) ، وساقه أبو نعيم في المستخرج فقال : « فأتوا » ، وعن سعيد ، عن أبي هريرة ، قيل له : عن النبي - ﷺ ؟ قال : نعم ، « إذا أتيت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ، وأتوها وعليكم السكينة ... » فذكره ، لم يقل الشيخان : « فاقضوا » ، وإنما قالوا : « فأتوا » ، زاد مسلم : فإن أحدكم إذا كان يعتمد إلى الصلاة فهو في صلاة ، وفي رواية له : صل ما أدركت ، واقض ما سبقك » قال مسلم في التمييز : لا أعلم روى هذه اللفظة عن الزهري غير ابن عيينة : « واقضوا ما فاتكم » . قال مسلم : وأخطأ ابن عيينة فيها ، وقال أبو داود : قال يونس ، والزبيدي ، وابن أبي ذئب ، وإبراهيم بن سعد ، ومعمر ، وشعيب بن أبي حمزة ، عن الزهري : « فأتوا » . وقال ابن عيينة وحده : « فاقضوا » وقال محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، وجعفر بن ربيعة ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة : « فأتوا » . وابن مسعود ، وأبو قتادة ، وأنس - كلهم : « فأتوا » وقال أبو سلمة ،

(١) سبق أن ذكرنا أن أبا زرعة ابنه بين أن هذا وهم من أبيه لأن مسلماً ساق اللفظ .

وابن سيرين ، وأبو رافع ، عن أبي هريرة : « فاقضوا » وأبو ذر روى عنه : « فأتَمُوا » و « اقصوا » . قال البيهقي : والذين قالوا : « فأتَمُوا » أكثر ، وأحفظ ، وألزم لأبي هريرة فهو أولى ، وحديث أبي قتادة : « فأتَمُوا » متفق عليه ^(١)

» « «

شرح الحديث :

(١) - في الحديث الأمر بإتيان الصلاة مشياً ، والنهي عن الإسراع إليها .
وظاهره أنه لا فرق في ذلك بين الجمعة وغيرها ، ولا بين أن يخاف فوت تكييرة الإحرام أو فوت ركعة أو فوت الجماعة بالكلية . وبهذا قال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ^(٢) ومن بعدهم .

وقد عقد ابن أبي شيبة في مصنفه باباً لمن كره الإسراع إلى الصلاة ، ذكر فيه روايات عن عبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأنس بن مالك ، والزيبر بن العوام ، وعلي بن حسين ، ومجاهد ، وابن عمر رضى الله عنهم تثبت أنهم كانوا لا يسرعون إلى صلاتهم ويرشدون إلى ذلك ^(٣) .

قال أبو زرعة بن العراق : وهو قول مالك والشافعي وأحمد ^(٤) .

ورأى بعض العلماء الإسراع إلى الصلاة ، وقد عقد ابن أبي شيبة باباً لمن كان يسرع إلى الصلاة ؛ منهم ابن عمر أنه سمع الإقامة بالبقيع فأسرع المشى ، ومنهم سعيد ابن جبير ، والأسود ، وعبد الرحمن بن يزيد ، وعبد الله بن مسعود الذي قال : أحق ما سعيينا إلى الصلاة ^(٥) .

(١) تقريب الأسانيد ص ٢٦ - ٢٧ ولأبي زرعة ابنه تعليق على بعض ما في هذا النص . انظره في طرح التثريب ٣٦٠/٢ - ٣٦١ .

وما نقله الحافظ العراق عن البيهقي في السنن الكبرى ٢٩٨/٢ .

(٢) طرح التثريب : ٢٥٤/٢ .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة : ٣٥٨/٢ - ٣٥٩ .

(٤) طرح التثريب : ٢٥٤/٢ .

(٥) مصنف أبي شيبة : ٣٥٨/٢ - ٣٥٩ .

وقال الترمذى : اختلف أهل العلم فى المشى إلى المسجد ، فمنهم من رأى الإسراع إلا إذا خاف فوت التكبيرة الأولى حتى ذكر عن بعضهم أنه كان يهرول إلى الصلاة ، ومنهم من كره الإسراع واختار أن يمشى على تؤدة ووقار ؛ وبه يقول أحمد وإسحاق ؛ وقالوا : العمل على حديث أنى هريرة ، وقال إسحاق : إن خاف فوت التكبيرة الأولى فلا بأس أن يسرع فى المشى ^(١) .

ومن كلام الترمذى هذا يمكن أن نفهم أن الإسراع إلى الصلاة إنما هو فى حالات خاصة ، وليس فى جميع الحالات . قال الحافظ العراقى : والظاهر أن من أطلق الإسراع عن ابن عمر وغيره إنما هو عند خوف فوت تكبيرة الإحرام كما قيده الترمذى ، فقد روى ابن أنى شعبة من رواية محمد بن زيد بن خليفة قال : كنت أمشى مع ابن عمر إلى الصلاة ، فلو مشيت معه غلّة لرأيت ألا يسبقها ^(٢) ، وحكى عن ابن مسعود أيضا الإسراع إذا خاف فوت التكبيرة الأولى وحكى عن مالك أنه إذا خاف فوت الركعة أسرع ، وقال : لا بأس لمن كان على فرس أن يحرك الفرس وقال القاضى عياض ، وتبعه صاحب المفهم : وتأوله بعضهم على الفرق بين الراكب والماشى ؛ لأنه لا ينبهر كما ينبهر الماشى . وحكى أيضا عن إسحاق أنه يسرع إذا خاف فوت الركعة ، وهو مخالف لما حكاه الترمذى عن إسحاق من تعليق الإسراع بخوف فوات التكبيرة الأولى ، ولعله يقول بالإسراع فى الموضعين معا ^(٣) .

وعلى أية حال فليس فى فعل الصحابة وغيرهم ممن نقل عنهم الإسراع - ما يتنافى مع العمل بالحديث الشريف ، فإنه باستثناء هذه الحالات الخاصة لا يسرعون إليها ويعملون بهذا الحديث ، ولهذا لم يكن عجبا أن ينقل هذا وذاك عن ابن عمر - رضى الله تعالى عنه ، ولذلك عندما حكى البغوى اختلافهم حكاه فيمن يخاف فوت

(١) سنن الترمذى : ١٤٩/٢ .

(٢) المصنف : ٣٥٩/٢ .

(٣) طرح التثريب : ٣٥٥/٢ .

التكبيرة الأولى ، فقال : واختلف أهل العلم فيمن يخاف فوت التكبيرة الأولى ، منهم من قال : يسرع حتى قال بعضهم : يهرول ^(١) .

(٢) - وإذا كان العمل بهذا الحديث ينطبق على صلاة الجمعة كما ذهب إلى ذلك العلماء حتى قال الإمام أبو زرعة بن العراقي : لا نعلم أحداً قال بالإسراع لها دون غيرها من الصلوات - فإن هذا لا يتعارض مع قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) ^(٢) ؛ لأن معنى الآية الكريمة « فامضوا إلى ذكر الله » وروى أن عمر بن الخطاب كان يقرأها هكذا ^(٣) . قال مالك : وإنما السعى في كتاب الله العمل والفعل ، يقول الله - تبارك وتعالى - : (وإذا تولى سعى في الأرض) ^(٤) ، وقال تعالى : (وأما من جاءك يسعى وهو يخشى) ^(٥) ، وقال سبحانه : (ثم أدبر يسعى) ^(٦) وقال جل شأنه : (إن سعيكم لشتى) ^(٧) قال مالك : فليس السعى الذى ذكر الله - عز وجل في كتابه بالسعى على الأقدام ، ولا الاشتداد ، وإنما عنى العمل والفعل ^(٨) . وقد يكون عدواً ؛ كقوله تبارك وتعالى : (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) ^(٩) أى يشتد ويعدو ، ويكون عملاً ؛ كقوله : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) ^(١٠) أى عمل ، ويكون تصرفاً ؛ كقوله سبحانه وتعالى (فلما بلغ معه السعى) ^(١١) أى أدرك التصرف في الأمور ^(١٢) .

(١) شرح السنة : ٣١٩/٢ .

(٢) الجمعة : ٩ .

(٣) الموطأ : ١٠٦/١ .

(٤) البقرة : ٢٠٥ .

(٥) عبس : ٨ .

(٦) النازعات : ٢٢ .

(٧) الليل : ٤ .

(٨) الموطأ : ١٠٧/١ .

(٩) القصص : ٢٠ .

(١٠) النجم : ٣٩ .

(١١) الصافات : ١٠٢ .

(١٢) شرح السنة : ٣١٨/٢ .

وروى ابن أئى شىة بسنده عن الحسن فى قوله تعالى : (فاسعوا إلى ذكر الله) قال : أما والله ما هو بالسعى على الأقدام ، وقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ، ولكن بالقلوب والثبات والخشوع ^(١) .

(٣) - إذا نودى بالصلاة : يحتفل أن يراد بالنداء الأذان ، ويحتفل أن يراد به الإقامة ، وقد ورد فى الصحيح : « إذا أقيمت الصلاة ... » وسواء فسرناه بالأذان أو الإقامة فليس هذا القيد معتبرا فى الحكم ، فلو قصد الصلاة قبل الإقامة كره له الإسراع أيضا ، بل هو أولى بالكراهة لأن بعد الإقامة يخاف فوات بعض الصلاة ، وقبلها لا يخاف ذلك فإذا نهى عن الإسراع مع خوف فوات بعض الصلاة فمع عدم الخوف أولى ، فهذا من التنبيه بالأدنى على الأعلى ، وهو من مفهوم الموافقة .

قال الإمام النووى بعد أن ذكر هذا المعنى : « وأكد ذلك بيان العلة ، فقال - ﷺ - : فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو فى صلاة ، وهذا يتناول جميع أوقات الإتيان إلى الصلاة ، وأكد ذلك تأكيدا آخر قال : « فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا » فحصل فيه تنبيه وتأكيد ؛ لئلا يتوهم متوهم أن النهى إنما هو لمن لم يخف فوات بعض الصلاة ، فصرح بالنهى ، وإن فات من الصلاة ما فات - وبين ما يفعل فيما فات ^(٢) .

على أنه يحتفل أن يكون ذكر الإقامة خرج مخرج الغالب ؛ لأن الغالب أنه إنما يفعل ذلك من خاف الفوت ، فأما من بادر فى أول الوقت فلا يفعل ذلك بإدراك أول الصلاة ^(٣) غالبا .

(٤) - وقد اختلف فى صيغة الأمر « فأتوها وأنتم تمشون » والأظهر أنها للندب بدليل أن التأدب والخشوع فى الصلاة نفسها مختلف فىه ، وأكثر الفقهاء على أنه شرط

(١) المصنف : ١٥٧/٢ .

(٢) شرح مسلم للنووى : ٢٤٦/٢ .

(٣) طرح التثريب : ٣٥٧/٢ ، وعزى ابن العراق ذلك إلى والده فى شرحه للترمذى .

كمال وقد قال - ﷺ في حديث آخر : لا يزال العبد في صلاة ما دام ينتظر الصلاة فالوسيلة إلى الشيء أعظم حكمها أن تجعل كالشيء نفسه . ولو كان الأمر على الوجوب لأشار إليه عليه الصلاة والسلام بزيادة ما ؛ لأنه المشرع ، وهذا وقت بيان الحكم ، وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز ^(١) .

ومن ذهب إلى الوجوب ابن حزم الظاهري فقال في المحلى : « ولا يجوز الإسراع إلى الصلاة وإن علم أنها قد ابتدئت » ^(٢) .

(٥) - وعليكم السكينة : قال النووي : السكينة هي التأنى في الحركات واجتناب العبث ونحو ذلك ^(٣) وهي من السكون . قال أبو العباس القرطبي : ينصب « السكينة » على الإغراء ؛ أى الزموا السكينة وقال الحافظ العراقي : المشهور في الرواية رفع السكينة على أن قوله : « وعليكم السكينة » جملة في موضع الحال ^(٤) .

وقد قال العلماء : إن حد السكينة ما لم يخرجك عن حال حد الوقار ، وقد روى عن ابن عمر أنه كان إذا سمع الإقامة وهو يأتي المسجد يمد الخطأ ، ويخفف رفع قدمه ، وهذا الحال آخر السكينة ^(٥) .

(٦) - والحكمة في الأمر بالمشى ولزوم السكينة أمور :

أحدها : أن الذهاب إلى صلاة عامد في تحصيلها ومتوصل إليها، فينبغي أن يكون متأدباً بآدابها وعلى أكمل الأحوال . وهذا معنى الرواية : « فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى صلاة فهو في صلاة » ^(٦) .

(١) بهجة النفوس : ٢١٥/١ .

(٢) المحلى : ٢٦٢/٤ مسألة رقم ٥٠٨ .

(٣) شرح مسلم : ٢٤٧/٢ .

(٤) طرح الثريب : ٣٥٧/٢ .

(٥) بهجة النفوس : ٢١٧/١ .

(٦) شرح مسلم للنووي : ٢٤٥/٢ - ٢٤٦ .

ثانيها : تكثير الخطأ ؛ فقد روى الطبراني بإسناد صحيح عن أنس بن مالك قال : كنت أمشي مع زيد بن ثابت ، فقارب في الخطأ ، فقال : أتدري لم مشيت بك هذه المشية ؟ فقلت : لا ، فقال : لتكثير خطانا في المشي إلى الصلاة ، وقد روى هذا مرفوعا من حديث زيد بن ثابت ومن حديث أنس رضي الله عنهما ^(١) .

ثالثها : ذكر بعض العلماء أن الحكمة في ذلك ألا يهر الإنسان نفسه فلا يتمكن من ترتيل القرآن ، ولا من الوقار اللازم له في الخشوع .

قال الحافظ العراقي : يبنى على المعنيين ؛ أي الأولين عود المصلي من المسجد إلى بيته ؛ فإن عللنا بالمعنى الأول فقد زال في رجوعه إلى بيته كونه في صلاة ، وإن عللنا بالمعنى الثاني فيستحب أيضا المشي ومقاربة الخطأ لحديث عبد الله بن عمرو مرفوعا : « من راح إلى مسجد الجماعة فخطوة تمحو سيئة وخطوة تكتب حسنة ذاهبا وراجعا » وإسناده جيد . قال أبو زرعة ابنه : وإن عللنا بالمعنى الثالث فلا يثبت هذا الحكم في الرجوع ، كما قلنا على المعنى الأول ^(٢) .

(٧) - هذا الحديث ناسخ لما روى أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا سبقوا ببعض الصلاة صلوا مقدار ما فاتهم منفردين ، ثم دخلوا مع الإمام فصلوا معه بقية الصلاة ؛ كما رواه أبو داود في أبواب الأذان عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : حدثنا أصحابنا قال : كان الرجل إذا جاء يسأل فيخير بما سبق من صلاته ، وأنهم قاموا مع رسول الله - ﷺ من بين قائم وراكع وقاعد ومصل مع رسول الله - ﷺ ، فجاء معاذ ، فأشاروا إليه ، فقال معاذ : لا أراه على حال إلا كنت عليها فقال : إن معاذ قد سنّ لكم سنة ، كذلك فافعلوا ^(٣) . ورواه الطبراني في معجمه من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ ، وفي لفظ له : « فقال : قد سنّ لكم معاذ فاقتدوا به ، إذا جاءكم أحد وقد سبق بشيء من الصلاة فليصل مع الإمام بصلاته ، فإذا فرغ الإمام فليقض ما سبقه .

(١) المعجم الكبير للطبراني : ١٢٦/٥ - من طريق السري بن يحيى ، عن ثابت البناني ، عن أنس .

(٢) طرح التثريب : ٣٥٨/٢ .

(٣) سنن أبي داود (٣٤٦/١) - (٢) كتاب الصلاة - (٢٨) باب كيف الأذان - من طريق شعبة ،

عن عمرو بن مرة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى .

قال المزني : قوله : إن معاذاً قد سن لكم يحتمل أن يكون النبي - ﷺ - أمر أن تسن هذه السنة فوافق ذلك فعل معاذ ، وذلك أن بالناس حاجة إلى رسول الله - ﷺ ، وليس بهم حاجة إلى غيره ^(١) .

قال ابن العراق : ويحتمل أن يقال : لا نسخ في هذه القضية ، ولكن الأمران جائزان ؛ أعني متابعة الإمام فيما هو فيه ، ثم استدراك ما بقى بعد سلامه ، والدخول في الصلاة منفرداً ، ثم الاقتداء بالإمام في أثناء الصلاة ، وكان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون أحد الأمرين فلما فعل معاذ الأمر الآخر استحسنته النبي - ﷺ ، ورجحه على الأمر الأول ، لا أنه حتمه وصيره ناسخاً بحيث إنه امتنع فعل الأمر الآخر ^(٢) .

هذا ما قاله ابن العراق ، ولكن في النفس منه شيء ؛ لأنه إذا كان ذلك يحتمل إلا إنه لم ينقل عن أحد من العلماء - فيما أعلم - أنه يجوز صلاة الرجل منفرداً حتى يتساوى مع الإمام في عدد الركعات فيدخل معه .

(٨) - استدلل بهذا الحديث على حصول فضيلة الجماعة بإدراك جزء من الصلاة ؛ لقوله - ﷺ - « فما أدركتم فصلوا » ولم يفصل بين القليل والكثير ، وهذا قول الجمهور . وقيل لا تدرك الجماعة بأقل من ركعة للحديث : « من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك » وقياساً على الجمعة ، ولكن الحديث ورد في الأوقات ، وفي الجمعة حديث خاص بها ^(٣) .

قال ابن حزم : وهذا (أى الحديث الذى معنا) زائد على الخبر الذى فيه : « من أدرك من الصلاة مع الإمام ركعة فقد أدرك الصلاة ولا يحل ترك الأخذ بالزيادة قال : وروينا عن ابن مسعود أنه أدرك قوماً جلوساً في آخر صلاتهم فقال : أدركتم إن شاء الله تعالى . وعن شقيق بن سلمة : من أدرك التشهد فقد أدرك الصلاة ^(٤) .

(١) طرح التريب : ٣٥٩/٢ .

(٢) المصدر السابق : ٣٥٩/٢ .

(٣) فتح البارى : ١١٨/٢ .

(٤) المحلى : ٢٦٢/٤ مسألة رقم : ٥٠٨ .

(٩) - واستدل بهذا الحديث أيضاً على استحباب الدخول مع الإمام في أى حالة وجد عليها وفي هذا حديث أصرح منه أخرجه ابن أبى شيبة من طريق عبد العزيز ابن ربيع ، عن رجل من الأنصار مرفوعاً : « من وجدني راكعاً أو قائماً أو ساجداً فليكن معي على حالتي التي أنا عليها » (١) .

(١٠) - استدل بقوله : « وما فاتكم فأتوا » على أن ما أدركه المسبوق مع الإمام هو أول صلاته ، وما يأتي به بعد سلام الإمام هو آخر صلاته .

وقد رواه ابن أبى شيبة عن علي وعمر وأبى الدرداء وعمر بن عبد العزيز ، وسعيد ابن المسيب والحسن البصري وسعيد بن جبير (٢) . وحكاها ابن المنذر عن هؤلاء خلا سعيد ابن جبير ، وقال : إنه لا يثبت عن عمر وعلي وأبى الدرداء . وحكاها أيضاً عن مكحول وعطاء والزهرى والأوزاعى وسعيد بن عبد العزيز ، وإسحاق بن راهويه والمزنى ، ثم قال : وبه أقول (٣) . ورواه البيهقي عن ابن عمر ، ومحمد بن سيرين وأبى قلابة (٤) .

وهو مذهب الشافعى (٥) ، وهو منصوص مالك في المدونة ، فإنه قال فيها : إن ما أدرك مع الإمام فهو أول صلاته ، إلا أنه يقضى مثل الذى فاتته من القراءة بأمر القرآن وسورة (٦) قال ابن بطال : ورواه ابن نافع عن مالك . وقال سحنون في العتبية : هو الذى لم نعرف خلافة ، وهو قول مالك ؛ أخبرني به غير واحد (٧) .

وحكاها ابن بطال عن أحمد بن حنبل ، وحكاها القاضى عياض عن جمهور العلماء (٨) والسلف وحكاها النووى عن الشافعى وجمهور العلماء من السلف والخلف (٩) .

(١) فتح البارى : ١١٨/٢ .

(٢) المصنف : ٣٢٣/٢ - ٣٢٤ .

(٣) طرح التثريب : ٣٦١/٢ .

(٤) السنن الكبرى : ٢٩٨/٢ - ٢٩٩ .

(٥) طرح التثريب : ٣٦١/٢ .

(٦) المدونة الكبرى : ٩٦/١ .

(٧) طرح التثريب : ٣٦١/٢ .

(٨) المصدر السابق : ٣٦١/٢ .

(٩) شرح مسلم للنووى : ٢٤٦/٢ .

وذهب آخرون إلى أن ما أدركه مع الإمام هو آخر صلاته ، وما يأتي به بعد سلام الإمام هو أول صلاته .

رواه ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود وابن عمر وإبراهيم ومجاهد وأبي قلابة وعمر بن دينار والشعبي وابن سيرين وعبيد بن عمير ^(١) . وحكاها ابن المنذر عن مالك وسفيان الثوري والشافعي وأحمد .

قال ابن العراقي : فأما مالك : فهو المشهور في مذهبه ، وقال ابن بطال : وهو قول أشهب وابن الماجشون واختاره ابن حبيب وقال : الذي يقضى هو أولها ؛ لأنه لا يستطيع أن يخالف إمامه ... وأما الشافعي ؛ فليس هذا مذهبه وما رأيت أحدا حكاها عنه إلا أن النووي حكاها عنه في الروضة ؛ قال : إنه حكى عنه قول غريب أنه يجهر ، وأما أحمد فكذلك حكاها عنه الخطابي أيضاً ، وهو خلاف ما حكاها عنه ابن بطال كما تقدم ^(٢) .

واستدلوا على ذلك بقوله - ﷺ : « وما فاتكم فاقضوا » ^(٣) ، قالوا : لما استعمل لفظ القضاء في المأثري به بعد سلام الإمام دل على أنه مؤخر عن محله ، وأنه أول الصلاة لكنه يقضيه قال العيني : ورواه ابن أبي شيبة بسند صحيح عن أبي ذر ، وابن حزم بسند مثله عن أبي هريرة ، والبيهقي بسند لا بأس به على رأى جماعة عن معاذ بن جبل - رضى الله تعالى عنه ^(٤) .

وأجابوا عما استدلل به الشافعي ومن تبعه ، وهو قوله : « فأتَمُوا » أن صلاة المأموم مرتبطة بصلاة الإمام ، فحمل قوله : « فأتَمُوا » على أن من قضى ما فاتته فقد أتم ؛ لأن الصلاة تنقص بما فات ، فقضاؤه إتمام لما نقص ^(٥) .

(١) المصنف : ٣٢٤/٢ - ٣٢٥ - كتاب الصلاة - من قال ما أدركت مع الإمام فاجعله آخر صلاتك .

(٢) طرح التثريب : ٣٦٢/٢ .

(٣) المصدر السابق : ٣٦٢/٢ .

(٤) عمدة القارى : ٣١٩/٤ .

(٥) المصدر السابق : ٣١٩/٤ .

قال ابن العراق : وأجاب الجمهور بجوابين ؛ أحدهما : تضعيف هذه اللفظة ، كما تقدم عن غير واحد . الثاني : أن قوله : « اقصوا » بمعنى أتموا ، والعرب تستعمل القضاء على غير معنى إعادة ما مضى . قال الله تعالى : (فقضاهن سمع سموات) ^(١) وقال تعالى : (فإذا قضيت الصلاة) ^(٢) ، وقالوا : قضى فلان حق فلان ، فيحمل القضاء في هذا الحديث على هذا المعنى جمعاً بين الروایتين ^(٣) .

ولكن تعقب العيني هذا الجواب فقال : لو سلمنا أن القضاء بمعنى الأداء فيكون مجازاً ، والحقيقة أولى من المجاز ، لا سيما على الأصل الذى يقول : إن المجاز ضرورى ولا يصار إليه إلا عند الضرورة والتعذر ^(٤) .

وهناك قول ثالث وهو أن ما يصلية المسبوق مع الإمام هو أول صلاته بالنسبة إلى الأفعال فينبى عليها ، وآخرها بالنسبة إلى الأقوال فيقضيها ، وهى رواية عن مالك ، وقال ابن بطال عنه : ما أدرك فهو أول صلاته إلا أنه يقضى مثل الذى فاتته من القراءة بأمر القرآن وسورة وقال سحنون : هذا الذى لم يعرف خلافه ^(٥) ، ودليله ما رواه البيهقى من حديث قتادة أن على بن أبى طالب قال : ما أدركت مع الإمام فهو أول صلاتك ، واقض ما سبقك به من القرآن ^(٦) .

قال ابن أبى جهمرة ملخصاً أقوال العلماء مرجحاً هذا القول : فيه دليل لمن يقول إن ما لحق المأموم من الصلاة مع الإمام هو صلاته ، يؤخذ ذلك من قوله : « فأتموا » وتام العمل هو آخره ، لكن يعارضه قوله عليه السلام فى حديث غيره : « فما فاتكم فاقضوا » فدل هذا على أن الذى أدركه المصلى هو آخر صلاته ويقضى ما فاتته .

(١) فصلت : ١٢ .

(٢) الجمعة : ١٠ .

(٣) طرح التثريب : ٣٦٢/٢ .

(٤) عمدة القارى : ٣١٩/٤ .

(٥) المصدر السابق : ٣١٩/٤ .

(٦) السنن الكبرى : ٢٩٩/٢ .

والحديثان صحيحان ، فمن أجل ذلك اختلف العلماء في البناء والقضاء ؛ فمنهم من قال بالبناء مطلقاً ، ومنهم من قال بالقضاء مطلقاً ، ومنهم من جمع بين الحديثين ، وهو مالك رحمه الله ومن تبعه ، وقال يكون بانياً في الأفعال ، قاضياً في الأقوال ، وهو أحسن الوجوه ؛ لأن إعمال الحديثين خير من إسقاط أحدهما ^(١) .

ويتبع هذا الخلاف الجهر بالقراءة وعدمه .

(١١) - وعلى رأى من يقول إن ما يدركه المسبوق مع الإمام هو أول صلاته أو آخرها يكون عليه أن يعيد الأقوال والأفعال التي أتى بها مع الإمام مقتدياً به - عندما تأتى مواضعها بعد ذلك ، مما هو واجب كالتشهد عند من يوجهه أو الندب كالقنوت ، وهذا هو المنقول عن السلف ، فقد روى البيهقي في سنته عن سعيد بن المسيب أنه قال : إن السنة إذا أدرك الرجل ركعة من صلاة المغرب مع الإمام أن يجلس مع الإمام ، فإذا سلم الإمام قام فركع الثانية فجلس فيها وتشهد ، ثم قام فركع الركعة الثالثة فتشهد فيها ، ثم سلم ، والصلوات على هذه السنة فيما يجلس فيه منهن . قال الزهري : قال سعيد بن المسيب : حدثوني بثلاث ركعات يتشهد فيهن ثلاث مرات ، فإذا سئل عنها قال : تلك صلاة المغرب يُسبق الرجل منها بركعة ، ثم يدرك ركعتين فيتشهد فيهما ^(٢) .

(١٢) - استدل به ابن حزم على أن من أدرك الإمام راكعاً لا تحسب له تلك الركعة ؛ لأنه - عليه الصلاة والسلام أمره بإتمام ما فاته ، وقد فاتته الوقفة ، وقراءة أم القرآن ، وحكاه عن أبي هريرة وزيد بن وهب ، وبه قال ابن خزيمة وأبو بكر الصبغى . قال ابن العراقي : لكنه كما قال النووي شاذ منكر ، والمعروف من مذاهب الأئمة الأربعة وغيرهم ، وعليه الناس قديماً وحديثاً إدراك الركعة بإدراك الركوع ، والمراد بإدراك

(١) بهجة النفوس : ٢١٤/١ .

(٢) السنن الكبرى : ٢٩٩/٢ .

الركوع أن يلتقى هو وإمامه في حد أقل الركوع ، ... ويشترط أيضا أن يطمئن قبل ارتفاع الإمام عن الحد المعتبر ؛ قال ابن المنذر : وقال قتادة وحديد وأصحاب الحسن إذا وضع يديه على ركبتيه قبل أن يرفع الإمام رأسه فقد أدرك الركعة ، وقال الشعبي : إذا انتهت إلى الصف الأخير ولم يرفعوا رؤوسهم وقد رفع الإمام رأسه فأركع ، فإن بعضهم أئمة لبعض^(١) والله أعلم .

★ ★ ★

(١) طرح التريب : ٣٦٤/٢ - ٣٦٥ .

١١١ - وقال رسول الله - ﷺ : يَضْحَكُ اللهُ لرجلين يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كلاهما يدخل الجنة . قالوا : وكيف يا رسول الله ؟ قال : يُقْتَلُ هذا ، فَيَلْجُ الجنة ، ثم يتوب الله على الآخر ، فيهديه إلى الإسلام ، ثم يجاهد في سبيل الله ، فَيُسْتَشْهَد .

• رواه عبد الرزاق في المصنف (١٨٤/١١ - ١٨٥) - باب من يضحك الله تعالى إليه . عن معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول به . (رقم ٢٠٢٨٠) .
ورواه أحمد (٩٧/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام . (رقم ١١٥/٨٢٠٨) .
ورواه مسلم في (١٥٠٥/٣) - (٣٣) كتاب الإمارة - (٣٥) باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة - بسنده للصحيفة (رقم ١٨٩٠/١٢٩) .
ونحوه من طريق سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة (رقم ١٨٩٠/١٢٨) .
وروى البخاري (٢١٠/٣) - (٥٦) كتاب الجهاد - (٢٨) باب الكافر يقتل المسلم ، ثم يسلم ، فيسدد بعد ، ويقتل - نحوه من طريق مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة . (رقم ٢٨٢٦) .
ورواه البغوي (٣٦٧/١٠) في كتاب السير والجهاد - باب ثواب الشهادة - بسندين أحدهما من طريق أحمد ابن منصور الرمادي عن عبد الرزاق ، وثانيهما عن أبي بكر محمد بن الحسين القطان عن أحمد بن يوسف السلمي عن عبد الرزاق عن معمر به .

شرح الحديث :

(١) - يَضْحَكُ اللهُ لرجلين : قال القاضي عياض : الضحك هنا استعارة في حق الله تعالى ؛ لأنه لا يجوز عليه سبحانه الضحك المعروف في حقنا ؛ لأنه إنما يصح من الأجسام ومن يجوز عليه تغير الحالات ، والله منزّه عن ذلك ، وإنما المراد به الرضا بفعلهما ، والثواب عليه ، وحمد فعلهما ومحبته ، وتلقى رسل الله تعالى لهما بذلك ؛ لأن الضحك من أحدهما إنما يكون عند موافقته ما يرضاه ، وسروره وبه لمن يلقاه .

قال : ويحتمل أن يكون المراد هنا ضحك ملائكة الله تعالى الذين يوجههم لقبض روحه وإدخاله الجنة ، كما يقال : قتل السلطان فلانا ؛ أى أمر بقتله ^(١) .

وقال ابن عبد البر : يرحم الله عبده عند ذلك ، ويتلقى بالروح والراحة ، والرأفة والرحمة ، وهذا مجاز مفهوم ^(٢) .

وذهب الخطائى إلى مثل ذلك ، ولكن بشئ من التوضيح فى بعض جوانبه فقال : الضحك الذى يعترى البشر عندما يستخفهم الفرح أو الطرب غير جائز على الله تعالى ، وإنما هذا مثل ضرب لهذا الصنيع الذى يحل محل الإعجاب عند البشر ، فإذا رآه أضحكهم ، ومعناه الإخبار عن رضا الله تعالى بفعل أحدهما وقبوله للآخر ومجازاتهم على صنيعهما بالجنة مع اختلاف حالهما قال : وقد تأول البخارى الضحك فى موضع آخر على معنى الرحمة ، وهو قريب ، وتأويله على معنى الرضا أقرب ؛ فإن الضحك يدل على الرضا والقبول . قال : والكرام يوصفون عندما يسألهم السائل بالبشر وحسن اللقاء ، فيكون المعنى فى قوله « يضحك الله » أى يجزل العطاء قال : وقد يكون معنى ذلك أن يعجب الله ملائكته ويضحكهم من صنيعهما . وهذا يتخرج على المجاز ، ومثله فى الكلام يكثر ^(٣) .

قال ابن حجر : ويدل على أن المراد بالضحك الإقبال بالرضا تعديته بإلى . تقول : ضحك فلان إلى فلان ؛ إذا توجه إليه طلق الوجه مظهراً للرضا عنه ^(٤) .

وهذا اتجاه لبعض العلماء وهو اتجاه تأويل مثل هذه العبارات ، ولكن الاتجاه الأسلم والأحكم هو عدم تأويلها ، وعدم الخوض فى معناها ، والإيمان بها كما جاءت مفوضين معناها إلى الله عز وجل ، معتقدين أنه تعالى لا تشبه صفة من صفاته صفات المخلوقين : (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) ^(٥) .

(١) شرح مسلم للنووى : ٥٥٤/٤ - ٥٥٥ .

(٢) طرح التثريب : ٢٠٥/٧ .

(٣) فتح البارى : ٤٠/٦ .

(٤) المصدر السابق : ٤٠/٦ .

(٥) الشورى : ١١ .

قال بعض العلماء ^(١) :

وأما الضحك فحقيقته معروفة في حق البشر ، وتلك الحالة مستحيلة على ذات الحق ، سبحانه وتعالى ؛ لأنه انتقال من حال إلى حال ؛ لأنه كان ساكناً أو ساكناً قبل الضحك ، وفي حالة الضحك وقع به حال نقله عما كان عليه من السكون أو السكوت ، وانتقل إلى الضحك ، وحالة الضحك غير الحالة الأولى ، يعلم هذا كل أحد بالضرورة ، لكن الضحك المعهود في حق البشر مستحيل على الله تعالى لا يتأتى في ذاته العلية إلا أن هناك أمراً يلزم معرفته والتنبيه عليه لذوى الألباب : إن المخاطب في البشر لرجل عظيم الشأن والسلطان ضخم المملكة عظيم الخزان من الأموال شديد السطوة والصولة ، فلا شك أن من كان بهذه المثابة ترتعب النفوس منه عند رؤيته ، فمخاطبه يخاطبه وجليسه يخاطبه وهو في غاية ما يكون من الوجل والخوف والذعر والهيبة ، فإذا رآه ضحك له ... فرح ذلك المخاطب وتأنس وزال خوفه وذعره لأجل ضحك الملك الذي ضحك له وخاطبه ، فالضحك من ذى الهيبة والسلطان الشديد السطوة مؤنس لجليسه مفرح له .

فإذا عرفت هذا فالرب سبحانه وتعالى عظيم العظمة والكبرياء ، عظيم العز والغنى عن العالمين ، عظيم العلو والجلال ، ما عاين أحد جلاله إلا نسى نفسه وتلف عنه وجوده ؛ لعظمة الجلال والكبرياء ، فلا شك أن هذا الميدان من حل بين يديه يخاطبه كان في غاية الدهش والذعر ، والتلف عن نفسه أشد من الرجل الذي وضع لضرب عنقه ؛ خوفاً من سطوته وجلاله ... فإذا كان الحق سبحانه هذا وصفه فمن ضحك له سبحانه وتعالى بنفس ما يرى الضحك أخبره في ضحكه أن الله أنجاه من جميع موجبات الخوف ، وبشره في ضحكه أنه من الفائزين بخيراته ورضاه ، فالضحك منه سبحانه وتعالى أنس لمخاطبه ، وأمان من عذابه وبشارة له بالفوز بخيراته ، فهذا هو الضحك منه سبحانه وتعالى ... والتحقيق فيه أنه لله سبحانه وتعالى صفة من صفات كمالته الذاتية كالجمد والكرم والعفو ، وكذا الضحك ثم إنه ضرب الحجب دون صفة الضحك سبحانه وتعالى .

(١) نُقِلَ هذا عن سيدى أحمد التُّجَانِي في كتاب جواهر المعاني : ٢٥/٢ - ٢٧ .

وقال مرة أخرى : « الضحك منه سبحانه وتعالى ، وقوله في جنة التجلى حيث يتجلى فيها ربنا ضاحكا ، وظاهرها كلها مستحيلة على الله تعالى ، وإنما هي من الكناية الإلهية ، وكذلك الغضب والسخط ، وكذلك المحبة منه سبحانه وتعالى الذى يستحل ظاهرها على الله تعالى ، وإنما هي عبارات تنبئ عن أمور مكتومة في جانب الحق سبحانه وتعالى لا تُعرف ليس فيها إلا التسليم لما يسمع ، وافترق الناس فيها على فرق ، فطائفة خاضوها بالتأويل بعد صرف ظواهرها عن الله تعالى ، وطائفة من أهل العلم أحالوا ظواهرها وفوضوا أمرها إلى الله تعالى ، وسلموا الأمر إلى الله تعالى في حقائقها ، فلم يخوضوا فيها بشيء » .

وقال ابن عبد البر : وأهل العلم يكرهون الخوض في مثل هذا ^(١) .

وقال ابن الجوزي : أكثر السلف يمتنعون من تأويل هذا ، ويُمرّونه كما جاء ، وينبغي أن يراعى في مثل هذا الإمرار اعتقاد أنه لا تشبه صفات الله عز وجل صفات الخلق . ومعنى الإمرار : عدم العلم بالمراد منه مع اعتقاد التنزيه ^(٢) .

(٢) - ثم يتوب الله - عز وجل - على الآخر فيهديه إلى الإسلام : هذه الرواية صريحة في أن القاتل كان كافرا ، وقد أخرج أحمد من طريق الزهري ، عن سعيد بن المسيب عن أنى هريرة بلفظ : « قيل : كيف يا رسول الله ؟ قال : يكون أحدهما كافرا فيقتل الآخر ، ثم يسلم ، فيغزو ، فيقتل » ^(٣) .

ولم تجيء في بعض الروايات لفظة « فيهديه إلى الإسلام » مما جعل البخاري يستفيد من حديث همام هذا وغيره فيترجم لحديثه بقوله : « باب الكافر يقتل المسلم ، ثم يسلم فيسد بعد ويقتل » . وجعل ابن عبد البر يقول : معنى هذا الحديث عند أهل العلم

(١) طرح التزيب : ٢٠٥/٧ .

(٢) فتح الباري : ٤٠/٦ .

(٣) المصدر السابق : ٤٠/٦ - ٤١ .

أن القاتل الأول كان كافراً وتوبته إسلامه : (قال الله تعالى : قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) (١) .

وقال ابن حجر تعقيماً على هذا بأنه لا مانع من أن يكون مسلماً لعموم قوله : « ثم يتوب الله على القاتل » كما لو قتل مسلم مسلماً عمداً بلا شبهة ، ثم تاب القاتل واستشهد في سبيل الله ، وإنما يمنع دخول مثل هذا من يذهب إلى أن قاتل المسلم عمداً لا تقبل له توبة (٢) .

(٣) - كلاهما يدخل الجنة : قال ابن عبد البر : يستفاد من هذا الحديث أن كل من قتل في سبيل الله فهو في الجنة (٣) .

(٤) - فيستشهد : اختلف في سبب تسمية الشهيد شهيداً ؛ فقال النضر ابن شميل : لأنه حي ، فإن أرواحهم شهدت وحضرت دار السلام ، وأرواح غيرهم إنما تشهدها يوم القيامة . وقال ابن الأنباري : لأن الله تعالى وملائكته عليهم السلام يشهدون له بالجنة . وقيل : لأنه يشهد عند خروج روحه ما أعد له من الثواب والكرامة ؛ وقيل : لأن ملائكة الرحمة يشهدونه فيأخذون روحه ؛ وقيل : لأنه شهد له بالإيمان وخاتمة الخير ظاهر حاله ؛ وقيل : لأنه ممن يشهد يوم القيامة بإبلاغ الرسل الرسالة إليهم ، قال ابن العراقي : وعلى هذا القول يشاركه غيره (٤) . والله تعالى أعلم .

★ ★ ★

(١) الأنفال : ٣٨ .

(٢) فتح الباري : ٤٠/٦ .

(٣) المصدر السابق : ٤١/٦ .

(٤) طرح : ٢٠٥/٧ .

١١٢ - وقال رسول الله - ﷺ : لا يبيع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه .

• رواه عبد الرزاق في مصنفه (١٩٩/٨) باب لا يبيع حاضر لباد - عن معمر ، عن همام ، عن أنى هريرة قال : إن رسول الله - ﷺ وفيه « ولا يخطب على خطبته » (رقم ١٤٨٦٩) .

ورواه أحمد (٩٨/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ١١٦/٨٢٠٩) ولفظه : « لا يبيع » بالنهى والجزم .
ورواه البغوى (١١٨/٨) باب بيع المصرة وغيره - بسنده للصحيفة . وروايته كرواية أحمد « لا يبيع » وقال : هذا حديث صحيح . (رقم ٢٠٩٤) .

وروى مالك في الموطأ (٦٨٣/٢) - (٣١) كتاب البيوع ، (٤٥) باب ما ينهى عنه من المساومة والمبايعات - نحوه عن نافع ، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله - ﷺ قال : « لا يبيع بعضكم على بيع بعض » (رقم ٩٥) .
كما روى بعده حديثاً عن أنى هريرة ، وفيه : « ولا يبيع بعضكم على بيع بعض » من طريق أنى الزناد عن الأعرج عنه (رقم ٩٦) .

وروى البخارى حديث مالك هذا في (٢٤/٣) - (٣٤) كتاب البيوع - (٥٨) باب لا يبيع على بيع أخيه ولا يسوم على سوم أخيه حتى يأذن له أو يترك (رقم ٢١٣٩) .

كما روى بعده حديثاً من طريق الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أنى هريرة رضى الله عنه ، وفيه « ولا يبيع الرجل على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه » .

وروى مسلم في (١٠٣٢/٢ - ١٠٣٤) - (١٦) كتاب النكاح - (٦) باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن أو يترك - عن طريق الليث ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبى - ﷺ : « لا يبيع بعضكم على بيع بعض ، ولا يخطب بعضكم على خطبة بعض » . (رقم ١٤١٢/٤٩) .

ومن طريق يحيى القطان عن عبيد الله عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبى - ﷺ ، وفيه : « ولا يخطب على خطبة أخيه إلا أن يأذن له » (رقم ١٤١٢/٥٠) .

ومن طريق سفيان بن عيينة عن الزهرى ، عن سعيد ، عن أنى هريرة أن النبى - ﷺ . وفيه « نهى أن يبيع حاضر لباد أو يتناجشوا ، أو يخطب الرجل على خطبة أخيه » (رقم ١٤١٣/٥١) .

ومن طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى عن سعيد ، عن أنى هريرة . وفيه ولا يزد الرجل على بيع أخيه (رقم ١٤١٣/٥٣) .

ومن طريق إسماعيل بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أنى هريرة أن رسول الله - ﷺ قال : لا يسم المسلم على سوم أخيه ، ولا يخطب على خطبته . (رقم ١٤١٣ / ٥٤) .

ومن طريق الليث وغيره عن يزيد بن أنى حبيب ، عن عبد الرحمن بن شماس أنه سمع عقبة بن عامر على المنبر يقول : إن رسول الله - ﷺ قال : المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يتنازع على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر (رقم ١٤١٤ / ٥٦) .

* * *

شرح الحديث :

(١) - لا يبيع أحدكم على بيع أخيه : هذا أسلوب نفى أريد به النهى بدليل بعض الروايات التى فيها « نهى رسول الله - ﷺ - عن كذا » كما جاء بعض الروايات بالجزم فى حديث همام نفسه ، كما هو واضح من التخرىج .

وأسلوب النفى الذى يراد به النهى أبلغ من النهى الصريح ، لما فيه من الزيادة ؛ إذ يفيد أن من شأن المؤمن ألا يفعل ذلك وكأنه ممثّل ، وجاءت العبارة إخباراً عن هذا الامتنال .

ويقول ابن حجر : إنه يحتمل أن تكون « لا » ناهية مع إثبات الباء ، التى تكون حينئذ ناتجة عن إشباع كسرة الباء (١) .

وصورة البيع على البيع أن يقول لمن اشترى سلعة فى زمن خيار المجلس أو الشرط افسخ لأبيّعتك خيراً منه أو أرخص .

وفى معناه الشراء على الشراء ؛ وهو أن يقول للبائع فى زمن الخيار : افسخ لأشترى منك بأكثر (٢) .

وذهب ابن حبيب من المالكية ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، وأبو عبيد القاسم

(١) فتح البارى : ٣٥٣/٤ .

(٢) طرح التثريب : ٦٩/٦ .

ابن سلام وأبو زيد الأنصارى إلى حمل البيع على بيع أخيه على ^(١) الشراء على شراء أخيه ؛ لأن العرب تقول : بعت بمعنى اشتريت ؛ قالوا : لأنه لا يبيع أحد على بيع أحد في العادة . قال أبو زرعة بن العراق : وما أدري ؛ أى موجب لصرف اللفظ عن ظاهره والاستعمال الذى ذكره في تسمية الشراء بيعاً - وإن كان صحيحاً - ولكن عكسه أشهر منه ، وقد رد ذلك ابن عبد البر فقال : وكون البيع على البيع لا يغلب وقوعه مردود . ويتقدير ذلك ، فهذا لا يقتضى أنه لا ينهى عنه ^(٢) .

وقد يدخل في البيع على البيع الإجارة ؛ فإن المنافع كالأعيان في أنها تقصد ويعقد عليها ، وقد تدخل باعتبار ثبوت الخيار فيها ، وهو وجه عند الشافعية ، وإن كان المشهور خلافه ، وذلك لأن الإجارة بيع في اللغة وإن اختصت باسم ^(٣) .

وكذلك السِّلَم بأن يتفق شخص مع آخر على السلم له في غلة بسعر كذا وتحصل الإجابة صريحاً فيقول شخص للمسلم : عندى خير من هذه الغلة أو مثلها بأنقص من هذا السعر ، أو يقول للمسلم إليه : أنا أعطيك أزيد من رأس المال الذى يدفعه المسلم ^(٤) .

وقد فسر الإمام مالك البيع على البيع بالسَّوْم على السَّوْم ، وهو أن يأخذ شيئاً ليشتري به فيجىء إليه غيره ويقول : رده حتى أبيعك خيراً منه بهذا الثمن ، أو يقول لمالكه استرده لأشتريه منك بأكثر من هذا الثمن . وهذا السوم يكون قبل عقد البيع . يقول الإمام مالك : وتفسير قول الرسول - ﷺ - فيما نرى - والله أعلم - : لا يبيع بعضكم على بيع بعض أنه إنما نهى أن يسوم الرجل على سوم أخيه ؛ إذا ركن البائع إلى السائم ، وجعل يشترط وزن الذهب ، ويتبرأ من العيوب ، وما أشبه هذا ، مما يعرف به أن البائع قد أراد مبايعة السائم ، فهذا الذى نهى عنه والله أعلم ^(٥) .

(١) في طرح التثريب (٦٩/٦) : واو بدل « على » والأرجح أنه خطأ مطبعي . لدلالة السياق .

(٢) طرح التثريب : ٦٩/٦ - ٧٠ .

(٣) المصدر السابق : ٧٢/٦ .

(٤) المصدر السابق : ٧٢/٦ .

(٥) الموطأ : ٦٨٤/٢ .

وربما يؤيد الإمام مالكاً فيما ذهب إليه أن الروايات عن رسول الله - ﷺ - قد جاءت بالنهي عن أحدهما ، ولم يجتمع النهي عن البيع على البيع والنهي عن السوم على السوم في حديث واحد ، إلا في رواية للإمام مسلم - رضى الله عنه - ، وهى عن عمرو الناقد عن سفيان بن عيينة ، عن الزهرى ، عن سعيد ، عن أنى هريرة ^(١) .

وقد حكم البيهقى عليها بأنها شاذة فيما نقله عنه الحافظ العراقى ^(٢) .

ومهما يكن من شئ فالاتفاق منعقد على تحريم الصورتين الأوليين أما الصورة الثالثة - وهى السوم على السوم - فمتفق على منعها إذا كان السوم بعد استقرار الثمن وركون أحدهما إلى الآخر ، وإنما يحرم ذلك إذا حصل التراضى صريحاً ، فإن لم يصرح ولكن جرى ما يدل على الرضا ففى التحريم وجهان ، أصحهما أنه لا يحرم ، فإن لم يجر شئ ، بل سكت فالمذهب الذى عليه الأكثرون أنه لا يحرم ، كما لو صرح بالرد ، وقيل هو على الوجهين المتقدمين ^(٣) .

وقد ذكر مالك أن السوم على السوم هذا المحرم غير صورة من السوم أخرى غير محرمة بل هى جائزة . وهى بيع المزايدة ، كما بين أن هذا جائز لأنه يدفع ضرراً عن الناس ؛ يقول : « ولا بأس بالسوم بالسلعة ، توقف للبيع ، فيسوم بها غير واحد . قال : ولو ترك الناسُ السومَ عند أول من يسوم بها أخذت بشبهه الباطل من الثمن ، ودخل على الباعة فى سلعهم المكروه ، ولم يزل الأمر عندنا على هذا » ^(٤) .

وفى السنة دليل على هذا النوع ، فعن أنس أن رسول الله - ﷺ - باع جليساً

(١) مسلم (١٠٣٣/٢) - (١٦) كتاب النكاح - (٦) باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن

أو يترك (رقم ١٤١٣/٥١) .

(٢) تقريب الأسانيد ص ٨٢ .

(٣) طرح التثريب : ٧٠/٦ - ٧١ .

(٤) الموطأ : ٦٨٤/٢ .

وقدحاً وقال : من يشتري هذا المجلس والقدح ؟ فقال رجل : أخذتهما بدرهم فقال النبي ﷺ - : من يزيد على درهم ؟ « فأعطاه رجل درهماً ، فباعهما منه (١) .

وقد أخرج البزار من حديث سفيان بن وهب : سمعت النبي ﷺ ينهى عن المزايدة « ولكنه ضعيف ؛ لأن في إسناده ابن لهيعة .

وقد أجاز بعض العلماء السوم على السوم في المغنم والموارث فقط ، وقد ورد في ذلك عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر - رضى الله عنهما : « نهى رسول الله ﷺ أن يبيع أحدكم على بيع أحد حتى يذر ، إلا الغنائم والموارث . قال الترمذى عقب حديث أنس السابق : « والعمل على هذا عند بعض أهل العلم ، لم يروا بأساً ببيع من يزيد في الغنائم والموارث .

وقد أخذ بظاهر هذا الحديث الأوزاعى وإسحاق ، فخصا الجواز ببيع المغنم والموارث ، وعن إبراهيم النخعى أنه كره بيع من يزيد .

ولكن قال ابن العرى : لا معنى لاختصاص الجواز بالغنمة والميراث ، فإن الباب واحد والمعنى مشترك .

وكأن الحديث الذى قيد جواز المساومة بالغنائم والموارث خرج مخرج الغالب فيما يعتاد فيه البيع مزادة ، وهى الغنائم والموارث ، ويلتحق بهما غيرهما للاشتراك في الحكم (٢) .

وإذا كان هناك الاستثناء من السوم على السوم ، فهناك استثناء من البيع على البيع يكون جائزاً .

فقد جاءت بعض الروايات مقيدة ؛ أخرج مسلم من طريق عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر بلفظ « لا يبيع الرجل على بيع أخيه ، ولا يخطب على

(١) أخرجه أحمد وأصحاب السنن مطولاً ومختصراً . واللفظ للترمذى وقال حسن (فتح البارى ٣٥٤/٤ ، وانظر شيئاً من تخرجه في شرح السنة ١١٩/٨ ، التحقيق) .

(٢) فتح البارى : ٣٥٤/٤ .

خطبة أخيه **إلا أن يأذن له** » فقلوه : إلا أن يأذن له يحتمل أن يكون استثناء من الحكمين ، كما هو قاعدة الشافعى ، ويحتمل أن يختص بالأخير ، ويؤيد الثانى رواية البخارى فى النكاح من طريق ابن جريج عن نافع بلفظ : نهى أن يبيع الرجل على بيع أخيه ، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب . ولكن يؤيد الأول ما أخرجه النسائى من وجه آخر عن عبيد الله بن عمر بلفظ : « لا يبيع الرجل على بيع أخيه حتى يبتاع أو يذر » (١) .

وقد استثنى بعض الشافعية من تحريم البيع والسوم على الآخر ما إذا لم يكن المشتري مغبوناً غبناً فاحشاً ، وبه قال ابن حزم ، واحتج بحديث : الدين النصيحة » قال ابن حجر : لكن لم تنحصر النصيحة فى البيع والسوم ، فله أن يعرفه أن قيمتها كذا ، وأنتك بعثها بكذا ، مغبون ، من غير أن يزيد فيها ، فيجمع بذلك بين المصلحتين (٢) . وقد نبه البغوى إلى صورتين أخريين ، أولاهما : أن يكون قصده رد عقدهما ولا يريد شراء ، ولا بيعاً ، وهذا يكون عاصياً ، سواء كان عالماً بالحديث ، أو لم يكن ، وثانيتهما أن يقصد غبطة أحدهما ، فلا يعصى إلا أن يكون عالماً بالحديث (٣) .

وظاهر قوله - ﷺ : « على بيع أخيه » اختصاص ذلك بالمسلم ، لكن الصحيح أنه لا فرق بين المسلم والذمى ، وقال أبو عبيد بن حربوية (من فقهاء الشافعية) يختص ذلك بالمسلم ، والصحيح خلافه ؛ لأن هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له . وقال ابن عبد البر : أجمع الفقهاء على أنه لا يجوز دخول المسلم على الذمى فى سومه إلا الأوزاعى وحده ، فإنه قال : لا بأس به (٤) . قال ابن حجر : وقال الجمهور : لا فرق فى ذلك بين المسلم والذمى ، وذكر الأخ خرج للغالب ؛ فلا مفهوم له (٥) .

(١) فتح البارى : ٣٥٣/٤ .

(٢) المصدر السابق : ٣٥٤/٤ .

(٣) شرح السنة : ١١٧/٨ .

(٤) طرح التثريب : ٧١/٦ .

(٥) فتح البارى : ٣٥٣/٤ .

ولو ارتكب المنهى عنه في هذا وعقد فهو آثم بذلك ، والبيع صحيح ؛ لعدم اختلال الأركان والشروط ، والنهى عن سبب ذلك لأذى غيره ، ولا يرجع ذلك إلى العقد ، وبذلك قال الشافعي وأبو حنيفة والجمهور . وقال داود وابن حزم الظاهريان : لا ينعقد ، وعن مالك روايتان كالمذهبيين . وجزم ابن خويز منداد وابن عبد البر عن مالك بالبطلان ، وأنكر ابن الماجشون أن يكون مالك قاله في البيع ، وقال : إنما قاله في الخطبة . وهما وجهان عند الحنابلة ^(١) .

(٢) - ولا يخطب على خطبة أخيه : ويقال في النفي هنا ما قيل في العبارة الأولى ؛ أى أنه نفى يراد به النهى ؛ قال الجمهور : هذا النهى للتحريم ، وقال الخطائى : هذا النهى للتأديب ، وليس بنهى تحريم يبطل العقد عند أكثر الفقهاء ^(٢) .

وكأن الخطائى فهم من كون العقد لا يبطل عند أكثر الفقهاء أن النهى عندهم ليس للتحريم وليس كذلك ، بل هو عندهم للتحريم ، وإن لم يبطل العقد ، وقد صرح بهذا الفقهاء من أهل المذاهب ^(٣) المتنوعة ، وحكى النووى في شرح مسلم الإجماع على التحريم بشروطه . قال : « هذه الأحاديث ظاهرة في تحريم الخطبة على خطبة أخيه ، وأجمعوا على تحريمها إذا كان قد صرح للخاطب بالإجابة ، ولم يأذن ولم يترك ، فلو خطب على خطبته وتزوج والحالة هذه عصى ، وصح النكاح ولم يفسخ ، وهذا مذهبنا ومذهب الجمهور » ^(٤) .

وما شرطه الإمام النووى من الرضا بالخاطب هو ما فهمه العلماء جمعاً بين هذا الحديث وحديث فاطمة بنت قيس ، وهو - كما رواه الترمذى : « جاءت النبى - ﷺ - ، فذكرت له أن أبا جهم بن حذيفة ومعاوية بن أبى سفيان خطباها . فقال : أما أبو جهم فرجل لا يرفع عصاه عن النساء ، وأما معاوية فصعلوك لا مال له ، ولكن انكحى أسامة .

(١) طرح التثريب : ٧١/٦ .

(٢) فتح البارى : ١٩٩/٩ .

(٣) طرح التثريب : ٩٠/٦ .

(٤) شرح مسلم للنووى : ٥٦٩/٣ .

فكما يقول الإمام الشافعي : معنى هذا الحديث عندنا - والله أعلم - : أن فاطمة لم تخبره برضاها بواحد منهما ، ولو أخبرته لم يشر عليها بغير الذى ذكرت ^(١) .

أما المعنى الآخر الذى يفسر الحديث الذى معنا فقد بينه الإمام الشافعي أيضا فقال : معنى هذا الحديث : (لا يخطب الرجل على خطبة أخيه) : هذا عندنا إذا خطب الرجل المرأة فرضيت به ، وركنت إليه فليس لأحد أن يخطب على خطبته ، فأما قبل أن يعلم رضاها أو ركونها إليه فلا بأس أن يخطبها . والحجة فى ذلك حديث فاطمة بنت قيس ^(٢) .

وكذلك قال مالك بن أنس : « وتفسير قول رسول الله - ﷺ - فيما نرى - والله أعلم - » لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه أن يخطب الرجل المرأة ، فتركن إليه ، ويتفقان على صداق واحد معلوم ، وقد تراضيا ، فهى تشتترط عليه لنفسها ، فتلك التى نهى أن يخطبها الرجل على خطبة أخيه ، ولم يعن بذلك إذا خطب الرجل المرأة فلم يوافقها أمره ، ولم تركن إليه ألا يخطبها أحد ، فهذا باب فساد يدخل على الناس ^(٣) .

وإذا كان هؤلاء العلماء قد جمعوا بين الحديثين ؛ الحديث الذى معنا ، وحديث فاطمة بنت قيس ، وأن الثانى يعتبر قيذا للأول فقد حكى الطبرى أن بعض العلماء قال : إن هذا النهى منسوخ بقصة فاطمة بنت قيس . وقد رد الطبرى ذلك وغلطه بأنها جاءت مستثيرة ، فأشير عليها بما هو الأولى ، ولم يكن هناك خطبة على خطبة ، ثم إن دعوى النسخ فى مثل هذا غلط ؛ لأن الشارع أشار إلى علة النهى فى حديث عقبة بن عامر بالأخوة ^(٤) وهى صفة لازمة وعلة مطلوبة للدوام ، فلا يصح أن يلحقها النسخ والله أعلم ^(٥) .

(١) جامع الترمذى : ٤٣٢/٣ .

(٢) المصدر السابق : ٤٣١/٣ - ٤٣٢ .

(٣) الموطأ : ٥٢٣/٢ - ٥٢٤ .

(٤) انظر التخرىج ص ٥٤١ من هذا الكتاب .

(٥) فتح البارى : ٢٠٠/٩ .

وإذا لم يقع التصريح بالإجابة ، لكن وجد تعريض كقولها : « لا رغبة عنك » ففيه قولان للشافعي وأحمد ؛ قال الشافعي في القديم : تحرم الخطبة ، وقال في الجديد : تجوز ، وحكى الحافظ العراقي عن مالك وأبي حنيفة تحريم الخطبة عند التعريض أيضاً ^(١) .
وقال بعض العلماء : ويجوز التقدم لخطبة من لم يدر أخطبت أو لا ، ومن لم يدر أجب خاطبها أولاً ، لأن الأصل الإباحة .

كما قال بعضهم : إذا كان الخاطب غير كفء يكون النكاح متوقفاً على الول والمرأة معاً وحينئذ فيعتبر في تحريم الخطبة إيجابتهما معاً ، وفي الجواز ردهما أو رد أحدهما .
قال الإمام الشافعي في الأم : فوجدنا الدلالة عن النبي - ﷺ - على أن النبي أن يخطب الرجل على خطبة أخيه إذا كانت المرأة راضية ورضاها إذا كانت ثيباً أن تأذن في النكاح بنعم ، وإن كانت بكرًا أن تسكت فيكون ذلك إذنا ^(٢) .

وقد دلت بعض روايات الحديث على أن الخاطب الأول إذا أذن للثاني في التزويج ارتفع التحريم : لرواية « إلا أن يأذن له » ، وهذا الإذن دالٌّ على إعراض الخاطب الأول ، وإعراضه يجوز لغيره أن يخطبها ، فيكون الجواز للمأذون له بالتنصيص ولغيره بالإلحاق ^(٣) .

وهناك بعض الشروط التي وضعها بعض العلماء ليتحقق محل التحريم :

١ - أن تكون الخطبة من الأول جائزة ، فإن كانت ممنوعة كخطبة المعتدة لم يضر الثاني بعد انقضاء العدة أن يخطبها ؛ لأن الأول لم يثبت له بذلك حق . صرح بذلك الروياني في الشافعية .

(١) طرح التثريب : ٩٠/٦ .

(٢) هذا ما نقله صاحب طرح التثريب (٩١/٦) وفي الأم : « فإذا أذنت المخطوبة في إنكاح رجل بعينه لم يجز خطبتها في تلك الحال ، وإذن الثيب الكلام ، والبكر الصمت ، وإن أذنت بكلام فهو إذن أكثر من الصمت (الأم ٣٥/٥) .

(٣) فتح الباري : ٢٠٠/٩ .

٢ - ألا يكون الخاطب الأول فاسقاً ، فإن كان فاسقاً جاز للعفيف أن يخطب على خطبته نقل ذلك عن ابن القاسم من المالكية ، ورجحه ابن العربي منهم ، وهو متجه فيما إذا كانت الخطوبة عفيفة ، فيكون الفاسق غير كفء لها ، فتكون خطبته كلا خطبة .

ولم يعتبر الجمهور ذلك إذا صدرت منها علامة القبول . وقد أطلق بعضهم الإجماع على خلاف هذا القول . قال النووي : الصحيح الذي تقتضيه الأحاديث وعمومها أنه لا فرق بين الخاصب الفاسق وغيره ^(١) .

٣ - قال الخطابي وغيره : ظاهر هذا الحديث أن يكون التحريم إذا كان الخاطب مسلماً ، فإن كان كافراً فلا تحريم ، وبه قال الأوزاعي ، وحكاه الرافعي عن أبي عبيد بن حريبه ، ويقوى ذلك قوله في الحديث : « خطبة أخيه » قال الخطابي : قطع الله الأخوة بين الكافر والمسلم ، فيختص النهي بالمسلم . وقال ابن المنذر : الأصل في هذا الإباحة حتى يرد المنع ، وقد ورد المنع مقيداً بالمسلم ، فبقى ما عدا ذلك على أصل الإباحة ، ويقوى ذلك أيضاً قوله - ﷺ - في حديث عقبة بن عامر عند مسلم ^(٢) : « المؤمن أخو المؤمن » فهو ظاهر في اختصاص ذلك بخطبة المسلم .

وقال الجمهور : تحرم الخطبة على خطبة الكافر وقال النووي مبيناً حجتهم : ولهم أن يجيبوا عن الحديث بأن التقييد بأخيه خرج على الغالب ، فلا يكون له مفهوم يعمل به ، كما في قوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) ^(٣) وقوله تعالى : (وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم) ^(٤) . ونظائره ^(٥) .

(١) شرح مسلم للنووي : ٥٧٠/٣ .

(٢) انظر التخریج ص : ٥٤١ .

(٣) النساء : ١٥١ .

(٤) النساء : ٢٣ .

(٥) شرح مسلم للنووي : ٥٧٠/٣ .

وحيث نهى عن الخطبة على الخطبة بالشروط السابقة فإذا ارتكب المنهى عنه وخطب وتزوج أثم بفعله وصح النكاح ولم يفسخ . وهذا هو مذهب الجمهور - وقال داود : يفسخ النكاح ؛ لأن النهى يقتضى الفساد ، وعن مالك روايتان كالمذهبيين ، وقال جماعة عن أصحاب مالك : يفسخ قبل الدخول لا بعده ، وهذا رواية عن مالك . واحتجاج القائلين بالبطلان بأن النهى يقتضى الفساد مردود ؛ لأن المنهى عنه الخطبة ، والخطبة ليست شرطا فى صحة النكاح ، بحيث إذا فسدت فسد النكاح ، فهو لو تزوج من غير تقدم خطبة جاز ، فتحريم الخطبة لا يقتضى فساد النكاح ^(١) والله أعلم .

واستدل بهذا الحديث فوق ما تقدم :

تحريم خطبة المرأة على خطبة امرأة أخرى إلحاقا لحكم النساء بحكم الرجال ، وصورته أن ترغب امرأة فى رجل وتدعوه إلى تزويجها فيجيبها ، فتجىء امرأة أخرى فتدعوه وترغبه فى نفسها وتزهدده فى التى قبلها . وقد صرحوا باستحباب خطبة أهل الفضل من الرجال ^(٢) . والله أعلم .

★ ★ ★

(١) طرح التثريب : ٩٣/٦ .

(٢) فتح البارى : ٢٠٠/٩ - ٢٠١ .

١١٣ - وقال رسول الله - ﷺ - : الكافر يأكل في سبعة أمعاء ؛
والمؤمن يأكل في مِعى واحد .

• رواه عبد الرزاق في المصنف (٤١٩/١٠) كتاب الجامع - باب المؤمن يأكل في مِعى واحد - عن معمر ،
عن همام بن منبه عن أنى هريرة به وفيه : « إن الكافر » .
كما روى عن معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر نحوه .

ورواه أحمد (٩٨/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام . وبعده قال عبد الله بن الإمام أحمد : سمعت أنى يقول :
قلت لعبد الرزاق : يا أبا بكر ، أفضل - يعنى هذا الحديث . كأنه أعجبه حسن هذا الحديث وجودته - قال : نعم .
(رقم ١١٧/٨٢١٠) .

ورواه البغوى (٣١٧/١١ - ٣١٨) في كتاب الأطعمة - باب المؤمن يأكل في مِعى واحد - بسندين يلتقيان
عند عبد الرزاق ، أحدهما : عن أحمد بن منصور الرمادى عن عبد الرزاق ، وثانيهما : عن أنى بكر محمد بن الحسين
القطان ، عن أحمد بن يوسف السلمى ، عن عبد الرزاق ، عن معمر به . وقال : هذا حديث متفق على صحته ،
أخرجاه من طرق عن أنى هريرة وابن عمر . (رقم ٢٨٧٩) .

وروى البخارى في (٢٠٠/٦) - (٧٠) كتاب الأطعمة - (١٢) باب المؤمن يأكل في مِعى واحد - من
طريق شعبة ، عن واقد بن محمد ، عن نافع قال : كان ابن عمر لا يأكل حتى يؤتى بمسكين يأكل معه ، فأدخلت رجلا
يأكل معه ، فأكل كثيرا ، فقال : يا نافع ، لا تدخل هذا على ، سمعت النبى - ﷺ يقول : المؤمن يأكل في مِعى واحد
والكافر يأكل في سبعة أمعاء . (رقم ٥٣٩٣) .

كما روى من طريق سفيان عن عمر وقال : كان أبو نهيك رجلا أكلوا ، وقال له ابن عمر : إن رسول الله - ﷺ
يقول ، وذكر نحوه . (رقم ٣٥٩٥) .

ومن طريق مالك عن أنى الزناد عن الأعرج عن أنى هريرة (رقم ٥٣٩٦) .

ومن طريق شعبة ، عن عدى بن ثابت ، عن أنى حازم ، عن أنى هريرة أن رجلا كان يأكل أكلا كثيرا ، فأسلم ،
فكان يأكل أكلا قليلاً ، فذكر ذلك للنبى - ﷺ ، فقال نحوه . (رقم ٥٣٩٧) .

وروى مسلم في (١٦٣١/٣ - ١٦٣٢) - (٣٦) كتاب الأشربة ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء نحوه من
طريق يحيى القطان ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبى - ﷺ . (رقم ٢٠٦٠/١٨٢) وقد روى
البخارى حديث عبيد الله هذا (رقم ٥٣٩٤) .

ومن طريق عبد الرزاق عن معمر ، عن أيوب عن نافع ، وابن نمير عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر .
كما روى حديث شعبة عن واقد السابق عند البخارى (رقم ٢٠٦٠ / ١٨٣) .

ومن طريق سفيان ، عن أنس الزبير عن جابر وابن عمر نحو حديث همام عن أنس هريرة (٢٠٦١ / ١٨٤) .
ومن طريق أنس أسامة ، عن بريد ، عن جده ، عن أبي موسى عن النبي - ﷺ - (٢٠٦٢ / ١٨٥) .
ومن طريق العلاء ، عن أبيه ، عن أنس هريرة .

ومن طريق مالك عن سهيل بن أنس صالح ، عن أبيه ، عن أنس هريرة أن رسول الله - ﷺ - ضافه ضيف وهو كافر ، فأمر له رسول الله - ﷺ - بشاة فحلبت ، فشرب جلابها ، ثم أخرى فشربه ، ثم أخرى فشربه ، حتى شرب حلاب سبع شياه ، ثم إنه أصبح ، فأسلم ، فأمر له رسول الله - ﷺ - بشاة فشرب حلابها ، ثم أمر بأخرى فلم يستمها ، فقال رسول الله - ﷺ - مثل الحديث (٢٠٦٣ / ١٨٦) .

* * *

شرح الحديث :

(١) - فى الرواية الأخيرة عند مسلم ما يبين سبب ورود الحديث ، وقد اختلف العلماء فى تعيين هذا الكافر الذى أسلم :

الأول : فقال بعضهم إنه جهجاه الغفارى ، رواه أبو يعلى والبزار والطبرانى واللفظ له من طريق موسى بن عبيدة (الرىذى) حدثنى عبيد بن سليمان الأغر ، عن عطاء بن يسار عن جهجاه الغفارى أنه قدم فى نفر من قومه يريدون الإسلام فحضروا مع رسول الله - ﷺ - المغرب ، فلما سلم قال : يأخذ كل رجل بيد جلسيه ، فلم يبق فى المسجد غير رسول الله - ﷺ - وغيرى وكنت عظيما طويلا لا يُقَدَّمُ على أحد ، فذهب بى رسول الله - ﷺ - إلى منزله ، فحلب لى عنزا ، فأتيت عليها حتى حلب سبع أعنز ، فأتيت عليها ، ثم أوتيت بصنيع برمة فأتيت عليها ، وقالت أم أيمن : أجاج الله من أجاج رسول الله - ﷺ - هذه الليلة . قال : مه يا أم أيمن أكل رزقه ، وورزقنا على الله . فأصبحوا فغدوا ، فاجتمع هو وأصحابه ، فجعل الرجل يخبر بما أتى إليه ، فقال جهجاه : حلبت لى سبع أعنز فأتيت عليها ، ثم أتيت بصنيع برمة فأتيت عليها ، فصلوا مع رسول الله - ﷺ - المغرب ، فقال : ليأخذ كل رجل بيد جلسيه ، فلم يبق فى المسجد غير رسول الله - ﷺ - وغيرى ، وكنت عظيما طويلا لا يقدم على أحد ، فذهب بى رسول الله - ﷺ -

- إلى منزله ، فحلب لى عنزا فرويت وشبعت ، فقالت أم أيمن : يا رسول الله ، أليس هذا ضيفنا ؟ قال : بلى ، فقال رسول الله - ﷺ - : إنه يأكل فى معى مؤمن الليلة ، وأكل قبل ذلك فى معى كافر ؛ الكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، والمؤمن يأكل فى معى واحد (١) .

قال فى مجمع الزوائد : إن فى إسناده موسى بن عبيدة وهو ضعيف (٢) ، وقال الحافظ العراقى : لا يصح ، مدار حديثه على موسى بن عبيدة الرىذى وهو ضعيف (٣) .

الثانى : أنه أبو بصرة الغفارى فقد أخرج أحمد بسنده عنه قال : قال : أتيت النبى - ﷺ - لما هاجرت قبل أن أسلم فحلب لى شوية كان يحلبها لأهله فشربتها ، فلما أصبحت أسلمت فحلب لى فشربت منها فرويت ، فقال : أرويت ؟ قلت : قد رويت ما لا رويت قبل اليوم .. الحديث .

وقال ابن العراقى : إسناده صحيح ، وجزم به الخطيب فى مبهمات (٤) .

الثالث : أنه أبو غزوان ؛ أخرج الطبرانى بسند جيد عن عبد الله بن عمر وقال : جاء إلى النبى - ﷺ - سبعة رجال ، فأخذ كل رجل من الصحابة رجلا ، وأخذ النبى - ﷺ - رجلا ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : أبو غزوان . قال : فحلب لى سبع شياه ، فشرب لبنها كله ، فقال له النبى - ﷺ - : هل لك يا أبا غزوان أن تسلم ؟ قال : نعم ، فأسلم ، فمسح رسول الله - ﷺ - صدره ، فلما أصبح حلب له شاة واحدة ، فلم يتم لبنها ، فقال : مالك يا أبا غزوان ، قال : والذى بعثك بالحق نبيا لقد رويت . قال : إنك أمس كان لك سبعة أمعاء ، وليس لك اليوم إلا معى واحد .

قال ابن حجر : يحتمل أن يكون جهجاه كنيته أبو غزوان (٥) .

(١) المعجم الكبير للطبرانى ٣٠٧/٢ رقم ٢١٥٢ .

(٢) مجمع الزوائد : ٣٢/٥ .

(٣) طرح التثريب : ١٩/٦ .

(٤) الأسماء المبهمة ص ٥٩٠ - رقم الحديث ٢٣٦ .

(٥) فتح البارى : ٥٣٨/٩ .

الرابع: أنه نضلة بن عمرو ؛ فقد أخرج أحمد وأبو مسلم الكجى ، وقاسم بن ثابت فى الدلائل ، والبغوى فى الصحابة من طريق محمد بن معن بن نضلة الغفارى ، حدثنى جدى نضلة بن عمرو قال : أقبلت فى لقاچ لى ، حتى أتيت رسول الله - ﷺ - فأسلمت ، ثم أخذت علبة ، فحلبت فيها فشربتها ، فقلت يا رسول الله ، إن كنت لأشربها مراراً لا أمتلىء ، وفى لفظ : إن كنت لأشرب السبعة فما أمتلىء . فذكر الحديث .

قال الحافظ العراقى : رواه أحمد والبخارى بإسناد رجاله ثقات .

الخامس : أنه ثمامة بن أثال ، وقد ذكر ابن إسحاق فى السيرة من حديث أبى هريرة فى قصة ثمامة بن أثال أنه لما أسر ثم أسلم وقعت له قصة تشبه قصة جهجاه .

السادس : أنه نضرة بن أبى نضرة الغفارى ^(١) .

قال الحافظ العراقى : لم أجد فى طرق الحديث ما يدل على هذين القولين ^(٢) .

واختلاف هذه الروايات تدل على التعدد ^(٣) ، وأن القصة ليست واحدة ، والأولى بنا أن نقول هنا - كما يقول المفسرون - العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(٢) - **المعنى :** بكسر الميم وبالعين المهملة مقصور ، وفيه لغة أخرى « معنى » بكسر الميم وبالعين الساكنة بعدها ياء حكاهما صاحب المحكم ، والجمع أمعاء ، وهى المصارين ^(٤) .

(٣) - **هذا الحديث اختلف فى معناه العلماء :**

١ - **قال بعضهم :** ليس المراد به ظاهره ، وإنما هو مثل ضرب للمؤمن وزهده فى الدنيا والتقلل منها ، فكأنه عبر بالأكل عن أخذ الدنيا وبالأمعاء عن أسباب ذلك .

(١) شرح مسلم للنووى : ٧٦١/٤ .

(٢) طرح التثريب : ١٨/٦ .

(٣) فتح البارى : ٥٣٨/٩ .

(٤) طرح التثريب : ١٦/٦ .

٢ - وقال بعضهم : المراد أن الغالب من حال المؤمنين قلة الأكل لعلمهم أن مقصود الشرع من الأكل ما يسد الجوع ، ويمسك الرق ، ويقوى على عبادة الله تعالى ، وخوفهم من حساب الزيادة على ذلك بخلاف الكفار ، فإنهم غير واقفين مع المقصد الشرعى ، وإنما هم تابعون لشهوات أنفسهم ، مسترسلون فيها غير خائفين من تبعه الحرام وورطته ، فصار أكل المؤمن لما ذكرناه إذا نسب لأكل الكافر كواحد إلى سبعة . وليس ذلك أمرا مطردا فى حق كل مسلم وكافر ، فقد يكون فى المؤمنين من يأكل كثيرا بحسب العادة أو لعارض ، ويكون فى الكفار من يعتاد قلة الأكل ؛ إما لمراعاة الصحة كالأطباء أو للتعلل كالرهبان ، أو لضعف المعدة ، وحينئذ ، فهذا خرج مخرج الغالب .

والسبع على سبيل التقريب دون التحديد .

٣ - وقال بعضهم : إن هذا تخصيص للمؤمنين على قلة الأكل إذا علموا أن هذه صفة المؤمن الكامل الإيمان ؛ وتنفير من كثرة الأكل إذا علموا أن هذه صفة الكفار ، فإن نفس المؤمن تنفر من الاتصاف بصفة الكفار ، وهذا كما قال الله تعالى : (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) (١) .

٤ - وقال بعضهم : المراد به أن المؤمن يسمى الله تعالى عند طعامه فلا يشركه الشيطان فيه ، فيقل أكله لذلك . والكافر لا يسمى الله تعالى ، فيشاركه الشيطان فيه ، وفى صحيح مسلم : (إن الشيطان ليستحل الطعام ألا يذكر اسم الله عليه) (٢) .

٥ - وقال بعضهم : إن المراد به المؤمن هنا تام الإيمان المعرض عن الشهوات المقتصر على سد خلته لأن من حسن إسلامه وكمل إيمانه اشتغل فكره فيما يصير إليه من الموت وما بعده ، فيمنعه شدة الخوف وكثرة الفكر والإشفاق على نفسه من استيفاء شهوته ، كما ورد فى حديث لأبى أمامة رفعه : « من كثر تفكره قل طعمه ، ومن قلَّ

(١) محمد : ١٢ .

(٢) شرح مسلم للنووى (٧٥٩/٤ - ٧٦٠) .

تفكره كثر طعمه وقسا قلبه » ، ويشير إلى ذلك حديث أبى سعيد الصحيح : « إن هذا المال حلوة خضرة ، فمن أخذ بإشراف نفس كان كالذى يأكل ولا يشبع » فدل على أن المراد بالمؤمن من يقتصد فى مطعمه . والمراد بالكافر المتعدى فى طغيانه ، المنهمك على الدنيا الشديد الإعراض عن الآخرة ، فأريد مؤمن بوصف مخصوص وكافر بوصف (١) .

٦ - أو المراد أن من شأن المؤمن أن يأكل قليلا ، والكافر من شأنه أن يأكل كثيرا .

أقول : لا مانع من إرادة هذه جميعها من الحديث الشريف بل بعضها يمكن أن يكون مترتبا على البعض الآخر ، ولا تناقض بينها ؛ لأننا إذا قبلنا إحداها لا نكون مضطرين لرفض الأخرى .

هذا وقد قصره بعض العلماء على كافر معين ورد الحديث فيه ؛ قال ابن عبد البر : الإشارة فيه إلى كافر بعينه لا إلى جنس الكفار .. ، وفى حديث سهل ابن أبى صالح ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ما يدل على أنه فى رجل بعينه (٢) ، ولذلك جعله مالك فى موطأته بعده مفسرا له ، وهذا عموم والمراد به الخصوص ، فكأنه قال هذا إذا كان كافرا يأكل فى سبعة أمعاء ، فلما آمن عوفى وبورك له فى نفسه ، فكفاه جزء من سبعة أجزاء (٣) . وقال الطحاوى : هذا الكافر مخصوص (٤) .

وهذا القول يركز على أساسين :

الأول : أن المشاهدة تقول إن الكافر قد يأكل قليلا ، والمؤمن قد يأكل كثيرا ، قال ابن عبد البر : ألا ترى أنه قد يوجد كافر أقل أكلا من مؤمن ، ويسلم الكافر فلا ينقص أكله ولا يزيد ؟

الثانى : أنه - كما قال أهل الطب والتشريح أن أمعاء الإنسان سبعة : المعدة ، ثم

(١) طرح التثريب : ١٨/٦ .

(٢) انظر التخريج ص ٥٥٢ من هذا الكتاب .

(٣) طرح التثريب : ١٧/٦ .

(٤) المعتصر من المختصر من مشكل الآثار (٢٢٠/٢ - ٢٢١) .

ثلاثة أمعاء بعدها متصلة ، وهى : البواب ، والصائم ، والرقيق ، ثم ثلاثة غلاظ : الأعور والقولون والمستقيم ولا شك فى أنه لا فرق بين المؤمن والكافر فيها وفى مرور الطعام بها . ولكننا إذا فهمنا أن المراد ليس حقيقة الأمعاء ، ولا خصوص الأكل ينهار وهذان الأساسان وبالتالي لا يكون الحديث الشريف خاصاً بكافر معين .

وقد قال بعض العلماء فعلاً إن المراد بالأمعاء ليس حقيقتها وإنما المراد صفات سبعة هى الحرص والشه ، وبعد الأمل ، والطمع ، وسوء الطبع ، والحسد ، وحب السمن ، أو المراد شهوات الطعام ، وهى سبعة : شهوة الطبع ، وشهوة النفس ، وشهوة العين ، وشهوة الفم ، وشهوة الأذن ، وشهوة الأنف ، وشهوة الجوع ، وهذه هى الضرورية التى يأكل بها المؤمن ، أما الكافر فيأكل بجميع شهواته ^(١) .

على أنه كما سبق أن ذكرنا قد اختلف العلماء فيمن ورد فيه الحديث الشريف ورجحنا أن القصة متعددة ، وهذا يبعد الفهم بأن المراد كافر معين .

٤ - ويؤخذ من الحديث الحض على التقلل من الدنيا والحث على الزهد فيها والقناعة بما تيسر منها ، وقد كان العقلاء فى الجاهلية والإسلام يمتدحون بقلة الأكل ، ويذمون كثرة الأكل .

والله تعالى أعلم

١١٤ - وقال رسول الله - ﷺ - : إِنَّمَا سُمِّيَ ^(١) خَضِرٌ لِأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى قَرَوَةٍ بَيَضَاءَ ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ تَحْتَهُ خَضِرَاءَ .

(١) م : إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ خَضِرًا .

• رواه أحمد (٩٨/١٦ - ٩٩) ضمن روايته لصحيفة همام ولفظه : « لم يسم خضرا إلا أنه جلس على قروة بيضاء ، فإذا هي تهتز خضراء .. » (رقم ١١٨/٨٢١١) .

وبعده تفسير للفروة بأنها الحشيش الأبيض وما يشبهه . قال عبد الله (بن أحمد) أظن هذا تفسيراً من عبد الرزاق . وهكذا جاءت خضراً منصوبة في نسخة دار المعارف التي أكملت ما بدأه الأستاذ أحمد شاكر .

ورواه البخاري في (٤/١٢٩) - (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء - - (٢٧) باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام - عن محمد بن سعيد الأصبهاني ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن همام به (رقم ٣٤٠٢)
ورواه الترمذي في (٥/٣١٣) - (٤٨) كتاب تفسير القرآن - (٥٩) باب ومن سورة الكهف - عن يحيى ابن موسى . عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام به ، وقال : هذا حديث حسن صحيح (رقم ٣١٥١) .
وقد ذكر ابن العراق في طرح الثيوب أن الترمذي قال : « صحيح غريب » وربما اختلاف النسخ هو الذي أدى إلى هذا .

شرح الحديث :

(١) - سبق في مسند أحمد أن الفروة البيضاء هي الحشيش الأبيض ، وقال الحرثي : الفروة من الأرض قطعة يابسة من الحشيش ، وهذا موافق لقول عبد الرزاق . وعن ابن الأعرابي : الفروة أرض بيضاء ليس فيها نبات . وبهذا جزم الخطابي ومن تبعه .
وهذا يدل على أنه لقب بلقب دال على رفعته ، وأن الأرض البيضاء ببركتها تخضر بمجرد جلوسه عليها .

(٢) - والخضر قد اختلف في اسمه قبل ذلك واسم أبيه وفي نسبه ، والخوض في ذلك لا يفيدنا معرفة به ، ولكننا سنتناوله من خلال قضيتين تلقيان شيئا من الضوء عليهما
وهما : هل هو ولي أو نبي ؟ ، وهل هو مُعَمَّر أو ميت ؟

أما القضية الأولى ، وهى نبوته أو عدمها ؛ قال الإمام النووى : قال الحيرى المفسر وأبو عمرو : هو نبي ، واختلفوا فى كونه مرسلًا ، وقال القشيري ، وكثيرون : هو ولي ، وحكى الماوردى فى تفسيره ثلاثة أقوال : أحدها نبي ، والثانى ولي ، والثالث : أنه من الملائكة . قال النووى : وهذا غريب باطل . قال المازرى : اختلف العلماء فى الخضر : هل هو نبي أو ولي ؟ قال : واحتج من قال بنبوته : « وما فعلته عن أمرى » فدل على أنه نبي أوحى إليه ، وبأنه أعلم من موسى ، ويعد أن يكون ولي أعلم من نبي ، وأجاب الآخرون بأنه يجوز أن يكون قد أوحى الله إلى نبي فى ذلك العصر أن يأمر الخضر بذلك . وقال الثعلبي المفسر : الخضر نبي معمر على جميع الأقوال ^(١) .

وحكاه البغوى فى تفسيره عن أكثر أهل العلم ^(٢) .

وسئل سيدى أحمد التجانى عن الخضر عليه السلام : هل هو نبي أو لا ، وهل يجوز فى نفس الأمر زيادة غير النبي على النبي فى العلم ، فأجاب : أعلم أن الخضر عليه السلام ولي فقط ، وليس بنبي عند الجمهور ، وقال الشيخ الأكبر - رضى الله عنه : الخلاف فيه ؛ يعنى فى نبوته عند أهل الظاهر لا عندنا ، فإنه عنده مقطوع به من الأولياء لا من النبيين ، وكذا غيره من الأكابر ، وإن كان غير الجمهور يقول بنبوته . قال الشيخ زروق - رضى الله عنه - وقد حكى قول بعض العلماء - ، قال ذلك العالم : إن الخضر عليه السلام رسول من رسل الله إلى طائفة فى البحر ، فمن لم يقر برسالته فقد كفر . قال الشيخ زروق مجيباً عن هذا القول : سلمنا صحة ما يدعيه ، ولا نسلم القول بكفر من لم يعتقده ؛ لأن تلك زيادة فى عقيدة الإيمان وإلزام لها . وهى لم تجمع أمة عليها . ودليل عدم نبوته قول سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام له حيث قال له فى خرق السفينة : (لقد جئت شيئاً إمرأ) و (شيئاً نُكراً) ؛ لأنه يعلم أن هذا مستحيل على النبوة لا يتأتى ولا يتصور منها لثبوت العصمة ، فهذا أكبر دليل على أنه ليس بنبي .

(١) شرح مسلم للنووى : ٢٣٠/٥ - ٢٣١ .

(٢) طرح التثريب : ١٥٣/٨ .

وأما السؤال الثاني : هل يتأتى زيادة غير الأنبياء على الأنبياء في العلم أو لا ؟
والجواب - والله أعلم - أن زيادة غير الأنبياء العلم جائزة في نفس الأمر لا إحالة فيه ،
ولا يزرى ذلك بمرتبة النبي ، إلا أن هناك فرقاً ؛ أما في العلم بالله وصفاته وأسمائه
وتجلياته ، وما تشتمل عليه من المنح والمواهب والفيوض فلا مطمع لغير النبي أن يزيد على
النبي في هذا الميدان ؛ فإن النبوة أكبر علماً وأوسع دائرة وأعظم إدراكاً فيما ذكرنا ، إذ لو
كان غير النبي في هذا الميدان يلحق درجة النبي أو يزيد عليها لساواه في الفضل ، أو كان
أفضل منه ، وأما فيما دون تلك المرتبة من العلم بمراتب الكون ، وما يقع فيه جملة
وتفصيلاً ، وتقلبات أطواره ، وانكشاف ما يقع فيه في المستقبل قبل وقته ، وهو كشف
الغيوب الكونية فإن غير النبي قد يزيد على النبي في هذا الميدان ، وهي قضية الخضر
بعينها ، وحقيقة ذلك أن بصائر النبيين والمرسلين أبداً تنظر إلى جانب الحق ، شديدة
العكوف والدعوى عليه ، فقلوبهم أبداً تنظر إلى الله لا التفات لها إلى الكون ، وغير
الأنبياء لا طاقة لهم على الدوام على هذا الحال ؛ إنما هم فيه أحوال تارة وتارة ، فلأجل
ذلك يكثر كشفهم للكون وأموره فإذا عرفت هذا عرفت وجه اختصاص الخضر
بكشف الغيوب دون موسى عليه الصلاة والسلام ؛ لأنها غيوب كونية فلا ينتفى زيادة
الخضر فيها على موسى ، لأن موسى شغله عنها ما ذكر ، والخضر لا يقدر على ذلك ؛ على
استغراق موسى في حضرة القدس ، ومع هذا فلا حرج على الله في ملكه ولا في حكمه أن
يزيد غير النبي في العلم على درجة النبي ، فإنه لا تحجر عليه في هذا ، يهب ما يشاء ، لمن
يشاء ، كيف يشاء ، وله الاختيار التام والمشيتة النافذة ، لا تأخذه القيود ولا الضوابط ،
ولا يحيط بعلمه محيط ، قال سبحانه وتعالى : (ويخلق ما لا تعلمون) وهذا منه .

وأما قوله تبارك وتعالى حاكياً عن الخضر في قوله : (وما فعلته عن أمري)
فالجواب : أن الله تعالى أمره بذلك في سره بعلم قطعي يعلمه من الله تعالى ، لا واسطة
بينه وبينه ، كما قال في حقه سبحانه وتعالى : (آتيناه رحمة من عندنا وعلمنا من لدنا
علماً) وهذا أكبر دليل على أنه ليس بنبي إذ لو كان نبياً ما قال فيه هذا الوصف ، ولكن
يكفى فيه أن يقول : « وجدا عبداً من عبادنا » يقول مكانها : « وجد بعض أنبيائنا » ؛ لأن

مرتبة النبوة هي كافية في أخذ العلم عن الله بلا واسطة ، فلما لم يكن نبياً قال له (عَلَّمْتَاهُ مِنْ لَدُنَّا عَلَمًا) فلذا قال : (وما فعلته عن أمري) أخبر أن الله تعالى أخبره بذلك في باطن سره من وجه قطعي عنده لا يشك أنه من الحق سبحانه وتعالى ، كما قال جل جلاله في حق النحل وهي بكماء وصورتها كأنها لا تعقل قال : (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا) الآية الكريمة أخبر سبحانه وتعالى أن النحل آتاها علما من لدنه ، فما شككت أن الأمر من عنده فيما تفعله ، كذلك الخضر عليه السلام .

وأما تجرؤه على قتل الغلام بلا قتل نفس ولا ظهور كفر محرم بإجماع الشرائع من جميع النبيين والمرسلين لتطابق جميع النبوات على هذا في جميع شرائعها . فكون الله سبحانه وتعالى يبيحه للخضر بلا نبوة محال ؛ لأن الحكم المقرر في الشرائع من الرسل عليهم الصلاة والسلام لا ينحل عقده - إلا بنبوه ، وأما الولاية فليس في وسعها هذا ، لكن ذكرنا دليل عدم نبوته ، وذكرنا وجه استحالة رفع الحكم المقرر في الشرائع والنبوة في رتبة الولاية بدون نبوة فلزم حينئذ أنه تلقى ذلك الحكم من نبي لم يعلمه موسى عليه الصلاة والسلام ^(١) .

أما القضية الثانية : هل هو مُعَمَّرٌ أو ميت ؟ قال الإمام النووي : إنه موجود بين أظهرنا ، وذلك متفق عليه عند الصوفية ، وأهل الصلاح والمعرفة ، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به ، والأخذ عنه ، وسؤاله ، ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن يحصر ، وأشهر من أن يستر ، قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح : هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم في ذلك ، قال : وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين . وقال الثعلبي المفسر : الخضر نبي معمر على جميع الأقوال ، محجوب عن

الأبصار ، يعنى عن أبصار أكثر الناس . وقيل : إنه لا يموت إلا فى آخر الزمان حين رفع القرآن ، وذكر الثعلبى ثلاثة أقوال فى أن الخضر كان من زمن إبراهيم الخليل - ﷺ - أو بعده بقليل أو بكثير ^(١) .

وقد أزال النووى التعارض بين هذا القول وحديث رسول الله - ﷺ - الذى رواه مسلم رضى الله عنه بسنده عن ابن عمر : « أن رسول الله - ﷺ - قال : رأيتمكم ليلتكم هذه ، فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد » . قال : وقد احتج بهذه الأحاديث من شذ من المحدثين فقال : الخضر عليه السلام ميت ، والجمهور على حياته كما سبق فى باب فضائله ، ويتأولون هذه الأحاديث على أنه كان على البحر لا على الأرض ، أو أنها عام مخصوص ^(٢) .

وقد صنف أبو الفرج بن الجوزى كتابا فى حياته ^(٣)

وقال بعض العلماء إنه غير حى ؛ البخارى وإبراهيم الحارثى وأبو جعفر بن المنادى ، وأبو يعلى بن الفراء ، وأبو طاهر العبادى ، وأبو بكر بن العرى وطائفة ، وعمدتهم الحديث المشهور عن ابن عمر وجابر وغيرهما أن النبى - ﷺ - قال فى آخر حياته : « لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد » قال ابن عمر : أراد بذلك انخرام قرنه . وقوله تعالى : (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) ^(٤) وحديث ابن عباس : ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولننصرنه « أخرجه البخارى ، ولم يأت فى خبر صحيح أنه جاء إلى النبى - ﷺ - ولا قاتل معه ، وقد قال النبى ﷺ - يوم بدر : « اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض ، فلو كان الخضر موجودا لم يصح هذا النفى . وقال - ﷺ : رحم الله

(١) شرح مسلم للنووى : ٢٣٠/٥ - ٢٣١ .

(٢) المصدر السابق : ٣٩٧/٥ - ٣٩٨ .

(٣) طرح التثريب : ١٥٤/٨ .

(٤) الأنبياء : ٣٤ .

موسى ، لوددنا لو كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما ، فلو كان الخضر موجودا لما حسن هذا التمني ، ولأحضره بين يديه ، وأراه العجائب ، وكان أدعى لإيمان الكفرة ولا سيما أهل الكتاب (١) .

وقد أفاض ابن القيم في هذه الأدلة لإثبات أن الخضر غير حى وأن الأحاديث التى وردت فى ذلك غير صحيحة (٢) .

ولكن هذه الأدلة يمكن الإجابة عليها ، كما أجاب النووى على الحديث الأول بأنه عام مخصوص بحياة الخضر. ، وأما الآية الكريمة (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) فإنها لا تتعارض مع القول بتعميره ، لأن الذين يقولون بحياته لا يقولون إنه سيخلد أو أنه لا يموت ، فمصيره الموت والفناء كغيره . أما بقية الأحاديث فلا يلزم منها أنه غير حى فى زمنه - ﷺ - إذا أنها لا تنفى التقاء الرسول - ﷺ به ونصرته له وإيمانه به ، ويمكن أن يكون هو من العصاة التى أشار إليها الرسول - ﷺ - فى بدر . والله أعلم .

(١) فتح البارى : ٤٣٤/٦ .

(٢) انظر المدخل إلى توثيق السنة ومصدره المنار المنيف لابن القيم . المدخل ص ١٦٧ - ١٧٤ والمنار

١١٥ - وقال رسول الله - ﷺ - : إن الله لا ينظرُ إلى المُسْبِلِ يومَ القيامةِ - يعنى إزاره .

• رواه عبد الرزاق في المصنف (٨١/١١) . كتاب الجامع - باب إسبال الإزار عن معمر ، عن همام به . (رقم ١٩٩٨١) .

ورواه أحمد (٩٩/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام . (رقم ١١٩/٨٢١٢) وليس فيه لفظة « يعنى إزاره » . وقد علق مكمّل تحقيق المسند بقوله : « حديث صحيح ، أخرجه أبو داود ، عن أنى هريرة رضى الله عنه قال التورى : إسناده صحيح على شرط مسلم ، وأعله المنذرى ، قال : فيه أبو جعفر رجل من المدينة لا يعرف » . وهذا كلام يوهم أن هذا الحديث غير صحيح ، ويناقض أوله آخره ، إذ كيف يكون صحيحاً وعلى شرط مسلم ويكون معلولاً وفيه مجهول (١) .

ثم إن هذا الحديث ليس على شرط مسلم فقط ، وإنما هو على شرط البخارى أيضاً لأن سنده هو عبد الرزاق عن معمر ، عن همام عن أنى هريرة وهو من أحاديث الصحيفة التى أخرج الكثير منها البخارى ومسلم وهى بسند واحد . وأما ما نقله عن المنذرى من أنه معلول ، وفيه مجهول ، وهو أبو جعفر فحديث آخر أخرجه أبو داود ، ونورده هنا لتبيان الحقيقة كاملة ؛ قال أبو داود : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبان ، حدثنا يحيى ، عن أنى جعفر ، عن عطاء بن يسار ، عن أنى هريرة قال : بينما رجل يصلى مسبل إزاره ، إذ قال له رسول الله - ﷺ : اذهب فتوضأ ، فذهب فتوضأ ، ثم جاء ، ثم قال اذهب فتوضأ ، فذهب فتوضأ ، ثم جاء ، فقال له رجل : يا رسول الله ، ما لك أمرته أن يتوضأ ، ثم سكت عنه ؟ فقال : إنه كان يصلى وهو مسبل إزاره ، وإن الله تعالى لا يقبل صلاة رجل مسبل إزاره (٢) .

أرأيت كيف يختلف الحديثان سندا ومتنا بحيث لا يصلح أحدهما أن يكون شاهداً للآخر ، إذن فكيف يقال على حديث همام إنه معلول ؟! وقائله من المتخصصين فى الحديث الذين يستطيعون التفرقة بين الأحاديث المختلفة ؟! ولم يرو الشيخان هذا الحديث بهذا اللفظ ، وإنما رويوا قريباً منه سنذكر بعضاً منه أثناء الشرح إن شاء الله تعالى .

ولكن الحافظ العراقى جمع الأحاديث التى تشتمل على جوانب هذا الموضوع ، ويحسن بنا ذكرها هنا قال : وعن نافع وعبد الله بن دينار ، وعن زيد بن أسلم - كلهم يخبرون عن عبد الله بن عمر أن رسول الله - ﷺ - قال : لا ينظر

(١) حاشية المسند : ٩٩/١٦ .

(٢) سنن أنى داود (٤١٩/١ - ٤٢٠) - (٢) كتاب الصلاة - (٨٣) باب الإسبال فى الصلاة (رقم ٦٣٨) وفى (٣٤٦/٤) (٢٦) كتاب اللباس (٢٨) باب ما جاء فى إسبال الإزار . مع اختلاف قليل فى اللفظ .

الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء - زاد البخارى فى رواية ، قال أبو بكر : يا رسول الله ، إن أحد شقى إزارى تسترعى ، إلا أن أتعاهد ذلك منه ، فقال رسول الله - ﷺ - : « لست ممن يصنعه خيلاء » وزاد الترمذى : فقالت أم سلمة : فكيف تصنع النساء بذيولهن ؟ قال : يرخين شبرا ، فقالت : إذا تنكشف أقدامهن ؟ قال : فير خينه ذراعاً لا يزدن عليه وقال : حسن صحيح ^(١) - وعن الأعرج ، عن أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً - وعن همام ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : إن الله عز وجل لا ينظر إلى المسبل يوم القيامة ^(٢) ، لم يخرج واحد من الشيخين هذا اللفظ الأخير ، ومعناه يؤديه المتن الذى قبله . ولمسلم ^(٣) : (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ولا يزكهم وهم عذاب أليم : المسبل ، والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ^(٤) .

* * *

شرح الحديث :

(١) - إن الله لا ينظر إلى المسبل : قال أبو زرعة بن العراقى : معنى كون الله تعالى لا ينظر إليه أى لا يرحمه ولا ينظر إليه نظر رحمة ، ونظره سبحانه وتعالى لعباده رحمته لهم ولطفه بهم . قال والذى رحمه الله : فعبر عن المعنى الكائن عن النظر بالنظر ، لأن من نظر إلى متواضع رحمه ، ومن نظر إلى متكبر متجبر مقتته ، فالنظر إليه اقتضى الرحمة أو المقت ^(٥) .

والأولى بنا هنا كذلك أن نقول : إن هذا من صفات الله تعالى لا يعلم تأويلها إلا هو عز وجل .

(٢) - يوم القيامة : وقيدته بيوم القيامة لأنه محل الرحمة العظيمة المستمرة التى لا تنقطع بخلاف رحمة الدنيا فقد تنقطع عن المرحوم ، ويأتى له ما يخالفها .

(١) الترمذى : (٢٢٣/٤) - (٢٥) كتاب اللباس - باب ما جاء فى جر ذيول النساء (رقم ١٧٣١) .

(٢) هذه هى روايتنا . وهى ينقل أحاديث صحيفة همام من المسند .

(٣) فى نسخة كما ذكر فى طرح الثريب « ولمسلم من حديث أبى هريرة . وقد ذكر أبو زرعة فى طرح الثريب (١٧١/٨) أنه لم يقف على هذا فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة ، وإنما أخرجه هو وأصحاب السنن الأربعة من حديث أبى زر من رواية خرشة بن الجرعة . كما ذكر أن أباه ضرب على « أبى هريرة » .

(٤) تقريب الأسانيد . ص ١٤٢ .

(٥) طرح الثريب : ١٧١/٨ .

(٣) - والمُسْبِلُ : هو الذى يطول ثوبه ويرسله إلى الأرض إذا مشى ، ... قال صاحب النهاية : وقد تكرر ذكر الإسبال فى الحديث وكله بهذا المعنى ^(١) .

وقد جاء فى الأحاديث ما يدل على أن الإسبال ليس فى الإزار فقط - كما فسر فى الحديث ، ولكن قد يكون فى القميص أو السراويل أو الجبة أو القباء ونحو ذلك مما يسمى ثوبا ؛ فعن سالم بن عبد الله ، عن أبيه رضى الله عنه ، عن النبى - ﷺ : من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة . قال أبو بكر : يا رسول الله ، إن أحد شقى إزارى يسترخى إلا أن أتعاهد ذلك منه ، فقال النبى - ﷺ - : لست ممن يصنعه خيلاء ^(٢) .

وفى سنن أبى داود ، والنسائى ، وابن ماجة بإسناد حسن أو صحيح كما جزم النووى فى شرح مسلم بكل منهما فى موضع ^(٣) واللفظ لأبى داود : عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، عن النبى - ﷺ - قال : الإسبال فى الإزار والقميص والعمامة ، من جر منها شيئا خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة ^(٤) .

وفى صحيح البخارى بعد حديث « من جر ثوبه مخيلة لم ينظر الله إليه يوم القيامة » : فقلت لمحارب : أذكر إزاره ؟ قال ما خص إزاراً ولا قميصاً ^(٥) .

(١) النهاية فى غريب الحديث : ٣٣٩/٢ .

(٢) صحيح البخارى (٣٤/٧) - (٧٧) كتاب اللباس - (٢) باب من جر إزاره من غير خيلاء .

(٣) شرح النووى على مسلم ٣٠٥/١ . وقال فى هذا الموضع : إسناده حسن وفى ٧٩٥/٤ وقال حديث

صحيح .

(٤) سنن أبى داود (٣٥٣/٤ - ٣٥٤) - (٢٦) كتاب اللباس - (٣٠) باب فى قدر موضع الإزار من

طريق حسين الجعفى عن عبد العزيز بن أبى رواد عن سالم بن عبد الله به . (رقم ٤٠٩٤) .

وابن ماجة (١١٨٤/٢) - كتاب اللباس - باب طول القميص كم هو (رقم ٣٥٧٦) من طريق ابن أبى

رواد عن سالم عن أبيه عن النبى - ﷺ - .

(٥) صحيح البخارى (٣٥/٧) (٧٧) كتاب اللباس - (٥) باب من جر ثوبه من الخيلاء . (رقم

٥٧٩١) .

وأما الرواية التي ورد فيها ذكر الإزار - وهي في الصحيح فخرجت على الغالب من لباس العرب وهو الأزر^(١) . وذكر النووي عن الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري وغيره أنه قال : وذكر إسبال الإزار وحده لأنه كان عامة لباسهم وحكم غيره من القميص وغيره حكمه^(٢) .

وكما قال الحافظ العراقي : الإسبال في كل شيء بحسبه^(٣) .

وإذا كان الإسبال يتعدى إلى هذه جميعها فقد قال الحافظ العراقي : لا شك في تناول التحريم لما مس الأرض منها للخيلاء ، ولو قيل بتحريم ما زاد عن المعتاد لم يكن بعيدا ، فقد كان كم - رسول الله - ﷺ إلى الرسغ ، وأراد عمر قص كم عتبة بن فرقد فيما خرج عن الأصابع وكذلك فعل علي في قميص اشتراه لنفسه^(٤) .

(٤) - وهذا الحديث ليس على إطلاقه ، فقد جاء مقيدا في حديث آخر ، لا ينظر الله إلى من يجر ثوبه خيلاء » فهذا التقييد بالجر خيلاء يخص عموم المسبل إزاره ، ويدل على أن المراد بالوعيد من جره خيلاء أى كبرا ، وقد رخص النبي - ﷺ في ذلك لأبي بكر الصديق - رضى الله عنه ، وقال : لست منهم إذ كان يجره لغير الخيلاء^(٥) .

قال الإمام النووي : لا يجوز إسباله تحت الكعبيين إن كان للخيلاء ، فإن كان لغيرها فهو مكروه ، وظواهر الأحاديث في تقييدها بالجر خيلاء تدل على أن التحريم مخصوص بالخيلاء ، وهكذا نص الشافعي على الفرق - كما ذكرنا ، وأجمع العلماء على جواز الإسبال للنساء ، وقد صح عن النبي - ﷺ الإذن لهن في إرخاء ذيولهن ذراعاً^(٦) .

(١) طرح التثريب : ١٧٢/٨ .

(٢) شرح مسلم للنووي : ٣٠٥/١ .

(٣) طرح التثريب : ١٧٢/٨ .

(٤) المصدر السابق : ١٧٢/٨ .

(٥) شرح مسلم للنووي : ٣٠٥/١ .

(٦) المصدر السابق : ٧٩٥/٤ .

وينبه الحافظ العراقي بأن تطويل الثياب كعادات بعض البلاد خارج عن التحريم ، يقول : ولكن قد حدث للناس اصطلاح بتطويلها ، فإن كان ذلك على سبيل الخيلاء فهو داخل في النهي ، وإن كان على طريق العوائد المتجددة من غير خيلاء فالظاهر عدم التحريم ، وذكر القاضي عياض عن العلماء أنه يكره كل ما زاد على الحاجة والمعتاد في اللباس من الطول والسعة (١)

وقال ابن حجر : ويستنبط من سياق الأحاديث أن التقييد بالجر خرج للغالب ، وأن البطر والتبختر مذموم ولو لمن شمر ثوبه ، والذي يجتمع من الأدلة أن من قصد بالملبوس الحسن إظهار نعمة الله عليه مستحضراً لها شاكرها عليها غير محتقر لمن ليس له مثله لا يضرو ما لبس من المباحات ، ولو كان في غاية النفاسة ، ففي صحيح مسلم : عن ابن مسعود أن رسول الله - ﷺ قال : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، فقال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق ، وغمط الناس (٢) .

ولعل ما قاله الحافظ العراقي وكذلك ابن حجر بعض فسحة لمن يلبسون أزياء لا تكون مقبولة إلا بأن تكون أسفل من الكعبين قليلا . والله أعلم .

ويستثنى من جره خيلاء ما إذا كان في حالة القتال ، فيجوز ؛ لما في الحديث الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال : إن من الخيلاء ما يحب الله ، ومن الخيلاء ما يبغض الله فأما الخيلاء التي يحب الله فأن يتبختر الرجل بنفسه عند القتال الحديث صححه ابن حبان ، فالجر خيلاء هنا فيه إعزاز للإسلام وظهوره ، واحتقاره عدوه وغيظه ، بخلاف ما فيه احتقار المسلمين وغيظهم والاستعلاء عليهم (٣) .

★ ★ ★

(١) طرح التثريب : ١٧٢/٨ .

(٢) فتح الباری : ٢٥٩/١٠ - ٢٦٠ .

(٣) طرح التثريب : ١٧٤/٨ .

١١٦ - وقال رسول الله - ﷺ - : قيل لبنى إسرائيل : ادخلوا الباب سُجَّداً وقولوا : حِطَّةٌ يُعْفَرُ لَكُمْ خطاياكم . فبدّلوا ؛ فدخلوا ^(١) الباب يزحفون على أَسْتَاهِهِمْ وقالوا : حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ ^(٢) .

* * *

(١) م : ودخلوا . (٢) ط : في شعيرة وما أثبتناه من م .

● رواه أحمد (٩٩/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ١٢٠/٨٢١٣) وفيه « حبة في شعرة » .
ورواه البخارى في (١٢٩/٤) - (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء - باب (٢٨) - عن إسحاق بن نصر ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام به (رقم ٣٤٠٣) .
وفي (١٩٧/٥) - (٧/٦٥) كتاب التفسير - ٤ - باب (وقولوا حطة) الحديث نفسه بهذا الإسناد . (رقم ٤٦٤١) وفيه « حبة في شعرة » .

وفي (١٤٨/٥) - (٢/٦٥) كتاب التفسير - (٥) باب (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا : حِطَّةٌ ، نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين) من طريق عبد الرحمن بن مهدي ، عن ابن المبارك عن معمر ، عن همام به (رقم ٤٤٧٩) وفيه : « وقالوا : حطة حبة في شعرة » .
ورواه مسلم في (٢٣١٢/٤) أول كتاب التفسير (٥٤) بسنده للصحيفة ، وفيه كذلك « حبة في شعرة » . (رقم ٣٠١٥/١) .

ورواه الترمذى في (٢٠٥/٥) - (٤٨) كتاب تفسير القرآن - (٣) باب ومن سورة البقرة - عن عبد بن حميد قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن همام به ، وفيه « دخلوا متزحفين على أوراكنهم وقال : هذا حديث حسن صحيح . (رقم ٢٩٥٦) .

* * *

شرح الحديث :

(١) - ادخلوا الباب سجدا : الباب الذى أمروا بدخوله هو باب بيت المقدس ، يعرف بباب حطة ، عن مجاهد وغيره ، وقيل باب القبة التى كان يصلى إليها موسى وبنو إسرائيل . وَسُجَّداً قال ابن عباس : منحنين ركوعاً . وقيل : متواضعين لا على

هيئة متعينة^(١) . وقال بعض العلماء : خضوعاً وشكراً لتيسير الدخول . وقال وهب بن منبه : قيل لهم : ادخلوا الباب ، فإذا دخلتموه فاسجدوا واشكروا لله عز وجل^(٢) .

وهو باب القرية التي أمرو بدخولها في قول الله تعالى : (وإذا قلنا ادخلوها هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً ، وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين)^(٣) والقرية هي بيت المقدس - كما قال الجمهور ، وهذا لهم بعد أن أراد الله عز وجل أن ينعم عليهم وأن يزيل عنهم التيه^(٤) .

(٢) - **وقولوا حطة** : أى حُطَّ عنا ذنوبنا ، أى اغفرها لنا ، قال ذلك الحسن وقتادة ، وقال ابن جبير معناه الاستغفار ، وقال ابن عباس : يعنى ، لا إله إلا الله ؛ لأنها تحط الذنوب ، وقال ثعلب : التوبة ؛ قال الشاعر :

فاز بالخطئة التي جعل الله بها ذنب عبده مغفورا

أى بالتوبة^(٥) .

وقال ابن فارس فى المجلد : حطة أمر بها بنو إسرائيل لو قالوها لحطت أوزارهم ، وقاله الجوهري أيضاً فى الصحاح^(٦) .

قال القرطبي المفسر : يحتمل أن يكونوا تعبدوا بهذا اللفظ بعينه ، وهو الظاهر من الحديث^(٧) .

(٣) - **فبدّلوا** : أى قصدوا خلاف ما أمرهم الله به ، فعصوا وتمردوا .

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٣٥٠/١ .

(٢) طرح التثريب : ١٦٦/٨ .

(٣) البقرة : ٥٨ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٩/١ .

(٥) طرح التثريب : ١٦٦/٨ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ٣٥٠/١ .

(٧) المصدر السابق : ٣٥٠/١ .

(٤) - فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم : الأستاذ جمع أست وهو الدبر ؛ أى دخلوا ينجرون على ألياتهم فعل المُقْعَد الذى يمشى على إليته ، يقال : زحف الصبى إذا مشى كذلك ، وقد جاءت رواية الترمذى على هذا المعنى صراحة : « دخلوا مترحفين على أوراكهم » (١) .

(٥) - وقالوا : حبة فى شعره : قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والاستخفاف بالأوامر الشرعية ، وهو كلام خُلِفَ لا معنى له ، وهو خالٍ من الفائدة تنميماً للاستهزاء ، وزيادة فى العُتُوِّ ، فعاقبهم الله عز وجل بالرَّجْزِ ، وهو العذاب المقترن بالهلاك ؛ قال تعالى : (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم ، فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) (٢) .

(٦) - ويستنبط من الحديث أن الزيادة فى الدين والابتداع فى الشريعة عظيمة الخطر شديدة الضرر فتغيير كلمة ، عبارة عن التوبة أوجبت هذا العذاب . قال القرطبى المفسر : فما ظنك بتغيير ما هو من صفات المعبود ، هذا والقول أنقص من العمل ، فكيف بالتبديل والتغيير فى الفعل (٣) ؟

(٧) - كما استدلل بعض العلماء بالآية الكريمة والحديث على أن الأقوال المنصوص عليها فى الشريعة لا يخلو أن يقع التعبد بلفظها أو بمعناها ؛ فإن كان التعبد وقع بلفظها فلا يجوز تبديلها لزم الله تعالى من بدل ما أمره بقوله ؛ وإن وقع بمعناها جاز تبديلها بما يؤدى إلى ذلك المعنى ، ولا يجوز تبديلها بما يخرج عنه (٤) .

★ ★ ★

(١) انظر تخريج هذا الحديث .

(٢) البقرة : ٥٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٣٥٤ .

(٤) المصدر السابق : ١ / ٣٥١ .

١١٧ - وقال رسول الله - ﷺ - : إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه ، فلم يدر ما يقول ، فليضطجع .

• رواه عبد الرزاق في المصنف (٤٩٩/٢ - ٥٠٠) باب الرجل يلتبس عليه القرآن في الصلاة - عن معمر ، عن همام قال : سمعت أبا هريرة به ، وفيه : « فليصرف فليضطجع » (٤٢٢١) .
ورواه أحمد (٩٩/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ١٢١/٨٢١٤) .

ورواه مسلم في (٥٤٣/١) - (٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها - (٣١) باب أمر من نكس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك . بسنده للصحيفة . (رقم ٧٨٧/٢٢٣) .
وقد روى قبله من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أن النبي - ﷺ - قال : إذا نكس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه (رقم ٧٨٦/٢٢٢) .

ورواه أبو داود في (٧٤/٢) - (٢) كتاب الصلاة - (٣٠٨) باب النعاس في الصلاة - عن أحمد بن حنبل ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام به .

ورواه البغوي (٥٨/٤) باب ترك العمل عند غلبة النوم ، والفتور - من طريق أبي بكر محمد بن الحسين القطان عن أحمد بن يوسف السلمى عن عبد الرزاق عن معمر ، ومن طريق أبي عوانة يعقوب بن إسحاق ، عن السلمى والدبرى ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام به ، ثم قال : هذا حديث متفق على صحته .

ورواه البيهقي (١٦/٣) في كتاب الصلاة - باب من نكس في صلاته فليرقد حتى يذهب عنه النوم . من طريق أبي القاسم عبد الله بن إبراهيم بن بالوية عن أحمد بن يوسف السلمى ثنا عبد الرزاق به .

وروى ابن ماجه متابعا لهذا الحديث في (٤٣٦/١ - ٤٣٧) - (٥) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - (١٨٤) باب ما جاء في المصلى إذا نكس - من طريق أبي بكر بن يحيى بن النضر عن أبيه ، عن أبي هريرة بنحوه .

وقد روى البخارى حديث عائشة هذا الذى تقدم عند مسلم في (٦٠/١) - (٤) كتاب الوضوء - (٥٣) باب الوضوء من النوم ، ومن لم ير من النعسة والنعستين أو الخفقة وضوءاً رواه من طريق مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة . (رقم ٢١٢) .

وروى بعده من طريق أيوب عن أبي قلابة ، عن أنس ، عن النبي - ﷺ - قال : إذا نكس أحدكم في الصلاة فليتم حتى يعلم ما يقرأ .

شرح الحديث :

(١) - إذا قام أحدكم من الليل : يحتمل وجهين ؛ أحدهما : أن القيام هنا على بابه والمراد القيام للصلاة سواء شرع فيها أو لم يشرع ؛ وثانيهما : أن يراد من القيام من الليل نفس صلاة الليل ، فإنه يقال لصلاة الليل قيام الليل ، ويكون من المعنى على هذا إذا صلى أحدكم بالليل (١) .

(٢) - فاستعجم القرآن على لسانه : أى استغلق ولم ينطق به لسانه لغلبة النعاس ، كأنه صارت به عُجْمة لاختلاط حروف النعاس وعدم بيانها ، قال فى الصحاح : استعجم عليه الكلام : استبهم ، وقال فى المحكم : استعجم الرجل سكت ، واستعجمت عليه قراءته انقطعت فلم يقدر على القراءة من نعاس (٢) . وقال فى مشارق الأنوار استعجم عليه القرآن ؛ لم يفصح به لسانه .. وقال : فاستعجم القراءة على لسانه أى ثقلت عليه كالأعجمى (٣) . وقال فى النهاية : « إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه أى أُرْتَجَّ عليه ، فلم يقدر أن يقرأ ؛ كأنه صار به عُجْمة (٤) .

(٣) - فلم يدر ما يقول : يحتمل معناه أوجها

أحدها : أنه لنعاسه صار لا يفهم ما ينطق به .

والثانى : أنه لا يدرى - لشدة نعاسه - ما بعد اللفظ الذى نطق به حتى يأتى به .

الثالث : أنه لشدة نعاسه لا يقدر على النطق أصلا ، وهذه مراتب أخفها الأول وأشدّها الأخير (٥) .

(٤) - فليضطجع : أمره بالاضطجاع لأنه الهيئة المحمودة فى النوم ، والمعهودة

غالبا ، ولكنه لو استلقى أو نام قاعداً حصل الغرض بذلك (٦) .

(١) طرح التثريب : ٨٩/٣ .

(٢) المصدر السابق : ٩٠/٣ .

(٣) مشارق الأنوار : ٦٨/٢ - ٦٩ .

(٤) النهاية فى غريب الحديث : ١٨٧/٣ .

(٥) طرح التثريب : ٩٠/٣ .

(٦) المصدر السابق : ٩٢/٣ .

وظواهر الأحاديث تدل على أن الأمر هنا للوجوب ، ولكن إذا كان النعاس خفيفاً بحيث يعلم المصلي النعاس أنه أتى بواجبات الصلاة ، فإن صلاته صحيحة ، فلا يجب عليه الخروج منها ، ثم إن ذهب عنه النوم بأمر آخر غير الاضطجاع ؛ من تبرد بماء أو غير ذلك فلا شك أنه لا يجب ذلك ؛ لأنه وسيلة إلى ذهاب النوم ، وقد ذهب ، فإذا حصل المقصد سقطت الوسائل ، وإن لم يذهب ذلك إلا بالاضطجاع وجب عليه ؛ لأنه مقدمة للواجب . وقال القاضي عياض : إن من اعتراه ذلك في الفريضة وكان في وقت سعة لزمه أن يفعل مثل ذلك وينام حتى يتفرغ للصلاة .

هذا كلام الحافظ العراقي ، ولكن عقب ابنه على ذلك بقوله : والظاهر حمل الأمر في ذلك على الاستحباب مطلقاً وما دام النعاس خفيفاً فلا وجه للوجوب ، وإذا اشتد النعاس انقطعت الصلاة لشدته ، فلا يحتاج إلى إيجاب القطع ؛ لأنه يحصل بغير اختيار المصلي والله أعلم ^(١) .

ولا فرق بين الرأيين فيما أرى ؛ لأن النتيجة واحدة والله أعلم .

(٥) - وهذا عام في صلاة الفرض والنفل في الليل والنهار ، قال النووي : وهذا مذهبنا ومذهب الجمهور ؛ لكن لا يخرج فريضة عن وقتها . قال القاضي : وحمله مالك وجماعة على نفل الليل ؛ لأنه محل النوم غالباً ^(٢) .

وظاهر لفظ الحديث اختصاص ذلك بصلاة الليل ، ولكن المعنى يقتضى ما ذكره النووي عن أصحابه الشافعية والجمهور ، والتقيد بالقيام من الليل إنما هو لأن غلبة النعاس إنما تكون في صلاة الليل دون صلاة النهار ، وما خرج مخرج الغالب لا مفهوم له ^(٣) .

(٦) - وقد أشار النووي رحمه الله تعالى عليه إلا أنه يستثنى من ذلك ما إذا كان يصلي الفريضة وقد ضاق وقتها ، فقد قال في ذلك العلماء : إن من خاف فوات وقت

(١) المصدر السابق : ٩٠/٣ .

(٢) شرح مسلم للنووي : ٤٤٢/٢ .

(٣) طرح التثريب : ٩٠/٣ .

من أوقات الصلاة وهو مثقل بنوم أنه يصلى وهو يجاهد نفسه جهده ، فإذا استيقظ من نومه عرض صلاته كلها على قلبه من أولها إلى آخرها ، فإن عقلها كلها ورآها حسنة أجزأته صلاته وإن رأى فيها خللاً ، أو لم يتحقق ركناً من أركانها ، أو شك فيه أعادها ؛ لأن الذمة لا تبرأ إلا بيقين ^(١) .

(٧) - جاء تعليل الأمر بالرقاد فى حديث عائشة - رضى الله عنها الذى اتفق عليه الشيخان بأنه لعلّه يذهب يستغفر فيسب نفسه ، وقال فى حديث آخر : حتى يعلم ما يقرأ والقدر المشترك بين العلتين خشية التخليط فيما يأتى من القراءة والدعاء ، والأمر فى القراءة أشد ؛ لوجوبها ولعظم المفسدة فى تغيير القرآن ^(٢) .

(٨) - فى الحديث الحث على الإقبال على الصلاة بخشوع وفراغ قلب ونشاط ^(٣) وتعقل لما يقرؤه ويدعو به .

(٩) - وفى الحديث دليل على استغناء الله تعالى عن عباده وتنزيهه أن تنفعه طاعة عبد ؛ لأنه لو كان شىء من ذلك ما كان يرسل الراحة على العبد ، ولا كان يدخل التعطيل على العامل ، وهو يتنفع بعمله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فسبحانه ما أرحمه بعباده وأغناه عنهم ^(٤) . والله أعلم .

★ ★ ★

(١) بهجة النفوس : ١٥٨/١ .

(٢) طرح التثريب : ٩١/٣ .

(٣) شرح مسلم للنووى : ٤٤٢/٢ .

(٤) بهجة النفوس : ١٦٣/١ .

١١٨ - وقال رسول الله - ﷺ - قال الله تعالى : لا يقل ابن آدم : يا حَيِّبَةَ الدهر ؛ فَإِنِّي أَنَا الدهر ، أُرسل الليل والنهار ، فإذا ^(١) شئت قَبَضْتُهُمَا .

(١) م : وإذا .

• روى عبد الرزاق في المصنف (٤٣٦/١١) في كتاب الجامع - باب مثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن - عن معمر ، عن همام أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله - ﷺ - : لا يسب أحدكم الدهر ، فإن الله هو الدهر ، ولا يقول أحدكم للعب الكرم فإن الكرم الرجل المسلم (رقم ٢٠٩٣٦) وقد مر هذا الجزء الأخير حديثاً مستقلاً رقم (٧٨) .

وروى بعده حديثاً أقرب إلى حديثنا عن معمر عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أنى هريرة ، عن النبى - ﷺ - قال : قال الله (عز وجل) : يؤذنى ابن آدم يقول : يا حبيبة الدهر ، فلا يقولن أحدكم يا حبيبة الدهر ، فإنى أنا الدهر أقلب له ليله ونهاره ، فإذا شئت قبضتهما . (رقم ٢٠٩٣٨) .

ورواه أحمد (١٠٠/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ١٢٢/٨٢١٥) .

وروى البخارى نحوه في (٤١/٦) - (٤٥/٦٥) كتاب التفسير - سورة الجاثية - من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب ، عن أنى هريرة (رقم ٤٨٢٦) .

وفي (١١٥/٧) - (٧٨) كتاب الأدب - (١٠١) باب لا تسبوا الدهر من طريق ابن شهاب عن أنى سلمة عن أنى هريرة (رقم ٦١٨١) .

ومن طريق معمر ، عن الزهري ، عن أنى سلمة عن أنى هريرة (رقم ٦١٨٢) .

وفي (١٩٧/٨) - (٩٧) كتاب التوحيد - (٣٥) باب قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) - من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أنى هريرة (رقم ٧٤٩١) .

وروى مسلم نحوه في عدة أحاديث في (١٧٦٢/٤) - (٤٠) كتاب الألفاظ من الأدب - (١) باب النبى عن سب الدهر - من طريق ابن شهاب ، عن أنى سلمة بن عبد الرحمن ، عن أنى هريرة (رقم ٢٢٤٦/١) .

ومن طريق الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أنى هريرة (رقم ٢٢٤٦/٢) .

ومن طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أنى هريرة (رقم ٢٢٤٦/٣) .

ومن طريق أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة (رقم ٢٢٤٦/٤) .

ومن طريق هشام ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة (رقم ٢٢٤٦/٥) .

ورواه البغوي الفراء في (٣٥٥/١٢) باب ما يكره من ألفاظ العادة وحفظ المنطق - بسنده للصحيفة . وقال :
هذا حديث متفق على صحته أخرجاه من طريق معمر من أوجه عن أبي هريرة (رقم ٣٣٨٥) .

* * *

شرح الحديث :

(١) - يا خيبة الدهر : الخيبة : الحرمان والخسران وعدم نيل المطلوب ، فقول القائل : « يا خيبة الدهر » أو « واخيبة الدهر » هو منصوب على الندبة ، وهي نداء متفجع عليه حقيقة أو حكماً ، أو متوجع منه كأنه فقد الدهر لما يصدر عنه من الأمور التي يكرهها فندبه (١) .

وقال بعض العلماء : هو دعاء على الدهر بالخيبة ، وهو كقولهم : قحط الله نوءها ؛ يدعون على الأرض بالقحط ، وهي كلمة هذا أصلها ، ثم صارت تقال لكل مذموم (٢) .

ومعنى النهي عن سب الدهر أن من اعتقد أنه الفاعل للمكروه فسبه فقد أخطأ لأن الله هو الفاعل ، فإذا سببتم من أنزل ذلك بكم رجع السب إلى الله (٣) عز وجل . قال ابن أبي جمرة : لا يخفى أن من سب الصنعة فقد سب صانعها (٤) .

وقد كان العرب في الجاهلية من شأنهم ذم الدهر عند النوازل ، لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره ، فيقولون : « أصابهم قوارع الدهر ، وأبادهم الدهر ، وقد ذكر الله عز وجل في كتابه عن هؤلاء فقال : (وقالوا : إن هي

(١) طرح التثريب : ١٥٦/٨ .

(٢) فتح الباري : ٥٦٥/١٠ .

(٣) المصدر السابق : ٥٦٥/١٠ .

(٤) بهجة النفوس : ١٧٨/٤ .

إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر (١) وإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوه لأنه الفاعل في عقيدتهم ، ولكن الفاعل الحقيقي هو الله عز وجل ، والدهر الذى هو الزمن ما هو إلا وعاء للحوادث ، فكان مرجع سبهم إلى الله عز وجل إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التى يضيفونها إلى الدهر (٢) .

وما كان للمسلمين أن يفعلوا كما يفعل هؤلاء حتى تظل عقيدتهم على إجلالها لله عز وجل .

(٢) - قال أبو العباس القرطبي : ولا شك في كفر من نسب تلك الأفعال أو شيئا منها للدهر حقيقة واعتقد ذلك ، وأما من جرت هذه الألفاظ على لسانه ولا يعتقد صحة ذلك فليس بكافر ، ولكنه قد تشبه بأهل الكفر والجاهلية في الإطلاق ، وقد ارتكب ما نهاه رسول الله - ﷺ - عنه ، فليتب وليستغفر الله .

والدهر والزمان والأبد كلها بمعنى واحد ، وهو راجع إلى حركات الفلك ، وهى الليل والنهار (٣) .

(٣) - وقال القرطبي أيضا : ليس هذا النهى مقصورا على هذا اللفظ ، بل يلتحق به كل ما فى معناه من قولهم : « انعكس الدهر » ، و « تعس الدهر » وما فى معناه (٤) .

كما يتعدى المنع والنهى عن سب غير الدهر ، وغير الليل والنهار ؛ لأن الحكم إذا كان منوطاً بعلة فحيث وجدت العلة فالحكم ثابت لازم ، فلما علل سبحانه وتعالى منع سب الدهر بأنه سب له عز وجل ؛ لكونه هو الذى يسيره ، ولكونه بيده كما جاء فى بعض الروايات - كان سب الله عز وجل أو ما يؤدى إليه علة للمنع والنهى ، ويكون ذكر

(١) الجاثية : ٣٤ .

(٢) شرح السنة : ٣٥٦/١٢ .

(٣) طرح التثريب : ١٥٦/٨ .

(٤) المصدر السابق : ١٥٦/٨ .

الدهر هنا الذى هو الليل والنهار من باب التنبيه بالأعلى على الأدنى ؛ لأن الليل والنهار من أعظم الآيات والخلوقات الدالة على تحقيق الربوبية (١) .

(٤) - **فإني أنا الدهر** : قال العلماء : هو مجاز ، أى فاعل النوازل والحوادث وخالق الكائنات (٢) وقال الخطائى : معناه أنا صاحب الدهر ، ومدير الأمور التى ينسبونها إلى الدهر (٣) .

قال ابن حجر : ومحصل ما قيل فى تأويله ثلاثة أوجه ؛ أحدها : أن المراد بقوله « إن الله هو الدهر » أى المدير للأمور . **ثانيها** : أنه على حذف مضاف ؛ أى صاحب الدهر ، **ثالثها** : التقدير مقلب الدهر (٤) .

(٥) - **أرسل الليل والنهار** : بهذا نفى عنهما الله عز وجل أن يكون لهما تأثير فيما يجرى فيهما من الأمور والحوادث ، فهما بيده سبحانه وتعالى ، كما جاء فى بعض الروايات ، ووقع فى رواية زيد بن أسلم ، عن أنس صالح ، عن أنس هريرة بلفظ « بيدى الليل والنهار أجده وأبليه ، وأذهب بالملوك » (٥) .

والأمور والحوادث التى تجرى فيهما على نوعين ؛ بواسطة الحيوان العاقل المكلف ، فهذا يضاف شرعاً ولغة إلى الذى أجرى على يده ، وإن كان فى التحقيق بقضاء الله تعالى وقدره ؛ لأن أفعال العباد كسباً لهم ، قد ترتبت عليها الأحكام بالثواب والعقاب بمقتضى الحكمة الإلهية ، وهى فى الإنشاء والاختراع خلق الله سبحانه ، لا خالق إلا هو سبحانه وتعالى علواً كبيراً ؛ وما جرى فيهما بغير واسطة أحد من خلقه فذلك منسوب إلى قدرة

(١) بهجة النفوس : ١٧٨/٤ .

(٢) شرح مسلم للنووى : ١٠٣/٥ .

(٣) فتح البارى : ٥٧٥/٨ .

(٤) فتح البارى : ٥٦٥/١٠ .

(٥) المصدر السابق : ٥٦٥/١٠ .

القادر ، ليس لليل والنهار في ذلك فعل ولا تأثير ، لا عقلا ولا لغة ولا شرعاً وهو المعنى في الحديث ^(١) والله أعلم .

وفي هذه العبارة رد على من استدل بقوله تعالى هنا « إني أنا الدهر » على أن الدهر من أسماء الله تعالى . وقال القاضي عياض : زعم بعض من لا تحقيق له أن الدهر من أسماء الله تعالى ، وهو غلط ، فإن الدهر مدة زمان الدنيا ، وعرفه بعضهم بأنه أمد مفعولات الله عز وجل في الدنيا أو فعله ؛ كما قيل (أنا الموت) ، وقد تمسك الجهلة من الدهرية والمعطلة بظاهر هذا الحديث ، واحتجوا به على من لا رسوخ له في العلم ؛ لأن الدهر عندهم حركات الفلك وأمد العالم ، ولا شيء عندهم ولا صانع سواه ، وكفى بالرد عليهم قوله في بقية الحديث « أنا الدهر أقلب ليله ونهاره » فكيف يقلب الشيء نفسه - وفي الرواية التي معنا كيف يرسل الشيء نفسه - تعالى الله سبحانه عن قولهم علواً كبيراً ^(٢) .

(٦) - فإذا شئت قبضتهما : أى الليل والنهار أو الدهر يسيران بحكمة وضعتها ، فما ينبغي أن يعاب ما فيهما من تصارييف ، ولو كان فيهما عيب يستحق السب لقبضتهما بحسب مشيئتي والله أعلم .

(٧) - وفي الحديث دليل على أن مجموع الليل والنهار يسمى دهرًا شرعاً ، يؤخذ ذلك من ذكره الدهر ، ثم فسره بقوله « أرسل الليل والنهار » ^(٣) .

(٨) - وفيه تنبيه لمن له همة ألا يتكلم بما لا يعرف ما معناه ، وكذلك في الأفعال ؛ لا يفعل شيئاً حتى يعلم هل ذلك مما ليس عليه فيه درك أو لا ؟ ولقد أوصى الخضر موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام حين افترقا ، وطلب منه موسى الوصية ، فقال له في جملة وصيته : « يا موسى ، لا تفتح باباً لا تدري ما غلقه ، ولا تغلق باباً لا تدري ما فتحه » ^(٤) . والله تعالى أعلم .

(١) بهجة النفوس : ١٧٨/٤ .

(٢) فتح الباري : ٥٦٦/١٠ .

(٣) بهجة النفوس : ١٨٠/٤ .

(٤) المصدر السابق : ١٨٠/٤ .

١١٩ - وقال رسول الله - ﷺ - : نِعَمًا لِلْمَمْلُوكِ أَنْ يَتَوَفَّاهُ اللَّهُ
بُخْسِنُ طَاعَةً (١) رَبِّهِ وَطَاعَةَ سَيِّدِهِ ، نِعَمًا لَهُ ، نِعَمًا لَهُ .

(١) م : عبادة ربه .

• رواه عبد الرزاق في المصنف (٢٤٧/١١ - ٢٤٨) في كتاب الجامع - باب الآبق من سيده عن معمر ، عن همام بن منبه عن أبي هريرة . وفيه : « نعمًا للعبد » و « عبادة ربه » وليس فيه لفظ الجلالة بعد « يتوفاه » ومكانها نقاط . وعلق على ذلك محقق الكتاب بقوله « في موضع النقاط بياض في « ص » وكأنه كان هناك : « الله » أو « ربه » ولا أدري لم لم يرجع إلى الصحيفة ، ويعرف منها ما هو في البياض . مع أنه قد رجع إليها مرارا .

وبعد الحديث عند عبد الرزاق : « قال : وكان عمر إذا مر عليه عبد قال : يا فلان ، أبشر بالأجر مرتين » .

ورواه أحمد (١٠٠/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام بلفظ « نعم ما للمملوك أن يتوفى بحسن عبادة الله وصحابة سيده نعمًا له . (رقم ١٢٣/٨٢١٦) .

ورواه مسلم (١٢٨٥/٣) - (٢٧) كتاب الأيمان - (١١) باب ثواب العبد وأجره إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله - بسنده للصحيفة ، ولفظه مطابق للفظ أحمد (رقم ١٦٦٧/٤٦) .

كما روى من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : إذا أدى العبد حق الله وحق ماله كان له أجران . قال : فحدثها كعباً فقال كعب : ليس عليه حساب ، ولا على مؤمن مزهد (أى قليل المال) (رقم ١٦٦٦/٤٥) .

ومن طريق يونس عن ابن شهاب قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : قال أبو هريرة : قال رسول الله - ﷺ - : للعبد المملوك المصلح أجران ، والذي نفس أبي هريرة بيده : لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبرّ أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك قال : وبلغنا أن أبا هريرة لم يكن يحج حتى ماتت أمه لصحتها . وفي رواية : « للعبد المصلح » (رقم ١٦٦٥/٤٤) .

ومن طريق مالك عن نافع ، عن ابن عمر أن رسول الله - ﷺ - قال : إن العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين (رقم ١٦٦٤/٤٣) .

وروى البخاري في (١٢٤/٣) - (٤٩) كتاب العتق - (١٦) باب العبد إذا أحسن عبادة ربه ونصح سيده - طريق يونس عن الزهري عن سعيد بن المسيب ، وليس فيه والذي نفس أبي هريرة بيده ، وإنما فيه « والذي نفسى بيده » (رقم ٢٥٤٨) .

ومن طريق الأعمش ، عن أنى صالح ، عن أنى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبي ﷺ : نعماً لأحدهم يحسن عبادة ربه وينصح لسيده . (رقم ٢٥٤٩) .

ومن طريق مالك عن نافع عن ابن عمر كما عند مسلم (رقم ٢٥٤٦ ، ٢٥٥٠) .

ومن طريق الشعبي ، عن أنى بردة ، عن أنى موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « وأيما عبد أدى حق الله وحق مواليه فله أجران » (رقم ٢٥٤٧) .

ومن طريق يزيد عن أنى بردة ، عن أنى موسى - رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ - قال : للمملوك الذى يحسن عبادة ربه ، ويؤدى إلى سيده الذى له عليه من الحق والنصيحة والطاعة أجران (رقم ٢٥٥١) .

ورواه البغوى فى (٣٤٥/٩) باب ثواب المملوك إذا نصح لسيده - من طريقين : أحدهما عن عبد الله بن إبراهيم بن بالوبة المزكى ، نا أحمد بن يوسف السلمى ، وثانيهما عن أنى بكر محمد بن الحسين القطان نا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمى ، وهو فى الطريقين عن عبد الرزاق عن معمر بن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ - « نعماً للمملوك أن يتوفاه الله يحسن عبادة ربه وطاعة سيده نعماً له نعماً » .

ثم ساق البغوى إسناداً ثالثاً من طريق أحمد بن منصور الرمادى ، نا عبد الرزاق بإسناده مثله ، وقال : « نعماً للعبد » وهو فى هذا متابع لأحمد بن يوسف السلمى فى عبد الرزاق .

ثم قال : هذا حديث متفق على صحته أخرجه مسلم عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق وأخرجاه من طرق عن أنى هريرة . (رقم ٢٤٠٨) .

ورواه البيهقى فى (١٣ ، ١٢/٨) - كتاب النفقات - باب فضل المملوك إذا نصح - من طريقين أحدهما عن أحمد بن منصور الرمادى وثانيهما عن أحمد بن يوسف السلمى كلاهما عن عبد الرزاق به . ولفظه : « نعماً للعبد أن يتوفاه الله يحسن عبادة ربه ، وطاعة سيده ، نعماً له ، نعماً له - زاد الرمادى فى روايته قول عمر الذى رأيناه فى المصنف .

شرح الحديث :

(١) - نِعْمًا للمملوك : نعماً : فيه ثلاث لغات ، قرئ بهن فى السبع ؛ إحداها : ما ضبطناه به فى الحديث ، وثانيتها : نِعْمًا : بكسر النون مع إسكان العين ، أى نعم شئ هو للمملوك . وقال القاضى عياض ، ورواه العذرى : نِعْمًا ؛ بضم النون منونا ، وهو صحيح ؛ أى له مسرة وقرّة عين يقال نِعْمًا له ، ونُعْمَةً له (١) .

وهذا أسلوب مدح أى أمدح المملوك الذى يفعل ذلك .

وقد بينت بعض الروايات السبب فى أن الرسول - ﷺ يمدح فعله ؛ بأنه يحصل على أجره مرتين ^(١) .

(٢) - يتوفاه الله : أى يموت على هذه الحال ؛ لأن العبرة بالخواتيم ^(٢) .

(٣) - وفى الحديث فضيلة ظاهرة للمملوك المصلح القائم بعبادة ربه والناصح لسيده القائم له بما يجب عليه من الخدمة ونحوها ، وأن له أجرين لقيامه بالحقين ولانكساره بالرق . قال ابن عبد البر : معنى هذا الحديث عندى أن العبد لما اجتمع عليه أمران واجبان : طاعة ربه فى العبادات ، وطاعة سيده فى المعروف ، فقام بهما جميعا كان له ضعف أجر الحر المطيع لله عز وجل ؛ لأنه قد ساواه فى طاعة الله ، وفضل عليه بطاعة من أمره الله بطاعته . ثم قال : ومن هنا أقول إن من اجتمع عليه فرضان فأداهما أفضل ممن ليس عليه إلا فرض واحد فأداه ، كمن وجب عليه صلاة وزكاة فقام بهما فهو أفضل ممن وجبت عليه صلاة فقط ، ومقتضاه أن من اجتمعت عليه فروض فلم يؤد منها شيئا كان عصيانه أكثر من عصيان من لم يجب عليه إلا بعضها ^(٣) .

وواضح أن ابن عبد البر فهم أن الفضل للعبد إنما جاء من زيادة عمله على عمل الحر . ولكن بعض العلماء فهم أن العمل الذى يعمل به ، يضاعف له ويكتسب به فضلا على الحر الذى يعمل هذا العمل ؛ قال ابن حجر معقبا على كلام ابن عبد البر : والذى يظهر لى أن مزيد الفضل للعبد الموصوف بالصفة لما يدخل عليه من مشقة الرق ، وإلا فلو كان التضعيف بسبب اختلاف جهة العمل لم يختص بذلك ، وقال ابن التين : المراد أن كل عمل يعمل به يضاعف له ، قال : وقيل سبب التضعيف أنه زاد لسيده نصحا ،

(١) انظر تخرىج الحديث .

(٢) فتح البارى : ١٧٦/٥ .

(٣) طرح التثريب : ٢٢٥/٦ .

وفى عبادة ربه إحسانا فله أجر الواجبين وأجر الزيادة عليهما . قال : والظاهر خلاف هذا ، وأنه بين ذلك ثلثا يظن ظان أنه غير مأجور على العبادة (١) .

وقد يظن من ذلك بأنه يلزم منه أن يكون أجر الممالك ضعف أجر السادات وقد أجاب الكرمانى بأن لا محذور فى ذلك ، أو يكون أجره مضاعفا من هذه الجهة ، وقد يكون للسيد جهات أخرى يستحق بها أجر العبد ، أو المراد ترجيح العبد المؤدى للحقين على العبد المؤدى لأحدهما . وأضاف ابن حجر : ويحتمل أن يكون تضعيف الأجر مختصا بالعمل الذى يتحد فيه طاعة الله تعالى وطاعة السيد ، فيعمل عملا واحدا ، ويؤجر عليه أجرين بالاعتبارين ، وأما العمل المختلف الجهة فلا اختصاص له بتضعيف الأجر فيه على غيره من الأحرار . والله أعلم (٢) .

(٤) - بحسن طاعة ربه وطاعة سيده : هذا هو المبين للمخصوص بالمدح فى قوله « نَعَمْ » أى أنه ممدوح من هذه الجهة . وطبيعى أن المدح يتجه إلى من يطيع سيده فيما يرضى الله عز وجل لا فى معصيته ، وإذا كان اعتبار الأعمال إنما هى فى توجهها إلى الله عز وجل ، ففى طاعة العبد لسيدته طاعة الله عز وجل ، لأنه أمر بذلك شرعا كطاعة أولى الأمر ، وطاعة الزوج والوالد . ولهذا إذا خالف ولم يطع سيده أو أبى أثر هذا على صلته بالله عز وجل ، وعلى الطاعات الأخرى ولهذا صح عن الرسول - ﷺ - فيما يرويه جرير عنه - ﷺ - قال : إذا أبى العبد لم تقبل له صلاة (٣) - وعنه أيضا قال رسول الله ﷺ : أيما عبد أبى فقد برئت منه الذمة (٤) .

★ ★ ★

(١) المصدر السابق : ١٧٦/٥ .

(٢) المصدر السابق : ١٧٦/٥ - ١٧٧ .

(٣) صحيح مسلم (٨٣/١) - (١) كتاب الإيمان - (٣١) باب تسمية العبد الأبق كافرا من طريق مغيرة عن الشعبي عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه (رقم ٧٠/١٢٤) .

(٤) المصدر السابق (٨٣/١) الكتاب نفسه وكذلك الباب - من طريق حفص بن غياث عن داود ، عن الشعبي عن جرير رضى الله عنه (رقم ٦٩/١٢٣) .

١٢٠ - وقال رسول الله - ﷺ - : إذا قام أحدكم إلى ^(١) الصلاة فلا يَبْصُقْ أمامه ؛ فإنه ^(٢) يناجى الله ما دام في مُصَلَّاهُ ، ولا عن يمينه ، فإن عن يمينه مَلَكًا ، ولكن ليبصُقْ ^(٣) عن شِمَالِه ، أو تحت رجله ، فيدفنه .

(١) م : للصلاة . (٢) م : إنه . (٣) م : ييزق .

• رواه عبد الرزاق (٤٣١/١ - ٤٣٢) - باب النخامة في المسجد ، من كتاب الصلاة - عن معمر ، عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله - ﷺ - : إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا ييزق أمامه ، إنه يناجى الله ما دام في مصلاه ، ولا عن يمينه ، فإن عن يمينه ملكا ، ولكن ليبصق عن يساره أو تحت رجله (رقم ١٦٨٦) .
وراه أحمد (١٠٠/١٦ - ١٠١) ضمن روايته لصحيفة همام . (رقم ٨٢١٧) وفيه إذا قام أحدكم من الصلاة .

ورواه البخارى في (١٠٧/١) - (٨) كتاب الصلاة - (٣٨) باب دفن النخامة في المسجد - عن إسحاق ابن نصر قال : حدثنا عبد الرزاق عن معمر ، عن همام سمع أبا هريرة ، عن النبي - ﷺ - به . وفيه « وليبصق عن يساره أو تحت قدمه فيدفنها » (رقم ٤١٦) .

كما روى في (١٠٦/١) - (٨) كتاب الصلاة - (٣٤) باب حك الخطاط بالخصي من المسجد من طريق ابن شهاب ، عن حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة وأبا سعيد حدثاه أن رسول الله - ﷺ - رأى نخامة في جدار المسجد ، فتناول حصاة فحكها ، فقال : إذا تنخم أحدكم فلا يتنخمن قبل وجهه ، ولا عن يمينه ، وليبصق عن يساره أو تحت قدمه اليسرى (رقم ٤٠٨ - ٤٠٩) (وانظر ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٤) .

وفي (١٠٥/١ - ١٠٦) - (٨) كتاب الصلاة - (٣٣) باب حك البزاق باليد من المسجد - روى عن قتبية ، عن إسماعيل بن جعفر ، عن حميد عن أنس أن النبي - ﷺ - رأى نخامة في القبلة ، فشق ذلك عليه ، حتى روى في وجهه ، فقام فحككه بيده فقال : إن أحدكم إذا قام في صلاته ، فإنه يناجى ربه - أو إن ربه بينه وبين القبلة - فلا ييزقن أحدكم قبل قبلته ، ولكن عن يساره أو تحت قدميه ، ثم أخذ طرف رداءه ، فيبصق فيه ، ثم رد بعضه على بعض فقال : « أو يفعل هكذا » . (رقم ٤٠٥) (وانظر رقم ٤١٣ - ٤١٧) .

وفي (١٠٧/١) - (٨) كتاب الصلاة - (٣٧) باب كفارة البزاق في المسجد - من طريق شعبة عن قتادة قال سمعت أنس بن مالك قال : قال النبي - ﷺ : « البزاق في المسجد خطيئة ، وكفارتها دفنها » . (رقم ٤١٥) .

وفي (١٠٦/١) - (٨) كتاب الصلاة - (٣٣) باب حك البزاق باليد من المسجد - من طريق مالك عن نافع ، عن ابن عمر نحو جزء منه (رقم ٤٠٦) (وانظر : ٧٥٣ ، ١٣١٣ ، ٦١١١) .

ومن طريق مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة نحو جزء منه (رقم ٤٠٧) .

وروى مسلم في (٣٨٨/١ - ٣٩١) - (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة - (١٣) باب النهي عن البصاق في المسجد ، في الصلاة وغيرها ، أحاديث البخارى السابقة . (رقم ٥٠ - ٥٦ / ٥٤٧ - ٥٥٢) .

كما روى من طريق يحيى بن يعمر ، عن أبى الأسود الدبلى ، عن أبى ذر ، عن النبى - ﷺ - قال : عُرِضَتْ عَلَى أَعْمَالِ أُمْتِي ، حُسْنُهَا وَسَيِّئُهَا ، فَوُجِدَتْ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يَمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَوُجِدَتْ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النَّخَاعَةُ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تَدْفَنُ (رقم ٥٥٣/٥٧) .

ومن طريق كهشمس عن يزيد بن عبد الله بن الشَّخِير ، عن أبيه قال : صليت مع رسول الله - ﷺ - فَرَأَيْتُهُ تَنْخَعُ ، فَدَلَّكُهَا بِنَعْلِهِ .

ورواه البيهقى (٣٨١/٢ - ٣٨٢) في كتاب الصلاة - باب كراهية البزاق في المسجد ونحو القبلة - بسنده للصَّحِيفَةِ . وفيه : « فلا ييسق » و « ولكن لبيسق » و « فيدفعها » وقال : هذا حديث صحيح متفق على صحته ، أخرجه محمد ، عن إسحاق بن نصر ، عن عبد الرزاق ، وأخرجه مسلم من طرق عن أبى هريرة .

ورواه البيهقى (٢٩٣/٢) - كتاب الصلاة - باب الدليل على أنه إنما يبرز عن يساره إذا كان فارغاً - عن أبى طاهر الفقيه ، أنبأ أبو بكر القطان ، ثنا أحمد بن يوسف ، ثنا عبد الرزاق ، أنبأ معمر ، عن همام به . وفيه « إذا قام أحدكم للصلاة » و « فيدفعها » .

شرح الحديث :

(١) - ورد في رواية الحديث هنا : « فلا ييسق » وفي بعض الروايات « فلا يبرز » وفي بعضها « فلا ييسق » كما تبين من التخريج . قال النووى : يقال : بصاق وبزاق لغتان مشهورتان . ولغة قليلة بساق بالسين ، وعددها جماعة غلطاً . كما فرق النووى بين البصاق وغيره فقال : قال أهل اللغة : المخاط من الأنف ، والبصاق والبزاق من الفم ، والنخامة ؛ وهى النخاعة من الرأس أيضاً ومن الصدر ، ويقال : تنخم وتنقع ^(١) .

(٢) - إذا قام أحدكم إلى الصلاة : هذا - كما يدل عليه ظاهر العبارة - عام في المسجد وفي غير المسجد فى أى موضع كان المصلون قال الحافظ العراقى : الظاهر أن

(١) شرح مسلم للنووى : ١٨٦/٢ .

المراد العموم ؛ لأن المصلى مناج لله في أى موضع صلى ، والملك الذى عن يمينه في أى موضع صلى ^(١) .

(٣) - على أنه إذا كان في المسجد فلا يقتصر النهى عن البصاق على القيام إلى الصلاة بل يتعدى النهى إلى البصاق في المسجد مطلقاً سواء قام إلى الصلاة أو لم يقم ، فقد ثبت في حديث أنس المتفق عليه « البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها » ^(٢) .

(٤) - وقد اختلف العلماء في كون النهى في الحديث للتحريم أو للتنزيه ؛ فقال بعضهم : هو للتحريم ؛ بدليل إقباله ﷺ - مُعْضَبًا عندما رأى هذا البصاق - كما جاء في بعض الروايات . قال للقرطبي : إن إقباله - ﷺ - على الناس مغضبا يدل على تحريم البصاق في جدار القبلة ، وعلى أنه لا يتكفر بدفنه ، ولا بحكه ، كما قال في حكه : « البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها ، فلو تكفر البزاق في القبلة بالحك لما غضب ، إذ قد كان تكفى الكفارة في ذلك وهى الحك » ^(٣) .

وواضح أن القرطبي يفرق بين البصاق في جدار القبلة وبين البصاق في أرض المسجد ، ويدل على هذا قوله في موضع آخر : وقوله : « البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها » قال ابن مكى : إنما تكون خطيئة لمن تفل فيه ولم يدفنه ؛ لأنه يقضى المسجد ، ويتأذى به من تعلق به أو رآه ، كما جاء في الحديث الآخر : « لئلا يصيب جلد مؤمن أو ثوبه فيؤذيه ، فأما من اضطر إلى ذلك فدفن وفعل ما أمر به فلم يأت خطيئة ... قال القرطبي وقد دل على صحة هذا التأويل قوله - ﷺ - في حديث أبى ذر : « ووجدت في مساوى أعمالها النخامة تكون في المسجد لا تدفن » فلم يثبت لها حكم السيئة بمجرد إيقاعها في المسجد ، بل بذلك وبقائها غير مدفونة ^(٤) .

(١) طرح التثريب : ٣٨٠/٢ .

(٢) انظر تخریج الحديث .

(٣) المفهم : ١٤٨ ب .

(٤) المصدر السابق : ١٤٩ ا و ب .

ويدل على تحريم البصاق في القبلة ما رواه أبو داود بإسناد جيد ^(١) من حديث السائب بن خلاد - وهو من أصحاب النبي - ﷺ - : أن رجلاً أمّ قوماً فبصق في القبلة ، ورسول الله - ﷺ ينظر ، فقال رسول الله - ﷺ حين فرغ : « لا يصلى لكم ... قال السائب : وحسبت أنه قال : « إنك آذيت الله ورسوله » ^(٢) .

قال الحافظ العراقي : وأطلق جماعة من الشافعية كراهة البصاق في المسجد ، منهم المحاملي وسليم الرازي والرويانى ، وأبو العباس الجرجاني وصاحب البيان ، وجزم النووي في شرح المذهب والتحقيق بتحريمه ، وكأنه تمسك بقوله في الحديث الصحيح : إنه خطيئة . قال أبو الوليد الباجي : فأما من بصق في المسجد وستر بصاقه فلا إثم عليه ^(٣) .

(٥) - فإنه يناجي الله ما دام في مصلاه : هذا تعليل للنهي عن البصاق ، وفي حديث ابن عمر : « بأن الله قبل وجهه إذا صلى .. وفي حديث لأبي هريرة عند مسلم » ما بال أحدكم يقوم مستقبلاً ربه فيتنخع أمامه . قال الحافظ العراقي : ولا منافاة بين هذا وذاك ؛ فإن المراد إقبال الله تعالى عليه ^(٤) .

قال ابن فورك : اعلم أن معنى المناجاة هو مخاطبة المخاطب على الوجه الذى يختص به ، ولا يشاركه في سماع الخطاب غيره ^(٥) .

وهذا من الأحاديث المتشابهة التى ذهب العلماء فيها ما بين مؤول ، ومجر أفاظها على حقيقتها ، ويمكن استعراض أقوال العلماء فى ذلك :

(١) طرح التثريب : ٣٨١/٢ .

(٢) سنن أبى داود (٣٢٤/١) - (٢) كتاب الصلاة - (٢٢) باب فى كراهية البزاق فى المسجد - من طريق عبد الله بن وهب ، عن عمرو ، عن بكر بن سودة الجذامى ، عن صالح بن خيوان ، عن السائب به (رقم ٤٨١) .

(٣) طرح التثريب : ٣٨١/٢ .

(٤) المصدر السابق : ٣٨٢/٢ .

(٥) مشكل الحديث : ص ٥١٩ .

قال الحافظ العراقي : وقد أول الإمام أحمد هذا الحديث ^(١) .

وقال الإمام الخطابي في قوله : « فإن الله قَبْلَ وجهه : معناه أن توجهه إلى القبلة مُفضٍ بالقصد منه إلى ربه ، فصار في التقدير : فإن مقصوده بينه وبين قبلته ، وقيل : هو على حذف مضافٍ ، أى عظمة الله أو ثواب الله ^(٢) .

وكذلك قال النووي : قوله - ﷺ - : « فلا يبصق قَبْلَ وجهه ؛ فإن الله قبل وجهه » أى الجهة التى عظمها ، وقيل : فإن قبلة الله ، وقيل : ثوابه ونحو هذا ، فلا يقابل هذه الجهة بالبصاق الذى هو الاستخفاف بمن ييزق إليه ، وإهانته وتحقيره ^(٣) .

وقال القرطبي : « ما بال أحدكم يقيم مستقبل ربه » : هذا محمول على تعظيم حرمة هذه الجهة وتشريفها ، كما قال « الحجر الأسود يمين الله فى الأرض » أى بمنزلة يمين الله ، ولما كان المصلى يتوجه بوجهه وقصده وكنيته إلى هذه الجهة نزها فى حقه وجود منزلة الله تعالى فيكون هذا من باب الاستعارة . وقد يجوز أن يكون من باب حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه ، فكأنه قال : مستقبل قبلة ربه ، أو رحمة ربه ، كما قال فى الحديث الآخر ، فلا يبصق قَبْلَ القبلة ^(٤) ؛ فإن الرحمة تواجهه ^(٥) .

وقال ابن حجر : والمراد بالمناجاة من قَبْلَ العبد حقيقة النجوى ، ومن قَبْلَ الرب لازم ذلك فيكون مجازا ^(٦) .

(١) طرح التثريب : ٣٨٢/٢ .

(٢) فتح البارى : ٥٠٨/١ .

(٣) شرح مسلم للنووى : ١٨٦/٢ .

(٤) قال الحافظ العراقي : لا أحفظ هذا اللفظ فى البصاق ، وإنما هو فى مسح الحصى ، كما رواه أصحاب السنن الأربعة من حديث أنى ذكر عن النبى - ﷺ - قال : إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى ، فإن الرحمة تواجهه (طرح التثريب : ٣٨٢/٢) .

(٥) المفهم : ١٤٨ ب .

(٦) فتح البارى : ٥٠٨/١ .

وقال ابن الجوزي : روى أبو هريرة عن النبي - ﷺ - أنه قال : « إن العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه بين عيني الرحمن » ... المراد بالحديث أن الله يشاهد المصلي فليتأدب ، وكذلك « فإن الله قَبْل وجهه » (١) .

وكل هذه الأقول تؤول هذا اللفظ من الحديث ، على أن بعضهم قد ذهب إلى تفسير يعتبر وسطاً بين التأويل وإجراء اللفظ على حقيقته ، ونلمح ذلك عند ابن فورك وابن أبي جمره .

أما ابن فورك فقال : اعلم أن معنى المناجاة هو مخاطبة المخاطب على الوجه الذي يختص به ولا يشاركه في سماع الخطاب غيره ، وذلك إذا وصف الله تعالى به فالمراد إسماع الله تعالى وإفهامه من أراد من خلقه على الوجه الذي يختص به من غير أن يشاركوا في إسماع ما يسمعون ، وإفهام ما يفقهون ، وهذا هو معنى النجوى يوم القيامة ؛ لأنه تعالى يسمع من يشاء من خلقه خطاباً على التخصيص بالخطاب من غير أن يشاركه في سماع ذلك الخطاب غيره .

ومناجاة العبد لله عز وجل هو إخفاء الخطاب من غير أن يسمع غيره ، وهو أن يذكر الله عز وجل سرا ، فعلى ذلك يحمل معنى المناجاة إذا وصف به الله عز وجل أو وصف به الخلق (٢) .

وأما ابن أبي جمره فقال : قوله « إذا قام يصلى فإنما يناجى ربه أو ربه بينه وبين القبلة » ، فعلى القول بالمناجاة فما هي هنا ؟ لأن المناجاة لغة كلامٌ سرٌّ بين اثنين فصاعداً ، وهنا المتكلم واحد ، فكيف تكون المناجاة ؟ وقد بين هذا المعنى بعض السادة المتبعين على لسان العلم والسنة ، فقليل له : كيف حالك ، فقال : بخير أنا بين أمرين في العبادة ؛ فتارة أناجى مولاي بدعائى وتسبيحي ، وتارة يناجيني بتلاوتي كتابه ، فأنا القارئ ، وهو المخاطب لي .

(١) دفع شبه التشبيه : ص ٧١ .

(٢) مشكل الحديث وبيانه : ص ٥١٩ .

وقال : قوله - ﷺ - : دليل لأهل السنة الذين يقولون إن القرآن كلام الله ، وأن القراءة كلام القارئ ، والمتلو كلام الله ، والصفة لا تفارق الموصوف ، فعلى هذا تكون الصلاة مناجاة حقيقة ، فإنها مشتملة على قراءة وتسبيح ودعاء ، فالتسبيح والدعاء من العبد إلى الرب ، والقراءة من الرب إلى العبد ، ولهذا المعنى يقول أهل الصفاء والأحوال المباركة : إنهم إذا تلووا بالحضور خرجوا بقوة اليقين والتصديق عن حركات الحروف ، وسمعوا بغير واسطة ، وهذا لا يعرفه إلا أهل الذوق الذين سلكوا على حدود السنة ، وقليل ما هم (١) .

فالمناجاة هنا على حقيقتها .

ولكن من جهة أخرى ذهب إلى تأويل ما جاء في بعض روايات الحديث من قوله - ﷺ - : « ربه بينه وبين القبلة » فهذا دليل على أهل التجسيم والحلول أن دعواهم باطلة ، وأن الحلول والتحيز في حقه تعالى مستحيل ؛ فإنه لو كان جل جلاله كما زعموا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بالحلول على العرش فكيف يكون هناك ، ويكون بين المصلي وبين قبلته ، وكَم من المصلين في الزمن الفرد ، في أقطار الأرض مختلفين متباينين من جهتين ، من جهة التباعد وتضاد الأقطار ، فيلزم على ذلك تعداده أو تجزؤه ، وهذا محال بالإجماع منا ومنهم ، فلم يبق إلا التأويل ، فكما نتأول هنا نتأول في غيره من الآثار والآي ، فنرجع الآن لما فيه من الفائدة ؛ أعنى في هذا اللفظ ، وهو قوله : « بينه وبين القبلة » هذه الكناية تنبئ عن قرب خير المولى إلى المصلي ، وعظم إحاطته به ؛ لأنه إذا كان ما بينه وبين القبلة لم يغيب عنه من حركاته ولا سكناته شيء ، كما قال تعالى : (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) كناية أيضاً على أن إحاطته بالأشياء جل جلاله ؛ جزئياتها وكليياتها على قرب أو بعد أو سر أو علانية ، على اختلاف العوالم على حد واحد ، لا يغيب عنه سبحانه منها شيء (٢) .

(١) بهجة النفوس : ١٨٥/١ .

(٢) المصدر السابق : ١٨٥/١ - ١٨٦ .

وواضح هنا أن هؤلاء العلماء جميعا يذهبون إلى التأويل لتنزيه الله تعالى عن التجسيم والحلول في مكان

على أن العلماء الذين أجروا بعض الآيات والأحاديث على حقيقتها - كما قالوا في الاستواء على العرش مثلا - يذهبون هنا إلى التأويل ، ليسلم لهم ما ذهبوا إليه في الاستواء على العرش ، قال ابن عبد البر : وهذا كلام خرج على التعظيم لشأن القبلة وإكرامها ، قال : وقد نوع بهذا الحديث بعض من ذهب مذهب المعتزلة إلى أن الله تعالى في كل مكان وليس على العرش قال : وهذا جهل من قائله ؛ لأن قوله في الحديث يصدق تحت قدمه وعن يساره ينقض ما أصلوه في أنه في كل مكان (١) .

وعلى هذا فالحق أن الموقف واحد هنا من الذين يذهبون إلى تأويل الصفات والذين لا يذهبون في ذلك إلى التأويل ؛ ولذلك قال ابن حجر : ومهما تأول به هذا جاز أن يتأول به ذاك . والله أعلم (٢) .

والحق أن كلا منهم يحجر تأويله إلى ما لا تحمد عقباه إلا من سلم الله عز وجل ، فابن أبي جمر قد تخيل العرش كالعرش المحسوسة ؟ وبنى على هذا كلامه . وابن عبد البر قد أثبت الجهة لله عز وجل دون أن يدري ، ولذلك قال في حقه الحافظ العراقي بعد نقل كلامه السابق : « وهو أحد القائلين بالجهة فاحذره وإنما ذكرته لأنبه عليه لئلا يغتر به » (٣) .

ونحن كعادتنا في هذه الأحاديث وأمثالها نقول : ينبغي أن تؤمن بما جاء فيها دون تأويل مفوضين معناها إلى الله عز وجل - منزهينه سبحانه وتعالى عن أن يكون مثل المخلوقين - تعالى الله علوا كبيرا . والله تعالى أعلم .

(٦) - مادام في مصلاه : يحتمل أن يكون معناه : مادام في المكان الذي صلى

(١) طرح التثريب : ٣٨٢/٢ .

(٢) فتح الباري : ٥٠٨/١ .

(٣) طرح التثريب : ٣٨٢/٢ .

فيه ، أو المسجد الذى صلى فيه ، أو المراد بالمصلى نفس الصلاة . والأول هو الحقيقة ، فحمله عليه أولى ، ويدل على الثانى قوله فى حديث ابن عمر : « فإن الله قَبَلَ وجهه إذا صلى » (١) .

وقد جزم النووى بالمنع فى كل حالة داخل الصلاة وخارجها ، سواء كان فى المسجد أو فى غيره ، وقد نقل عن مالك أنه قال : لا بأس به - يعنى خارج الصلاة ، ويشهد للمنع ما رواه عبد الرزاق وغيره عن ابن مسعود أنه كره أن يبصق عن يمينه وليس فى صلاة (٢) .

(٧) - فإن عن يمينه مَلَكاً : هذا تعليل للنهى عن البصاق عن يمينه ، وهو دليل على احترام تلك الجهة ، وقد ظهر منه - ﷺ - تأييد ذلك ، حيث كان يحب التيمن فى شأنه كله - ﷺ - وحيث كان يبدأ بالميامن فى الوضوء والأعمال الدينية ، وحيث كان يعد يمينه لحوائجه . وشماله لما كان من أذى .

ولمكانة اليمين هذه كان الملك عليها أعلى وأفضل فاحترم ما لم يحترم غيره من نوعه ؛ لأن على اليسار ملكاً أيضاً (٣) .

وقد يقال إن الصلاة أُمُّ الحسنات البدنية ، فلا دخل لكاتب السيئات فيها ، ولذلك نهى عن اليمين ، ويشهد له ما رواه ابن أبى شيبه من حديث حذيفة موقوفاً فى هذا الحديث قال : « ولا عن يمينه ؛ فإن عن يمينه كاتب الحسنات » . وفى الطبرانى من حديث أبى أمامة فى هذا الحديث : « فإنه يقوم بين يدى الله ، وملكه عن يمينه وقرينه عن يساره » فالتفل حينئذ إنما يقع على القرين وهو الشيطان ، ولعل ملك اليسار حينئذ يكون بحيث لا يصيبه شئ من ذلك أو أنه يتحول فى الصلاة إلى اليمين (٤) والله أعلم .

(١) المصدر السابق : ٣٨٢/٢ .

(٢) فتح البارى : ٥١٠/١ .

(٣) المفهم : ١٤٩ أ .

(٤) فتح البارى : ٥١٣/١ .

(٨) - ولكن ليصق عن شماله : أطلق في هذا الحديث الإذن في أن يصق عن شماله ، وهو محمول على ما إذا كان جهة شماله فارغاً من المصلين بدليل ما رواه أصحاب السنن من حديث طارق بن عبد الله الحارثي في هذا الحديث ، فقال : ولكن تلقاء يساره إن كان فارغاً أو تحت قدمه اليسرى ، قال الترمذى : حديث حسن صحيح ^(١) ، وكذا يدل عليه قوله في بعض طرق حديث أئى هريرة عند مسلم : « فليتنزع عن يساره تحت قدمه ، فإن لم يجد فليقل هكذا » أى فإن لم يجد جهة شماله ^(٢) فارغاً .

(٩) - أو تحت رجليه : وقع في المسند « أو تحت رجليه » بالثنية ، ولكن الأفراد - كما هنا - هو الصواب ؛ لأن المراد به الرجل اليسرى كما ثبت في الصحيحين من حديث أئى سعيد : « ولكن على يساره أو تحت قدمه اليسرى ، وكذا من حديث أئى هريرة ^(٣) .

وفي هذا الحديث « أو تحت » وكذا في أكثر الروايات بإثبات « أو » كما في حديث أئى سعيد المتفق عليه وحديث أنس ، وبعض طرق حديث أئى هريرة عند البخارى ، ووقع عند مسلم في حديث أنس : « ولكن عن شماله تحت قدمه » وكذا في بعض طرق حديث أئى هريرة عنده ، فيحتمل أن يكون المراد بجهة الشمال كونه تحت قدمه اليسرى قال القرطبى : وظاهر « أو » الإباحة أو التخيير ، ففى أيهما بصق لم يكن به بأس ^(٤) .

وقد اقتصر في هذا الحديث على الإذن في البصاق على جهة الشمال أو تحت الرجل ، وقد ورد في حديث آخر الإذن في البصاق خلفه ، رواه النسائى . وأبو داود في

(١) سنن الترمذى (٤٦٠/٢ - ٤٦١) - أبواب الصلاة - باب ما جاء في كراهية البزاق في المسجد - من طريق سفيان ، عن منصور ، عن ربعى بن حراش عن طارق به (رقم ٥٧١) ولم تأت فيه كلمة « فارغاً فيه » ، وسنن أئى داود (٣٢٢/١) - (٢) كتاب الصلاة - (٢٢) باب في كراهية البزاق في المسجد - من طريق أئى الأحوص عن منصور به (رقم ٤٧٨) .

(٢) طرح التثريب : ٣٨٣/٢ .

(٣) المصدر السابق : ٣٨٣/٢ .

(٤) المفهم : ١٤٩ أ .

حديث طارق المحاربي ، وفيه : « وابصق خلفك ، أو تلقاء شمالك إن كان فارغاً » الحديث . ورواه الترمذى وصححه ^(١) ، ولم يقل : إن كان فارغاً ^(٢) .

(١٠) - وقد نبه أبو العباس القرطبي إلى شيء هام ، وهو أنه إنما يجوز البصاق على الشمال أو تحت رجله إذا لم يكن في المسجد إلا التراب أو الرمل ، كما كانت مساجدهم في الصدر الأول ، فأما إذا كان في المسجد بسط ، وما له بال من الحصر مما يفسده البصاق ويقدره فلا يجوز احتراماً للمالية ^(٣) .

(١١) - فيدفعه : بين ابن أئى جمرة لم أمر الرسول - ﷺ - بدفن البصاق ولم يأمر بتغطيته فقال : لو قال تغطيتها لكان الضرر يبقى بها أكثر ، بدليل أنه إذا غطاها وخرج جاء غيره فربما قعد على موضعها ، ويسجد عليها فيلحقه منها بلل في ثوبه ، وكذلك في وجهه ، وأكثر الناس لا يحمل ذلك ، وربما كان ذلك سبباً أن يقع له كراهية في المسجد ، وقد يتخلف عنه ... وعلة أخرى ربما في أيام الحر إذا كثرت قد يتولد عنها رائحة إذا كانت مغطاة تغطية يسيرة يتأذى بها ، وقد نهينا أن يدخل المسجد برائحة قدرة ، وربما يجتمع لتلك الرائحة الذباب ، واجتماعه مما يتأذى به فيتضاعف الضرر بذلك أكثر مما كان أولاً ... فلهذه العلة - والله أعلم - أخير - ﷺ - بدفنها ولم يقل : « يغطيها » وهذا إذا كان المسجد تراباً رخواً أو رملاً ، فأما إن كان أرضاً صلبة أو مبلطاً أو بحصير فممنوع لعدم التكفير وهو الدفن ^(٤) .

(١٢) - قال ابن عبد البر : وفي حكم البصاق في المسجد تنزيهه عن أن يؤكل فيه مثل الزبيب وما له دسم وتلوث ، وما يكنسه المرء من بيته ^(٥) .

(١) انظر هامش (١) في ص (٥٩٤) .

(٢) طرح التثريب : ٣٨٣/٢ .

(٣) المفهم : ١٤٩ أ .

(٤) بهجة النفوس : ١٨٣/١ - ١٨٤ .

(٥) طرح التثريب : ٣٨٥/٢ .

- (١٣) - وفي أمره - ﷺ - بـدفن النخامة في المسجد دليل على تنظيف المسجد وتنزيهه عما يستقذر ، وروى أبو داود والترمذي ^(١) وابن ماجه من حديث عائشة قالت : أمر رسول الله - ﷺ - ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب ^(٢) .
- (١٤) - في إباحة البصاق في الصلاة لمن غلبه ذلك دليل على النفخ والتنحنح في الصلاة إذا لم يقصد به صاحبه اللعب والعبث وكان يسيرا لا يضر المصلي في صلاته ، ولا يفسد شيئا منها ؛ لأنه قل ما يكون بصاق إلا ومعه شيء من ذلك ^(٣) .

★ ★ ★

(١) سنن أبي داود (٣١٤/١) - (٢) كتاب الصلاة - (١٣) باب اتخاذ المساجد في الدور - من طريق زائدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة - (رقم ٤٥٥) .

سنن الترمذي (٤٨٩/٢ - ٤٩٠) أبواب الصلاة - (٤١٧) باب ما ذكر في تطييب المساجد من طريق عامر بن صالح عن هشام به (رقم ٥٩٤) .

(٢) طرح التثريب : ٣٨٥/٢ .

(٣) المصدر السابق : ٣٨٥/٢ .

١٢١ - وقال رسول الله - ﷺ - : إذا قلت للناس أنصتوا - وهم يتكلمون - فقد لَعَوْتُ ^(١) على نفسك - يعنى يوم الجمعة .

(١) م : ألغيت .

• رواه عبد الرزاق في المصنف (٢٢٣/٣) باب ما يقع في الجمعة - عن معمر ، عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله - ﷺ - : إذا قلت للناس أنصتوا يوم الجمعة وهم ينطقون ، والإمام يخطب فقد لغوت على نفسك . وفيه زيادات كما نرى ليست في رواية الصحيفة .

ورواه أحمد (١٠١/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ١٢٥/٨٢١٨) وفيه « فقد ألغيت على نفسك » .

وروى البخارى في (٢٢٤/١) - (١١) كتاب الجمعة - (٣٦) باب الإنصات يوم الجمعة والإمام يخطب - من طريق عقيل عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة نحوه .

وروى مسلم في (٥٨٣/٢) - (٧) كتاب الجمعة - (٣) باب في الإنصات يوم الجمعة في الخطبة - رواية عقيل هذه التى عند البخارى (رقم ٨٥١/١١) .

ومن طريق أبى الزناد عن الأعرج ، عن أبى هريرة عن النبى - ﷺ - وفيه : « فقد لغيت » قال أبو الزناد : هى لغة أبى هريرة (رقم ٨٥١/١٢) .

وروى الترمذى طريق عقيل عن الزهرى ، عن ابن المسيب عن أبى هريرة في (٣٨٧/٢) أبواب الصلاة - (٣٦٨) باب ما جاء في كراهية الكلام والإمام يخطب (رقم ٥١٢) وقال : حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح . وقال : وفي الباب عن ابن أبى أوفى وجابر بن عبد الله .

وقد جاء هذا الحديث في نسخة سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة قال : « إذا تكلمت يوم الجمعة فقد لغوت وألغأت (رقم ٦) وجاء في رقم (٤٩) أيضا ، ولكن فيه « ألغيت » بدل : « ألغأت » (دراسات في الحديث ٥٠٠/٢ ، وانظر فيه ٥١١/٢ ففيه تخرىج الحديث ومن رواه عن أبى هريرة من غير همام ، ومن رواه عن رسول الله - ﷺ - غير أبى هريرة) .

شرح الحديث :

(١) - إذا قلت للناس أنصتوا : قال في المشارق : قوله إذا قلت لصاحبك أنصت وإذا قام الإمام أنصت هو السكوت للاستماع لما يقال ، ومنه استنصت الناس ؛ أى أمرهم بالسكوت ، يقال فيه : أنصت ونصت أيضا ^(١) . وقال في النهاية : قد تكرر ذلك الإنصات في الحديث ؛ يقال : أنصت ينصت إنصاتا إذا سكت سكوت مستمع ، وقد نصت أيضا وأنصتته ؛ إذا أسكته ، فهو لازم ومتعدي ^(٢) .

(٢) - فقد لغوت : قال أهل اللغة : يقال : لَعَا يلغو ؛ كغزا يغزو ، ويقال : لَغِيَ يَلْغَى ؛ كَعَمِيَ يَعْمَى ، لغتان الأولى أفصح ، وظاهر القرآن يقتضى هذه التى هى لغة أبى هريرة - كما تقدم فى التخرىج - قال الله تعالى : (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) ^(٣) ، وهذا من لَغِيَ يَلْغَى ، ولو كان من الأول لقال : « والغوا » بضم الغين . قال ابن السكيت وغيره : مصدر الأول اللُّغُو ، ومصدر الثانى اللَّغَى .

واللغو هو الكلام الملقى الساقط الباطل المردود ، وقيل معناه : قلت غير الصواب ، وقيل تكلمت بما لا ينبغى ^(٤) . وقيل : لغا أى خاب من الأجر ^(٥) .

(٣) - والرواية التى معنا وإن كانت مطلقة إلا أنها مقيدة بالروايات الأخرى - ومنها رواية المصنف بأن يكون هذا يوم الجمعة وأثناء خطبة الإمام فيحمل المطلق على المقيد فى هذا .

ولذلك استدل بهذا الحديث على وجوب الإنصات للخطبة ، وتحريم الكلام فيها إذ لم تغتفر هذه الكلمة مع خفتها وكونها أمراً بمعروف محتاج إليه فى تلك الحالة ، فما

(١) مشارق الأنوار : ١٤/٢ .

(٢) النهاية فى غريب الحديث : ٦٢/٥ .

(٣) فصلت : ٢٦ .

(٤) شرح مسلم للنووى : ٥٠٢/٢ .

(٥) مشارق الأنوار : ٣٦١/١ - النهاية فى غريب الحديث : ٢٥٨/٤ .

عداها أولى بالمنع ، وهذا أحد قولى الشافعى ، نص عليه فى القديم ، وبه قال مالك وأبو حنيفة والمشهور من مذهب أحمد وقال ابن المنذر : نهى عثمان وابن عمر من الكلام والإمام يخطب ، وقال ابن مسعود : إذا رأيته يتكلم والإمام يخطب فاقرع رأسه بالعصا ، وكره ذلك أيضا ابن عباس والشافعى وعوام أهل العلم وقال الترمذى بعد رواية حديث ابن المسيب عن أنى هريرة : والعمل عليه عند أهل العلم ، كرهوا للرجل أن يتكلم والإمام يخطب ، وقالوا : إن تكلم غيره فلا ينكر عليه إلا بالإشارة ^(١) .

ومعنى الكراهة هذه فى غالب استعمالهم التحريم ؛ قال الحافظ العراقى : والمتقدمون يطلقون كثيرا الكراهة ويريدون بها التحريم . وقال ابن بطال : جماعة أئمة الفتوى على وجوب الإنصات . وقال ابن عبد البر : لا خلاف علمته بين فقهاء الأمصار فى وجوب الإنصات للخطبة على من سمعها ^(٢) .

وهناك قول ثان للشافعى : أن الإنصات سنة والكلام ليس بحرام ، وهو نصه فى الجديد ، وهو رواية عن أحمد ، حكاه عنها ابن قدامة ، وقال : كان سعيد بن جبير والنخعى والشعبى وإبراهيم بن مهاجر وأبو بردة يتكلمون والحجاج يخطب ^(٣) .

واحتج من أجاز الكلام بما روى أنس قال : بينما النبى - ﷺ - يخطب يوم الجمعة إذ قام رجل فقال : يا رسول الله ، هلك الكراع ، وهلك الشاة ، فادع الله أن يسقينا - وذكر الحديث إلى أن قال : ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة ورسول الله - ﷺ - قائم يخطب ، فاستقبله قائما فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال وانقطع النسل ، فادع الله أن يرفعها عنا . متفق عليه . وروى أن رجلا قام والنبى يخطب يوم الجمعة فقال : يا رسول الله ، متى الساعة ، فأعرض النبى - ﷺ - ، وأوماً الناس إليه بالسكوت ، فلم يقبل وأعاد الكلام ، فلما كان فى الثالثة قال له النبى - ﷺ - ويحك ؛ ماذا أعددت

(١) صحيح الترمذى : ٣٨٧/٢ .

(٢) طرح التثريب : ١٩٢/٣ - ١٩٣ .

(٣) المغنى لابن قدامة : ٣٢٠/٢ .

لها ؟ قال : حب الله ورسوله ، قال : إنك مع من أحببت ، ولم ينكر عليهم النبي - ﷺ - كلامهم ، ولو حرم عليهم لأنكره عليهم (١) .

وعن جابر بن عبد الله قال : دخل رجل يوم الجمعة ، والنبي - ﷺ - يخطب فقال له : صليت ؟ قال : لا ، قال : صل ركعتين ، رواه الشيخان (٢) .

وعن عمر بنينا هو قائم يخطب يوم الجمعة ، فدخل رجل من أصحاب النبي - ﷺ - ، فناداه عمر : أية ساعة هذه ؟ فقال : إني شغلت اليوم ، فلم أنقلب إلى أهلي حتى سمعت النداء ، فلم أزد على أن توضأت ، فقال عمر : الوضوء أيضاً ؟ قد علمتم أن رسول الله - ﷺ - كان يأمر بالغسل . رواه الشيخان (٣) .

وقد كلم عليه الصلاة والسلام وهو على المنبر الذين قتلوا ابن أبي الحقيق وكلموه ، وقد رواه الشافعي مرسلًا ، قال البيهقي : وهذا وإن كان مرسلًا فهو مشهور فيما بين أهل العلم بالمغازي وروى من وجه آخر موصولاً عن عبد الله بن أنيس (٤) .

وقد أجاب القائلون بالكراهة أو التحريم عن هذه الأدلة بأن المخاطبة فيها من الإمام أو معه ، فلا يشتغل بذلك عن سماع الخطبة ، بخلاف كلام الحاضرين بعضهم مع بعض (٥) .

قال ابن قدامة : وما احتجوا به فيحتمل أنه مختص بمن كلم الإمام أو كلمه الإمام ، لأنه لا يشتغل بذلك عن سماع خطبته ، ولذلك سأل النبي - ﷺ - : هل صلى ؟ فأجابه ، وسأل عمر عثمان حين دخل وهو يخطب فأجابه ، فتعين حمل أخبارهم على هذا جمعاً بين الأخبار وتوفيقاً بينها ، ولا يصح قياس غيره عليه ؛ لأن كلام الإمام

(١) المصدر السابق : ٣٢٠/٢ - ٣٢١ .

(٢) طرح التثريب : ١٨١/٣ .

(٣) المصدر السابق : ١٥٧/٣ .

(٤) السنن الكبرى للبيهقي : ٢٢١/٣ - ٢٢٢ .

(٥) طرح التثريب : ١٩٥/٣ .

لا يكون في حال الخطبة خلاف غيره ، وإن قدر التعارض فالأخذ بحديثنا أولى ؛ لأنه قول النبي - ﷺ - ونصه ، وذلك سكوته ، والنص أقوى من السكوت (١) .

وعن أبي ذر أنه قال : دخلت المسجد يوم الجمعة ، والنبي - ﷺ - يخطب ، فجلست قريبا من أبي بن كعب ، فقرأ النبي - ﷺ - سورة براءة ، فقلت لأبي : متى نزلت هذه السورة ، فحصر ولم يكلمني ، فلما صلى رسول الله - ﷺ - صلاته قلت لأبي : إني سألتك فنجهتني ، ولم تكلمني ، فقال أبي : ما لك من صلاة إلا ما لغوت ، فذهبت إلى النبي - ﷺ ، فقلت : يا نبي الله كنت بجنب أبي وأنت تقرأ براءة ، فسألته متى أنزلت هذه السورة فنجهتني ولم يكلمني ، ثم قال : مالك من صلاة إلا ما لغوت ، فقال النبي - ﷺ : صدق أبي (٢) .

فهذا أيضا مع حديثنا يدل على أنه لا يجوز كلام المصلين بعضهم مع بعض حالة خطبة الإمام .

أما العلماء الذين نقل عنهم أنهم كانوا يتكلمون في الخطبة فلا يفهم من مسلكتهم هذا أنهم يميزون ذلك مطلقاً ، وإنما في حالات خاصة كما في زمن الحجاج ؛ قال ابن حزم : كان الحجاج وخطبائه يلعنون علياً وابن الزبير - رضي الله عنهما ، وذكر ابن عبد البر : أن عبد الله بن عروة كان ينصت للخطيب ، فإذا شتم عليا تكلم ، ويقول : إنا لم نؤمر أن ننصت لهذا (٣) .

(١) المغني : ٣٢١/٢ .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي : ٢١٩/٣ - ٢٢٠ - كتاب الجمعة - باب الإنصات للخطبة وقال في طرح التثريب : رواه البزار والحاكم في مستدركه وصححه على شرط الشيخين وقال البيهقي في المعرفة إسناده صحيح ، ورواه أحمد في مسنده من طريق أبي الدرداء بمعناه أن القصة جرت بينه وبين أبي ورواه ابن ماجه من حديث أبي بن كعب أن القصة جرت له مع أبي ذر أو أبي الدرداء . ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده وابن حبان في صحيحه من حديث جابر أن القصة جرت بين ابن مسعود وأبي . والمُنْكَر في الروايات كلها أبي ، وصحح البيهقي وابن عبد البر أن القصة جرت لأبي ذر مع أبي (طرح التثريب : ٢٠١/٣) .

(٣) طرح التثريب : ١٩٣/٣ - وانظر تفصيلا آخر في ص ١٩٤ أيضا .

وقد روى ابن أبى شيبه عن بعض العلماء أنهم كانوا يتكلمون أثناء الخطبة ولكنها جميعا روايات يفهم منها أن الإمام كان يخرج عن أهداف خطبة الجمعة (١) .

(٤) - وظاهر الحديث يقتضى أنه لا فرق فى الحكم على الكلام فى حالة الخطبة بأنه لغو بين أن يكون صادرا من العدد الذين تنعقد بهم الجمعة وبين أن يكون صادرا من الزيادة عليهم ، وهو مقتضى أكثر المتكلمين فى هذه المسألة ، فإنهم لم يفصلوا (٢) وذكر ابن دقيق العيد أن الشافعى يرى وجوب الإنصات فى حق الأربعين ، وفيمن عداهم قولان ثم قال : وهذه الطريقة المختارة عندنا (٣) .

(٥) - وظاهر الحديث أيضاً يقتضى أنه لا فرق بين من يسمع الخطبة ومن لا يسمعها ، فكلاهما مأمور بالإنصات ، وبه قال المالكية والحنابلة والظاهرية ، وحكاه ابن بطال وغيره عن أكثر العلماء وحكاه ابن عبد البر عن مالك والشافعى وأبى حنيفة وأصحابهم والثورى والأوزاعى ، وهو الأصح عن الشافعية (٤) .

وروى ابن أبى شيبه عن عروة بن الزبير أنه كان لا يرى بأساً بالكلام إذا لم يسمع الخطبة (٥) .

وقال ابن دقيق العيد ملخصاً هذه المسألة : « واختلف الفقهاء أيضاً فى إنصات من لا يسمع الخطبة ، وقد يستدل بهذا الحديث على إنصاته ؛ لكونه علقه بكون الإمام يخطب ، وهذا عام بالنسبة إلى سماعه وعدم سماعه (٦) .

والمختلف فيه هو كلام الآدميين ، أما الذكر والتلاوة سرا فليس ممنوعا منهما .

(١) المصنف : ١٢٣/٢ - ١٢٤ .

(٢) طرح التثريب : ١٩٥/٣ .

(٣) إحكام الأحكام : ٢٩١/١ .

(٤) طرح التثريب : ١٩٦/٣ .

(٥) المصنف : ١٢٦/٢ .

(٦) إحكام الأحكام : ٢٩١/١ .

قال ابن قدامة : وإذا ذكر الله فيما بينه وبين نفسه من غير أن يسمع أحداً فلا بأس وهل ذلك أفضل أو الإنصات ؟ يحتمل وجهين : أحدهما الإنصات أفضل ؛ لحديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً : « يحضر الجمعة ثلاثة نفر ؟ رجل حضرها يلغو فهو حظه منها ، ورجل حضرها يدعو ، فهو رجل دعا الله عز وجل إن شاء أعطاه وإن شاء منعه ، ورجل حضرها بإنصات وسكوت ، ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحداً فهي كفارة إلى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام ^(١) . ولقول عثمان : من كان قريباً يسمع وينصت ، ومن كان بعيداً ينصت ، فإن للمنصت الذي لا يسمع من الحظ ما للسامع والثاني : الذكر أفضل ؛ لأنه يحصل له ثوابه من غير ضرر فكان أفضل كما قبل الخطبة ^(٢) .

وقد روى ابن أبي شيبة أن ممن أجاز ذكر الله أثناء الخطبة ميمون وطاوس وعلقمة والحسن ومحمد بن سيرين ^(٣) ..

(٦) - وجاء في حديث همام في المصنف وفي أغلب روايات هذا الحديث التقييد بقوله - ﷺ - : « والإمام يخطب » وهذا يخرج ما قبل ابتداء الإمام من الخطبة وما بعد فراغه منها ، فلا منع من الكلام حينئذ ، وهذا مذهب مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد وابن حزم والأكثرين ^(٤) . قال ابن قدامة : لا يكره قبل شروعه في الخطبة وبعد فراغه منها ، وبهذا قال عطاء وطاوس والزهرى وبكر المزني والنخعي ومالك والشافعي وإسحاق ويعقوب ومحمد وروى ذلك عن ابن عمر ^(٥) .

وذهب أبو حنيفة إلى منع الكلام بمجرد خروج الإمام وإن لم يشرع في الخطبة ^(٦) . وقال ابن عبد البر : إن عمر وابن عباس كانا يكرهان الكلام والصلاة بعد

(١) سنن أبي داود (١/٦٦٥-٦٦٦) - (٢) كتاب الصلاة - (٢٣٥) باب الكلام والإمام يخطب -

من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . (رقم ١١١٣) .

(٢) المغنى : ٣٢٢/٢ .

(٣) المصنف : ١٢٢/٢ .

(٤) طرح التثريب : ١٩٧/٣ .

(٥) المغنى : ٣٢٤/٢ .

(٦) طرح التثريب : ١٩٧/٣ .

خروج الإمام ولا يخالف لهما في الصحابة^(١). كما روى ابن أبي شيبة أن الحَكَم سئل عن الكلام إذا خرج الإمام حتى يتكلم ، وإذا نزل قبل أن يصلى فكرهه^(٢).

وقد رد ابن قدامة على هؤلاء بقوله : « ولنا أن النبي - ﷺ - قال : إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب انصت فقد لغوت » فخصه بوقت الخطبة ، وقال ثعلبة بن أبي مالك : إنهم كانوا في زمن عمر إذا خرج عمر وجلس على المنبر وأذن المؤذنون جلسوا يتحدثون ، حتى إذا سكوت المؤذنون وقام عمر سكتوا فلم يتكلم أحد ، وهذا يدل على شهرة الأمر بينهم ، ولأن الكلام إنما حرم لأجل الإنصات للخطبة فلا وجه لتحريمه مع عدمها ، وقولهم : لا يخالف لهما في الصحابة قد ذكرنا عن عمومهم هذا القول^(٣).

هذا الخلاف في الكلام ما قبل الخطبة وما بعدها أما بين الخطبتين فقد قال ابن المنذر : كره ذلك مالك والشافعي والأوزاعي وإسحاق ، وروى ذلك عن ابن سيرين ، وكان الحسن البصري يقول : لا بأس^(٤) به ، ومن ذهب إلى جوازه ابن حزم الظاهري^(٥) ، وبين ابن قدامة حجة القائلين بالجواز والقائلين بالمنع فقال : فأما الكلام في الجلسة بين الخطبتين فيحتمل أن يكون جائزاً ؛ لأن الإمام غير خاطب ولا متكلم ، فأشبه ما قبلها وبعدها ، وهذا قول الحسن ، ويحتمل أن يمنع منه ، وهو قول مالك والشافعي والأوزاعي وإسحاق ؛ لأنه سكوت يسير في أثناء الخطبتين أشبه السكوت للتنفس^(٦).

وأبو حنيفة على المنع من ذلك مطلقاً ، قال أبو زرعة بن العراق : ولم أر الحنفية استثنوا عن صاحبيه^(٧) إلا ما قبل الخطبة وما بعدها ، فاقتضى كلامهم موافقة صاحبيه له على منع الكلام بين الخطبتين^(٨).

(١) المغنى : ٣٢٤/٢ .

(٢) المصنف : ١٢٧/٢ .

(٣) المغنى : ٣٢٤/٢ - ٣٢٥ .

(٤) طرح التثريب : ١٩٧/٣ .

(٥) المحلى : ٦٢/٥ .

(٦) المغنى : ٣٢٥/٢ .

(٧) يعنى صاحب أبى حنيفة : محمد وأبى يوسف .

(٨) طرح التثريب : ١٩٨/٣ .

(٧) - ولفظ الحديث لا يتناول الخطيب ؛ لأن شأنه أن يأمر الناس بالإنصات وغيره من المواعظ ولأنه لا يمكن أن يتكلم والإمام يخطب ، وبهذا قطع أكثر الشافعية ، وهو مذهب المالكية والحنابلة (١) .

(٨) - واستثنى المالكية والحنابلة والظاهرية من سأل الخطيب فأخرجوه عن موضع الخلاف وأباحوا له الكلام جواباً للخطيب ، وهو واضح ؛ لأن كلامه في هذه الحالة لا يخرج عن الإنصات والاستماع ، ويدل له قضية سليك ، فقد جاء يوم الجمعة ورسول الله - ﷺ قاعد على المنبر يخطب ، فقال له : صليت ؟ قال : لا ، قال : (٢) صل ركعتين . ولحديث عثمان مع عمر المتقدم .

وكذلك استثنوا ابتداء الإمام بالكلام لحاجة ، أو سؤال عن مسألة لحديث الاستسقاء المتقدم (٣) .

(٩) - قال أبو زرعة بن العراق : استثنى أصحابنا الشافعية من تحريم الكلام حالة الخطبة أو كراهيته الداخل في أثناء الخطبة فقالوا : يجوز له أن يتكلم وأن يأخذ لنفسه مكاناً . ثم عقب على هذا ولم يرتضه فقال : وهم مطالبون بالدليل على استثناء هذه الحالة ، فظاهر الحديث تناولها ، والمعنى الذى اقتضى منع الكلام ، وهو تفويت سماع الخطبة على المتكلم وسامعه موجود في هذه الحالة ، فهي كغيرها (٤) .

وذكر أبو زرعة أيضاً أن الشافعية استثنوا من منع الكلام أثناء الخطبة ذلك الكلام الذى يتعلق به غرض ناجز كأن رأى عقرباً يدب إلى إنسان فأنذره ، أو علم إنساناً شيئاً من الخير أو نهاه عن منكر فهذا ليس بحرام . نص عليه الشافعي واتفق أصحابه على التصريح به ، لكن يستحب أن يقتصر على الإشارة ، ولا يتكلم ما أمكن الاستغناء عنه .

(١) المصدر السابق : ١٩٦/٣ .

(٢) انظر تحريجه في المصدر السابق : ١٨١/٣ .

(٣) طرح الثريب : ١٩٦/٣ .

(٤) المصدر السابق : ١٩٨/٣ .

وعقب أبو زرعة على هذا كذلك بقوله : وفي هذا الاستثناء نظر ؛ فإن الصورة التي ورد فيها الحديث تعلق بها غرض مهم ناجز ، فإنه نهى عن منكر تعاطاه المتكلم في تلك الحالة بكلمة خفيفة ، ومع ذلك فحكم عليه الشارع عليه الصلاة والسلام بأنه لغو ^(١) .

وقد فصلَ الحنابلة في ذلك فجوزوا إنذار الأعمى ومن قصدته حية أو خشي عليه حريق وعللوه بأن هذا يجوز في نفس الصلاة مع إفسادها به فهنا أولى ^(٢) ، ومنعوا نهى المتكلم بالكلام لهذا الحديث ، ولكن يشير إليه فيضع إصبعه على فيه .. ولم يستثن الحنفية والمالكية هذه الأحوال ، وظاهر كلامهم المنع ^(٣) مطلقاً .

(١٠) - واختلف العلماء في ابتداء السلام في حالة الخطبة ورده ؛ فقال الشافعية : إن قرعنا على القديم فينبغي للدخول ألا يسلم ، فإن سلم حرمت إجابته باللفظ ويستحب بالإشارة ، وعلى الجديد جاز رد السلام . وعن أحمد روايتان : إحداهما يرد لوجوبه قال ابن قدامة : قال الأثرم : سمعت أبا عبد الله سئل : يرد الرجل السلام يوم الجمعة ؟ فقال نعم ، وثانيتها إن كان لا يسمع رد السلام ، وإن كان يسمع لم يفعل . قال أبو طالب : قال أحمد : إذا سمعت الخطبة فاستمع وأنصت ، ولا تقرأ ولا تشمت ، وإذا لم تسمع الخطبة فأقرأ وشمّت ورد السلام ، وقال أبو داود : قلت لأحمد : يرد السلام والإمام يخطب ويشمت العاطس ؟ قال : إن كان ليس يسمع الخطبة فيرد ، وإن كان يسمع فلا ، لقوله الله تعالى : (فاستمعوا له وأنصتوا) وقيل لأحمد : الرجل يسمع نغمة الإمام بالخطبة ولا يدرى ما يقول ، يرد السلام ؟ قال لا ، إذا سمع شيئاً وروى نحو ذلك عن عطاء . وذلك لأن الإنصات واجب ، فلم يجز الكلام المانع منه من غير ضرورة كالأمر بالإنصات ، بخلاف من لم يسمع ^(٤) .

(١) المصدر السابق : ١٩٨/٣ .

(٢) المغنى : ٣٢٣/٢ .

(٣) طرح التثريب : ١٩٩/٣ .

(٤) المغنى : ٣٢٣/٢ - ٣٢٤ .

ومنع المالكية ابتداء السلام ورده في هذه الحالة مطلقاً ، وهو مقتضى الحديث ^(١) .

(١١) - وكذلك اختلفوا في تسميت العاطس في حالة الخطبة فرخص فيه بعضهم وهو قول أحمد وإسحاق وأحد قولي الشافعي ^(٢) ، قال ابن المنذر رخص في تسميت العاطس ورد السلام والإمام يخطب الحسن البصري والنخعي والشعبي والحكم وحماد والثوري وأحمد وإسحاق وقال قتادة يرد السلام ويشتمه ^(٣) . وكره ذلك بعضهم من التابعين وغيرهم ، وهو قول سعيد بن المسيب ^(٤) .

(١٢) - وقد وردت بعض الأحاديث والآثار التي يدل ظاهرها على أن المتكلم أثناء خطبة الإمام ليس له جمعة .

١ - روى ابن أبي شيبة في مصنفه بسنده عن الشعبي أن أبا ذر أو الزبير بن العوام سمع أحدهما من النبي - ﷺ - آية يقرأها وهو على المنبر يوم الجمعة ، قال : فقال لصاحبه : متى أنزلت هذه الآية ؟ قال : فلما قضى صلاته قال له عمر بن الخطاب : لا جمعة لك . فأثنى النبي - ﷺ - فذكر ذلك له فقال : صدق عمر ^(٥) .

٢ - وروى ابن أبي شيبة وأحمد والبخاري في مسنديهما وغيرهم عن ابن عباس قال : قال رسول الله - ﷺ - من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفارا ، والذي يقول له انصت ليست له جمعة ^(٦) .

٣ - وروى ابن أبي شيبة أيضا والبخاري في مسنديهما عن جابر قال : قال سعد لرجل يوم الجمعة : لا صلاة لك . قال : فذكر ذلك الرجل للنبي -

(١) طرح التثريب : ٢٠٠/٣ .

(٢) شرح السنة : ٢٦٠/٤ .

(٣) طرح التثريب : ٢٠٠/٣ .

(٤) شرح السنة : ٢٦٠/٤ .

(٥) المصنف : ١٢٥/٢ .

(٦) المصدر السابق : ١٢٥/٢ .

ﷺ - ، فقال : يا رسول الله ، إن سعدا قال : لا صلاة لك ، فقال النبي - ﷺ - : لم يا سعد ، فقال : إنه تكلم وأنت تخطب . فقال : صدق سعد (١) .

٤ - وروى ابن أبي شيبة أيضا عن علقمة بن عبد الله قال : قدمنا المدينة يوم الجمعة ، فأمرت أصحابي أن يرتحلوا ، ثم أتيت المسجد فجلست قريبا من ابن عمر ، فجاء رجل من أصحابي ، فجعل يحدثني والإمام يخطب فقلنا كذا وكذا ، فلما كثرت قلت له : اسكت ، فلما قضينا الصلاة ذكرت ذلك لابن عمر فقال : أما أنت فلا الجمعة لك ، وأما صاحبك فحمار » (٢) .

٥ - وقد مرَّ حديث أبي مع أي ذر أو غيره ، وفيه : « ما لك من صلاتك إلا ما لغوت » (٣) .

على أنه قد جاء في بعض روايات حديث همام : « فقد ألغيت على نفسك » وهي في « م » ورواية أحمد وفسرها بعض العلماء من حيث اللغة بمعنى أسقطت على نفسك ؛ قال في الصحاح : ألغيت الشيء أى أبطلته ، وقال في المشارق : طرحته ، وقال في المحكم : كل ما أسقطه فلم تعتد به فقد ألغيته ، وقال في النهاية : وألغى إذا أسقط ، وعلى هذا فالمفعول محذوف ويقدر بالجمعة فيما يظهر ، فقلوه ألغيت : أى جمعتك (٤) .

وقد حمل العلماء كل هذا على أن المراد : لا جمعة له كاملة ، وأنه يأثم ولا تبطل جمعته ، ودليلهم أن الرسول ﷺ لم يأمر أحداً بالإعادة ممن سبق أن أقر على أنهم ليست لهم جمعة ، ولأن هذه العبادة قد وقعت مستجمعة للشروط والأركان (٥) . قال ابن حجر : قال العلماء : معناه لا جمعه له كاملة للإجماع على إسقاط فرض الوقت عنه (٦) .

(١) المصدر السابق : ١٢٥/٢ - ١٢٦ .

(٢) المصدر السابق : ١٢٥/٢ .

(٣) انظر ص : ٦٠١ .

(٤) طرح التثريب : ١٩٢/٣ .

(٥) المصدر السابق : ٢٠١/٣ - ٢٠٢ .

(٦) فتح الباري : ٤١٤/٢ .

هذا وقد ذهب ابن حزم إلى ما يدل عليه ظاهر هذه النصوص فقال من تكلم عامدا في الخطبة تبطل صلاته وعليه إعادتها في الوقت ؛ لأنه لم يصلها (١)

(١٣) - استدل بالحديث المالكية على عدم تحية المسجد للدخول والإمام يخطب ، من حيث إن الأمر بالإنصات أمر بمعروف وأصله الوجوب ، فإذا منع منه - مع قلة زمانه وقلة إشغاله فلأن يمنع من الركعتين - مع كونهما سنة وطول الاشتغال وطول الزمان بهما أولى (٢) .

والله أعلم

(١) المحلى : ٦٢/٥ - ٦٣ .

(٢) إحكام الأحكام : ٢٩١/١ .

١٢٢ - وقال رسول الله - ﷺ - : أنا أولى الناس بالمؤمنين في كتاب الله ، فَأَيُّكُمْ ^(١) ترك ديناً أو ضيعةً فادعوني ، فإني وليُّه ، وأيُّكم ما ترك مالاً فليؤثر بماله عصبته مَنْ كان .

(١) م : ما ترك .

● رواه عبد الرزاق في المصنف (٢٩١/٨) في باب من مات وعليه دين - عن معمر ، عن همام بن منبه وفيه « فأنا وليُّه » و « وأيُّكم ترك مالاً » . (رقم ١٥٢٦١) .

ورواه أحمد (١٠١/١٦ - ١٠٢) ضمن روايته لصحيفة همام . (رقم ١٢٦/٨٢١٩) .

ورواه مسلم في (١٢٣٧/٣ - ١٢٣٨) - (٢٣) كتاب الفرائض - (٤) باب من ترك مالاً فلورثته - بسنده للصحيفة (رقم ١٦١٩/١٦) .

وروى من طريق يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - كان يؤتى بالرجل الميت عليه الدين ، فيسأل : هل ترك لدينه من قضاء ؟ فإن حُذِّث أنه ترك وفاء صلى عليه ، وإلا قال : صلوا على صاحبكم ، فلما فتح الله عليه الفتوح قال : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفى وعليه دين فعلى قضاؤه ، ومن ترك مالا فهو لورثته . (١٦١٩/١٤) .

وروى من طريق أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي - ﷺ - قال : والذي نفس محمد بيده ، إن على الأرض من مؤمن إلا أنا أولى الناس به ، فأَيُّكم ما ترك ديناً أو ضياعاً فأنا مولاه ، وأَيُّكم ترك مالاً فإلى العصبة من كان . (١٦١٩/١٥) .

وروى نحوه من طريق شعبة عن عدى عن أبي حازم عن أبي هريرة . (١٦١٩/١٧) .

وروى البخارى في (٥٩/٣ ، ٦٠) - (٣٩) كتاب الكفالة - (٥) باب الدين - حديث عقيل عن ابن شهاب عن أبي سلمة مثل حديث يونس عن ابن شهاب عن مسلم . (رقم ٢٢٩٨) .

ورواه كذلك في (١٩٥/٦) - (٦٩) كتاب النفقات - (١٥) باب قول النبي - ﷺ - « من ترك كلاً أو ضياعاً فإلى » - (رقم ٥٣٧١) .

وروى في (٨٥/٣) - (٤٣) كتاب الاستقراض - (١١) باب الصلاة على من ترك ديناً حديث شعبة عن عدى بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة (٢٣٩٨) .

ومن طريق هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - قال : ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة ، اقرعوا إن شئتم (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فأبما مؤمن مات وترك مالا فليثمه عصبته من كانوا ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتمني فأنا مولاه . (رقم ٢٣٩٩) .

وقد روى حديث ابن أبي عمرة مرة أخرى في (٢٢/٦) (٣٣/٦٥) كتاب التفسير - (٣٣) سورة الأحزاب - الباب الأول . (رقم ٤٧٨١) .

وفي (٥/٨) - (٨٥) كتاب الفرائض - (٤) باب قول النبي - ﷺ - : من ترك مالا فليأمله . روى من طريق يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة ، وهو متابع لحديث عقيل الذي سبق أن رواه البخاري هو ومسلم (رقم ٦٧٣١) .

وفي (٨/٨) - (٨٥) كتاب الفرائض - (١٥) باب ابني عم أحدهما أخ للأُم والآخر زوج روى نحوه من طريق اسرائيل عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة . (رقم ٦٧٤٥) .

وفي (١١/٨) (٨٥) كتاب الفرائض أيضاً - (٢٥٠) باب ميراث الأسير - روى حديث شعبة الذي سبق أن رواه في كتاب الاستقراض .

ورواه البغوي (٣٢٥/٨) في كتاب الفرائض بسنده للصحيحة ، وقال : هذا حديث صحيح . (رقم ٢٢١٥) .

شرح الحديث :

(١) - أنا أولى الناس بالمؤمنين في كتاب الله : هذا فيه إشارة إلى الآية الكريمة - كما جاء في بعض الروايات : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) ^(١) ، وإذا كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فهو أولى بهم من بقية الناس من باب أولى ؛ لأن الإنسان أولى بنفسه من غيره . وآثر عليه هذه العبارة ؛ لأنها الملائمة حيث يفهم من كلامه - ﷺ - أنه إذا كان ما تركه المؤمن من ضياع أو دين يلجأ فيه إلى الناس ليؤدّى هذا الدين أو يقوموا على هذا الضياع فهو أولى من الناس .

(٢) - فأياكم ترك ديناً أو ضيعة : المراد بالضيعة العيال المحتاجون الضائعون ، قال الخطابي : الضياع والضيعة هنا وصف لورثة الميت بالمصدر أى ترك أولاداً أو عيالا

ذوى ضياع ، أى لا شئ لهم ، والضياع فى الأصل مصدر ما ضاع ، وجعل اسما لكل ما يعرض للضياع ^(١) .

وفى تفسير القرطبي عند تفسير قوله تعالى : (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) : هذه الآية أزال الله تعالى بها أحكاماً كانت فى صدر الإسلام ؛ منها : أنه - ﷺ - كان لا يصلى على ميت عليه دين ، فلما فتح الله عليه الفتوح قال : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفى وعليه دين فعلى قضاؤه ، ومن ترك مالا فلورثته ، أخرجه الصحيحان ، وفيهما أيضا : فأىكم ترك ديناً أو ضياعاً فأنا مولاة ... فهذا تفسير الولاية المذكورة فى هذه الآية بتفسير النبى - ﷺ - وتبينه ، ولا عطر بعد عروس ^(٢) .

وعلى هذا فقد صار عليه الصلاة والسلام يوفى دين من مات وعليه دين ولم يخلف وفاء . وهناك خلاف عند الشافعية فى كون هذا كان واجبا على النبى - ﷺ - أو كان يفعله تكراماً وتقضالا ، والأشهر عندهم وجوبه ، وعدوه من خصائصه ، كما اختلفوا فى كون هذا يجب على الأئمة بعده ، وهو مبنى على الخلاف السابق ^(٣) .

أما بالنسبة للعيال الذين لا مال لهم فواجب عليه وعلى الأئمة بعده من مال المصالح . قال الخطاى : كان الشافعى يقول : ينبغى للإمام أن يحصى جميع ما فى البلدان من المقاتلة وهم من قد احتلم أو استكمل خمس عشرة من الرجال ، ويحصى الذرية ، وهى من دون الاحتلام ودون البالغ ، والنساء صغيرتهن وكبيرتهن ، ويعرف قدر نفقاتهم ، وما يحتاجون إليه من مئوناتهم بقدر معاش مثلهم فى بلدانهم ، ثم يعطى المقاتلة فى كل عام عطاءهم والعطاء الواجب من الفىء لا يكون إلا لبالغ يطيق مثله الجهاد ، ثم يعطى الذرية والنساء ما يفهم لستهم فى كسوتهم ونفقتهم ... قال : وإن فضل من المال شئ بعد ما وصفت وضعه الإمام فى إصلاح الحصون والازدياد فى الكراع ، وكل ما قوى به المسلمون ، فإن استغنى المسلمون ، وكملت كل مصلحة لهم فرق ما بقى منه بينهم كله

(١) شرح مسلم للنووى : ١٤٤/٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ص : ٥٢٠٣ - ٥٢٠٤ .

(٣) طرح التثريب : ٢٣٠/٦ .

على قدر ما يستحقونه في ذلك المال . قال : ويعطى من الفئ زرق الحكام وولاية الأحداث والصلاة بأهل الفئ ، وكل من قام بأمر الفئ من وإل وكاتب وجندى ممن لا غنى لأهل الفئ عنه زرق مثله ^(١) .

(٣) - وأيكم ما ترك مالا : ما زائدة ، وذكر المال خرج مخرج الغالب ؛ فإن الحقوق تورث كالأموال .

(٤) - فليؤثر بماله عصبته من كان : أى فليبره عصبته ، والعصبة الأقارب من جهة الأب ؛ قال الجوهري : إنما سموا عصبية لأنهم عصبوا به ، أى أحاطوا به ، فالأب طرف والابن طرف ، والعم جانب والأخ جانب . وقال صاحب النهاية : لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم ، أى يحيطون به ويشتد بهم ، وقال صاحب المحكم الذين يرثون الرجل عن كلاله من غير والد ولا ولد ، فأما في الفرائض فكل من لم يكن له فريضة مسماة فهو عصبية إن بقى شيء بعد الفرض أخذ ، وقال صاحب المشرق : عصبية الموارث هم الكلاله من الورثة من عدا الآباء والأبناء الأدياء ، وتكون أيضا في الموارث كل من ليس له فرض مسمى .

قال أبو زرعة بن العراقى : وعرف أصحابنا (أى الشافعية) الفقهاء العصبية بأنه من ورث بالإجماع ولا فرض له ، واحترزوا بقولهم « بالإجماع » عن ذوى الأرحام ، فإن من ورثهم لا يسميهم عصبية ، وقال : ثم قسم أصحابنا العصبية إلى عصبية بنفسه وعصبية بغيره ومنهم من زاد قسماً ثالثاً وهو عصبية مع غيره ^(٢) .

(٥) - قدم الإمام النووى معنى إجمالياً لهذا الحديث فقال - مراعيًا فيه رواياته المختلفة فقال : - « ومعنى هذا الحديث : أن النبى - ﷺ - قال : أنا قائم بمصالحكم في حياة أحدكم وموته ، وأنا وليه في الحالين ، فإن كان عليه دين قضيته من عندى إن لم يخلف وفاء ، وإن كان له مال فهو لورثته لا آخذ منه شيئا ، وإن خلف عيالا محتاجين ضائعين فليأتوا إلى ، فعلى نفقتهم ومعتهم ^(٣) .

(١) المصدر السابق : ٢٣٠/٦ .

(٢) طرح التثريب : ٢٣١/٦ .

(٣) شرح مسلم للنووى : ١٤٣/٤ .

١٢٣ - وقال رسول الله - ﷺ - : لا يقل أحدكم : اللهم اغفر لي - إن شئت ، أو ارحمني إن شئت ، أو ارزقني إن شئت . ليعزم المسألة ؛ إنه يفعل ما يشاء ؛ لا مكره له .

• رواه عبد الرزاق في المصنف في كتاب الجامع (٤٤١/١٠) - باب الدعاء - عن معمر ، عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله - ﷺ - : لا يقل أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، اللهم ارزقني إن شئت ، ولكن ليعزم مسألته ، إنه يفعل ما يشاء ، لا مكره له . (رقم ١٩٦٤١) .
ورواه أحمد (١٠٢/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ١٢٧/٨٢٢٠) .

ورواه البخاري في (١٩٣/٨) - (٩٧) كتاب التوحيد - (٣١) باب في المشيئة والإرادة - عن يحيى عن عبد الرزاق عن معمر ، عن همام ، ولفظه : لا يقل أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت ، ارحمني إن شئت ، ارزقني إن شئت ، وليعزم مسألته ، إنه يفعل ما يشاء ، لا مكره له . (رقم ٧٤٧٧) .

وروى في هذا الكتاب والباب نحوه عن أنس من طريق عبد الوارث عن عبد العزيز (بن صهيب) عنه (رقم ٧٤٦٤) .

كما روى حديث أنس هذا في (١٥٣/٧) - (٨٠) كتاب الدعوات - (٢١) باب ليعزم المسألة ، فإنه لا مكره له ولكن من طريق إسماعيل (بن علي) عن عبد العزيز عنه (رقم ٦٣٣٨) .

وفي الكتاب والباب نفسيهما من طريق مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة (رقم ٦٣٣٩) .

وروى مسلم في (٢٠٦٣/٤) - (٤٨) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت - حديث أنس من طريق إسماعيل بن علي كما سبق عند البخاري - (رقم ٢٦٧٨/٧) .

وروى من طريق إسماعيل (بن جعفر) عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ، وليعظم الرغبة ، فإن الله تعالى لا يتعاظمه شيء أعطاه . (٢٦٧٩/٨) .

ومن طريق الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب ، عن عطاء بن ميناء ، عن أبي هريرة قال : نحوه وفيه : « فإن الله صانع ما شاء ، ولا مكره له » . (٢٦٧٩/٩) .

ورواه البيهقي في (١٩٣ - ١٩٢/٥) - كتاب الدعوات - باب من دعا فليعزم - بسنده للصحيفة الذي يلتقي في أبي بكر محمد بن الحسين القطان مع سند الصحيفة هنا ، كما رواه من طريق أحمد بن منصور الرمادي عن

عبد الرزاق به ويتفق لفظه مع لفظ المصنف . أما الرواية الأولى فيتنفق لفظها مع لفظ الصحيفة (رقم ١٣٩١) وقال :
هذا حديث متفق على صحته أخرجه محمد عن يحيى ، عن عبد الرزاق ، وأخرجاه من طرق أخر عن أنى هريرة .

شرح الحديث :

(١) - لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت : أى لا يعلق أحدكم دعاءه على المشيئة لأن الذى يحتاج إلى التعليق بالمشيئة هو الذى يمكن إكراهه على الشئ ، فيخفف الأمر عليه ويعلمه بأنه لا يطلب منه ذلك الشئ إلا برضاه ، وكأنه يقول له لا أريد أن تحقق لى طلبى وأنت غير راض أو وأنت لا تحب تحقيقه . والله سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك ، فليس للتعليق فائدة .

وقيل المعنى أن فيه صورة الاستغناء عن المطلوب والمطلوب منه (١) .

والظاهر أن النهى عن ذلك على سبيل التنزيه والكراهة ، وكذلك يفهم من كلام النووى فى شرح مسلم (٢) . وقال ابن عبد البر فى التمهيد : لا يجوز لأحد أن يقول : اللهم اعطنى كذا إن شئت ، وارحمنى إن شئت ، وهب لى من الخير كذا إن شئت من أمر الدين والدنيا لنهى الرسول - ﷺ - عن ذلك ، ولأنه كلام مستحيل لا وجه له ؛ لأنه لا يفعل إلا ما شاء لا شريك له . وظاهر كلام ابن عبد البر هذا أن النهى للتحريم (٣) .

(٢) - ليعزم المسألة : قال العلماء : عزم المسألة الشدة فى طلبها والجزم من غير ضعف فى الطلب ولا تعليق على مشيئته ونحوها ، وقيل : هو حسن الظن بالله تعالى فى الإجابة (٤) قال الداودى : معنى قوله : « يعزم المسألة » أن يجتهد ويلج ، ولا يقل إن

(١) فتح البارى : ١٤٠/١١ .

(٢) شرح مسلم : ٥٣٧/٥ .

(٣) طرح التثريب : ١١٦/٣ .

(٤) شرح مسلم : ٥٣٧/٥ .

شئت كالمستثنى ولكن دعاء البائس الفقير قال ابن حجر (١) . وكأنه أشار بقوله « كالمستثنى » إلى أنه إذا قالها على سبيل التبرك لا يكره ، وهو جيد .

(٣) - ذكر في الحديث طلب المغفرة أو الرحمة أو الرزق ؟ وهى أمثلة فسائر الأدعية كذلك ، ولذلك عبر في رواية العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه عند مسلم بقوله : « إذا دعا أحدكم » فتناول سائر الأدعية . قال أبو زرعة بن العراقى : فإن قلت : ورد التقييد في قوله عليه الصلاة والسلام « أحيى ما علمت الحياة خيراً لى ، وتوفى إذا علمت الوفاة خيراً لى ، قلت : إنما قيد هناك طلب الحياة بكونها خيراً له ، وطلب الوفاة بكونها خيراً له ، فإنه قد يقدر له الحياة مع كون الخيرة في قرب وفاته ؛ لما يكون في تلك الحياة من الفتنة ، وقد يقدر له الوفاة مع كون الخيرة له في طلب الحياة ؛ لما فيها من اكتساب الخيرات ، وهذا مثل الاستخارة في الأمور المشتبهة ، وقد ورد بها الحديث الصحيح ، أما مشيئة الله فلا تقع ذرة في الوجود إلا بها فلا معنى لتعليق الطلب بها والله أعلم (٢) .

(٤) - إنه يفعل ما يشاء لا مكروه له : هذا تعليل للنهى عن تعليق إجابة الدعاء بالمشيئة أى لأن هذا لا يكون إلا في حق من يتوجه عليه الإكراه ، والله تعالى منزّه عن ذلك ، لأنه يفعل ما يشاء .

(٥) - قال ابن بطال : في الحديث أنه ينبغي للداعى أن يجتهد في الدعاء ويكون على رجاء الإجابة ، ولا يقنط من الرحمة ، فإنه يدعو كريماً ، وقد قال ابن عيينة : لا يمنعن أحداً الدعاء ما يعلم في نفسه - يعنى من التقصير - ؛ فإن الله أجاب دعاء شر خلقه ، وهو إبليس (٣) حين قال : (رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (٤) . والله تعالى أعلم .

★ ★ ★

(١) فتح البارى : ١٤٠/١١ .

(٢) طرح التثريب : ١١٦/٣ - ١١٧ .

(٣) فتح البارى : ١٤٠/١١ .

(٤) سورة « ص » : ٧٩ .

١٢٤ - وقال رسول الله - ﷺ - : غزا نبي من الأنبياء ، فقال للقوم : لا يَتَّبِعْنِي رَجُلٌ قَدْ كَانَ مَلِكٌ بَضَعَ امْرَأَةً ^(١) يريد أن يَبْنِي بها وَلَمَّا بَنَى ^(٢) . ولا آخِرُ بَنَى ^(٣) بِنَاءً لَهُ ، وَلَمَّا يَرْفَعُ سُقْفَهَا ، ولا آخِرُ قَدْ اشْتَرَى غَنَمًا أو خِلَفَاتٍ وهو ينتظر ولادَها .

فغزا ، فدنا القرية حين صَلَّى العصر ، أو قريبا من ذلك ، فقال للشمس : أَنْتِ مَأْمُورَةٌ ، وأنا مَأْمُورٌ . اللهم احسبْهَا عَلَيَّ شَيْئًا ، فَحُسِبَتْ عَلَيْهِ ، حتى فتح الله عليه ، فجمعوا ما غَنِمُوا ، فأقبلت النار لتَأْكُلَهُ ، فأبَتْ أَنْ تَطْعَمَهُ . فقال : فيكم الْغُلُولُ ^(٤) ، فليبايعنِي من كل قبيلة رجل ، فبايعوه ، فَلَصِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ . فقال : فيكم الْغُلُولُ ، فلتبايعنِي قَبِيلَتُهُ ^(٥) ، فبايعته قَبِيلَتُهُ ، فَلَصِقَ ^(٦) يَدَ رَجُلَيْنِ أو ثلاثة بِيَدِهِ ^(٧) ، فقال : فيكم الْغُلُولُ . أَنْتُمْ غَلَلْتُمْ .

قال : فأخرجوا له مثل رأس بَقَرَةٍ من ذَهَبٍ ، فوضعوه في المال ، وهو بالصَّعِيدِ ، فأقبلت النَّارُ ، فَأَكَلَتْ ^(٨) .

قال : فلم تَحِلَّ الْعَنَائِمُ لِأَحَدٍ من قَبْلِنَا ؛ ذَلِكَ ^(٩) بِأَنَّ اللَّهَ رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا ، فَطَيَّبَهَا لَنَا .

- (١) م : وهو يريد . (٢) م : يبنى . (٣) م : قد بنى . (٤) م : غلول .
 (٥) م : قبيلتك . (٦) م : فلصقت . (٧) م : بيده : ليست في م . (٨) م : فأكلته .
 (٩) م : أن .

• تقدم الجزء الأخير من هذا الحديث كحديث مستقل برقم (٨٨) ووجدنا هناك بتخرجه وشرحه هنا .

رواه عبد الرزاق في المصنف (٢٤١/٥ - ٢٤٢) - كتاب الجهاد - باب الغلول - عن معمر ، عن همام

عن أبي هريرة ، وهناك اختلاف في لفظه عما في الصحيفة هنا ، ولهذا يحسن بنا أن نروى متنه : « قال رسول الله - ﷺ - : غزا نبي من الأنبياء فقال : لا يغزو معي من تزوج امرأة لم يئن بها ، ولا رجل له غنم ينتظر ولادها ، ولا رجل بنى بناء لم يفرغ منه ، فلما أتى المكان الذي يريد - وجاءه عند العصر ، فقال للشمس إنك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها عني ساعة ، فحبسها الله عليه ساعة ، ثم فتح الله عليه ، ثم وضعت الغنيمة ، فجاءت النار ، فلم تأكلها ، فقال : إن فيكم غلولا ، فليبا يعني من كل قبيلة رجل . قال : فلصقت يده بيد رجلين أو ثلاثة فقال : إن فيكم الغلول ، قال : فأخرجوا مثل بقرة من ذهب ، فألقوه في الغنيمة ، ثم جاءت النار فأكلتها ، قال : فقال رسول الله - ﷺ - : لم تحل لأحد قبلنا ، وذلك أن الله تعالى رأى ضعفنا ، فطيها لنا وزعموا أن الشمس لم تحبس لأحد قبله ولا بعده . (رقم ٩٤٩٢) .

ورواه أحمد (١٠٢/١٦ - ١٠٣) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ١٢٨/٨٢٢١) .

ورواه البخاري في (٥٠/٤) - (٥٧) كتاب فرض الخمس - (٨) باب قول النبي - ﷺ - : « أحلت لكم الغنائم » عن محمد بن العلاء ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن همام به . ولفظه أقرب إلى لفظ الصحيفة . (رقم ٣١٢٤) .

كما روى جزءا منه بالسند نفسه في (١٣٩/٦ - ٦٧) كتاب النكاح (٥٨) باب من أحب البناء قبل الغزو . (رقم ٥١٥٧) .

وروى مسلم في (١٣٦٦/٣ - ١٣٦٧) - (٣٢) كتاب الجهاد والسير - (١١) باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة - بسنده للصحيفة ومن طريق ابن المبارك عن معمر أيضا وساق لفظ عبد الرزاق عن معمر . (رقم ١٧٤٧/٣٢) .

ورواه البغوي في (٩٤/١١ - ٩٥) باب حل الغنيمة لهذه الأمة - بسنده للصحيفة - هو وحديث آخرين . وقال : هذه أحاديث متفق على صحتها . (رقم ٢٧١٩) .

شرح الحديث :

(١) - غزاني من الأنبياء : أي أراد أن يغزو ، وهذا النبي هو يوشع بن نون ، كما رواه الحاكم من طريق كعب الأحمار في حديث صحيح غريب ^(١) قال ابن حجر : وقد ورد أصله من طريق مرفوعة صحيحة أخرجه أحمد من طريق هشام عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : إن الشمس لم تحبس لبشر

(١) المستدرک (١٤٠/٢) كتاب قسم الفء . وقال : صحيح غريب . ووافقه الذهبي .

إلا ليوشع بن نون ليالى سار إلى بيت المقدس ^(١) . وقد اشتهر حبس الشمس ليوشع حتى قال أبو تمام ^(٢) :

فوالله لا أدرى أأحلام نائم أملت بنا أم كان في الركب يوشع

(٢) - ملك بُضْع امرأة يريد أن يبنى بها : البُضْع يطلق على الفرج والتزويج والجماع ، والمعاني الثلاثة لائحة هنا - كما قال ابن حجر ^(٣) ، وقد جاء في رواية المصنف - كما مر في التخريج : « لا يغزو معى من تزوج امرأة لم يبن بها .

(٤) - ولما بنى : أى لم يدخل عليها ، والتعبير بلما يشعر بتوقع الدخول ، كما فى قوله تعالى : (ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) ^(٤) ووقع فى رواية سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عند النسائي وأبى عوانة وابن حبان ، لا ينبغي لرجل بنى داراً ولم يسكنها ، أو تزوج امرأة ولم يدخل بها .

وفى التقييد بعدم الدخول ما يفهم أن الأمر بعد الدخول بخلاف ذلك ، فلا يخفى الفرق بين الأمرين ، وإن كان بعد الدخول ربما استمر تعلق القلب ، لكن ليس هو كما قبل الدخول غالباً ^(٥) .

(٥) - بنى بناء له ولما يرفع سُقْفها : جمع سقف ولهذا أثنى مع أنها تعود إلى بناء الذى ليس بمؤنث ولا جمع ، وذلك على تقدير أن بناء يحمل معنى الجمع ، ولفظ البخارى « بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها » وهو شاهد على ذلك ^(٦) . قال ابن حجر : ووهم من ضبط بالإسكان ، وتكلف فى توجيه الضمير ^(٧) ؛ أى إسكان القاف .

(١) فتح البارى : ٢٢١/٦ وقال ابن حجر أيضاً فى هذا الحديث : رجال إسناده محتج بهم فى الصحيح .

(٢) المصدر السابق : ٢٢١/٦ .

(٣) المصدر السابق : ٢٢٣/٦ .

(٤) الحجرات : ١٤ .

(٥) فتح البارى : ٢٢٢/٦ .

(٦) طرح التثريب : ٢٤٦/٧ .

(٧) فتح البارى : ٢٢٢/٦ .

(٦) - ولا آخر قد اشترى غنما أو خِلَفَات وهو ينتظر ولادها : الخِلَفَات جمع خلفه وهى الحامل من النوق وقد صرح بتقييدها بالنوق أصحاب الصحاح والمحكم والمشارك والنهاية ، وقوله « اشترى غنما » أى حوامل أيضا بدليل الوصف المذكور بعد فى قوله أو « خلفات وهو ينتظر ولادها » فحذف الوصف من الأول لدلالة الثانى عليه ، ويحتمل أن يكون قوله « غنما » على إطلاقه ، ولا يتقيد بأن تكون حوامل ؛ لأنها قليلة الصبر فيخشى ضياعها ، بخلاف النوق تتقيد بأن تكون ^(١) حوامل ، والمعتمد أن « أو » للتنويع ؛ فقد وقع فى رواية أبى يعلى عن محمد بن العلاء : « ولا رجل له غنم أو بقر أو خلفات » ^(٢) .

والمراد بقوله - صلى الله عليه وسلم - « ينتظر ولادها » أى ينتظر ولادتها ، يقال : وَلَدْتُ وَلَدًا وولادة . وجاء فى بعض الروايات « أولادها » وما هنا يفيد المعنيين ؛ لأن الذى ينتظر الولاد ينتظر الأولاد أيضا ^(٣) .

(٧) - فدنا القرية : هى أريحا ، كما جاء فى رواية الحاكم السابقة عن كعب الأبحار .

(٨) - فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور : فى رواية سعيد بن المسيب « فلقى العدو عند غيبوبة الشمس ، وبين الحاكم فى روايته عن كعب سبب ذلك ؛ فإنه قال : « إنه وصل إلى القرية وقت عصر يوم الجمعة ، فكادت الشمس أن تغرب ويدخل الليل ، وبهذا يتبين معنى قوله وأنا مأمور . والفرق بين المأمورين أن أمر الجمادات أمر تسخير ، وأمر العقلاء أمر تكليف » ^(٤) .

ويحتمل أن يكون خلق الله تعالى فيها من التمييز والإدراك ما تصلح معه للمخاطبة بذلك ويحتمل أن يكون هذا على سبيل استحضار ذلك فى النفس لتقرر أنه لا يمكن

(١) طرح الثريب : ٢٤٦/٧ .

(٢) فتح البارى : ٢٢٢/٦ .

(٣) طرح الثريب : ٢٤٦/٧ .

(٤) فتح البارى : ٢٢٢/٦ - ٢٢٣ .

تحولها عن عاداتها إلا بخرق عادة من الله تعالى بدعوة نبيه لا أن ذلك على سبيل الخطاب لها ، ولذلك قال عقبه : « اللهم احبسها على » ، ويكون المراد بذلك حكاية ما يقتضيه الحال ، كما في قوله :

شكى إلى جملى طول السرى صبراً جميلاً فكلاًنا مُبتلى^(١)

(٩) - اللهم احبسها على شيئاً : أى قدر ما تنقضى حاجتنا من فتح البلد ، وشيئاً منصوب على نصب المصدر^(٢) .

(١٠) - فحبست عليه : قال القاضى عياض : اختلف فى حبس الشمس المذكور هنا ، فقيل : ردت على أدراجها ، وقيل : وقفت ولم تُرد ، وقيل : أبطىء بحركتها ، وكل ذلك من معجزات النبوة^(٣) .

وقد مر فى حديث أحمد الصحيح أن الشمس لم تحبس إلا ليوشع ، وجاء هذا فى رواية المصنف لهذا الحديث فيه : « وزعموا أن الشمس لم تحبس لأحد قبله ولا بعده »^(٤) ، لكن وقع فى الأوسط للطبرانى من حديث جابر أن النبى - ﷺ - أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار ، وإسناده حسن . ووجه الجمع أن الحصر محمول على ما مضى للأنبياء قبل نبينا - ﷺ - فلم تحبس الشمس إلا ليوشع ، وليس فيه نفى أنها تحبس بعد ذلك لنبينا - ﷺ^(٥) .

وقد روى الطبرانى فى معجمه الكبير بإسناد حسن^(٦) أيضاً عن أسماء بنت عميس أن رسول الله - ﷺ - صلى الظهر بالصهباء ، ثم أرسل علياً فى حاجة فرجع

(١) طرح التثريب : ٢٤٧/٧ .

(٢) فتح البارى : ٢٢٣/٦ .

(٣) شرح مسلم للنووى : ٣٤٥/٤ .

(٤) انظر التخرىج : ص ٦١٨ .

(٥) فتح البارى : ٢٢١/٦ .

(٦) طرح التثريب : ٢٤٩/٧ .

وقد صلى النبي - ﷺ - العصر ، فوضع النبي - ﷺ - رأسه في حجر علي فنام ، فلم يحركه حتى غابت الشمس فقال النبي - ﷺ - اللهم إن عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس قالت : فطلعت عليه الشمس حتى رفعت على الجبال وعلى الأرض ، وقام على فتوضاً وصلى العصر ، ثم غابت وذلك بالصهباء ^(١) . وفي رواية قالت : كان رسول الله - ﷺ - يوحى إليه ورأسه في حجر علي ، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس ، فقال الرسول - ﷺ - : « اللهم إن عليا كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس . قالت أسماء : فرأيتها غربت ، ورأيتها طلعت بعد ما غربت ^(٢) . وفي رواية : « كان رسول الله - ﷺ - إذا نزل عليه الوحي كاد يغشى عليه ، فأنزل الله عليه يوماً وهو في حجر علي ، فقال له رسول الله - ﷺ - : صليت العصر يا علي ؟ قال : لا يا رسول الله ، فدعا الله ، فرد عليه الشمس حتى صلى العصر . قالت : فرأيت الشمس طلعت بعد ما غابت حين ردت حتى صلى العصر ^(٣) .

وقد يقال ما الذي دفع هذا النبي إلى أن يقدم القتال على الصلاة ؟ فقد كان يمكنه أن يصلي ثم يواصل القتال .

وينجذب على هذا بأنه قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم ^(٤) .

(١) المعجم الكبير : ١٤٥/٢٤ رقم الحديث : ٣٨٢ .

(٢) المصدر السابق : ١٥١/٢٤ - ١٥٢ رقم الحديث : ٣٩٠ .

(٣) المصدر السابق : ١٥٢/٢٤ رقم الحديث : ٣٩١ .

قال السخاوى فى المقاصد الحسنة : حديث « رد الشمس على عليّ » قال أحمد : لا أصل له ، وتبعه ابن الجوزى فأورده فى الموضوعات ، ولكن قد صححه الطحاوى ، وصاحب الشفاء ، وأخرجه ابن مندة وابن شاهين من حديث أسماء ابنة عميس ، وابن مردويه من حديث أبى هريرة (ص ٢٢٦ - حديث رقم ٥١٩) .

وقال ابن حجر فى فتح البارى : وقد أخطأ ابن الجوزى بإبراده له فى الموضوعات ، وكذا ابن تيمية فى كتاب الرد على الروافض فى زعم وضعه . والله أعلم . (فتح البارى : ٢٢٢/٦) .

(٤) المقاصد الحسنة : ص ٢٢٦ .

(١١) - فجمعوا ما غنموا ، فأقبلت النار لتأكله ، فأبت أن تطعمه : وهذا كان شريعة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في الغنائم ؛ أن يجمعوها ، فتجىء نار من السماء فتأكلها ، فيكون ذلك علامة لقبولها ، وعدم الغلول فيها ، فلما أبت في هذه المرة أن تأكلها عرف أن فيهم غلولاً فلما رده جاءت فأكلتها ، وكذلك كان أمر قريانهم إذا يُقبلت جاءت نار من السماء فأكلته (١)

(١٢) - فقال : فيكم الغلول : الغلول : السرقة من الغنيمة .

(١٣) - فليبا يعني من كل قبيلة رجل ، فبايعوه ، فلصقت يد رجل بيده :

ليست هذه مبايعة حقيقة ، كما وقع للنبي - ﷺ - تحت الشجرة ، وإنما صورتها صورة المبايعة بوضع الكف في الكف للمعجزة للنبي - ﷺ - ، وهي لصوق كف الغال ، أو من كان من قبيلته . والله أعلم (٢) .

قال ابن المنير : جعل الله علامة الغلول إلزاق يد الغال ، وفيه تنبيه على أنها يد عليها حق يطلب أن يتخلص منه ، أو أنها يد ينبغي أن يضرب عليها ويحبس صاحبها حتى يؤدي الحق إلى الإمام ، وهو من جنس شهادة اليد على صاحبها يوم القيامة (٣) .

وهذه الطريقة التي كشف بها النبي عليه السلام الغلول لا تكون إلا بوحى (٤) .

(١٤) - فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا ، ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا

فطبيها لنا :

فيه إباحة الغنائم لهذه الأمة ، وأنها مختصة بذلك ، وكان ابتداء تحليل الغنائم لهذه الأمة في وقعة بدر ، كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس في قصة أخذهم فداء

(١) طرح التثريب : ٢٤٨/٧ .

(٢) طرح التثريب : ٢٤٩/٧ .

(٣) فتح الباري : ٢٢٣/٦ .

(٤) طرح التثريب : ٢٤٨/٧ .

الأسارى ، وفي آخره : « وأنزل الله تعالى : (فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً) ^(١) فأحل الله الغنائم ^(٢) .

وقد منّ الله على هذه الأمة ورحمها لشرف نبيها عنده فأحل لهم الغنيمة ، وستر عليهم الغلول ، فطوى عنهم فضيحة أمر عدم القبول ، فله الحمد على نعمة تترى ^(٣) .

(١٥) - ويستفاد من الحديث فوق ما تقدم :

أ - معاقبة الجماعة بفعل سفلتها ؛ للصوق يد ذلك الرجل الذى كان الغلول من بعض قبيلته ، ولعدم قبول الغنيمة ، مع أن الغلول إنما وقع من بعض الغائمين .

ب - فيه أن أحكام الأنبياء بوحى ومعجزة بحسب باطن الأمر ، كما فى هذا الحديث ، وقد يكون بحسب ظاهر الأمر كغيرهم من الحكام ، وعليه جاء الحديث : (فمن قضيت له من حق أخيه بشئ فإنما أقطع له قطعة من النار) ^(٤) .

ج - فيه أن فتن الدنيا تدعو النفس إلى الهلع ومحبة البقاء ؛ لأن من ملك بضع امرأة ولم يدخل بها فإن قلبه متعلق بالرجوع إليها ، ويجد الشيطان السبيل إلى شغل قلبه عما هو عليه من الطاعة ، وكذلك غير المرأة من أحوال الدنيا ^(٥) .

د - وفيه أن الأمور المهمة لا ينبغي أن تفوض إلا لحازم فارغ ؛ لأن من له تعلق ربما ضعفت عزيمته وقلت رغبته فى الطاعة ، والقلب إذا تفرق ضعف فعل الجوارح وإذا اجتمع قوى ^(٦) . والله تعالى أعلم .

★ ★ ★

(١) الأنفال : ٦٩ .

(٢) طرح الثريب : ٢٤٩/٧ .

(٣) فتح البارى : ٢٢٤/٦ .

(٤) طرح الثريب : ٢٤٨/٧ .

(٥) فتح البارى : ٢٢٣/٦ .

(٦) المصدر السابق : ٢٢٣/٦ - ٢٢٤ .

١٢٥ - وقال رسول الله - ﷺ - : بينا ^(١) أنا نائم ، رأيت أنى أنزع على حوض أسقى الناس ، فأتانى أبو بكر ، فأخذ الدلو من يدي ليرىحنى ، فترع دلوين ، وفى نزع ضعف ، والله ^(٢) يغفر له .

قال : فأتانى عمر بن الخطاب ^(٣) ، فأخذها منه ، فلم ينزع رجل نزعته حتى ولّى الناس والحوض يتفجر ^(٤) .

* * *

(١) م : بينا . (٢) والله يغفر له : ليست فى م . (٣) م زيادة : والله يغفر له . (٤) م : يتفجر .

• رواه أحمد (١٠٣/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام - وفى لفظه بعض الغرابة ولذلك نوره هنا : « بينا أنا نائم رأيت أنى أنزع على حوض أسقى الناس ، فأتانى أبو بكر ، فأخذ الدلو من يدي ليرفه حتى نزع ذنوباً أو ذنوبين ، وفى نزع ضعف . قال : فأتانى ابن الخطاب والله يغفر له ، فأخذها منى ، فلم ينزع رجل حتى تولى الناس والحوض يتفجر .

وقال مكمل تحقيقه : « أخرجه مسلم ح ٧ ص ١١٣ » والحق أن مسلماً لم يرو رواية همام هذه ، وإنما رواها البخارى - كما سيأتى - وكان أولى به أن يشير إلى ذلك ، لأن قوله هذا يفيد أن مسلماً رواه ولم يروه البخارى من طريق الصحيفة . غفر الله لنا وله .

ورواه البخارى فى (٧٨/٨) - (٩١) كتاب التعبير - (٣٠) باب الاستراحة فى المنام - عن إسحاق بن إبراهيم قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قال رسول الله - ﷺ - بينا أنا نائم رأيت أنى على حوض أسقى الناس ، فأتانى أبو بكر فأخذ الدلو من يدي ليرىحنى ، فزع ذنوبين وفى نزع ضعف والله يغفر له ، فأقى ابن الخطاب فأخذ منه ، فلم يزل ينزع حتى تولى الناس والحوض يتفجر (رقم ٧٠٢٢) .

وروى فى الباب الذى قبله (٢٩) باب نزع الذنوب والذنوبين من البئر بضعف - من طريق موسى (بن عقبة) عن سالم عن أبيه نحوه (رقم ٧٠٢٠) .

ومن طريق عقيل ، عن ابن شهاب عن سعيد عن أبى هريرة (رقم ٧٠٢١) .

وفى (٢٨) باب نزع الماء من البئر حتى يروى الناس - من طريق صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر

(رقم ٧٠١٩) .

وفي (١٩٣/٤) (٦٢) كتاب فضائل الصحابة - (٥) باب قول النبي - ﷺ - « لو كنت متخذاً خليلاً » من طريق يونس ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ؛ عن أبي هريرة (رقم ٣٦٦٤) ومن طريق صخر ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما نحوه (رقم ٣٦٧٦) .

وفي (٦) باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه - من طريق أبي بكر بن سالم ، عن سالم ، عن عبد الله بن عمر نحوه (رقم ٣٦٨٢) .

وفي (١٩٣/٨) - (٩٧) كتاب التوحيد - (٣١) باب في المشيئة والإرادة - من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة . (٧٤٧٥) .

وروى مسلم في (١٨٥٩/٤ - ١٨٦٢) - (٤٤) كتاب فضائل الصحابة - (٢) باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه - حديث يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة - رضي الله عنه عن رسول الله - ﷺ - نحوه (رقم ٢٣٩٢/١٧) .

ومن طريق عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبي يونس مولى أبي هريرة عن أبي هريرة (رقم ٢٣٩٢/١٨) .

ومن طريق أبي بكر بن سالم ، عن سالم بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمر نحوه .

وكذلك عن موسى بن عقبة عن سالم (٢٣٩٣/١٩) .

ورواه البغوي في (٨٩/١٤ - ٩٠) كتاب فضائل الصحابة - باب في فضائل عمر بن الخطاب بن نفيل أبي حفص القرشي العدوي - رضي الله عنه - بسنده للصحيفة ، وقال : هذا حديث متفق على صحته . (رقم ٣٨٨٢) .

شرح الحديث :

(١) - **بينما أنا نائم رأيت أني أنزع على حوض : أي أستخرج الماء ، وفي رواية : رأيتني على قلب وعليها دلو ، فنزعت منها ما شاء الله تعالى ، ولا منافاة بين الروایتين ، فقد يسمى القلب حوضاً ، والقلب هو البئر غير المطوية ، والحوض مجتمع الماء (١) .**

وقال ابن حجر : والجمع بينهما أن القلب هو البئر المقلوب تراها قبل الطي ، والحوض هو الذي يجعل بجانب البئر لشرب الإبل ، فلا منافاة (٢) .

(١) طرح التثريب : ٧٧/٨ .

(٢) فتح الباري : ٤١٢/١٢ .

(٢) - فأخذ الدلو من يدي ليرجني : قال العلماء : فيه إشارة إلى نياحة
أبى بكر عنه ، وخلافته بعده ، وراحته - صلى الله عليه وسلم - بوفاة من نصب الدنيا ومشاقها - كما قال
- صلى الله عليه وسلم : « مستريح ومستراح منه » و « الدنيا سجن المؤمن » و « لا كرب على أبيك بعد
اليوم » (١) .

والدلو فيه لغتان التذكير والتأنيث (٢) .

(٣) - فنزع دلوين : في ذلك إشارة إلى مقدار خلافة الصديق - رضى الله
عنه ، وكانت سنتين وأشهرًا (٣) .

(٤) - وفي نزع ضَعْف : ليس في ذلك حط من فضيلة أبى بكر ، ولا إثبات
فضيلة لعمر عليه ، وإنما هو إخبار عن مدة ولايته - رضى الله عنه وهذا ما اتفق عليه
شرح الحديث - كما قال ابن حجر ، وتعقبه بقوله : وفيه نظر ؛ لأنه وَلَى سنتين وبعض
سنة ، فلو كان المراد ذلك لقال : ذنوبين أو ثلاثة (في الرواية التي ذكرت الذنوب) . ثم
قال : والذي يظهر لى أن ذلك إشارة إلى ما فتح في زمانه من الفتوح الكبار وهى ثلاثة ،
ولذلك لم يتعرض في ذكر عمر إلى عدد ما نزع من الدلاء ، وإنما وصف نزع العظمة إشارة
إلى كثرة ما وقع في خلافته من الفتوحات . والله أعلم (٤) .

نقول : يتوجه إلى تفسيره هذا ما وجهه إلى الآخرين من أنه قال ذنوبين ولم يقل
ثلاثة .

وقد ذكر الشافعى تفسير هذا الحديث فى الأم فقال بعد أن ساقه : ومعنى قوله :
« وفى نزع ضعف » قصر مدته وعجلة موته ، وشغله بالحرب لأهل الردة عن الافتتاح
والازدياد الذى بلغه عمر فى طول مدته . قال ابن حجر بعد أن ساق هذا : فجمع فى

(١) شرح مسلم للنووى : ٢٥٤/٥ .

(٢) طرح التثريب : ٧٧/٨ .

(٣) المصدر السابق : ٧٧/٨ .

(٤) فتح البارى : ٣٨/٧ ، ٣٩ .

كلامه ما تفرق في كلام غيره . ويؤيد ذلك ما وقع في حديث ابن مسعود في نحو هذه القصة فقال : قال النبي - ﷺ - : فاعبرها يا أبا بكر ، فقال : ألى الأمر من بعدك ، ثم يليه عمر . قال : كذلك عبرها المَلَك . أخرج الطبراني ، لكن في إسناده أيوب بن جابر ، وهو ضعيف (١) .

(٥) - **والله يغفر له** : ليس في ذلك تنقيص لمن قيل فيه ذلك ، ولا إشارة إلى ذنب ، وإنما هي كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامهم ، ونعمت الدعامة ، وفي الحديث في صحيح مسلم أنها كلمة كان المسلمون يقولونها : « افعل كذا والله يغفر لك » (٢) وهذا كعادة العرب في قولهم : « تربت يمينه » و « قاتله الله » ونحو ذلك . وقال بعضهم : هذا إخبار منه عليه الصلاة والسلام بأن الله قد غفر له وجازاه على القيام بأمر الأمة على أتم الوجوه ، وقال القاضي ابن العربي : لما رأى عليه الصلاة والسلام مدة الصديق قصيرة قال : « والله يغفر له » أى يرضى عنه ، فيعطيه طول مدة وأكثر عمل (٣) .

(٦) - **فلم ينزع رجل نزعته** : هذا إخبار منه - ﷺ - عن كثرة انتفاع الناس في ولاية عمر بن الخطاب - رضى الله عنه ؛ لطولها ، ولاتساع الإسلام وبلاده والأموال وغيرها من الغنائم والفتوحات ، وتمصير الأمصار وتدوين الدواوين (٤) .

(٧) - **حتى تولى الناس والحوض ينفجر** : أى أعرضوا عن أخذ الماء لفراغ حوائجهم ، واستغنائهم (٥) عنه والحوض يفيض بالماء ويتدفق ويسيل .

وهذا عائد إلى خلافة عمر - رضى الله عنه - خاصة ، وقيل : يعود إلى خلافة أبى بكر وعمر جميعاً وذلك أن بنظرهما وتديرهما وقيامهما بمصالح المسلمين تم هذا الأمر ؛ لأن

(١) المصدر السابق : ٣٩/٧ .

(٢) شرح مسلم للنووى : ٢٥٤/٥ .

(٣) طرح التثريب : ٧٧/٨ .

(٤) شرح مسلم للنووى : ٢٥٤/٥ .

(٥) طرح التثريب : ٧٨/٨ .

أبا بكر - رضى الله عنه قمع أهل الردة وجمع شمل المسلمين وألفهم ، وابتدأ الفتوح ومهد الأمور ، وتمت ثمرات ذلك ، وتكاملت في زمان عمر - رضى الله عنهما (١) .

وفي قوله « ينفجر » إشارة إلى استمرار بقاء النصر والفتح ، وزيادة الخيرات والبركات متصلة بعد وفاة عمر - رضى الله عنه - وكذلك كان (٢) .

(٨) - قال البيضاوى : أشار بالبئر إلى الدين الذى هو منبع مائه حياة النفوس وتقام أمر المعاش والمعاد ، والنزع منه إخراج الماء ، وفيه إشارة إشاعة أمره وإجراء أحكامه (٣) .

(٩) - في الحديث إشارة إلى أن الدنيا للصالحين دار نصّب وتعب ، وأن في الموت لأهل الصلاح والدين راحة منها (٤) .

(١٠) - قال الإمام النووى في شرح هذا الحديث : هذا المنام مثال واضح لما جرى لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما في خلافتهما وحسن سيرتهما ، وظهور آثارهما ، وانتفاع الناس بهما ، وكل ذلك مأخوذ من النبى - ﷺ - ومن بركته ، وآثار صحبته ، فكان النبى - ﷺ - هو صاحب الأمر ، فقام به أكمل قيام ، وقرر قواعد الإسلام ، ومهد أموره ، وأوضح أصوله وفروعه ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وأنزل الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم » (٥) ثم توفى - ﷺ - فخلفه أبو بكر - رضى الله عنه سنتين وأشهرا ... وحصل في خلافته قتال أهل الردة وقطع دابرهم واتسع الإسلام ، ثم توفى فخلفه عمر - رضى الله عنه - فاتسع الإسلام في زمنه ، وتقرر لهم من أحكامه ما لم يقع مثله ، فعبر بالقلب عن أمر المسلمين ؛ لما فيها من الماء الذى به حياتهم وصلاحهم ، وشبه أميرهم بالمستقى لهم ، وسقيه هو قيامه بمصالحهم وتبدير أمورهم .

(١) شرح مسلم للنووى : ٢٥٥/٥ .

(٢) طرح التثريب : ٧٩/٨ .

(٣) فتح البارى : ٣٩/٧ .

(٤) إرشاد السارى : ١٤٩/١٠ .

(٥) المائدة : ٣ .

وفى كل هذا إعلام بخلافة أبى بكر وعمر وصحة ولايتهما ، وبيان صفتها ، وانتفاع المسلمين بها (١) .

وقال القاضى أبو بكر بن العرى : الماء خير على الإطلاق ، إلا أن ينضاف إليه ما يخرج عن غالب أمره ، أو عن وضعه فى أصله ، والدلو من آلاته ، ضرب فى المنام مثلاً للحظ الذى أعطاه الله لنا ، وليس تقديره بالدلو دليلاً على صغر الحظ ، وإنما قدر به عبارة عن التمكن منه ، وإنما يتمكن منه فى الدلو ، وإلا فحفظنا فى الخير يملأ السموات والأرض ، وأعظم من ذلك وأكبر (٢) .

والله عز وجل أعلم

★ ★ ★

(١) شرح مسلم للنووى : ٢٥٤/٥ .

(٢) طرح التثريب : ٧٨/٨ .

١٢٦ - وقال رسول الله - ﷺ - : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا
جُورَ كِرْمَانَ^(١)، قوماً^(٢) من الأعاجم، حُمَرَ الوجوه، فُطْسَ الأنوف، صِغَارَ
الأعين، كَأَنَّ وجوههم المَجَانُّ المَطْرَقَةُ .

(١) م : خوز كرمان . (٢) م : قوم بالرفع .

• رواه عبد الرزاق في المصنف (٣٧٤/١١ - ٣٧٥) كتاب الجامع - باب أشراف الساعة - قال : عن
معمر ، عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا جزز [كذا] وكرمان قوم من الأعاجم ،
حمر الوجوه ، فطس الأنوف ، صغار الأعين ، كأن وجوههم المجان المطرقة ، نعالهم الشعر . (رقم ٢٠٧٨٢) .

ورواه أحمد (١٠٤/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ٨٢٢٣) .

وقال مكمل تحقيقه : « رواه البخاري ج ٤ ص ٤٣ عن الأعرج عن أبي هريرة ، وعن سعيد بن المسيب عن
أبي هريرة » . هكذا مع أن البخاري روى هذه الرواية ؛ رواية همام ، وكان الأولى أن يذكرها ، لأن ما أشار إليه متابعات
لها ، بل يعتبرها بعض علماء مصطلح الحديث شواهد . (مقدمة ابن الصلاح ص ١٨٢) .

ثم قال : « رواه مسلم ج ٨ ص ١٨٤ » . والحق أن مسلماً لم يروه من هذا الطريق ، وإنما روى متابعات له - كما
سنرى .

ثم قال : « وهذا الحديث مكرر رقم ٧٩٧٤ » وذهبت إلى هذا الحديث (١٤٤/١٥) فوجدته حديثاً طويلاً ،
ويلتقي مع حديثنا هذا في جزء منه فقط ، وهو « قريب من بين يدي الساعة ستأتون تقاتلون قوماً نعالهم الشعر كأن
وجوههم المجان المطرقة ، فهو لا يشترك إلا في العبارة الأخيرة وليس في حديثنا العبارة التي قبلها وإنما هي في حديث
مستقل كما سيأتي . أما العبارة الأولى فهي تختلف إلى حد كبير ، وكل هذا جزء من حديث طويل يحمل رقم « ٧٩٧٤ »
كذلك . إما إسناداه فهو سفيان بن عيينة عن اسماعيل بن خالد عن قيس عن أبي هريرة .

وهذا سنداه ومثله لا يعتبر معه الحديث الذي هنا مكرراً . وإنما أحدهما متابع للآخر في هذا الجزء متابعة ناقضة .
أو شاهد له - كما في مقدمة ابن الصلاح .

ورواه البخاري في (١٧٤/٤) - (٦١) كتاب المناقب - (٢٥) باب علامات النبوة في الإسلام - عن يحيى
قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة . ولفظه « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا جُوراً وكرمان
من الأعاجم ، حمر الوجوه ، فطس الأنوف ، صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة ، نعالهم الشعر » (رقم
٣٥٩٠) والعبارة الأخيرة إنما هي في حديث مستقل في الصحيفة سيأتي برقم (١٢٨) إن شاء الله تعالى . وقال
البخاري بعد رواية هذا الحديث : تابعه غيره عن عبد الرزاق .

وروى في هذا الباب نحوه من طريق أى الزناد ، عن الأعرج ، عن أى هريرة (رقم ٣٥٨٧) .

وفي (٢٣٣/٣) - (٥٦) كتاب الجهاد - (٩٥) باب قتال الترك - روى نحوه من طريق يعقوب عن أى صالح ، عن الأعرج عن أى هريرة ، ولفظه : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك ، صغار الأعين ، حمر الوجوه ، ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر . » (رقم ٢٩٢٨) .
وفي الكتاب نفسه (٢٣٣/٣) - (٩٦) باب قتال الذين ينتعلون الشعر - من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أى هريرة - نحو جزء منه . (رقم ٢٩٢٩) .

وفي (٩٥) باب قتال الترك من طريق جرير بن حازم ، عن الحسن ، عن عمرو بن تغلب قال : قال النبي - ﷺ : « إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً ينتعلون نعال الشعر ، وإن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً عراض الوجوه ، كأن وجوههم المجان المطرقة » (رقم ٢٩٢٧) .

وقد روى مسلم في (٢٢٣٣/٤ - ٢٢٣٤) - (٥٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة - (١٨) باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل روى بأسانيده من أحاديث أى هريرة هذه التي رواها البخاري ؛ حديث الزهري عن سعيد عن أى هريرة (٦٢ - ٢٩١٢/٦٣) ؛ وحديث أى الزناد ، عن الأعرج ، عن أى هريرة (٢٩١٢/٦٤) ، كما روى حديث سهيل - بن أى صالح - عن أبيه عن أى هريرة ، ولفظه : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك ، قوماً وجوههم كالبحان المطرقة يلبسون الشعر ، ويمشون في الشعر » (٢٩١٢/٦٥) . وحديث إسماعيل بن أى خالد ، عن قيس بن أى حازم عن أى هريرة (٢٩١٢/٦٦) .

ورواه البيهقي (٣٩/١٥) في كتاب الفتن - باب قتال الترك وقتال اليهود - بسنده للصحيفة هو وأحاديث أخرى (رقم ٤٢٤٤) .

وعنده « خوزا وكرمان » وكذلك عند البخاري كما مر - ورواية الصحيفة هنا مخالفة كما ترى : « جور كرمان » وربما كانت رواية الصحيفة هنا هي الأصح عن عبد الرزاق ؛ فقد نقل ابن حجر عن أحمد أنه قال : وهم عبد الرزاق فقال به بالجم بدل الخاء في « خوز » كما قال ابن حجر كذلك : ورواه بعضهم « خور كرمان » ، فقد تكون هذه هي رواية عبد الرزاق ، مع الوهم في إبدال الخاء بالجم فتكون : « جور كرمان » والله أعلم . وصوب الدارقطني أنه إذا أضيف « خوز » يكون بالراء ، وهو هنا مضاف إلى كرمان ^(١) وكما رأينا في « م » خوز بالخاء والزاي .

شرح الحديث :

(١) - **جور كرمان** : والخور أو الخوز - فالأصح بالخاء كما ذكرنا عن الإمام

(١) طرح التتريب : ٢٢٣/٧ .

أحمد - هم جيل من الأعاجم ، وكرمان بلدة مشهورة من بلاد العجم ، وأضيف الجيل إلى سكنهم ^(١) .

(٢) - **حمر الوجوه ، فطس الأنوف** : أى بيض الوجوه مشربة بحمرة ^(٢) ، قصار الأنوف مع انبطاح . والفطس الانفراش .

(٣) - **كأن وجوههم المَجان المطرقة** : المجان جمع مجن وهو الترس ، والمطرقة التى ألبست العَقَب وهو العصب التى تعمل منه الأوتار ، وأطرت به طاقة فوق طاقة ^(٣) . قالوا : معناه تشبيه وجوه هؤلاء فى عرض وجوههم وبسطها وتدويرها بالترسة . وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها ^(٤) .

(٤) - قال صاحب طرح التثريب : هذه معجزة ظاهرة لرسول الله - ﷺ - فقد وجد هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التى ذكرها - ﷺ - صغار الأعين ، حمر الوجوه ذلف الأنوف [فطس الأنوف] عراض الوجوه ، كأن وجوههم المجان المطرقة ، ينتعلون الشعر ، فوجدوا بهذه الصفات كلها ، وقاتلهم المسلمون مرات ، فألى الله عاقبة الأمور ^(٥) . وفى سنن أبى داود من حديث بريدة ، عن النبى - ﷺ - قال : يقاتلكم قوم صغار الأعين ، قال : يعنى الترك . قال : تسوقونهم ثلاث مرات حتى تلحقوهم بجزيرة العرب ، فأما فى السياقة الأولى فينجو من هرب منهم ، وأما فى الثانية فينجو بعض ويهلك بعض ، وأما فى الثالثة فيصطلمون ^(٦) . (أى يستأصلون) .

★ ★ ★

(١) فتح البارى : ٦٠٧/٦ - طرح التثريب ٢٢٢/٧ - ٢٢٣ .

(٢) طرح التثريب : ٢٢٣/٧ .

(٣) طرح التثريب : ٢٢٣/٧ .

(٤) فتح البارى : ٦٠٨/٦ .

(٥) طرح التثريب : ٢٢٤/٧ .

(٦) السنن (٤٨٧/٤) - (٣١) كتاب الملاحم (٩) باب فى قتال الترك - من طريق الزهرى عن سعيد

بن المسيب ، عن أبى هريرة .

١٢٧ - وقال ^(١) رسول الله - ﷺ - : الخِيَلَاءُ والفَخْرُ في أهل الخَيْلِ والإِبِلِ ، والسَّكِينَةُ في أهل الغنم .

(١) بين هذا الحديث والذي بعده تقديم وتأخير في م .

● رواه أحمد (١٠٤/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام ، ولكنه لم يأت عقب الحديث السابق عنده وإنما جاء بعد الحديث الآتي في الصحيفة (رقم ١٢٨) . أى هناك تقديم وتأخير بين هذين الحديثين . (رقم ١٣٢/٨٢٢٥) . وهو في هذا يوافق « م » .

وروى البخارى في (٩٧/٤) - (٥٩) كتاب بدء الخلق - (١٥) باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال - من طريق مالك عن أنى الزناد ، عن الأعرج ، عن أنى هريرة - رضى الله عنه أن رسول الله - ﷺ - قال : رأس الكفر نحو المشرق ، والفخر والخِيَلَاءُ في أهل الخيل والإبل ، والفدادين أهل الوبر ، والسكينة في أهل الغنم (رقم ٣٣٠١) .

وروى مسلم حديث أنى الزناد في (٧٢/١) - (١) كتاب الإيمان - (٢١) باب تفاضل أهل الإيمان فيه ، ورجحان أهل اليمن فيه . (رقم ٥٢/٨٥) .

كما روى من طرق أخرى نحوه عن أنى هريرة (أرقام : ٨٦ - ٥٢/٩١) .

شرح الحديث :

(١) - الفخر : هو الافتخار وعد المآثر القديمة تعظماً .

(٢) - والخِيَلَاءُ : الكبر واحتقار الناس .

(٣) - السكينة : الطمأنينة والسكون .

(٤) - وهذا يبين أن الخيل إنما يكون في نواصيها الخير إذا لم يكن اتخاذها للفخر والخِيَلَاءُ فإذا كان كذلك فهي مذمومة غير محمودة ^(١) .

(١) طرح التريب : ٢٣٧/٧ .

(٥) - قال الخطابي : إنما ذم أهل الخيل والإبل لاشتغالهم بمعالجة ما هم فيه عن أمور دينهم ، وذلك يفضى إلى قساوة القلب .

وإنما خص أهل الغنم بالسكينة لأنهم غالبا دون أهل الإبل في التوسع والكثرة وهما من سبب الفخر والخيلاء ^(١) .

وقيل : أراد بأهل الغنم أهل اليمن ؛ لأن غالب مواشيهم الغنم ، بخلاف ربيعة ومضر ^(٢) .

والله تعالى أعلم

(١) فتح البارى : ٣٥٢/٦ .

(٢) المصدر السابق : ٣٥٢/٦ .

١٢٨ - وقال رسول الله - ﷺ - : لا تقوم الساعةُ حتى تُقاتلوا
قوماً نَعَالُهم الشَّعر .

● رواه أحمد (١٠٤/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام . وفيه « أقواماً » ، وهو في الترتيب قبل الحديث السابق كما سبق أن ذكرنا . (رقم ١٣١/٨٢٢٤) .

وهو جزء من حديث في المصنف من رواية همام سبق ذكره في تخریج حديث رقم (١٢٦) .

وهو جزء من أحاديث رواها البخاري ومسلم كذلك . (انظر تخریج حديث (١٢٦) .

ورواه البغوي في (٣٩/١٥) كتاب الفتن - باب قتال الترك وقاتل اليهود بسنده للصحيفة . هو وأحاديث أخرى من الصحيفة (رقم ٤٢٤٤) .

شرح الحديث :

وقد سبق طرف من الكلام على هذا الحديث عند شرح حديث (١٢٦) قال ابن حجر : وقيل المراد به طول شعورهم حتى تصير أطرافها في أرجلهم موضع النعال ، وقيل المراد أن نعالهم من الشعر بأن يجعلوا نعالهم من شعر مضفور ، ووقع في رواية لمسلم من طريق سهيل عن أبيه عن أبي هريرة : « يلبسون الشعر » ^(١) وزعم ابن دحية أن المراد به القندس الذي يلبسونه في الشرايش ، قال : وهو جلد كلب الماء ^(٢) .

(١) انظر تخریج حديث (١٢٦) ص : ٦٣٤ من هذا الكتاب .

(٢) فتح الباری : ٦/ ٦٠٨ .

١٢٩ - وقال رسول الله - ﷺ - : الناس تَبِعَ لِقْرِيشٍ في هذه (١) الشأن - أراه يعنى الإمامة - مُسْلِمُهُمْ تَبِعَ لِمُسْلِمِهِمْ ، وكافرُهُمْ تَبِعَ لِكَافِرِهِمْ .

(١) م : هذا .

• رواه عبد الرزاق في المصنف (٥٥/١١) في كتاب الجامع - فضائل قريش - عن معمر عن همام بن منبه به . (رقم ١٩٨٩٥) .

ورواه أحمد (١٠٥/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام . (رقم ١٣٣/٨٢٢٦) . وليس فيه العبارة الاعتراضية « أراه يعنى الإمامة » .

ورواه مسلم في (١٤٥١/٣) - (٣٣) كتاب الإمامة - (١) باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش - بسنده للصحيفة . (رقم ١٨١٨/٢) .

وروى قبله حديث سفيان بن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة (رقم ١٨١٨/١) . كما روى من طريق حصين ، عن جابر بن سمرة قال : دخلت مع أبي على النبي - ﷺ - ، فسمعتة يقول : إن هذا الأمر لا ينقض حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة ، قال : ثم تكلم بكلام يخفى على ؟ قال : فقلت لأبي : ما قال ؟ قال : كلهم من قريش . (١٨٢١/٥) .

وكذلك روى هذا من طريق عبد الملك بن عمير ، عن جابر بن سمرة (١٨٢١/٦) .

وعن سماك عن جابر بن سمرة (٦ ، ١٨٢١/٧) .

وعن الشعبي عن جابر بن سمرة (٨ ، ١٨٢١/٩) .

وروى البخارى في (١٥٤/٤) - (٦١) كتاب المناقب - (١) باب قول الله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم ...) حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة نحو حديث معمر عن همام عن أبي هريرة (رقم ٣٤٩٥) .

ورواه البغوى (٥٩/١٤ - ٦٠) في كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب قريش - بسنده للصحيفة . وقال : هذا حديث متفق على صحته (رقم ٣٨٤٧) .

شرح الحديث :

(١) قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث : قوله : ﷺ « الناس تبع لقريش في هذا الشأن ، مسلمهم لمسلمهم ، وكافرهم لكافرهم » وفي رواية « الناس تبع لقريش في

الخير والشر» وفي رواية : « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان » وفي رواية : « ما بقي منهم اثنان » هذه الأحاديث وأشباهاها دليل ظاهر أن الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم ، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة ، وكذلك بعدهم . ومن خالفهم فيه من أهل البدع أو عرض بخلاف من غيرهم فهو محجوج بإجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم بالأحاديث الصحيحة . قال القاضي : اشتراط كونه قرشياً هو مذهب العلماء كافة . وقد احتج به أبو بكر وعمر رضي الله عنهم على الأنصار يوم السقيفة ، فلم ينكره أحد . قال القاضي : وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع ، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها قول ولا فعل يخالف ما ذكرنا ، وكذلك من بعدهم في جميع الأعصار . قال : ولا اعتداد بقول التّظام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع أنه يجوز كونه من غير قريش ، ولا بسخافة ضرار بن عمرو في قوله : إن غير القرشي ؛ من النبط وغيرهم - يقدم على القرشي لهوان خلعه إن عرض منه أمر ، وهذا الذي قاله من باطل القول وزخرفه مع ما هو عليه من مخالفة إجماع المسلمين والله أعلم ^(١) .

وإذا كان النووي قد حكى الإجماع على أن تكون الخلافة في قريش ، فإن ذلك ليس لهم مطلقاً وإنما ذلك مرهون بإقامتهم لدين الله عز وجل : وفي الحديث الصحيح عن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله - ﷺ - قال : إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه - ما أقاموا الدين ^(٢) . فالشرط هو إقامتهم لدين الله عز وجل ، فإذا لم يقيموا الدين خرج الأمر عنهم ^(٣) .

وأكثر من ذلك يمكن القول أنه إذا كان هناك من هو أكفأ من القرشي فإنه يولى الخلافة ، فقد أخرج أحمد عن عمر بسند رجاله ثقات أنه قال : « إن أدركني أجلى

(١) شرح مسلم للنووي : ٤/٤٨٠ - ٤٨١ .

(٢) صحيح البخارى (١٠٥/٨) - (٩٣) كتاب الأحكام - (٢) باب الأمراء من قريش - عن أنس

اليمان ، عن شعيب ، عن الزهرى عن محمد بن حبيب بن مطعم عن معاوية (رقم ٧١٣٩) .

(٣) فتح البارى : ١١٧/١٣ .

وأبو عبيدة حتى استخلفته ، فإن سألتني الله لم استخلفته على أمة محمد - ﷺ - ؟ قلت :
إني سمعت رسولك - ﷺ يقول : إن لكل نبي أمينا ، وأميني أبو عبيدة بن الجراح .
فأنكر القوم ذلك ، وقالوا : ما بال عليا قريش - يعنون بنى فهر ، ثم قال : فإن أدركني
أجلى وقد توفي أبو عبيدة ، استخلفت معاذ بن جبل ، فإن سألتني ربي عز وجل لم
استخلفته ؟ قلت : سمعت رسولك - ﷺ يقول : إنه يحشر يوم القيامة بين يدي
العلماء نبذة ^(١) (أى يسبقهم بخطوة) .

فمعاذ بن جبل أنصاري لا نسب له في قريش ^(٢) .
على أنه ينبغي المقارنة بين هذا الحديث والحديث الذى يقول بأن هذا الأمر
لا ينقضى حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش ، فقد يحمل العام هنا على
الخاص في هذا الحديث .

(٢) - وقوله - ﷺ - : « مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم » هو
بمعنى قوله - ﷺ في الرواية الأخرى « في الخير والشر » وذلك أنهم كانوا في الجاهلية
رؤساء العرب وأصحاب حرم الله تعالى ، وأهل حج بيت الله ، وكانت العرب تسميهم
أهل الله ، وانتظروا إسلامهم ، فلما أسلموا وفتحت مكة تبعهم الناس ، وجاءت وفود
العرب من كل جهة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وكذلك في الإسلام هم أصحاب
الخلافة والناس تبع لهم ^(٣) .

وقال بعضهم : لعل هذا في أمر أمراء الجور والأئمة المضلين ولا يصح ؛ لأن أولئك
لا يطلق عليهم اسم الكفر ، فدل على أن المراد الإخبار عن حالتهم في زمن الجاهلية ،
وأنهم لم يزالوا أشرف الناس وقادتهم ^(٤) .

(٣) - وقد احتج به البخارى في صحيحه على فضل قريش ، وهو استدلال
ظاهر لا ينكر ^(٥) ، والله أعلم .

(١) المسند (ط . دار الاعتصام) ٩٤/١ ، ٩٥ - رقم ١٠٨ .

(٢) فتح البارى : ١١٩/١٣

(٣) طرح التثريب : ٨٠/٨ .

(٤) المصدر السابق : ٨٠/٨ .

(٥) المصدر السابق : ٨١/٨ .

١٣٠ - وقال رسول الله - ﷺ - : خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ ^(١) نِسَاءُ قُرَيْشٍ ، أُحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ .

(١) م : صالح نساء قريش .

• رواه عبد الرزاق في المصنف (٣٠٣/١١ - ٣٠٤) - كتاب الجامع - حق الرجل على امرأته عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة به (رقم ٢٠٦٠٤) .

كما روى عن معمر عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبي هريرة ، وعن ابن طاوس عن أبيه أن النبي - ﷺ - : خطب أم هانئ بنت أبي طالب ، فقالت : يا رسول الله ، إنى قد كبرت ولى عيال ، فقال رسول الله - ﷺ - : خير نساء ركن الإبل نساء قريش أحنانه على ولد في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده . قال الزهري في حديثه عن ابن المسيب : ولم تركب مريم بنت عمران بعيرا . (رقم ٢٠٦٠٣) .

ورواه أحمد (١٠٥/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ١٣٤/٨٢٢٧) .

وقال مكمل تحقيقه : « ورواه البخارى في النفقات عن علي » والحق أننى لم أجد رواية لعلى - رضى الله عنه في كتاب النفقات ، والرواية إنما هى عن أبي هريرة - كما سنبين إن شاء الله تعالى . وربما يقصد أنه رواه عن علي بن عبد الله شيخه ، والأمر كذلك ، ولكن ليس في هذا دقة في التعبير .

ورواه مسلم في (١٩٥٩/٤ - ١٩٦٠) - (٤٤) كتاب فضائل نساء قريش - بسنده للصحيفة وكذلك عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر عن همام ، وعن محمد بن رافع وعبد بن حميد عن عبد الرزاق عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة ، ولفظ هذه الأسانيد جميعها : « خير نساء ركن الإبل صالح نساء قريش ، أحنانه على ولد في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده (رقم ٢٥٢٧/٢٠٢) .

كما أحال عليه حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة (الرقم نفسه) ..

وروى قبلهما حديث سفیان بن عيينة عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، وعن ابن طاوس ، عن أبيه عن أبي هريرة وفيه « أحنانه على يتيم في صغره » (رقم ٢٥٢٧/٢٠٠) .

ومن طريق يونس عن ابن شهاب عن ابن المسيب عن أبي هريرة ، وفيه « قال : يقول أبو هريرة على إثر ذلك : ولم تركب مريم بنت عمران بعيرا قط .

ومن طريق معمر عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - خطب أم هانئ بنت أبي طالب ، فقالت : يا رسول الله ، إنى كبرت ولى عيال ، فقال رسول الله - ﷺ - : خير نساء ركن إلى آخر الحديث الشريف . (رقم ٢٥٢٧/٢٠١) .

وروى البخارى فى (١٣٩/٤) - (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء - (٤٦) باب قوله تعالى : (إذ قالت الملائكة يا مريم) - تعليقا عن ابن وهب عن يونس عن الزهرى ، بمثل حديث يونس عن ابن شهاب عند مسلم . وقال : تابعه ابن أخى الزهرى وإسحاق الكلبى عن الزهرى . (رقم ٣٤٣٤) .

كما روى فى (١٢٠/٦) - (٦٧) كتاب النكاح - (١٢) باب إلى من ينكح وأى النساء خير - نحوه من طريق أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة (رقم ٥٠٨٢) .

وفى (١٩٣/٦) - (٦٩) كتاب النفقات - (١٠) باب حفظ المرأة زوجها فى ذات يده والنفقة - من طريق سفیان عن ابن طاموس عن أبيه وأبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة . ثم قال البخارى : ويذكر عن معاوية وابن عباس ، عن النبى - ﷺ

ورواه البغوى فى (١٦٧/١٤) كتاب الفضائل - باب قال الله تعالى (يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن) - بسنده للصحيحة وقال : هذا حديث صحيح متفق على صحته ، أخرجه (أبى البخارى ومسلم) عن أبى هريرة (رقم ٣٩٦٥) .

شرح الحديث :

(١) - خير نساء ركنين الإبل نساء قريش : فى قوله - ﷺ - « ركنين الإبل » إشارة إلى العرب ؛ لأنه يكثر منهم ركوب الإبل ، وقد عرف أن العرب خير من غيرهم مطلقا فى الجملة ، فيستفاد منه تفضيلهن مطلقاً على نساء غيرهن مطلقاً .

وقد يتبادر إلى الفهم تفضيلهن على مريم بنت عمران عليها السلام لأنها ليست من نساء قريش ، ولكن هذا غير وارد لأحد أمرين :

الأول : أنه يمكن إخراج مريم عليها السلام من هذا التفضيل بقوله - ﷺ - « ركنين الإبل » فمريم لم تتركب الإبل قط - كما جاء فى بعض الروايات عن أبى هريرة قوله . فمريم تظل أفضل سواء أكانت نبية أم غير ذلك .

الثانى : أن الحديث الذى معنا صيغ فى معرض الترغيب فى نكاح القرشيات فليس فيه التعرض لمريم ولا لغيرها ممن انقضى زمنهن ^(١) .

(١) فتح البارى : ١٢٥/٩ .

وجاء في بعض الروايات كما سبق في التخريج : « صالح نساء قريش » والمطلق هنا يحمل على المقيد ، فالحكم له بالخيرية الصالحات من نساء قريش لا على العموم ، والمراد بالصالح هنا صلاح الدين ، وصلاح المخالطة للزوج ، وغيره ، كما دل عليه قوله : « أحناء وأرعاء » (١) .

(٢) - أحناء على ولد في صغره : أحناء أى أكثره شفقة ، والحنانية على ولدها هى التى تقوم عليهم بعد تيتهم ، فإن تزوجت فليست بحانية .

وقوله - ﷺ « على ولد » أى على يتيم على التفسير اللغوى السابق ، وقد جاءت بعض الروايات بلفظ « يتيم » (٢) ويكون هذا من الإطلاق والتقيد ، ويحمل المطلق على المقيد .

وقد يراد رعاية الولد والشفقة عليه مطلقا على ظاهر روايتنا التى تفيد العموم ، أما رواية « يتيم » فتكون من ذكر بعض أفراد العموم ، فهى حانية على ولدها مطلقاً ، لكن الذى تقوى حاجته إلى حنوها هو اليتيم . أما من أبوه حتى فمستغن عنها برفد أبيه ، ولذلك قيد الولد بالصغر لاستغنائه عن حنو الأم عند كبره (٣) .

وجاء الضمير فى « أحناء » مُذَكَّرًا ، وكان القياس « أحناءهن » وكأنه ذكر باعتبار اللفظ والجنس ، أو الشخص ، أو الإنسان ، وجاء نحو ذلك فى حديث أنس : « كان النبى - ﷺ - أحسن الناس وجها ، وأحسنه خلقا » بالإفراد فى الثانى ، وحديث ابن عباس فى قول أبى سفيان : « عندى أحسن العرب وأجمله أم حبيبة » بالإفراد فى الثانى . قال أبو حاتم السجستاني : لا يكادون يتكلمون به إلا مفردا (٤) .

(١) طرح التثريب : ١٤/٧ .

(٢) انظر التخريج ص : ٦٤٠ .

(٣) طرح التثريب : ١٤/٧ .

(٤) فتح البارى : ١٢٥/٩ .

(٣) - وأرعاه على زوج في ذات يده : أى أحفظ وأصون له في ماله وما يضاف إليه والمراد حفظها مال الزوج وحسن تديره في النفقة وغيرها وصيانته عن أسباب التلف ^(١) وترك التبذير في الإنفاق .

(٤) - وفي الحديث :

أ - فضل الخنو على الأولاد والشفقة : عليهم وحسن تربيتهم ، والقيام عليهم إذا كانوا أيتاماً ونحو ذلك ^(٢) .

ب - مراعاة حق الزوج في ماله ، وحفظه ، والأمانة فيه ، وحسن تديره في النفقة وغيرها ، وصيانته ونحو ذلك ^(٣) .

ج - الحث على نكاح الشريقات ، خصوصاً القرشيات ، ومقتضاه أنه كلما كان نسبها أعلى تأكد الاستحباب ، ويؤخذ منه اعتبار الكفاءة في النسب ، وأن غير القرشيين ليس كفوئاً للقرشيات ^(٤) .

د - ويؤخذ منه مشروعية إنفاق الزوج على زوجته ^(٥) .

(٥) - عرف من تخريج الحديث سببه كما جاء في بعض الروايات : وهو أن الرسول ﷺ - خطب أم هانئ فاعتذرت بكبر سنها ، وبأنها ذات عيال ، فرفقت بالنبي ﷺ في ألا يتأذى بتزوج كبيرة السن ولا بمخالطة عيالها ، وهم في إخلائها نفسها لمصالحهم ، وتعزبها عليهم . ولو كان غيرها لآثر مصلحة نفسه معرضاً عن مصلحة الزوج والعيال ^(٦) .

★ ★ ★

(١) طرح التثريب : ١٤/٧ .

(٢) المصدر السابق : ١٤/٧ - ١٥ .

(٣) المصدر السابق : ١٥/٧ .

(٤) فتح البارى : ١٢٦/٩ .

(٥) المصدر السابق : ١٢٦/٩ .

(٦) طرح التثريب : ١٥/٧ .

١٣١ - وقال رسول الله - ﷺ - : الْعَيْنُ حَقٌّ ، وَنَهَى ^(١) عَنْ
الْوَشْمِ .

(١) م : ونهى رسول الله - ﷺ - .

• رواه عبد الرزاق في المصنف (١٨/١١) كتاب الجامع - باب الرق والعين والنفت - عن معمر ، عن
همام ، عن أنس هريرة (رقم ١٩٧٧٨) .

ورواه أحمد (١٠٦/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ١٣٥/٨٢٢٨) .

ورواه البخاري في (٢٣/٧ - ٢٤) - (٧٦) كتاب الطب - (٣٦) باب العين حق - عن إسحاق بن
نصر ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام به .

وفي (٦٣/٧ - ٦٤) - (٧٧) كتاب اللباس - (٨٦) باب الواشمة - عن يحيى عن عبد الرزاق عن معمر
به .

وروى مسلم في (١٧١٩/٤) - (٣٩) كتاب السلام - (١٦) باب الطب والمرض والرق . بسنده
للصحيفة مقتصرًا على الجزء الأول منه . (رقم ٢١٨٧/٤١) .

كما روى من طريق وهيب ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، عن النبي - ﷺ - : قال العين حق ،
ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين ، وإذا استغسلتم فاغسلوا . (رقم ٢١٨٨/٤٢) .

ورواه البغوي في (١٠٣/١٢) كتاب اللباس - باب النهي عن وصل الشعر والوشم بسنده للصحيفة ، ومن
طريق أحمد بن منصور الرمادي عن عبد الرزاق به . وقال : هذا حديث صحيح (رقم ٣١٩٠) .

شرح الحديث :

(١) - العين حق : أى الإصابة بالعين شيء ثابت موجود ، أو هو من جملة
ما تحقق كونه قال ابن حجر : والعين نظر باستحسان مشوب بحسد من خبيث الطبع
يحصل للمنظور منه ضرر . وقد وقع عند أحمد من وجه آخر عن أنس هريرة رفعه : « العين
حق ، ويحضرها الشيطان ، وحسد ابن آدم » ^(١) .

(٢) - وقد تكلم بعض العلماء في كيفية إصابة العين للمعين :

أ - فقال بعضهم إن طبائع الناس تختلف ؛ فقد يكون ذلك سُمَّ يصل عن عين العائن في الهواء إلى بدن المعيون ، وقد نقل عن بعض من كان معيماً أنه قال : إذا رأيت شيئاً يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني . ويُقَرَّب ذلك بالمرأة الحائض تضع يدها في إناء اللبن فيفسد ، ولو وضعتها بعد طهرها لم يفسد ، وكذا تدخل البستان فتضر بكثير من الغروس من غير أن تمسها يدها . ومن ذلك أن الصحيح قد ينظر إلى العين الرمداء فيرمد ، ويتشاءب واحد بحضرتة فيتشاءب هو ^(١) .

ومنطلق هذا التأثير من نفس العائن ، ومن روحه :

يقول ابن القيم موضحاً هذا المعنى : وتأثير الحاسد في أذى المحسود أمر لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية ، وهو أصل الإصابة بالعين ، فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة وتقابل المحسود ، فتؤثر بتلك الخاصة ، وأشبه الأشياء بهذا الأفعى فإن السم كامن فيها بالقوة ، فإذا قابلت عدوها انبعث منها قوة غضبية وتكيفت نفسها بكيفية خبيثة مؤذية . فمنها ما تشتد كلفتها وتقوى حتى تؤثر في إسقاط الجنين ، ومنها ما يؤثر في طمس البصر ، كما قال النبي - ﷺ - في الأبر وذي الطُفَيْتَيْنِ من الحيات : « إنهما يلتمسان البصر ، ويسقطان الحبل » ؛ ومنها ما تؤثر في الإنسان كلفتها بمجرد الرؤية من غير اتصال به لشدة خبث تلك النفس وكلفتها الخبيثة المؤثرة ^(٢) .

والتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية ، كما يظنه من قلَّ علمه ومعرفته بالطبيعة والشرعية بل التأثير يكون تارة بالاتصال وتارة بالمقابلة وتارة بالرؤية وتارة بتوجه الروح نحو من يؤثر فيه ^(٣) .

(١) فتح الباري : ٢٠٠/١٠ ونسب هذا القول إلى ابن بطال .

(٢) الطب النبوي : ١٥٣ - ١٥٤ .

(٣) المصدر السابق : ١٥٤ .

ب - ونفى بعض العلماء أن يكون هناك شيء يصل من عين العائن إلى المَعِين ، وقالوا : إن المَعِين يفسد ويهلك عند نظر العائن بعادة أجراها الله سبحانه أن يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص لشخص آخر . قال ابن العربي : والحق أن الله يخلق عند نظر المعائن إليه إعجاباً به إذا شاء ما شاء من ألم أو هلكه ، وكما يخلقه بإعجابه ويقول فيه فقد يخلقه ثم يصرفه دون سبب (١) .

وقد ذهب ابن العربي إلى ذلك بعد أن رد ما قيل سابقا ، وكأنه فهم أن القول بغير ما ذهب إليه يؤدي إلى عدم التأثير الإلهي ، والأمر ليس كذلك ، فهذه أسباب والله تعالى هو مسبب الأسباب ، وإذا كان بعض الطبائعين قد ذهب إلى وجود أسباب كالسمية في عين العائن ، فإن كانوا مسلمين فمعنى ذلك أنهم يرجعون التأثير الحقيقي وراء هذه الأسباب إلى الله عز وجل ، أما إذا كانوا كافرين بمعنى أنهم يقولون إن الطبيعة هي السبب الأول والأخير فإن هذا لا يمنعنا بأن نقول بوجود الأسباب التي ترجع في وجودها وتأثيرها إلى مشيئة الخالق جل وعلا .

ولهذا لم يرض ما ذهب إليه ابن العربي بعض العلماء :

قال ابن حجر بعد أن أورد رأيه : وقد أجرى الله العادة بوجود كثير من القوى والخواص في الأجسام والأرواح ، كما يحدث لمن ينظر إليه من يحتشمه من الخجل ، فيرى في وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك ، وكذا الاصفرار عند رؤية من يخافه ، وكثير من الناس يسقم بمجرد النظر إليه وتضعف قواه ، وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الأرواح من التأثيرات (٢) .

وقال ابن القيم : هذا مذهب منكري الأسباب والقوى والتأثيرات في العالم ، وهؤلاء قد سدوا على أنفسهم باب العلل والتأثيرات والأسباب ، وخالفوا العقلاء أجمعين (٣) .

(١) عارضة الأحوذى : ٢١٧/٨ .

(٢) فتح الباري : ٢٠٠/١٠ - ٢٠١ .

(٣) الطب النبوي : ١٥٢ - ١٥٣ .

ولا شك أن هذا رد عفيف من ابن القيم لا يستحقه من ذهبوا إلى المذهب الذى ينقده ، ولكن معه من الحق .

(٣) - وقد أرشد الرسول - ﷺ - إلى الوقاية من العين ؛ فإذا كان العائن يخشى ضرر عينه وإصابتها للمعين فليدفع شرها بقوله : اللهم بارك عليه ، كما قال النبى - ﷺ - لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف : « ألا بَرَكْتُ » أى قلت اللهم بارك عليه (١) .

وما يدفع به إصابة العين قول : « ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله » ؛ روى هشام بن عروة عن أبيه أنه كان إذا رأى شيئا يعجبه أو دخل حائطا من حيطان قال : ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله (٢) .

ومن الاحتراز من العين : ستر محاسن من يخاف عليه العين بما يردها عنه كما ذكر البغوى فى شرح السنة أن عثمان - رضى الله عنه رأى صبيا مليحاً فقال : دَسَّمُوا نونته كيلا تصيبه العين ، ومعنى : دسموا أى سَوَّدُوا ، والنونة الثقبه التى تكون فى ذفن الصبى الصغير (٣) .

(٤) - وقد جاء العلاج النبوى على أنواع فى حالة إصابة المعين أو الوقاية أيضا :

١ - التعوذ والرُقَى :

فقد روى أبو داود فى سننه عن سهل بن حنيف قال : مررنا بسيل ، فدخلت فاغتسلت فيه ، فخرجت محموماً ، فسمى ذلك إلى رسول الله - ﷺ - فقال : مروا أبا

(١) انظر حديث سهل وتخرجه كاملاً فى شرح السنة ١٦٤/١٢ .

(٢) الطب النبوى : ١٥٧ .

(٣) شرح السنة : ١٦٦/١٢ .

ثابت يتعوذ . قالت (الراوية عن سهل) : فقلت يا سيدى : والرق صالحة ؟ فقال : لا رقية إلا فى نفس أو حُمة أو لَدَغَة . قال أبو داود : الحمة من الحيات وما يلسع ^(١) .
والنفس العين يقال : أصابت فلانا نفس ؛ أى عين ، والنافس العائن ، واللدغة هى ضربة العقرب ونحوها ^(٢) .

وقد ذكر ابن القيم فى كتابه الطب النبوى بعض التعوذات النبوية منها :

أ - الإكثار من قراءة المعوذتين ، وفاتحة الكتاب ، وآية الكرسي .

ب - التعوذات النبوية نحو : « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » .

ونحو : أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة .

ونحو : أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذراً وبرأ ، ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر ما ذراً فى الأرض ، ومن شر ما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير ، يا رحمان .

ونحو : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون .

ونحو : اللهم أنى أعوذ بوجهك الكريم ، وكلماتك التامات ، من شر ما أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت تكشف المأثم والمغرم ، اللهم إنه لا يهزم جُنْدُكَ ولا يُخْلَفُ وَعُدُّكَ ، سبحانك وبحمدك .

ونحو : أعوذ بوجه الله العظيم الذى لا شئ أعظم منه ، وبكلماته التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، وبأسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم - من شر

(١) سنن أبى داود : (٢١٥/٤ - ٢١٦) - (٢٢) كتاب الطب - (١٨) باب ما جاء فى الرقى من طريق عبد الواحد بن زياد عن عثمان بن حكيم ، عن جدته الرباب عن سهل بن حنيف (رقم ٣٨٨٨) .
(٢) الطب النبوى : ١٥٥ .

ما خلق وذراً وبرأ ، ومن شر كل ذى شر لا أطيق شره ، ومن شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته ، إن ربي على صراط مستقيم .

ونحو : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا حول ولا حول ولا قوة إلا بالله ، أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، اللهم إني أعوذ بك من شر نفس ، وشر الشيطان وشركه ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم .

وإن شاء قال : تحصنت بالله الذى لا إله إلا هو إلهى وإله كل شيء ، واعتصمت بربي ورب كل شيء ، وتوكلت على الحى الذى لا يموت ، واستدفعت الشر بلا حول ولا قوة إلا بالله ، حسبى الله ونعم الوكيل ، حسبى الرب من العباد ، حسبى الخالق من المخلوق ، حسبى الرازق من المرزوق ، حسبى الله هو حسبى ، حسبى الذى بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ، حسبى الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، وليس وراء الله مرمى ، حسبى لا إله إلا هو ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

ونحو رقية جبريل عليه السلام للنبي - ﷺ - التى رواها مسلم فى صحيحه : باسم الله أريقك من كل داء يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين حاسد ، الله يشفيك ، باسم الله أريقك .

قال ابن القيم بعد ذكر هذه كلها : ومن جرب هذه الدعوات والعود عرف مقدار منفعتها وشدة الحاجة إليها ، وهى تمنع وصول أثر العائن ، وتدفعه بعد وصوله بحسب قوة إيمان قائلها ، وقوة نفسه واستعداده ، وقوة توكله وثبات قلبه ؛ فإنها سلاح ^(١) .

ج - ورأى جماعة من السلف أن يكتب له الآيات من القرآن ، ثم يشرها ، قال مجاهد : لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض ، ومثله عن أبى قلابه ،

(١) الطب النبوى : ١٥٥ - ١٥٧ .

ويذكر عن ابن عباس أنه أمر أن يكتب لامرأة يعسر عليها ولادها آيتان من القرآن يغسل ويستقى .

وقال أيوب : رأيت أبا قلابة كتب كتاباً من القرآن ، ثم غسله بماء وسقاه رجلاً كان به وجع ^(١) .

٢ - ومن أنواع العلاج أن يؤمر العائن بالاغتسال ، فعن ابن عباس قال : قال رسول الله - ﷺ : لو كان شيء سَابَقَ القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا .

وروى أحمد والنسائي وصححه ابن حبان من طريق الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أن النبي - ﷺ - خرج وساروا معه نحو ماء ، حتى إذا كانوا بشعب الحرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف - وكان أبيض حسن الجسم والجلد ، فنظر إليه عامر بن ربيعة فقال : ما رأيت كالיום ولا جلد مخبأة - فُلِيطَ ؛ أى صرع - سهل فأتى رسول الله - ﷺ - ، فقال : هل تهمون به من أحد ؟ قالوا : عامر ابن ربيعة ، فدعا عامراً فتغيظ عليه ، فقال : علام يقتل أحدكم أخاه ؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك بَرَكْتَ ، ثم قال : اغتسل له ، فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخله إزاره في قدح ، ثم يصب ذلك الماء عليه رجل من خلفه على رأسه وظهره ، ثم يكفأ القدح ، ففعل به ذلك ، فراح سهل مع الناس ليس به بأس ^(٢) .

قال الزهري : يؤتى الرجل العائن بقدح ، فيدخل كفه فيه فيمضمض ، ثم يمججه في القدح ، ثم يغسل وجهه في القدح ، ثم يدخل يده اليسرى ، فيصب على كفه اليمنى في القدح ، ثم يدخل يده اليمنى فيصب على يده اليسرى ، ثم يدخل يده اليسرى فيصب على مرفقه الأيمن ، ثم يدخل يده اليمنى فيصب على مرفقه الأيسر ، ثم يدخل يده اليسرى فيصب على قدمه اليمنى ، ثم يدخل يده اليمنى فيصب على قدمه اليسرى ، ثم يدخل يده

(١) المصدر السابق : ١٥٧ .

(٢) فتح الباري : ٢٠٤/١٠ .

اليسرى فيصب على ركبته اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى ، ثم يغسل داخله إزاره ، ولا يوضع القدح في الأرض ، ثم يصب على رأس الرجل الذى أصيب بالعين من خلفه صبة واحدة .

واختلفوا فى غسل داخله الإزار ؛ ذهب بعضهم إلى المذاكير ، وبعضهم إلى الأفخاذ والورك . قال أبو عبيد : أراد بدخلة إزاره طرف إزاره الذى يلي جسده مما يلي جانب الأيمن ، فهو الذى يغسل . قال : ولا أعلمه إلا جاء مفسرا فى بعض الحديث هكذا ^(١) .

قال ابن حجر : هذا الغسل ينفع بعد استحكام النظرة ^(٢) .

ونبه ابن القيم هنا أيضا بأنه لا بد من التيقن من صلاحية هذا العلاج النبوى الكريم ؛ قال : وهذا مما لا يناله علاج الأطباء ، ولا ينتفع من أنكره ، أو سخر منه ، أو شك فيه ، أو فعله مجربا لا يعتقد أن ذلك ينفعه ^(٣) .

(٥) - وقد أنكر بعض المبتدعة مثل هذا الحديث ؛ لأنه من الأمور الغيبية ، فغير مشاهد ولا محسوس ، كما أنكر بعضهم العلاج بالاغتسال - كما جاءت به السنة الصحيحة .

وقد انبرى للرد عليهم بعض العلماء فقال بعضهم الدليل على فساد قولهم أن كل معنى ليس بمحال فى نفسه ، ولا يؤدى إلى قلب حقيقة ولا فساد دليل فإنه من مجوزات العقول ، فإذا أخبر الشرع بوقوعه فلا معنى لتكذيبه وهل من فرق بين تكذيبهم بهذا وتكذيبهم بما يخبر به من أمور الآخرة ^(٤) ؟

(١) شرح السنة : ١٦٦/١٢ .

(٢) المصدر السابق : ٢٠٥/١٠ .

(٣) الطب النبوى : ١٥٨ .

(٤) طرح النبوى : ١٩٦/٧ .

وقال ابن القيم مناقشاً من ينكر العلاج باغتسال العائن : « وإذا كان في الطبيعة خواص لا تعرف الأطباء عللها البتة ، بل هي عندهم خارجة عن قياس الطبيعة تفعل بالخاصية ، فما الذى ينكره زنادقتهم وجهلتهم من الخواص الشرعية ؟ هذا مع أن في المعالجة بهذا الاستغسال ما تشهد له العقول الصحيحة وتقر لمناسبته ، فاعلم أن ترياق سم الحية في لحمها ، وأن علاج تأثير النفس الغضبية في تسكين غضبها وإطفاء ناره ، بوضع يدك عليه والمسح عليه وتسكين غضبه ، وذلك بمنزلة رجل معه شعلة من نار وقد أراد أن يقذفك بها فصببت عليه الماء وهى في يده حتى طفت ، ولذلك أمر العائن أن يقول : اللهم بارك عليه » ؛ ليدفع ؛ تلك الكيفية الخبيثة بالدعاء الذى هو إحسان إلى المعين ، فإن دواء الشيء بضده ، ولما كانت هذه الكيفية الخبيثة تظهر في المواضع الرقيقة من الجسد لأنها تطلب النفوذ فلا تجد أرق من المغايب وداخله الإزار - ولا سيما إن كان كناية عن الفرج - فإذا غسلت بطل تأثيرها وعملها ، وأيضاً فهذه المواضع للأرواح الشيطانية بها اختصاص ، والمقصود أن غسلها بالماء يطفىء تلك النارية ويذهب بتلك السمية . وفيه أمر آخر : وهو وصول أثر الغسل إلى القلب من أرق المواضع وأسرعها تنفيذاً ، فيطفىء تلك النارية والسمية بالماء فيشفى المعين ، وهذا كما أن ذوات السموم إذا قتلت بعد لسعها خف أثر اللسعة عن الملسوع ، ووجد راحته ، فإن أنفسها تمد أذاها بعد لسعها وتوصله إلى الملسوع ، فإذا قتلت خف الألم ، وهذا مشاهد ، وإن كان من أسبابه فرح الملسوع واشتفاء نفسه بقتل عدوه ، فتقوى الطبيعة على الألم فتدفعه ، وبالجملة : غسل العائن يذهب تلك الكيفية التى ظهرت منه ، وإنما ينفع غسله عند تكيف نفسه بتلك الكيفية .

فإن قيل : قد ظهرت مناسبة الغسل ، فما مناسبة صب ذلك الماء على المعين ؟

قيل : هو في غاية المناسبة فإن ذلك الماء أطفأ تلك النارية ، وأبطل تلك الكيفية الرديئة من الفاعل ، فكما طفت به النار القائمة بالفاعل ، طفت به وأبطلت عن المحل المتأثر ، بعد ملابسته للمؤثر العائن (١) .

(٦) - ونهى عن الوشم : الوشم أن تغرز إبرة أو مسلة أو نحوهما في موضع من البدن كالشفة أو المعصم أو غيرهما حتى يسيل الدم ، ثم يحشى ذلك الموضع بالكحل أو النورة فيخضر ، وقد يفعل ذلك بدارات ونقوش وقد يقلل وقد يكثر . وهو حرام ، وذهب الشافعية إلى أن الموضع الموشوم يصير نجساً ، فإن أمكنت إزالته بالعلاج وجبت ، وإن لم يكن إلا بالجراح .

وقد دل على تحريمه ، بل على أنه كبيرة لعن فاعله كما هو ثابت في الصحيحين ^(١) والله أعلم .

(١) طرح التثريب : ٢٠٤/٨ .

١٣٢ - وقال رسول الله - ﷺ - : لا يزال أحدكم في صلاة ما كانت ^(١) تحبسه ، ولا يمنعه أن يخرج إلا انتظرها .

(١) م : هي تحبسه .

● سبق أن ذكرنا في تخریج حديث رقم (٩) في ص (٢٧) أن عبد الرزاق روى هذا الجزء مع حديث آخر بسند الصحيفة ولفظه : (لا يزال أحدكم في صلاة ما دام ينتظرها) .

ورواه أحمد (١٠٦/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ١٣٦/٨٢٢٩) .

ورواه مسلم في (٤٦٠/١) - (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة - (٤٩) باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة - بسنده للصحيفة ، وذلك إحالة على حديث رواه قبله من طريق يونس عن ابن شهاب ، عن ابن هرمز ، عن أنس بن مالك قال : « أحدكم ما قعد ينتظر الصلاة في صلاة ما لم يحدث ، تدعوه الملائكة اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه » . (٦٤٩/٢٧٦) .

كما روى نحوه من طريق مالك عن أنس بن مالك ، عن الأعرج عن أنس بن مالك (رقم ٦٤٩/٢٧٥) .

وهذه الطريق أشار إليها مكمل تحقيق مسند أحمد ، وكان الأولى به أن يشير إلى رواية همام التي رواها مسلم .

وهناك طرق أخرى رواها مسلم ذكرناها في تخریج الحديث رقم (٩) ص (٢٧) .

وروى البخاري في (٥٢/١) - (٤) كتاب الوضوء - (٣٤) باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين - من طريق ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري ، عن أنس بن مالك قال : لا يزال العبد في صلاة ما كان في المسجد ينتظر الصلاة ما لم يحدث ، قال رجل أعجمي : ما الحدث يا أبا هريرة ؟ قال : الصوت - يعني الضرطه . (رقم ١٧٦) .

وفي (١٥٨/١ - ١٥٩) - (١٠) كتاب الأذان - (٣٠) باب فضل صلاة الجماعة - رواه من طريق الأعمش ، عن أنس بن مالك عن أنس بن مالك في حديث طويل . وفيه « لا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة » (رقم ٦٤٧) .

وفي (٢٠/٣) - (٣٤) كتاب البيوع - (٤٩) ما ذكر في الأسواق - من طريق الأعمش عن أنس بن مالك جزء من حديث وهو « أحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه » (رقم ٢١١٩) .

ورواه الترمذي مع حديث رقم (٩) الذي مضى ، في (١٥٠/٢ - ١٥١) - أبواب الصلاة - (٢٤٥) باب ما جاء في القعود في المسجد وانتظار الصلاة من الفضل - عن محمود بن غيلان قال : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن همام بن منبه ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ - : لا يزال أحدكم في صلاة ما دم ينتظرها ،

ولا تزال الملائكة تصلى على أحدكم ما دام في المسجد : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، ما لم يحدث ، فقال رجل من حضرموت : وما الحدث يا أبا هريرة ؟ قال : فساء أو ضراط .

قال الترمذى : وفى الباب عن على وأبى سعيد ، وأنس ، وعبد الله بن مسعود وسهل بن سعد .

قال أبو عيسى : حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح : (رقم ٣٣٠) .

ورواه البغوى الفراء (٣٦٩/٢) فى باب فضل القعود فى المسجد لانتظار الصلاة - بسنده للصحيفة (رقم

٤٨٢) وقال : هذا حديث متفق على صحته أخرجه من طرق عن أبى هريرة .

قال الحافظ العراقى مبينا الروايات عن أبى هريرة التى جمعت بين هذا الحديث وبين الحديث السابق رقم (٩) وهو « الملائكة تصلى على أحدكم ما دام فى مصلاه الذى صلى فيه ... » أو التى جعلت كلا منهما حديثاً واحداً فقال : إن أكثر الرواة لحديث أبى هريرة جعلوا هذا الحديث والحديث الذى فى أول الباب حديثاً واحداً ؛ كذلك رواه يونس عن ابن شهاب ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، والأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة ، وأيوب السختياني عن ابن سيرين عن أبى هريرة وحماد بن سلمة عن ثابت ، عن أبى رافع عن أبى هريرة وجعله حديثين معمر عن همام ، عن أبى هريرة ، ومالك ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج عن أبى هريرة ... على أنه قد اختلفت فيه روايات الموطأ ^(١) .

شرح الحديث :

(١) - الحديث السابق رقم (٩) يبين فضيلة مكث المصلى بالمسجد الذى صلى فيه المؤمن من دعاء الملائكة له ، وهذه الفضيلة غالباً ما تكون بعد الصلاة ، ويؤخذ ذلك من قوله - ﷺ - : « فى مصلاه الذى صلى فيه » .

وهذا الحديث يبين فضيلة أخرى للمكث بالمسجد ، وهى أنه يكون فى صلاة وهذه غالباً ما تكون للمكث قبل الصلاة : « ما كانت الصلاة تحبسه » .

وكلا الحديثين يبينان ما يغنمه المؤمن من المكث بالمسجد سواء أكان ذلك قبل الصلاة أم بعدها .

(٢) لا يزال أحدكم فى صلاة : المراد بكون الجالس ينتظر الصلاة فى صلاة أنه يكتب له أجر المصلى لأن عليه ما على المصلى من اجتناب ما يجرم فى الصلاة أو يكره

(١) طرح التثريب : ٣٧٠/٢ .

فيها إلا أنه يجتنب العبث المنهى عنه في الصلاة^(١) لما روى الحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة عن النبي - ﷺ - : قال : إذا توضأ أحدكم في بيته ثم أتى المسجد كان في صلاة حتى يرجع ، فلا يُقْلُ هكذا ، وشبَّك بين أصابعه . وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه^(٢) . وروى أبو داود^(٣) وابن حبان^(٤) في صحيحه من حديث كعب بن عجرة قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : إذا توضأ أحدكم فأحسن وضوءه ، ثم خرج عامداً إلى المسجد فلا يشبكن يديه ؛ فإنه في صلاة .

(٣) - ما كانت تحبسه : هذا بيان أن شرط حيازة هذه الفضيلة المكث في المسجد بنية انتظار الصلاة ، فإذا صرف نيته عن ذلك صارف من انتظار أحد ، أو تنزه أو نحو ذلك أنه ينقطع عنه أجر الصلاة^(٥) . وإن كان يعود عليه هذا بالنفع والثواب لمكثه في هذه البقعة الطاهرة .

(٤) - على أنه ينبغي أن يقيد الإطلاق في هذا الحديث بما ورد في الروايات الأخرى من عدم الحدث - كما سبق في التخريج ، وكما مر في حديث رقم (٩) وقد ذكرنا في شرحه أن بعض العلماء بين أن معنى الحدث يشمل - مع انتقاض الوضوء - حدث الإثم وإحداث السوء ، وقد جاء من الروايات ما يؤيد هذا المعنى^(٦) .

★ ★ ★

(١) طرح التثريب : ٣٧١/٢ .

(٢) المستدرك : ٢٠٦/١ - كتاب الصلاة - ومن كتاب الإمامة وصلاة الجماعة من طريق عبد الوارث ابن سعيد المقرئ عن أبي هريرة ، وقال : وقد تابعه محمد بن عجلان عن المقرئ ، وقد وافق الذهبي الحاكم في أن الحديث على شرطهما .

(٣) سنن أبي داود (٣٨٠/١) (٢) كتاب الصلاة (٥١) باب ما جاء في الهدى في المشي إلى الصلاة - من طريق سعد بن إسحاق عن أبي ثمامة الحنات ، عن كعب بن عجرة .

(٤) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣٧١/٣) كتاب الصلاة - باب الإمامة والجماعة من الطريق نفسه ، وإن كان هناك خطأ في أسماء الرواة .

(٥) طرح التثريب : ٣٧١/٢ .

(٦) انظر ص ٢٩ ، ٣٠ من هذا الكتاب .

١٣٣ - وقال رسول الله - ﷺ - : اليَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، وابدأ بِمَنْ تَعُولُ .

● رواه أحمد (١٠٧/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام .

وروى البخارى في (١٨٩/٦ - ١٩٠) - (٦٩) كتاب النفقات - (٢) باب وجوب النفقة على الأهل والعيال من طريق الأعمش عن أنى صالح عن أنى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ : أفضل الصدقة ما ترك غنى ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول . (رقم ٥٣٥٥) .

ومن طريق ابن شهاب ، عن ابن المسيب ، عن أنى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، وابدأ بمن تعول . (رقم ٥٣٥٦) ، وانظر (١١٧/٢) - (٢٤) كتاب الزكاة - (١٧) باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ، فقد رواه من هذا الطريق نفسه (رقم ١٤٢٦) .

وفى هذا الموضوع روى كذلك من طريق وهيب عن هشام عن أبيه ، عن حكيم بن حزام نحوه فى جزء منه (رقم ١٤٢٧) .

ومن طريق وهيب عن هشام عن أبيه عن أنى هريرة نحوه فى جزء منه (رقم ١٤٢٩) .

ومن طريق أيوب ومالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله - ﷺ - قال وهو على المنبر ، وذكر الصدقة والتعفف والمسألة : اليد العليا خير من اليد السفلى ، فاليد العليا هى المنفقة ، والسفلى هى السائلة (رقم ١٤٢٩) .

وروى مسلم في (٧١٧/٢ - ٧١٨) - (١٢) كتاب الزكاة - (٣٢) باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى ، وأن اليد العليا هى المنفقة ، وأن السفلى هى الآخذة - روى طريق مالك عن نافع عن ابن عمر كما سبق عند البخارى (١٠٣٣/٩٤) .

وكذلك حديث حكيم بن حزام من طريق يحيى القطان عن عمرو بن عثمان عن موسى بن طلحة عنه . (١٠٣٤/٩٥) .

وروى نحوه من طريق عكرمة بن عمار عن شداد ، عن أنى أمانة قال : قال رسول الله - ﷺ - : يا ابن آدم ، إنك إن تبذل الفضل خير لك ، وأن تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف ، وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى . (رقم ١٠٣٦/٩٧) .

شرح الحديث :

(١) - اليد العليا خير من اليد السفلى : وردت بعض الأحاديث التي تبين المراد باليد العليا واليد السفلى ، من هذه الأحاديث :

١ - حديث ابن عمر الذى سبق ذكره فى التخرىج ففیه « فاليد العليا هي المنفقة والسفلى هي السائلة » .

٢ - روى الطبراني بإسناد صحيح عن حكيم بن حزام مرفوعاً : « يد الله فوق يد المعطى ، ويد المعطى فوق يد المعطى ، ويد المعطى أسفل الأيدى .

٣ - ولأبى داود وابن خزيمة من حديث أبى الأحوص عوف بن مالك ، عن أبيه مرفوعاً : الأيدى ثلاثة ، بيد الله العليا ، ويد المعطى التى تليها ، ويد السائل السفلى .

٤ - ولأحمد والبخاري من حديث عطية السعدى : اليد المعطية هي العليا ، والسائلة هي السفلى .

قال ابن حجر : فهذه الأحاديث متضافرة على أن اليد العليا هي المنفقة المعطية وأن السفلى هي السائلة ، وهذا هو المعتمد ، وهو قول الجمهور (١) .

ولكن كون اليد السائلة سفلى ليس على إطلاقه ؛ فهي سفلى إذا لم تكن هناك حاجة إلى السؤال ، فإن كانت بالسائل ضرورة بأن كان عاجزاً غير مكتسب وخاف على نفسه الهلاك ، فلا بأس بالسؤال حينئذ ؛ بل قد يكون مندوباً وقد يكون واجباً (٢) .

والمراد بالعلو علو الفضل والمجد والثواب (٣) ، قال الخطاى : قد يتوهم كثير من الناس أن معنى العليا هو أن يد المعطى مستعلية فوق يد الآخذ ، يجعلونه من علو الشيء

(١) فتح البارى : ٢٩٧/٣ .

(٢) طرح التثريب : ٧٨/٤ .

(٣) شرح مسلم للنووى : ٧٤/٣ .

إلى فوق ، وليس ذلك عندى بالوجه ، وإنما هو من علاء المجد والكرم ، يريد به الترفع عن المسألة والتعفف عنها ^(١) .

(٢) - وابدأ بمن تعول : أى ابدأ فى الإنفاق بعيالك ثم اصرف إلى غيرهم ^(٢) ، والعيال هم من يلزم المرء أن ينفق عليهم ؛ يقال عال الرجل أهله إذا قاتهم أى قام بما يحتاجون إليه من قوت وكسوة ، وهذا أمر بتقديم ما يجب على ما لا يجب ^(٣) . وقال فى المحكم : وعيال الرجل الذين ^(٤) يتكفل بهم .

وقد جاء فى بعض الأحاديث تسمية بعض هؤلاء ؛ روى النسائى من طريق زياد بن أبى الجعد عن جامع بن شداد ، عن طارق المحارى قال : قدمنا المدينة فإذا رسول الله - ﷺ - قائم على المنبر يخطب الناس ، وهو يقول : يد المعطى العليا ، وابدأ بمن تعول ؛ أمك وأباك ، وأختك وأخاك ، ثم أدناك أدناك ^(٥) .

وفى حديث الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة المشار إليه فى التخريج كلام لأبى هريرة بعد قوله - ﷺ : « وابدأ بمن تعول » ، يقول : تقول المرأة إما أن تطعمنى وإما أن تطلقنى ، ويقول العبد : أطعمنى واستعملنى ، ويقول الابن : اطعمنى إلى من تدعنى « وهذا تصوير لأبى هريرة رضى الله عنه يبين فيه مقدار حاجة المرء إلى الإنفاق على أمثال هؤلاء ، ولذلك نبه - ﷺ - إلى البدء بهم .

(٤) - ويؤخذ من الحديث مع ما تقدم :

١ - تقديم المرء نفقة نفسه وعياله ؛ لأنها منحصرة فيه ، مسئول عنها ، بخلاف نفقة غيرهم ^(٦) .

(١) طرح الثريب : ٧٧/٤ .

(٢) عمدة القارى : ١١٧/١٧ .

(٣) فتح البارى : ٥٠٠/٩ .

(٤) طرح الثريب : ١٧٧/٧ .

(٥) سنن النسائى (٦١/٥) كتاب الزكاة - باب أيتهما اليد العليا .

(٦) شرح مسلم للنووى : ٧٤/٣ .

٢ - الابتداء بالأهم فالأهم فى الأمور الشرعية (١) .

٣ - قد يدخل فى قوله « وابدأ بمن تعول » كل من يمونه الإنسان ، وإن لم تكن نفقته واجبة عليه ، ويوافقه تفسير صاحب المحكم للعيال ، ويوافقه كلام الإمام الشيخ تقى الدين السبكي ، فإنه قال : الظاهر أن المراد بالعيال من تلزمه نفقته ومن لا تلزمه ممن تقضى المروءة والعادة بقيامه بنفقتهم ممن يمكن صرف الزكاة إليه ، من قريب حر وغيره وكذا الزوجة ؛ لأن نفقتها أكد (٢) .

٤ - قد يستدل به على تحريم الإيثار بقوته أو قوت عياله ؛ لما فى ذلك من مخالفة أمره عليه الصلاة والسلام بالبداء بمن يعول ، وأقوى من ذلك فى الدلالة على هذا قوله عليه الصلاة والسلام : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت ، وهو الذى صححه النووى فى شرح المذهب (٣) . والله أعلم .

(١) المصدر السابق : ٧٤/٣ .

(٢) طرح التثريب : ١٧٨/٧ .

(٣) المصدر السابق : ١٧٨/٧ .

١٣٤ - وقال رسول الله - ﷺ - : أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة . قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : الأنبياء إخوة من علاتٍ ، وأمهاتهم شتى ، ودينتهم واحد ، فليس بيننا نبي .

• رواه أحمد (١٠٧/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ١٣٨/٨٢٣١)

وروى البخارى في (١٤١/٤ - ١٤٢) - (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء - (٤٨) باب قول الله تعالى : (واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكانا شرقيًا) - من طريق أبى اليمان عن شعيب عن الزهرى ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة نحوه . (رقم ٣٤٤٢) .

ومن طريق هلال بن على ، عن عبد الرحمن بن أبى عمرة ، عن أبى هريرة - وليس فيه : « فليس بيننا نبي » . (رقم ٣٤٤٣) .

ورواه مسلم في (١٨٣٧/٤) - (٤٣) كتاب الفضائل - (٤٠) باب فضائل عيسى عليه السلام - بسنده للصحيفة . (رقم ٢٣٦٥/١٤٥) .

كما روى نحوه من طريق سفيان عن أبى الزناد ، عن الأعرج عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة (رقم ٢٣٦٥/١٤٤) .

ومن طريق يونس ، عن ابن شهاب عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة (رقم ٢٣٦٥/١٤٣) .
ورواه البيهقى في (١٩٩/١٣ - ٢٠٠) كتاب الفضائل - باب فضائل سيد الأولين والآخرين محمد - صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أجمعين - وشماله - بسنده للصحيفة - هو وحديث رقم (٢) من هذه الصحيفة .
وقال : هذا حديث متفق على صحته ، أخرجاه من طرق عن أبى هريرة ، وأخرجه مسلم عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق . (رقم ٣٦١٩) .

شرح الحديث :

(١) أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة : أى أخص الناس به وأقربهم إليه ؛ لأنه بشرٌ بأنه - ﷺ - يأتى من بعده .

ولا منافاة بين هذا الحديث وبين قوله تعالى : (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ، وهذا النبي) (١) ؛ لأنه - ﷺ - أولى الناس بإبراهيم وكذلك هو أولى الناس بعيسى بن مريم ، ذاك من جهة قوة الاقتداء به ، وهذا من جهة قرب العهد به (٢) .

وظاهر قوله - ﷺ - « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم » دخول الأنبياء عليهم السلام فى ذلك ، فيكون نبينا أولى به من بقية الأنبياء ، ويحتمل أنما أراد به أنه أولى أهل زمانه به ، ويكون عليه الصلاة والسلام ذكر هذا الكلام ردا على النصارى الذين زعموا تولى عيسى وأتباعه ، فأخبر عليه الصلاة والسلام أنه أولى به منهم ومن غيرهم من الناس ، كما قال لليهود : « أنا أولى بموسى منكم » . الحديث فى صيام عاشوراء . وهذا محتمل ، لكنه يبعده قوله : « وليس بيننا نبي ؛ لأنه يقتضى أن المراد ترجيحه بذلك على بقية الأنبياء إلا أن يقال : أراد بذلك أنه أولى الناس بالأنبياء مطلقا لاتفاقهم فى أصل الدين ويزداد عيسى عليه السلام لقرب زمنه ، وأنه ليس بينهما نبي ، تأكيد لمعنى أنه أولى أهل زمانه (٣) .

(٢) - الأنبياء إخوة من علات : قال الإمام البغوى : « إخوة من علات » ما ذكر فى الحديث أن أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، يقال لأخوة بنى أب وأم : بنو الأعيان فإن كانوا لأمهات شتى فهم بنو العلات ، فإن كانوا لآباء شتى فهم أخياف ، يريد أن أصل دين الأنبياء واحد ، وإن كانت شرائعهم مختلفة ، كما أن أولاد العلات أبوهم واحد ، وإن كانت أمهاتهم شتى (٤) .

(٣) - ودينهم واحد : المراد به أصول التوحيد ، وأصل طاعة الله تعالى ، وإن اختلفت صفتها ، أو أصول التوحيد والطاعة جميعاً (٥) .

(١) آل عمران : ٦٨ .

(٢) فتح البارى : ٤٨٩/٦ .

(٣) طرح التثريب : ٢٤٥/٦ .

(٤) شرح السنة : ٢٠٠/١٣ .

(٥) شرح مسلم للنووى : ٢١٥/٥ .

(٤) - فليس بيننا نبي : استدل بهذا على أنه لم يبعث بعد عيسى أحد إلا نبينا - ﷺ - ، وإذا كان قد ورد أن الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى أصحاب القرية المذكورة قصتهم في سورة يس كانوا من أتباع عيسى ، وأن جرجيس وخالد بن سنان كانا نبيين ، وكانا بعد عيسى - إذا كان قد ورد ذلك فهذا الحديث أصح ، وهو يضعف ما يخالفه من أمثال هذه الروايات ، يقول ابن حجر : إن هذا الحديث يضعف ما ورد من ذلك فإنه صحيح بلا تردد ، وفي غيره مقال ، أو المراد أنه لم يبعث بعد عيسى نبي بشريعة مستقلة ، وإنما بعث بعده من بعث بتقرير شريعة عيسى (١) .

ولكن الاحتمال الثاني هذا الذى ذكره ابن حجر لا يستقيم مع القول بعدم وجود نبي لأنه يثبت أن هناك أنبياء بعثوا ، وهذا ما ينفيه الحديث الصحيح الذى معنا ، والأولى أن نقول بظاهر هذا الحديث الصحيح ، قال أبو زرعة بن العراق : فيه (أى فى هذا الحديث) رد صريح على من قال : إنه كان بعد عيسى عليه السلام أنبياء ورسل ، وقد قال بعض الناس إن الحوارين كانوا أنبياء ، وأنهم أرسلوا إلى الناس بعد عيسى ، وهو قول أكثر النصارى لعنهم الله (٢) . والله أعلم .

(١) فتح البارى : ٤٨٩/٦ .

(٢) طرح التهذيب : ٢٤٥/٦ .

١٣٥ - وقال رسول الله - ﷺ - : بينا ^(١) أنا نائم إذ أتيت من خزائن الأرض فوضع في يدي سواران من ذهب ، فكبرا علي وأهمانى ، فأوجى إلي أن انفخهما ، فنفختهما ، فذهبا ، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما ؛ صاحب صنعاء ، وصاحب اليمامة .

(١) م : بينا .

• رواه أحمد (١٠٨/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ١٣٩/٨٢٣٢) .

ورواه البخارى فى موضعين :

أولهما فى (١١٨/٥ - ١١٩) - (٦٤) كتاب المغازى - (٧٠) باب وفد بنى حنيفة وحديث ثمامة بن أثال - عن إسحاق بن نصر ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه به . (رقم ٤٣٧٥) .

وروى فى هذا الموضع حديثين يلقيان ضوءاً على هذا الحديث :

١ - من طريق نافع بن جبير ، عن ابن عباس - رضى الله عنهما قال : قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله - ﷺ - فجعل يقول : إن جعل لى محمد الأمر من بعده تبعته ، وقدمها فى بشر كثير من قومه ، فأقبل إليه رسول الله - ﷺ - ومعه ثابت بن قيس بن شماس ، وفى يد رسول الله - ﷺ - قطعة جريد - حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه ، فقال : لو سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها ، ولن نعلنو أمر الله فىك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإنى لأراك الذى أريت فيه ما رأيت ، وهذا ثابت يجيبك عنى ، ثم انصرف عنه . (رقم ٤٣٧٣) .

٢ - قال ابن عباس : فسألت عن قول رسول الله - ﷺ - : « إنك أرى الذى أريت فيه ما رأيت » ، فأخبرنى أبو هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : بينا أنا نائم رأيت فى يدي سوارين من ذهب ، فأهمنى شأنهما فأوجى إلى فى المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا . فأولتهما كذابين يخرجان بعدى ، أحدهما العنسى والآخر مُسَيْلَمَةُ (٤٣٧٤) .

وثانیهما فى : (٨١/٨ - ٨٢) - (٩١) كتاب التعبير - (٤٠) باب النفخ فى المنام - عن إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله - ﷺ - قال : نحن الآخرون السابقون وقال رسول الله - ﷺ - فذكره (رقم ٧٠٣٧) .

ورواه مسلم فى (١٧٨٠/٤ - ١٧٨١) - (٤٢) كتاب الرؤيا - (٤) باب رؤيا النبى - ﷺ - بسنده لصحيفة همام . (رقم ٢٢٧٤/٢٢) .

كما ذكر حديثي البخاري السابقين (رقم ٢٢٧٣/٢١) .

ورواه البغوي (٢٥٢/١٢) في كتاب الرؤيا - باب السوار والخلي - بسنده للصحيفة وقال : هذا حديث متفق على صحته أخرجه محمد عن إسحاق بن نصر ، وأخرجه مسلم عن محمد بن رافع كلاهما عن عبد الرزاق (رقم ٣٢٩٧) .

شرح الحديث :

(١) - بينما أنا نائم إذا أتيت من خزائن الأرض : قال الخطابي : يحتمل أن يكون إشارة إلى ما فتح لأمته من الممالك ، فغنموا أموالها ، واستباحوا خزائن ملوكها المدخرة ، كخزائن كسرى وقيصر ، وغيرهما من الملوك ، ويحتمل أن يكون المراد به معادن الأرض التي فيها الذهب والفضة وأنواع الفلزات ^(١) . وقال النووي : قال العلماء : هذا محمول على سلطانها وملوكها وفتح بلادها ، وأخذ خزائن أموالها ، وقد وقع ذلك كله والله الحمد ، وهو من المعجزات ^(٢) .

(٢) - فوضع في يدي سواران : السوار بكسر المهملة ، ويجوز ضمها ، وفيه لغة ثالثة أسوار بضم همزة أوله ^(٣) وبهذا جاءت رواية مسلم - رحمه الله تعالى .

(٣) - فكبرا على وأهمناني : المعنى عظمًا على ، وأحزنني شأنهما . قال القرطبي : وإنما عظم عليه ذلك لكون الذهب من حلية النساء ، ومما حرم على الرجال ^(٤) .

(٥) - فأوحى إلي أن انفخهما : قال القرطبي : هذا الوحي يحتمل أن يكون من وحي الإلهام ، أو على لسان الملك .

(١) طرح التثريب : ٣١٦/٨ .

(٢) شرح مسلم : ١٣٢/٥ .

(٣) فتح الباري : ٤٢٤/١٢ .

(٤) المصدر السابق : ٤٢٤/١٢ .

(٦) - فنفتختهما فذهبا : قال ابن العري : كان النفخ دليلا على أنهما مرميان بريجه ، أى أن غيره يفعل به بنسبته إليه ، وكونه منه ، ولا يصح أن يكون النفخ مثلا على ضعف حالهما ؛ فإنه كان شديدا ، لم ينزل بالمسلمين مثله قط ، ولو قيل إنه مثل عن ضعفهما لقلنا إنه متضمن الوجهين ؛ وقد كان - ﷺ - يتوقع لمسيلمة والأسود ما أولهما بهما ليكون ذلك إخراجاً للمنام عليهما ودفعاً لحالهما ؛ فإن الرؤيا إذا عبرت خرجت ، ويحتمل أن يكون بوحى ، والأول أقوى (١) .

قال ابن حجر معقبا على قول ابن العري : قلت : وهو كذلك لكن الإشارة إنما هى للحقارة المعنوية لا الحسية ، وفى طيرانهما (فى بعض الروايات : فطارا) إشارة إلى اضمحلال أمرهما (٢) .

(٧) - فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما ، صاحب صنعاء وصاحب اليمامة : قال القاضى عياض : إنما تأول ذلك - والله أعلم - فيهما لما كان السواران فى اليدين جميعا من الجهتين ، وكان حينئذ النبى - ﷺ - بينهما ، وتأول السوارين على الكذابين ومن ينازعه الأمر لوضعهما غير موضعهما ؛ إذ هما من حلى النساء ، وموضعهما أيديهما لا أيدي الرجال وكذلك الكذب والباطل هو الإخبار بالشئ على غير ما هو عليه ، ووضع الخير على غير موضعه مع كونهما من ذهب ، وهو حرام على الرجال ، ولما فى اسم السوارين من لفظ السور ؛ لقبضهما على يديه ، وليس من حليته ؛ ولأن كونهما من ذهب إشعارا بذهاب أمرهما وبطلان باطلهما . وقال أبو العباس القرطبي : وجه مناسبة هذا التأويل لهذه الرؤيا أن أهل صنعاء واليمامة كانوا قد أسلموا ، وكانا كالمساعدين للإسلام ، فلما ظهر فيهما هذان الكذبان ، وتبر حالهما بترهاتهما وزخرفا أقوالهما فانخدع الفريقان بتلك البهرجة ، فكان البلدان للنبي - ﷺ - بمنزلة يديه ، والسواران فيهما هما مسيلمة وصاحب صنعاء بما زخرفا من أقوالهما (٣) .

(١) عارضة الأحوذى : ١٥٩/٩ .

(٢) فتح البارى : ٤٢٤/١٢ .

(٣) طرح التثريب : ٣١٧/٨ - ٣١٨ .

(٨) - اللذين أنا بينهما : هذا ظاهر في أنهما كانا حين قص الرؤيا موجودين ، وهو كذلك بدليل رواية مقابلة الرسول - ﷺ - لمسيلمة وكلامه له كما سبق في التخريج ، لكن وقع في رواية ابن عباس : « يخرجان بعدى » والجمع بينهما أن المراد بخروجهما بعده - ﷺ - ظهور شوكتهما ومحاربتهما ودعواهما النبوة ^(١) هكذا قال النوى ، وتعقبه ابن حجر فقال : وفيه نظر لأن ذلك كله ظهر للأسود بصنعاء في حياته - ﷺ - فادعى النبوة وعظمت شوكته وحارب المسلمين وفتك فيهم وغلب على البلد ، وآل أمره إلى أن قتل في حياة النبي - ﷺ ، أما مسيلمة فكان ادعى النبوة في حياة النبي - ﷺ - لكن لم تعظم شوكته ، ولم تقع محاربتة إلا في عهد أبى بكر ، فإما أن يحمل على التغليب ، وإما أن يكون المراد بقوله - ﷺ - « بعدى » أى بعد نبوتى ^(٢) .

(٩) - صاحب صنعاء : هو الأسود العنسى ، ويلقب بذى حمار ، وسبب تلقيبه بذلك أنه ركب حماراً فعثر وسقط لوجهه ، فقال : سجد لى الحمار ، فارتد عن الإسلام وادعى النبوة ، وتخرق على الجهال فاتبعوه وغلب على صنعاء ، وأخرج منها المهاجر بن أسد المخزومي ، وكان عاملاً لرسول الله - ﷺ - عليها ، وانتشر أمره ، إلى أن دخل عليه فيروز الديلمى وقيس بن مكشوح فقتلاه ، وجاءا برأسه إلى رسول الله - ﷺ . وقد رجح أبو العباس القرطبى أن قتله كان بعد وفاة الرسول - ﷺ - وفي خلافة أبى بكر ، لظاهر قوله - ﷺ - : « بعدى » ^(٣) .

(١٠) - وصاحب الإمامة : هو مسيلمة الكذاب وقد تقدم مقابلة الرسول - ﷺ - له في حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - وقد تنبأ على عهد رسول الله - ﷺ ، وكان يشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمداً عبد الله ورسوله ، ويزعم أنه شريك معه في نبوته ، وقال سعيد بن المسيب : إنه كان قد تسمى بالرحمن قبل أن يولد عبد الله بن عبد المطلب

(١) شرح مسلم للنوى : ١٣٢/٥ .

(٢) فتح البارى : ٤٢٤/١٢ .

(٣) طرح الثريب : ٢١٨/٨ - ٢١٩ .

أبو النبي - ﷺ ، وأنه قتل وهو ابن خمسين ومائة . قال سعيد بن جبیر : كان رسول الله - ﷺ إذا قال : بسم الله الرحمن الرحيم قالت قریش إنما يعنى مسيلمة ، وعظم أمر مسيلمة بعد وفاة النبي - ﷺ ، وأطبق عليه أهل الإمامة وانضاف إليه بشر كثير من أهل الردة ، فأرسل إليهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه كتباً كثيرة يعظهم ويحذرهم إلى أن بعث إليهم كتاباً مع حبيب بن عبد الله الأنصارى ، فقتله مسيلمة ، فعند ذلك عزم أبو بكر على قتالهم ، فأمر خالد بن الوليد ، وتجهز الناس فصاروا إلى الإمامة ، ثم إن الله تعالى ثبّت المسلمين وقتل مسيلمة على يدى وحشى قاتل حمزة ، ورماه بالحرية التى قتل بها حمزة ، ثم وقف عليه رجل من الأنصار ، وهو عبد الله بن زيد بن عاصم فاحتز رأسه ، وهزم الله جيشه ، وأهلكهم وفتح الله الإمامة فدخلها خالد ، واستولى على جميع ما حوته من النساء والولدان والأموال ، وأظهر الله الدين وجعل العاقبة للمتقين (١) .

★ ★ ★

١٣٦ - وقال رسول الله - ﷺ - : ليس أحد منكم بمنجيهِ (١)
 عمله ، ولكن سَدُّوْا وَقَارِبُوا . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ،
 إلا أن يَتَعَمَّدَنِي الله منه برحمةٍ وَفَضْلٍ .

(١) م : ينجيهِ .

• رواه عبد الرزاق في المصنف في (٢٨٩/١١) كتاب الجامع - باب دخول الجنة - عن معمر ، عن همام
 عن أنى هريرة - رضى الله عنه به .

ورواه أحمد في (١٠٨/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام بن منبه (رقم ١٤١/٨٢٣٤) .

وروى البخارى في (١٠/٧) - (٧٥) كتاب المرضى - (١٩) باب تمنى المريض الموت - من طريق
 الزهرى ، عن أنى عبيد مولى عبد الرحمن بن عوف أن أبا هريرة قال بنحو منه . (رقم ٥٦٧٣) .

وفي (١٨١/٧ - ١٨٢) - (٨١) كتاب الرقاق - (١٨) باب القصد والمداومة على العمل - من طريق ابن
 أنى ذئب ، عن سعيد المقبرى ، عن أنى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ : لن ينجى أحدا منكم عمله .
 قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدنى الله برحمة ، سدّوا ، وقاربوا ، واغدوا وروحوا ، وشئ من
 الدُّلْجَةِ ، والقصدُ القصدُ تبلغوا (رقم ٦٤٦٣) .

ومن طريق موسى بن عقبة عن أنى سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة أن رسول الله - ﷺ قال « سدّوا
 وقاربوا ، واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة ، وأن أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قلَّ » . (رقم ٦٤٦٤) .

ومن هذا الطريق أيضا وفيه « سدّوا وقاربوا ، وأبشروا » (رقم ٦٤٦٧) .

وروى مسلم نحوه في (٢١٦٩/٤ - ٢١٧١) - (٥٠) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - (١٧) باب
 لن يدخل أحد الجنة بعمله ، بل برحمة الله تعالى :

من طريق ليث عن بكير عن بسر بن سعيد عن أنى هريرة ... (رقم ٢٨١٦/٧١) .

ومن طريق عمرو بن الحارث عن بكير بن الأشج به .

ومن طريق أيوب عن محمد عن أنى هريرة (٢٨١٦/٧٢) .

ومن طريق ابن عون عن محمد به (٢٨١٦/٧٣) .

ومن طريق سهيل ، عن أبيه ، عن أنى هريرة (٢٨١٦/٧٤) .

ومن طريق ابن شهاب ، عن أنى عبيد مولى عبد الرحمن بن عوف عن أنى هريرة (٢٨١٦/٧٥) .

ومن طريق الأعمش عن أنى صالح عن أنى هريرة (٢٨١٦/٧٦) .

ومن طريق الأعمش عن أنى سفيان عن جابر (٢٨١٧/٧٦) .

ومن طريق الأعمش عن أنى صالح عن أنى هريرة مرة أخرى (٢٨١٦/٧٦) .

ومن طريق معقل ، عن أنى الزبير ، عن جابر (٢٨١٧/٧٧) .

ومن طريق موسى بن عقبة عن أنى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن عائشة (رقم ٢٨١٨/٧٨) .

ورواه البغوى فى (٣٨٩/١٤ - ٣٩٠) كتاب الرقاق - باب القصد فى العمل والعلم بألا نجاة إلا برحمة الله تعالى - بسنده للصحيحة ، ومن طريق أحمد بن منصور الرمادى عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام به ، ومن طريق عبد الله بن إبراهيم بن بالويه المزكى عن أحمد بن يوسف (السلمى) عن عبد الرزاق عن معمر به .

شرح الحديث :

(١) - ليس أحد منكم بمنجيه عمله : هذا كما فى حديث جابر عند مسلم : « لا يُدخل أحداً منكم عمله الجنة ، ولا ينجيه من النار » ومعنى ينجى أى يخلص ، والنجاة من الشئ التخلص منه .

والمعنى أن العمل بمجردة ولو تناهى لا يوجب دخول الجنة ، ولا أن يكون عوضاً لها ؛ لأنه لو وقع على الوجه الذى يحبه الله تعالى فإنه لا يوازى نعمه عز وجل ، بل جميع العمل لا يوازى نعمة واحدة ، فتبقى سائر نعمه مقتضية لشكرها ، وهو لم يوفها حق شكرها ، فلو عذبه فى هذه الحالة لعذبه وهو غير ظالم ، وإذا رحمه فى هذه الحالة كانت رحمته خيراً من عمله ، كما فى حديث أنبى بن كعب الذى أخرجه أبو داود وابن ماجه فى ذكر القدر ، ففيه : « لو أن الله عذب أهل سماواته وأرضه لعذبهم ، وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم (١) » .

والحديث لا يتعارض مع قوله تعالى (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) (٢) ؛ لأن الله

(١) فتح البارى : ٢٩٦/١١ ، وعزى ابن حجر هذا الرأى لابن القيم .

(٢) النحل : ٣٢ .

تعالى إذا كان قد جعل الأعمال سببا في دخول الجنة فالسبب الحقيقي هو رحمة الله وتوفيقه إلى هذه الأعمال وقبولها ، وإلا فالكافر قد يعمل الأعمال التي يعملها المؤمن ، ولكنها لا تقبل منه ؛ لأنه مسلوب من رحمة الله عز وجل ، ولهذا قال تعالى في شأن أعمال الكافرين : (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثْثُورًا) (١) .

وذهب ابن أبي جمرة إلى وجه آخر من الجمع ، فيبين أن الآية الكريمة والأحاديث إنما هي للعوام ، أما الحديث الذي معنا فهو لأهل الخصوص قال : « والجمع بينهما أن يقال أن الحديث الذي نحن بسبيله (مرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة) خطاب للعوام ؛ لأنه مقتضى الحكمة ، وعادة الله تعالى أبدا إنما يخاطبهم بما تقتضيه الحكمة ، والقرآن بذلك ملآن ، فمن ذلك قوله تعالى : (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) إلى غير ذلك من قوله تعالى : (بما عملتم) (بما كنتم تصنعون) (بما كسبتم) (بما أسلفتم) (بما كنتم تفعلون) إلى غير ذلك وهو كثير ، والخطاب في الحديث الآخر لأهل الخصوص ، وهم المنهمكون في التوحيد . والمحققون بالقدرة ، فلو قيل لمن يتحقق بالقدرة هذا الحديث لأدى بهم الأمر إلى ترك مقتضى الحكمة ، وترك العمل بمقتضى الحكمة كفر بإجماع ، والنهاية هي الجمع بين مقتضى الحكمة بتصحيح العمل ؛ وإجلال القدرة بتفويض الأمر لها ، ولهذا قال بعض الفضلاء : اعمل عمل من لا يرى خلاصا إلا بالعمل ، وَتَوَكَّلْ تَوَكَّلْ من لا يرى خلاصا إلا بالتوكل ؛ تحضيضا منه على قدم النهاية وتنبها لها ، ولأجل العمل على هذه الصفة أثنى الله عز وجل في كتابه على يعقوب عليه السلام حيث قال : (وإنه لذو علم لما علمناه) ؛ لأنه جمع بين الحقيقة والشرعية (٢) .

وأن ابن أبي جمرة يشير إلى وصية يعقوب لأبنائه أن يدخلوا من أبواب متفرقة ، وقوله لهم مع ذلك (وما أغنى عنكم من الله من شيء) .

وعلى هذا ففي الحديث حجة لمذهب أهل السنة أن الله تعالى لا يجب عليه شيء من الأشياء لا ثواب ولا غيره ، بل العالم ملكه ، والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما

(١) الفرقان : ٢٣ .

(٢) بهجة النفوس : ٩٦/١ - ٩٧ .

ما يشاء ، لو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عدلاً منه سبحانه وتعالى ، وإذا أكرمهم ونعمهم وأدخلهم الجنة فهو بفضل منه جل شأنه ، ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك ، لكنه أخبر وخبره صدق أنه لا يفعل هذا ؛ بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ، ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلاً منه ، فمن نجا ودخل الجنة فليس بعمله ؛ لأنه لا يستحق على الله تعالى بعمله شيئاً ، وإنما هو برحمة الله وفضله .

وذهبت المعتزلة إلى إيجاب ثواب الأعمال على الله تعالى وحكموا العقل ، وأوجبوا مراعاة الأصلح ^(١) . وهذا الحديث يرد عليهم .

(٢) **ولكن سدّدوا وقاربوا** : معناه اقصدوا السداد ، أى الصواب ، فإن عجزتم عن الصواب فقاربوه أى اقربوا منه ، وهو مثل حديث : « استقيموا ولن تحصوا » قال ابن حجر : ومعنى هذا الاستدراك أنه قد يفهم من النفي المذكور نفي فائدة العمل ، فكأنه قيل : بل له فائدة وهو أن العمل علامة على وجود الرحمة التى تدخل العامل الجنة ، فاعملوا واقصدوا بعملكم الصواب ، أى اتباع السنة من الإخلاص وغيره ليقبل عملكم ، فتتزلزلكم الرحمة ^(٢) .

ويحتمل أن معنى الإستدراك ألا تحملوا أنفسكم فوق طاقتها فى العمل لأنه ليس هو الذى يدخل الجنة ، والمطلوب منكم قصد الصواب ولا تُفَرِّطُوا فتجهدوا أنفسكم فى العبادة ؛ لئلا يفضى بكم ذلك إلى الملل ، فتركوا العمل فتفَرَّطُوا .

وقد أخرج البزار من طريق محمد بن سوقة ، عن ابن المنكدر ، عن جابر ، ولكن صوب إرساله ، وله شاهد فى الزهد لابن المبارك من حديث عبد الله بن عمرو موقوف : إن هذا الدين متين ، فأوغلوا فيه برفق ، ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله ، فإن المُنْبِت لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى ^(٣) .

(١) طرح التثريب : ٢٤٠/٨ .

(٢) فتح البارى : ٢٩٧/١١ .

(٣) المصدر السابق : ٢٩٧/١١ .

(٣) - قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ : قال الكرمانى : إذا كان كل الناس لا يدخلون الجنة إلا برحمة الله فوجه تخصيص رسول الله - ﷺ - بالذكر أنه إذا كان مقطوعاً له بأن يدخل الجنة ثم لا يدخلها إلا برحمة الله فغيره يكون في ذلك بطريق الأولى .

وذكر الرافعى في أماليه ما هو أوضح من هذا فقال : لما كان أجر النبى - ﷺ - في الطاعة أعظم وعمله في العبادة أقوم قيل له : ولا أنت ؟ أى لا ينجيك عملك مع عظم قدرك ؟ فقال : إلا برحمة الله (١) . وقال أبو العباس القرطبى (٢) كأنه وقع لهم أن النبى - ﷺ - لعظم معرفته بالله وكثرة عباداته أنه ينجيه عمله ، فرد النبى - ﷺ - ذلك ، وسوى بينه وبينهم في ذلك المعنى .

(٤) - إلا أن يتغمدى الله منه برحمة وفضل : قال أبو عبيد : المراد بالتغمد الستر ، وما أظنه إلا مأخوذاً من غمد السيف ؛ لأنك إذا أغمدت السيف فقد ألبيسته الغمد وسترته به (٣) .

قال الرافعى : في الحديث أن العامل لا ينبغي أن يتكل على عمله في طلب النجاة ونيل الدرجات ؛ لأنه إنما عمل بتوفيق الله ، وإنما ترك المعصية بعصمة الله ، فكل ذلك بفضلِهِ ورحمته جل شأنه (٤) . والحمد لله رب العالمين على رحمته وفضله .

(١) المصدر السابق : ٢٩٧/١١ .

(٢) طرح التثريب : ٢٤١/٨ .

(٣) فتح البارى : ٢٩٧/١١ .

(٤) المصدر السابق : ٢٩٧/١١ .

١٣٧ - وقال : نهى رسول الله - ﷺ - عن بَيْعَتَيْنِ وَلِبَسَتَيْنِ ؛ أَنْ يَحْتَبِيَ أَحَدُكُمْ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ ، لَيْسَ عَلَى فَرْجِهِ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَأَنْ يَشْتَمِلَ فِي إِزَارِهِ إِذَا مَا صَلَّى ، إِلَّا أَنْ يَخَالَفَ بَيْنَ طَرَفَيْهِ عَلَى عَاتِقِهِ ؛ وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَنِ الْمَسِّ ^(١) وَالْإِلْقَاءِ ، وَالنَّجَشِ .

(١) م : اللمس .

• رواه أحمد (١٠٩/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ١٤١/٨٢٣٤) .

وروى البخارى نحوه أو نحو جزء منه فى مواضع :

فى (٩٦/١) - (٨) كتاب الصلاة - (١٠) باب ما يستمر من العورة - من طريق ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن أنس بن مالك (رقم ٣٦٧) .

ومن طريق سفيان ، عن أنس بن مالك ، عن الأعرج ، عن أنس بن مالك . وفيه « عن اللباس والتباعد » (رقم ٣٦٨) .

وفى (١٤٥/١) - (٩) كتاب مواقيت الصلاة - (٣٠) باب الصلاة بعد الفجر من طريق حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم ، عن أنس بن مالك (رقم ٥٨٤) .

وفى (٢٤٩/٢) - (٣٠) كتاب الصوم - (٦٦) باب صوم يوم الفطر - من طريق عمرو بن يحيى ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك (رقم ١٩٩١) .

وفى (٢٥/٣) - (٣٤) كتاب البيوع - (٦٢) باب بيع الملامسة - من طريق ابن شهاب عن عامر بن سعد ، عن أنس بن مالك - رضى الله عنه ولفظه « نهى عن المنابذة وهى طرح الرجل ثوبه للبيع إلى رجل قبل أن يقلبه وينظر إليه ، ونهى عن الملامسة ، واللامسة لمس الثوب لا ينظر إليه » (رقم ٢١٤٤) .

ومن طريق أيوب عن محمد ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه (رقم ٢١٤٥) .

وفى الباب الذى يليه ؛ (٦٣) باب بيع المنابذة - من طريق أنس بن مالك ، عن الأعرج ، عن أنس بن مالك (رقم ٢١٤٦) .

ومن طريق معمر ، عن الزهرى ، عن عطاء بن يزيد ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه (رقم ٢١٤٧) .

وفى (٤١/٧ - ٤٢) - (٧٧) كتاب اللباس - (٢٠) باب اشتغال الصماء - من طريق حبيب بن حفص ابن عاصم عن أنس بن مالك (رقم ٥٨١٩) .

ومن طريق ابن شهاب ، عن عامر بن سعد ، عن أبي سعيد السابق (رقم ٥٨٢٠) .

ولفظه « نهى رسول الله - ﷺ - عن لبستين ، وعن بيعتين ؛ نهى عن الملامسة والمنازمة في البيع ، واللامسة لمس الرجل ثوب الآخر بيده ، بالليل أو بالنهار ، ولا يقلبه إلا بذاك ، والمنازمة أن يبتذ الرجل إلى الرجل ثوبه ، ويبتذ الآخر ثوبه ، ويكون ذلك بيعهما من غير نظر ولا تراض ، واللبستان اشتغال الصماء ، والصماء أن يجعل ثوبه على أحد عاتقيه ، فيبدو أحد شقيه عليه ثوب ، واللبسة الأخرى احتباؤه بثوبه ، وهو جالس ليس على فرجه منه شيء . (رقم ٥٨٢٠) .

وفي الباب الذى يليه ؛ (٢١) باب الاحتباء في ثوب واحد من طريق مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة (رقم ٥٨٢١) .

ومن طريق ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن أبي سعيد (رقم ٥٨٢٢) .

وفي (١٤١/٧) - (٧٩) كتاب الاستئذان - (٤٢) باب الجلوس كيفما تسير من طريق الزهري ، عن عطاء بن يزيد ، عن أبي سعيد . (رقم ٦٢٨٤) .

وروى مسلم نحوه أو نحوه منه في (١١٥١/٣ - ١١٥٢) - (٢١) كتاب البيوع (١) باب إبطال بيع الملامسة والمنازمة - من طريق مالك عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة .

ومن طريق سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة .

ومن طريق عبيد الله بن عمر ، عن خبيب بن عبد الرحمن ، عن حفص بن عاصم ، عن أبي هريرة .

ومن طريق سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه عن أبي هريرة (كلها برقم : ١٥١١/١) .

ومن طريق عمرو بن دينار ، عن عطاء بن ميناء ، عن أبي هريرة أنه قال : نهى عن بيعتين : الملامسة والمنازمة ، أما الملامسة فأن يلمس كل واحد منهما ثوب صاحبه بغير تأمل ، والمنازمة أن يبتذ كل واحد منهما ثوبه إلى الآخر ، ولم ينظر واحد منهما إلى ثوب صاحبه (١٥١١/٢) .

ومن طريق ابن شهاب ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبي سعيد (رقم ١٥١٢/٣) .

شرح الحديث :

(١) - أن يحتبى أحدهم في الثوب الواحد ليس على فرجه منه شيء :

الاحتباء أن يقعد على اليتيه وينصب ساقيه ، ويلف عليه ثوباً ، ويقال له الحبوة ، وكانت من شأن العرب في مجالسهم ، فنهى عنه إذا أدى إلى انكشاف العورة بأن يكون عليه ثوب واحد قصير ، فإذا قعد على هذه الهيئة انكشفت عورته . وكذلك إذا كانت

عليه ثياب كثيرة ، وكلها قصيرة بحيث تنكشف عورته ، فإنه يكون داخلا في النهى ؛ لأن العلة واحدة ، وهى انكشاف العورة ، وذكر الثوب الواحد في الحديث خرج مخرج الغالب في أن الانكشاف إنما يكون مع الثوب الواحد دون الثياب الكثيرة ، وكشف العورة حرام بحضور الناس ، وكذا في الخلوة على الأصح إذا كان لغير حاجة ^(١) .

واقصر في الحديث على ذكر الفرج لفحشه ، ونبه به على ما سواه من العورة ، وقد تعلق به من ذهب إلى أن العورة السوأتان فقط ^(٢) .

وكره الصلاة محتبياً ابن سيرين ، وأجازها الحسن والنخعي وعروة ، وسعيد بن المسيب ، وعبيد بن عمير ^(٣) .

وكان سعيد بن جبير يصلى محتبياً ، فإذا أراد أن يركع حل حبوته ، ثم قام وركع ، وصلى التطوع محتبياً عطاء وعمر بن عبد العزيز ^(٤) .

(٢) - وأن يشتمل في إزاره إذا ما صلى إلا أن يخالف بين طرفيه على عاتقه :

قال ابن حجر : المراد أنه لا يتزر في وسطه ، ويشد طرفي الثوب في حقويه ، بل يتوشح بهما على عاتقيه ؛ ليحصل الستر لجزء من أعلى البدن ، وإن كان ليس بعورة ، أو لكون ذلك أمكن في ستر العورة ^(٥) .

وهذه الهيئة هى التى سميت باشتمال الصماء عند الفقهاء ، قال أبو عبيد : وأما الفقهاء فيقولون : هو أن يشتمل بثوب ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه ، فيضعه على أحد منكبيه .

(١) طرح التثريب : ١٠٣/٦ .

(٢) المصدر السابق : ١٠٣/٦ .

(٣) المصدر السابق : ١٠/٦ .

(٤) المصدر السابق : ١٠٣/٦ .

(٥) فتح البارى : ٤٧١/١ .

ويحرم الاشتغال المذكور إن انكشف بعض العورة ، وإلا فيكره وقد حكى بعض العلماء عن الحنابلة بطلان الصلاة إذا لم يكن على عاتقيه منه شيء (١) .

ويرى علماء اللغة أن المراد باشتغال الصماء هو أن يشتمل بالثوب حتى يجلل به صدره لا يرفع منه جانباً ، فسر بذلك الأصمعي وغيره ، قال ابن قتيبة : سميت صماء لأنه سد المنافذ كلها كالصخرة الصماء التي ليس فيها خرق ولا صدع .

وعلى هذا التفسير يكره الاشتغال المذكور لئلا تعرض له حاجة من دفع بعض الهوام ونحوها أو غيرها فيعسر عليه أو يتعذر فيلحقه الضرر .

ولكن الذى يدل على أن المعنى المراد هو ما قاله الفقهاء قوله - ﷺ : « على أحد شقيه » على إحدى الروايات ، وليس في تفسير أهل اللغة رفعه على أحد شقيه . وقوله في روايتنا : « إذا ما صلى » فإنه يدل على أن المعنى فيه الاحتياط للعورة لأجل الصلاة ، فإن معنى العجز عن الحركة والتصرف لا تعلق له بالصلاة وقوله : « إلا أن يخالف بين طرفيه على عاتقه » فإنه يدل على أن المعنى الاحتياط للعورة لئلا تنكشف ، وذلك يؤمن بالخالف بين طرفيه وربطه على عاتقه بخلاف معنى العجز عن الحركة فلا يزيده هذا إلا تأكيداً وشدة (٢) .

(٣) - ونهى رسول الله - ﷺ - عن المس والإلقاء :

وفي « م » ورواية أحمد : « نهى عن اللمس » وفي بعض الروايات - كما سبق في التخريج « نهى عن الملامسة والمنابذة » وهما « المس والإلقاء » هنا وقد فسرا في بعض الروايات بأن الملامسة لمس الرجل ثوب الآخر بيده ، بالليل أو بالنهار ، والمنابذة أن ينبذ الرجل إلى الرجل ثوبه ، وينبذ الآخر ثوبه ، ويكون ذلك بيعهما من غير نظر ولا تراض ، وهما من بيوع الجاهلية .

(١) حجاب المرأة المسلمة ولباسها في الصلاة ص ٥ .

(٢) طرح التثريب : ١٠٤/٦ .

قال ابن دقيق العيد : اتفق الناس على منع هذين البيعين ، واختلفوا في تفسير الملامسة ؛ ف قيل : هى أن يجعل اللمس بيعا بأن يقول : إذا لمست ثوبى فهو مبيع منك بكذا وكذا ، وهذا باطل للتعليق فى الصيغة ، وعدوله عن الصيغة الموضوعة للبيع شرعاً وقيل : تفسيرها أن يبيعه على أنه إذا لمس الثوب فقد وجب البيع وانقطع الخيار ، وهو أيضا فاسد بالشرط الفاسد . وفسره الشافعى - رحمه الله تعالى - بأن يأتى بثوب مطوى أو فى ظلمة فيلمسه الراغب ، ويقول صاحب الثوب : بعتك هذا بشرط أن يقوم لمسك مقام النظر ، وهذا فاسد ، وقيل : يتخرج على نفى شرط الخيار ، وأما المنابذة : فقد ذكر فى الحديث : أنها طرح الرجل ثوبه لا ينظر إليه (١) .

على أن بعض العلماء قد ذهب إلى صحة هذين البيعين إذا وصفا وإلا فلا ، وهذا قول الشافعى فى القديم ، وهو مذهب مالك وأحمد وأهل الظاهر (٢) .

(٤) - واستدل به على بطلان بيع الغائب ، وهو قول الشافعى فى الجديد ، وعن أبى حنيفة يصح مطلقا ويثبت الخيار إذا رآه ، وحكى عن مالك والشافعى أيضا ، وعن مالك يصح - إن وصفه وإلا فلا ، وهو قول الشافعى فى القديم وأحمد وإسحاق وأبى ثور وأهل الظاهر (٣) .

(٥) - كما استدل بهذا الحديث على بطلان بيع الأعمى مطلقاً ، وهو قول معظم الشافعية حتى من أجاز منهم بيع الغائب ؛ لكون الأعمى لا يراه بعد ذلك ، فيكون كبيع الغائب مع اشتراط نفى الخيار ، وقيل : يصح إذا وصفه له غيره ، وبه قال مالك وأحمد ، وعن أبى حنيفة يصح مطلقا على تفاصيل عندهم أيضا (٤) .

(٦) - سبق الكلام عن التجش وحكمه فى الحديث رقم (٦) صحيفة ١٨ من هذا الكتاب . والله أعلم .

(١) إحكام الأحكام : ١٢٦/٢ .

(٢) طرح التثريب : ١٠١/٦ .

(٣) فتح البارى : ٣٦٠/٤ .

(٤) المصدر السابق : ٣٦٠/٤ .

١٣٨ - وقال رسول الله ﷺ : - العجماء جرحها جبار ،
والبئر جبار ^(١) ، والمعدن جبار ، والنار جبار ، وفي الرّكاز الخمس .

(١) البئر جبار : ليست في م .

● رواه أحمد (١٠٩/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام (رقم ١٤٢/٨٢٣٥) وهو آخر حديث في صحيفة همام عنده . ولفظه « العجماء جرحها جبار ، والبئر جبار ، والمعدن جبار ، وفي الرّكاز الخمس » .

ولم يذكر : « النار جبار » .

وهو موافق لما هنا في ذكره كلمة « جرحها » ؛ « العجماء جرحها جبار ، ولكن ذكر الحافظ العراقي في تقريب الأسانيد أنه ليس في رواية همام : « جرحها » هذا على الرغم من أنه ينقل رواية أحمد في المسند ، ولعل نسخته ليس فيها ذلك (انظر تقريب الأسانيد : ص ٤٨) .

وروى البخاري في (١٣٧/٢) - (٢٤) كتاب الزكاة - (٦٦) باب في الرّكاز الخمس - من طريق مالك ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن نحوه دون ذكر « النار جبار » وفيه « العجماء جبار » دون « جرحها » . (رقم ١٤٩٩) .

وروى قبله : وقال مالك وابن إدريس : الرّكاز دفن الجاهلية في قليله وكثيره الخمس ، وليس المعدن بركاز ، وقد قال النبي ﷺ - : في المعدن جبار ، وفي الرّكاز الخمس ، وأخذ عمر بن عبد العزيز من المعادن كل مائتين خمسة ، وقال الحسن : ما كان من ركاز في أرض الحرب ففيه الخمس ، وما كان من أرض السّلم ففيه الزكاة ، وإن وجدت اللقطة في أرض العدو فعرّفها ، وإن كانت من العدو ففيها الخمس . وقال بعض الناس : المعدن ركاز مثل دفن الجاهلية ؛ لأنه يقال : أركز المعدن إذا خرج منه شيء ، قيل له : قد يقال لمن وهب له شيء أو ربح ربحاً كثيراً أو كثر ثمره أركزت ، ثم ناقض وقال : لا بأس أن يكتمه فلا يؤدي الخمس .

وفي (٧٥/٣) - (٤٢) كتاب المساقاة - (٣) باب من حفر بئراً في ملكه لم يضمّن - من طريق أبي حصين عن أبي صالح ، عن أبي هريرة (رقم ٢٢٥٥) .

وفي (٤٧/٨) - (٨٧) كتاب الديات ، (٢٩) باب العجماء جبار من طريق شعبة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، وفيه « العجماء عقلها جبار » وليس فيه ولا في الذي قبله ذكر « النار جبار » (رقم ٦٩١٣) .

قال البخاري بين يدي هذا الحديث : وقال ابن سيرين : كانوا لا يضمّنون من النّفحة ويضمّنون من ردّ العنان ، وقال حماد : لا تُضمّن النّفحة إلا أن ينخس إنسان الدابة وقال شريح : لا تضمّن ما عاقبت أن يضرها فتضرب برجلها ،

وقال الحكم وحماد : إذا ساق المكارى حماراً عليه امرأة فتخر لا شيء عليه ، وقال الشعبي : إذا ساق دابة فأتعبها فهو ضامن لما أصابت ، وإن كان خلقها مترسلاً لم يضمن .

وفي الباب الذى قبل هذا الباب : (٢٨) باب المعدن جبار والبئر جبار روى حديث ابن شهاب من طريق الليث عنه عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، وهو نفسه حديث مالك عن ابن شهاب . ولكن فيه « العجماء جرحها جبار » (رقم ٦٩١٢) .

وروى مسلم في (١٣٣٤/٣ - ١٣٣٥) - (٢٩) كتاب الحدود - (١١) باب جرح العجماء والمعدن والبئر جبار .. من طريق ليث عن ابن شهاب - كما عند البخارى (رقم ١٧١٠/٤٥) . وكذلك رواية يونس عن ابن شهاب (الرقم نفسه) .

ومن طريق الأسود بن العلاء ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : البئر جرحها جبار ، والمعدن جرحه جبار ، والعجماء جرحها جبار ، وفي الركاز الخمس .. (١٧١٠/٤٦) . كما روى حديث شعبه عن معاذ بن محمد بن زياد عن أبي هريرة . وقد روى البخارى حديث شعبه (نفس الرقم) .

وروى أبو داود في (٧١٦/٤ - ٧١٧) - (٣٣) كتاب الديات - (٣١) باب في النار تعدى - من طريق عبد الرزاق وعبد الملك الصنعاني عن معمر ، عن همام بن منبه عن أبي هريرة ، واقتصر على عبارة « النار جبار » . وكأنه أراد أن يثبت أن عبد الرزاق لم ينفرد بهذه العبارة عن معمر ، وأنه لم يهم فيها . وستناول هذا في الشرح . إن شاء الله تعالى (رقم ٤٥٩٤) .

وروى ابن ماجه في (٨٩٢/٢ - ٨٩٣) - (٢١) كتاب الديات - (٢٧) باب الجبار - عن أحمد بن الأزهر عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة ، واقتصر على قوله : « النار جبار ، والبئر جبار » (رقم ٢٦٧٦) .

شرح الحديث :

(١) - العجماء جرحها جبار : العجماء هي البهيمة ، وإنما سميت عجماء لأنها لا تتكلم ، فكل من لا يقدر على الكلام أصلاً فهو أعجم .

وجرحها : قال صاحب النهاية هو هنا بفتح الجيم على المصدر لا غير ؛ قاله الأزهري فأما الجرح بالضم فهو الاسم .

وجبار أى هدر لا ضمان فيه ، وهو من باب إطلاق اللفظ على ضده كالسليم يطلق على المريض ، أو إطلاق اللفظ على معناه أى يجبر صاحبها ولا يقهر فى دفع تعويض ما أتلفه (١) .

قال الإمام الترمذى فى تفسير هذه العبارة : ومعنى قوله « العجماء جرحها جبار » فسر ذلك بعض أهل العلم قالوا : « العجماء الدابة المنفلتة من صاحبها ، فما أصابت فى انفلاتها فلا غرم على صاحبها (٢) » .

وهذه العبارة عامة ولكن يراد بها الخصوص إذ ليس كل ما تتلفه الدابة هدر لا تعويض فيه ، وقد بين ذلك الإمام النووى فقال : فأما قوله - ﷺ - : العجماء جرحها جبار فمحمول على ما إذا أتلفت شيئا بالنهار أو بالليل بغير تفريط من مالها ، أو أتلفت شيئا وليس معها أحد ، فهذا غير مضمون ، وهو مراد الحديث ، فأما إذا كان معها سائق أو قائد أو راكب فأتلفت بيدها أو برجلها أو فمها أو نحوه وجب ضمانه فى مال الذى هو معها ، سواء كان مالكا أو مستأجرا ، أو مستعيرا أو غاصبا ، أو مودعا أو وكىلا أو غيره ، إلا أن تتلف آدميا فتجب دية على عاقلة الذى معها ، والكفارة فى ماله .

والمراد بجرح العجماء إتلافها ، سواء كان بجرح أو غيره . قال القاضى (عياض) : أجمع العلماء على أن جنابة البهائم بالنهار لا ضمان فيها إذا لم يكن معها أحد ، فإن كان معها راكب أو سائق أو قائد فجمهور العلماء على ضمان ما أتلفته ، وقال داود وأهل الظاهر : لا ضمان بكل حال إلا أن يحملها الذى هو معها على ذلك أو يقصده ، وجمهورهم على أن الضارية من الدواب كغيرها على ما ذكرناه ، وقال مالك وأصحابه : يضمن مالها ما أتلفت ، وكذا قال أصحاب الشافعى يضمن إذا كانت معروفة بالإفساد ؛ لأن عليه ربطها والحالة هذه ، وأما إذا أتلفت ليلا فقال مالك :

(١) طرح التثريب : ١٧/٤ .

(٢) سنن الترمذى : ٦٥٣/٣ .

يضمن صاحبها ما أتلفته ، وقال الشافعي وأصحابه : يضمن إن فرط في حفظها ، وإلا فلا ، وقال أبو حنيفة : لا ضمان فيما أتلفته البهائم ؛ لا في ليل ولا في نهار ، وجمهورهم على أنه لا ضمان فيما رعته نهارا . وقال الليث وسحنون : يضمن ^(١) .

والفرقة بين الليل والنهار جاء به بعض الأحاديث ، فقد روى أبو داود والنسائي وابن ماجه من رواية الزهري ، عن حرام بن محيصة الأنصاري ، عن البراء بن عازب قال : كانت له ناقة ضارية ، فدخلت حائطا . فأفسدت فيه ، فكلم رسول الله - ﷺ - فيها فقضى أن حفظ الحوائط بالنهار على أهلها ، وأن حفظ الماشية بالليل على أهلها ، وأن على أهل المواشي ما أصابت ماشيتهم بالليل ^(٢) .

(٢) - والبئر جبار : معناه أن من يحفر بئرا في ملكه ، أو في موات ، فيقع فيها إنسان أو غيره ويتلف فلا ضمان ، وكذا لو استأجره لحفرها فوقعت عليه فمات فلا ضمان ، أما إذا حفر البئر في طريق المسلمين أو في ملك غيره بغير إذن فتلّف فيها إنسان وجب ضمانه على عاقلة حافرها والكفارة في ماله ^(٣) . قال الإمام مالك : والأمر عندنا في الذي يحفر البئر على الطريق أو يربط الدابة ، أو يصنع أشباه هذا على طريق المسلمين أن ما صنع من ذلك مما لا يجوز له أن يضعه على طريق المسلمين فهو ضامن لما أصيب في ذلك من جرح أو غيره ، فما كان من ذلك عقله دون ثلث الدية فهو في ماله خاصة ، وما بلغ الثلث فصاعدا فهو على العاقلة ، وما صنع من ذلك مما يجوز له أن يصنعه على طريق المسلمين فلا ضمان عليه فيه ولا غرم ، ومن ذلك البئر يحفرها الرجل للمطر ، والدابة ينزل عنها الرجل للحاجة ، فيَقِفُها على الطريق فليس على أحد في هذا غرم ^(٤) .

(١) شرح مسلم للنووي : ٢٩٨/٤ - ٢٩٩ .

(٢) طرح التتريب : ١٩/٤ .

(٣) طرح التتريب : ٢٠/٤ .

(٤) الموطأ : ٨٦٩/٢ .

ونبه أبو عبيد إلى صورة أخرى ، وهى البئر العادية القديمة التى لا يعلم لها مالك تكون فى البادية فيقع فيها إنسان أو دابة فلا شئ فى ذلك على أحد ^(١) .

قال ابن بطلال : وخالف الحنفية فى ذلك فضمنوا حافر البئر مطلقا قياسا على راكب الدابة ولا قياس مع النص ^(٢) .

قال ابن حجر : ويلتحق بالبئر كل حفرة على التفصيل المذكور ^(٣) .

(٣) - والمعدن جبار : معناه : إذا حفر معدنا فى ملكه أو فى موات فوق شخص فيها ومات لا يضمه ، بل دمه هدر ، وكذلك لو استأجر أجرا يعملون فيها فوقعت عليهم وماتوا لا ضمان عليه فى ذلك ، ويلتحق بذلك كل أجير استؤجر على عمل كان ذلك العمل سبب هلاكه ، كمن استؤجر على صعود نخلة فوقع منها ، ونحو ذلك ^(٤) .

(٤) - والنار جبار : هذه العبارة انفرد بها معمر عن همام ، ولم ينفرد بها عبد الرزاق حيث وجدنا عند أبى داود متابعة له ، وقال بعضهم إنها تصحيف والأصل فيها البئر جبار فصحفت إلى ذلك لأن أهل اليمن يكتبون ألف « النار » ياء . قال ابن العرى : اتفقت الروايات المشهورة على التلفظ بالبئر ، وجاءت رواية شاذة بلفظ « النار جبار » بنون وألف ساكنة قبل الراء ، ومعناه عندهم أن من استوقد نارا مما يجوز له فتعدت حتى أتلقت شيئا فلا ضمان عليه . قال : وقال بعضهم : صحفها بعضهم ؛ لأن أهل اليمن يكتبون النار بالياء لا بالألف فظن بعضهم « البئر » الموحدة « النار » بالنون ، فرواها كذلك ، ونسب هذا إلى يحيى بن معين ، وجزم بأن معمرأ صحفه حيث رواه عن همام عن أبى هريرة .

(١) فتح البارى : ٢٥٥/١٢ .

(٢) المصدر السابق : ٢٥٥/١٢ .

(٣) المصدر السابق : ٢٥٥/١٢ .

(٤) طرح التريب : ٢٠/٤ .

ورد عليه ابن عبد البر فقال : لم يأت ابن معين على قوله بدليل ، وليس بهذا ترد أحاديث الثقات . ولكن ابن حجر ينتصر لرأى ابن معين بقوله : ولا يعترض على الحفاظ الثقات بالاحتمالات ، ويؤيده ما قال ابن معين : اتفاق الحفاظ من أصحاب أبي هريرة على ذكر البئر دون النار ، وقد ذكر مسلم أن علامة المُنْكَر في حديث المحدث أن يعتمد إلى مشهور بكثرة الحديث والأصحاب فيأتى عنه بما ليس عندهم ، وهذا من ذاك ، ويؤيده أيضا أنه وقع عند أحمد من حديث جابر بلفظ والجُبُّ جبار ، وهى البئر ^(١) .

نقول : إن هذا من باب الزيادة على الثقات ، والزيادة إذا كانت من ثقة فهى مقبولة عند المحدثين ، ففى الرواية ذكر « البئر » وهم فيها موافقون للثقات ، ثم زادت ذكر النار . قال ابن العراق : قد جمع النسائى بين ذكر النار والبئر فى حديث واحد ، وذلك يدل على ورودهما ، وأنه ليس أحدهما تصحيحا من الآخر ^(٢) .

على أن النقاد مضطربون فى ذلك ، فبعضهم يقول : صحف فيه معمر ، كما مر ، وبعضهم يقول غلط فيه عبد الرزاق ، قال الخطائى : لم أزل أسمع أصحاب الحديث يقولون غلط فيه عبد الرزاق ، إنما هو (البئر جبار) حتى وجدته لأبى داود عن عبد الملك الصنعانى عن معمر فدل أن الحديث لم ينفرد به عبد الرزاق .

ثم يبين الخطائى معنى هذه العبارة فقال : إن صح الحديث على ما روى فإنه متأول على النار يوقدها الرجل فى ملكه لأرب له فتطير بها الريح ، فتشعلها فى بناء أو متاع لغيره من حيث لا يملك ردها ، فيكون هدرا غير مضمون عليه . والله أعلم ^(٣) .

(٥) - وفى الركاز الخمس : قال ابن دقيق العيد : وأما الركاز فالمعروف فيه عند الجمهور أنه دفن الجاهلية ^(٤) . وقال الزهرى وأبو عبيد : الركاز المال المدفون والمعدن

(١) فتح البارى : ٢٥٥/١٢ - ٢٥٦ .

(٢) طرح التثريب : ٢٠/٤ .

(٣) هامش سنن أبى داود : ٧١٦/٤ - ٧١٧ .

(٤) إحكام الأحكام : ٧/٢ .

جميعاً ، وفيهما جميعاً الخمس ^(١) . وقد أوجب الحنفية الخمس فيه بناء على هذا المعنى ، وجعلوه فيئاً ^(٢) .

وقد حصره الشافعي فيما يوجد في الموات ، بخلاف ما إذا وجد في طريق مسلوكة أو مسجد فهو لقطه ، وإذا وجد في أرض مملوكة ؛ فإن كان المالك الذي وجده فهو له ، وإن كان غيره ؛ فإن ادعاه المالك فهو له ، وإلا فهو لمن تلقاه عنه إلى أن ينتهي الحال إلى من أحصى تلك الأرض . قال ابن دقيق العيد موضحاً هذا : وعند الشافعية أن الأرض إن كانت مملوكة للمالك محترم مسلم أو ذمي فليس بركاز ، فإن ادعاه فهو له ، وإن نازعه منازع فالقول قوله ، وإن لم يدعه لنفسه عرض على البائع ، ثم على بائع البائع حتى ينتهي الأمر إلى من عمّر الموضع ، فإن لم يعرف فظاهر المذهب أنه يجعل لقطه . وقيل : ليس بلقطه ، ولكنه مال ضائع يسلم إلى الإمام ويجعله في بيت المال ، وإن وجد الركاز في أرض عامرة لحرى فهو كسائر أموال الحرى إذا حصلت في أيدي المسلمين ، وإذا وجد في موات دار الحرب فهو كموات دار الإسلام عند الشافعي للواحد أربعة أخماسه ^(٣) .

واختلف العلماء في مصرفه ، فقال مالك وأبو حنيفة والجمهور مصرفه مصرف الفىء ، وهو اختيار المزني ، وقال الشافعي في أصح قوليّه : مصرفه مصرف الزكاة ، وعن أحمد روايتان ، وينبئ على ذلك ما إذا وجد ذمي ، فعند الجمهور يخرج منه الخمس ، وعند الشافعي لا يؤخذ منه شيء ^(٤) .

ويستدل بالحديث على أنه لا يجب الحول في إخراج زكاة الركاز ، ولا خلاف فيه عند الشافعي كالغنيمة والمعشرات ، وله في المعدن اختلاف قول في اعتبار الحول . والفرق

(١) طرح التريب : ٢١/٤ .

(٢) المصدر السابق : ٢٥/٤ .

(٣) إحكام الأحكام : ٧/٢ ، ٨ .

(٤) فتح الباري : ٣٦٥/٣ .

أن الركاز يحصل جملة من غير كد ولا تعب ، والنماء فيه متكامل ، وما تكامل فيه النماء لا يعتبر فيه الحول ؛ فإن الحول مدة مضروبة لتحصيل النماء ، وفائدة المعدن تحصل بكد وتعب شيئا فشيئا ، فيشبه أرباح التجارة ، فيعتبر فيها الحول ^(١) .

ويدل الحديث كذلك على أنه لا فرق في الركاز بين القليل والكثير ، ولا يعتبر فيه النصاب وقد اختلف في ذلك ^(٢) .

والله تعالى أعلم

★ ★ ★

(١) إحكام الأحكام : ٧/٢ .

(٢) المصدر السابق : ٧/٢ .

١٣٩ - وقال رسول الله - ﷺ - : أَيَّمَا قَرْيَةٍ أَتَيْتُمُوهَا ، وَأَقَمْتُمْ ، فِيهَا مَسْهَمَكُمْ ^(١) - وَأَظَنَّهُ قَالَ : فَهِيَ لَكُمْ ، أَوْ نَحْوَهُ مِنَ الْكَلَامِ ، وَأَيَّمَا قَرْيَةٍ عَصَتْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ خُمُسَهَا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، ثُمَّ هِيَ لَكُمْ ^(٢) .

(١) م : فسهمكم . (٢) م زيادة : بعد .

• رواه عبد الرزاق في المصنف (١٠٤/٦) كتاب أهل الكتاب - ما أخذ من الأرض عنوة - عن معمر ، عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله - ﷺ - : أَيَّمَا قَرْيَةٍ أَتَيْتُمُوهَا فَسَهْمَكُمْ فِيهَا ، أَوْ كَلِمَةً تَشْبِيهَا - وَأَيَّمَا قَرْيَةٍ عَصَتْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَرْضُهَا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ - ﷺ - ثُمَّ هِيَ لَكُمْ . (رقم ١٠١٣٧) .

ورواه أحمد (٩٣/١٦) ضمن روايته لصحيفة همام ، ولفظه « أَيَّمَا قَرْيَةٍ أَتَيْتُمُوهَا فَأَقَمْتُمْ فِيهَا فَسَهْمَكُمْ فِيهَا ، وَأَيَّمَا قَرْيَةٍ عَصَتْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنْ خَمَسَهَا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، ثُمَّ هِيَ لَكُمْ » . (رقم ١٠٧/٨٢٠٠) .

ورواه مسلم (١٣٧٦/٣) - (٣٢) كتاب الجهاد والسير - (١٥) باب حكم الفئ - عن أحمد بن حنبل ومحمد بن رافع عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام به .

ورواه أبو داود (٤٢٧/٣) في (١٤) كتاب الخراج والإمارة والفئ - (٢٩) باب في إيقاف أرض السواد وأرض العنوة - عن أحمد بن حنبل عن عبد الرزاق به (رقم ٣٠٣٦) .

ورواه البيهقي في (٩٥/١١) في الجهاد - باب حل الغنيمة لهذه الأمة - بسنده للصحيفة هو وحديثين للصحيفة ، رقمي (٤٣ ، ١٢٤) وقال : هذه أحاديث متفق على صحتها . (رقم ٢٧١٩) .

ورواه أبو عبيد في الأموال (ص ٧٢) تعليقا فقال : يروى عن هشام ، عن معمر ، عن همام بن منبه قال : حدثنا أبو هريرة - فذكر أحاديث عن رسول الله - ﷺ - قال : وقال رسول الله - ﷺ - : أَيَّمَا قَرْيَةٍ أَتَيْتُمُوهَا وَأَقَمْتُمْ فِيهَا فَسَهْمَكُمْ فِيهَا ، وَأَيَّمَا قَرْيَةٍ عَصَتْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنْ خَمَسَهَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، ثُمَّ هِيَ لَكُمْ . (رقم ١٤٥) . وهذه متابعة لعبد الرزاق .

ورواه البيهقي في (٣١٨/٦) كتاب قسم الفئ والغنيمة - جماع أبواب تفريق القسم - باب قسمة ما حصل من الغنيمة من دار وأرض وغير ذلك من المال أو شيء - من طريق أبي بكر القطان عن أحمد بن يوسف (السلمي) عن عبد الرزاق ، عن معمر عن همام عن أبي هريرة ، عن رسول الله - ﷺ - قال : أَيَّمَا قَرْيَةٍ أَتَيْتُمُوهَا ، وَأَقَمْتُمْ فِيهَا فَسَهْمَكُمْ أَظَنَّهُ قَالَ : فَهِيَ لَكُمْ ، أَوْ نَحْوَهُ مِنَ الْكَلَامِ ، وَأَيَّمَا قَرْيَةٍ عَصَتْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنْ خَمَسَهَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، ثُمَّ هِيَ لَكُمْ . ثم قال البيهقي : رواه مسلم في الصحيح ، عن أحمد بن حنبل ، عن عبد الرزاق وقال في منته : أَيَّمَا قَرْيَةٍ أَتَيْتُمُوهَا ،

فأقمتم فيها فسهمكم فيها (ورواه) محمد بن رافع وغيره عن عبد الرزاق وقال في متنه : « فسهمكم فيها » ، فيحتمل أن يكون المراد به فسهمكم أى سهم المصالح من مال الفىء ، ثم ذكر بعده ما فتح عنوة .

ويلاحظ أن في « م » وكل الروايات ما عدا روايتنا ورواية البغوى : « فسهمكم فيها » والأمر كذلك عند البيهقى الذى يلتقى في سند الصحيفة ابتداء من أبى بكر القطان .

أما روايتنا ورواية البغوى ففيها « مسهمكم » ولكن المعنى في جملة المتن واحد وإن كان بعضه أوضح من بعض . هذا وقد روى البيهقى رواية أخرى لهذا الحديث في (١٣٩/٩) - كتاب السير - باب من رأى قسمة الأراضى المغنومة ولمن يرها - من طريق قتادة ، عن أبى رافع ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله - ﷺ - قال : أيما قرية افتتحها الله ورسوله فهى لله ورسوله . وأيما قرية افتتحها المسلمون عنوة فخمسها لله ورسوله ، وبقيتها لمن قاتل عليها . قال البيهقى : وقد رويناه في كتاب القسم من حديث همام بن منبه عن أبى هريرة - رضى الله عنه بمعناه . (وهى الرواية التى ذكرناها سابقا) .

والحق أن هناك فرقا بين الروايتين ، فهذه الرواية في جزئها تفيد أن الأرض إذا افتتحت صلحا تكون جميعها لله ورسوله ، ومعنى ذلك أن يأخذها الحاكم يتصرف فيها ، بينما الأمر هنا أنها تكون للمقاتلين . والله أعلم .

شرح الحديث :

(١) - قال القاضى عياض : يحتمل أن يكون المراد بالأولى الفىء الذى لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، بل جلا عنه أهله ، أو صالحوا عليه فيكون سهمهم فيها أى حقهم من العطايا كما يصرف الفىء ، ويكون المراد بالثانية ما أخذ عنوة ، فيكون غنيمة يخرج منه الخمس وباقيه للغانمين ، وهو معنى قوله : « ثم هى لكم » أى باقياها ^(١) .

(٢) - وقد يحتاج بهذا الحديث من لم يوجب الخمس في الفىء ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يذكر الخمس إلا في القرية العاصية التى لم تؤخذ الغنيمة منها إلا بإيجاف الخيل والركاب ، وقال في الأولى إن سهم المستولى عليها جار فيها من غير استثناء شىء ، وبهذا قال أبو حنيفة ومالك وأحمد والجمهور ^(٢) .

(١) شرح مسلم للنووى : ٣٦١/٤ .

(٢) طرح التثريب : ٢٥٠/٧ .

وأوجب الشافعي الخمس في الفء كما أوجبوه كلهم في الغنيمة . قال ابن المنذر :
لا نعلم أحداً قبل الشافعي قال بالخمس في الفء .

قال ابن العراقي : والذي قاله الشافعي هو ظاهر القرآن في قوله تعالى : (ما أفاء
الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل) ، فلفظ التنزيل في القسمين متحد ، فما وجه تفرقة الجمهور بينهما ^(١) ؟
(٣) - استدلل به على أن أرض العنوة حكمها حكم سائر الغنيمة ؛ لأن
خمسها لأهل الخمس وأربعة أخماسها للغنائم ^(٢) . والله أعلم .

تمت صحيفة همام بن منبه عن أنى هريرة - رضى الله عنه بعون من الله وفضله ^(٣)

★ ★ ★

(١) المصدر السابق : ٢٥٠/٧ .

(٢) المصدر السابق : ٢٥١/٧ .

(٣) في « ط » : آخر مخطوطة دمشق : آخر الصحيفة والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد
خير خلقه ، وعلى آله الطيبين وأصحابه المنتجبين ، وكُرِّمَ إلى يوم الدين وكاتب الجزء مالكه الفقير إلى رحمة الله
وعفوه عبد الرحيم بن حمدان بن بركات حامداً لله تعالى .

وفي آخر مخطوطة برلين : آخر الصحيفة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليماً فرغ منها كتابة الفقير إبراهيم بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الحنفى الجيثمى الأصل الدمشقى
الدار في نهار الاثنين سابع عشر ربيع الأول سنة مائة وألف وعلقها لنفسه ولمن شاء الله تعالى من بعده من خط
العلامة إسماعيل بن إبراهيم بن جماعة ، وتاريخ كتابته لها يوم الجمعة ١٦ من ربيع الأول سنة ٨٥٦ رحمه الله تعالى
رحمة واسعة آمين .

الفهارس

فهرس الآيات مرتباً على حسب السور

ص	اسم السورة	الآية
٣٢	الفاتحة	٧ غير المغضوب عليهم ولا الضالين
٢٥	البقرة	٣٠ إني أعلم ما لا تعلمون
٢٥	»	» أتجعل فيها من يفسد فيها
١٥٦	»	» إني جاعل في الأرض خليفة
١٥٧	»	٣٧ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه
٤٨	»	٢٦ بعوضة فما فوقها
٦٧١	»	ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
٦٢	»	٦٢ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر
٥٦٩	»	٥٨ وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب
٧٣	»	٩٦ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة
٤٩٨	»	١١٦ وقالوا اتخذ الله ولداً
٣٢٣	»	١٧٧ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن
٢٢٥	»	١٨٦ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب
١١٧	»	١٨٦ أجب دعوة الداع إذا دعان
١٠٣	»	١٨٩ يسألونك عن الأهلة
٥٢٥	»	٢٠٥ وإذا تولى سعى في الأرض
١٠٣	»	٢٢٢ ويسألونك عن المحيض
٤٣٨	»	٢٢٤ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم
٤٣٦	»	٢٢٥ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم
١٩٣	»	٢٢٥ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
١٣	»	٢٢٩ ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون
٤٦٣	»	٢٣٣ لا تضارر والدته بولدها ، ولا مولود له بولده
٨٨	»	٢٤٥ والله يقبض ويمسك
٨٤	»	٢٥٨ فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
٣٥٤	»	٢٦١ والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم
٤٨٢	»	» والله يضاعف لمن يشاء
٤٨٢	»	» كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة

ص	اسم السورة	الآية
٣٢٧	البقرة	أنفقوا من طيبات ما كسبتم
٣٢٢	»	لا يسألون الناس إلحافاً
٤٧٨	»	لا يكلف الله نفساً إلا وسعها
١٩٤	»	لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
١٠٢	»	لا يكلف الله نفساً إلا وسعها
٣٥٣	آل عمران	ويحذركم الله نفسه
٦٤١	»	وإذا قالت الملائكة يا مريم
٦٦٢	»	إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه ، وهذا النبي
٢٦٦	»	وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً
٤١١	»	ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه
١٠٢	»	اتقوا الله حق تقاته
٤٦٧	»	ليس لك في الأمر شيء
٤٦٨	»	ليس لك في الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون
٩٤	»	وتلك الأيام نداولها بين الناس
٩٣	»	وتلك الأيام نداولها بين الناس
٢٣٢	»	يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا
٣٠٨	»	ولا يحسبن الذين يدخلون بما آتاهم الله من فضله
٣١١	»	سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة
٢٩٩	»	كل نفس ذائقة الموت
٤٨	النساء	فإن كن نساء فوق اثنتين
٣٧٢	»	من فتياتكم المؤمنات
٤٧٦	»	إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً
٣٩٨	»	إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
٦٦	»	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم
٧٤	»	أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم
٧٥	»	أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم
٧٥	»	من يطع الرسول فقد أطاع الله
٢١١	»	وإذا حُيِّمَ بتحية فحياً بأحسن منها أو رُدُّوها
٢١١	»	فحياً بأحسن منها أو رُدُّوها
١٥٤	»	وكلم الله موسى تكليماً
٢٩٣	المائدة	إذا قمتم إلى الصلاة
٤٠٦	»	والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما

ص	الآية	اسم السورة
٣٩٦	إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ..	المائدة
١٥٤ ، ١٥٥	يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ ..	»
٧٣	قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ..	الأنعام
٦٤	مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ..	»
٤٠٩	وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ ..	»
٣٥٥	وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ..	»
٢١٠	فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ..	»
٥٠١	بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ..	»
١٢	كَذَلِكَ زِينَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ..	»
٣٠٦	وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشٌ ..	»
٤٧٩ ، ٤٧٨	سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ..	»
٢٦٦	قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ..	»
٣٥٤	مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا ..	»
٤٩٦	وَمِنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِي إِلَّا مِثْلُهَا ، وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ..	»
١٩٠	مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا ..	»
١٩٣	وَمِنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِي إِلَّا مِثْلُهَا ..	»
٣٧٥	حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ..	الأعراف
٣٨١	وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ ..	»
٢٠١	وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ..	»
٢٣٧	يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى ..	»
٢٦٦	شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ..	»
٢٦٦	أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى ..	»
١١٠	وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ..	»
٦٠٦	فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ..	»
١٠٣	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ..	الأنفال
٦٢٣	فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ..	»
٥٣٩	قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ..	»
١٤٦	فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرُّسُولِ ..	»
١٧٦	فَاغْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ..	التوبة
١٧٧	حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ..	»
٣٠٩	وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ..	»
٣١٠	وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ..	»

ص	اسم السورة	الآية
٣١١	التوبة	٣٤ والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
٣٠٨	»	» والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيبشرهم بعذاب أليم
٣١٢	»	» والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيبشرهم بعذاب أليم
١٢٠	»	٥١ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا
٤٨٢	»	٨٠ إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم
	»	١٠٠ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان رضى الله
٦		عنهم
٢٥٨	»	١١٨ وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه
١٨٢	يونس	٢ لهم قدم صدق عند ربهم
٧٣	»	٧ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها
٢٤٨	»	٣٠ هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت
٤٧٩	»	٤٤ إن الله لا يظلم الناس شيئاً
١٠٣	»	٩٤ فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك
٢٧٣	هود	٣٦ أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن
٤١٣	»	٤٢ يا بني اركب معنا
١٩٨	»	٨٠ لو أن لى بكم قوة
٣٦٩	يوسف	٢٣ إنه رى أحسن متواى
٣٧٢ ، ٣٧٠	»	٢٥ وألقيا سيدها لدى الباب
٣٧٢ ، ٣٦٩	»	٤٢ اذكرنى عند ربك
٣٦٩	»	٥٠ ارجع إلى ربك
٣٣٧	»	٨٨ مسنا وأهلنا الضر
٦٧١	»	٦٧ وما أغنى عنكم من الله من شئ
٦٧١	»	٦٨ وإنه لذو علم لما علمناه
٤٦٥	»	١٠٠ من بعد أن نزع الشيطان بينى وبين إخوتى
٣٣٨	»	١٠١ توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين
٢١٠	الرعد	٢٤، ٢٣ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم
٣٠٢	إبراهيم	٢٤ ضرب الله مثلاً كلمة طيبة
٣٤٣	»	» ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت
٣٩٤	النحل	١ أتى أمر الله
٦٧٠	»	٣٢ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
١٠٣	»	٤٣ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون
٢٨٢	»	٥٨ وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً

اسم السورة	الآية	ص
النحل	٧٥	عبداً مملوكاً ٣٧٢
»	٧٨	والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ٢٦٢
»	٩٦	ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ ١٤٣
»	١٢٤	إنما جعل السبب على الذين اختلفوا فيه ٦
»	٦٨	وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ٥٦١
»	١٢٦	وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ٤٥٦
الإسراء	١٥	وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولاً ٢٧١
»	»	وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولاً ٤١٠
»	٥٥	وأتينا داود زبوراً ١٦٥
»	٥٧	يبتغون إلى ربهم الوسيلة ٣٥٥
»	٦٩	ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً ٢٤٣
الكهف	٢٤، ٢٣	ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ٧١
»	٦٥	آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه ٥٦٠
»	٧١	لقد جئت شيئاً لأمراً ٥٥٩
»	٧٤	شيئاً نكراً ٥٥٩
»	٧٩	أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ٣٢٥
»	٨٢	وما فعلته عن أمرى ٥٦٠
»	١٠٤	وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ٢٥٠
مريم	٦٢	ولهم رزقهم فيها بكرةً وَعَشِيّاً ٣٨٢
»	١٢	يا يحيى خذ الكتاب بقوة ٤١٣
»	١٦	واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ٦٦١
»	٢٣	ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ٣٣٧
طه	٤١	واصطنعتك لنفسى ٢٢٤
»	٥٠	ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ٢٦٢
»	٥٢	علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ٤٧
»	١١٧	فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ١٥٣
الأنبياء	٢٨	ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ٣٠
آل عمران	١٨٥	كل نفس ذائقة الموت ٢٩٩
الأنبياء	٣٥	كل نفس ذائقة الموت ٢٩٩
العنكبوت	٥٧	كل نفس ذائقة الموت ٢٩٩
الأنبياء	٨٣	وأيوب إذ نادى ربه أنى مستى الضر ١٦٠
»	٣٤	وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ٥٦٣، ٥٦٢

ص	اسم السورة	الآية
٤٧١	الأنبياء	٩٥
١٩٣	الحج	٢٥
١٠٢	»	٧٨
١٩٢	»	١٩
٤٣٨	»	٢٢
٤٧٩	»	٣٠
٣٧٢	»	٣٢
٦٧١	الفرقان	٢٣
١٥٦	القصص	١٦
٤٠٩	»	٢٣
٧٣	العنكبوت	١٥
٢٥٩	الروم	٣٠
٢٦١	»	»
٢٦٣	»	»
٣٤٩	»	٣٢
٢٢٣	لقمان	٣٤
٩٧	السجدة	١٧
٩٩	»	»
٢٨٥	الأحزاب	٢١
٦١٢، ٦١١	»	٦
٤٨٣، ٤٩٦	»	٣٠
١٩٣	»	»
٢٢٧	»	٦٩
٢٣١	»	»
١٤٣	سبأ	٣٩
٣٠٢	فاطر	١٠
٢٢٦	»	١١
٤٧٧	»	٢٨
٥٢٥	يس	٢٠
٤٩٩	»	٧٨
٣٦٠	الصفافات	٦٥
٢١٠	»	٧٩
٥٢٥	»	١٠٢

ص	الآية	اسم السورة
٦٠	إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ	الزمر
٣٧٥	وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا	»
٩٨	مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يَطَاعُ	غافر
٤٦٥	لَعَلَىٰ أُبُلَغَ الْأَسْيَابِ . أَسْيَابَ السَّمُوتِ فَأُطْلِعَ	»
٩٨	يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ	»
٢٢٣	وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ	»
٥٣٢	فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمُوتٍ	فصلت
٤٦	فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمُوتٍ	»
٢٥٨	وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَأَيْتُمْ فَاصْبِرْ لِمَنِ الْخَاسِرِينَ	»
٢٩	وَالْمَلَائِكَةُ يَسْبِحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ	الشورى
١٨٢	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ	»
٢٤٨	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ	»
٢٥٧	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ	»
٢٥٧	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ	»
٣٥٠	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ	»
٥٣٦	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ	»
١٦٤	أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا	»
٥٧٧	وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا أَحْيَاتُ الدُّنْيَا مَوْتٌ وَنَحْيَا وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ	الجاثية
٥٩٨	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْفِ	فصلت
٥٥٥	وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ	محمد
٢٥٨	الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ	الفتح
٩٧	يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ	»
١٦٠	يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ	»
١٧	إِنْ بَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ	الحجرات
١٩٢	إِجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ	»
٣٤٢	إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ	»
٢٢٨	قَالَتِ الْأَعْرَابُ	»
٥٩١	وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ	ق
١٨٠	يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ	»
٩٨	إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ	»
٦١٩	وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ	الحجرات
٦٦	وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى	النجم
٤٧٦	الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ . إِنْ رَبُّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ	»
٥٢٥	وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى	»

ص	الآية	اسم السورة
٣٧٦	بطائنها من استبرق	الرحمن ٥٤
٣٨١	كأنهن الياقوت والمرجان	» ٥٨
١٥	وظل ممدود	الواقعة ٣٠
٤٧	كتب الله لأغلبن	المجادلة ٢١
٦٨٨	ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذی القرى	الحشر ٧
	هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم	الجمعة ٢
٦٦	الكتاب والحكمة	
٥٢٥	يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله	» ٩
٥٣٢	فإذا قضيت الصلاة	» ١٠
١٠٢	فاتقوا الله ما استطعتم	التغابن ١٦
١١٨	ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير	الملك ١٤
٤٩٦	ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير	» ١٤
٢٧٢	يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون	القلم ٤٢
	رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ،	نوح ٢٧، ٢٦
٢٧٣	ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً	
٢٠٤	عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ، إلا من ارتضى من رسول	الجن ٢٧، ٢٦
١٢٢	علم أن لن تحصوه	المزمل ٢٠
٤٧٩	بل الإنسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره	القيامة ١٥، ١٤
٢١٩	وما تشآءون إلا أن يشآء الله	الإنسان ٣٠
٢١٩	وماتشآءون إلا أن يشآء الله	التكوير ٢٩
٤٩١	والمرسلات عرفاً	المرسلات ١
٥٢٥	ثم أدبر يسعى	النازعات ٢٢
٤٧٥	ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى	» ٤٠
٥٢٥	وأما من جاءك يسعى ، وهو يخشى	عبس ٩ ، ٨
١٩	وفى ذلك فليتنافس المتنافسون	المطففين ٢٦
٢٦٢	الذى خلق فسوًى والذى قَدَّرَ فهدى	الأعلى ٣ ، ٢
٤٨٨	سبح اسم ربك الأعلى	» ١
٤٤٩	خاب من دسآها	الشمس ١٠
٥٢٥	إن سعيكم لَشَتَّى	الليل ٤
٤٨٨	والليل إذا يغشى	» ١
٢٤٠	ووجدك عائلاً فأغنى	الضحى ٨
٤٨٨	اقرأ باسم ربك	العلق ١
٦٠	ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر	القدر ٣
٤٨٦	إنا أعطيناك الكوثر	الكوثر ١
٤٨٦	إذا جاء نصر الله والفتح	النصر ١

فهرس الأحاديث الشريفة

(١) الأحاديث القدسية

٤٩٥ إذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها
٤٩٦ إذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها ما لم يعملها
١٨٨ إذا تحدث عبدى بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها
٣٥٣ إذا تلقانى عبدى بشبر تلقيته بذراع
٤٩٦ إذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه
١٨٨ إذا هم عبدى بالحسنة فاكتبوها له حسنة
٤٩٥ ارقبوه (قالت الملائكة يا رب ، ذاك عبد يريد أن يعمل سيئة)
٩٧ أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت
٢٥٥ أنا عند ظن عبدى بى
٢٥٥ أنا عند ظن عبدى بى ... إذا تلقانى عبدى
٢٥٥ أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى
٤٩٧ إن تركها فاكتبوها له حسنة ، إنما تركها من جراى
١٤٢ ، ١٤١ أنفق أنفق عليك
٤٩٧ إنما تركها من جراى
٤٢٩ إن أمتك لا يزالون يقولون : ما كذا ..
٥٧٩ بيدى الليل والنهار ، أجده وأبليه
٣٥٣ جئته بأسرع
٩٨ غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها
٤٩٥ فإن هم بسيئة فعملها فاكتبوها واحدة
٥٠٠ فسبحانى أن أتخذ صاحبة أو ولدا
٤٩٨ كذبنى ابن آدم
٤٩٨ كذبنى عبدى ولم يكن ذلك له
٣٥٥ لن يتقرب إلى المتقربون بأحب من أداء ما افترضت عليهم
٣٥٦ وإن أتانى يمشى أتيته هرولة
٤٩٨ وأما شتمه إياى فقله : لى ولد فسبحانى
٤٩٨ وليس أول الخلق بأهون على فى إعادته
٤٩٩ وليس أول الخلق بأهون على من إعادته

١٣٩ لا يأتى ابن آدم النذر بشيء قد قدرته
١٤٠ - ١٣٩ لا يأتى ابن آدم النذر بشيء لم أكن قد قدرته
٥٧٦ يؤذيني ابن آدم بقول : يا خيبة الدهر ، فلا يقولن أحدكم
٤٩٨ يشتمنى ابن آدم ، وما ينبغي له أن يشتمنى

(٢) الأحاديث النبوية

٣٧٥ أتى يوم القيامة باب الجنة
٥٠٣ أبرد
٥٠٩ أبردوا
٥٠٨ أبردوا بالصلاة ، فإن شدة الحر
٥٠٣ أبردوا بالظهر
٥٠٢ أبردوا عن الحر
٥٠٢ أبردوا عن الظهر
١٦٤ أتاني ربي في أحسن صورة
٣٨٣ اتخذت عندك عهدا
٣٢٣ أتدرون من المفلس ؟
٤٨٨ أتريد أن تكون فتانا يا معاذ
٦٥٤ أحدكم في صلاة
٦٥٤ أحدكم ما قعد ينتظر الصلاة
٢٢٩ احفظ عورتك إلا من
٦١٨ أحلت لكم الغنائم
٦٤٠ أحناه على يتيم في صغره
١٦٤ أحيانا يأتيني مثل صلصة الجرس
٦١٦ أحييني ما علمت الحياة خيرا لي
٢٥٦ ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة
٥٨٤ إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة
٧٢ إذا أحب عبيد لقائي
٤٨٠ إذا أحسن أحدكم إسلامه
٥٨١ إذا أدى العبد حق الله وحق مواليه
٣١٠ إذا أدت زكاة مالك
١٨٦ إذا استجمر أحدكم فليستجمر ثلاثا
٣٥٧ إذا استجمر أحدكم فليستجمر وترا
١٨٥ إذا استجمر أحدكم فليوتر
٤٣٦ إذا استلجج أحدكم يمين في أهله
٢٨٧ إذا استيقظ أحدكم فلا يضع يده
٢٨٧ إذا استيقظ أحدكم فليفرغ

٣٦٠ ، ٣٥٧ إذا استيقظ أحدكم من منامه
٢٨٧ إذا استيقظ أحدكم من نومه
٤٨٠ إذا أسلم العبد فحسن إسلامه
٥٠٥ ، ٥٠٣ إذا اشتد الحر فأبردوا
٨٠ إذا أصاب فله أجران
٢٧٩ إذا أقبل الليل من ههنا
٥٢٦ ، ٥٢١ إذا أقيمت الصلاة
٤٤٢ إذا أكره الاثنان على العيّن
٤٩٧ ، ١٩١ إذا التقى المسلمان بسيفيهما
٤٨٥ ، ٤٨٤ إذا أم أحدكم الناس فليخفف
٥١٥ إذا أمرتكم بأمر
٣٢ إذا أمن القارئ
٣٣١ إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها
٣٢٧ ، ٣٢٦ إذا أنفقت المرأة من كسب زوجها
١٣٧ إذا انقطع شسع أحدكم فلا يمش في الأخرى
١٣٧ إذا انقطع شسع نعل أحدكم
٥٨٥ إذا تنخم أحدكم فلا يتنخمن
٦٥٥ إذا توضأ أحدكم فأحسن وضوءه
٣٥٧ إذا توضأ أحدكم فليستشق
٦٥٥ إذا توضأ أحدكم في بيته
٥٢١ إذا ثوب للصلاة
٣٦٦ إذا جاءكم الصانع بطعامكم
٦١٦ ، ٦١٤ إذا دعا أحدكم
٣٧٢ إذا زنت الأمة فاجلدوها
٥٢٢ إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة
٤٨٤ إذا صلى وحده فليطل صلاته ما شاء
٤٠ إذا ضرب أحدكم
٤١ إذا ضرب أحدكم خادمه
١٤٨ إذا صلى جالساً فصلوا جلوساً
٤٠ إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته
٤٠ إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه
٥٨٥ إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يزيق أمامه ؛ إنه يناجي الله
٥٨٥ إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يتصق أمامه

- ٥٨٩ إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصا
- ٣١ إذا قال أحدكم « آمين » والملائكة في السماء « آمين »
- ٢٨٩ إذا قام أحدكم إلى الوضوء حين يصبح
- ٣٢ إذا قال أحدكم في صلاته
- ٣١ إذا قال الإمام (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فقولوا : آمين
- ٢٨٩ ، ٢٨٨ إذا قام أحدكم في الليل
- ٥٧٢ ، ٧٣
- ٥٩٠ إذا قام يصلي فإنما يناجي ربه أو ربه بينه وبين القبلة
- ٦٠٤ إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب ، فقد لغوت
- ٥٩٧ إذا قلت للناس أتصنوا . وهم يتكلمون - أى يوم الجمعة
- ٥٩٧ إذا قلت للناس أتصنوا يوم الجمعة وهم ينطقون
- ٥٠٢ إذا كان الحر فأبردوا عن الصلاة ، فإن شدة الحر
- ٣١٨ إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث
- ٤٤٢ إذا كره الاثنان البين أو استحباها
- إذا ما أحدكم اشترى لقحة مُصْرَاة أو شاة مُصْرَاه فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها ، إما هي وإلا فليردها . وصاعاً من تمر
- ٤٤٦
- ٣٤٠ إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة
- ٣٠٥ إذا ما ربُّ التَّعَم لم يُعط حقها تُسَلِّطُ عليه يوم القيامة
- ٤٨٤ إذا ما قام أحدكم للناس فليخفف الصلاة
- ٤١٥ إذا نابكم شيء في الصلاة فليستج الرجال ، وليصفح النساء
- ٣٧٢ إذا نصح العبد سيده
- ١٢٣ إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والجسم
- ٥٧٢ إذا نعس أحدكم في الصلاة
- ٨٥ إذا نودى بالصلاة أدير الشيطان له ضراط
- ٥٢١ إذا نودى بالصلاة فاثبوا وأنتم تمشون
- ١٠٤ إذا نودى للصلاة - صلاة الصبح - وأحدكم جنب
- ١٧ إذا هبطت بلاد قومه فاحذره
- ٥٦٤ إذا ذهب فتواضاً ، فذهب فتواضاً ، ثم جاء
- ٣٨٤ إذا ذهب وادع لى معاوية
- ٢١٥ أرسل ملك الموت إلى موسى
- ٣٥ اركبها
- ٤١ ارموا واتقوا الوجه
- ٥٥٣ أرويت ؟

- أزواجهم الحور العين ، على خلق رجل واحد ٣٧٤
- أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ١١٠
- الإسبال في الإزار والقميص والعمامة ٥٦٦
- استمعوا ما يقول سيدكم ٣٧١
- اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله عز وجل ٤٧٠
- اشتد غضب الله على قوم دَمَوْا وجه نبي الله ﷺ ٤٦٧
- اشتد غضب الله على قوم فَعَلُوا برسول الله ﷺ : وهو حينئذٍ يشيرُ إلى رباعيته ٤٦٧
- اشتد غضب الله على من دَمَى وجه رسول الله ﷺ ٤٦٧
- اشتد غضب الله على من قتله النبي ﷺ ٤٧٠
- اشترى رجل من رجل عقاراً ٣٤٤
- اشتكت النار إلى ربه - عز وجل ٥١١
- أطعموهم كما تطعمون ٣٦٧
- اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ٣٨٠
- أطيب عند الله يوم القيامة ٥٨
- أعوذ بكلمات الله التامات ٦٤٨
- أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ٦٤٨
- أعوذ بوجه الله العظيم الذي لا شيء أعظم منه ، وبكلماته التامات ٦٤٨
- أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه ٢٤٧
- أفضل الصدقة ما ترك غنى ، واليد العليا خير من اليد السفلى ٦٥٧
- أقيموا الصف في الصلاة فإن إقامة الصف من حُسْن الصلاة ١٥١
- أقيموا الصفوف ، فإن إقامة الصفوف من حُسْن الصلاة ١٥١
- أكذب الناس الصنائع ٢٤١
- ألا أحدثكم بما حدثني الله (عز وجل) في الكتاب ٢٦١
- ألا إن حمى الله محارمه ١٣
- ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه ٦٥
- ألا صلوا في الرجال ٥٠٥
- إلا أن يأذن له ٥٤٨
- إلا بيع الخيار ٤٥٢
- التمسوها آخر ساعة بعد العصر ٢١
- التمسوا الساعة التي ترجى يوم الجمعة بعد العصر إلى غيوبة الشمس ٢١
- إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ٤٨٢
- الله أحق أن يستحى منه ٢٢٩
- الله أعلم بما كانوا عاملين ٢٧١

- اللهم اغفر لي ، وارحمني ، وألحقني بالرفيق الأعلى ٣٣٩
- اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ٦٤٩
- اللهم أنت عبدى وأنا ربك (حكاية عمن أخطأ) ٣٤٨
- اللهم إن عبدك عليا احتسب بنفسه على نبيه ٦٢١
- اللهم إن عليا كان في طاعتك . وطاعة رسولك ٦٢٢
- اللهم إني أتخذ عندك عهدا لن تخلفه ٣٨٣ ، ٣٧
- اللهم إن تهلك هذه العصاة لا تعبد في الأرض ٥٦٢
- اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم ، وكلماتك التامات ٦٤٨
- اللهم فأيا مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة ٣٨٣
- ألم أزرع عن هذا ؟ إذا سل أحدكم السيف ٤٦٦
- أم قومك ٤٨٤
- أمنى جبريل عند البيت مرتين ٢١٦
- أما أبو جهم فرجل لا يرفع عصاه عن النساء ٥٤٦
- إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا ٥١
- أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ١٣٦
- أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة ٦٦١
- أنا أولى الناس بالمؤمنين في كتاب الله ٦١٠
- أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ٦١٢
- انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بى ٦٩
- أن تعبد الله كأنك ٤٨١
- أن تلد الأمة ربتها ٣٦٩
- انظروا إلى من هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى ١٢٤
- أن يغسله سبع مرات ١٢٦
- إن أثقل صلاة المنافقين صلاة ١٣٠
- إن أحدكم إذا قام في صلاته ٥٨٥
- إن أختنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ٢٤٧
- إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة ١٩٦
- إن أدنى أهل الجنة درجة ٣٧٨
- إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم ١٩٣
- إن أول زمرة تدخل الجنة ٣٧٩
- إن أول زمرة تلج في الجنة وجوههم على صورة ٣٧٣
- إن البركة قد تقع في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير ١٦٦
- إن بكل تسبيحه صدقة ٣٠٤

٢٥١ إن رجلاً ممن كان قبلكم يتبختر في حلة
٣٧٩ إن الرجل من أهل الجنة
١٦٣ إن روح القدس نفث في روعي
٥٥٥ إن الشيطان ليستحل الطعام لا يذكر اسم الله عليه
٥٠٢ إن شدة الحر من فيح جهنم ، فإذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة
٦١٩ إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع بن نون
٥٩٠ إن العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه بين عين الرحمن
٥٨١ إن العبد إذا نصح لسيدته وأحسن عبادة ربه
٢٧٦ إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً
٣٤٣ إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله
١٤ إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا ييلغها
٣٧٩ إن في الجنة للمؤمن خيمة في أولوة له فيها أهلون يطوف عليهم
٢٠ إن في يوم الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم وهو يصلي يسأل الله
٢٧٥ إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء
٢٠٩ إن الله تعالى خلق آدم رجلاً طوالاً كثير شعر رأسه
٤٢ إن الله خلق آدم على صورة الرحمن
٤٨٢ إن الله كتب الحسانات والسيئات
٤٧١ إن الله كتب على ابن آدم حفظه في الزنا ، أدرك ذلك لا محالة : فرنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق
٧٨ إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ، ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء
٥٦٤ إن الله عز وجل - لا ينظر إلى المسبل يوم القيامة
٣١٠ إن الله لم يفرض الزكاة إلا لطيب
٣٤٨ إن الله ليفرح بتوبة عبده ، كما يفرح أحدكم أن
١١١ إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة
٦٣٩ إن لكل نبي أميناً ، وأميني أبو عبيدة بن الجراح
٤٢٦ إنكم تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً
١٤٧ إنما الإمام ليؤتم به ، فلا تختلفوا عليه ، فإذا كبر فكبروا
١٤٧ إنما جعل الإمام
٥٥٨ إنما سُمي خَضِرٌ لأنه جلس على فروة بيضاء
٣٤٢ إنما الكرم قلب المؤمن
٣٨٠ ، ٣٨١ إن المرأة من نساء أهل الجنة يرى بياض ساقها
٥٢٨ إن معاذاً قد سنَّ لكم سنة
٦٣٢ إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قومًا ينتعلون نعال الشعر
٢٧٤ إنَّ في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً

٥٦٨ إِنَّ مِنَ الْخِيَلَاءِ مَا يَحِبُّ اللَّهُ ، وَمَنِ الْخِيَلَاءُ مَا يَغْضُ اللَّهُ
٢٤١ إِنَّ مِنَ الظُّلُمِ مَطْلُ الْغَنَى
٢٧٢ أَنَّ النَّاسَ يُؤْمَرُونَ بِالسُّجُودِ ، فَيَصِيرُ ظَهْرُ الْمُنَافِقِ طَبَقاً
١٣٩ إِنَّ النَّذْرَ لَا يَقْرُبُ مِنْ ابْنِ آدَمَ شَيْئاً
٦٣٨ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قَرِيْشٍ لَا يَعَادِيهِمْ أَحَدٌ
٦٣٧ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَنْقُضِي حَتَّى اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً
٥٥٦ إِنَّ هَذَا الْمَالُ حُلُوةٌ خَضِرَةٌ ، فَمَنْ أَخَذَ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ
٤٣٥ إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتُ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ
٢٩٨ إِنَّهُ خَلَقَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنَى آدَمَ عَلَى سِتِينَ وَثَلَاثُمِائَةِ مَفْصَلٍ
٦٢٠ إِنَّهُ وَصَلَ إِلَى الْقَرْيَةِ وَقَدْ عَصَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَكَادَتْ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ
٦٣٩ إِنَّهُ يَحْشُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ الْعُلَمَاءِ نَبْذَةً
٦٤٥ إِنَّهُمَا يَلْتَمِسَانِ الْبَصَرَ ، وَيَسْقُطَانِ الْحَبْلَ
٣٨٠ إِنِّي رَأَيْتُكَ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ
٤٣٢ إِنِّي لَأَدْخُلُ بَيْتِي وَأَجِدُ الثَّمَرَةَ مُلْقَاةً
٤٨٩ إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أَطُولَ فِيهَا ، فَأَسْمَعُ بَكَاءَ الصَّبِيِّ
٤٩٢ إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَطُولَ فِيهَا ، فَأَسْمَعُ بَكَاءَ الصَّبِيِّ
٤٣٢ إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي فَأَجِدُ الثَّمَرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فَرَاشِي
٨٧ إِنَّ بَيْنَ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ
٣٥٥ أَوْقَعَ اللَّهُ أَجْرَهُ عَلَى قَدَرِ نَيْتِهِ
٢٧٢ أَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ خُدَمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ
١٢٦ أَوْلَاهُنَّ بِالْتُّرَابِ
٣٧٤ أَوَّلُ زُمَرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى صُورَةٍ
٣٧٣ أَوَّلُ زُمَرَةٍ تَلْجُ الْجَنَّةَ صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ
٢٦٣ أَوْ لَيْسَ خِيَارُكُمْ أَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ ، مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ
٣٠٠ أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ : إِنْ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ
٣٤٨ أَفِيْرَحُ أَحَدَكُمْ بِرَاحِلَتِهِ إِذَا ضَلَّتْ مِنْهُ ، ثُمَّ وَجَدَهَا ؟
٢٨٩ أَأَيْنَ بَاتَتْ تَطْوِفُ يَدَهُ
٢٨٩ أَأَيْنَ كَانَتْ تَطْوِفُ يَدَهُ
١٦ إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ
٢٧٨ إِيَّاكُمْ وَالْوَصَالَ
٥٨٤ أَيُّمَا عَبْدٍ أَبْقَى فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ
٦٨٧ ، ٤٨٠ أَيُّمَا قَرْيَةٍ أَتَيْتُمُوهَا فَأَقْمَعْتُمْ فِيهَا
٦٨٧ أَيُّمَا قَرْيَةٍ افْتَتَحَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَهِيَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ

١٠٠ أياها الناس : قد فرض الله عليكم الحج فحجوا
٦٨٠ البئر جرحها جبار ، والمعدن جرحه جبار
٥٨٧ ، ٥٨٥ البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها
٥٨٧ البصاق في المسجد خطيئة
١٣٤ بعثت بجوامع الكلم
٤٥٠ بيع المُحَفَّلَاتِ خِلافة ، ولا تحل الخِلافة
٤٥٥ البيعان بالخيار ما لم يتفرقا
١٦٠ بينا أيوب يغتسل عريانا
٢٥١ بينا رجل يتبختر
٢٥١ بينا رجل يمشي قد أعجبته جمته
٦٦٤ بينا أنا نائم رأيت في يديّ سوارين من ذهب
٦٦٤ بينا أنا نائم إذ أتيت من خزائن الأرض
٦٢٥ بينا أنا نائم رأيت أني على حوض أسقى الناس
٦٢٥ بينا أنا نائم رأيت أني أنزع على حوض
٣٠٥ تأقي الإبل على صاحبها على خير ما كانت
٣٠٢ تبسمك في وجه أخيك صدقة
١٥٣ تحتاج آدم وموسى فقال له موسى : أنت آدم الذي
١٧٩ تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرْتُ بالمتكبرين
٣٨٩ ترمم من خشاش الأرض
٤١٢ التسبيح للرجال والتصفيق للنساء في الصلاة
٤١٢ التسبيح للقوم والتصفيق للنساء في الصلاة
٣٠٦ تطوؤه بأخفافها
٩٢ تمزق ملكه
٨٣ ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها
٥٦٤ ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم
٣٧٤ ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دُري
٥٣٩ ثم يتوب الله على القاتل
٢١٤ جاء ملك الموت إلى موسى : فقال له
١٧٠ جزء من خمسة وأربعين
١٧٠ جزء من سبعين جزءا
٢٠٩ جعل الله السلام تحية لأمتنا
٣٧٨ جنتان من ذهب آتيتهما وما فيها
١٧٦ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله

١٧٦ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به
٥٨٩ الحجر الأسود يمين الله في الأرض
٩٢ الحرب خدعة
٤ حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً
١٣٥ حمى الوطيس
٤٥٣ الخراج بالضمان
١٢٤ خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكراً صابراً
١٦٥ خفف على داود القرآن فكان يأمر
٢٠٥ خلق الله آدم على صورته
٢٢ خير يوم طلعت عليه الشمس
٦٤٠ خير النساء ركن الإبل صالح نساء قريش
٦٤٠ خير نساء ركن الإبل نساء قريش
٦٥٧ خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى
٦٣٤ الخيل والفخر في أهل الخيل والإبل
٣٨٩ دخلت امرأة النار من جراء هرة
٣٨٩ دخلت امرأة النار في هرة
٥٦٩ دخلوا متزحفين على أوراكهم
٦٢٧ الدنيا سجن المؤمن
٥٤٥ الدين النصيحة
٥٢٨ قد سن لكم معاذ فافتدوا به
١٠ ، ١١ ذروني ما ترككم
١٦٩ ذهبت النبوة وبقيت المبررات
٦٣٤ رأس الكفر نحو المشرق
١٦٧ رؤيا الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً
١٦٧ رؤيا المؤمن جزء
١٤٤ رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق
٢٨٠ رحمة رحمكم الله بها
٥٦٣ رحم الله موسى، لوددنا لو كان
٤٤٦ رد معها صاعاً من طعام
٣٢٣ ردوا المسكين ولو بظلف محرق
٣٣٢ الرطب تأكلينه وتهديته
٤٧٥ الزنا اثنان وسبعون باباً
٦٦٩ سدودا وقاربوا، وأبشروا

٦٦٩ سدّدوا وقاربوا ، واعلموا
٤٦١ الشيخ شاب على حب اثنتين
٤٦١ الشيخ على حب اثنتين
٦٠١ صدق أبي
٦٠٧ صدق عمر
٤١٤ الصلاة هي : التسبيح والتكبير
٦٠٥ صل ركعتين
٥٢١ صلّ ما أدركت واقض ما سبقك
٦٠٠ صليت ؟
٦٢٢ صليت العصر يا على ؟
٥٣ الصيام جنة فإذا كان أحدكم يوماً صائماً
٤٤ ضرب بها البحر عشر مرات
١٢٦ طهور إناء أحدكم إذا ولغ الكلب
٣٧٢ العبد راع على مال سيده
٦٨٠ ، ٦٧٩ العجماء جرحها جبار
٣٩٠ غُذبت امرأة في هرة حبستها
٥٨٦ عُرِضت على أعمال أمتي
٣٩٤ عرضت على النار ، فرأيت
٤٧١ على ابن آدم نصيب من الزنا
٣٠٠ ، ٢٩٨ على كل مسلم صدقة
٦٤٤ العين حق
٦١٨ غزا نبي من الأنبياء فقال : لا يغزو
٦١٧ غزا نبي من الأنبياء فقال : لا يتبعني
١٧٦ فإذا صلّوا واستقبلوا قبلتنا وأكلوا
٤٩٢ فإذا صلى أحدكم لنفسه
٦٢٨ فاعبرها يا أبا بكر
٩٧ فافروا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم)
٤٤٢ فأمر النبي - ﷺ
٤٧٤ فأمرني أن أصرف بصري
١٧٩ فأما النار فأبهم يلقونه فيها
٢٨ فإن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء
٥٢٧ فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى صلاة
٢٠٨ فإن الله تعالى خلق آدم على صورة وجهه

٤١	فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صَوْرَتِهِ
٦١٤	فَإِنَّ اللَّهَ صَانِعُ مَا شَاءَ وَلَا مُكْرَهُ لَهُ
٥٩٢	فَإِنَّ اللَّهَ قَبِلَ وَجْهَهُ إِذَا صَلَّى
٥٨	فَإِنْ خَلُوفُ أَفْوَاهِهِمْ حِينَ يَمْسُونَ
٥٤	فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ
٣٦٦	فَإِنْ كَانَ الطَّعَامُ مَشْفُوعاً قَلِيلاً
٣٦٧	فَإِنْ كَانَ مَشْفُوعاً قَلِيلاً فَلْيُضَعْ فِي يَدِهِ
٣٤١	فَإِنَّمَا الْكَرَمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ
٤٦٦	فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَحَدُكُمْ
٥٩٣	فَإِنَّهُ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ
٤١٨	فَإِنَّهُ إِذَا سَبَحَ التَّفْتَ إِلَى
٢٩٣	فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ
٢٩٥	فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ
٢٩٣	فَإِنَّهُ يَبْعَثُ مَلِيئاً
٤٦٧	فَعْمَلُوا هَذَا بِرَسُولِ اللَّهِ
٣٤٤	فَقَالَ الَّذِي شَرَى الْأَرْضَ
١٦٦	فَلَا تَسْرَجْ حَتَّى يَقْرَأَ الْقُرْآنَ
٥٢١	فَلَا تَفْعَلُوا
٥٨٨	فَلَا يَبْصُقُ قَبْلَ وَجْهِهِ
٦٢٠	فَلَقِيَ الْعَدُوَّ عِنْدَ غَيْبَةِ الشَّمْسِ
٣٦٤	فَلَمَّا أَبْصَرَ أَحَدًا قَالَ : مَا أَحَبُّ
٥٩٤	فَلْيَتَنَخَّعْ عَنْ يَسَارِهِ تَحْتَ قَدَمِهِ
٤٢٩	فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيُتَيْتِهِ
٤٢٩	فَلْيَقُلْ : آمَنْتُ بِاللَّهِ
٥٣٢	فَمَا فَاتَكُمْ فَاقْضُوا
٥٢٩ ، ٥٢٦	فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا
٥٨	فَمِ الصَّائِمِ حِينَ يَخْلُو مِنْهُ الطَّعَامُ
٤٣٠	فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلِ
٣٠٢	فَمَنْ كَبَّرَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ
٢٠	فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ
٢٧٣	فِي الْجَنَّةِ
١٤	فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ
٦١٠	فَيَسْأَلُ : هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ مِنْ قَضَاءٍ

٢٦٥ فيكتب رزقه وأجله وشقى أو سعيد
٥٣٨ فيهديه إلى الإسلام
٣٥٩ فليتوضأ وليستنثر ثلاثاً
٤١٨ فليقل: سبحان الله
٥٧٢ فلينصرف فليضطجع
٥٢٨ فَدَسَّ لَكُمْ مَعَاذَ فَاقْتَدُوا بِهِ
٦١ قرصت نملة نبيا من الأنبياء
٦٣١ قريب من بين يدي الساعة ستأتون تقاتلون
٤٦١ قلب الشيخ شاب على حب اثنتين ، حب العيش والمال
٤٦١ قلب الشيخ شاب على حب اثنتين
٥٦٩ قيل لبنى إسرائيل : ادخلوا الباب سجداً
٣٧١ قوموا إلى سيدكم
٥٥١ الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، والمؤمن يأكل في معنى واحد
٨٨ كان الله ولم يكن شيء قبله
١٦٠ كان بنو إسرائيل يغتسلون عراة
٢٢٧ كانت بنوا إسرائيل يغتسلون عراة
٤٧٢ ، ٤٧١ كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا
٤٣٢ كخ كخ ، ارم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة
٦٥٩ كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت
٢٦٠ كل إنسان تلده أمه على الفطرة
٢٦١ كل بنى آدم يولد على الفطرة
٤٨٨ كل ركعة لم تقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج
٢٩٨ كل سلامى من الناس عليه صدقة
٦٠ كل عمل ابن آدم له إلا الصوم
٤٢١ كل كلم يكلمها المسلم في سبيل الله يكون كهيئتها
٤٢٢ كل كلمة يكلمها
٣١٠ كل ما أدى زكاته فليس بكنز
٣٠٤ كل معروف صدقة
٢٦٣ كل مولود يولد على الفطرة
٤٣٣ كلوا ، ولم يأكل
٣٠٣ كل يوم تطلع الشمس

٤٦٧	كيف يفلح قوم شجوا نبيهم
٥٨٧	لئلا يصيب جلد مؤمن
١٥١	لتسون صفوفكم
٥٦٤	لست ممن يصنعه خيلاء
٤٦٥ ، ٤٦٣	لعل الشيطان ينزع في يده
٣٩٤	لقد جرىء بالنار
٣٩٤	لقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا
١٣٠	لقد هممت أن آمر رجلا
٧٠	لكل نبي دعوة تستجاب له
٣٠١	للمسلم على المسلم ست خصال
٣٤٨	لله أشد فرحاً بتوبة أحدكم من
١٠٩	لله تسعة وتسعون اسماً
٥٨١	للعبد المملوك المصلح أجران
٤٦٦	لعن الله من فعل هذا
٥٨٢	للمملوك الذى يحسن عبادة ربه
٣٨٩	لم تَجِلْ الغنائم لمن كان قَبِلْنَا
٥٥٨	لم يسمْ خضراً إلا أنه جلس على فروة
٣٣٣	لم ضربته
٦٠٧	لِمَ يا سعد (عندما قال سعد لرجل : لم تصل)
٤٦	لما قضى الله الخلق
٣٣٥	لن يدخل أحدا عمله الجنة
٦٦٩	لن ينجى أحدا منكم عمله
٣٧٦	لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت
٦٧٠	لو أن الله عذب أهل سماءه
٣٧٥	لو أن رجلا من أهل الجنة
٣٧٦	لو أن رجلا من أهل الجنة اطلع
٢٢٥	لو أنى عنده لأريتكم قبره
٣٦٢	لو أن عندي مثل أخذ
٥٠	لو تعلمون ما أعلم ليكنتم كثيرا
٥٠	لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا
٦٦٤	لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتها

- لو كان شيء سابقه القدر لسبقته العين ٦٥٠
- لو كان لي مثل أحد ٣٦٤
- لو كنت متخذاً خليلاً ٦٢٦
- لولا أن تكون صدقة ٤٣٢
- لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ٢٠١
- لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ١٩٨
- ليأتين على أحدكم يوم ٩٠
- ليدخلن من أمتي سبعون ألفاً الجنة ٣٧٥
- ليس أحد منكم بمنجيهِ عمله ٦٦٩
- ليس الشديد بالصرعة ٣٤٢
- ليس الغنى من كثرة العرض ٢٣٧
- ليس المسكين بالطواف ٣٤٢
- ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرثان ٣٢٢
- ليس المسكين هذا الطواف الذى يطوف على الناس ٣٢٢
- ليس من مولود إلا على هذه الفطرة ٢٦٠
- ليسألنكم الناس عن كل شيء ٤٢٩
- ما أخرجكما ؟ ٢٨٤
- ما أدى زكاته فليس بكنز ٣١٠
- ما اسمك ؟ ٥٥٣
- ما أعطيكم ولا أمنعكم ، أنا قاسم أصنع حيث أمرت ١٤٦
- ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ١٦٦
- ما أوتيكم من شيء ولا أمنعكموه إن أنا إلا خازن أصنع حيث أمرت ١٤٦
- المؤمن أخو المؤمن ٥٤٩
- المؤمن أخو المؤمن فلا يحل ٥٤١
- المؤمن يأكل فى معنى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء ٥٥١
- ما بال أحدكم يقوم مستقبلاً ربه ٥٨٨
- ما بال أقوام بلغوا فى القتل حتى قتلوا الولدان ٢٦٧
- ما بقى منهم اثنان ٦٣٧
- ما بلغ أن ٣٠٩
- مات حتف أنفه ١٣٥
- ما ترددت عن شيء أنا فاعله ٢٢٣
- ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدوكم على السلام والتأمين ٢٠٩

٢٨ ما دام في مجلسه الذى صلى فيه
٥٣٠ ما فاتكم فأتعوا
٥٣١ ما فاتكم فاقضوا
٤٦٨ ما لك أقمأك الله
٦٠٨ ما لك من صلاتك إلا ما لغوت
٣٠ ما لم يؤذ يحدث فيه
٣٠ ما لم يحدث فيه ، ما لم يؤذ فيه
٣٠٦ ما من صاحب إبل لا يؤدى حقها
٣٠٦ ما من صاحب إبل ولا بقرة ولا غنم
٦١١ ما من مؤمن إلا وأنا
٢٦٠ ما من مولود إلا وهو على الفطرة
٢٥٩ ما من مولود إلا يولد على الفطرة
٣٦٢ ما يسرنى أن عندى مثل أحد هذا ذهباً
٩ مثل البخيل والمتصدق
٢٧٤ مثل حبة خردل
١١ مثلى كمثل رجل استوقد ناراً
٧ مثلى ومثل الأنبياء من قبلى
٣٧٤ مجامرهم الألوّة ، الألتجوج عود الطيب
٦٤٧ مروا أباً ثابت يتعوذ
٦٢٧ مستريح ومستراح منه
٢٤١ مظل الغنى ظلم
٣٧٢ المملوك الذى يحسن عبادة ربه ويؤدى إلى سيده
٢٧ الملائكة تصلى على أحدكم ما دام فى مصلاه
٦٥٤ الملائكة تصلى على أحدكم ما دام فى مصلاه
٢٤ الملائكة يتعاقبون فيكم ، ملائكة بالليل
٣٠٨ من أتاه الله ما لا فلم يؤد زكاته
٣٨٣ من آذيته فاجعله له زكاة ورحمة
٢٦٢ من أجل أنه ولد على فطرة الإسلام
٧٢ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه
٥٢٩ من أدرك ركعة فى الصلاة فقد أدرك
٥٢٩ من أدرك من الصلاة مع الإمام ركعة فقد أدرك الصلاة
٤٣٦ من استلج فى أهله يمين فهو
٤٦٣ ، ٤٦٤ من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه

٤٢٠ ، ٤١٩ من أشار في صلاته إشارة تفهم عنه فليعد لها
٤٥١ من اشترى شاة مُصرّة
٣٩٨ من فعل شيئاً من ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفاره
٣٩٨ من قال لا إله إلا الله دخل الجنة
٤٢٥ من قتل دون ماله فهو شهيد
٥٥٦ من كثّر تفكره قلّ طعمه ، ومن قلّ تفكره كثّر طعمه وقسا قلبه
٤١٥ من نابّه شيء في صلاته فليسيح
٤١٣ من نابّه شيء في صلاته فليسيح ، فإذا سبح
٥٣٠ من وجدني راكعاً أو قائماً أو ساجداً
٤٠٣ من يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه
٥٤٤ ، ٥٤٣ من يشتري هذا
٤٤٧ من اشترى مصرّة فهو بالخيار
٧٤ من أطاعني فقد أطاع الله
٢٢١ من أطلع في بيت قوم به غير إذنهم حل لهم أن يفقهوا عينه
٣٧٢ من أعتق له نصيباً في عبد
٣٥٧ من توضأ فليستثر
٥٦٦ من جر ثوبه خيلاً
٥٦٦ من جر ثوبه مخيلة
٢٣ من جلس مجلساً ينتظر الصلاة
١٠٩ من حفظها دخل الجنة
٤٦٣ من حمل علينا السلاح فليس منا
٦١٠ من ترك كلاً أو ضياعاً
٦١١ من ترك مالا فلأهله
٦٠٧ من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب
٤٠٣ من زنى نزع الله نور الإيمان من قلبه
٣٢٣ من سأل الناس وله ما يغنيه
٢٢٦ من سرّه أن ييسط في رزقه
٤٣ نار كم هذه التي يوقد بنو آدم
٤٤ نار كم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم
٦٣٧ الناس تبع لقريش في الخير والشر
٦٣٧ الناس تبع لقريش في هذه الشأن
٤٣٦ ، ٣١٤ ، ٤ نحن الآخرون السابقون يوم القيامة
٦٦٤ نحن الآخرون السابقون

٤٣٦ ، ٣١٤	نحن الآخرون السابقون يوم القيامة
٥	نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق
٦١	نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة
١٣٤	نصرت بالرعب مسيرة شهر
١٣٤	نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم
٣٧٦	نعم ؛ إن أحدهم يعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع
٥٨١	نِعْمًا للمملوك أن يتوفاه الله يحسن طاعة ربه وطاعة سيده نعمًا له
٥٨٢	نعمًا للعبد أن يتوفاه الله يحسن طاعة ربه وطاعة سيده نعمًا له نعمًا له
٥٨٢	نعمًا للمملوك أن يتوفاه الله يحسن عبادته ربه وطاعة سيده نعمًا له نعمًا
٥٨٢	نعمًا لأحدهم يحسن عبادته ربه وينصح لسيده
٥٨١	نعم ما للمملوك أن يتوفى بحسن عبادته الله
٤٧٥	النفس تتمنى ذلك وتشتى
٣١٣	نهى أن ييال في الماء الراكد
٣١٥	نهى عن أن ييال في الماء الراكد
٦٢	نهى عن قتل أربع من الدواب : النملة والنحلة والهدهد والصرد
٦٠	نية المؤمن خير من عمله
٢١٢	هذا جبريل يقرئك السلام
٤٤	هذه النار قد ضرب بها البحر سبعا
٦٥٠	هل تهيمون به من أحد
٣٠٥	هم الأخسرون
٢٧٣	هم من آبائهم أو منهم
٢١	هى ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة
٤٣٣	هو عليها صدقة
٥٩٥	وابصق خلفك أو تلقاء شمالك
٤٨٧	واقدر القوم بأضعفهم
١٤	واقربوا إن شئتم : (وظلٌ ممدود)
٣٩٤	ورأيت في النار امرأة حميرية سوداء طويلة
٦١٠	والذى نفس محمد بيده ، إن على الأرض من مؤمن
٤٠٩	والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة
١٣٠	والذى نفس محمد بيده لقد هممت أن آمر فتيانى
٣٦٢	والذى نفس محمد بيده لو أن عندى أحدا ذهبا لأحببت
٦٨	والذى نفس محمد بيده لولا أن أشق على المؤمنين
٥١	والذى نفسى بيده

٤٢٢	والذى نفسى بيده لا يكلم أحد فى سبيل الله
٥٧	والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك
٩٠	والذى نفسى بيده ليأتين على أحدكم يوم لا يرانى
٢١٢	وعليك السلام ، ارجع فصل فإنك لم تصل
٣٤٤	وقال الذى له الأرض
١٢٦	وعفروه الثامنة فى التراب
٣٤٤	وقال الذى باع الأرض
٥٩٣	ولا عن يمينه فإن عن يمينه كاتب الحسنات
٣٧٤ ، ٣٧٣	والذين على أثرهم كاشد كوكب إضاءة
٤٥٢	وإلا فليردها وصاعا من تمر
٤٣٦	والله لأن يلعج أحدكم يمينه فى أهله
١٩٥	والله لقيد سوط أحدكم فى الجنة خير له مما بين السماء والأرض
٣٧٤	والتي تليها على أضواء كوكب ذُرِّي في السماء
١٥٩	وأن تؤمن بالقدر خيره وشره
١٤٦	وإنما أنا قاسم ويعطى الله
٤٩٥	وإن همّ بسيفة فلم يعلمها كتبها الله عنده حسنة كاملة
٦١٠	وأياكم ترك مالا
٥٨٢	وأما عبد أدى حق الله وحق مواليه فله أجران
٣٦٠ ، ٣٥٩	وبالغ فى الإستشاق إلا أن تكون صائما
٣٠٤	وَدَلَّ الطريق صدقة
٢٧٥	وسببى كل شيء فى الإنسان إلا عجب ذنبه
٤٨٣	ولا يهلك على الله عز وجل إلا هالك
٥٩٤	ولكن عن شماله تحت قدمه
٥٨٥	وليصق عن يساره أو تحت قدمه
٣٠٢	ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط إليه
٢٥٢	ومن ليس ثوبا فاختال فيه خسف به
١٣٤	ونصرت على العدو بالرب ولو كان بينى وبينهم مسيرة شهر
٥٨٧	ووجدت فى مساوىء أعمالها النخامة تكون فى المسجد لا تدفن
٥٩٩	ويحك ماذا أعددت لها
٣٤١	ويقولون الكرم إنما الكرم قلب المؤمن
٤٤١	لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذى هو خير
١٧٥	لا أزال أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله
٣١٢	لا إلا أن تتطوع

- ٦٦ لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى
- ٣١٣ لا تبُل في الماء الدائم الذى لا يجرى
- ٤٢٨ لا تزالون تستفتون حتى يقول أحدكم
- ٣٤١ لا تسموا العنب الكرم
- ٤٥٠ ولا تصرُّوا الإبل والغنم للبيع
- ٣٣٠ لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها
- ٣٢٦ لا تصوم المرأة وبعلمها شاهد إلا بإذنه
- ٣٢٦ لا تصومن امرأة تطوعا وبعلمها
- ٢٢ لا تعمل المطى إلا إلى ثلاثة مساجد
- ٥١٢ لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ
- ٣٦٤ لا تقولوا (لو) فإن (لو) تفتح عمل الشيطان
- ٨٣ لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها
- ٦٣٢ لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك
- ٦٣ لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر
- ١ لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا جور كرمًا ، قوما من الأعاجم
- ٦٣١ لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان من الأعاجم
- ٧٩ لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان
- ٧٧ لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال
- ٦٣٢ لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك
- ٦٣٢ ، ٣٣٧ لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل
- ٣٣٧ لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل
- ٨١ لا تقوم الساعة حتى ينبعث دجالون كذابون
- ٣٣٢ لا تنفق امرأة شيئا من بيت زوجها
- ٢٨١ لا تواصلوا فأياكم إذا أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر
- ٧٥ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
- ٤٣٠ لا عدوى
- ٦٢٧ لا كرب على أبيك بعد اليوم
- ١٣٩ لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قدر له
- ٣١٣ لا يبال في الماء الدائم الذى لا يجرى ثم يغتسل به
- ٥٤٠ لا يبيع بعضكم على بيع بعض
- ٥٤٠ لا يبيع بعضكم على بيع بعض ، ولا يخطب بعضكم على خطبة بعض
- ٥٤٥ ، ٥٤٤ لا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على
- ٥٦٢ لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد

٣١٣	لا يبولن أحدكم في الماء الدائم
٣١٣	لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري
٣٧٩	لا يبولون ولا يتغوطون وإنما هو عرق يجري
٥٤٠	لا يبيع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه
٥٤٠	لا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه
٣٣٦ ، ٣٣٥	لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به
٣٣٥	لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدعو به من قبل أن يأتيه
٥٤٧	لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه
٥٤٠	لا يخطب على خطبته
٥٤٠	لا يخطب على خطبة أخيه إلا أن يؤذن له
٦٧٠	لا يدخل أحدا منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار
٥٦٦	لا يدخل الجنة من كان في قلب مثقال ذرة من كبر
٦٥٤	لا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة
٦٥٤	لا يزال أحدكم في صلاة ما دام ينتظرها ولا تزال الملائكة تصلى على أحدكم
٢٧	لا يزال أحدكم في صلاة ما دام ينتظرها ولا تزال الملائكة تصلى على أحدكم ما كان في المسجد ..
٤٠٠	لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن
٥٢٧	لا يزال العبد في صلاة ما دام ينتظر الصلاة
٤٦١	لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين في حب الدنيا وطول الأمل
٦٥٤	لا يزال أحدكم في صلاة ما كانت تحبسه
٦٥٤	لا يزال العبد في صلاة ما كان في المسجد ينتظر الصلاة
٤٢٨	لا يزال الناس يتساءلون حتى
٤٢٨	لا يزال الناس يسألونكم عن العلم حتى يقولوا
٦٣٧	لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقى في الناس اثنان
٤٢٨	لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة حتى يقولوا : هذا الله فمن خلقه
٣٤١	لا يسب أحدكم الدهر إن الله هو الدهر
٥٧٦	لا يسب أحدكم الدهر فإن الله هو الدهر
٣٩٦	لا يسرق سارق وهو حين يسرق مؤمنا ولا يزن زان وهو حين يزني مؤمنا
٥٤١	لا يسم المسلم ، على سوم أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه
٤٦٣	لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان أن يتزع
٤٦٣	لا يشيرن أحدكم على أخيه بسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان يتزع
٢٣	لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى
٥٨٨	لا يصلى لكم
٣١٨	لا يضرب أحدكم امرأته ضرب الأمة ثم يضاجعها

- ٣١٥ لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب
- ٦١٩ لا يغزو معي من تزوج امرأة لم يمين بها
- ٣٩٦ لا يغفل أحدكم حين يغفل وهو مؤمن
- ٥١٢ لا يقبل الله صلاة من أحدث حتى يتوضأ
- ٣٩٧ لا يقتل وهو مؤمن
- ٥٧٦ لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر فإنني أنا الدهر
- ٣٦٨ لا يقل أحدكم اسق ربك أو أطعم ربك
- ٦١٤ لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت
- ٦١٤ لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت
- ٣٤١ لا يقل أحدكم للعنب الكرم إنما الكرم المسلم
- ٣٧١ لا يقل أحدكم : مولاي فإن مولاكم الله ولكن ليقل : سيدي
- ٣٦٨ لا يقل لسيدته مولاي
- ٣٦٨ لا يقولن أحدكم عبدي أمتي كلكم عبيد الله
- ٣٦٩ لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله
- ١٣٥ لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين
- ١٣٧ لا يمشي أحدكم في نعل واحدة
- ٤٦٣ لا يمشين أحدكم
- ٢٥٧ لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله
- ٦١٩ لا ينبغي لرجل بنى داراً ولم يسكنها أو تزوج امرأة ولم يدخل بها
- ٥٦٤ لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً
- ٥٦٤ لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء
- ٤٨٤ يا أيها الناس إن منكم منفرين فأياكم أم الناس فليو جز
- ٣٦٣ يا أبا ذر
- ٢٣٩ يا أبا ذر أترى كثرة المال هو الغنى
- ١٤٢ يا ابن آدم انفق انفق عليك
- ٦٥٧ يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك
- ٥٠٥ يا بلال أبرد ، ثم أبرد
- ٤٢٨ يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق السماء
- ٤٢٨ يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا
- ٣٣٩ يا سعد أعندي تمنى الموت
- ٤٧٤ يا على لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة
- ٥١٧ يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب
- ٣٧٦ يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون طعامهم

- يا معاذ أفنان أنت أو أفاتن أنت (ثلاث مرات) فلولا صليت بسبح اسم ربك الأعلى والشمس
 ٤٨٩ وضحاها
 ١٩٨ يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم
 ٦٦٧ يخرجان بعدى
 ٦٥٧ اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول
 ٦٥٨ يد الله فوق يد المعطى ، ويد المعطى فوق يد المعطى ويد المعطى أسفل الأيدي
 ٦٥٩ يد المعطى العليا وابدأ بمن تعول أملك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك
 ٣٨٠ يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن
 ١٧١ يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد
 ١٤ يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها
 ١٩٧ يفرغ الله (تعالى) من القضاء بين العباد
 ٣٦٠ يقعد الشيطان على قافية رأس أحدكم
 ٥٣٥ يضحك الله لرجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة
 ٦٣٣ يقاتلكم قوم صغار الأعين
 ٤٦١ يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان حب المال وطول العمر
 ٢٦٤ يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد
 ٥٣٨ يكون أحدهما كافرا فيقتل الآخر ثم يسلم فيغزو فيقتل
 ٣٠٨ يكون كنز أحدكم يوم القيامة شجاعا أقرع
 ٣٨١ يلهمون التسبيح والتحميد والتكبير كما يلهمون النّفس
 ٨٧ يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة
 ٤٦١ يهرم ابن آدم ويشب منه اثنان الحرص على المال والحرص على العمر
 ٩١ يهلك كسرى ثم لا كسرى بعده وقيصير ليهلكن
 ٦٥ يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته

فهرس الأسانيد^(١)

الرقم الأول للحديث والثاني للصفحة

- أبو الزناد عن الأعرج عن أنى هريرة ١٥٤/٤٦ - ١٨٠/٥٢ - ٢٥١/٦٥ - ٢٧٤/٦٨ - ٢٧٨/٦٩ - ٣٤١/٧٨ - ٣٤٨/٨٠ - ٣٧٣/٨٦ - ٣٨٣/٨٧ - ٤٩٥/١٠٦ - ٥٩٧/١٢١ - ٦١٠/١٢٢ - ٦٣٢/١٢٦ - ٦٣٧/١٢٩ - ٦٧٤/١٣٧ .
- مسفيان بن عيينة عن أنى الزناد عن الأعرج عن أنى هريرة ٤/١ - ٧/٢ - ٩/٣ - ١١/٤ - ٤٠/١٢ - ٦٨/١٩ - ٨٧/٢٨ - ٩٧/٣١ - ١٠٩/٣٤ - ١٣٠/٣٧ - ١٤٢/٤١ - ١٨٥/٥٣ - ١٨٨/٥٤ - ٢٣٧/٦٢ - ٢٤١/٦٣ - ٣٥٧/٨٢ - ٤٢١/٩٣ - ٤٦١/٩٩ - ٥٣٥/١١١ - ٦٣٧/١٢٩ - ٦٧٤/١٣٧ - ٦٧٥ .
- شعيب عن أنى الزناد عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج مولى ربيعة بن الحارث عن أنى هريرة ٤/١ - ٩/٣ - ١١/٤ - ٢٤/٨ - ٤٦/١٤ - ٧٤/٢٢ - ٧٧/٢٣ - ٧٩/٢٤ - ٨٧/٢٨ - ٩١/٣٠ - ١٠٩/٣٤ - ١٣٩/٤٠ - ١٤٢/٤١ - ١٩٨/٥٧ - ٢٤٧/٦٤ - ٢٥٥/٦٦ - ٣٠٥/٧٢ - ٣١٤/٧٤ - ٣٢٦/٧٦ - ٤٩٨/١٠٧ .
- مالك عن أنى الزناد عن الأعرج عن أنى هريرة ١٦/٦ - ٢٠/٧ - ٢٤/٨ - ٢٤/٨ - ٢٧/٩ - ٣٢/١٠ - ٤٣/١٣ - ٤٦/١٤ - ٥٣/١٦ - ٦١/١٨ - ٧٠/٢٠ - ٧٢/٢١ - ٨١/٢٥ - ٨٥/٢٧ - ٩٧/٣١ - ١٠٠/٣٢ - ١٢٣/٣٥ - ١٢٦/٣٦ - ١٣٠/٣٧ - ١٣٧/٣٩ - ١٤٢/٤١ - ١٥٣/٤٦ - ١٨٥/٥٣ - ٢٤١/٦٣ - ٢٦٠/٦٧ - ٢٨٨/٧٠ - ٣٢٢/٧٥ - ٣٥٧/٨٢ - ٤٢١/٩٣ - ٤٤٦/٩٨ - ٤٨٤/١٠٥ - ٥٣٥/١١١ - ٥٥١/١١٣ - ٦١٤/١٢٣ - ٦٣٤/١٢٧ - ٦٥٤/١٣٢ - ٦٧٥/١٣٧ .
- المغيرة بن عبد الرحمن عن أنى الزناد عن الأعرج عن أنى هريرة ١١/٤ - ١٤/٥ - ٣١/١٠ - ٤٠/١٢ - ٤٣/١٣ - ٤٦/١٤ - ٦١/١٨ - ٨٥/٢٧ - ١٢٣/٣٥ - ١٤٧/٤٤ - ١٨٨/٥٤ - ٣٢٢/٧٥ - ٤٨٤/١٠٥ .
- الليث عن جعفر عن الأعرج عن أنى هريرة ٨٥/٢٧ - ٤٤٦/٩٨ .
- أبو مصعب عن أنى الزناد عن الأعرج عن أنى هريرة ٥٣/٦ .
- يونس عن ابن شهاب عن ابن هرمز عن أنى هريرة ٢٧/٩ - ٦٥٤/١٣٢ .
- إسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أنى عمرو عن عبد الرحمن الأعرج عن أنى هريرة ١٣٩/٤٠ .
- أنس بن عياض عن الحارث بن أنى ذباب عن يزيد بن هرمز وعبد الرحمن الأعرج ١٥٣/٤٦ .
- ليث عن بكير عن بسر بن سعيد عن أنى هريرة ٦٦٩/١٣٦ .
- ابن وهب عن عمرو عن بكير عن بسر بن سعيد عن أنى هريرة ٥٠٢/١٠٨ .
- ابن جريج عن زياد (بن سعد الخراساني) عن ثابت مولى عبد الرحمن بن زيد عن أنى هريرة ١٧١/٥٠ - ٢٨٨/٧٠ - ٤٤٦/١٧١ .
- حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أنى هريرة ٦٧٤/١٣٧ - ٦٧٥ .

(١) يبرز هذا الفهرس المتابعات والشواهد لأحاديث الصحيفة .

- الزهرى (محمد بن مسلم بن شهاب) عن حميد بن عبد الرحمن عن أنى هريرة ١٣٠/٣٧ - ١٥٣/٤٦ - ٣٩٠/٨٨ .
- حنظلة (بن أنى سفيان) عن سالم (بن عبد الله) عن أنى هريرة ٧٧/٢٣ .
- سعيد بن أنى سعيد عن سالم مولى النضرين عن أنى هريرة ٣٨٣/٨٧ .
- الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أنى هريرة ٣١/١٠ ، ٥٠/١٥ ، ٦١/١٨ ، ٧٧/٢٣ ، ٩١/٣٠ ، ١٠٠/٣٢ ، ١٣٤/٣٨ ، ١٧٥/٥١ ، ٢٦٠/٦٧ ، ٢٨٧/٧٠ ، ٣٤١/٧٨ ، ٣٨٣/٨٧ ، ٣٩٦/٩٠ - ٣٩٧ ، ٤١٢/٩٢ ، ٤٦١/٩٩ ، ٥٠٣/١٠٨ ، ٥٢١/١١٠ ، ٥٤٠/١١٢ ، ٥٧٦/١١٨ ، ٥٨١/١١٩ - ٦٧٩/١٣٨ - ٦٥٧/١٣٣ ، ٦٤٠/١٣٠ ، ٦٣٢/١٢٦ ، ٦٢٦ - ٦٢٥/١٢٥ ، ٥٩٧/١٢١ ، ٥٨١/١١٩ .
- معمر عن ابن طاوس (عبد الله) عن أبيه عن أنى هريرة ٢١٥ ، ٢١٤/٦٠ .
- عبد الرزاق عن ابن طاوس عن أبيه عن أنى هريرة ٦٤٠/١٣٠ .
- وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن أنى هريرة ٤/١ .
- ورقاء عن ابن طاوس عن أبيه عن أنى هريرة ٤٧١/١٠٣ .
- سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن أنى هريرة ١٥٣/٤٦ - ١٥٤ .
- إبراهيم بن نافع عن الحسن بن مسلم عن طاوس عن أنى هريرة ٩/٣ .
- ابن وهب عن عمرو عن بكير عن سليمان الأغر عن أنى هريرة ٥٠٢/١٠٨ .
- هلال بن على عن عبد الرحمن بن أنى عمرة عن أنى هريرة ١٤/٥ - ٢٧/٩ - ١٤٦/٤٣ - ٦١١/١٢٢ - ٦٦١/١٣٤ .
- شريك بن أنى نمر ، عن عبد الرحمن بن أنى عمرة الأنصارى عن أنى هريرة ٣٢٢/٧٥ .
- شريك بن أنى نمر عن عطاء بن يسار عن أنى هريرة ٣٢٢/٧٥ .
- أبو جعفر (رجل مجهول) عن عطاء بن يسار عن أنى هريرة ٥٦٤/١١٥ .
- داود بن قيس عن موسى بن يسار عن أنى هريرة ٣٦٦/٨٤ - ٤٤٦/٩٨ .
- الحارث بن عبد الرحمن بن أنى ذباب ، عن عطاء بن ميناء ، عن أنى هريرة ٤٦/١٤ - ٦١٤/١٢٣ .
- بشر بن الفضل عن خالد - عن عبد الله بن شقيق عن أنى هريرة ٢٨٧/٧٠ .
- ابن شهاب عن عبيد الله بن عتبة عن أنى هريرة ٣٦٢/٨٣ .
- العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أنى هريرة ٨٣/٢٦ - ١٣٤/٣٨ - ١٣٩/٤٠ - ١٨٨/٥٤ - ٣٦٨/٨٥ - ٥٠٢/١٠٨ - ٥٢١/١١٠ - ٥٤١/١١٢ - ٦١٤/١٢٣ .
- يحيى بن أنى كثير عن عكرمة عن أنى هريرة ٣٥/١١ .
- يحيى عن عكرمة عن أنى هريرة ٤٣٩/٩٦ .
- محمد بن إبراهيم عن عيسى بن طلحة عن أنى هريرة ٣٥٧/٨٢ .
- إسماعيل بن خالد عن قيس (بن أنى حازم) عن أنى هريرة ٦٣١/١٢٦ - ٦٣٢ .
- شعبة عن محمد بن زياد عن أنى هريرة ١٩٨/٥٧ - ٢٥١/٦٥ - ٣٢٢/٧٥ .
- الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أنى هريرة ٢٠/٧ - ١٠٠/٣٢ - ٢٥١/٦٥ - ٣٦٢/٨٣ - ٦٨٠/١٣٨ .
- معاذ عن محمد بن زياد عن أنى هريرة ٦٨٠/١٣٨ .

- أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ٢٠/٧ - ٢٧/٩ - ١٠٩/٣٤ - ١٣٤/٣٨ - ١٧٩/٥٢ - ٣٤١/٧٨ - ٤٢٨/٩٤ - ٤٤٦/٩٨ - ٦٦٩/١٣٦ - ٦٧٤/١٣٧ .
- سلمة بن علقمة عن محمد (بن سيرين) عن أبي هريرة ٢٠/٧ .
- ابن عون عن محمد (بن سيرين) عن أبي هريرة ٢٠/٧ - ٦٦٩/١٣٦ .
- المهدي بن ميمون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ١٥٣/٤٦ .
- هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ١٢٦/٣٦ - ٥٢١/١١٠ .
- هشام بن عروة عن أبيه عن أبي هريرة ٣٩٠/٨٨ - ٤٢٨/٩٤ - ٦٥٧/١٣٣ .
- ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن أبي هريرة ٤٢٨/٩٤ .
- محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن أبي هريرة ٥٠٢/١٠٨ .
- جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة ١٣٠/٣٧ - ٢٥٥/٦٦ .
- شعبة عن قتادة عن أبي أيوب (يحيى بن مالك المراءى) عن أبي هريرة ٤٠/١٢ .
- ابن شهاب عن أبي إدريس الخولاني عن أبي هريرة ١٨٥/٥٣ - ٣٥٧/٨٢ .
- ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ٣٩٦/٩٠ .
- أبي بكر بن يحيى بن النضر عن أبي هريرة ٥٧٢/١١٧ .
- شعبة ، عن عدى بن ثابت ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ٥٥١/١١٣ - ٦١٠/١٢٢ .
- حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة ٢٧/٩ - ٢٥١/٦٥ .
- قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة ١٤٦/١٤ - ٦٨٨/١٣٩ .
- عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة ٦٨/١٩ - ٧٠/٢٠ - ٢٧٨/٦٩ - ٤٢١/٩٣ .
- أبو زرعة عن أبي هريرة ٣٧٣/٧٦ .
- الليث بن سعد عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة ١٤/٥ .
- ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة ٦٥٤/١٣٢ - ٦٦٩/١٣٦ .
- مالك بن أنس عن ابن فلان عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة ٤٠/١٢ .
- الأسود بن العلاء عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ٦٨٠/١٣٨ .
- ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ٣١/١٠ - ٣٢ - ٦١/١٨ - ٧٠/٢٠ - ٧٤/٢٢ - ٧٩/٢٤ - ١٠٠/٣٢ - ٢٥٩/٦٧ - ٢٦٠ - ٢٨٧/٧٠ - ٣٤١/٧٨ - ٣٩٦/٩٠ - ٣٩٧ - ٤١٢/٩٢ - ٤٧٤/١٠٥ - ٥٠٢/١٠٨ - ٥٢١/١١٠ - ٥٢٢ - ٥٧٦/١١٨ - ٦١٠/١٢٢ - ٦٧٩/١٣٨ - ٦٦١/١٣٤ .
- محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ٣١/١٠ .
- يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ١٥٣/٤٦ - ٤٢٨/٩٤ .
- الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ٢٧/٩ - ٤٦/١٤ - ٧٠/٢٠ - ٩٧/٣١ - ١٢٧/٣٦ - ١٣٠/٣٧ - ٢٥٥/٦٦ - ٢٦٠/٦٧ - ٢٧٨/٦٩ - ٢٨٧/٧٠ - ٣٥٣/٨١ - ٣٦٨/٨٥ - ٣٨٣/٨٧ - ٣٩٦/٩٠ - ٥٨١/١١٩ - ٦٥٤/١٣٢ - ٦٥٧/١٣٣ - ٦٧٠/١٣٦ .
- سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ٣٢/١٠ - ٤٠/١١ - ٤٢١/٩٣ - ٤٤٦/٩٨ - ٤٧٢/١٠٣ -

٥٥٢/١١٣ - ٥٩٧/١٢١ - ٦٤٠/١٣١ - ٦٦٩/١٣٦ - ٦٧٥/١٣٧ .

سمى مولى أى بكر ، عن أى صالح ، عن أى هريرة ٣٢/١٠ .

يحيى بن سعيد عن أى صالح عن أى هريرة ٦٨/٩ - ٤٢١/٩٣ .

يعقوب بن عبد الرحمن القادى ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أى هريرة ٧٧/٢٣ .

أبو حازم عن أى صالح السمان عن أى هريرة ٧٤/٢٢ .

أبو حصين عن أى صالح عن أى هريرة ٦١١/١٢٢ - ٢٣٧/٦٢ .

الزهرى عن أى عبيد مولى عبد الرحمن بن عوف عن أى هريرة ٣٣٥/٧٧ - ٦٦٩/١٣٦ ، ٦٧٠ .

يعلى بن عطاء عن أى علقمة عن أى هريرة ٧٤/٢٢ .

عمرو بن الحارث عن أى يونس مولى أى هريرة عن أى هريرة ٣١/١ - ٧٧/٢٣ - ١٣٤/٣٨ - ٢٠١/٥٨ -

٤٠٩/٩١ - ٤٣٢/٩٥ - ٦٢٦/١٢٥ .

أنس

(إسحاق) بن أى طلحة عن أنس ٣٨٤/٨٧ .

ثابت البنائى عن أنس ٣٥/١١ .

حميد عن أنس ٥٨٥/١٢٠ .

سليمان التيمي عن أنس ٣٥٣/٨١ .

منصور عن طلحة عن أنس ٤٣٢/٩٥ .

عبد العزيز بن صهيب عن أنس ٣٣٥/٧٧ - ٦١٤/١٢٣ .

قتادة عن أنس ٣٥/١١ - ١٥١/٤٥ - ١٦٧/٤٩ - ١٨٠/٥٢ - ٣٤٨/٨٠ - ٣٥٣ - ٤٦١/٩٩ - ١٢٠ /

٥٨٥ .

مختار بن فلفل عن أنس ٤٢٩/٩٤ .

موسى بن أنس عن أنس ٥٠/١٥ .

جابر بن عبد الله

أبو الزبير (محمد بن مسلم بن تدرس) عن جابر ١٨٥/٥٣ - ٢٨٧/٧٠ - ٣١٣/٧٤ - ٣٨٣/٨٧ -

٥٥٢/١١٣ - ٦٧٠/١٣٦ .

سعيد بن ميناء ١١/٤ .

أبو سفيان (طلحة بن نافع) عن جابر ٦٧٠/١٣٦ .

جابر بن سمرة

جرير عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة ٩١/٣٠ .

عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة ٦٣٧/١٢٩ .

حارثة بن وهب

شعبة عن معبد بن خالد عن حارثة بن وهب ٧٧/٢٣ .

حصين عن جابر بن سمرة ٦٣٧/١٢٩ .

حكيم بن حزام

هشام عن أبيه عن حكيم بن حزام ٦٥٧/١٣٣ .

سهل بن سعد

أبو حازم عن سهل بن سعد ١٤/٥ - ٤١٢/٩٢ .

قتادة عن أنس عن عبادة بن الصامت ٧٢/٢١ .

عبادة بن الصامت

همام عن قتادة عن أنس عن عبادة بن الصامت ٧٢/٢١ .

عبد الله بن زيد

عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد ١٩٨/٥٧ .

عبد الله بن مسعود

أبو الأحوص عن عبد الله بن مسعود ١٣٠/٣٧ .

معتز بن سليمان عن أبيه عن أبي عثمان عن عبد الله بن مسعود ٤٤٦/٩٨ .

عمرو بن تغلب

جرير بن حازم عن الحسن عن عمرو بن تغلب ٦٣٢/١٢٦ .

معاوية

ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن معاوية ١٤٦/٤٣ .

أبو أمامة

عكرمة بن عمار عن شداد عن أبي أمامة ٦٥٧/١٣٣ .

أبو ذر

الأعمش عن زيد بن وهب عن أبي ذر ٣٦٢/٨٣ .

مهاجر أبو الحسن مولى بني تميم عن زيد بن وهب عن أبي ذر ٥٠٣ - ٥٠٢/١٠٨ .

الأعمش عن زيد بن وهب عن أبي ذر ٣٦٢/٨٣ .

الأعمش عن المعروف بن سويد عن أبي ذر ٣٥٣/٨١ .

أبو سعيد الخدري

ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي سعيد ٥٨٥/١٢٠ .

ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي سعيد ٦٧٥ - ٦٧٤/١٣٧ .

عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن أبي سعيد ٦٧٤/١٣٧ .

أبو حازم والدراردي عن يزيد بن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد ١٦٧/٤٩ .

ابن شهاب عن أبي إدريس الخولاني عن أبي سعيد الخدري ١٨٥/٥٣ .

الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري ١٨٠/٥٢ .

ابن شهاب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبي سعيد ٦٧٥ - ٦٧٤/١٣٧ .

ابن شهاب عن عطاء بن يزيد عن أبي سعيد ٦٧٥ - ٦٧٤/١٣٧ .

ابن عباس

سفیان ابن طاوس عن طاوس عن أبيه عن ابن عباس ٤٧١/١٠٣ .

معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس ٤٧١/١٠٣ .

وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس ٦٤٤/١٣١ .

عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس ٤٦٧/١٠١ .

الفضيل بن غزوان عن عكرمة عن ابن عباس ٣١٧/٩٠ .

نافع بن جبير عن ابن عباس ٦٦٤/١٣٥ .

عبد الله بن أبي حسين عن نافع بن جبير عن ابن عباس ٤٩٨/١٠٧ .

شعبة عن أبي حمزة القصاب عن ابن عباس ٣٨٤/٨٧ .

أبو رجاء العطاردي عن ابن عباس ١٨٨/٥٤ .

الجعدي أبو عثمان عن أبي رجاء العطاردي عن ابن عباس ٤٩٥/١٠٦ .

عبد الله بن عمر

موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه ٦٢٥/١٢٥ - ٦٢٦ .

أبو بكر بن سالم عن سالم عن عبد الله بن عمر ٦٢٦/١٢٥ .

ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه ٢٥١/٦٥ .

أيوب عن نافع عن ابن عمر ٥٥١/١١٣ - ٥٥٢ - ٦٥٧/١٣٣ .

جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر ٣٨٩/٨٨ - ٣٩٠ - ١٢٥ / ٦٢٥ - ٦٢٦ .

صالح بن كيسان عن نافع عن ابن عمر ٥٠٢/١٠٨ .

عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ٣٨٩/٨٨ - ٣٩٠ - ٥٤٠/١١٢ - ٥٥١/١١٣ - ٥٥٢ .

الليث عن نافع عن ابن عمر ٥٤٠/١١٢ .

مالك عن نافع عن ابن عمر ٣٩٠/٨٨ - ٢٧٨/٧٩ - ٥٨١/١١٩ - ٥٨٢ ، ٥٨٥/١٢٠ - ٦٥٧/١٣٣ .

واقف بن محمد عن نافع عن ابن عمر ٥٥١/١١٣ .

أبو قتادة

يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه ٥٢١/١١٠ .

أبو مسعود الأنصاري

هشيم عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن أبي مسعود الأنصاري ٤٧٤/١٠٥ .

أبو موسى

بريد عن أبي بردة عن أبي موسى ٧٧/٢٣ - ٥٥٢/١١٣ .

أبو أسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى ٧٢/٢١ .

الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى ٥٨٢/١١٩ .

عائشة

هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ٥٠/١٥ - ٥٧٢/١١٧ - ٥٨٦/١٢٠ .

شقيق (أبو وائل) عن مسروق عن عائشة ٣٢٧/٧٦ .

أبو الضحى عن مسروق عن عائشة ٣٨٤/٨٧ .

موسى بن عقبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة ٦٦٩/١٣٦ ، ٦٧٠ .

ثبت المصادر

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - آداب الزفاف في السنة المطهرة : محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي - ط ٧ - دمشق - بيروت ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- ٣ - الإجابة ؛ لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة : محمد بن عبد الله بن بهادر بن عبد الله الزركشي (٧٤٥ - ٧٩٤) المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت .
- ٤ - أحاديث الإسراء والمعراج ، دراسة توثيقية : رفعت فوزي عبد المطلب مكتبة الخانجي - القاهرة .
- ٥ - الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي المقرئ البستي (٣٤٠ هـ) - ترتيب الأمير علاء الدين أبي الحسن علي بلبان بن عبد الله الفارسي المنعوت بالأمير (٦٧٥ - ٧٣٩ هـ) - المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
- ٦ - إحكام الأحكام ؛ شرح عمدة الأحكام .
العمدة لتقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي أبي محمد الجماعلي - دمشق (٥٤١ - ٦٠٠ هـ) .
والأحكام لتقي الدين محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري أبي الفتح المعروف بابن دقيق العيد القوصي (٦٢٥ - ٧٠٢ هـ) . عالم الفكر - القاهرة .
- ٧ - الأدب المفرد ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) - المكتبة السلفية بالقاهرة .
- ٨ - الأذكار : (حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار) محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (٦٣١ - ٦٧٦ هـ) . تحقيق عبد القادر الأرناؤوط - دمشق .
- ٩ - إرشاد الساري ، لشرح صحيح البخاري ؛ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (٩٢٣ هـ) - دار الكتاب العربي .
- ١٠ - الاستذكار ؛ لمذاهب فقهاء الأمصار . وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (٤٦٣ هـ) . تحقيق علي النجدي ناصف - المجلس الأعلى للشفون الإسلامية - القاهرة .
- ١١ - الأسماء المهمة ، في الأنباء المحكمة ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ) أخرجه عز الدين علي السيد - مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- ١٢ - الأضواء القرآنية : السيد صالح أبو بكر - مطابع محرم الصناعية .
- ١٣ - الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الهمداني (٥٨٤ هـ) . مطبعة الأندلس بمحصر - ط ١ - ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .
- ١٤ - إكمال إكمال المعلم : أبو عبد الله محمد بن خليفة الوشنان ، الأبي ، المالكي ، (٨٢٧ أو ٨٢٨ هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت . لبنان .

- ١٥ - الأم : أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي . دار الشعب بالقاهرة - ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
- ١٦ - بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها ، شرح مختصر صحيح البخاري ، المسمى جمع النهاية في بدء الخير والغاية : أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي (٦٩٩ هـ) ط : ٢ - دار الجليل - بيروت لبنان ١٩٧٢ م .
- ١٧ - تاريخ بغداد ، أو مدينة السلام . أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ) . مكتبة الخانجي ، والمكتبة العربية ببغداد ومطبعة السعادة بالقاهرة - ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م .
- ١٨ - تبين الحقائق ؛ فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي ، المطبعة الأميرية ببولاق ١٣١٣ هـ ط ١ .
- ١٩ - تحرير التيسير : محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري (٧٥١ - ٨٣٣ هـ) ط ١ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤٠٤ هـ .
- ٢٠ - تحفة الأشراف ، بمعرفة الأطراف ، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي ، عبد الرحمن بن يوسف المزي . ت : ٧٤٢ تصحيح وتعليق عبد الصمد شرف الدين - الدار القيمة - ممبای - الهند - ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م .
- ٢١ - تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد : زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (٨٠٦ هـ) دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .
- ٢٢ - توثيق السنة في القرن الثاني الهجري - أسسه واتجاهاته : رفعت فوزي عبد المطلب مكتبة الخانجي - القاهرة .
- ٢٣ - تهذيب الآثار ، وتفصيل الثابت عن رسول الله - ﷺ - أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) قرأه وخرج أحاديثه أبو فهر محمود محمد شاكر - مطبعة المدني بالقاهرة .
- ٢٤ - جامع العلوم والحكم ، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي - دار عمر بن الخطاب للنشر والتوزيع - القاهرة .
- ٢٥ - الجامع الصحيح ، وهو سنن الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
- ٢٦ - الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار الشعب - القاهرة .
- ٢٧ - الجامع لشعب الإيمان : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) ، حيدر آباد الهند .
- ٢٨ - جمع الجوامع ، أو الجامع الكبير ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) .
- ٢٩ - حاشية السندی على سنن النسائي (انظر سنن النسائي) .
- ٣٠ - حجاب المرأة المسلمة ولباسها في الصلاة : تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق ط (٢) .
- ٣١ - حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار (انظر الأذكار) .
- ٣٢ - دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه : محمد مصطفى الأعظمي - المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت .
- ٣٣ - دفاع عن الحديث النبوي وتفنيد شبهات خصومه ، لجنة من العلماء - تصحيح زكريا علي يوسف - مكتبة المتنبي بالقاهرة .

- ٣٤ - دفع شبه التشبيه بآلف التنزيه ، في الرد على المجسمة والمشبهة أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (٥٩٧) تحقيق محمد زاهد الكوثرى - المكتبة التوفيقية - بالقاهرة .
- ٣٥ - زهر الرى على المجتبى : جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (انظر سنن النسائى) .
- ٣٦ - سبل السلام ، شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام : محمد بن إسماعيل الأمير اليمنى الصنعائى (ت ١١٨٢ هـ) - مكتبة عاطف - القاهرة .
- ٣٧ - سنة الرسول - ﷺ ، محمد الحافظ التجانى ، سلسلة البحوث الإسلامية - مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - القاهرة .
- ٣٨ - السنة ؛ ابن أبى عاصم أبو بكر عمرو بن أبى عاصم الضحاك بن مخلد الشيبانى (٢٨٧ هـ) ومعه ظلال الجنة فى تخرىج السنة ؛ محمد ناصر الدين الألبانى ، المكتب الإسلامى ، ط (١) - ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م بيروت - دمشق .
- ٣٩ - سنن ابن ماجه : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى (٢٠٧ - ٢٧٥ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - عيسى البابى الحلبي - القاهرة .
- ٤٠ - سنن أبى داود أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ) - إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس . حمص ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .
- ٤١ - السنن الكبرى : أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى (٤٥٨ هـ) - حيدرآباد الدكن الهند - ١٣٥٥ هـ .
- ٤٢ - سنن النسائى : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على النسائى (٣٠٣ هـ) المكتبة التجارية الكبرى - مصر . (وعلى هامشه حاشية للسندى وزهر الرى شرح له للسيوطى) .
- ٤٣ - شرح أسماء الله الحسنى : أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشبرى جمال الدين (ولد ٣٧٦ هـ - ٩٨٦ م ت ٤٦٥ هـ) .
- ٤٤ - شرح السنة : أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى (٤٣٦ - ٥١٦ هـ) - تحقيق شعيب الأرناؤوط وزميله - المكتب الإسلامى ط (١) - ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م .
- ٤٥ - شرح صحيح مسلم : يحيى بن شرف بن مرى حسن بن حسين بن حزام النووى الشافعى أبو زكريا محبى الدين . تحقيق عبد الله أحمد أبو زينة - دار الشعب - القاهرة .
- ٤٦ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى - ﷺ : أبو الفضل عياض اليحصبى الأندلسى (٥٤٤) - مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .
- ٤٧ - شفاء العليل : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية (٧٥١ هـ) مكتبة دار التراث بالقاهرة .
- ٤٨ - صحيح ابن خزيمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمى النيسابورى (٢٢٣ - ٣١١ هـ) تحقيق محمد مصطفى الأعظمى - المكتب الإسلامى دمشق - بيروت .
- ٤٩ - صحيح البخارى : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفى . ١٩٤ - ٢٥٦ هـ . المكتبة الإسلامية - استنبول - تركيا .
- ٥٠ - صحيح الجامع الصغير وزيادته : محمد ناصر الدين الألبانى - المكتب الإسلامى دمشق - بيروت .

- ٥١ - صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة .
- ٥٢ - الطب النبوي : شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ هـ) دار إحياء الكتب العربية ط (٢) ١٣٩٨ - ١٩٧٨ م .
- ٥٣ - طرح التثريب في شرح التقريب : زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (٧٢٥ - ٨٠٦ هـ) وابنه أبو زرعة ولي الدين العراقي (٧٦٢ - ٨٢٦ هـ) . دار المعارف - سورية حلب .
- ٥٤ - طريق المهجرين : شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ هـ) مراجعة محب الدين الخطيب - المكتبة السلفية بالقاهرة .
- ٥٥ - عارضة الأحوذى شرح صحيح الترمذى : أبو بكر بن العربي المالكي مطبعة الصاوى ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .
- ٥٦ - عمدة القارى شرح صحيح البخارى : بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني (٧٦٢ - ٨٥٥ هـ) مكتبة ومطبعة مصطفى البانى الحلبي - القاهرة .
- ٥٧ - غريب الحديث ؛ أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤ هـ) تحقيق حسين محمد شرف - جمع اللغة العربية بالقاهرة (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) .
- ٥٨ - فتح البارى شرح صحيح البخارى : أحمد بن على بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) . المكتبة السلفية بالقاهرة .
- ٥٩ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : نور الدين على بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧ هـ) دار الكتاب العربي بيروت .
- ٦٠ - المحلى : أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم (٤٥٦ هـ) دار الفكر - بيروت .
- ٦١ - مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي - ترتيب محمود خاطر - الهيئة العامة للكتاب .
- ٦٢ - المدخل إلى توثيق السنة : رفعت فوزى عبد المطلب - مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- ٦٣ - المستدرك على الصحيحين : أبو عبد الله الحاكم النيسابوري - وبذيله التلخيص للمحافظ شمس الدين الذهبي - دار الفكر - بيروت .
- ٦٤ - مسند أبي داود الطيالسي : سليمان بن داود بن الجارود الفارسي الأصل البصري (٢٠٤ هـ) حيدرآباد الدكن بالهند (١٣٢١ هـ) .
- ٦٥ - مسند أبي عوانة : يعقوب بن إسحاق الإسفرائني (٣٠١٦ هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر - لبنان .
- ٦٦ - المسند : أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني - دار صادر بيروت - والمكتب الإسلامي - دمشق - بيروت ، والأجزاء التي حققها أحمد محمد شاكر وكملها ابتداء من جزء ١٦ الحسيني عبد المجيد هاشم - دار المعارف بالقاهرة .
- ٦٧ - مشارق الأنوار على صحاح الآثار : أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي (٥٤٤ هـ) - المكتبة العتيقة تونس ، دار التراث بالقاهرة .
- ٦٨ - مشكل الحديث وبيانه - أبو بكر بن فورك (٤٠٦ هـ) دار الكتب الحديثة بالقاهرة .
- ٦٩ - مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه : أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان بن عمر الكنانى شهاب الدين البوصيري (٧٦٢ - ٨٤٠ هـ) دار العربية بيروت - لبنان .

- ٧٠ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (٧٧٠ هـ) -
مراجعة عبد العظيم الشناوي - دار المعارف القاهرة .
- ٧١ - المصنف : أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (١٢٦ - ٢١١ هـ) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي -
المجلس العلمي - كراتشي - باكستان .
- ٧٢ - المصنف في الأحاديث والآثار : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (٢٣٥ هـ) الدار السلفية بمبای
- الهند .
- ٧٣ - المختصر من المختصر من مشكل الآثار : أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفی (من مختصر القاضي أبي
الوليد الباجی) (٤٧٤ هـ) عالم الكتب بيروت - المتنبي القاهرة - سعد الدين دمشق .
- ٧٤ - المعجم الكبير ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانی (٢٦٠ - ٣٦٠ هـ) . تحقيق حمدي عبد المجيد
السلفي - وزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية .
- ٧٥ - المغنى : ابن قدامة أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي (٦٢٠) ومعه مختصر الخرق : أبو القاسم
عمر بن حسين بن عبد الله بن أحمد الخرق - مكتبة الرياض الحديثة .
- ٧٦ - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم : أبو العباس أحمد بن أبي حفص عمر بن إبراهيم الأنصاري
القرطبي (٥٩٨ - ٦٥٦ هـ) . مخطوط مكتبة حلب بالجمهورية العربية السورية .
- ٧٧ - المقاصد الحسنة ؛ في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ؛ شمس الدين أبو الخير محمد بن
عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢ هـ) . مكتبة الخانجي بمصر والمتنبي ببغداد - (١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م) .
- ٧٨ - مكمل إكمال الإكمال : أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني (٨٩٥ هـ) دار الكتب العلمية -
بيروت - لبنان .
- ٧٩ - المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي (٦٩١ -
٧٥١ هـ) تحقيق عبد الفتاح أبو غرة - مكتب المطبوعات الإسلامية حلب (١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م) .
- ٨٠ - موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان ؛ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة .
المكتبة السلفية بالقاهرة .
- ٨١ - الموطأ : مالك بن أنس طبعة دار الشعب بالقاهرة جزء واحد وطبعة عيسى الباني الحلبي في جزئين -
بالقاهرة .
- ٨٢ - تسليم الرياض في شرح شفا القاضي عياض ؛ أحمد شهاب الدين الخفاجي - دار سعادة - مطبعة علمية
بتركيا - ١٣١٢ هـ .
- ٨٣ - النهاية في غريب الحديث والأثر ؛ مجد الدين أبو السخادات المبارك بن محمد الجزري (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ)
تحقيق طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي - دار إحياء الكتب العربية - عيسى الباني الحلبي -
القاهرة .

الفهرس الموضوعى لأحاديث وشرح الصحيفة

(الحديث قد يتناول أكثر من موضوع ، وروعى فى وضعه أبرز موضوع فيه)

الإيمان^(١)

- ٣٤ - لله تسعة وتسعون اسماً ١٠٩ - تخرج الحديث ١٠٩ - معنى الاسم ، واسم الله ١٠٩ - ١١٠ - اتفاق العلماء على أن أسماء الله تعالى لا حصر لها ولا يحصرها هذا الحديث ١١٠ - ١١١ - بيان أسماء الله التسعة والتسعين ؛ صحة الحديث الذى وردت فيه أسماء الله الحسنى - ١١١ - ١١٢ - معنى أسماء الله الحسنى ١١٢ - ١٢١ - معنى من أحصاها دخل الجنة : ١٢١ - ١٢٢ - معنى إنه وتر يحب الوتر ١٢٢ .
- ١٤ - لما قضى الله الخلق ٤٦ - تخرجه ٤٦ - معنى لما قضى الله الخلق ٤٦ - ٤٧ - معنى كتابا والمراد بالكتاب ٤٧ - معنى فوق العرش ٤٨ - المراد من قوله « إن رحمتى سبقت غضبى » ٤٨ - معنى العندية فى الحديث ٤٩ - معنى إن رحمتى سبقت غضبى ٤٨ - المنهج الأمثل فى فهم متشابه الحديث أمثال هذه العبارات ٤٩ - ما يستنبط من سبق الرحمة الغضب .
- ٥١ - لا أزال أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ١٧٥ - تخرجه ١٧٥ - المراد بالناس فى الحديث ١٧٥ - اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال : لا إله إلا الله - تعبير عن الإجابة إلى الإيمان ١٧٦ - اختلاف الأحاديث فى هذا الموضوع ومحاولة الجمع بينها ١٧٦ - كيف يترك قتال مؤدى الجزية والمعاهد مع أنه لا يقول لا إله إلا الله ؟ ١٧٦ - ١٧٧ - معنى وحسابهم على الله ١٧٧ الاعتقاد الجازم بدين الإسلام يكفى ١٧٧ - ما يستدل بالحديث عليه ١٧٨ .
- ٦٦ - أنا عند ظن عبدى نى ٢٥٥ - تخرجه ٢٥٥ - معنى الحديث ٢٥٥ - ٢٥٦ - الحديث من جوامع كلمه ﷺ ٢٥٧ - الحديث يدل على عظمة الله تعالى وعظم قدرته ٢٥٧ - فيه ترجيح جانب الرجاء على الخوف ٢٥٧ - ٢٥٨ .
- ٢١ - من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ٧٢ - تخرجه ٧٢ - رواية للإمام مسلم تسهم فى معنى الحديث ٧٢ ، ٧٣ - معنى من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ٧٣ - المراد من الشرط فى الحديث ٧٣ .

(١) راجع الأحاديث التالية : ٨ ، ٩ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ٣٩ - ٤٦ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٩١ - ١٢٠ .

- ٨١ - إذا تلقاني عبدي بشر تلقيته بذراع ٣٥٣
 تخريجه ٣٥٣ - معنى الحديث في نقاط ٣٥٤ - ٣٥٦ قول بعض العلماء أن الإتيان بأسرع المنسوب إلى الله تعالى ليس على ظاهره ومعناه : ٣٥٤ - التقرب يكون بالنية . ٣٥٤ - ٣٥٥ - نيل الدرجات بالأعمال والنيات - ٣٥٥ - الرأى الأمثل عدم التأويل وأن نمر اللفظ كما جاء - ٣٥٥ - الجمع بين هذا الحديث وأن عمل الحسنة بعشر أمثالها ٣٥٦ - ما يستنبط من الحديث ٣٥٦ .
- ١١١ - يضحك الله لرجلين يقتل أحدهما الآخر ٥٣٥
 تخريجه ٥٣٥ - معنى ضحك الله عز وجل ومذاهب العلماء في ذلك ٥٣٥ - الحديث صريح في أن القاتل كافر ولكن لا مانع أن يكون مسلماً ٥٣٨ - ٥٣٩ . الاستفادة من الحديث أن من قتل في سبيل الله يدخل الجنة ٥٣٩ - الاختلاف في سبب تسمية الشهيد شهيداً . ٥٣٩ .
- ٨٥ - لا يقل أحدكم اسق ربك ٣٦٨
 تخريجه ٣٦٨ - ٣٦٩ - السبب في النهي عن قوله ربي لغير الله ٣٦٩ - رأى ابن حجر في جواز إطلاق الرب مع الإضافة ٣٦٩ وتعقيب على رأيه ٣٧٠ - الجمع بين الحديث وآيات يبدو ظاهرها التعارض جواز إطلاق كلمتي سيدي ومولاي على غير الله عز وجل ٣٧٠ ترجيح الحديث على ما ورد خلاف ذلك ٣٧٠ سبب النهي عن قوله عبدي إلخ ٣٧١ - النهي للتنزيه دون التحريم ٣٧٢ .
- ٨٠ - أفرح أحدكم براحتته إذا ضلت ٣٤٨
 تخريجه ٣٤٨ - ٣٤٩ - معنى الفرح المنسوب إلى الله تعالى والرأى الأمثل في مثل ذلك ٣٤٩ - ٣٥٠ - معنى التوبة وشروطها ٣٥٠ - ٣٥٢ .
- ٩٤ - لا تزالون تستغنون ٤٢٨
 تخريجه ٤٢٨ - ٤٢٩ - روايات تبين معنى الحديث ٤٢٨ - ٤٢٩ - طريقة التلخيص من كيد الشيطان هذا ٤٢٩ - الحكمة في عدم الإسترسال في وسوسة الشيطان - محمل الحديث على الخطوات التي لا ترد عن شبهة - ٤٣٠ - الخطرات التي عن شبهة تدفع بالاستدلال ؛ وكيفيته ٤٣٠ - ٤٣١ - بعض ما يستنبط من الحديث ٤٣١ .
- ٦٧ - من يولد يولد على هذه الفطرة ٢٥٩
 تخريجه ٢٥٩ - ٢٦٠ - من يولد يولد على الفطرة : هل هو عام أو مخصص ٢٦٠ - اختلاف العلماء في المراد بالفطرة ٢٦١ - ٢٦٧ الرأى الأول : الفطرة هي الإسلام هو الصحيح ٢٦١ ، ٢٦٧ معنى فأبواه يهودانه وينصرانه . واستشكال في العبارة وجوابه ٢٦٧ . معنى بقية الحديث في نقاط ١٦٧ - ٢٧٠ مذاهب العلماء في أطفال المسلمين ٢٧٠ . مذاهب العلماء في مصير أطفال المشركين ٢٧٠ - ٢٧٣ .
- ١٣٦ - ليس أحد منكم بمنجي ٦٦٩
 تخريجه ٦٦٩ - ٦٧٠ - شرح الحديث في نقاط ٦٧٠ - ٦٧٣ . الحديث لا يتعارض مع قوله تعالى « ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » ٦٧٠ - ٦٧١ - في الحديث حجة لأهل السنة أنه تعالى لا يجب عليه شيء ٦٧١ - ٦٧٢ وجه تخصيص رسول الله ﷺ بالذكر ٦٧٣ بعض ما يستنبط من الحديث ٦٧٣ .

- ١٢٣ - لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ٦١٤
تخرجه ٦١٤ - ٦١٥ - معنى الحديث في نقاط ٦١٥ - ٦١٦ - ما ذكر في الحديث من طلب المغفرة
إلخ مجرد أمثلة ٦١٦ - علة النهي عن تعليق الإجابة ٦١٦ - ما يؤخذ من الحديث ٦١٦ .
- ٥٤ - إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة ١٨٨
تخرجه ١٨٨ - ١٨٩ - الحديث من الأحاديث القدسية ١٨٩ معنى تحديث النفس بالحسنة ١٨٩ -
مطلق الهم والإرادة لا يكفيان ١٨٩ - معنى فأنا أكتبها ١٨٩ - دلالة الحديث على أن الملك يطلع على
ما في قلب آدمي ١٩٠ الإرادة من عمل القلب ولهذا يثاب على الإرادة الخيرة ١٩٠ ليس حصول
الحسنة بمجرد الترك ١٩٠ - ١٩١ الجمع بين الحديث وحديث آخر يبدو التعارض بينهما ١٩١ -
١٩٢ - أقسام ما يقع في النفس ١٩٢ استثناء إرادة المعصية بمكة - موافقة الحديث للقرآن الكريم
١٩٣ - استثناء وقوع المعصية بالحرم المكى ، ومن أمهات المؤمنين - تأييد ما في القرآن لما جاء في
الحديث ١٩٤ .
- ١٠٦ - قالت الملائكة يا رب ذاك عبد يريد أن يعمل ٤٩٥
تخرجه ٤٩٥ - شرح الحديث في نقاط ٤٩٦ - ٤٩٧ - حالات من يريد عمل المعصية ٤٩٦ - ٤٩٧ .
- ١٠٤ - إذا أحسن أحدكم إسلامه ٤٨٠
تخرجه ٤٨٠ - معنى « إذا أحسن أحدكم إسلامه » ٤٨١ - معنى العدد في « تكتب له بعشر أمثاله إلى
سبعمئة ضعف » ٤٨٢ السيفات لا تضاعف ولكن يستثنى بعض السيفات ٤٨٣ ما يستنبط من
الحديث ٤٨٣ .
- ٩٠ - لا يسرق سارق وهو حين يسرق مؤمن ٣٩٦
تخرجه ٣٩٦ - ٣٩٧ . إنكار البعض للحديث ومناقشته ٣٩٧ - ٣٩٨ - أدلة صرف الحديث عن
ظاهرة ٣٩٨ - ٣٩٩ . اختلاف العلماء في تأويل الحديث ٣٩٩ - ٤٠٤ . رأى الزهرى : إمرار
الحديث كما جاء دون الخوض في معناه ٤٠٤ . القول بأن الحديث تنبيه على جميع أنواع المعاصي
ومناقشة ذلك ٤٠٥ في الحديث إطلاق « لا يزن » على المحصن وغيره ، « ولا يشرب » على الشارب
قليلاً أو كثيراً ٤٠٦ - النهبة والسرقه في الحديث ولماذا ذكر النهبة مع السرقه ٤٠٦ - تفرقة بعض
العلماء بين النهبة المحرمة والمكرهه والمباحة ٤٠٦ معنى الغلول - ٤٠٧ التكرير في إياكم ٤٠٨ .
- ٧٧ - لا يتمنى أحدكم الموت ٣٣٥
تخرجه ٣٣٥ والتحقيق في أنه قد زيدت « من » في الطبعة السابقة للصحيفة ٣٣٥ - ٣٣٦ في الحديث
نهي في صورة النفي وبلاغته ٣٣٦ متى يكون تمنى الموت منها عنه ٣٣٦ - ٣٣٧ - ليس النهي عن
تمنى الموت عاما ٣٣٧ - النهي عن تمنى الموت لا يتعارض مع بعض آيات من القرآن الكريم
أو أحاديث صحيحة ٣٣٨ - ٣٣٩ السر في قوله « من قبل أن يأتيه » ٣٣٩ إذا مات ابن آدم انقطع
عمله ٣٣٩ ، ٣٤٠ .
- لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً ٣٤٠

١٠٣ - على ابن آدم نصيب من الزنا ٤٧١

تخرجه ٤٧١ - ٤٧٢ - معنى على ابن آدم نصيب من الزنا - زنا غير الفرج ليس حقيقياً ٤٧٢ -
 الشرع لا يحاسب عما لا يستطيع الإنسان تجنبه ٤٧٣ معنى « أدرك ذلك لا محالة ٤٧٣ - معنى العين
 زنيها النظر ٤٧٣ - معنى وتصديقها الإعراض ٤٧٣ - ٤٧٤ معنى واللسان زنيته المنطق ٤٧٤ ذكر
 العين واللسان للتنبية بالأعلى على الأدنى ٤٧٤ - ٤٧٥ ما يستدل بعبارة « والقلب زنيته التمني . ومعناه
 ٤٧٥ - دلالة « والفرج يصدق بما ثم أو يكذب ٤٧٦ ، ٤٧٧ - ١١٨ يترتب على فهم الحديث
 فائدتان ٤٧٧ مناقشة بعض المنكرين للحديث ٤٧٧ - ٤٧٩ - فعل الأمور التي ذكرت في الحديث
 على ثلاثة أنواع ٤٧٨ - الحديث رسم لواقع الإنسان وطبيعته ٤٧٨ - ٤٧٩ الحديث لا يتنافى مع
 قوله تعالى : « بل الإنسان على نفسه بصيرة » ٤٧٩ - كما لا يتنافى مع قوله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا
 من أبصارهم » ٤٧٩ ولا يتنافى مع قوله تعالى « إن الله لا يظلم الناس شيئا » ٤٧٩ .

١١٨ - لا يقل ابن آدم : يا خيبة الدهر ، فإنني أنا الدهر ٥٧٦

تخرجه ٥٧٦ - ٥٧٧ - معنى الحديث في نقاط ٥٧٧ - من سب الصنعة فقد سب صانعها ٥٧٧ -
 لا شك في كفر من اعتقد أن الأفعال من الدهر ٥٧٨ - أما جريان الألفاظ على اللسان فهو تشبيه بأهل
 الشرك ٥٧٨ - النهي ليس مقصوراً على ما جاء في الحديث ٥٧٨ - ٥٧٩ معنى فإنني أنا الدهر
 وأقوال العلماء في ذلك ٥٧٩ - معنى أرسل الليل والنهار ٥٧٩ - الأمور والحوادث التي تجري على
 نوعين وإلى من ينسب كل نوع ٥٧٩ - هل الدهر من أسماء الله ؟ ، رد القاضي عياض على من زعم
 ذلك بعبارة « فإذا شئت قبضتها » ٥٨٠ . بعض ما يستنبط من الحديث ٥٨٠ .

١١٣ - الكافر يأكل في سبعة أمعاء ٥٥١

تخرجه ٥٥١ - سبب ورود الحديث ٥٥٢ - واختلاف العلماء في الذي ورد فيه الحديث ٥٥٢ -
 اختلاف العلماء في معنى الحديث ٥٥٤ - المراد بالأمعاء في الحديث ٥٥٧ - ما يؤخذ من الحديث ٥٥٧ .

١٠٧ - كذبني عبدي ولم يكن ذلك له ٤٩٨

تخرجه ٤٩٨ - المراد بكلمة « عبدي » معنى عبارات الحديث ٤٩٩ - ٥٠١
 معنى الصمد وأقوال العلماء في ذلك - القراءات في كفوا ٥٥١

« الطهارة »

٧٤ - لا يبال في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل به ٣١٣

تخرجه ٣١٣ ، ٣١٤ - الإختلاف في روايات هذا الحديث ٣١٤ - معنى الذي لا يجري - الأسلوب
 في « لا يبال » أسلوب خبري ٣١٥ . معنى ثم يغتسل به ٣١٥ - ٣١٨ - احتجاج الحنفية من
 الحديث . ٣١٨ وجواب أحد أصحاب الشافعي ٣١٨ - في الحديث حجة للشافعي في القديم ٣١٩
 دلالة الحديث على تحريم الغسل والوضوء بالماء النجس ٣١٩ احتجاج أحمد بالحديث ٣١٩ - افتراق
 الحكم بالنسبة إلى قلة الماء وكثرته ٣١٩ - ٣٢٠ - هل يلحق الاستنجاء بالبول ؟ ٣٢٠ - ٣٢١
 توجيه اختلاف الروايات في الجار والمجرور في آخر الحديث ٣٢١ .

- ٣٦ - **طهور إناء أحدكم إذا ولغ الكلب فيه ١٢٦**
تخرجه ١٢٦ موقف الفقهاء مما جاء في هذا الحديث ١٢٧ الحكمة من الأمر بالغسل على النحو الذى جاء في الحديث ١٢٨ - ١٢٩ .
- ٥٣ - **إذا استجمر أحدكم فليوتر ١٨٥**
تخرجه ١٨٥ - معنى « إذا استجمر أحدكم فليوتر » ١٨٥ - معنى « فليوتر » ١٨٦ - حكم الأمر بالوتر في الاستطابة ١٨٧ - التخيير بين الإستنجاء بالأحجار أو بالماء ١٨٦ - ١٨٧ .
- ٧٠ - **إذا استيقظ أحدكم فلا يضع يده على الوضوء ٢٨٧**
تخرجه ٢٨٧ - ٢٨٨ - الاستيقاظ في الحديث معناه عقب النوم ٢٨٨ - ٢٨٩ إلحاق نوم النهار بنوم الليل ٢٨٩ - معنى الوضوء في الحديث ٢٩٠ - اختلاف العلماء في النهى هل هو للتحريم أو للتنزيه ؟ ٢٩٠ - ٢٩١ - هل ينجس الماء بالغمس أو لا ينجس ؟ ٢٩١ . هل النهى للتعبد أو أنه معقول المعنى ٢٩١ - ٢٩٢ - التعليل بإحتمال النجاسة يقتضى إلحاق من يشك في نجاسة يده وإن كان متيقظاً . هل النهى لاحتمال النجاسة ٢٩٢ - ٢٩٣ - ما يستنبط من الحديث ٢٩٣ - ٢٩٧ - وأحكام أخرى من خلال ذلك .
- ١٠٩ - **لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث ٥١٢**
تخرجه ٥١٢ - الاستدلال بالحديث على اشتراط الطهارة في صحة الصلاة ٥١٣ - ومعنى القبول ٥١٣ - الصلاة في الحديث معناها الصلاة عامة ٥١٤ - قول ابن العرى إن الطهارة من شروط أداء الصلاة لا وجوبها ٥١٥ - استدلال القاضى عياض على أن فاقد الطهورية لا تجب عليه الصلاة ٥١٥ - أقوال العلماء في المعذور الذى لم يجد ماء ولا تراباً ٥١٥ - ٥١٦ - معاني الحدث والمعنى المراد في الحديث ٥١٦ - ٥١٨ معنى إذا أحدث : أى نوع من أنواع النواقض - ٥١٨ - النواقض التى أجمع العلماء عليها والتى اختلفوا فيها ٥١٨ - حكمة ربط الطهارة بالأحداث ٥١٩ المراد بقوله حتى يتوضأ ٥٢٠ بعض ما يستنبط من الحديث ٥٢٠ ، الاستدلال بالحديث على أن الوضوء لا يجب لكل صلاة ٥٢٠ .
- ٨٢ - **إذا توضأ أحدكم فليستشق بمنخرجه من ماء ٣٥٧**
تخرجه ٣٥٧ - معنى الحديث في نقاط ٣٥٨ - استدلال أحمد وأبى ثور على وجوب الاستنشاق ، ورأى الجمهور ٣٥٨ - ٣٥٩ - الاستدلال على أنه لابد من الإنتثار ٣٥٩ - لا تفرقة في الاستنشاق بين الصائم وغيره ٣٥٩ - ٣٦٠ حكمة الاستنشاق ٣٦٠ - ٣٦١ .
- ٤٧ - **بينما أيوب يغتسل عريانا ١٦٠**
تخرجه ١٦٠ استدلال البخارى بهذا الحديث على جواز اغتسال الإنسان عريانا ١٦٠ - ١٦١ - معنى رجل جرد ١٦١ - الحديث مما أعلمه الله رسوله بوحي استنباط فوائد من هذا الحديث ١٦٢ مناقشة بعض التكررات الذين أنكروا الحديث : ١٦٣ - ١٦٤ .
- ٦١ - **كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سواة بعض ٢٢٧**
تخرجه ، وذكر روايات تسهم في توضيح حديث همام ٢٢٧ - ٢٢٨ - كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة وجواز ذلك في حقهم أو عدم جوازه ٢٢٨ - وكان موسى يغتسل وحده ، واستدلال البخارى به على جواز التعرى في الغسل ٢٢٨ - ٢٢٩ - الجمع بين هذا الحديث وحديث لا يجوز التعرى ٢٢٩ - ٢٣٠ - ما يستنبط من الحديث ٢٣٠ - ٢٣١ - رد شبه على الحديث ٢٣١ - ٢٣٦ .

(١) الصلاة

- ٨ - الملائكة يتعاقبون فيكم ٢٤
تخرجه ٢٤ - معنى يتعاقبون فيكم ٢٤ - ٢٥ المراد بملائكة الليل وملائكة النهار ٢٥ - سر اجتماعهم في هاتين الصلاتين ٢٥ - الحكم في سؤال الله عز وجل الملائكة ٢٥ - السر في عدم مراعاة الترتيب في قول الملائكة « تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون » ٢٦ - ما يستفاد من الحديث ٢٦ .
- ٢٧ - إذا نودى بالصلاة أدبر الشيطان له ضراط ٨٥
تخرجه ٨٥ - المراد بالتثويب الإقامة ٨٥ - ٨٦ - معنى يخطر ٨٦ - معنى الحديث ٨٦ - بعض ما يستفاد في الحديث ٨٦ .
- ٣٣ - إذا نودى للصلاة صلاة الصبح وأحدكم جنب ١٠٤
تخرجه ١٠٤ الحديث من مراسيل الصحابة ١٠٤ - حديث يبين اختلاف الصحابة في هذا الموضوع ١٠٤ - ١٠٥ - رجوع أبي هريرة عن رأيه في هذا الموضوع ١٠٥ مقارنة بين هذا الحديث وحديث عائشة وأم سلمة في صحة صوم من يصبح جنباً ورأى البخارى وتفسيره - ١٠٥ - بعض العلماء جمع بين الحديثين ١٠٧ - ١٠٨ استقرار الإجماع على صحة صوم الجنب ١٠٨ .
- ١١٠ - إذا نودى بالصلاة فاتتوها وأنتم تمشون ٥١٢
تخرجه ٥٢١ - ٥٢٣ اختلاف الروايات فيما بين « أتوا » و « اقضوا » ٥٢٢ - ٥٢٣ من كره الإسراع ومن فعله ، وإزالة التعارض بين هؤلاء وهؤلاء ٥٢٣ - ٥٢٥ - لا يتعارض عدم الإسراع مع السعى إلى الجمعة كما في الآية الكريمة ٥٢٥ - ٥٢٦ - معنى إذا نودى بالصلاة والمراد بالنداء ٥٢٦ - حكم الأمر للندب في فاتتوها وأنتم تمشون ٥٢٦ - ٥٢٧ . معنى « السكينة » وإعرابها وحذوها ٥٢٧ - الحكمة في الأمر بالمشي ولزوم السكينة ٥٢٧ - ٥٢٨ - الحديث ناسخ لما روى أن الصحابة كانوا يصلون مقدار ما فاتهم منفردين ثم يدخلون مع الإمام ٥٢٨ - ٥٢٩ - الاستدلال بالحديث على حصول فضيلة الجماعة بإدراك جزء من الصلاة ٥٢٩ - الاستدلال بالحديث على استحباب الدخول مع الإمام في أى حالة وجد عليها ٥٣٠ - الاستدلال على أن ما أدركه المسبوق مع الإمام هو أول صلاته ومذاهب العلماء في ذلك وأدلتهم ومناقشتها ٥٣٠ - ٥٣٣ - الآثار التي تترتب على القول بأن المسبوق يتم أو يقضى ٥٣٣ - استدلال ابن حزم بالحديث أن من أدرك الإمام في الركوع لا تحسب له الركعة ومذهب الأئمة وغيرهم ٥٣٣ متى تحسب الركعة ٥٣٤ ؟ .
- ١٠٨ - أبردوا عن الحر في الصلاة ، فإن شدة الحر من فيح جهنم ٥٠٢
تخرجه ٥٠٢ - ٥٠٣ معنى الإبراد ٥٠٣ - الأمر بالإبراد للإستحباب ٥٠٣ - هل الأمر بالإبراد مطلق أو مقيد واختلاف العلماء في ذلك ٥٠٣ - ٤٠٦ - حمل بعضهم الصلاة على عمومها ومناقشتهم ٥٠٧ - وجوه الجمع بين حديث خباب شكونا إلى رسول الله ﷺ حر الرمضاء والحديث هنا . الاستدلال بالحديث على استحباب الإبراد بصلاة الجمعة ٥١٠ - ٥١١ - معنى فإن شدة الحر من فيح جهنم واختلاف العلماء في ذلك ٥١١ .

- ٩ - الملائكة تصل على أحدكم مادام في مصلاه ٢٧
تخرجه ٢٧ - ٢٨ - معنى صلاة الملائكة - المراد بـ « مصلاه » ٢٨ ، ٢٩ - مطابقة دعاء الملائكة لما في القرآن الكريم ٢٩ - الفرق بين المغفرة والرحمة ٢٩ - معنى ما لم يحدث ٩٩ - ٣٠ ما يستفاد من الحديث ٣٠ .
- ١٣٢ - لا يزال أحدكم في صلاة ما كانت تحبسه ٦٥٤
تخرجه ٦٥٤ - ٦٥٥ - الروايات عن أنى هريرة التي جمعت بين هذا الحديث وحديث رقم (٩) ٦٥٥ - معنى الحديث في نقاط ٦٥٥ - ٦٥٦ - المراد كتابة الأجر ٦٥٥ - شروط حيازة الفضيلة ٦٥٦ - تقييد الإطلاق في الحديث ٦٥٦ .
- ١٠٥ - إذا أم أحدكم للناس فليخفف الصلاة ٤٨٤ - ٤٨٥
تخرج الحديث ٤٨٤ - ٤٨٥ - حكم التخفيف وهل هو مجمع على نديه أو يختلف فيه ٤٨٥ - ٤٨٧ - التطويل والتخفيف من الأمور الإضافية ٤٨٧ - الحد الأدنى من التخفيف عدم الإخلال بسنن الصلاة ومقاصدها ٤٨٧ - ضبط بعض العلماء ما يحصل به التخفيف ٤٨٨ - الأمر بالتخفيف - علل الحكم بالتخفيف ٤٨٩ - عادة النبي ﷺ التطويل إلا في حالات مستثناة ٤٩٠ - ٤٩١ - رأى بعض العلماء أن الأمر بالتخفيف مطلق ٤٩١ - ٤٩٢ - وتعقيب على هذا الرأي ٤٩٢ - تنبيه الإمام أدنى تنبيه إذا حدثت حالة تستدعي التخفيف لا ينقص من كمال الصلاة ٤٩٣ التطويل مطلوب في غير الجماعة ويتقيد بما إذا لم يخرج إلى سهو ٤٩٣ - ٤٩٤ - بعض ما يستنبط من الحديث ٤٩٤ .
- ٩٢ - التسيب للقوم والتصفيق للنساء في الصلاة ٤١٢
تخرجه ٤١٢ - اختلاف العلماء في التسيب والتصفيق هل ييطان الصلاة أو لا ٤١٢ - ٤١٤ هل التسيب خاص بالرجال ؟ وأقوال العلماء في ذلك ، نقل ابن حزم الإجماع على أن التسيب للرجال والتصفيق للنساء ٤١٥ - الحكمة في مشروعية التصفيق للنساء ٤١٦ - حكم التسيب والتصفيق - الحكم فيما إذا خالف كل من الرجال والنساء المشروع في حقه ٤١٧ - هل يعدل عن التسيب إلى غيره من الذكر ؟ وأقوال العلماء في ذلك ٤١٨ . وهل يعدل عن التصفيق إلى غيره مما هو في معناه ؟ ٤١٨ - ٤١٩ - حكم الإشارة في الصلاة ٤١٩ - ٤٢٠ .
- ٤٥ - أقيموا الصف في الصلاة ١٥١
تخرجه ١٥١ - معنى الحديث والحث على تسوية الصفوف ١٥١ - مغزى الأمر بإقامة الصفوف ١٥٢ .
- ٤٤ - إنما الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه ١٤٨
تخرجه ١٤٧ - معنى إنما الإمام ليؤتم به ١٤٨ - سبب الحديث ١٤٨ - حكم صلاة المأمومين خلف الإمام الجالس ١٤٨ - ١٤٩ - الجمع بين هذا الحديث وحديث آخر يتعارض معه ١٥٠ .
- ٣٧ - والذي نفس محمد بيده لقد هممت أن آمر فتيان أن يستعدوا لي بحزم من حطب ١٣٠
تخرجه ١٣٠ - ١٣١ - حكم صلاة الجماعة ١٣١ - إجابة من يقول إنها سنة مؤكدة على ظاهر هذا الحديث ١٣١ - ١٣٢ - بيان الفوائد التي تؤخذ من هذا الحديث ١٣٢ - ١٣٣ .

- ١٠ - إذا قال أحدكم ... آمين ٣١ - تحريجه ٣١ - ٣٢ - المراد بقوله « آمين » في الصلاة ٢٦ - المراد بالملائكة في الحديث ٢٦ - معنى فوافق إحداها الأخرى ٣٣ - المراد من غفران الذنوب التي تقدمت : ٣٣ - ٣٤ - ما يستفاد من الحديث ٣٤ .
- ١ - نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ٤ - تحريجه ٤ - ٥ المراد بالآخرين السابقين ٥ - معنى السبق في الحديث - معنى كلمة « بيد » ٥ - المراد بالكتاب واليوم ٦ - معنى فاختلفوا فيه ٦ - نصب « غدا » على الظرفية وبعض الإستهباط من الحديث .
- ٧ - في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم ٢٠ - تحريجه (٢٠) الأقوال في تحديد هذه الساعة يوم الجمعة ٢١ - ٢٢ أرجح الأقوال أنها الساعة الأخيرة من يوم الجمعة ٢٢ - ٢٣ .
- ١٢١ - إذا قلت للناس أنصتوا ٥٩٧ - تحريجه ٥٩٧ - معنى الحديث في نقاط ٥٩٨ الرواية التي معنا مقيدة بيوم الجمعة ، استدلل بالحديث على وجوب الإنصات للخطبة وتحريم الكلام فيها ٥٩٨ - ٥٩٩ - الكراهة في غالب استعمال الفقهاء المتقدمين التحريم ٥٩٩ - قول بعض العلماء إن الإنصات سنة ٥٩٩ - احتجاج من جوز الكلام أثناء الخطبة ٥٩٩ - ٦٠٠ - إجابة القائلين بالكراهة أو التحريم وأدلتهم غير الحديث ٦٠٠ - ٦٠٢ ظاهر الحديث يقتضي أنه لا فرق في الحكم على الكلام في حالة الخطبة بأنه لغو بين أن يكون صادرا من العدد الذين تنعقد به الجمعة ومن غير هذا العدد ٦٠٢ - ولا فرق بين من يسمع الخطبة ومن لا يسمعها ٦٠٢ - ورأى العلماء في هذا وذاك - لا بأس بالذكر ٦٠٢ - ٦٠٣ التقييد بحالة كون الإمام يخطب ٦٠٣ - وآراء العلماء في الكلام قبل أو بعد الخطبة ٦٠٣ - ٦٠٤ لفظ الحديث لا يتناول الخطيب - استثنى بعض المالكية والحنابلة والظاهرية من سأل الخطيب ٦٠٥ - استثنى بعض الشافعية الداخل أثناء الخطبة ومناقشة العراقي له ٦٠٥ - استثنى الشافعية الكلام الذي يتعلق به غرض ناجز ومناقشته ٦٠٥ - ٦٠٦ وفصل الحنابلة في ذلك ٦٠٦ اختلاف العلماء في ابتداء السلام أثناء الخطبة ٦٠٦ - ٦٠٧ - وتشميت العاطس ٦٠٧ الأحاديث والآثار التي يدل ظاهرها على أن المتكلم أثناء الخطبة ليس له جمعة ٦٠٧ - ٦٠٨ حمل العلماء ذلك على أنه ليس له جمعة كاملة ٦٠٨ عدا ابن حزم ٦٠٩ - استدلال المالكية بالحديث على عدم تحية المسجد للداخل والإمام يخطب ٦٠٩ .
- ١٢٠ - إذا قام إلى الصلاة فلا يصق أمامه ٥٨٥ - تحريجه ٥٨٥ - ٥٨٦ - معنى البصاق والبزاق والبساق ٥٨٦ - المراد بقوله « إذا قام أحدكم إلى الصلاة » عام في المسجد وغيره ٥٨٦ - ٥٨٧ - النهي عن البصاق في المسجد مطلق ٥٨٧ - اختلاف العلماء في كون النهي للتحريم أو للتنزيه ٥٨٧ تفرقة القرطبي بين البصاق في جدار القبلة وفي أرض المسجد ٥٨٧ ما يدل على تحريم البصاق في القبلة ٥٨٨ - أطلق بعض الشافعية كراهة البصاق في المسجد ٥٨٨ - تعليل النهي عن البصاق ٥٨٨ - معنى المناجاة في الحديث ٥٨٨ - ٥٨٩ - استعراض آراء العلماء في مثل هذا الحديث المتشابه ٥٨٨ - ٥٩٢ - الرأي الذي نختاره للإيمان بما جاء دون تأويل منزهيين الله عز وجل ٥٩٢ - معنى « مادام في مصلاة » ٥٩٢ - ٥٩٣ - تعليل للنهي

عن البصاق عن النبيين ٥٩٣ - دفع استشكل أن على اليسار ملكاً أيضاً ٥٩٤ - الإذن في البصاق على الشمال ليس مطلقاً ٥٩٤ - الصواب « تحت رجله » ٥٩٤ - أكثر الروايات بإثبات « أو تحت » ، لا يقتصر على ما جاء في الحديث من البصاق على الشمال أو تحت الرجل ففي حديث آخر الإذن بالخلف ٥٩٤ - ٥٩٥ يجوز البصاق على أرض المسجد إذا كانت تراباً أو رملاً أما إذا كانت هناك بسط أو نحوها فلا يجوز ٥٩٥ ، السر في الأمر بالدفن وليس التغطية ٥٩٥ في حكم البصاق في المسجد تنزيه المسجد عن الأكل فيه إذا كان ذلك يلوته ٥٩٥ . في الحديث دليل على الحث على تنظيف المسجد ٥٩٦ - دلالة إباحة البصاق على إباحة النفخ والتنحنج ٥٩٦ .

- ١١٧ - إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه ٥٧٢
تخريجه ٥٧٢ - معنى الحديث في نقاط ٥٧٣ - ٥٧٤ - الحديث عام في صلاة الفرض والنفل في الليل والنهار - تعليل الأمر بالرقاد ٥٧٥ - بعض ما يستنبط من الحديث ٥٧٥ .

الصيام

- ١٦ - الصيام جنة ٥٣
تخريجه ٥٣ - معنى « الصيام جنة » - ٥٣ - ٥٤ - معنى كلمة « لا يجهل » في الحديث ٥٤ - معنى « لا يرفث » ٥٤ - معنى القتال أو المشاقمة ٥٤ - ٥٥ - معنى فليقل : « إني صائم » والسر في تكرارها ٥٥ - ٥٦ .

- ١٧ - والذي نفسى بيده خلوف فم الصائم ٥٧
تخريجه ٥٧ - معنى والذي نفسى بيده ٥٧ - معنى خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ٥٧ - ٥٩ - طيب رائحة الخلوف ؛ هل هو في الدنيا أو في الآخرة ؟ ، ورأى ابن الصلاح والعز بن عبد السلام ٥٨ - معنى « يذر طعامه وشرابه من جرائ » ٥٩ - الفرق بين الحديث القدسي والقرآن ٥٩ - معنى الصيام لي ٥٩ - ٦٠ - السر في نسبة الصوم إلى الله عز وجل ٥٩ - ٦٠ - جزاء الصائمين هو جزاء الصابرين ٦٠ .

- ٦٩ - إياكم والوصال ٢٧٨
تخريجه ٢٧٨ - ٢٧٩ - حكم الوصال ومذاهب العلماء فيه ٢٧٩ - ٢٨١ - جواز الوصال إلى السحر ٢٨١ - التصريح من رسول الله ﷺ أن الوصال خاص به ٢٨١ - معنى إطعام الله عز وجل وشرابه لرسوله ﷺ ٢٨١ - ٢٨٥ - معنى « فاكلفوا من العمل ما تطيقون » ٢٨٥ - ما يستفاد من الحديث ٢٨٦ .

- ٧٦ - لا تصوم المرأة وبعلمها شاهد ٣٢٦
تخريجه ٣٢٦ - ٣٢٧ - الأسلوب في الحديث خبري يراد به النهي ، وبلاغته ٣٢٧ - النهي للتحريم ٣٢٧ - الصوم المراد في الحديث ٣٢٧ - ٣٢٨ - المراد بقوله : « وبعلمها شاهد إلا بإذنه » ٣٢٨ . السبب في تحريم صوم المرأة بغير إذن زوجها ٣٢٨ - ٣٢٩ - معنى : ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه ٣٢٩ - ذكر ابن حجر أن الحديث حجة على المالكية ٣٢٩ - سبب هذا الحديث الشريف ٣٣٠ - المراد بالكسب في الحديث ٣٣٠ - ٣٣٣ - معنى (فإن نصف أجره له) ٣٣٣ - ٣٣٤ .

الزكاة والصدقة^(١)

- ٤١ - أنفق أنفق عليك ١٤٢
تخرجه ١٤٢ - معنى الحديث في نقاط ١٤٢ - ١٤٣ .
- ٢٨ - يمين الله ملأى لا يغيضها ٨٧
تخرجه ٨٧ - معنى الحديث في نقاط ٨٧ - ٨٩ - معنى وعرضه على الماء ٨٨ - معنى نسبة اليد إلى الله عز وجل ، والرأى الراجح في صفات الله عز وجل .
- ٧٣ - يكون كنز أحدكم يوم القيامة شجاعاً أقرع ٣٠٨
تخرجه ٣٠٨ - معنى الكنز والمراد به في الحديث ٣٠٨ - ٣٠٩ - رأى أنى ذر في الكنز ٢١٠ - ٣١٢ - « معنى شجاعاً أقرع » ٣١٢ - بعض ما يستنبط من الحديث ٣١٢ .
- ٣ - مثل البخيل والمتصدق كمثلي رجلين ٩
تخرج الحديث ٩ - معنى « جنتان » ، و « جبتان » ٩ - معنى « إلى تراقبهما » ٩ - معنى « حتى تحن بنانه » ١٠ - معنى « يغفو أثره » ١٠ - معنى « عضت كل حلقة ١٠ - المثل التصويرى في الحديث ١٠ .
- ٧٢ - إذا ما رب النعم لم يعط حقها ٣٠٥
تخرجه ٣٠٥ - معنى الحديث في نقاط ٣٠٥ - ٣٠٧ - ما يستنبط من الحديث ٣٠٧ .
- ١٣٣ - اليد العليا خير من اليد السفلى ٦٥٧
تخرجه ٦٥٧ - المراد باليد العليا والسفلى ٦٥٨ - المراد بقوله : « وأبدأ بمن تعمل » ٦٥٩ - ما يؤخذ من الحديث ٦٥٩ - ٦٦٠ .
- ٨٣ - والذي نفسى بيده لو أن عندي أحداً ذهباً ٣٦٢
تخرجه ٣٦٢ - ٣٦٣ - أحاديث الصفات فيها مذهبان وما يختاره ٣٦٣ - جواز الحلف بغير تحليف ٣٦٣ - سبب ذكر « أحد » في الحديث ٣٦٣ - التقييد بثلاث ليالي والجمع بينه وبين غيره ٣٦٤ - متى يكون الإنفاق ٣٦٤ - ٣٦٥ - في الحديث دليل على تقديم وفاء الدين ٣٦٥ - وجواز الاستقراض والاستئذنة ، واستنباطات أخرى ٣٦٥ .
- ٧٥ - ليس المسكين هذا الطواف ٣٢٢
تخرجه ٣٢٢ - قول العلماء في المراد من « المسكين » في الحديث ٣٢٣ - مقدار ما يغنى ٣٢٣ - ٣٢٤ - اختلاف العلماء في معنى كل من الفقير والمسكين ٣٢٤ - ٣٢٥ - بعض ما يستنبط من الحديث ٣٢٥ .
- ٩٥ - إني لأقلب إلى أهل فأجد التمرة ساقطة على فراشي ٤٣٢
تخرجه ٤٣٢ - ٤٣٣ - تحريم الصدقة على النبي ﷺ بنوعها ؛ الواجبة والتطوعية ، والخلاف في الثانية ٤٣٣ - سبب وجود شيء من الصدقة في بيته - ﷺ ٤٣٤ - تركه للتمرّة تورعاً منه - ﷺ ٤٣٤ - في الحديث استعمال الورع ، ومتى يكون الورع مندوباً إليه ، ومتى يكون مكروهاً ٤٣٤ -

(١) راجع ٤٠ ، ٤٣ ، ١٣٨ .

الحكمة في تحريم الصدقة عليه - ﷺ - الاستدلال بالحديث على أن محقرات الأموال لا يجب تعريفها كلقطة ٤٣٥ .

٧١ - كل سلامي من الناس عليه صدقة ٢٩٨

تخرجه ٢٩٨ - ٢٩٩ - معنى « السلامي » ٢٩٩ - إعادة الضمير المذكر على السلامي وهي مؤنثة ٢٩٩ - معنى كل سلامي من الناس إلخ ٢٩٩ - ٣٠٠ - المراد بالصدقة ٣٠٠ - نصب تعدل - ٣٠١ - المراد بالعدل ٣٠١ - معنى : وتعين الرجل في دابته وتحمله عليها ٣٠١ - ٣٠٢ - المراد بالكلمة الطيبة ٣٠٢ - معنى : وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة ٣٠٢ - ٣٠٣ - معنى إمطة الأذى عن الطريق وحكمه ٣٠٣ - ٣٠٤ - ما ذكر في الحديث ليس على سبيل الحصر ٣٠٤ .

الحج

١١ - بينما رجل يسوق بدنة ٣٥

تخرجه ٣٥ - ٣٦ - معنى البدنة ، ومعنى مقلدة - ٣٦ - سبب أمره - ﷺ - بالركوب ٣٦ - معنى « ويلك اركبها » ٣٦ - ٣٧ - ما يستفاد من الحديث ٣٨ - ٣٩ - حكم ركوب الهدى ٣٩ .

المعاملات والنكاح (١)

١١٢ - لا يبيع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب ٥٤٠

تخرجه ٥٤٠ - ٥٤١ - أسلوب النفي في الحديث يفيد النهي ، وبلاغة ذلك ٥٤١ - صورة البيع على البيع ، والشراء على الشراء ٥٤١ - ٥٤٢ - حمل « البيع على البيع » على « الشراء على الشراء » ومناقشته ٥٤١ - ٥٤٢ - قد يدخل في البيع على البيع الإجارة والسلم ٥٤٢ - تفسير الإمام مالك للبيع على البيع بالسوم على السوم ، وما يؤيد هذا التفسير ٥٤٢ - ٥٤٣ - تحريم البيع على البيع والشراء على الشراء ٥٤٣ - المزايدة ليست من هذا القبيل وجائزة ، ودليل ذلك ٥٤٤ - إجازة بعض العلماء السوم على السوم في المغامر والموايرث ٥٤٤ - ومناقشة بعض العلماء ذلك ٥٤٤ - استثناء حالة الإذن بالبيع على البيع ٥٤٤ - ٥٤٥ - استثناء حالة ما إذا كان هناك غبن فاحش ٥٤٥ - صور أخرى مستثناة - هل النهي مختص بالمسلم أو لا فرق بين مسلم وذمي ٥٤٥ - إذا ارتكب المنهي عنه فالعقد صحيح ، واختلاف العلماء في ذلك ٥٤٦ .

النفي في « لا يخطب ... » يراد به النهي - العقد بناء على الخطبة المنهي عنها صحيح ، والنهي للتحريم ٥٤٦ - الشرط في التحريم هو الرضا بالخاطب ٥٤٦ - ٥٤٧ - الجمع بين الحديث وحديث فاطمة بنت قيس ٥٤٦ - ٥٤٧ - قول بعض العلماء إن الحديث منسوخ بحديث فاطمة بنت قيس ٥٤٧ - ورد الطبري هذا القول ٥٤٧ - رأى العلماء فيما إذا لم يحصل تصرع بالإجابة لكن وجد تعريض ٥٤٨ ، من لم يدر بالخطبة يجوز له التقدم ٥٤٨ - الحكم فيما إذا كان الخاطب غير كفء ٥٤٨ - إذن الخاطب الأول - بعض الشروط التي وضعها العلماء ليتحقق محل التحريم ٥٤٨ - ٥٥٠ - بعض ما يستدل عليه من الحديث ٥٥٠ .

٩٨ - إذا ما أحدكم اشترى لقحة مصراة ٤٤٦

تخرجه وتلخيص رواياته ٤٤٦ - ٤٤٨ - معنى لقحة ومصراة ٤٤٨ الاحتجاج بالحديث على جواز

(١) راجع في النكاح أيضاً : ٧٦ .

رد المصراة ومعها صاع من تمر ٤٤٩ - ٤٥٠ - حكم التصرية ٤٥٠ - ٤٥١ - ذكر الإبل والغنم دون غيرهما يخرج مخرج الغالب ٤٥١ - معنى «إما هي» ٤٥٢ - هل الرد على الفور؟ واختلاف العلماء في مدة الخيار ٤٥٣ - موقف الأحناف من الحديث ٤٥٢ - ٤٥٤ - الأحناف لا يضعفون الحديث ويعترفون بصحته، والمتقدمون منهم لم يثيروا مسألة خلاف الحديث للقياس الجلي ٤٥٥ . لا يرد الحديث لأن أبا هريرة رواه، فهو حافظ ولم يتفرد به ٤٥٥ - ليس الحديث منسوخاً ٤٥٥ - مناقشة عيسى بن أبان في قوله بأن الحديث منسوخ ٤٥٥ - ٤٥٦ - مناقشة الطحاوي في قوله: إن الحديث يتعارض مع حديث الخراج بالضممان ٤٥٦ - مناقشة القول بأنه معارض لعموم القرآن ٤٥٦ - مناقشة القول بأن الحديث مضطرب ٤٥٧ - مناقشة القول بأن الحديث خالف الأصول ٤٥٧ - ترجيح القول بأن المعركة حول صحة الحديث إنما نشأت بين الفقهاء المتأخرين ٤٥٧ - ٤٥٩ . ٤٦٠ .

١٣٧ - نهى رسول الله ﷺ عن بيعتين ولبستين ٦٧٤
تخرجه ٦٧٤ - ٦٧٥ - بعض روايات تبين معنى الحديث ٦٧٥ شرح الحديث في نقاط ٦٧٥ - ٦٧٨
٦٧٨ - معنى الاحتباء ٦٧٥ - ٦٧٦ - التنبيه بالفرج على ما سواه ٦٧٦ - معنى اشتغال الثوب وحكمه ٦٧٦ - ٦٧٧ - معنى المس والإلقاء ٦٧٨ - حكم هاتين البيعتين واختلاف العلماء في ذلك ٦٧٨ .

سبق الكلام على النجش في حديث رقم (٦) ص (١٨) من هذا الكتاب - ٦٧٨ .

٦٣ - إن من الظلم مظل الغنى ٢٤١
تخرجه ٢٤١ - معنى مظل الغنى ٢٤١ - ٢٤٢
معنى «إذا تبع أحدكم على ملء» وفائدة ذكرها بعد ما قبلها ٢٤٢ - ٢٤٣ - معنى «فليتبع» ٢٤٣ . حكم قبول الحوالة ٢٤٣ - ٢٤٤ - الحكم إذا أفلس المحال عليه أو مات واختلاف العلماء في ذلك ٢٤٤ - ٢٤٥ - ما يستفاد من الحديث ٢٤٥ - ٢٤٦ .
١٣٨ - العجماء جرحها جبار ٦٧٩

تخرجه ٦٧٩ - ٦٨٠ - معنى الحديث في نقاط ٦٨٠ - ٦٨٦ - ليس كل ما تلتفه الدابة هدر ٦٨١ - المراد بجرح العجماء ٦٨١ - متى يضمن إتلاف الدابة ومتى لا يضمن ٦٨١ - ٦٨٢ - متى يكون حفر البئر جباراً، ومتى يضمن حافرها ٦٨٢ - أفراد معمر برواية: «والنار جبار» وتحقيق صحتها ٦٨٣ - ٦٧٤ - اختلاف العلماء في معنى الركاز ٦٧٤ - ٦٨٥ - اختلافهم في مصرفه ٦٨٦ .

الأيمان والدور^(١)

٩٦ - والله لأن يلج أحدكم يمينه في أهله ٤٣٦
تخرجه الحديث ٤٣٦ - ٤٣٧ - معنى الحديث في نقاط ٤٣٧ - ٤٤١ - معنى الحديث ينتزل على أن الحنث لا يكون معصية ٤٣٧ - دلالة الحديث على أن الحنث في الإيمين تنعقد على الأحكام الخمسة فعلاً

- وتركاً ٤٣٨ - ٤٤٠ - فائدة ذكر في « أهله » في الحديث ٤٤٠ - سر المقابلة بين البقاء على الإيمان وإعطاء الكفارة ٤٤٠ - ٤٤١ - في الحديث إيجاب الكفارة بتقدير الحث ٤٤١ .
- ٩٧ - إذا أكره الاثنان على الإيمان فاستحباها ٤٤٢
- تخرجه والمقارنة بين رواياته ٤٤٢ - ٤٤٤ .
- استشكال ودفعه ٤٤٤ - الإكراه لا يراد حقيقته ٤٤٤ - حمل بعضهم الحديث على ما إذا تنازع اثنان عيناً ليست في يد واحد منهما ، والروايات التي تشبه ذلك المعنى ٤٤٥ .
- ٤٠ - لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قد قدرته ١٣٩
- تخرجه ١٣٩ - الحديث من الأحاديث القدسية ١٤٠ - معنى الحديث ١٤٠ - إجماع علماء المسلمين على وجوب الوفاء بالنذر - ١٤٠ - الاختلاف في النذر غير المعلق ١٤٠ - حقيقة النذر المنهى عنه ١٤١ .

(١) الجهاد والسير

- ١٩ - والذي نفسى بيده لولا أن أشق على المؤمنين ما قعدت خلف سرية ٦٨
- تخرجه ٦٨ - معنى الحديث وبيان فضل الجهاد في سبيل الله عز وجل ٦٨ - ٦٩ .
- ١٠٢ - اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله ٤٧٠
- تخرجه ٤٧٠ - الاحتراز بقوله « في سبيل الله » ٤٧٠ اتفاق ذلك لأبي بن خلف ٤٧٠ .
- ٩٣ - كل كلم يكلم به المسلم في سبيل الله ٤٢١
- تخرج الحديث ٤٢١ - معنى الحديث في نقاط ٤٢٢ - ٢٢٤ المراد بالمسلم ٤٢٢ - تأنيث الضمير في كهيئتها وتوجيهه ٤٢٢ - معنى « إذا طعنت » ٤٢٣ - أصل المسك ٤٢٤ - بعض ما يؤخذ من الحديث ٤٢٤ - ٤٢٧ .
- ٨٨ - لم تحل الغنائم لمن كان قبلنا ٣٨٩
- (شرحه وتخرجه مع حديث رقم ١٢٤ ص ٦٢٣) فيه حل الغنائم لهذه الأمة ٦٢٣ .
- ١٣٩ - أيا قرية أتتموها وأقمتم فيها مسهمكم ٦٨٧
- تخرجه ٦٨٧ - ٦٨٨ - معنى الحديث ٦٨٨ - ٦٨٩ - احتجاج من لم يوجب الخمس من الفىء بالحديث ٦٨٧ - إيجاب الشافعى الخمس في الفىء ، وبيان أن رأيه مع ظاهر القرآن ٦٨٩ - بعض ما يستدل عليه بالحديث ٦٨٩ .

(٢) اللباس والزينة

- ١١٥ - إن الله لا ينظر إلى المسبل يوم القيامة ٥٦٤
- تخرجه ٥٦٤ - ٥٦٥ - معنى عدم نظر الله تعالى إلى المسبل ٥٦٥ - التقيد بيوم القيامة ٥٦٥ - معنى

(١) راجع ٥١ - ٤٢ ، ١١١ - ١٢٤

(٢) راجع ٣٨ - ١٣٧

- عدم المسبل ٥٦٦ - الإسبال ليس في الإزار فقط ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، هذا الحديث ليس على إطلاقه
 ٥٦٧ - ٥٦٨ - المذموم هو البطر والتبخر ٥٦٨ - جواز الجر خيلاء في الحرب ٥٦٨ .
 ٦٥ - بينما رجل يتبختر في بردين وقد أعجبه نفسه ٢٥١
 تخريجه ٢٥٢ - هل الرجل من الأم السابقة أو لا ٢٥٢ - ٢٥٣ - معاني بعض العبارات في الحديث
 ٢٥٣ - ٢٥٤ - ما يؤخذ من الحديث ٢٥٤ .

الأدب

إياكم والظن ١٦

- تخريجه ١٦ - المراد بالظن في الحديث - وهو من العام الذي يراد به الخاص ١٦ - ١٨ - معنى النجش
 وحكمه ، وحكم البيع على النجش ١٨ - معنى الحسد والفرق بينه وبين الغبطة ١٩ - المنافسة المنهى
 عنها في الحديث ، ومتى تكون المنافسة مطلوبة ١٩ - معنى لا تباغضوا ولا تدابروا ١٩ .
 ١٢ - إذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه ٤٠
 تخريجه ٤٠ - معنى « إذا قاتل أحدكم » ٤١ - السر في الأمر باجتناب الوجه ٤١ - معنى « إن الله خلق
 آدم على صورته » ٤١ - ٤٢ .
 ٨٤ - إذا جاءكم الصانع بطعامكم ٣٦٦
 تخريجه ٣٦٦ - في معنى الصانع كل من خدم في الطعام ٣٦٦ - ٣٦٧ - حكم إشتراك الخادم في
 الطعام ٣٦٧ - متى يجلسه ومتى يعطيه لقمة أو لقمتين ٣٦٧ - الأفضل المشاركة وليس ذلك واجباً
 ٣٦٧ .
 ٧٨ - لا يقل أحدكم للعب الكرم ، إنما الكرم الرجل المسلم ٣٤١
 تخريجه ٣٤١ - حكم النبی ٣٤١ - سب كراهية إطلاق لفظة الكرم للعب ٣٤٢ - معنى إنما الكرم
 الرجل المسلم ٣٤٢ الحكمة في تسمية قلب المؤمن الكرم ٣٤٣
 ١٠٠ - لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح ٤٦٣
 تخريجه ٤٦٣ - النهي في صورة الخبر في الحديث ، وبلاغته ٤٦٣ - ٤٦٤ - النهي للتحريم في حالتي
 الجد والهزل ٤٦٤ - معنى نزع الشيطان في يده ، والمعنى على رواية « ينزغ » ٤٦٥ - توجيه نصب
 « فيقع » ٤٦٥ - معنى « فيقع في النار » ٤٦٦ - بعض ما يستنبط من الحديث ٤٦٦ .
 ٩٩ - الشيخ شاب على حب الثنتين ٤٦١
 تخريجه ٤٦١ - شرح الحديث في نقاط ٤٦٢ - الحكمة في تخصيص طول الحياة وكثرة المال بالحب
 عند الشيخ ٤٦٢ - ما يستنبط من الحديث ٤٦٢ .
 ١٢٧ - الخيلاء والفخر في أهل الخيل ٦٣٤
 تخريجه ٦٣٤ - معنى الحديث في نقاط ٦٣٤ - ٦٣٥ - السر في ذم أهل الخيل والإبل ، ومدح أهل
 الغنم - المراد بأهل الغنم ٦٣٥ .
 ٦٤ - أغبط رجل على الله يوم القيامة وأخيته ٢٤٧
 تخريجه ٢٤٧ - معنى الحديث في نقاط ٢٤٧ - ٢٤٨ - الاستدلال من الحديث على تحريم التسمي

بملك الأملاك ٢٤٨ - ما يلتحق به من التحريم ٢٤٨ - اختلاف العلماء في بعض ذلك ٢٤٩ - ٢٥٠ . بعض ما يستنبط من الحديث ٢٥٠ .

٦٢ - ليس الغنى من كثرة العرض ٢٣٧

تخرجه ٢٣٧ - معنى العرض ٢٣٧ - ٢٣٨ - معنى « ليس الغنى من كثرة العرض » ٢٣٨ - خيرية المال ليست لذاته ٢٣٨ - معنى الحديث ٢٣٩ - ٢٤٠ .

٥٩ - خلق الله آدم على صورته ٢٠٥

تخرجه ٢٠٥ - ٢٠٦ - مرجع الضمير في صورته ٢٠٦ - ٢٠٨ - ما ينبغي أن تهتم عليه العبارة إذا كان الضمير يرجع إلى المولى جل وعلا ٢٠٨ - طوله ستون ذراعاً ٢٠٨ - ٢٠٩ - في الحديث ما بين أول مشروعية السلام ٢٠٩ - الاستدلال بالحديث على إيجاب ابتداء السلام ٢٠٩ - المراد بالذرية في الحديث المسلمون ٢٠٩ - الاستدلال بالحديث على الصورة المشروعة للسلام ٢١٠ - في الحديث مشروعية الزيادة في الرد - ٢١٠ - ٢١١ - فضيلة الزيادة وثواب رد السلام ٢١١ حكم الزيادة على : « وبركاته » ٢١٢ - المراد بصورة آدم - ٢١٢ المراد بنقصان الخلق ٢١٢ - الاستدلال بالحديث على أمور ٢١٣ .

٥٠ - يسلم الصغير على الكبير ١٧١

تخرجه ١٧١ - حكم ابتداء السلام ورده ١٧١ - ١٧٢ - أقل السلام وصفة الرد ١٧٢ - معنى السلام ١٧٢ - من فوائد السلام ١٧٢ - حكم الأمر بتسليم الصغير على الكبير إلخ ١٧٢ - الحكمة فيمن شرع لهم الابتداء بالسلام في الحديث ١٧٣ - الحالات التي لا يستحب السلام فيها ١٧٣ - الاختلاف في مشروعية السلام على الفاسق ١٧٣ - ما يستثنى من العموم بابتداء السلام عليه ١٧٣ - ١٧٤ .

٩٢ - إذا انقطع شمع أحدكم ١٣٧

تخرجه ١٣٧ - معنى الحديث في نقاط ١٣٧ - ١٣٨ - العلة في نهى الرسول ﷺ - عن المشي في نعل واحدة - حكم النهي في الحديث ١٣٨ - بين البغوى أموراً كالتى جاءت في الحديث ١٣٨ .

٣٥ - إذا نظر أحدكم إلى من هو فضل عليه ١٢٣

تخرجه الحديث ١٢٣ - خطأ في ضبط الخلق في الطبعة السابقة للطبعة وصححه ١٢٣ - السر في هذا التوجيه النبوى الكريم ١٢٤ - معنى الحديث ١٢٤ - ١٢٥ .

١١٩ - نعماً للمملوك أن يتوفاه الله بحسن طاعة ربه وطاعة سيده ٥٨١

تخرجه ٥٨١ - ٥٨٢ - اللغات في (نعماً) ومعناها - السبب في مدح فعل العيد ٥٨٢ - ٥٨٣ - المراد بقوله يتوفاه الله ٥٨٣ - في الحديث فضيلة ظاهرة للمملوك ٥٨٣ - مقارنة بين أجر الحر وأجر العبد ٥٨٣ - ٥٨٤ - المراد بطاعة السيد ٥٨٤ .

الرؤيا

٤٩ - رؤيا الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين ١٦٧

تخرجه ١٦٧ - ذكر (الرجل) للغالب ، وكذلك التقيد بالصالح للغالب ١٦٧ - الناس على ثلاثة

- أقسام بالنسبة للرؤى ١٦٧ - ١٦٨ - المراد بكون الرؤيا جزءاً من النبوة ١٦٨ - ١٦٩ - المراد بالعدد في الحديث ١٦٩ - ١٧٠ - الأسلم الاتجاه إلى عدم تفسير هذا العدد ١٧٠ .
- ١٢٥ - بينا أنا نائم رأيت أني أنزع على حوض ٦٢٥
تخرجه ٦٢٥ - معنى الحديث في نقاط ٦٢٦ - ٦٢٩ - في الحديث إشارة إلى نيابة أني بكر ٦٢٧ - ومقدار خلافته ٦٢٧ - ليس في الحديث حط من فضيلة أني بكر ، ولا إثبات فضيلة لعمر ٦٢٧ - ٦٢٨ - عبارة « والله يغفر له » ليس فيها إشارة إلى ذنب ولا تنقيص ٦٢٨ - الإخبار منه - ﷺ - عن كثرة انتفاع الناس في ولاية عمر ٦٢٨ - أشار باليد في الحديث إلى الدين - في الحديث إشارة إلى أن الموت راحة للصالحين ٦٢٩ كلام طيب للإمام النووي في شرح الحديث ٦٢٩ - ٦٣٠ - وكذلك القاضي ابن العربي ٦٣٠ .
- ١٣٥ - بينا أنا نائم إذ أتيت من خزائن الأرض ٦٦٤
تخرجه ٦٦٤ - ٦٦٥ - معنى الحديث في نقاط ٦٦٥ - ٦٦٨ - ظاهر الحديث أن الكذابين كانوا موجودين في زمنه ﷺ ٦٦٨ - والجمع بين هذا الحديث وغيره ٦٦٧ - الأسود صاحب صنعاء ١٦٧ - ومسيملة صاحب اليمامة ٦٦٧ - ٦٦٨ .

الإمارة

- ١٢٩ - الناس تبع لقريش ٦٣٧
تخرجه ٦٣٧ - معنى الحديث ٦٣٧ - ٦٣٨ - ليست الخلافة من حق أي قرشي مطلقاً ٦٣٨ - استحقاق ولاية من هو أكفأ من غير قريش ٦٣٨ - ٦٣٩ - معنى « مسلمهم تبع لمسلمهم ... » إلخ ٦٣٩ - استدلال البخاري على فضل قريش بالحديث ٦٣٩ .

الطب

- ١٣١ - العين حق ونهى عن الوشم ٦٤٤
تخرج الحديث ٦٤٤ - معنى العين حق ٦٤٤ - كيفية الإصابة بالعين وكلام العلماء في ذلك ٦٤٥ - ٦٤٧ - أنواع العلاج في حالة الإصابة بالعين والوقاية منها ٦٤٧ - التعوذ بالرقى ٦٤٧ - ٦٥٠ - أمر العائن بالاغتسال وكيفيته ٦٥٠ - ٦٥١ - مناقشة ابن القيم لمن ينكر ذلك ٦٥٢ - معنى الوشم ٦٥٣ - حكمه وأنه كبيرة ٦٥٣ .

دلائل النبوة والمناقب (١)

- ٢ - مثل الأنبياء من قبل ٧
تخرجه ٧ - التشبيه تمثيلي ٧ - ٨ - بعض الاستنباط من الحديث ٨ .
- ٣٠ - يهلك كسرى ثم لا كسرى بعده ٩١
تخرجه ٩١ - ٩٢ - الجمع بين هذا الحديث وغيره مما ظاهره التعارض معه ٩٢ . مناقشة الدعاوى الباطلة في إنكار هذا الحديث ٩٣ - ٩٤ . معنى الحرب خدعة ٩٥ - ٩٦ .

(١) انظر كذلك الأحاديث : ١ ، ١٩ ، ٨٣ ، ٨٨ ، ١٢٥ ، ١٣٥ .

- ما يستفاد من هذا الجزء من الحديث « الحرب خدعة » ٩٦ .
- ٤ - مثل كمثل رجل استوقد ناراً ١١
التخريج ١١ - معنى استوقد ناراً ١١ - معنى الفراش والدواب ١١ - معنى يتقحمن ١٢ - معنى
بحجزكم - المثل التصويرى في الحديث ١٢ - ١٣ - جهل الإنسان أعظم من جهل الدواب ١٢ .
- ٩١ - والذي نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة ٤٠٩
التخريج ٤٠٩ - المراد بالأمة في الحديث ٤٠٩ - ٤١٠ - عطف اليهودى والنصرانى من عطف
الخاص على العام ٤١٠ - فى الحديث نسخ الملل كلها ٤١٠ - الحديث لا يتعارض مع الآية الكريمة إن
الذين آمنوا والذين هادوا ... ٤١١ - بعض ما يستنبط من الحديث ٤١١ .
- ١٣٤ - أنا أولى الناس بعيسى بن مريم ٦٦١
تخريجه ٦٦١ - معنى الحديث فى نقاط ٦٦١ - ٦٦٣ .
لماذا خصَّ النبي ﷺ عيسى بن مريم عليه السلام ٦٦١ .
- ٦٦٢ - لا منافاة بين الحديث والآية الكريمة : (إن أولى الناس بإبراهيم ...) الآية - ٦٦٢ . معنى
أخوة من غلات والمراد بها ٦٦٢ - الاستدلال بالحديث على أنه لم يبعث نبي بعد عيسى حتى نبينا
ﷺ .
- ١٢٢ - أنا أولى الناس بالمؤمنين فى كتاب الله
تخريجه ٦١٠ - ٦١١ - فى الحديث إشارة إلى الآية الكريمة (النبي أولى بالمؤمنين) ٦١١ - المراد
بالضيعة ٦١١ - ٦١٢ - الآية والحديث أزال الله بهما أحكاماً كانت فى صدر الإسلام - ٦١٢ - وما
يقوم به الرسول ﷺ يقوم به الأمة ٦١٢ - ٦١٣ . ذكر المال خرج مخرج الغالب ٦١٣ - العصبية
٦١٣ - المعنى الإجمالى للحديث ٦١٣ .
- ١٠١ - اشتد غضب الله على قوم ٤٦٧
تخريجه ٤٦٧ - أحاديث تبين سبب هذا الحديث وتلقى ضوءاً على معناه ٤٦٧ - ٤٦٩ - الرابعة
٤٦٩ - بعض ما يستنبط من الحديث ٤٦٩ .
- ٧٨ - اللهم إنى أتخذ عندك عهداً لن تخلفه ٣٨٣
تخريجه ٣٨٣ - ٣٨٤ - حديثان يبين أحدهما سبب دعاء النبي - ﷺ والثانى يبين أن الدعاء لمن ليس
أهلاً لشيئته أو سبه - ﷺ ٢٨٤ .
معنى الحديث فى نقاط ٣٨٤ - ٣٨٨ - جواب العلماء عن كون الرسول ﷺ يسب من ليس أهلاً
٣٨٥ - ٣٨٧ . ما يستنبط من الحديث ٣٨٧ - ٣٨٨ .
- ٤٣ - ما أوتيكم من شيء ولا أمنكموه ١٤٦ .
تخريجه ١٤٦ - معنى الحديث ١٤٦ .
- ٣٨ - نصرت بالرعب ، وأوتيت جوامع الكلم ١٣٤
تخريجه ١٤٣ - معنى نصرت بالرعب ١٣٤ .
معنى جوامع الكلم وأمثلة منه ١٣٥ - ١٣٦ .

- ٣٢ - ذروني ما تركتكم ١٠٠
 تخريجه ١٠٠ - معنى ذروني ما تركتكم ١٠٠ - ١٠١ - معنى فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه
 ١٠١ - الاستدلال بالحديث على أن التداوى بالحرم لا يجوز ١٠١ .
 معنى : وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ١٠١ - ١٠٢ - ما يستدل عليه بهذا الحديث ١٠٢ -
 ١٠٣ .
- ٢٩ - والذي نفسى بيده ليأتين على أحدكم يوم لا يرانى ٩٠
 تخريجه ٩٠ - التقديم والتأخير في عبارات الحديث ومعناه ٩٠ .
- ٢٢ - من أطاعنى فقد أطاع الله ٧٤
 تخريجه ٧٤ - معنى الحديث ٧٥ - الطاعة ليست على عمومها وكذلك المعصية ٧٥ - اختلاف
 العلماء فيما يأمر به الولاة من العقوبات ٧٥ - ٧٦ .
- ٢٠ - لكل نبي دعوة تستجاب له ٧٠
 تخريجه ٧٠ - بيان المراد من دعوة الرسول - ﷺ - المستجابة ٧١
 بيان شفقة الرسول ﷺ بأتمته وحسن تصرفه ٧١ المراد من قوله - ﷺ : « إن شاء الله » .
- ٥٧ - لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ١٩٨
 تخريجه ١٩٨ - حديث يلقي ضوءاً على الحديث الذى معنا ١٩٨ - ١٩٩ - معنى لولا الهجرة لكنت
 امرءاً من الأنصار ١٩٩ - المراد بقوله « ولو يندفع الناس في شعبة » ٢٠٠ .
- ١٣٠ - خير نساء ركب الإبل نساء قريش ٦٤٠
 تخريجه ٦٤٠ - ٦٤١ - الإشارة إلى العرب في ركب الإبل ٦٤١ - ليس في الحديث تفضيل نساء
 قريش على مريم ٦٤٢ - رواية « صالح نساء قريش » تنقيح المطلق ٦٤٢ - معنى الحديث في نقاط
 ٦٤٢ - ٦٤٣ - سبب الحديث ٦٤٣ .

الأنبياء والأئم السابقة

- ٤٨ - خفف على داود القرآن ١٦٥
 تخريجه ١٦٥ - المراد بالقرآن ١٦٥ . معنى : كان يقرأ قبل أن تسرج ١٦٦ - فضل عمل اليد على
 سائر المكاسب - السر في ذكر داود عليه السلام ١٦٦ - بعض ما يستدل بالحديث عليه ١٦٦ .
- ١٢٤ - غزا نبي من الأنبياء ٦١٧
 تخريجه ٦١٧ - ٦١٨ - النبي هو يوشع ٦١٨ - ٦١٩ - معنى البضع ٦١٩ - معنى « لما بنى »
 ٦١٩ - ضبط سقفها ولماذا أثت الضمير معها ٦١٩ معنى الخلفات ٦٢٠ - القرية هي أريحا ٦٢٠ -
 سبب قوله للشمس أنت مأمورة إلخ ومعناه - معنى فحبست عليه والاختلاف في ذلك ٦٢١ - حبس
 الشمس لبنينا ، وليس في الحديث ما يعارضه ٦٢١ - ٦٢٢ - السبب في تقديم القتال على الصلاة
 ٦٢٢ - شريعة الأنبياء في الغنائم ٦٢٣ - معنى الغلول ٦٢٣ - كشف النبي الغلول بوحى ٦٢٣ -
 في الحديث إباحة الغنائم لهذه الأمة ٦٢٣ - بعض ما يستفاد من الحديث ٦٢٤ .
- ٦٠ - جاء ملك الموت إلى موسى ٢١٤
 تخريجه ٢١٤ - ٢١٥ - كلام بعض العلماء الجيد في معنى الحديث . ومناقشة بعض المنكرين

للحديث قديماً وحديثاً وإيراد شبههم ودفعها ٢١٥ - ٢٢٢ - بعض جوانب لمعنى الحديث ومغزاه
٢٢٢ - الحكمة في دعاء موسى القرب من الأرض المقدسة عند موته ٢٢٣ - عودة إلى مناقشة بعض
المنكرين ٢٢٤ ليس في الحديث ما ينص على الإعلام بتعيين قبره ٢٢٥ - الاختلاف الكبير في تعيين قبر
موسى ، والحكمة في تعميته ٢٢٥ - عودة إلى مناقشة منكر الحديث ٢٢٥ - ما يستفاد من هذا
الحديث ٢٢٦ .

٤٦ - تحتاج آدم وموسى ١٥٣

تخريج الحديث ١٥٣ - ١٥٤ - اختلاف العلماء في وقت أن تحتاج آدم وموسى .. ردّ دعاوى بعض
المنكرين للحديث ١٥٤ - ١٥٥ - معنى : أنت الذى أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة ١٥٥ -
المراد بعبارة أعطاه الله علم كل شئ ١٥٥ - إنكار القدرة هذا الحديث ورد العلماء عليهم - ١٥٥ -
صحة الحديث بكثرة الناقلين له ١٥٧ - ١٥٨ - الحديث من المتشابه ١٥٨ - ١٥٩ - ما استنبطه
العلماء من الحديث ١٥٩ .

٤٢ - رأى عيسى بن مريم لرجلا يسرق ١٤٤

تخرجه ١٤٤ - معنى الحديث ١٤٤ - ١٤٥ .

١٨ - نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة ٦١

تخرجه ٦١ - معنى : فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ٦١ - الاستدلال من الحديث على جواز حرق
الحيوان المؤذى ٦٢ - شرعنا وشرع من قبلنا في حكم قتل الثمل والإحراق بالنار ٦٢ - سبب لهذه
القصة ٦٣ - مناقشة بعض النكرات في ردهم للحديث ٦٣ - ٩٧ .

١١٤ - إنما سمى خضر لأنه جلس على فروة بيضاء ٥٥٨

تخرجه ٥٥٨ - معنى الفروة البيضاء ٥٥٨ - الاختلاف في اسم الخضر ٥٥٨ - هل الخضر نبي
أو ولي ٥٥٩ - ٥٦١ - هل هو معمر أو ميت ٥٦١ - ٥٦٣ .

٧٩ - اشترى رجل من رجل عقارا ٣٤٤

تخرجه ٣٤٤ - القصة جرت في بنى إسرائيل ٣٤٥ - معنى العقار - ٣٤٥ - العقد وإنما وقع على
الأرض خاصة ٣٤٥ - يحتمل الاختلاف في صور العقد - الحكم في الحديث كما في بعض رواياته
يختلف عن الحكم عندنا ٣٤٦ - اختلاف الروايات في عبارة فقال الذى شرى الأرض وتوجيهها
٣٤٦ - تحكيم رجل غير القاضى وحكمه ٣٤٦ الرجل المُحكّم لم يحكم وإنما أصلح بينهما ٣٤٧ - ما
يستنبط من الحديث ٣٤٧ .

١١٦ - قيل لبنى إسرائيل ادخلوا الباب سجداً ٥٦٩

تخرجه ٥٦٩ - الباب الذى أمروا بدخوله بيت المقدس ٥٦٩ - معنى وقولوا « حطة » ٥٧٠ - معنى
« فبدلوا » ٥٧١ - معنى : يزحفون على أستاههم ، ٥٧١ - معنى : وقالوا حبة في شعرة - ٥٧١ -
ما يستنبط من الحديث ٥٧١ .

٨٩ - دخلت امرأة النار من جراء هرة ٣٨٩

تخرجه ٣٨٩ - ٣٩٠ - المرأة من بنى إسرائيل ٣٩٠ - ٣٩١ - رأى بعض العلماء أن المرأة كانت
كافرة ٣٩١ - وإنكار السيدة عائشة أن تكون المرأة عذبت بسبب الهرة ٣٩١ - ومناقشة ذلك

- ٣٩٢ - ما استدل به بعض العلماء من أن الهر لا يملك وآراء العلماء في هذا ٣٩٢ - ٣٩٣ - معنى
تقهم من خشاش الأرض ٣٩٣ - ومعنى ماتت هزلاً ٣٩٣ - ما يستبطن من الحديث ٣٩٤ -
٣٩٥ - رأى ابن الحافظ العراق أن بعض الناس معذب بدخول النار في زمن النبي ومناقشته ٣٩٤ -
٣٩٥ .

- ٥٨ - لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ٢٠١
تخرجه ٣٠١ - معنى لم يخزن - السبب في تخصيص بنى إسرائيل بذلك ٢٠١ معنى : ولولا حواء لم تخن
أثنى زوجها ، والمراد بالخيانة ٢٠٢ - مناقشة بعض المنكرين لهذا الحديث الصحيح ٢٠٢ - ٢٠٤ .

علامات الساعة

- ٢٣ - لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال ٧٧
تخرجه ٧٧ - ٧٨ - معنى « يه رب المال » ٧٨ - معنى يقبض العلم ٧٨ - معنى يقترب الزمان
٧٨ .
- ٢٦ - لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ٨٣
تخرجه ٨٣ - الحكمة في عدم نفع الإيمان عند طلوع الشمس من مغربها ٨٤ - الحكمة في طلوع
الشمس من مغربها ٨٤ - ما في الحديث من التشابه ، والموقف منه ٨٤ .
- ٢٤ - لا تقوم الساعة حتى تقتل فتان عظيمتان ٧٩
تخرجه ٧٩ - معنى « فتان » ٧٩ - معنى مقتلة عظيمة - معنى : دعواهما واحدة ٧٩ - ٨٠ .
- ٢٥ - لا تقوم الساعة حتى ينبعث دجالون ٨١
تخرجه ٨١ - معنى الحديث في نقاط ٨١ - ٨٢ - ليس المراد من ادعى النبوة مطلقاً ٨٢ - بعض من
خرجوا ٨٢ .
- ١٢٦ - لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا جوركرمان ٦٣١
تخرجه ٦٣١ - ٦٣٢ - معنى الحديث في نقاط ٦٣٢ - ٦٣٣ - في الحديث معجزة ظاهرة لنبينا
ﷺ ٦٣٣ .
- ١٢٨ - لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر ٦٣٦
تخرجه ٦٣٦ - معنى نعالهم الشعر ٦٣٦

البعث

- ٦٨ - إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض ٢٧٤
تخرجه ٢٧٤ - معنى عجم الذنب ٢٧٤ - ٢٧٥ - حكمة الله عز وجل في إبقاء هذا الجزء ٢٧٥ -
العلاقة بين هذا الحديث وما ورد في الصحيح من أن كل شيء يبلى في الإنسان ٢٧٥ - الحديث
مخصص بالأحاديث التي تقول : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء وما يلحق بهم
٢٧٥ - رأى المزني في « إلا » في رواية للحديث ومناقشته ٢٧٥ - ٢٧٦ - عجم أو عجب ؟ ورأى
الأستاذ أحمد شاكر ٢٧٦ - ٢٧٧ .

الجنة والنار

- ٨٦ - أول زمرة تلج الجنة ٣٧٣
 تخريجه ٣٧٣ - ٣٧٤ - تلخيص روايات الحديث ٣٧٤ - معنى الحديث في نقاط ٣٧٥ - ٣٨٢ -
 لماذا قال « صورهم » ولم يقل وجوههم - نفى جميع النقص التي كانت في الدنيا عن أهل الجنة ٣٧٦ -
 دلالة « آنتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة » على سعة رحمة الله وظهور أثر أسمائه وحل استعماهما
 مع أنهم ليسوا في حاجة إليهما ٣٧٨ - لماذا كان رشحهم مثل المسك ٣٧٩ - الزوجتان من نساء
 الدنيا ٣٧٩ - استدلال أنى هريرة على أن النساء أكثر في الجنة ٣٧٩ - ٣٨٠ - والجمع بين هذا
 وحديث يعارض هذا الاستدلال ٣٨٠ - ذكر « زوجتان » بالتاء في طرق الحديث ٣٨٠ - التسبيح
 ليس إلزاماً وإنما هو إلهام ٣٨١ - ٣٨٢ .

صفة الجنة والنار وأهلها

- ٥٦ - إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة ١٩٦
 تخريجه ١٩٦ - دلالة الحديث على فيض رحمة الله عز وجل وفضله - ١٩٦ - الجمع بين الحديث
 وحديث آخر ١٩٦ - هذا الحديث جزء من حديث طويل ١٩٧ .
- ٥٥ - والله لقيد سوط أحدكم من الجنة ١٩٥
 تخريجه ١٩٥ - معناه ١٩٥ .
- ٣١ - أعددت لعبادي الصالحين ٩٧
 تخريج الحديث ٩٧ - معنى الحديث في نقاط ٩٨ - سبب الحديث ٩٨ - ٩٩ .
- ٥ - في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها
 تخريج الحديث ١٤ - معنى الحديث ١٤ - ١٥ - الحديث بيان للقرآن ، معنى الحديث لا يستبعد
 عقلاً ١٥ .
- ١٥ - لو تعلمون ما أعلم ٥٠
 تخريجه ٥٠ - معنى لو تعلمون ما أعلم ٥٠ - ٥١ - السر في تغليب البكاء على الضحك ٥١ - سبب
 الحديث ٥١ .
- ٥٢ - تحاجت الجنة والنار ١٧٩
 تخريجه ١٧٩ - ١٨٠ - معنى : تحاجت - سقطهم - غرتهم - إنما أنت رحمتي - حتى يضع الجبار
 رجليه - ١٨٠ - ١٨١ .
- اختلاف العلماء في صفات الباري التي من هذا القبيل ١٨١ - جمهور السلف ١٨٢ - معنى « قط ،
 قط » . « لا يظلم الله أحداً » ودلائلها ١٨٣ - مناقشة من يشككون في هذا الحديث ١٨٣ .
- ١٣ - ناركم هذه ما يوقد بنو آدم ٤٣
 تخريجه ٤٣ - معنى الحديث ٤٣ - ٤٥ - السر في تكرار المعنى في الحديث ٤٥ .

الخطأ والصواب

مع الاعتذار عما لم ننتبه إليه

ص	س	الخطأ	الصواب
٤ من المقدمة	٢	كان	كانت
٥١	١٤	بسبب	بسند
٥١	١٨	مشهده	مشهده
٥٨	١٨	إذا	إذ
٨٣	١٣	وظلوع	ظلولع
٨٩	١٠	كنه	كنة
١٠٠	٢	الذين قبلكم	الذين من قبلكم
١١٢	٣ من الهامش	٣٤ / ١٠	٣٤ / ١٣
١١٢	٤ من الهامش	٤٣ - ٣٤ / ١٠	٤٣ - ٣٤ / ١٣
١٥٥	٩	إذا	إذ
١٨٩	الأخير فوق الهامش	يعلمها	يعملها
١٩٠	٩	عشرة	عشر
١٩١	٣	يعلمها	يعملها
٢٠٨	٥ من الهامش	المسند	المرسل
٢٠٩	١٦	ذمتنا	ذمتنا «
٢١٢	١ من الهامش	تحقيق السنة	تحقيق شرح السنة
٢١٤	١٢	المقدسة	المقدسة
٢١٦	١٦	الداخل	الداخل
٢١٧	١٥	من من	من
٢٣٤	٥	تقول	نقول
٢٣٦	١	ويرد	ويرد
٢٣٦	١٣	رسولهم	رسولهم ؟
٢٣٦	١٧	عنه	عنه ؟
٢٤٦	١٣	يدفع	بدفع
٢٤٦	١٦	وهو	وهي
٢٥١	٥	(١)	تخذف
٢٥١	١٧	من جر	باب من جر

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٥٩	١٢	من جدعاء	من جدعاء؟
٢٦٠	١٤	إلا هذه	إلا على هذه
٢٦٠	١٩	الفطرة	الفطرة «
٢٧٥	١٥	أجساد « الأنبياء	أجساد الأنبياء «
٣٠٠	٨	إن لم يجد	إن لم يجد؟
٣٠٣	١١	يميطه	يميطه
٣٥٠	١٢	البشاشة	البشاشة
٣٥٥	١٤	ويستحل	ويستحل
٣٥٦	١١	ينظر الأعلى	ينظر إلى الأعلى
٣٥٨	٧	ليثتر	ليثتر
٣٦٠	١٤	أى تعرضه	أى عند تعرضه
٣٦٨	٢	و « ضىء	« وضىء
٣٦٨	٤	فتاقى (الأولى)	فتاى
٣٧٦	١٤	يتفلون	يتفلون «
٣٧٦	١٦	المسك	المسك «
٣٧٩	٥	المسك	المسك «
٣٨١	١٢	النَّفس	النَّفس «
٣٩٤	١٦	من حديث من حديث	من حديث
٣٩٩	٩	قال بعضهم قال :	قال بعضهم :
٤٠٠	٧	عندنا	عندنا
٤٠٥	١٧	يتشمى	يتشمى
٤٠٦	٢	أولا	أو لا
٤٢٦	٧	الميث	الميث
٤٤٢	ما قبل الأخير	بقرع	يقرع
٤٥٥	١٦	الفرقة	الفرقة
٤٨٠	٢	حسنه	حسنه
٤٨٨	١٣	نظمئن	نظمئن
٤٩٩	٨	مثلهم	مثلهم
٥٠١	١	صاحبه	صاحبه
٥٠٥	١٩	صلو	صلوا
٥١٧	٣ من الهامش	خالف	خاف

ص	س	الخطأ	الصواب
٥٢٩	١٨	الصلاة	الصلاة «
٥٤٩	٣	فيكون	فيكون
٥٦٥	٣	فير خينه	فير خينه
٥٦٥	٢ من الهامش	وهي	وهو
٥٧٠	٣	وإذا	وإذا
٦٠٢	١٤	العبد	العبد
٦٠٤	٢٥	صاحب	صاحب
٦٠٨	١٨	جمعه	جمعة
٦١١	١١	ميراث	ميراث
٦١٦	٣	فسائر	فسائر
٦٢٥	١٧	فزع	فزع
٦٢٧	١	نيابة	نيابة
٦٧٧	٤	قتية	قتية

* * *

رقم الإيداع ٨٦/٣١٠٥

الترقيم الدولي ٩ - ٢١ - ٥٠٥ - ٩٧٧